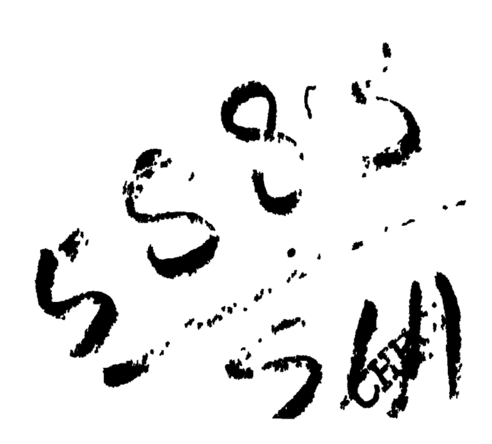


كتاب

الساق على الساق

في ما هو الفارياق



Montmartre — Typographie de PILLOY et Comp.

كتاب

الساق على الساق في ما هو الفارياق

او

ايام وشهور واعوام في عجم العرب والاعجام

تاليف العبد الفقير الى ربه الرزاق فارس بن يوسف الشدياق

تاليف زيد وهند في زمانك ذا ... اشهى الى الناس من تاليف سفرين

ودرس نورين قد شُدّا الى قَرَن ... اقنى وانفع من تدريس حبرين

طبعه بنفقته العبد الفقير الى رحمة ربه الموقّى رافائيل كحلا الدمشقي

وذلك في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية ١٢٧٠ هجرية

LA VIE ET LES AVENTURES

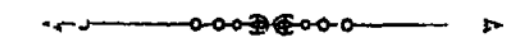
DE FARIAC

RELATION DE SES VOYAGES

AVEC SES OBSERVATIONS CRITIQUES

SUR LES ARABES ET SUR LES AUTRES PEUPLES

Par FARIS EL-CHIDIAC



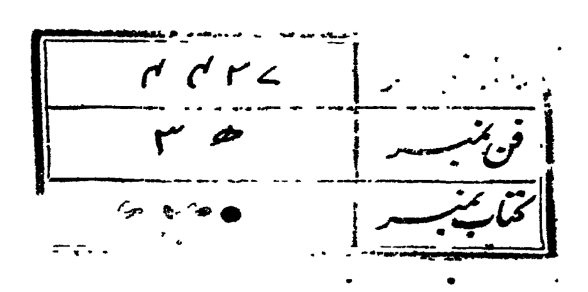
PARIS

BENJAMIN DUPRAT, LIBRAIRE DE L'INSTITUT,

DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE, DES SOCIÉTÉS ASIATIQUES DE PARIS, DE LONDRES, DE MADRAS ET DE CALCUTTA, etc.

Rue du Cloître-Saint-Benoît, n° 7.

1855





فهرست الكتاب

الكتاب الاول

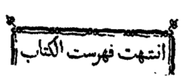
الكتاب الثانى

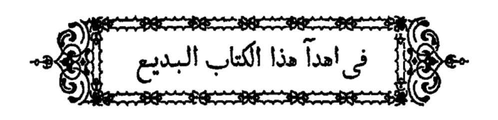
الكتاب الثالث

صفحة

الكتاب الرابع

صحيفة





الحمد لله

لما جرت عادة المولفين من الافرنج ان يهدوا مولفاتهم الى من تميّز فى عصرهم بالفضائل والمحامد ورُويت عنه مآثر جليلة فى اكرام العلم واهله رايت هنا ان احذو حذوهم فى اهدآ هذا الكتاب البديع الى الجناب المكرم الخواجا بطرس يوسف حوّا المقيم بلندرة اذ كان قد اتصف فى عصرنا هذا بالمزايا الحميدة التى يتحلّى بها مدح كل مطرئ وقول كل مولّف وهو الان كبير هذا البيت المشهور من قديم الزمان بالحسب والفخر ورفعة القدر وكثيرا ما اعان على تحصيل الفضايل وامدّ بنى جنسه وغيرهم بما افازهم بمنتهى الامال وادرك بهم منتأى الاوطار فانثنوا عنه حامدين وعلى آلائه شاكرين هذا وان يكن مقامه الكريم يجلّ عن بعض جُمَل فى الكتاب لكنه فى الجملة جدير بان يختص به فالمرجو منه قبوله واجازته وترويجه واجازته فان الحقير بالانتمآ اليه يعود جليلا والناقص يكتسب تكميلا*

من الداعى لجنابه
فارس الشدياق



تنبيه من المولف

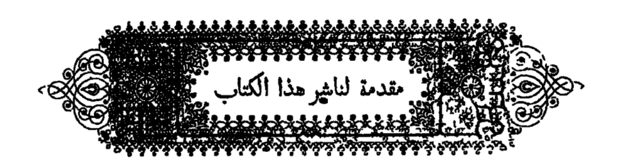
الحمد لله الموفّق الى السداد والملهم الى الرشاد   وبعد فان جميع ما اودعته فى هذا الكتاب فانما هو مبنيّ على امرين احدهما ابراز غرائب اللغة ونوادرها فيندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس وقد ضمّنت منهما هنا اشهر ما تلزم معرفته واهمّ ما تمسّ الحاجة اليه على نمط بديع ولو ذكر على اسلوب كتب اللغة مقتضبا عن العلائق لجاء مملاّ وقد راعيت سرده مرّة على ترتيب حروف المعجم [illegible] نسقته [illegible] * ومن ذلك القلب والابدال كما فى التورور والعوزور والتوثور والترتور وتمطّى وتمتى وتمطط وتمدد * ومنه ايراد الفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى من حرف واحد من حروف المعجم نحو الغطش والغمش والبهز والبحز والبغز والحفز تنبيهًا على ان كل حرف يختص بمعنى من المعانى دون غيره وهو من اسرار اللغة العربية التى قلّ من تنبّه لها * وقد وضعت لهذا كتابا مخصوصا سميته منتهى العجب فى خصائص لغة العرب فمن خصائص حرف الحآء السعة

والانبساط نحو الابتحاح والبداح والبراح والابطح والابلنداح والجح والرحرح والمرتدح والرَوح والتركح والتسطيح والمسفوح والمسمح فى قولهم ان فيه لمَنْمَحًا اى متسعا والساحة والانسياح والشُدحة والشرح والصفيحة والصلدح والاصلنطاح والمصلفح والطح والمفرطح والفشح والفطح والفلطحة الى آخر الباب * ويلحق به الفاظ كثيرة خفية الاتصال لا ندرك الا بامعان النظر نحو الاسجاح والتسريح والسماحة والسنح * ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخداة والتيد والثأد والشعد والمثمعد والمثمغد والثوهد والشهمد والخبنداة والخود والرادة والرَخودة والرهادة والعبرد والفرهد والاملود والفلهود والقرهد والقشدة والمأد والمرد والمغد والمَلَد الى اخر الباب * ويلحق به من الامور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك * وربما عادلوا فى بعض الحروف اى راعوا فيها الاكثار من النقيض فان حرف الدال يشتمل ايضا على الفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدة * وذلك نحو التأدد والتاكيد والتاييد والجلعد والجلمد والجمد والحديد والسحدد والسخدود والسمهد والتشدد والصفد والصلد والصلخد والصمغد والعجرد والتعجلد والعرد والعِربدّ والعرقدة والعصلد والعطوّد والعطرّد والعلد الى آخره * ومن خصائص حرف الميم القطع والاستئصال والكسر نحو أرَم وازم وثَرِم وثلم وجذم وجرم وجزم وجلم وحذم وحذلم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخزم وخضم الى اخر

الباب * ويلحق به من الامور المعنوية خَمّ الامر اى قُضى وحرم وحتم وحزم فان معنى القطع ملحوظ فيها * ويكثر فى هذا الحرف ايضا معنى الظلام والسواد * ومن خصائص حرف الهآ الحمق والغفلة والرثء اى قلة الفطنة نحو أَلِه وأَمِد وبله والبُوهة وتفه والتَّوه والدله والسَّبَه وشُده لغة فى دُهش او مقلوب منه وعَتِه وعَلِه وعمه ونمه ووَرِه وقس على ذلك سائر الحروف * ومن هذا الغريب ايضا كون بعض الصيغ يختص بمعنى من المعانى نحو اجرهدّ واسمهرّ وكل ذلك مشار اليه فى هذا الكتاب فينبغى التفطّن له * وقد طالعت كتاب المزهر فى اللغة للامام السيوطى رحمة مما ذكر فيه خصائص اللغة نقلا عن الامام اللغوىّ ابن فارس فلم اجده تعرّض لهذا النوع بل ربما اورد من الخصائص احيانا ما لا ينبغى ايراده كجعله مثلا اطلاق لفظة الحمار على البليد منها [illegible] ذلك [illegible] النوادر [illegible] اكهى فى [illegible] المتفرقف من البرد قال فى القاموس اكهى سخن اطراف اصابعه بنَفَس * ونحو العنقاش للذى يطوف فى القرى يبيع الاشيآ * والضوطار وهو من يدخل السوق بلا راس مال فيحتال للكسب * والذُنابة اى بقية الدَين * وترمل يقال ترمل الطعام لم يحسن اكله فانتثر على لحيته وفمه * ويتكظكظ وهو ان ينتصب الانسان عند الاكل قاعدا كلّما امتلا بطنه * ونحو الجلهرة والتلحّز والوُدم والارغال وغير ذلك مما فسّر بعضه وترك الباقى مرارا من تكبير

جرم الكتاب * والامر الثانى ذكر محامد النسآء ومذامهنّ فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعارف بحسب اختلاف الاحوال عليها كما يظهر مما اثرت عن الفارياقية * فانها بعد ان كانت لا تفرق بين الامرد والمحلوق اللحية وبين البحر الملح وبحر النيل تدرّجت فى المعارف بحيث صارت تجادل اهل النظر والخبرة وتنتقد الامور السياسية والاحوال المعاشية والعادية فى البلاد التى رأتها احسن انتقاد * فان قيل انه قد نقل عنها الفاظ غريبة غير مشهورة لا فى التخاطب ولا فى الكتب فلا يمكن ان تكون قد نطقت بها * قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى * ومن تلك المحامد ايضا حركات النسآء الشائقة وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصوّر منها شى الّا وذكرته فى هذا الكتاب لا بل قد اودعته ايضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختصّ بهن *





مقدمة لناشر هذا الكتاب

الحمد لله تعالى على ما اسبغ من نعمه علينا ووالى   وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الحافظ الموفّق رافائيل كحلا الدمشقى انى لما طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق رايته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس باسلوب رائق معجب وتمهيد شائق مطرب وخصوصا لاشتماله على اخص ما يلزم معرفته من الآلات والادوات واستيفائه لجميع اصناف الماكول والمشروب والمشموم والملبوس والمفروش والمركوب والحلى والجواهر مما لم يوجد فى كتاب غيره على هذا النمط وما أُغفل من تلك الاشياء فى بابه وهو قليل فقد ذكره المولف فى الجدول المبيّن للالفاظ المترادفة وقد رأيت من محاسن هذا الكتاب ايضا انه اشتمل على نثر ونظم وخطب ومقامات وملاحظات حكمية وانتقادات فلسفية ومطارحات وكنايات وتوريبات وتوريات ومحاورات وعبارات مضحكة كيلا يملّ القارى من مطالعته المرة بعد المرة * فمن ملح تلك المحاورات ما ذكر فى الفصل

التاسع من الكتاب الاول وفى الفصل الثامن عشر والعشرين من الكتاب الثالث وفى الفصل الثانى من الكتاب الرابع وفى الفصل السادس منه وفى الفصل العاشر وفى غيره ومن الكنايات ما ذكر فى الفصل الثامن عشر من الكتاب الاول وفى الفصل العشرين وفى خطبة الكتاب الثانى وفى الفصل الخامس منه وفى مواضع اخرى كثيرة فاما التوريات فانها لا تكاد تحصى كثرةً فالمرجو من مطالعه ان يتصفحه برويّة واعمال نظر ليتبيّن خفيّ ما اودع فى فصوله المفصلة من النكات والمحاسن * ومن محاسنه ايضا انه اذا ذكر شيا استوفى كل ما امكن ان يقال فيه وراعى النظير له من جميع طرقه وبالجملة فانى اتجاسر على ان اقول ان المولف قد فتح باب هذا الاسلوب [illegible] فى التاليف ثم ما لبث ان قفله فلا يمكن تحدّيه من بعده لان الكتاب انطوى على اشهر ما يروم القارى معرفته من غرائب اللغة * هذا ولما رايت ما فيه من جمّ الفوائد الادبية والنوادر اللغوية وثبت لدىّ انه يكون مقبولا لدى اهل العلم والذوق الصحيح استخرت الله فى طبعه واشتهاره ليعمّ نفعه ويسهل تحصيله فاما ما يظهر منه فى بادى الامر من الاساة فى حق اشخاص صرّح المولف باسمآئهم فقد كنت اود لو ان هذه الاسمآ لم تكن شيا مذكورا الا انه اشترط علىّ قبل الشروع فى الطبع ان لا انقص منه شيا كما انه اشترط ذلك ايضًا على جميع القارئين واليه اشار فى الفاتحة بقوله او ترتأى استعماله

محذوفا * فرايت ان قليل اللوم الذى ينشأ عن اثبات تلك الاسماء بالنسبة الى كثرة الفوائد التى تتحصل منه غير مانع من اشتهاره وقبوله فدونكه ايها المطالع تحفة مبتكرة لم يسبق اليها وهدية نفيسة يجب الحرص عليها فامعن عند تلاوتها النظر وادم عليها الفكر لتبرز لك محجّباب معانيها وتنجلى عليك مُحجّبات مبانيها ولا تعاملها معاملة ما سواها مما قد اشتهر فانها بِدْع عزّ من ان ينظّر * ثم انّا نعتذر اليك عن بعض غلطات وقعت فى الطبع غالبها مقصور على شكل الفاظ غير مشهورة على انها قليلة جدّا ولا توجد فى جميع النسخ المطبوعة فانّا تداركنا بعضها بالاصلاح وقلّ ان يوجد كتاب فى غريب اللغة خاليا من ذلك فالماٴمول من كرمك ان تقابلها على جدول التصحيح وتصلحها بالقلم والمولف معترف بالقصور والاعتراف يمحو الاقتراف وليس الكامل الّا الله وحده وبه نستمد المغفرة والمعونة *





فاتحة الكتاب

هذا كتابى للطريف طريفا ‏ ‏ ‏ طَلِقَ اللسان وللسخيف [illegible]

اودعتُه كَلِمًا والفاظا حلت ‏ ‏ ‏ وحشوتُه نقطا زهت وحروفا

وبداهةً وفكاهة ونزاهة ‏ ‏ ‏ وخلاعة وفناعة وعُزوفا

كالجسم فيه فيرُ مُضوٍ تعشق المستور منه وتحمد المكشوفا

فصّلته لكن على عقلى فما ‏ ‏ ‏ بِمقياس عقلك كان لى معروفا

فقعرته بمحافر الافكار كى ‏ ‏ ‏ يسع الكلام وسُمته تجويفا

لفّقته وخصفته بيدى فقل ‏ ‏ ‏ نِعمَ الكتابُ ملفّقا مخصوفا

افرغت فيه كل حبرٍ راقَه ‏ ‏ ‏ وله بريتِ من اليراع الوفا

وكانما نبدىّ قد نمّقته ‏ ‏ ‏ حتى اتى مستحكما مرصوفا

الّفته والليل اسود حالك ‏ ‏ ‏ فلذاك جاء مسخّما مسجوفا

ونبّلته لك دون طاهى القوم بالرّ ‏ ‏ ‏ بَلات فهى تنزيل منك خُلُوفا

ونُصِحّ ما بك من طُلاطِلَة ومن ‏ ‏ ‏ ضَرَسٍ فتَلّقَم بعد ذاك الفوفا

يُغنيك عن مَين الطبيب وسُحله ‏ ‏ ‏ ما من جراه تخارم الحتروفا

قد انبتت فَضراء ارض سطوره ‏ ‏ ‏ روضًا وجنّاتٍ تروق وريفا

فتشمُّ منها عَرْف كل رِبَحْلة ⁂ دَهْساء يفتن حسنها الغطريفا
وترى الملعَّظة الشِناط بجنبها ⁂ والفارص القِرطاس والسُرعوفا
وورآءها وامامها مُرمُورة ⁂ وغُرانقٌ ما ان تزال أنوفا
واذا بدت لك من خلال حروفه ⁂ رُدُح وثائر فاخطبنّ رَشوفا
فاذا عجزتَ عن المؤنة واستقلْـ ⁂ ـتَ وجدت في اعقابهن الهيفا
فاختر هداك الله ما تهوى ولا ⁂ تتراخ عن ان تُدْرك الحرنوفا
غيري من الوصّاف في ذا صنفوا ⁂ لكنهم لم يحسنوا التصنيفا
اذ كان ما قالوه مبتذلا ولم ⁂ يتقصّ منهم واصف موصوفا
لكن كتابي او انا بخلاف ذا ⁂ نكفي الحفيّ الحدّ والتعريفا
لا عيب فينا غير انك لا ترى ⁂ صنوا لنا في فنّنا وحريفا
فهو اليتيم المستحيل إخآوه ⁂ وهو الفريد فكن عليه عطوفا
الفضل لي ولصاحب القاموس اذ ⁂ من لُجّه قولي غدا مغروفا
حبلتْ به راسي خلافا للنسا ⁂ عاما وكل العام كان خريفا
لكن تولّد في ٣ اشهر ⁂ وحبا على عُجل وشبّ لطيفا
لم ادرِ هل رَجَلْته او مخطته او ⁂ بصقته او القته ثمّ كنيفا
عانيت فيه من الزحير اجارك الـ ⁂ ـمولى عنآء لا يُكال جزيفا
وقطعت سُرّته على اهل الحجى ⁂ وعلى اسمهم لا يبرحَنْ موقوفا
ما كان من طمّرله عندي سوى ⁂ فكري ومع ذا خلته مسروفا
قِدْمًا عليه توجعت نفسي ولم ⁂ يكُ شوقها عن نحوه مصروفا
ورشحتُ لذّاتٍ قُبَيل نتاجه ⁂ حتى اذا باشرت عدت نشوفا
اولدت لي ولدين لا لك ثم ذا ⁂ لك ثالثا لا لي فَعْلَهُ القُوفا
عهدي الى ولديّ ان بتحدّيا ⁂ اسلوبه وبدفّتيه يُطيفا

ليؤمّناه من الحريق اذا احتمى　　احد عليه لكونه جرّيفا
انى برىء منهما ان يعدلا　　عنه ويتّخذا عليه حليفا
مَن كان يرغب فيه فهو موفّق　　أوْ لا فقد ضلّ السبل وإيفا
فى الليل بسمع منه غطغطة بطيـــــب نعاسه بدوامها وجيفا
ولرُبّ نور ساطع يغدو ادا　　فابلتَه يوما به مكسوفا
وكبير بطن ضاق عنه وفاتك　　ذى شِرّة عنه يخيم ضعيفا
كالزئبق الفرّار ينظره ولا　　يسطيع يُمسك من قفاه صوفا
بهوى هوىّ الريح فى الوادى اذا　　ما هيج ثمّ يُسنّم الشُنعوفا
هو خير داج للذى لم يرضَ من　　لُعَب الزمان ولهوه خذروفا
ان تتلُه يطربْك حسن بُغامه　　او تُلغه يُسْمِعْك منه عزيفا
فيه ترى فى البرد مشتى ثم إن　　نارت تَخَوّجاة السّهام مَصيفا
واذا نقلتَ من الطعام وغيره　　تلقى بد من ثُقْلة تخفيفا
واذا اتخذت حديقةً فاعرس بها　　مد كُلَيمات تزدك قُطوفا
تغنيك من نصب الخيال بها فلو　　اضحى شِظاظا لصّها لأخيفا
انى صمدتُ لك [illegible] فما تُرى　　من بعده غَرَقًا ولا منجوفا
كَلّا ولا مستثقِلا نوما ولا　　أرِقًا ولا تشكو صَدًى وعُجوفا
لا تُقدمنّ على ركوب الصعب ان　　لم تتخذه صاحبا ورديفا
حتى اذا تُعتعت اصبح عاصما　　لك أن تزل فتخطى الخرــفا
وانى لأعلم والسداد يدلّنى　　أن الجناب يرَى الأبيل مخيفا
فأخِفْه انت بكل حرف باتر　　قد خُطّ فيه يكفّ عنك كفيفا
هو صرم فى طَرْف مَن يغتابه　　ما زال ان ذُكِرَ اسمه مطروفا
وهو الحد بدا القاطع الماضى الذى　　سرى العظام وبحسم الشرسوفا

ان شئت تلبسه على علّاته   فاهنأ به اوّ لا فدعه نظيفا

ولقد اجزتك سفّه او لَعْقَهُ   او ان تَخُفَّ قَيْئاً فخذه مدوفا

لكن حذارِ من الزيادة فيه او   ان ترتأى استعماله محذوفا

اذ ليس فيه من محلّ قابل   للحذف او لزيادة تثقيفا

لو كان يُعشَق جامدٌ لجماله   لغدا الورى طُرّا به مشغوفا

ولَئن نزحتُ من الانام فانه   يمشى اليه حيث كان زحوفا

واذا تخاصم كاذبان فلحية الاشقى يغادر شعرها منتوفا

حتى كأنّ الشَعر من لَحيَيهما   فطن الحشايا ناعما مندوفا

وحياة راسك ان راسى عارف   انى به لن استفيد رغيفا

كلّا ولا اقطا ولا حَشَفا ولا   خزّا على وتدى ولا كرسوفا

لكن بقرنى حكّة هاجت على   انى اعالج مرة تااليفا

من كان يُوجَز كي يؤلّفَ خطبة   فهو الخليق بان يُعدّ عسيفا

ما راجَ من قولى فخذه وما تجدْ   من زائف فاتركه لى ملفوفا

لابدّ أن تجد الصيارف مرّة   بين الدراهم درهما مزيوفا

ولربّ دينارٍ يجرّ اليك مَن   تهوى بلحيته وليس مشوفا

لا يعلقن بزجاج عقلك ما ترى   فيه من الصدأ القديم كثيفا

من كان فى بلدٍ لطيفا طبعه   يجد الغليظ من المحبّ لطيفا

لا ترفسن ما سَرَّ منه لاجل ما   قد ساء بل لا تُولِهِ تافيفا

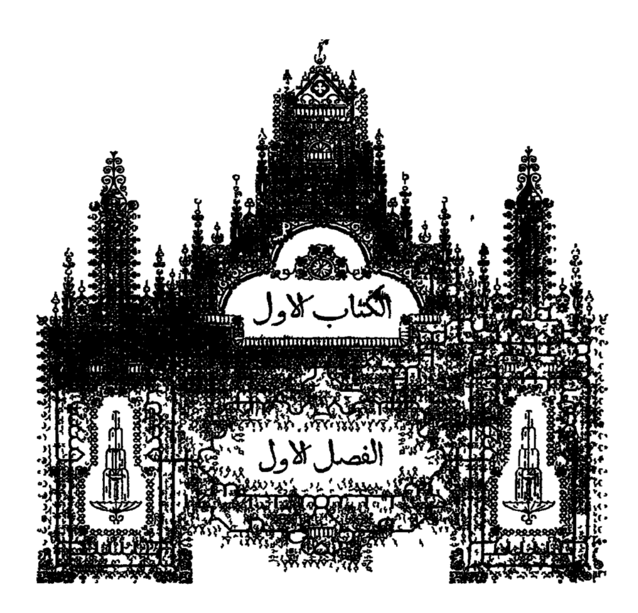
ان المصنف لا يكون مصنّفا   الا اذا جعل الكلام صنوفا

او ليس ان الضرب مثل الصنف فى المعنى وفرع عصا اليه أُضيفا

حاشاك ان تقضى علىّ تهافتا   من قبل ان تتحقق التوفيفا

وتقول قد كفر المولف فاحشدوا   ياقوم صاحبكم اتى تجديفا

فتهيجَ ارباب الكنائس هَيجة شُوْمَى فيخترطوا عَلَيه سيوفا
بيني وبينك من صِلات مودّة ما يقطع التفسيق والتسقيفا
لا تزبشرّ الى القتال ولا الى الشـكوى ولا تك بيننا قِذّيفى ا
ان كنتُ احسانًا اتيت فدونك التـحبيذ لى او لا فلا تقذيفا
لا يُشتَمنّ ابى ولا امى ولا عرضى ولا تك لى بذاك اليفا
ائمى على انفى يناط مدلدلا ما ان يُصيبُ من العباد انوفا
ولربّ فِسّيق اللسان مُباذئٍ يغدو وقد فسق العفيف عفيفا
ونزيه نفس ان يزر ذا زوجة ويكون ان ضحكت له حِتريفا
كَلِبُ الكواعب ليس يُعدى غيره ودوآؤه كُعْبٌ يليه مُنُوفا
ماذا على مُهدٍ الى اخوانه شيا الذّ من المدام طريفا
سهر الليالى مُحكما تفصيله وهمُ رقود يُحكمون حصيفا
ارايت ذا كرم يردّ هدية ويسوم مهديها له تعنيفا
او ليس ان الدهر اصبح مازحا يَهذى رياتى المضحكات جنوفا
فاشتقّ من خَرْف الجنَى خَرِفا ومن حَصَفٍ تَنِهى لاظفارٍ منه حصيفا
دع عنك تعبيس الاسودِ وكن اخًا لابى الحُصَين مراوقًا يُهفوفا
من اضحك السلطان صوت رُدامه فهو الذى فى الناس عُدّ عريفا
تمت بهذا البيت فاتحتى وقد صيّرته لبنائها تسقيفا
لا تقرأنْ من بعده شيا ولو كُلِفتَ حرفاً واحدا تكليفا
فتكون قد أُزلقتَ ثم تجاوزتَ بك رجلك اليسرى له تاريفا
انى ارى كالريح فى اذنيك عر ف نصيحتى راحت سدى وطليفا



في اثارة رياح

مه صه اسكت اصمت انصت أيبس اِقَم اسمع اِئذن اصِخ اصغَ اعلم انى شرعت في تاليف كتيبي هذا المشتمل على اربعة كتب في ليالى راهصة ضاغطة احوجتنى الى الجؤار قائما وقاعدا حتى لم اجد لصُنبور افكارى ما يسدّه عن ان يتبعّق على ميزاب القلم في وجوه هذه الصحائف * فلما رايت القلم مِطواعا لاناملى والدواة مطواعا للقلم قلت في نفسى لا باس ان اقفو القوم الذين بيّضوا وجوههم بتسويد الطروس فان كانوا قد احسنوا فانا أُعدّ ايضا من المحسنين * وان كانوا قد اسآوا فلعل عدد كتبهم يحتاج الى تكملة فيكون كتابى على كل حال متصفا بالكمال * لان ما كمّل غيره كان جديرا بان يكمل نفسه * فمن ثم لم اتوقف فيما قصدته ولم اتحاش ان اودعه من الالفاظ الشائقة الرائقة والمعانى الفائقة الآنقة كل ما خفّ على

السمع * ولذّ للطبع * مع علمي انه لا يكاد مُولِّف يعجب للناس جميعا * وكانى بمتعنّت يقول فى نفسه او لغيره لوكان المولف اجهد قريحته فى تاليف كتاب مفيد لاستحق ان يثنى عليه * لكنى اراه قد اضاع وقته عبثا بذكر ما لا ينبغى ذكره حينا * وحينا بذكر ما لا يجدى نفعا * والجواب من الاول * ومحترسٍ من مثله وهو حارسٌ * وعاد الحَيْسُ يُحاس * وخذ من جِذْع ما اعطاك * وشحمَتي فى قَلْعى * واهبِلْ هَبَلك * ومين الرضى عن كل عيب كليلةٌ * ومن الثانى * اربَعْ على ظَلْعك * وارقَ على ظلعك * وارقاً على ظلعك * وقِ على ظلعك * وكانى بآخر يقول حديث خرافة يا ام عمرو * وجوابه وكم من عائب قولاً سليما * ثم كانى بجوقة عظيمةٍ من الجَلاذىّ والنهاميّين والأنهمة والوَقفة والوُفهة والوهفة والابيلين والزرازرة والقمامسة وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا العَسطوس الاعظم وهم يضجون ويعجون ويجأرون وينعرون ويلجبون ويصحون ويرأطون ويلغطون ويتقترون ويتوغرون ويتوعدون وينهددون ويتذمرون ويتنكرون ويتنمرون ويتشذرون ويتشزرون ويتغذمرون ويتحمحمون وينهمون ويلغمون * فاقول لهم مهــــلا مهــــلا انكم قضيتم عمركم كله فى حرفة التاويل فما يضركم لو اوّلتم ما تنكرونه فى كتابى من اول وهلة * وتمحّلتم كما هو دابكم لان تجعلوا منه حسنا ما يظهر فيحا ومستظرفا ما يلوح من خِلال عبارته فاحشًا * فان ابا نواس قد اوجب عليكم ذلك مذ مئين من السنين بقوله

لا تحظر العفو ان كنت امرًا ورعا   فانّ حظركه بالدّين ازراء

وبقوله

كن كيفما شئت ان الله ذو كرم   وما عليك اذا اذنبت من باسٍ
الا اثنتين فلا تقربهما ابدًا   الشرك بالله والاضرار بالناس

فاما ان قلتم ان عبارته صريحة بحيث لا تقبل التاويل * فاقول لكم انكم بالامس كنتم تخطأون وتحصرمون وتهرأون وتلحنون وتلكنون وتغلطون وتوهمون وتعفكون وتلبكون وتلتكون وتلفتون وتعصدون وتخلطون وتخطلون وتهذون وتهذرون وتحصرون وتلخون وتلخلخون وتعجمون وتجعمون وتفدمون وتلفون وتبلتعون وتتلهبعون وتلغلغون وتلقلقون وتقلقلون وتتوترون وتثرثرون وتحصرون وتفرفرون وتجمجمون وتمجمجون وتغمغمون وتمغمغون وتتعتعون وتتغتغون وتتعتعون وتثغثغون وتبعبعون وتبغبغون وتوتغون وتضغضغون وتعبون وتفههون فمتى جاكم العلم حتى فهمتموها * وان قلتم ان بعضها وهو السيّئ مفهوم وبعضها غير مفهوم * قلت لعلّ ما لم تفهموه هو من الحسنات التى تذهب السيئات فلا ينبغي لكم على اية حالة كانت ان تحرقوه * ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه مجرى الاداب [illegible] كم [illegible] كتب الادب سوى سرد الناظ كثيرة من المترادف لكفى * بل [illegible] من ذكر الجمال واهله ادام الله عزهن ما يوجب اعظامه وتقريظ مولفه حيا ثم تأبينه بعد مفارقته اياهن برغم انفه * على اني اعرف كثيرا من الوفهة الكرام المشهود لهم بالفضل بين الانام لا يتحرجون من قولهم شي مهمهج وشي متدملك وشي مقرم وشي ازيب وشي مهذف وشي فازح وبكنبلك * ومن ذكر الكعثب والكثعب والكثعم والحلهوم والعركرك والاكثم والاخثم والخشيم والحزنبل والدعكنة والجدجد والنيرج والنوص والنامة والبلص والفلذم والاكبس والضراطمي والعمارطي والحصر والهبنذب والمحلوس والبوص والعضرط والعضارطي والحمبس والجمشا والبدا والغنشوس واللطعا والمهلوسة والمرصوفة والمسنودفة والجالفة والحارفة والخبوق والحقوق والغقوق

والرُبُوخ والمُخَرْبِقة والسَلَنْقَلق والشَقآ والمُلاحمة والنِجام والنَجُوم والأثوم والشريم والهَوْجَل والتكآ والحَلِقيَّة والمرفوغة والمَصُوص والمِنفاص والمِبْراص والعَضُوص والمِنخار والشفيرة والزَخاخة والبَخاخة والجُخُنّة والسَفَلّح والعَنْبَلة والجَليع ومن العِلَوْز والقُنب والنَوْف والجُنتب والأيّل والبَيْظ والشُعْرورين والجِتار والأشعر والطَبَق والاسكتين والحسكلتين والعُتُل والقُحقُح والمأنة والجُعْب والطِرْث والعكبز والمعجرم والعُجارِم والوَبيل والفَنْجليس والفِلْطيس والحَطاط والكوتعة والجُوفان والمتْك والحوقلة والكوشلة والقُصْعة والدُلْعة ومن الإقماد والتوتيد والاستعناد والتفنشخ والشَمْذ والفَهْر والإفهار والوجس والنشنشة والاستخلاط والتشيّط والهُكاع والفَخّة والسَغْم والإكسال والدَعم والزَجْل والهُقُق والنيطل والعَتْر والطَرُوح والعجيز والفِنْجر والاختصار والترقّع والإصفآ والعَصْد والحَمَق والتعفيل والتبازخ والعُرْوة والإسْواع والسِباع والإلهاط والعَصْد والرَقْغ والعَفَل والقُرْنة والكَيْن والطُوطُوة ومن ذكر الإرْزَب والبَزْباز والفاعوسة والخُرنوف والمشرح والغُصارطيّ والمَصُوص والخاق باق والزرداں والطُنْبريز والفَلْهَم والقبْقاب واللَّهْموم والجَجُوم والمَزْخة والنُغنغ والخَنْقَل والمُعْرَنْفِط والمقرنفط والفُوق والقُوق والرَكوة والقحفليز والعَفَلّق وغيرذلك من ادوات النصب ومن البنُودة والجِعبي والحُذافة والمِخذفة والمَخْدقة والخَوّارة والخَفاقة والعَزّاقة والمِجسّة والمحشّة والخَبنفثة والرَمّاعة والصُمارَى والرُثم والطِبيّخة والحَمآ والعوآ والعزلا والجَعْمآ والسَحْمآ والفُنقصة والفُرقُعة والصَقّارة والنّبور والنباعة والنبّاغة والوبّاعة والجَوّانة والخَوّانة والصوانة والبُرْعث والبُعثط وغيرذلك من ادوات الجزم ومن الاذاف والبَيْزار والجُمّيح والجُعْمُوم والأذلعيّ والحَوقل والمِطْوَل والزُلُنقطة والخُدْرُنق والسَحادل والضَبْز والعُلْعُل

والدَّوْقَل والقُسْطَبِيْنة والفِنْطيس والشاقول والقَهْبَلِيْس والعُرْدُل والقُصْطَبير والجُزاجِز والقِرْميلة والمُتمِرّ والدَّوْسَر والسُّمْهُد وغير ذلك من ادوات الجرّ ومن ذحّ وذحا ودحّ ودَحْبَى ورصع ورطأ وشفتن وشكز وصهز وطعز وطخ وعزط وعزلب وقرفط وقنطر وقسبر وقحطر وقمطر ولطز ولمج ولمذ ومشق ومتر ومهج ومعج ونيرج وزخزخ ودعظ ٭

وكنت احلق في وجوههم عند ذكرهم ذلك فلم اكن ارى عليها حمرة الخجل ولا صفرة الوجل . بل كانت ناضرة مستبشرة مبتهجة مسفرة ٭ فان أبي المنكر الّا عنادًا وتقاضاني جدول اسمآئهم قلت له هاك اوله يبتدي بالالف وآخره بالياء ٭ فاحسبوني اذًا وافهًا من هولآء . ثم ان شرطي على القاري ان لا يُشطر شيا من الالفاظ المترادفة في كتابي هذا على كثرتها ٭ فقد يتفق ان يمر به في طريق واحدة سرب خمسين لفظة بمعني واحد او بمعان متقاربة ٭ والّا فلا اجيز له مطالعته ولا اهنوّه به ٭

علي اني لا اذهب الى ان الالفاظ المترادفة هي بمعني واحد والّا لسموها المتساوية وانما هي مترادفة بمعني ان بعضها قد يقوم مقام بعض . والدليل على ذلك ان الجمال مثلاً والطول والبياض والنعومة والفصاحة تختلف انواعها واحوالها بحسب اختلاف المتصف بها فخصّت العرب كل نوع منها باسم ولبُعد عهدهم عنا تظنيناها بمعني واحد ٭ وقس على ذلك انواع الحلي والماكول والمشروب والملبوس والمفروش والمركوب ٭ لا بل عندي ولا اخشى من ان يُقال اوُلك عندُ انه اذا كان اسمان مشتقين من مادة واحدة وكانا يدلان على معنى واحد كالنجوج والنجوجاة مثلا للريح الشديدة المرّ فلا بد وان يكون الاسم الزائد في اللفظ زائدًا في المعني ايضا ٭ فان شئت اذعنت او لا فعاند ٭ هذا واني قد الّفته وما عندي من الكتب العربية

شى اراجعه واعتمد عليه غير القاموس . فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها . غير ان موسد رحمه لم يغادر وصفًا فى النسآء الّا وذكره . فكانه كان الهم ان سياتى بعده من يغوص فى قاموسه على جمع هذه اللآلئ فى مولف واحد متنسق لتكون اعلق بالذهن وارسخ فى الذكر . ولولا انى خشيت غيظ الحسان علىّ لكنت ذكرت كثيرا من مكايدهن وحيلهن ومحالهنّ لكنني انما قصدت بتاليفه التقرب اليهن وترضيهن به . وانى آسف كل الاسف على انهنّ غير قادرات على فهمه لجهلهن القرآة لا لعوص العبارة . اذ لا شي يصعب على فهمهن مما يؤول الى ذكر الوصال والحبّ والغرام . فهن يستوعبنه ويتلقفنه من دون تلعثم ولا قصور ولا تَرَج . وحسبى ان يبلغ مسامعهن قول القائل ان فلانا قد الّف فى النسآء كتاباً فضّلهن به على سائر المخلوقات . فقال انهن زخرف الكون . ونعيم الدنيا وزهاها . وغبطة الحيوة ومناها . وسرور النفس ومشتهاها (1) وعلق القلب . وقرة العين . وانتعاش الفؤاد . ورَوْح الروح . وجلآء الخاطر . وتعلل الفكر . ولهو البال . وجنّة الجنان . وانس الطبع . وصفآء الدم . ولذة الحواس . ونزهة الالباب . وزينة الزمان . وبهجة المكان والباءة . بل اقول غير متحرّج عُرف الالاهة . اذ لا يكاد الانسان يبصر جبلة الّا ويسبّح الخالق . بذكرهن يلهج اللسان . ولخدمتهن تسعى القدم . وتتحمل الاعبآء . وتتجشم المشاق ويهون الصعب . ويتجرع الصاب . ويقاسى الضرّ . ولرضائهن يذل العزيز . ويبذل النفيس . ويذال المصون . وان خَلاق الرجل من دونهن حرمان . وفوزه خيبة . وهنآءه تنغيص . وانسه وحشة . وشبعه جوع . وارتوآءه ظما . ورقاده ارق . وعافيته بلآء . وسعادته شقاوة . وطوبى له كالرقوم . والتسنيم كالغسلين . واذا قدّر الله بلوغ هذا الخبر المطرب سماع احدى سيداتى هولآء الجميلات

(1) حاشية قد غلط الفيروزابادي فى اشتقاقه السرية من السر للجماع بل اشتقاقها من السر بمعنى السرور

وسرت بـه وفرحت . ورقصت ومرحت . رجوت منها وانا باسط يد الضراعة ان تبلغه ايضا مسامع جارتها . واملت من هذه ايضا ان تطالع به صاحبتها حتى لا يمضي اسبوع واحد الا ويكون خبر الكتاب قد ذاع في المدينة كلها . وكفاني ذلك جزآء على تعبي الذي تكلفته من اجلهنّ . اَلَا وَلْيَعْلمن اني لو استطعت ان اكتب مديحهن بجميع اصابعي وانطق به بكل من جوارحي لما وفّيتُ ذلك بمحاسنهن . فكم لهن عليّ من الفضل حين يُبْدَين في افخر الحلل . ومِسن باحسن الحليّ . ونظرن اليّ شافنات * حتى ابت الى حفشي وانا اتعثر بافكاري وخواطري . فما كادت يدي تصل الى القلم الا وقد تدفقت عليه المعاني وساحت على القرطاس . فاورثنني بين الناس ذكرا وفخرا . ورفعن قدري على قدر ذوي البطالة والفراغ . نعم ان من بينهن من نَفِست عليّ بطيفها في الكرى * ولكنها معذورة في كونها لم تكن تعلم اني اتكلف النوم * بعد ان رات عيني من جمالها ما يبهر العقل ويبلبل البال . فاما اذا تعنّت عليّ احد بكون عبارتي غير بليغة . اي غير متبّلة بتوابل التجنيس والترصيع والاستعارات والكنايات . فاقول له اني لمّا تقيدت بخدمة جنابه في انشآء هذا المولف لم يكن يخطر ببالي التفتازاني والسكاكي والامدي والواحدي والزمخشري والبستي وابن المعتز وابن النبيه وابن نباتة . وانما كانت خواطري كلها مشتغلة بوصف الجمال . ولساني مقيّدا بالاطرآ على من انعم الله تعالى عليه بهذه النعمة الجزيلة . وبغبطة من خوّله عزّ وجلّ عزّة الحسن وبرثآء من حرمه منه . وفي ذلك شاغل عن غيره . على اني ارجو ان في مجرد وصف الجمال من الطلاوة والرونق والزخرفة ما يغني عن تلك المحسّنات استغنآء الحسنآء عن الحليّ ولذلك يقال لها غانية . وبعد فاني

قد علمت بالتجربة أن هذه المحسنات البديعية التى يتهوّر فيها المولفون كثيرا ما تشغل القارى بظاهر اللفظ عن النظر فى باطن المعنى . ولعمرى انه ليس في هذا الكتاب شي يُعاب سوي وجدانك الفارياق فيه تارة يحشر في سرب الغوانى . وتارة يدمق عليهن وهن آمنات في حجالهن او في حديقة او فى زاوية او على السرير . ولكن لم يكن لى بدّ من ذلك . اذ الكتاب موضوع على قص اخباره وعلم احواله * فقد بلغنى ان كثيرا من الناس انكروا وجود هذا المسمى فقالوا انه من قبيل الغول والعنقآء * وبعضهم قال انه كان قد ظهر مرة فى الزمان . ثم اختفى عن العيان . وذهب غير واحد الى انه مُسخ بعد ولادته بايام . ولم يُعلَم باى صورة تلبّس والى اى شكل استحال . وزعم قوم انه صار من جنس النسناس . واخرون من النَسانس . وقال غيرهم انه صار من نوع الجن . واثبت بعض انه استحال امراة . فانه لما راى ان المراة اسعد حالا من الرجل فى هذه الدنيا المسماة دنيا النسآ كان لا يبيت الا وهو جائر الى ربه بالدعآء لان يصيره انثى . فتقبّل الله ذلك منه وهو على كل شي قدير * فرايت والحالة هذه من بعض ما يجب علّى ان اعرّف هولآء المختلفين فيه بحقيقة وجوده على ما فطر عليه . ما عدا التغيير الذى عرض له من جهد المعيشة وسوء الحال ومقاساة الاسفار ومخالطة الاجانب والاحتكال . وعلى الخصوص من تلثيغ الشيب والمجاوزة من حد الشباب الى سن الكهولة . فاذ قد علم ذلك . فاقول

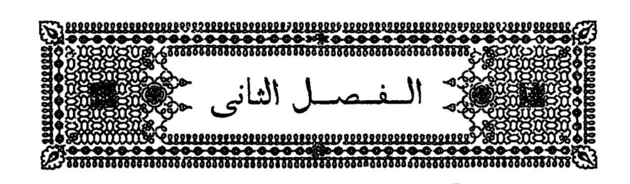
كان مولد الفارياق فى طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدي او التيس والسرطان ماشٍ على قرن الثور . وكان والداه من ذوي الوجاهة والنباهة والصلاح (مَرْحَى مرحى) الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (بَرْحَى برحى) وكان الطبل ذكرهما دويّ يُسمع من

بعيد . ولزوابع شانهما عجاج ثنـاء يثور فى الجبال والبيد . ولتكرير العفاة عليهما واعتشاء الوفود لديهما . تعطّلت سبل دخلهما . ونزحت بئر فضلهما فلم يبق فيها الّا نزّازات يلقى فيها المخفق المحروم سدادا من عوز * فكانا يجودان به ايضا من عوز السَّداد (وهٍ وه) فلذلك لم يعد في طاقتهما ان يبعثاه الى الكوفة او البصرة ليتعلم العربية . وانما جعلاه عند معلم كتاب القرية التى سكنا فيها (ويح ويح) وكان المعلم المذكور مثل سائر معلّمى الصبيان فى تلك البلاد فى كونه لم يطالع مدة حياته كلها سوى كتاب الزبور وهو الذى يتعلمه الاولاد هناك لاغير (افّ اف) وليس قولى انهم يتعلمونه موذنا بانه يفهمونه . معاذ الله . فان هذا الكتاب مع تقادم السنين عليه لم يُعد فى طاقة بشر ان يفهمه (غُط غط) وقد زاده ابهاما وغموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعمّى (رُطْ رط) وانما جرت عادة اهل تلك البلاد بان يدرّبوا فيه اولادهم على القراة من غير ان يفهموا معناه . بل فهم معانيه عندهم محظور (تُفّ تف) وكما انهم لايفهمون معنى حا وميم وقاف مثلا . فكذلك لا يفهمون عبارة الكتاب المذكور اذا قراوها (طِيْخ طيخ) والظاهر ان سادتنا روسا الدين والدنيا لا يريدون لرعيتهم المساكين ان يتفقّهوا اويتفقحوا . بل يحاولون ما امكن ان يغادروهم متسكعين فى مهامه الجهل والغباوة * (أعْ اع) اذ لو شاؤا غير ذلك لاجتهدوا فى ان ينشئوا لهم هناك مطبعة تطبع فيها الكتب المفيدة سواء كانت عربية اومعرّبة (سُرْسر) فكيف ترضون ياسادتنا الاعزّة لعبيدكم الاذلة ان تربي اولادهم في الجهل والعُمَه * (عزوى عزوى) وان يكون معلّموهم لايعرفون العربية ولا الخط والحساب والتاريخ والجغرافية ولا شيا غير ذلك مما لابدّ للمعلم من معرفته (تُعْزّى تعزى) فكم لعمري من

ملكات براعة وحِذْق منّ الله تعالى بها على كثير من هولآء الاولاد * غير انه لفقد اسباب العلم وعدم ذرائع التاديب والتخريج طُفِئت جُذوتها فيهم على صِغَر. بحيث لم يمكن ان يشقبها بهم نتق التحصيل على كِبَر (أُوَّهْ اوه) هذا وانكم بحمد الله من المتمولين المثرين. لا يعجزكم ان تنفقوا كذا وكذا كيسًا على انشآء مدارس وطبع كتب مفيدة (إِيْه ايه) فان لبطرك الطائفة المارونية دَخْلا له وقع عظيم. وقدر جسيم. بحيث يمكنه ان يحيي به قلوب طائفته هذه التارزة التي لا همّ لها في المنافسة والمباراة في شي بين من سبقوهم الى كل علم وفضل (هَيْس هيس) وانما هَمّهم ان يتعلموا بعض قواعد في نحو اللغتين العربيـة والسريانية لمجرد العلم بها فقط من دون فائدة (آه اه) اذ لم يُعلَم الى الان ان احدا منهم ترجم كتابا او كراسة مفيدة في هاتين اللغتين ولا ان البطرك امر بطبع كتاب لـغـة فيهما (تِغْ تغ) ولو انه انفق نصف دخله في كل سنة على تحصيل اسباب العلم بدل هذه الولائم والمآدب التي يهيئها لزوّاره * او لو كان كلّ من الامرآء والمشايخ الكرام ينفل شيا معلوما في كل سنة لاجل هذه المصلحة الخيرية. او لو بعث من قِبَله الى البلاد الافرنجية وكلآء يجمعون من ذوي الخير والاحسان فيها مبلغا يخصّصه بما نحن بصدده. لاحمد كل من في الشرق والغرب فعله (جُخْ جخ) ولكن اذا تعنّى احد سادتنا هولآء لان يبعث الى اخوانه الافرنج حنّا اومتى او لوقا لجمع المال فانما يبعثه لبنآء كنيسة او صومعة (آحِ اح) مع ان الانسان مذ يولد الى ان يبلغ اثنتي عشرة سنة لا يمكنه ان يدرك شيا على حقيقته من جهة الكنيسة والصومعة. ويمكنه في خلال ذلك ان يتعلم ما يفيده في مدرسة او كتّاب (ثُع ثع) فهل تَعِدونني ياسادة بانشآء مكاتب وطبع كتب حتى لا اطيل عليكم هذا الفصل. فان بقلبي منكم لحزازات حاكّة وبصدري

عليكم ملامات صاكّة (أَخٍ اخٍ) لان خليصي الفارياق في دولتكم السعيدة لم يمكنه ان يتعلّم في قريته غير الزبور . وهو كتابٌ حشوه اللحن والخطا والركاكة (اخٍ اخٍ) لانّ معربه لم يكن يعرف العربية وقس عليه سائر الكتب التي طبعت في بلادكم وفي رومية العظمى (هُعٍ هع) ومعلوم ان الغلط اذا تاصّل في عقل الصغير شبّ معه ونمى فلم يعد ممكنا بعدُ قلعه . فهل من سبب لهذا الشين والعيب سوى اهمالكم وسوء تصرفكم في السياسة المدنية والكنائسية (أَفُوه افوه) اتحسبون ان الركاكة من شعائر الدين ومعالمه وفرائضه وعزائمه . وان البلاغة تفضي بكم الى الكفر والالحاد . والبدعة والفساد (مِطْغ مطغ) ام حسبتم ان تلك الابيات العاطلة . قد افحمت ذلك المسلم العالم عن المجادلة والمناصلة . (يَعْ يع) امابعروقكم دم يهيجكم الى حبّ الكلام الجَزْل الفَخْم . والى البلاغة والبِلّة . ونسق العبارة على موجب القواعد المقرّرة . والافصاح عمّا يخطر ببالكم دون الحشو المخلّ . والاعتراض المملّ . والتعقيد المعلّ . والاخلال المسلّ . وقولكم في جوز الجملة النح . وجعلكم الفعل الثلاثي رباعيا وبالعكس . واستعمالكم ما يتعدي منه بالبا متعديا بفي وبالعكس . واجرائكم المتعدّي لازما وبالعكس . والمهموز معتلّا وبالعكس وعدم فرقكم بين اسمي الفاعل والمفعول . فتقولون هم محسودون مني اي حاسدون لي وما اشبه ذلك (قَدْ قد) وليس كتابي هذا درّة الشين . في اوهام القسيسين حتى استوعب فيه ذكر اغلاطكم واوهامكم (أَيْحي ايحي) وانما المقصود من ذلك ان ابيّن لكم انّ ادمغتكم قد سُقّيت اللحن والركاكة من وقت ذهابكم الى الكتّاب وقراتكم فيه كتاب الزبور الى ان تصيروا كَهْلاً ثم شيوخا (دِحْ دح) وانه ما دمتم على هذه الحال فلن يرجى لكم من إبلال (وَيْب ويب) ثم ان الفارياق اقام عند معلمه ربثما ختم الكتاب

المذكور. وبعد ذلك اوجس منه المعلّم ان يربكه فى مسائل تصعب عليه فينفضح بها . فاشار على والده بان يخرجه من الكتّاب ويشغله بنسخ الكتب فى البيت (بَه به) فلبث على هذه الحالة مدة طويلة فاستفاد منها ما امكن لمثله ان يستفيد من تجويد الخط وحفظ بعض الالفاظ (بَذّ بد) وكان اهل البلاد يفضلون حسن الخط على كل ما تصنعه اليد . فعندهم ان مَن يكتب خطّا حسنا هو الذى افق بين اقرانه فى الفضل . ومع اشتهار ذلك فلم يكن حاكم البلاد يستخدم من الكتّاب الّا من بذأت العين خطّه وعاف الذوق السليم كلامه (عِيطٌ عيط) اشعارا بان الحظّ لا يتوقف على الخطّ . وان ادارة الاحكام . لا تفتقر الى تهذيب الكلام . (نُع نع) وان كثيرا قد نالوا المراتب السامية والمناصب السنية وهم لايحسنون توقيع اسمهم الشريف (حصّ حص) غير ان الفارياق لم يكن قرير العين بهذه الحرفة . اذ كان يعتقد ان الرزق الذى ياتى من شق كشِقّ القلم لايكون الا ضيّقا (وَىّ وى) نعم ان كثيرا من الناس قد نالوا العيش الواسع الهنى . والخير المتتابع الوحى . من مورد هو بالنسبة الى شق القلم رحب لكنه بالنسبة الى شرههم وسرفهم ضيّق (واه واه) غير ان الفارياق وقتئذ كان غرّا لا تجربة له ولاخبرة . فكان يحكم على البعيد بالقريب . ولا شىّ اقرب الى عين الكاتب من لسان قلمه وعارض قرطاسه . او ادنى الى قلبه من الكلام الذى يكتبه واللبيب من قنع بالحرفة التى يتعاطاها ولم ينق عليه امت الشق ولم يشرئبّ الى ما ليس يحسنه (شُع شع) .



الفصل الثانى

فى انتكاسة حاقية وعمامة واقية

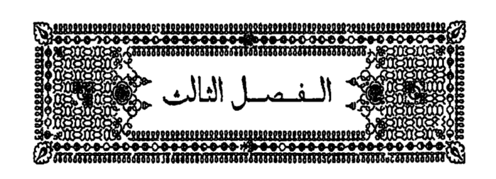
قد كان من طبع الفارياق كما هو داب جميع الاحداث ايضا ان يحاكى فى الزى والاطوار والكلام من كان متميزا فى عصره بالفضل والدراية. وانه راى ذات يوم قرْزامًا معتمّا بعمامة كبيرة مدورة. وكان هذا القرزام يُحسَب وقتئذ من فحول الشعرآء. فاحب الفارياق ان يكون له مثل هذه العمامة على صغر راسه. فكان اذا مشى يميل راسه منها يَمنةً ويَسرةً كالقاضى الذى يخرج فى الاسواق بعد صلوة الجمعة ويسلّم على الناس. واتفق ان اباه سار مرة الى دار الحاكم واستصحبه معه واركبه مهرة له. وكان هو راكبا حصانا. فمكثا هناك اياما. فعنّ للفارياق يوما من الايام ان يركض المهرة فى الميدان وكان الحصان مربوطا فى جانب. فاجرى المهرة نصف شوط حتى اذا قابلت مربط اليفها التفتت اليه كالمشيرة انّ فارسها غير جدير بركوبها بين جياد الامير. فما كان من الفارياق الا ان سقط على امّ راسه* واقبلت المهرة تجرى الى الحصان وغادرته مجندلا على الجَدالة. ولوكان فارسًا مُجيدا لما تركته على تلك الحالة بل كانت تنتظره حتى يقوم* ثم انه قام بعد ذلك يحمد الله على كبر عمامته فانها هى التى وَقَتْ رأسه من احدى الشجات العشر وهى القاشِرة الحارِصَة

الباضعة الدامية المُتلاحِمة السِمحاق المُوضِحَة الهاشِمة المنَقّلة لآمّة الدامغة ولكنه قام محققوًا ويومئـذ عرف ان لكبر العمامة فضلا ومزيّة . وظن ان اتخاذ العمائم الكبيرة عند اهل بلاده انما هي لوقاية رؤسهم فقط لا لتحسين وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفى محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلا عن كونها توجع الراس وتمنع صعود الابخرة من مسامّه كما نصّ عليه الساعُور الاكبر . فان قيل إذا كان سبب اتخاذ العمائم الكبيرة انما هو لوقاية الرؤس لا للزينة والتحسين فما بال الذين يرقدون ليلًا يتعممون . فهل يخافون ان تتدحرج رؤسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في بيتهم . مع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشا هذه العادة هو ان نسآ تلك البلاد يتخذن في رؤسهن هذه القرون التى يقال لها هناك طناطير . وهي تكون من فضة اوذهب في طول الذراع وغلظ الرسغ . فاذا بات الرجل مع امراته حاسر الراس او كان على راسه غطآء رقيق لم يأمن ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدي الشجاج المذكورة . فان ابيت الّا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسّية . هل هي دليل على التذكير بالقرون المعنوية عند مخالفة الرجل لامرأته . اوعند تقتيره عليها . او اجفاره عنها . او هى من قبيل الزينة او من بطر النسآء وشرههن بحيث اذا شممن رائحة الايسار من ازواجهن رأين ان كل مُجَسّ من اجسامهن قمينٌ بالحَلْى والزينة . اذ كنّ يعتقدن ان المستور منها من عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولتهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم . وتحليل وتحريم . وان في التزيّن بحلى غير ظاهر للذّةً عظيمة . فانّ مجرّد العلم باحراز شى ثمين يسرّ صاحبه . كما لو احرز انسان كنزا في حرز محجوب فانه يفرح به من غير ان ينظر اليه . قلت اما التذكير

بالقرون المعنوية فغير مظنون في نسآء تلك البلاد لكونهن من ذوات العِرض والتصاون . ولا سيما نسآء الجبل . وفضلًا عن ذلك فانّ هِراوة الزوج ومقامع اهله واهل امراته وعيون الجيران ايضا تمنعها عن الاتصاف بالصفة الزوجيّة التامّة . اما في المدن فان هذه الصفة اقوى وافشى . وانما كان اتخاذ هذه القرون في الاصل مناطا للبراقع . وكانت في مبداها صغيرة قصيرة ثم طالت وكبرت بطول الزمن وكبر الدينار . وكلّما زاد ايسار الرجل وماله زاد قرن امراته طولا وضخامة . وهنا فائدة لا بدّ من ذكرها . وهي ان لفظة القرن من الالفاظ التي اشترك فيها جميع اللغات كالصابون والقطّ والمزج وغيرها . وقد شهرت عند جميع المولفين بانها كناية عن كذا وكذا من طرف الزوجة في حق زوجها . الّا عند المولفين من اليهود فان الصفة القرنيّة في كتبهم من الصفات الحميدة . ولذلك فكثيرا ما تسمع في كتاب الزبور ارتفع قرني وانت رافع قرني واني انطح بقرني وما اشبه ذلك * وفي كلا الاستعمالين غموض وابهام . امّا غموض استعمال القرن عند المولفين من غير اليهود كنايةً عن خيانة المراة زوجها فلانّ هيئة القرن لاتدل على عضو مخصوص من اعضآء الانسان . وحقيقته ايضا لاتدل على حيوان مخصوص . فان الثور والوعل والتيس والكركدن في ذلك سوآء . ولفظهُ كذلك غير مشتق من فعل يشير الى خيانة اوضَمْد . فما علّة هذا الاستعمال . وقد استفتيت في هذه المسئلة المشكلة كثيرًا من المتزوّجين المجرّذين . فكلّهم كان يتخبّط الوانا عند سؤالي له . ويجمجم في كلامه ويقوم من عندي وقد خجل ووَجُم . فانْ فتح الله الان على احد ممن يطالع كتابي هذا في فهم حقيقة ما يراد من هذا الحرف عرفا واصطلاحًا . وفي بيان سبب استعماله كناية عن الضمد فليتفضّل

بالجواب منةً واحسانا . فاما استعماله من مولفى اليهود كناية من العزّة والقوّة والمنعة والغلبة فانه يرد عليه ما ورد على الاوّل من ان كثيرا من الحيوانات قد اشترك فيه . ومنها ما هو غير ذى قوة ولا باس . فانظر اختلاف الناس فى لفظة واحدة ومعنى واحد. امّا العمّامة فان اشتقاقها فيما ارى من عمّ بمعنى شمِل لانها تعمّ الراس وهى على اشكال مختلفة . فمنها الحلزونيّ والكعكى والاطارى والمكوّرى والمقوّرى والقُهقُوريّ والقِرْطَلّى والقَعبَلى . وكلها على اصنافها احسن من هذه الاجران التى تلبسها روسآء المارونية فى الدّين فلينظروا وجوههم فى مرآة جليّة .





الفصل الثالث

فى نوادر مختلفة

كان للفارياق ارتياح غريزى من صغره لقرآة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه ولالتقاط الالفاظ الغريبة التى كان يجدها فى الكتب . فان اباه كان قد احرز كتبا عديدة فى فنون مختلفة . وكان اى الفارياق يتهافت منذ حداثته على النظم من قبل ان يتعلم شيا مما يلزم لهذه الصنعة . فكان مرة يصيب ومرة يخطئ . مع اعتقاده ان الشعرآء افضل الناس وان الشعر اجلّ ما يتعاطاه الانسان * فقرا يوما فى بعض الاخبار عن شاعر كان فى حداثته ابله مغفّلا ثم صار امره الى ان نبغ فى نظم القصائد المطوّلة واجاد . فممّا حُكى عنه انه سكر يوما فقعد فى نحو ناموس(١) وجعل يخطب منه خطبة ابي العِبَر طرد طبك طلندى بك نك يك من البلوعة * وانه اراد يوما ان يتسوّر حائطا ليتناول من بعض الثمر فوقع فى فخ كان قد نصّبه صاحب البستان للحيوانات . وانه قال يوما لامّه ان عند فلانة خادمة نظيفة غسلت اليوم باب دارها فجآء اسود يلمع . وانه راى يوما صبيّا قد قلع احد اضراسه فسار واقترض درهما وقال للحجّام اقلع ضرسى انا ايضا فانه غير قاطع فى الاكل . ولعلّ ينبت لى فى مكانه ضرس احدّ منه . وقيل له يوما قد دُوّنت عنك حكايات من حمقك

(١) حاشية قد وَهم المطران [...]ومانوس فرحات فى [...]له فى كتابه باب الاعراب [...]نامور الوعآ والنفس [...]القلب وصومعة الراهب [...]قانون الرهبنة وعبارة [...]بله وصومعة الراهب [...]باموسه فتوهم ان الناموس [...]ا بمعنى القانون او الشرع [...]لى ما اشتهر فى عرف [...]نصارى ومراد صاحب [...]قاموس المعنى الاصلى [...]هو القترة والعامّة تقول [...]اووس وما اشتهر عندهم [...]هو امّا تجوّز عن صاحب [...]لسر او هو يونانى معرّب

كثيرة فقال بودّى لوان احدا يقراها علىّ لاضحك . ومرض اخوه يوما فقال ابوه لزوجته قد اضره الطعام الذى اكله امس . فقال نعم قد اضره الاكل والخادمة معًا . فقال له ابوه ما مدخل الخادمة هاهنا . فقال لعلها اطعته ما لم يحبّ . ورات امه على ثيابه دمًا فقالت له ما هذا الدم . قال قد وقعت فجرى دمى وهو احسن . فقد يقال من وقع وجرى منه دم صحّ وتقوّى . وجرح يده بسكين فرمى بها وقال هذه السكين لاتساوى شيًا . فقال له ابوه لوكانت كذلك لما جُرِحَت يدك . فقال كل انسان يجرح يده فى الدينا سوآء كان بسكين اوغيرها . وقال مرّة قد رايت فى السوق جبنا ابيض كالزفت . وقيل له لِمَ لا تغسل يدك قال اغسلها فتعود وسخة فى الحال . ولست اقدر على تنظيفها لكون دمى وسخا . وراى ذات يوم رجالا مصلوبين فقال لامّه ياامّ اذا عاشت هولآء الرجال ايضا افيقدر الذين صلبوهم على صلبهم مرة اخرى . وكان قوم يسالون عن منزل شخص فقال انا اعرف مقره . قيل كيف عرفته . قال قد رايت الرجل يمشى فى السوق على رجليه . وقال يوما من الثمانية الى التسعة يمضى الوقت اسرع من الستة الى السبعة . وقيل له اتحب اللحم اكثرام السمك قال اظنّ انى احبّ هذا اكثر . وقال له ابوه اذا كنت تغيب عنا افتحسن ان تكتب لنا كتابا . قال نعم اكتبه واجى به اوصله اليكم . وسمع اباه يثنى على خزّ اشتراه وكان به فرحا . فقال قد كانت ساعة سعيدة انكم لم تشتروه . وراى اباه يكتب كتابا فقال له هل تستطيع ياابت ان تقرا ما تكتبه . فقال له كيف لا وانا الذى كتبته . قال اما انا فلا استطيع . وراى اباه يتاسّف على طير فقده . فقال له بارك الله فى الساعة التى طار فيها . فقال له يا احمق انّا نتاسف على فقده . قال ولِمَ لم تبنِ له دارا * قال أَوَ يُبنَى للطائر دار .

قال انما اعنى عودين يجعلان من هنا ومن هناك . ووصف مرة حيوانات رآها فقال ورايت ايضا خنزيرا اكبر منى * وشكا وجعًا فى رجله فقال ليت هذى الرّجل تبلى . وكان ابوه يفسر له معنى انقذ بان قال له اذا وقع احد فى النار مثلاً وذهبتَ واخرجته منها فذلك هو الانقاذ * قال ولكنه قد احترق فكيف انقذه . وعلى فرض انى وضعت هذا السفّود فى النار ثم اخرجته منها افيكون ذلك ايضا انقاذا . وفسّر له يوما آخر معنى يلوم فقال اذا ابطا عليك شخص فى شي وقلت له لمَ ابطأت لم تكاسلت فذلك يكون لومًا . فقال واقول له ايضا لم كبرت لم صغرت لم قَصُرت . ولامته امّه على نخرة عند الكلام فقال لها الا لا تلوميني ولكن لومي روحي . واراد ابوه ان يخرج فى يوم ماطر ثم عدل خوفا من المطر . فقال لامه ياماه من نعمّ الله انّا لم نخرج اليوم فان الهوآء كان طيبا . واشترت له امّه ثوبا فلما فصّلته قال لها أَوَيزول لون هذا الثوب . قالت لا ادرى . قال ارجو ان يزول فلعله يصير احسن . وقالت له اوان الشتآء وهو لابس قميصا فقط البس ثوبك فوق القميص . فقال لها لا لانى ابرد به اكثر . ولامه ابوه على قرآته بصوت صلق فقال له لمّ هذا الصلق فى القرآة قال لا اقدر ان اصرخ اكثر . وخفى عليه يوما معنى الزّيارة فقالت له امّه اذا سرتُ اليوم الى السيدة فلانة لانظرها فقد زرتها . قال قد فهمت انك تسيرين اليها كى تخدميها . وقالت له امه ان فلانة التى كانت تحسن اليك قد ماتت فسكت ساعة ثم قال . قد حزنت عليها كما حزنت على موت امى . الله يبعثها الى الجنة هى وزوجها حالاً . وقال يوما لوالده ان معلمنا اليوم قد اشترى قضيبا ليضرب به الاولاد ولكنهم يغضبونه عمدا حتى يضربهم به فينكسر فاستريح انا ايضا . وقال لامه وقد مرضت اذا جئناك بالطبيب ولم يشأ الله

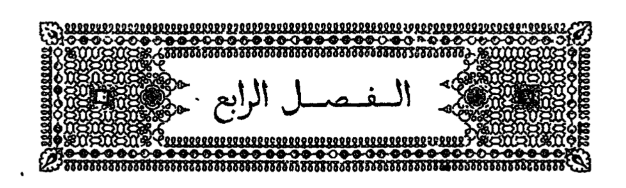
ان يشفيك فما الحاجة الى دوآء . وقال لها مرة اخرى استعملى هذا الدوآ فلعلك تمرضين . واراد يوما ان يوقد النار فقال اردت ان اطفئها فما انطفأت . وقالت له امه سِرْ الى فلانة وقل لها لاى شى تخافين من امى انما هى بشر من بنى آدم مثلك . فقال اقول لها تقول لك امى لاى شى تنفرين منها انما هى من بنى الحيوانات مثلك . وقال مرة فى شى اعجبه تبارك الله من كل مين . وقيل له يوما ان فلانا يريد ان ياخذك الى مدرسته ليعلمك . فقال بعثه الله الى الجنة . قال له ابوه اتريد ان تميته . قال فكيف اقول اذًا . قال قل اطال الله عمره . قال طوّله الله . وقال لامه اتعطينني الليلة من تلك الحلوآء . فقالت له ان عشنا الى الليلة . قال نحن نعيش الى غد فكيف لانعيش الى الليل — انتهى — فطالع بذلك احد الالبّا فى بلاده وقال له قد ظهر لى ان هذا كلام ابله ماموه . او مدلّه بُوّه . او مسمّه مسبوه . او ضِمه مشدوه . او نَمِه معنوه . فكيف صار بعد ذلك شاعرا . فقال له يحتمل ان كلامه هذا كان قد تعمده ليضحك به ابويه . او انه كان بليد البادرة ولكنه حديد الفاكرة . فان من الناس من يدهش للسوال فلا يكاد يجيب الا خطا . فاذا اعمل فكره فى خلوة احسن كل الاحسان . او انه قصد بذلك ان يكون نَبْها مشهورا بين الناس ولو بحماقة ورقاعة . فان اكثر الناس يحاول الشهرة باى وجه كان . فمنهم من يتعاطى الترجمة للكتب والتعليم وهو لا يدرى شيا . ولكنه يفرح بان يضع اسمه فى اول الكتاب . وبان يحشّيه بعبارات ركيكة واقوال سخيفة من عنده . او بان يُروَى عنه فيقال قال فلان كذا وكذا ويكون قوله خطا وهذرا . ومنهم من يتربع فى صدر المجلس بين اخوانه واقرانه ويطفق

يحكى لهم حكايات عن بلاد بعيدة ويخلط كلامه ببعض الفاظ تعلمها من لغة العجم . فيقول لهم مثلا صان فاصون . وپاردون موسيو . ودنكوى . وفارى ول . اشارةً الى انه اطال السياحة فى بلاد فرنسا وايطاليا وانكلترة وتعلم لغاتهم وهو يجهل لغته التى نشأ عليها . ومنهم من يتخذ له عمامة كبيرة يضاهى بها بعض العلمآء . فان كبر العمامة يدل على كبر الراس . وكبر الراس يدل على جودة العقل وصواب الراى . ومنهم من يتكلف محاكاة لهجة مّا ممن عرفوا بالفصاحة فتراه يتشدّق ويُجْعِم ويستعمل الفاظا فى غير محلها . وبعدُ فلا ينبغى ان يكون الشاعر عاقلا او فيلسوفا . فان كثيرا من المجانين كانوا شعرآء . اوكثيرا من الشعرآء كانوا مجانين . وذلك كابى العِبَر وبهلول وعليان وطويس ومزبّد . وقد قالت الفلاسفة ان اول الهوس الشعر واحسن الشعر ما كان عن هوس وغرام . فان شعر العلمآء المتوقّرين لا يكون الّا مقرزمًا . فلما سمع الفارياق ذلك زهد فى الشعر ورغب عنه الى حفظ الالفاظ الغريبة . لكنه لم يلبث ان رجع الى خلقه الاول . وذلك ان اباه اخذه معه الى بعض القرى البعيدة ليجبى المال المضروب على سكانها الى خزنة الحاكم . فانزله اهلها منزلا كريما . وكان بالقرب من منزله جارية بديعة الجمال . فجعل الفارياق على صغره ينظر اليها نظر المحبّ الرانى جريا على عادة الاغرار من العشاق . من انهم يبتدئون العشق فى جاراتهم استخفافا للطلب واستشفاءًا بالجاريّة . كما ان عادة الجارات تهنيد جيرانهنّ وتغميرهم اشارة الى انه لا ينبغى البحث عن الطبيب البعيد اذا امكن التداوى عند القريب . غير ان المحنكين فى الحب يبعدون فى الطلب ويرودون انزح منتجع . لانهم لما جعلوا دابهم وديدنهم اشباع النفس من هواها كان عندهم السعى فى

ذلك فرضا واجبا . ووجدوا فى الابعاد والنصب لذة عظيمة . اذ من فتح فاه رجآء ان تتساقط الاثمار فيه لم يعدّ الّا مع العاجزين . والحاصل ان الفارياق هوى جارته لانه كان غِرّا . وانها هى استهوته واطمعته لكونها جارة . ولان منزلته من حيث كونه مع ابيه كانت تميل الناس اليه . غير ان مدة اقامته هناك لم تطل . واضطر الى الرجوع مع ابيه وقد بقى كلفا بالجارية . فلما حان الفراق بكى وتحسّر وتنفّس الصُعَدآ . ونخزه الوجد لان ينظم قصيدة يعبّر بها عن غرامه . فقال من جملة ابيات

افارقها على رغمٍ وانى　　　اغادر عندها والله روحى

وهى اشبه بنفس شعرآء عصره الذين يقسمون ايمانا مغلظة بانهم قد عافوا الطعام والشراب شوقا وغراما . وسهروا الليالى الطويلة وجدا وهياما . وانهم ناسمون وقد ماتوا وكفّنوا وحنّطوا ودفنوا . وهم عند ذلك يتلهّون باىّ لَهْوة كانت . ثم انه لما اطّلع ابوه على تلك الابيات الفراقية لامه عليها ونهاه عن النظم . فكانّما كان قد اغراه به . فان من طبع الاولاد فى الغالب الخلاف لما يريده منهم ابآوهم . ثم انه فصل من تلك القرية حزينا كئيبا متيّما مفتونا .



الفصل الرابع

في شرور وطنبور

-oooo-

قد كان ابو الفارياق آخذا في امور ضيّقة المصادر. غير مامونة العواقب والمصاير. لما فيها من القآء البغضة بين الروس . وشغب اهل البلاد ما بين رئيس ومرؤوس . فقد كان ذا ضَلع مع حزب من مشايخ الدروز مشهور بالنجدة والبسالة والكرم. غير انهم كانوا صِفر الايدى والاكياس والصندوق والصوان والهميان والبيوت . ولايخفى ان الدنيا لمّا كان شكلها كُرويًّا كانت لاتميل الى احد الّا اذا استمالها بالمدوّر مثلها وهو الدينار . فلا يكاد يتمّ فيها امر بدونه . فالسيف والقلم قائمان في خدمته . والعلم والحُسن حاشدان الى طاعته . ومن كان ذا بسْطة فى الجسم وفضل فى المناقب فلا يفيده طُوله وطَوله بغير الدينار شيا . وهو على صغر حجمه يغلب ما كان كبيرا ثقيلا من الاوطار ولُبانات النفس . فالوجوه المدوّرة المدنّرة خاضعة له أيّانَ برز . والقدود الطويلة منقادة اليه كيفما دار. والجباه العريضة الصليتة مكبّة عليه . والصدور الواسعة تضيق لفقده . فاما ما يقال من ان الدّروز هم من ذوى الكسل والتوانى وانهم لا ذمّة لهم ولا ذِمام فالحقّ خلاف ذلك . اما وسمهم بالكسل فأحرى ان يكون ذلك مدحًا لهم . فانه ناشئ عن القناعة والنزاهة والزهد . غير ان الصفات الحميدة التى يتنافس

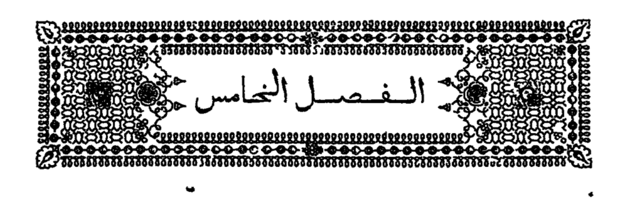
فيها الناس متى جاوزت الحدّ قليلا التبست بنقيضها . فالافراط فى الحلم مثلاً يلتبس بالضعف . وفى الكرم يلتبس بالتبذير . وفى الشجاعة بالتهور والمغامرة . لا بل الافراط فى العبادة والتديّن يلتبس بالهوس والخَبال . هذا ولما كانت الدروز مفرطين في القناعة اذ لا ترى من بينهم احدا يقتحم القفار ويخوض البحار فى طلب الإزآء (١) وفى التانّق في الملبوس والمطعوم . ولا من يُسفّ للامور الخسيسة ويدنّق فيها . او من يباشر الصنائع الشاقّة . ظُنّ فيهم الكسل والتوانى . ومعلوم انه كلما كثر شره الانسان ونَهَمه . كثر نصبه وكدّه وهمّه . فالتجار من الافرنج على ثروتهم وغناهم اشقى من فلّاحى بلادنا . فترى التاجر منهم يقوم على قدميه من الصباح الى الساعة العاشرة ليلاً . واما ان الدروز لا عهد لهم ولا ذمّة فانما هو محض افترآء وبهتان . اذ لم يُعرَف عنهم انهم عاهدوا بشى ثم نكثوا به من دون ان يحسّوا من المُعاهَد اليه غدرا . او ان اميرا منهم او شيخا راى امراة جارة النصرانى تغتسل يوما فاعجبته بضاضتها و بُتيلتها وبُوصها . فبعث اليها من تملّق لها او غصبها * وانت خبير بان كثيرا من النصارى عائشون فى ظلهم . ومستأمنون فى حماهم . وانهم لو خيّروا ان يتركوا مستأمنهم هذا ليكونوا تحت أمْن مشايخ النصارى لأبَوا . وعندى ان من كان يرعى حرمة الجار فى حرمته كان خليقا بكل خير . ولم يكن ليخونه فى غيرها . فاما ما جرى من التحزّب والتالّب بين طوائف الدروز وغيرهم فانما هى امور سياسية لا تعلّق لها بالدِين . فبعض الناس يريد هذا الامير حاكما عليهم وبعضهم يريد غيره . وكان ابو الفارياق ممن يحاول خلع الامير الذى كان وقتئذ والِيًا سياسة الجبل . فانحاز الى اعدآئه وهم من ذوى قرابته فجرت بينهم مهاوش ومهاوش غير مرة . وآل الامر بعدها الى فسل اعدآء

لامير. ففرّوا الى دمشق يلتمسون النجدة من وزيرها فوعدهم ومنّاهم .
وفي تلك الليلة التي فرّوا فيها هجمت جنود الامير على وطن الفارياق. ففرّ
مع امّه الى دار حصينة بالقرب منها وهي لبعض الامرآء . فنهب الناهبون
ما وجدوا في بيته من فضة وآنية ومن جملة ذلك طنبور كان يعزف
به اوقات الفراغ . فلما ان سكنت تلك الزعازع رجع الفارياق مع امه
الى البيت فوجداه قاعا صفصفا . ثم رُدّ الطنبور عليه بعد ايام . فان من
نهبه لم يجد في حمله منفعة ولم يقدر ان يبيعه اذ العازفون بالات
الطرب في تلك البلاد قليلون جدا . فاعطاه لقسيس تلك القرية كفّارة
عما نهب . فرده القسيس على الفارياق . وكأنّي بمعترض هنا يقول ما فائدة
هذا الخبر البارد . قلت ان وجود الطنابير في الجبل عزيز جدّا كما
ذكرنا . فان صنعة الالحان والعزف بالملاهي يَسِمُ صاحبهما بالشَّين . لما
في ذلك من التطريب والتصبّي والتشويق . والقوم هناك يَغْلُون في
الدين . ويحذرون من كل ما يلذ الحواسّ . ولذلك لا يشاؤن ان
يتعاموا الغناآ والعزف باحدى الات الطرب . اويستعملوها في معابدهم
وصلواتهم كما تفعل مشايخهم الافرنج . خشية ان يُفضى بهم ذلك الى
الالحاد . فعندهم ان كل فن من الفنون اللطيفة كالشعر والايقاع مثلا
والتصوير مكروه . ولكن لو انهم سمعوا ما يتغنّى به في كنائس مشايخهم
المذكورين من الموشحات . او ما يُعزَف به على الارغن من اللحون
التي وَلِعَ الناس بها في الملاعب والمراقص ومحالّ القهوة استجلابا للرجال
والنسآء . لما راوا في الطنبور اثما . فان الطنبور بالنسبة الى الارغن كالغصن
من الشجرة او كالفخذ من الجسم . اذ لا يُسمَع منه الا طنطنة وفي الارغن
طنطنة ودندنة وخنخنة ودمدمة وصلصلة ودربلة وجلجلة وقلقلة وزقزقة

ووقوقة وبقبقة وفقفقة وطقطقة ودفدقة وقعقعة وفرقعة وشخشخة وخشخشة وجرجرة وغرغرة وخرخرة وقرقرة وبربرة وطبطبة ودبدبة وكهكهة وقهقهة وبعبع وبعبعة وزمزمة وهمهمة وحمحمة وغطمطمة وثاثاة وداداة وصاصاة وياياة وقاقاة وصهصلق وجلنبلق وغطيط وجخيف وفحيح وحفيف ونشيش ورنين ونقيق وطنين وعجيج وازير ودوى وخرير وازيز وهرير وصريف وصرير وشخب وصيئ وموآ وغاق غاق وغق غق وطاق طاق وشيب شيب ومى مى وطيخ طيخ وقيق قيق وخازباز وخاق باق . فاين هذا كله هداك الله من طن طن . فان قيل ان الرغبة عن العزف به انما هو لكونه يشبه الآلية . قيل فما بال النسآ يدخلن الكنائس وعلى روسهن هذه القرون الفضة وهي تشبه فنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره . وفنطيسة الخنزير اجلك الله عن ذكره تشبه كذا وكذا . فقد تبين لك ان اعتراضك غير وارد . وان ذكر الطنبور كان في محله . فان ابيت الا العناد وتصديت لان تخطئني وتتعقبني بزلة قلم وبغير زلة . ورمت ان تبدى للناس براعتك في الانتقاد عليّ فاني امسك من اتمام هذا الكتاب . ولعمرى لو انك علمت سبب شروعي فيه وهو التنفيس عن كربك وتسلية خاطرك لما فتحت فاك عليّ بالملامة في شي . فقابل الاحسان اصلحك الله بالاحسان واصبر عليّ حتى افرغ من غزل قصتي . وبعد ذلك فان عنّ لخاطرك ان تلقى بكتابي في النار او المآ فافعل . ولنعد الان الى الفارياق فنقول انه اقام مع والدته في البيت يتعاطى النساخة . وانه لم يلبث ان ورد عليه نعي والده في دمشق . فتفطر قلبه لهذا الفجع وود لو بقي الطنبور عند ناهبه * وكانت امه تنفرد في كل صباح وتندب زوجها وتتحسر عليه وتذرف المدامع لفقده . فانها كانت من الصالحات المتحببات لازواجهن

عن خلوص وداد أو صدق وفآء . وكانت تظنّ ان ابنها لا يراها في
انفرادها حتى لا يزيد حزنها برؤيتها اياه يبكي لبكآئها . لكن الفارياق
كان ينظرها في خلوتها ويبكي لوحشتها ووحدتها اشدّ البكآء . فاذا رجعت
كفكف عبراته وتشاغل بالكتابة او بغيرها . ومذ ذلك الوقت عرف انه
لا ملجا له بعد الله غير كدّه فعكف على النساخة . غير ان هذه الحرفة مذ
خلق الله القلم لا تكفي المحترف بها ولاسيما في بلاد لوَقْع قرشها طنين
ورنين . ولرؤية دينارها تكبير وتعويذ الا ان ذلك جوّد من خطّه ورقّق
من فهمه .





في قسيس وكيس وتحليس وتلحيس

-ooo-

من قرا آخر الفصل المتقدم ثم اتاه خادمه يدعوه للعشآ فنرك الكتاب وقام يستقبل الكاس والطاس والقدح والكوب مما اختلفت اشكالـه وتفـاوتت مقاديره. ثم اقبلت عليه اخوانه يسامرونه فمنهم من قال له انى ضربت اليوم جاريتى ونزلت بهـا الى السوق على عزم ان ابيعها ولو بنصف ثمنها * وذلك لانها اجابت سيدتها جوابًا سخيفا . ومنهم من قال له وانا ايضا ضربت ابنى اشد الضرب لانى رايتـه يلعب مع اولاد الجيـران ثم حبسته في الكنيف وهو باقٍ الى الان فيه . وبعضهم قال وانا ايضا حرّجت اليوم على زوجتى بان تطلعنى على جميع ما يخطر ببـالها ويختلج صدرها من الافكار والهواجس . وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التى تنـشا عن امتلآء الدماغ من بخار الطعام . او من دخان الغرام قبل النيّام . وقلت لها ان لم تخبرينى باليقين اصريت بك اباما القسيس فيكفّرك ويحظر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين . ويطّلع على كل ما تسترين وتخفين وتصونين . وعلى ما تحذرين منه . وتحرصين عليه وترتاحين له وتميلين اليه وتكلفين به . وقد خرجت من دارى غضبان متنمّرا وجزمت بان لا اصالحها الّا اذا كانت تقصّ علىّ احلامها . وبعضهم قال ان مصيبتى في بنتى

اعظم . وذلك انها بعد ان تمشّطت اليوم وتعصّبت وتعطّرت وتطيّبت وتطوّست وتبرقشت وتزيّنت وتبرّجت وتزيّغت وتضرّجت وتزخّفت وتزبرجت وتشوّفت وتسرجت وتنقشت وترقّشت وتزهنعت ويرّقت وتحفّلت وتزوّقت وتقيّنت وتزلّقت وتزبرقت وتالّقت جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتني فرجعت الى موضعها . واوهمتني انها تخيط هناك بعض ملبوس لها . فكانت كلّما غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقمت اليها مستشيطا غيظا وجبذتها بشعرها الذى مشطته وضفرته وعقصته فطلع بيدى منه خصلة وها هى معى . وهيهات ان تنتهى عن غيّها و لو نتفتُ شعرها كله . فانها كالمهرة الجامحة بغير عنان . لا يردّها لَكْم بالاكف ولاضرب بعيدان . نعم ان من ملأ أَعصاله بالوان الطعام . واذنيه بمثل هذا الكلام . فلا بد وان يكون قد نسى ما جرى على الفارياق من الوقوع الحسّى والمعنوى . ومن فجعه بنعى ابيه . ومن اقباله على نسخ الكتب واكتسابه من ذلك جودة الخطّ فمن ثم اضطررت الى الاعادة . وازيد هنا ان اقول . انه لما شاعت براعته فى النسخ ارسل اليه من اسمه على وزان بعير بيعر يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث فى زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين . وانما كان امساكا للحوادث منْ ان تتفلّت من مدار الايام . او تنفك من سلسلة الاحوال . فانّ كثيرا من الناس يرون ان احضار الماضى وجعله حالا منظورا من الامور العظيمة . ولذلك كانت الافرنج حِراصًا على تقييد كل ما يقع عندهم . فخروج عجوز من بيتها صباحا وعودها اليه فى الساعة العاشرة وهى تقود كلبًا لها . والريح عاصفة والمطر واكف لا يفوت اقلامهم . ولا يَعْدو خواطرهم . ففى مقدّمة ديوان لامرتين اعظم شعرآء الفرنساوية الموجودين

في عصرنا هذا وهو الديوان الذى سمّاه التأمل الشعريّ ما ترجمته . وكانت العرب يدخّنون التبغ في قصبات لهم طويلة وهم ساكتون وينظرون الى الدخان متصاعدا كاعمدة زرقآء لطيفة الى ان يضمحل في الهوآء اضمحلالا يشوق الرآى . والهوآء اذ ذاك شفّاف لطيف . الى ان قال . ثم ان صحبى من العرب جعلوا الشعير في مخالٍ من شعر المعزى ووضعوها في اعناق الخيل وهى حول خيمتى . وارجلها مربوطة في حلق من حديد وهى غير متحركة . ورؤسها مخفوضة الى الارض مظللة بنواصيها الشَعِثة . وشعرها اشهب برّاق يخرج منه دخان تحت اشعة الشمس الحامية . وكانت الرجال قد اجتمعت تحت ظل زيتونة من اعظم ما يكون . وفرشوا تحتهم على الارض حصيرا شاميا واخذوا في الحديث والحكايات عن البادية وهم يدخنون التبغ . وينشدون اشعار عنتر وهو من شعرآء العرب الذين اشتهروا بالحماسة والرعاية (اى رعاية البهائم) والبلاغة وقد بلغت اشعاره منهم مبلغ التنباك في الاركيلة . وحين كان يرد عليهم من الابيات ما يوثر في حسّهم اكثر كانوا يرفعون ايديهم الى اذانهم ويطرقون برؤسهم ويصرخون تارة بعد تارة الله الله الله . الى ان قال في وصف امراة رآها تبكى عند قبر زوجها . وكان شعرها مسدلا من عند راسها ملتفّا عليها ومماسّا للارض . وكان صدرها مكشوفا كله على ما جرت به العادة عند نساء تلك البلاد من بلاد العرب . وحين كانت تتطاطأ للثم صورة العمامة على رِجام القبر او تصغى اذنها اليه كانّ ثدياها البارزان يمسّان الارض ويرسمان في التراب شكلهما كالقالب . اه صفحه ٢٤ وسائر هذه المقدمة على هذا النمط مع انه سمّاها مقدور الشعر . اى ما قدّره الله تعالى على الشعر والشعرآء . وفى رحلة شاطو بريّان الى اميريكا وهو ايضا من اعظم شعرآء عصره ما صورته . وكان منزل رئيس الدول

المتحدة عبارة عن دار صغيرة مبنيـة على اسلوب الانكليز فى البنـآء . من دون خفرة عندها من العسكر ولا حشم داخلها . فلما قرعت الباب فتحت لى جارية صغيرة فسالتها هل الجنرال فى البيت . فاجابت نعم . فقلت ان عندى رسالة اريد ان ابلّغه اياها . فسألتنى عن اسمى وصعب عليها حفظه فقالت لى بصوت منخفض ادخل ياسيّدى . (واورد هذه العبارة باللغة الانكليزيـة وهى (Walk in sir) تـنبيـها على معرفـتـه لها) ثم مشت امامى فى ممشى طويل كالدهليز . ثم دخلت بى الى مقصورة واشارت الىّ ان اجلس فيها منتظرا الخ صفحه ٢٥ . وفى موضع اخر . انه راى بقرة عجفاء لامرأة من هند اميريكا . فقال لها وهو راثٍ لحالها . ما بال هذه البقرة عجفآء . فقالت له انها تاكل قليلا . واورد هذه العبارة ايضا باللغة الانكليـزيـة وهى (She eats very little.) وفى موضع اخر ذكر انه كان يرى كِسَفَ السحاب بعضها فى شكل حيوان وبعضها فى شكل جبل اوشجرة وما اشبـه ذلك . فاذ قد عرفت هذا فاعلم ان اعتراضك علىّ في ايراد ما هوغير مفيد للغ لكنه مفيد لى لا يكون الّا تعنـّتا . فان هذين الشاعرين كتبا ما كتباه ولم يخشيا لومة لائم ولم يعترض عليهما احد من جنسهما . وقد اشتهر فضلهما وصيتهما حتى ان مولانا السلطانّ ادام الله دولته اقطع لامرتين فى ارض ازمير اقطاعات عظيمة . ولم يُسمَع عّن ملك من ملوك الافرنج انه اقطع شاعرا عربيا او فارسيا او تركيا مقدْارجريب واحد فى ارض عامرة . ولا غامرة . فاما كون وزان بعير بيـعرقد حاكى الافرنج فى تاريخه وهو عربى وابواه ايضا عربيّان وعمّه وعمته كذلك عربيّـان . فمما لم اتيقّـنـه الى الان . ولعلى اعلمه بعد انجاز هذا الكتاب فاخبر به القـارى ان شآ الله . وانما ارجـوانـه اى القارى لا يقطع قراته لجهله سبب هذه المحاكاة وان يكن العلم به مهمّا .

ودونك مثالا مما كان يكتبه الفارياق فى اساطير بعير بيعر . فى هذا اليوم وهو الحادى عشر من شهر اذار سنة ١٨١٨ قصّ فلان ابن فلانة بنت فلانة ذنب حصانه الاشهب بعد ان كان طويلا يكنس الارض . وفى ذلك اليوم بعينه ركبه فَكَبَا به . فان قلت ما سبب النسبة الى الام دون الاب . قلت ان بعير بيعر كان من المتدينين المتورّعين المتّقين . فنسبة الولد الى امّه أصحّ واصدق من نسبته الى ابيه . فان الامّ لاتكون الا واحدة بخلاف الاب . ولكون الجنيين لايمكنه الخروج الّا من مخرج واحد . ومن ذلك . اليوم نُظرت سفينة فى البحر ماخرة فظُنّ انها بارجة قدمت من احد مراسى فرنسا لتحرير اهل البلاد . لكنه عند التحقيق ظهر انها انما كانت زورقا مشحونا ببراميل فارغة . وكان سبب قدومه للاستقاء من عين كذا . فان قيل ان هذا خلاف المعهود . فان من شأن الكبير ان يبدو للعين عن بُعد صغيرا لا عكسه . قيل ان الانسان اذا اطلق نفسه هواها راى الشئ بخلاف ما هو عليه . فمن احبّ مثلا امراة قصيرة لم يرَبها قِصَرا . ومن خلا بمحبوبته فى قترة راها اوسع من صرح بلقيس . وبعدُ فانّا نرى النور الصغير عن بُعدٍ كبيرا . فلا غرو ان يبدو الزورق بارجة اوشُونة . فان القوم هناك مازالوا يحلمون بان رؤسهم قد تبرطلت ببراطل الفرنساوية ولحوّا عِرضهم بعرضهم حتى يروا نسآهم كما قال الشاعر

تصيد ظبآونا الأُسد الضوارى ... بلحظ او بلفظ فى المسالك

وغزلان الفرنج تصيد ايضا ... بذَين معا وبالايدى كذلك

وكان بعير بيعر سُتْهمًا جُعْظُرًا أحرُقّة . لكنه كان حليما يحب السلم والدّعة . وكان من التغفّل على جانب عظيم . فكان مفوِّضا اموره المعاشية الى رجال

لئيم شرس الاخلاق عَيْدَهٍ به كِبر وعُنْجُهيّة وعجرفة وتفجّس وغطرسة . وكان تمضي عليه الساعة والساعتان وهو لا يبدى ولا يعيد . فيظن الغِرّ انه معمل فكره في تدبير الدُوَل . او تلخيص النِحَل . فقد جرت العادة بان الرجل اذا كان ذا منزلة رفيعة فان كان عييّا مفحما عُدّ رزينا وقورا . وان يك مهذارا عدّ فصيحا . فاما اموره العاديّة فانها كانت تعلو وتسفل وتضوى وتجزل وتُفتَق وترتق بتدبير قسيس ذى دعابة وفكاهة وبشاشة وهشاشة . قصير سمين . ابيض بدين . وكان هذا القسيس الصالح قد تمكن من حريمه تمكّنا لا يباريه فيه النسيم . والقى عصاه عند احدى بناته وكانت ذات وجه وسيم . ومنطق رخيم . وكانت تزوّجت برجل قد جُنّ وتخبّل فخلّته وجنونه واعتصمت بعقوة ابيها فكان القسيس آمرًا عليها مطاعا . ناهيا وزّاعا . فكانت كلما دخل فيها شي اوخرج منها شي تطالعه به لانها كانت ممن قَفَط قُطرَى الدّين والدنيا معًا . وكانت تعترف له بجرائرها في الخلوة . وهو يسالها عن كل زلة وهفوه . فيقول لها هل تتذبذب أَلياك ويترجرج ثدياك عند صعودك الدرج او عند المشى . وهل يحدث فيك هذا الارتجاج من لذة . فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض الجلامطة كان يرتاح الى اى ارتجاج كان . حتى كان كثيرا ما يتمنى ان تتزلزل الارض من تحته . وتمور الجبال من فوقه . وهل يُمثّل لك في الحلم صجيع يكافحك . وخليع يصافحك اذ لا فرّق عند الله بين اليقظة والمنام . وان اعظم الحقائق انما بُنى على الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتهيت ان تكونى خُنثَى . اى ذكرا وانثى . لا لا ذكر ولا انثى كما تقول العامة

فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربّانيين الراتبين . وغير ذلك من المسائل التى يضيق عن تفصيلها هذا الفصل . وكان ابوها لايسيئ به الظن لما تقرر عنده من ان كل من لبس السواد فهو من الفاطمين اهوآهم عن اللذات . الخاصين انفسهم عن الشهوات . حتى انه نظر يوما فى بعض الكتب هذا البيت وهو

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها   أفاويقَ حتى ما تدرّ لنا ثعل

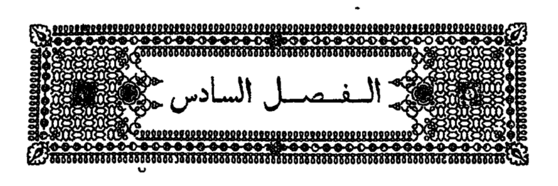
فظن انه تعريض بهم وتلميح اليهم . فامر باحراقه فأُحرق وذُرّى رماده . وراى يوما آخر بيتين فى كتاب آخر وهما

ما بال عيني لا ترى من بين مَن   لبس السواد من العباد نحيفا

ما كان من لحم وشيْ غيره   فيهم فاصلب ما يكون وقوفا

فامر ايضا باحراق الكتاب . وبعث جواسيس فى البلد يتجسّسون عن مولفه ونودى فى الروابى والوهاد . كلّا من دلّ على مولف كتاب كذا فانه يُجرى احسن الجزآ . ويرقى الى رتبة سنية . فلما سمع المولف بذلك اضطر الى الاختبآء مدة حتى نُسِى اسمه . فان قلت ان هذا الفعل خلاف ما وصفته به من الحلم . قلت ان عادة اهل تلك البلاد ان الحلم يكون محمودا فى كل شى الّا فى امرين حرمة العرض وحرمة الدين . فان الاخ لَيُبسِل اخاه الى الهلكة من اجلهما . ثم ان الفارياق اقام عند هذا الحليم مدة لم يحصل فيها على طائل . وكانت نفسه عزيزة عليه فلم يرد ان يسأله . فمن ثمّ جمع ذات ليلة حطبا وتبنا كثيرا واطلق فيهما النار فانبعث اللهيب نحو مقصورة بعير بيعر . فظن ان النار قد سرت فى قصره . فاستوشى القيام والقعود فاقبلوا يتسابقون الى موضع النار . فراوا عندها الفارياق يزيدها من الحطب الجزل . فسالوه عن

ذلك فقال ان هذه النار من بعض النيران التي تنوب عن اللسان . وان لم يكن لها صورة لسان . ومن فوائدها انها تنبّه الغافلين . وتنذر الباخلين . انّ وراءها لقولا شديدا . ولسانا حديدا . فقالوا ويحك انما هي من بدعك أو يكلّم احد بالنار . لقد سمعنا ان الانسان يكلم غيره ببوق او بقرع عصا او باشارة اصبع او بغمز عين او برمز حاجب او برفع يد من عند الابط . فاما بالنار فبدعة وضلال . وكادوا ان يبدّعوه ويكفروه وينسبوه الى التمجّس ويطرحوه النار * لولا انْ قال قائل منهم . ردّوا الجواب على مرسلكم . ولا تفعلوا شيا عن تهوّك . فاما اخبروه بما راوا وسمعوا . استرآه واستنطقه عن ذاك الاجيج . فقال اصلح الله المولى . وزاده فضلا وطَوْلا . قد كان لي كيس لا ينفعني ولا انفعه . وللاكياس ولما جاء على وزنها ورويّها عادة مخالفة لسائر العادات . وهي انها اذا خفّت ثقُلت . واذا ثقلت خفّت . فلمّا خفّ كيسي في جوارك السعيد اي ثقُل احرقته بهذه النار . وانما جعلتها عظيمة هكذا لاني كنت اتوهمه كرضوى في جيبي . حتى انه كثيرا ما منعني عن النهوض والخروج لحاجة مهمّة . فلما سمع قوله ضحك من خرافته ورضخ له من كفّه الجامدة شيا يقابل ما كتبه له الفارياق في أسفاره في الخساسة . فاقبل يحنبش الى بيتّه وآلى ان لا يكتب شيا بعد ذلك الّا ما طاب موقعه . وجل نفعه . رجاء ان تكون الاجرة على قدر العمل . وهيهات فان اكثر الناس نفعا وشغلا . اقلهم اجرا وجُعْلا . ومن لم يحسنّ الا التوقيع . أُحلّ المحل الرفيع . ولُقِمت يده وقدمه كما يلقم الثديَ الرضيع .



الفصل السادس

في طعام والتهام

-o※※o-

بينما كان الفارياق راسه ورجلاه في البيت كان فكره يصعّد في الجبال * ويرتقي التلال * ويتسوّر الجدران * ويتسنّم القصور ويهبط الاودية والغيران * ويرتطم في الاوحال * ويخوض البحار * ويجوب القفار * اذ كان اقصى مراده ان يرى منزلا غير منزله * وناسا غير اهله * وهو اول عناء الانسان في حياته * فعنّ له ان يزور اخا له كان كاتبا عند بعض اعيان الدروز * فسار وحقائبه الاماني * فلما اجتمع به وراى ما كان عليه القوم من الخشونة والتقشف ومن الاحوال المغايرة لطباعه * انكر بعضها ووطّن نفسه على تحمل البعض الاخر * ولم يشا وشك الرجوع من دون تقصّي معرفتهم * ولو كان رشيدا لصرَف نفسه من هواها من اول يوم * اذ ليس من المحتمل ان اهل مدينة او قرية يغيّرون اخلاقهم وما ربوا عليه لاجل غريب دخل فيهم * ولا سيما اذا كانوا شياطنة ذوي بسطة وباس * وكان هو قميئا * ولكن الانسان كلما قلّ شغله كثر فضوله * فلا يكتفي بمجرد ما يسمع باذنه حتى يرى بعينه * وكان الفارياق كلما زاد بهولآء القوم خبرة ونقدا * زاد اعراضا عنهم وزهدا * لانهم كانوا غلاظ الطباع * بهم جفاء وافطاع * وسجى الوساد والملبوس * ملازمي الضَفَف والبوس * واقذرهم كان طباخ الامير * فان

قميصه كان انتن من المِمحاة . وقدميه املتا من الوسخ ما لا تكاد تكسنطه عنه المِسحاة . وكانوا اذا قعدوا للطعام سمعت لهم زمزمة وهمهمة . وقعقعة وطعطعة . فخانتهم وحسوا على جبفه . يثرملون وبرهطون وينهسون ويتعرقون ويتمششون ويتلمظون ويتمطقون ويلوسون ويلطعون ويتسنطعون وكل ذلك في فرسطة خفيفة . فكنت ترى في جبهة كلٍ منهم مضمون ما قيل مَن لَفْلَف . لم يتقصّف . فاذا قاموا رايت الرُزّ مزروعا في لحاهم . والوَضَر متقاطرا من كساهم . فكان الفارياق اذا آكلهم قام جوعانا . ومعت عليه امعاؤه في الليل فبات سهرانا . فكان يقول لاخيه عجبًا لمن يعاشر هولاء الناس . من الاكياس . ما الفرق بينهم وبين البهائم . سوى باللحى والعمائم . لا جرم انهم عائشون في الدنيا لسدّ بصائرهم وافكارهم . ولفتح افواههم وادبارهم . لا يكاد احد منهم يظن ان الله تعالى خلق بشرًا الّا وكان دونه . وما يدرون ان الانسان ليس له بمجرد النطق فضل على العجماوات . ومزية على الجمادات . فان الكلام انما هو مادة لصورة المعاني . ولا تنفع المادة وحدها اذا لم تحلّ فيها الصورة التي هي الوجود الثاني . وقد يقال ان الرفين . تغطّي أفن الافين . وهولاء قد حُرِموا من العقل والنعمة . ورضوا من الكون كله بالنَسَمة . كيف تطيق ان تعاشر هولاء الهَمَج . وفضلك بين الناس قد بلج . فقال له اخوه ان كثيرا ليحسدونني على مكانتي عند الامير . واني لكيد حسّادي اصبر على العسير . كما قيل

وكم اشياً يحسبها اناس لفاعلها نعيما وهي بوسُ
ولولا أن يكيد بها حسودا لانكر ذكرها وبه عبوسُ

وفضلاً عن ذلك فان القوم ذوو نخوة ومروة . ونهامة وفتوّة . وانهم وان

يكونوا سيئي الادب على الطعام . فهم متادبون في الفعال والكلام . لا ينطقون بالخنى . ولا يُعرَف بينهم لواط ولا زنا . غير ان الفارياق كان يرى الأدَب كله في المأدبة . فكانّه كان قد تخرّج على بعض الافرنج او كان له فيهم نسبة . فمن ثم استدعى بقريحته على هجوهم فلبّته . ونادى القوافي لوصفهم فاجابته . فنظم فيهم قصيدة بيّن فيها سوء حالهم . وخشونة بالهم . من جملتها

في ثغر كلٍّ منهم سكّينه   وسلاحه الماضي فأين المُطْعِمُ

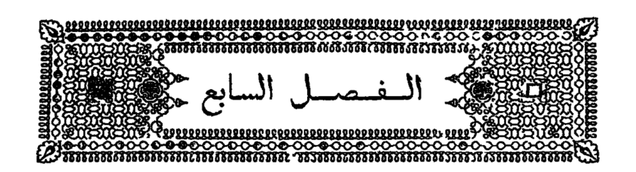
ثم عرضها على اخيه وكان مشهودا له بالادب . وعلم لغة العرب . فاستحسنها منه على صغر سنّه . واعجب ببراعة فنّه . ثم لم يلبث ان اشتهر امرها . وشاع ذكرها . وذلك لان اخاه من شدة اعجابه بها تلاها على كثير من معارفه فبلّغها بعض الحسّاد . الى امير الناد . وكان هذا المبلّغ نصرانيا فان الحسد لا يكون الا عند النصارى . مع ان كثيرا ممن تليت عليهم من الدروز كانوا داخلين في عداد المهجوّين . فلما سمع الامير بذلك استاء جدّا وقال لاخيه . تالله لقد جاء اخوك امرا فريّا . كيف يهجونا وهو ضيفنا وقد انزلناه منزلا كريما . وسقنا اليه رزقا عميما . لعمر الله لئن لم يتدارك هجوه بقصيدة مدح لأغيظنّه . وكان هذا الامير متصفا بصفات العرْب في الفروسة والنجدة . وفي شراء الحمد جهدَه . غير انه كان يَكِل الامور الى المقدور . ولا يهمه ترتيب حاله . والنظر في مآله . ثم خشي من ان يكون هذا الوعيد ادعىْ الى زيادة الهجو اذا فصل عنه الفارياق وهو مغيظ . فراى ان الاغضاء . اجلب للارضاء . وان التملّق . اوفق للتلفق . فمن ثم سارّ صديقا له من علماء ملته . وفُضَلا نحلته . ان يصنع مادبة ويدعوه اليها والفارياق واخاه . فلما جمعهم النادي . وجيْ بالحلاوآء على الطباق كالهوادي . اقسم الامير

قائلا والله لا ادوفى من هذا شيا او ينظم ابو دلامة بعنى الفارياق ببيتى مديح ارتجالا . فابتدر وقال بديها

قد كاد طبع ابى دلامة انه يهجو لان الهجو وفق جنانهِ
لكنّما هذا التحبيص نهاه اذ مُزِجَت حلاوته بمرّ لسانهِ

فجُنّ الحاضرون استحسانا لهما . حتى ان الامير لم يتمالك ان صافح الفارياق وقبّله بين عينيه فانعقدت بذلك الموادعة ورجع كلّ راضيا .
وقفل صاحبنا الى بيته. وآلى ان لا يعقد فيما بعد ناصيته بذنب
احد من كبرآء الناس . وان يسدّ اذنيه من صوت
صيتهم وان غلب على
الاجراس .





في حمار نهّاق وسفر واخفاق

ثم لبث الفارياق يتعاطى حرفته الاولى حتى مُلّ منها ملل العليل من الفراش. وكان له صديق صدوق يراقب احواله. فاجتمع به مرة وخاضا في حديث افضى الى ذكر المعاش. والتظاهر بين الناس باحسن الرياش. فقرّ راي كلّ منهما على ان الانسان في عصرهما لا يُعدّ انسانا بفضله ومزيّته. بل ببزّته وزينته. وان الناس المولودين من الخزّ والحرير والقطن والكتان المعلّقين في اوتاد حوانيت التجار اعظم قدرا من الناس الماشين العارين عنها. وان المرء اذا كان ضيّق الصدر والراس. بحيث يكون واسع السراويلات واللباس. كان هو النبيه الاوحد المشار اليه بالبنان. المحمود بكل لسان. فاجمعا رايهما على ان يستبضعا بضاعة ويقصدا ترويجها في بعض البلاد استطلاعا لحال اهلها وتفرّجًا من كرب بالهما. فاكتريا حمارا لحمل البضاعة وهو لا يستطيع حمل جثته من الهزال والضّوى فضلاً عن عِلاوته. ولم يكن قد بقي فيه شي شديد سوى نُهاقه وزُفاقه. فالاول للاستعلاف. والثاني لمن ينخسه او يلحّ عليه بالاكاف. ثم سارا وهما يفصّلان ثوب النجاح على قامة الآمال. ويقدّران بساط الفوز على نُدحة الآجال. فما بلغا طرفيهما الا والحمار على شفا جرف.

هارٍ من رَمَعد . والفارياق ايضا راهق الروح من نعبه وقلعه . نادم على ترك القلم الضئيل . معما كان ينفث به من الرزق القليل . ويومئذ عرف عاقبة الجشع . وتَبِعَة الرَتَع . وظهر له سفاه رايه في الشراهة الى ما يوجب نَصَب الابدان . وبأبال الجَنان . غير ان اللبيب من استخرج من كل مضرة منفعة . ومن كل مفسدة مصلحة . حتى ان في فقد الصحة لنفعًا لمن رشد . وخيرا لمن قصد . اذ العليل وهو ممدود على وساده . تنقصر نفسه عن التمادي في فساده . وفي شهواته المنكرة واهوائه الموبقة . فتقوى بصيرته والمرض ناهكه . ويملك سداده والالم مالكه . ويُرضي الله والناس بما هو سالكه . وهكذا كانت حال الفارياق . بعد مقاساته تلك المشاقّ . فانه لما احسّ بضنك السفر . ولقي منه ما لقي من الضرر . تبيّن له ان شق القلم اوسع من حقائب الباعة . وان سواد المداد ابهى من الوان البضاعة . وان في ترويج السّلعة . لمَعَرَّةً دونها معرّة الغُدّة والسِّلعة . فجزم بانه عند الاياب الى وطنه . يرضى بلّين العيش وخشنه . ولا يبالي ان لم يكن ذا شارة رائعة . او طُلالة رافعة . او معيشة واسعة . بحيث لا يجوب امصارا . ولا يتاو حمارا . اما وصف الحمار على اسلوبنا معاشرَ العرب فانه كان زبونا بليدا . حرونا عنيدا . تارزا قديدا . لا يكاد يخطو الا بالهراوه . واذا راى نقطة ماء في الارض ظنّها بحرًا ذا طُفاوة . فاجفل منها اجفال النعام . ووَجِل كما يُوجَل من الحِمام . واما على الطريقة الافرنجية فانه كان حمارًا ولد حمار وامّه أتانٌ من جبل كلهم حمير . وكان لونه يضرب الى السواد . ومسّ شعره كمسّ القَتاد . مصلّم الاذنين ولا نشاط . اعسم الرجلين بادي الامِعاط . ادرم أفْوَه . أدْلَم افره . بفركح في بسّه . ويرفس عند نخسه . ويكرف ويتمرغ . ويسنّغ ويَنْبَدِغ .

لا تحيك فيه العصا . ولا يعمل فيه الزجر اذا عصى . ولا يتحرّك الا اذا احسّ بالعَلَف وان يكن زؤانا . ولا تظهر فيه الحيوانية الا اذا راى اتانا . فيريك ح سُموًّا واستنانا . ونشاطا وصُمَانا . حتى كثيرا ما كان يقلب حمله . ويفسد عِدله . وفيه خُلّة اخرى وهى انه كان دائم الاحداث على فاه إعمال ضرسه ا مواصل الغَفْق فى النجوة والخفض زيادة على نحسه . فان منشأه كان فى بلاد يكثر فيها الكرنب والفجل والساجم . واللفت والقنبيط كبعض بلاد العجم . فلهذا اعتاد على اخراج هذه الرائحة من صغره . ورادت فيه بازدياد عمره . فكان لابدّ للماشى خلفه من سدّ انفه . والاكثار من أُفّه . وفى كلا الوصفين فان رفقة هذا البهيم . لم تكن اقلّ اذًى من السفر الاليم . وانه بعد جولان عدة قُرى . ليس فيها من ماوى ولا قِرى . وبعد مجادلات مع الشارين طويلة * ومحاولات ومصاولات وبيلة . قنع الفارياق وشريكه من الغنيمة بالاياب . ورضيا باللّفآ والعود الى المآب . وعلما ان البشر الفارغة لا تمنانى من الندى . وان التعب فى تجارتهما يذهب سُدى . فتسبّبا فى بيع البضاعة بقيمتها . كيلا يشمت بهما من ينظرهما راجعين بماهيتها . وباتا تلك الليلة خالبى البال . من القيل والقال . فان من الناس من لا يعجبه شرآء شى الا بعد تقليبه . وبعد تحميق بائعه وتكذيبه . فلا بدّ للبائع من ان يكون عن مثل هولا متصامّا متغافلا . متعاميًا متساهلا . وتلك خلّة لم تكن فى الفارياق ولا فى صاحبه . فان كلًّا منهما كان يحاول استمالة الكون الى جانبه . ثم انهما رجعا بثمن البضاعة وبالحمار وسلّما المال لصاحبه . فعرض عليهما سلعة اخرى فأَبَيا . وتواعدا ان يجتمعا مرة اخرى للشّركة

فى مصلحة اهمّ. وآثرا ان تكون في البيع والشرآء . وقد جرت العادة بين الناس بانه اذا تعاطى احد عملاً ولم ينجح به اوّل مرّة لجّ به الشَرَه الى معاطاته مرة اخرى . اذ ليس احد يرضى لنفسه نحس الطالع وشُؤم الجَدّ . وانما ينسب خُرْقَه فيما احترف به الى بعض عوارض وطوارئ حدثت له . فيقول في نفسه لعلّ هذه العوارض لا تقع هذه المرّة . وعلّة ذلك كله اعتماد الانسان على رشد نفسه . وثقته بسعيه والركونُ الى حدسه . وقد تهوّر في ذلك كثير من الخلق * واكثرهم جنى على نفسه في التهافت على الرزق .





الفصل الثامن

في حان واخوان وخوان

ثم انه بعد مذاكرة طويلة بين الفارياق وصاحبه قرّ رايهما على ان يستاجرا خانا على طريق مدينة الكعيكات . حيث ترد القافلة منها الى مدينة الركاكات . فاستبضعا ما يلزم لهما من المِيرة والأَدَوات ولبثا فيه يبيعان ويشتريان بما تيسّر لهما من راس المال وذنبه . فلم تمضِ عليهما برهة وجيزة حتى انتشر صيتهما عند الواردين والصادرين . وعرف رشدهما جميع المسافرين . فكان الناس يقصدونهما لاقتصادهما . وكثيرًا ما انتاب خانهما اهل الفضل والبراعة . والوجاهة والاستطاعة . حتى كأنّه كان حديقة يتفرّج فيها المكروب . وعادة اهل ذلك الصقع انهم لا يكادون يجتمعون في محل الّا ويتنازعون كاس البحث والمناظرة . ويخوضون في امور الدنيا والاخرة . فان اثبت احد شيا نفاه الآخر . وان استحسنه استهجنه وزعم انّه من المُنكَر . فيتحزب القوم احزابا قِدَدا . ويمتلئ المكان صخبا وإِدًا . وربمّا انتهى البحث الى التفاخر بالنسب . والتكاثر بالحسب . فيقول احدهم مثلاً لقرينه . اترد عليّ وأَبي نديم الامير وسميره واكيله وشريبه وجليسه وانيسه وخصيصه ونجيّه . لا يقضي ليلة من الليالي الّا وبستدعي به لمسامرته . ولا يحكم بشي الا

[illegible]

للامجاد . وما احد من الناس ماجِدُهُم ولا شارفهم ولا كاثرهم ولا فاخرهم ولا فاضلهم الا وعاد ممجودا ومشروفا ومكثورا ومفخورا ومفضولا . وربما أُعقِبَت بعد ذلك الهراوات . وقامت مقام البيّنات . فيتنمّر منهم من لم يكن يتنمّر . ويعربد من يسكر ومن لم يسكر . فينتهي الامر الى امير الصُقع . فيبعث عليهم مصادرين ذوي صَقع . وويل لمن يكون قد ذكر اسم الامير وقت الجدال . فان عفوه حينئذ من المحال . فاما في الحوادث العظيمة فان المتعدّي اذا فرّ من القِصاص أُخِذ بذنبه احد اهله او جيرانه . او ماشيته او ماعونه وقُطِع شجره واحرق منزله . غير ان زمرتنا هذه لم تكن تتعدّى حدّ الجدال الى القتال . فان الفارياق وصاحبه كانا يقومان فيهم مقام فَيْصَل . فمن هذه الحيثية كثرت الوفود عليهما . وكثيرا ما بات عندهما اصحاب العيال والراح عليهم دائرة . والاغاني متواترة . والوجوه ناضرة . والعمائم متطايرة . فكان ذلك داعيا الى خصام النسآء مع بعولتهن . ومن طبع النسآء عموما انهن اذا علمن أنّ احدًا يعوق ازواجهن عنهن اضمرن ان يتقربن الى ذلك العائق ببعض حيلهن . فان كان ممن يُعْشَق صفقن له حالا على المقايضة والمبادلة أَخْذًا بثارهنّ . فجعلن من كل عضو منه بعلا . ومن كلّ شعرة خِلّا . وان كان ممّن تبذأه العين رَمَيْنَه بداهية وتحيّلن في خلاص بعولتهن منه وردّ بضاعتهن اليهن . غير ان نسآ تلك البلاد لا يخاصمن بعولتهن وهن مضمرات خيانتهم او مستحلات استبدالهم . فانهن رُبِّيْن على محبة ابآئهن وعلى طاعة بعولتهنّ . وما خصامهنّ لهم الّا عتاب . وكم في العتاب من لذّة . ولم يُسمَع من واحدة منهن الى الآن انها خاصمت زوجها لدى حاكم شرعيّ او امير او مطران . مع ان كثيرا من هولآء الاصناف الثلثة يتمنّون ذلك في بعض الاحوال . اما

للافتخار باجرآء العدل والانصاف فى رعيتهم او لعلّة اخرى ٭ ومن طبع هولآء المخلوقات المباركات سلامة النيّة وصفآء العقيدة والتقرب الى الرجال لا عن فجور ٭ فترى المراة منهن متزوّجة كانت او ثيّبة تجلس الى جانب الرجل وتاخذ بيده ٭ وتلقى يدها على كتفه وتسند راسها على صدره وتبسم له وتؤانسه فى الحديث ٭ وتتحفه ببعض ما تصل اليه يدها ٭ كل ذلك عن صفآء نية وخلوص مودة ٭ واحسن ما يرى فيهن البلاهة والغريّة فانهما فى النسآء خير من النُكْر والدّهاء ٭ هذا اذا كان فى غير ما يشين العرض وينتهك الحرمة ٭ فاما فى وقت الجِدّ فلا تصح البلاهة ٭ هذا ولما كان من دابهن ان يكشفن عن صدورهن ولا يرفعن اثدآهن من صغرهن بشى ٭ كان اكثرهن هُضُلًا اى ذوات اثدآء طويلة ٭ واكثرهن يعتقد ان فى طول رضاع الولد زيادة صحّة له ٭ فمنهن من ترضع ولدها عامين تامّين ٭ ومنهن من تزيد على ذلك ٭ فامّا محبتهن لاولادهن ورفقهنّ بهم وشوقهن اليهم فيجلّ عن الوصف ٭ واعرف كثيرا من البنات كنّ يبكين يوم زواجهن على فراق اباۤئهن وامهاتهن واخوتهن كما يبكى غيرهنّ فى المأتم او اشدّ ٭ فاما ما يقال من ان البعولة ياكلون وحدهم دون نسآئهم فكلام لا اصل له ٭ وانما يكون ذلك اذا كان عند الرجل ضيف غريب حتى لو اراد حينئذ ان تقعد امراته مع الضيف لتاكل معه لأبت ورات ان ذلك يكون استخفافا بها وانتهاكاً لحرمتها ٭ وفى الجملة فانهن لايُعَبّن بشى الا بالجهل وهنّ فى ذلك معذورات ٭ فاما الجاهلات من الافرنج فانهن يُضفن الى الجهل مَكْرًا وخُبْثا ٭ وناهيك بذلك من سُبّة ٭ وانى ليحزننى جدّا ان اسمع أنّ هولآء المحبوبات قد ملن من هذه الفضائل وتخلّقن باخلاق اخرى ٭

فيجب عليّ والحالة هذه ان اغيّر ما وصفتهن به من المحامد . او أن اذن للقارئ في ان يكتب على الحاشية كذب كذب كذب او هذين البيتين .

ان النسآء حيثما كنّ سوى   يملن من حيث اتاهنّ الهوى
لا يغررنّ الغِرّ منهنّ تُقًى   ولا هُدًى ولا نُهًى ولا حَيا

او هذين

سِرْ مُضْرِبَ الارض في طول وفي عَرْضِ   تَرَ النسآء يبعن العِرْض كالعَرَضِ
بالرجل يصفقن عند البيع لا بيَد   وكلٌّ قاضٍ على تسجيله يُمْضِي

او هذين

واذا رأيت من الحرائد غادةً   تبدو وتخفى فارجونّ وصالها
واذا دعتك لحاجة عنّت لها   لتكون قاضيها فرجّ منا......

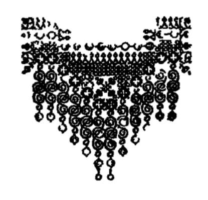
او ما قاله دعبل

لا يُؤْيِسنّك من مخدّرة   قولٌ تغلّظه وانْ جُرحا
عُسر النسآء الى مُياسرةٍ   والصَعْبُ يمكن بعد ما جمحا

واعلم ان البلاد التي يُتّجر فيها بعرض النسآء بغير مانع الّا بمكس عليه قليل يدفع لبيت المال لبنآء معابد وغيرها دون اعتبار لقول من قال أطعمة الايتام الخ يقلّ فيها التغزّل بهن . فانّ الرجل هناك ايّان خطر بباله ان رؤيته الوجد الصبيح تنفي همّه وتزيل بلباله . وتخفف اثقاله . وتنفّس عند كربه وتجلو صدا قلبه وتصفي دمه . خرج فوجد ضالّته تنتظره ورآء الباب . ولا يحتاج عند ذلك الى شكوى وعتاب وتواجد . والى سهر على ارق وقلق وارق . ويكفيه بحسبه ان حبلا امتنى رجال وذوات بعدا وغرا ونحو ذلك .

فاما البلاد التى يُحظر فيها هذا الاتّجار فتجد الكلام فى السآء متجاورا بعد ورآء الحدّ . ولذلك كان فى شعر الافرنج الاقدمين من المجون ما تجده فى كتب العرب . وما ذلك الّا لانّ هذه البياعة كانت وقتئذ ممنوعة . فلما كثرت قلّ عندهم المجون . اما فى الجبل فانك لا تجد لهم بياعة ولا مجونا . وحكى عن الفارياق انه هوى واحدة من اولئك اللاى كن يترددن عليه ولم يكن يحظى منها الا بلثم اخمصها فكان اذا اصبح يقول لصاحبه

ان المقبَّل رجلها لَيجلّ عن ... تقبيل راحة قسّه واميره
هنّ الفواتن للخلىّ فشعرهُ ... منهنّ خيرٌ من كنوز غَريرهِ





الفصل التاسع

في محاورات خانية . ومناقشات حانية

-০$$$০-

لا باس في ان نذكرها مثالا لما كان يقع بين تلك الزمرة من المحاورات فنقول . اجتمعت زمرتنا هذه مرة والكاس تدار عليهم . والسرور يرقص بين يديهم . فقال افصحهم مقالا . والدّهم جدالا · ايّ الناس فيما علمتم انعم بالاً . واحسن حالا . فقال مَن بيده الكاس هو من كان على مثل هذه الحالة . وفي راحته ذي الآلة . فقال له ليس ذلك على الاطلاق . ولم يقع عليه اتفاق . فان هذه الحالة لا يمكن كونها دائمة . فتكون غبطتها غير تامّة . وانما هي بعض من كل . وجزء من جُلّ . وبقي النظر في الباقي . ولا خفا ان مداومة المدام . تورث السقام . وتُنَفّهي عن الطعام . ولذلك سمّيت القهوة . ولا يعتادها انسان الّا حلّت به الشقوة . فقال آخر ان انعم الناس بالاً اميرٌ يجلس على اريكة . وتحفّد جماعة من حشمته وحفدته . يأتيه رزقه رغداً . ويكفيه رازقه في المعيشة جهداً . فاذا اوى الى حريمه خلا بازهر امراة على اوطأ فراش . فصدق فيه قولهم . اعجب الاشياء وثر على وثر . هذا وانّ أكله المُزَّمة . وثيابه الناعمة . وامره مطاع . وحكمه مقابل بالاتّباع . فقال بعضهم ليس الامر كذلك . وما الحقّ فيما هنالك . فان الامير لا يخلو بامرأته الا وهو مشغول الخاطر . مكدّر السرائر . اذ لا يزال يفكر في كونه مخونا

بماله . مغشوشا من عمّاله . ياكل رهطه رزقه ويذمونه . ويأتمنهم فيخونونه . ويعطيهم فيبخّلونه . وهو مع ذلك مرصود منهم فيما يفعله . منتقد عليه بما يستعمله . وانه لَيودّ السفر ولا يتاح له . ويتمنّى رؤيةً غير بلاده ولا يدرك امله . فهو يحسد من يمشي في الارض سُبُهْللا . ويغبط من يعتسف الطريق ضُلُلا . فقام بعض النقّاد . وقال سمعا يااهل الرشاد . ان اسعد خلق الله راهب لزم كتابه في صومعته . وتفرّغ عن الشغل بعقاره وضيعته . فهو ياكل من ارزاق الناس . ويعوضهم عنه دعآء يطفح من اصمار الكاس . ويغنيهم في الدياجي عن النبراس . ويركب ما لديهم من النجائب . فهو كما قيل آكل شارب راكب . ثم ما عليه بعد ذلك ان خرب الكون او عُمر . وان مات الخلق او نُشِر . فقال بعض ذوي الرشاد . ما هذا القول من السداد . فان الراهب وامثاله اذا راى الناس مقبلين على اعمالهم . مشتغلين باشغالهم . لم يرضَ الدنآءة لنفسه ان يعيش من كدّهم . ويستريح على تعبهم وجهدهم . ويتحيّن اوان رفدهم . بل يود لو كان شريكا لهم في اتعابهم . احرى من ان يكون شريكا في مصوناتهم . هذا اذا كان نزيه النفس . كريم القنس . صادق السعي . ضابط الوعي . ثم ان له عند رؤية الرجال مع نسائهم واولادهم لغُصّات . وحَسَرات واَيّ حسرات . ولا سيما اذا خلا في الصومعة . وراى ان سِمَنه ذاهب سدًى من غير منفعة . وان غيره ممن اضواهم الكدّ والنصب . واجاههم الجهد والتعب . اقدر منه على بلوغ الارب . مما اصطلح عليه سائر خلق الله من عجم وعرب . فقال من استصوب مقاله . وارتاح لما قاله . هذا لعمري هو الحق المبين . فان الراهب ومن اشبهه حرىّ بان يُعدّ مع الشقيين . وانما يظهر لي ان اسعد الناس عيشا هو التاجر يقعد في حانوته بعض ساعات من يومه . فيكسب بأيمانه المُغلّظة في ساعة واحدة ما ينفقه

في سهره . بجعل الكاسد من سلعته بتكرير كلامه نافقا . والمك ... ثا .
والدون فائقا . ثم هو ان أوى الى منزله ليلا . اصاب في خدمته دعد
وليلى . فهو في نهاره كسّاب للمال . وفي ليلته منفقه على رُبّات الحجال .
فقال من انتقد كلامه . وتبيّن ذامه ان . التاجر لا تمكن له هذه العسنة
الراضيه . ولا تهنؤه هذه النعمة الوافية . الا اذا كان قازبا ذا معاملات في البلاد
القاصية . وركوب للاخطار . واقتحام للاوطار . ومتى كان كذلك نقص من
رغده . وامرُ تجشمه وكدّه . ونغّص من لذّاته . تعدّدُ بُغيّاته . وملأ خاطره
اشجانا . ما حاوله ليرضى به زبونا واخوانا . فكلما هبت ريح خشي على سلعته
في البحر . وكلما جَشَرُ صبحٌ اوجس من ورود قادم يخبره بشر . او مألكة
تنبي عن تَلَف وخُسر . وكَساد وحظر . فهو لا يزال في اعمال نظر . وتجرّع
اسى وكدر . فقال بعض السامعين . انك لمن الصادقين . اما انا فلا اودّ
ان اكون ذا اتّجار . ولو ربحت في كل يوم مئة دينار . لما يعقب هذه
الحرفة من القيل والقال . والتكذيب والمحال . والمحاولة والمكر . والمداهاة
والسكر . فضلا عن اعصاري في الحانوت ربع عمري . ولا علم لي بما يجري
في وكري . فلعلّ ربيبا يحالفني الى داري . وانا اذ ذاك اكذب على الشاري
واماري . واجامل واداري . فبقي عيشي حبل لائم بما افعل في مُحْتَرَفي .
وبكوني صرت وسيلة لارتكاب الحرام في مألفي . وانما اظن ان احق الناس
بان يغبط على تيسنه . ويبارك له في حرفته ومهنته . انما هو الحارث
الذي يسعى لنفع نفسه ولغيره فيما يحرثه . فيكسب به صحة بدنه ومؤنة
عياله وذلك خير ما يبرّثه . وان زوجه تراوحه على عمله . وترفق به في
عسره وعطاله . ان مرض مرّضته بنفسها وقامت بامر مربعه * وان غاب رعت له
... ... وجهه . هذا التعب ... طعامه

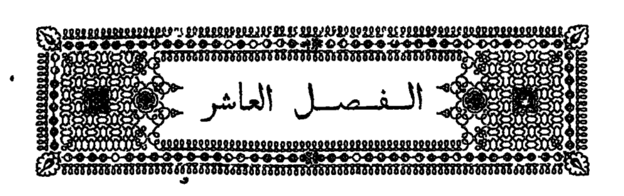
ويستحلي نيامه . الا ترى ان اولاد ذوي السعي والكدّ . اصح ابدانا واذكى فهما من اولاد ذوي الترفه والجُدّ . وما ذلك الا لانهم يرقدون عن نُعاس وياكلون عن جوع ويشربون عن ظما . فاجابه اقرب مَنْ وَلِيَهُ . انّ فيما قلت لَنظرا * فانك لم ترَ الصورة الّا من جهة واحدة وفاتتك الجهة الاخرى . فلعمري ان الحارث مع كدّ بدنه . اسير همه وشجنه . وضجيع قلقه وحزنه . اذ هو عبد العناصر . ورقيق الحوادث والاكابر . ان عصفت ريح خشي على ثمرة ان يتساقط فيسقط قلبه معه . وان كثر المطر او قل وجل من ان يتلف ما زرعه . وان مات كبير في بلده . اشفق من كساد ما تحت يده . وان يكن ذا بصيرة وحِجَى . ساءه ما يرى اهله فيه من العُرى والوَجَى . والذُلّ والاستكانة . والابتئاس والمَهانة . وتحسرهم على الطيّب من الماكول . والناعم من الملبوس . وعلى كونه لا يحسن تربية ولده كما يشا . ولا يمكنه رؤية بلد غير الذي فيه نشا . فهو مهده وقبره . وسجنه وجُحْره . ومع ذلك فهو غرض لاعراض امامه في الدين . وعصا يتوكأ عليها من هو فوقه من المثرين . والسائدين والمُسَيطرين . فما يكاد يتخلص من ورطة احدهما الا ويقع في شرك الآخر . ولا يفوته شرّ الا واستقبله شر اكبر . وهو مع اِصْرِه وجهله . لا يجد مَخْلَصًا له ولا لاهله . ولو انه رام ان ينهج لاهله منهجا ارتضاه لنفسه واستصوبه . ولم يك على وفق مرام اِمامه واميره او آخر ذي مرتبة . لم يامن غَرامة منهما او حسم عَرْتَبة . او قصم رقبة . ولم يلبث ان يرى اصحابه له اعداآ . واخدانه اِلدّآ . فهو على هذا رهينُ الخضوع . واسير القنوع . فقال قرين له . وقد صدق على ما فصّله . نعم ان هذا لهو الحق الواضح . وما بعد الرقّ ذل فاضح . واني ارى بعد امعان النظر والتروي . والتحقق والتحرّي . ان اسعد الناس حالا . رجل رزقه الله مالا . واصلح له بالا . فجعل دابه السفر في البلاد الغريبة . والمشاهدة للكائنات

العجيبة . فهو كل يوم فى سان . وله فى كل مَعان . اوطان واخوان . فقال
قائل قد استوعب فحوى مقاله . واعتقد ما ذهب اليه انّه من فَنَدة وضلاله . لقد
زغت قصدا . ولم تقل رشدا . اوليس المتعرّض للسفر . بلُوَعناَء وخطر . اذ
كثيرًا ما يمنيه بامراض شديدة . تغييرُ الهوآء عليه والاحوال غيرُ المعهودة .
واضطرارُه اَن يطعم ما يعافه . ويشرب ما به ادنافه . فيكون آكلا لما ياكل
بدنه . ويُذْهب وَسَنه . هذه الافرنج تاتى الى بلادنا فينغصهم عدم وجود
الخنزير فيها . وخلوها من السلاحف والارانب وما يضاهيها . اذ يزعمون
انهم يخلطون شحم الخنزير ودمه فى كل صِبغة وحَسُوّ وحَلْوآ . ويتخذون
من لحم السلاحف مرقا به شفآ من كل دآء . ويعيبون علينا ان لبننا
غير ضَيْح ولا ممذوق . وخبزنا مملوح وطعامنا غير مزعوق . وان مآنا غير ممزوج
بالجير . وخمرنا غير مصبوغة بالعقاقير . وانّا نذبح الحيوانات ذبحا وناكل
لحمها غريضا . وهم يخنقونها خنقا ويأكلونه دائدا انيضا . وان جوّنا غير
ذى دُجْن . ومطرنا غير دائم الهَتن . وان سمآءنا غير مُخْلِبة . وارضنا غير
مطلّى وجهها بالرجيع والروث وسائر الاشيآ المنجّسة . فبُقولُنا غير مسيخة .
وانمارنا غير مليحة . وان شتآنا لا يدوم ثلثى العام . وصيفنا لا يُسمَع فيه رعد
ذو ارزام . فاذا جآء احدهم الى بلادنا ليتعلم لغتنا ومكث بين اظهرنا
عشر سنين . ثم رجع وهو فيها من اجهل الجاهلين . احال الذنب على الهوا . فقال
انه مُنى منه بالحمّى والجُدَرى . او بالاسهال المفرط . والسعال المقنط . هذا
وان من جهل لسان قوم وهو فيهم . لم يمكنه ان يعرف عاداتهم واخلاقهم
واستوى عنده ظاهرهم وخافيهم . فيرى عندهم ما يرى دون علم . ويسمع ما
يسمع من غير فهم . فلم يكن لذى السياحة بُدّ من اتخاذ ترجمان . واعتماده
عليه فى كل خطب وشان . ولا باسٌ ان يسبقَ به الظن . ويرى ان لا عامه

المَنّ . ولوانه حاول ان يستغنى منه لفاته معرفة الاحوال . وبات بين القوم ذا وحشة وبلبال . وربما حن الى رؤية اهله . والاجتماع بشمله . فأذنفه الحنين . واضناه بَيْنُ الخدين . وانما يطيب السفر ما اذا الـفق انسان مع نِدٍّ له نَوِيّ . وصديق نجيّ . وكانا عارفين بلغات كثيرة . وقلوبهما خالية من علاقة الحبّ بالقلب والبصيرة . وهيهات ان يتفق اثنان على راى واحد . وان تتمّ لذة من دون مانع جاهد . وهمّ عاصد . فقال اقل الحاضرين رشدا وفضلا . واكثرهم هزلا . ياقوم . انى قائل قولا ولا لوم . ان اسعد الناس واحظاهم . واترفهم وارضاهم . البغيّ الجميلة التى تفتح بابها لقاصدها . وتبيح نفسها لمراودها . فانها تغتنم انس زائرها وماله . وتتبلّه بحبها حتى يرى ذلّه فيها عِزّا له . ومتى تمكنت من نفر يبذلون لها العَيْن . ويكفونها مؤنة الاطيبين . فلا تحتاج بعدها الى البحث عن مراود فى المسالك . والتعرّض للمكاره والمهالك . فاذا هى شاخت وجدت مما ادّخرته فى صباتها ما تنفق منه من سعة . وما تكفّر به عن سيّئاتها السالفة فتعيش فى دعة . ويثنى عليها الناس بالتوبة الناصعة . والمعيشة الواسعة . والانسان مطبوع على النسيان . لا يبالى الا بما هو كائن لا بما كان . ولا سيما اذا كان الحاضر يجدى نفعا جزيلا . ويُسرًا مأمولا . وكفى بائمّة الدين اذا نالوا منها العطايا الوافرة . والصلات المتواترة . ان ينشّروا عليها احسن الثنا . ويبرّوها من كل فحش وخنى . فلها بينهم على كلّ صلاة صلوات . وعلى كلّ دعوة دعوات . فمَنْ مَارانى فى ذلك فليسال قرينته . ويكظم ضغينته . ريثما اقيم له على ذلك البراهين . ممن غبر وبقى من العالمين . فلما سمعت الجماعة دعواه . ولحنت مغزاه . ضحكوا من هَذَيانه . وراوا ان الجواب على بُهتانه . على طريقة الجدال انما هو من وضع الشى فى غير صِوانه .

فاضربوا عنه صفحا . وقالوا له قبحا لرايك وشقحا . فلو كان اهل صقع على رايك لفسدت الارض . وبار العِرض ولم يبق من الصلاح اثر ولا بَرْض . وانما اللوم على الكاس التى ذهبت بلبّك . وكشفت عن فساد مذهبك . وقبح أربك . ولعلك تهتدى الى الرشاد اذا افقت من خُمارك . وتبيّن لك فظاعة هترك واستهتارك . فراى ان السكوت له اسلم عاقبة من المحاورة والمجاوبة . والمناقرة والمغاضبة . وان الجمهور يغلب الفرد . وان كانوا على ضلال وكان هو على هُدًى وقصد . فاستحق تفنيدهم . وخشى وعيدهم . وتفرقوا ولم يجمعوا رايهم على اىّ الناس اسعد . واىّ عيش ارغد . اذ راوا دون كل حرفة نُغَصا . ومع كل حالة غُصَصا . وفى كل اكلة مَغَصا . وقد فاتهم من احوال الناس كثير مما ضاق وقتهم عن ذكره . كما ضاق هذا الفصل عن احصا كل ما اوردوه ومن حصره . فقف على هذا القدر الذى ذكرته . وسر معى الى استئناف قصة مَن غادرته . وعليكم السلام .





الفصل العاشر

في اغضاب شوافن ٭ وانشاب براثن

السجع للمولف كالرجل من خشب للماشي٭ فينبغي لي ان لا اتوكا عليه في جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه ٭ او يرميني في ورطة لا مناص لي منها ٭ ولقد رايت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم ٭ فانه لا يشترط في ابيات القصيدة من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفقر المسجعة ٭ وكثيرا ما ترى الساجع قد دارت به القافية عن طريقه التي سلك فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان غير متقيد بها ٭ والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائغ لاى قارى كان ٭ ومن احب ان يسمع الكلام كله مسجعا مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه بمقامات الحريري اوبالنوابغ للزمخشري٭ فنقول ان صاحبنا الفارياق بعد اقامته مدة على الحالة التي ذكرناها ٭ جرى بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما اوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق اخر من طرق المعاش ٭ فناح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامرا وكانت ذات طلعة بهية ٭ وشمائل مرضية ٭ تامة الطرف ٭ ناعسة الطرف ٭ ولكن ليس المراد بذلك انها كانت لاتبصر من يحبها كما يكون من به نعاس ٭ وانما المعنى انها ذات نعاس . حتى ولا هذه العبارة صحيحة مما اريد ان اقوله , فانها توهم انها

كانت ذابلة مع انها كانت غضة بضة . بل المقصود ان نقول انها كانت كانها تنظر عن تحشيف . ولكن مادة حشف لا تعجبني . فان فيها معاني اليبوسة والخساسة والرداءة وشي اخر تجل الملاح من ذكره . بل المراد انها كانت تكسر جفنيها عند النظر . ولا الكسر ايضا لائق بها . فلا ادري كيف الحن للقارى ما اردت . ولعل الاوفق ان يقال انها كانت ترمي بسهام عن عينيها . ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها . فان القلب يعلق بهوى الصغيرة الجداء . كما يعلق بهوى الكبيرة الوطباء . اذ ليس كل عشق موديا الى الدعارة . فقد عشق الناس الرسوم والاطلال والاثار والاشكال والديار . ومنهم من عشق لرؤيته كفا مخضبا او عقيصة شعر او ثوبا او سراويلات او تكة ونحو ذلك . واعرف من احب هرة امراة فكان يلاعبها ويخيل له الغرام انه ملاعب صاحبتها . وكثيرا ما كانت تنشب فيه اظفارها وتدميه . وهو يستعذب ذلك ويستحليه . اما لاستعذاب العذاب في هوى المحبوب . او لاعتقاده ان مداعبة النساء ايضا لا تخلو من خدش وادماء . فكون الجرح منهن اصالة او وكالة انما هو شي واحد . وقد سئل احد العشاق عن مبلغ الوجد منه فقال كنت ارتاح للريح اذا مرت على نتن مقبلة من صوب المحبوب . هذا وان عشق اهل تلك البلاد اكثره على هذا النمط . اى ان العاشق منهم يكلف باثر من محبوبه كمنديل او زهرة او رسالة وخصوصا بنصة شعر فيشمه ويضمه ويقبله ويقلبه ويعانقه كما قيل

الشعر مثل الشعر داعية الهوى والشعر مثل الشعر ذخر يذخر
من غاب عنك فلست تنظره سوى بالشعر او بالشعر وهو الاكثر

فان قيل انهم انما عشقوا ذلك طمعا في وصال الحبيب الذي تفضل

بهذه النعم لا كلفا بها من حيث هى هى * قلت ما المانع من ان تعشق الصغيرة طمعا فى ان تصير كبيرة * ما اضيق العيش لولا فسحة الامل * ورب امل احلى من فوز * وقد علم اهل الدراية ان من حرمه الله من الجمال لغاية لا يعلمها الا هو عوضه عنه زيادةً قصاص له بحدة الفكر والبصيرة وشدة التصور والتخيل ودقة الحدس فيكون اسرع الى العشق واكثر حرصا على اهل الجمال * اذ الانسان كلما بعد عن الشى المقصود كان توقانه اليه اكثر وتولعه به اشد * والمراد من ذلك كله ان نقول ان الفارياق كان يعلم من صغره انه بمعزل من الجمال * وانه من صبآئه كان يعظم اهله ويمزيهن على غيرهن وان القبيح معذور على عشق المليح كما قال الشاعر *

وقالوا ياقبيح الوجه تهوى ◦ مليحا دونه السُمر الرقاقُ
فقلت وهل انا الا اديب ◦ فكيف يفوتنى هذا الطباقُ

قالوا * او اقول انا عنهم * وقديكون عشق الصغير كبيرا كما يكون عشق الكبير صغيرا * فان الصغير لماكان غير ذى رشد يردّه من الاسترسال والتمادى فى هواه كان هذا الاسترسال معقبا للجموح دون حد * الا ترى ان الصغير اذا اولع بشى من اللعب واللهو فانه يتهتك فيه وينهمك غاية ما يكون * فكيف به اذا جنح الى شئ هو اقوى من كل ما يستميل الطبع ويشوق النفس * نعم ان الكبير يُقدر منافع ما يقصده من معشوقه اكثر من الصغير ولذلك يكون حرصه عليه ابلغ وطلبه له اكثر * غير ان عزة نفسه وسَورة طباعه ونُهيته قد تمنعه من ان يسلّم عنان مشيئته للهوى * فيكون فى طريق ميله وتوقانه تارة مقدّما رجلا وتارة موخرا اخرى *

والصغير متى ما استرسل استسهل * وبعد فقد نذرت على نفسي ان اكتب كتابا * وان اودعه كل ما راق لخاطري من القول سديدا كان او غير سديد * فاني اعتقدت ان غير السديد عندي قد يكون عند غيري سديدا كما تحقق لدي عكسه * فان شئت فأذن او لا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف * والحاصل ان الفارياق لبث يعلم سيدته الصغيرة وجعل من دأبه ان يتودد اليها باغضاء النظر على اصلاح غلطها * بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردها فتاخرت هي في العلم وتقدم هو في الهوس * فمما قال فيها *

بروحي مَن اعلّمه وقلبي ... اسير هواه لن يستطيع صبرا
اغار عليه وجدا من حروف ... يفوه بها فتلثم منه ثغرا

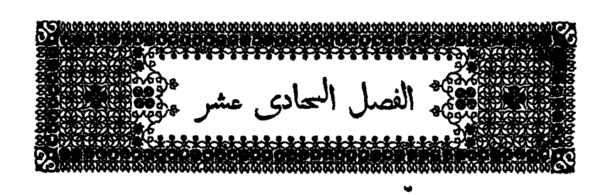
والحمد لله على كون اللغة العربية خالية عن الهاء الفاوسية والقاف الافرنجية والا لزادت غيرة صاحبنا وربما كان ذلك سببا في جنونه * فان الغيرة والجنون يخرجان من مخرج واحد كما افاده المشايخ الراسخون في الزواج * وهنا دقيقة وهي ان بعض العشاق جمع عشول وهو من لا خير عنده للنساء يستثقل المونث في الغزل والنسيب فيجعله مذكرا وبعضهم يضمره * وعليه قول الفارياق اعلّمه * والظاهر ان المقدّر في ذلك لفظة شخص * فياليت هذا الحرف كان في لغتنا مونثا كما هو في الفرنساوية والطليانية حتى لا يجد الناسب محيدا عن التانيث * فاما تعليم نساء بلادنا القرآة والكتابة فعندي انه محمودة بشرط استعماله على شروطه * وهو مطالعة الكتب التي تهذّب الاخلاق وتحسن الاملآ * فان المراة اذا اشتغلت بالعلم كان لها به شاغل عن استنباط المكايد واختراع الحيل

كما سياتى ذكر ذلك * ولا باس للمتزوّجات بقرآءة كتابى هذا وامثاله * لانه كما ان من الوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى الوان الكلام * والظاهر ان اللغة العربية شُرك للهوى اذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصبّية ما لا يوجد فى غيرها * فمن قرأت مثلا فى شرح المشارق لابن مالك ان مراتب العشق ثمانية ادناها الاستحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم يقوى بالتفكّر فيصير مودّة وهى الميل للمحبوب (اى المحبوبة) * ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الارواح * ثم يقوى فيصير خُلّة وهى تمكّن المحبة فى القلب حتى تسقط بينهما السرائر * ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلوّن ولا يداخله تغيّر * ثم يقوى فيصير عشقا وهو الافراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (اى المعشوقة) * وانه يقوى فيصير تتيّما وفى هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (اى معشوقته) * ثم يقوى فيصير ولهًا وهو الخروج عن الحدّ حتى لا يدرى ما يقول ولا اين يذهب وحينئذ تعجز الاطبآء عن مداواته * قلت وان من انواعه ايضا الصبابة وهى رقّة الهوى والشوق * والغرام وهو الحب المستأسر * والهُيَام وهو الجنون من العشق * والنَجْوى وهو الهوى الباطن * والشوق وهو نزاع النفس * والتَوَقان وهو بمعناه * والوجد وهو ما يجده المحبّ من هوى المحبوب (اى المحبوبة) * والكَلَف وهو الولوع * والشَغَف وهو اصابة الحُبّ الشَغاف اى غلاف القلب او حجابه او حبّته او سُوَيدآءه * والشَعَف وهو ان يغشى الحبّ شَعَفة القلب وهو راسه عند معلّق النياط منه * والشَعَف وهو بمعناه * والتدليه وهو ذهاب الفواد عشقا * لم تتمالك ان تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال * بخلاف لغات العجم فانها لا يوجد فيها الا لفظة

واحدة بمعنى المحبّة يطلقونها على الخالق والمخلوق * وقد يظهر لى ان كثيرا من الصفات المحمودة فى الرجال تكون مذمومة فى النسآء كالكرم مثلا فان كرم الرجل يغطّى جميع عيوبه وهو مذموم فى المراة * وقس على ذلك النُكر والدهآ والاطرا والفروسة والشجاعة والحماسة والصلابة والخشونة والهمّة الى المراتب السامية والامور الشاقة والاسفار البعيدة والنيّات النائية والمطامع المتعذرة وغير ذلك * والعلّة فى ذلك كون المراة تميل بالطبع الى الشطط ومجاوزة الحدّ * ودليله فى من تميل الى العبادة والنسك فانها لا تقف فى ذلك على أمَد بل تتمادى فيه حتى تتهوّس وتتخبّل فتدّعى المعجزات والكرامات وتعمد الى الرُؤى والاحلام ويُخيّل لها انّ ملكا يناجيها * وهاتفا يناغيها * وانها تقيم بدعائها الاموات * وتحيى الرُفات * وربما قتلت اولادها على صِغَر ابتغآء دخولهم الجنة بغير حساب * او ولدت توأمين فادّعت انهما من غير اب * وفى من مالت الى الهوى فانها تترك اباها وامها اللذين ولداها وربّياها وتقبل تجرى فى اثر رجل لا تعرف من صفاته شيا سوى كونه ذكرا * فكل ما كلفت به المراة كانت فيه اكثر تماديا من الرجل * فكلفهنّ بالقرآة لا ادرى اين يكون مصبره * والحامل لها على هذا العلو والشطط انما هو معرفتها من نفسها انها اقوى على اللذّات من الرجل * فزيادة الطاقتها لذلك زادت فى تماديها فيه * ومنه مسرى فى غيره من الاطوار والشؤون والاحوال الطارئة وفى بعض الغريزية ايضا * وذلك كالكلام والضحك والسَبّ والحركة * وما قلّ منه فيها فى بعض الاحوال فانك تراه زائدا فى البعض الاخر زيادة فوق القياس * ولعل كلامى هذا يسو النسآء اذا سمعن به وهنّ بين الرجال * لكنى اعلم عين اليقين انهن يضحكن له فى اكمامهنّ استحسانا

وتعجبا * حتى كانى بهن يحسبن انى عشت برهة من الدهر المراة حتى امكن لى معرفة سرائرهن ثم مسخنى الله تبارك وتعالى وجلا * او انى علمت ذلك من هند وسعاد وزينب وميّة حين كنت اشبّب بهنّ وانا فتّى واكذب عليهنّ بقولى لهن انى حُرمت الكرى * واجريت على نواهنّ عِبَرا * وانى قد فُتن لبى * وفارقنى قلبى * لا جرم انه لم يفارقنى قط * ولو فارقنى مرة لما رجع الىّ ابدا * لانى طالما ادخلت عليه هموما واحزانا لم تكن لِتُهمّ احدا من الناس فى بلادى * اذ كنت احزن لتعصّى معنى من المعانى علىّ واحاول اختراع شى من البديع لم يكن احد سبقنى اليه * ظانّا انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التى يُزهَى بها الكون عصرنا هذا فلم يتهيّا لى فكنت ابيت الليل فى ياس وكرب * معاذ الله لم تكلّمنى وما كلّمت هند وانما عرفت ما عرفت من الاحلام الصادقة اذ كنت ابيّت وانا مخلص لله الانابة والقنوت * فان لم يصدّقننى فليبتن ليلة او ليلتين تائبات قانتات مثلى وانا ضامن لهن انه يهبط عليهن من الاحلام الصادقة ما يوقفهن على امور الرجال *





الفصل الحادى عشر

في الطويل العريض

فلنرجع الان الى الفارياق فانه هو ايضا رجع الى حرفته وهى النساخة وان كان ذلك على غير مراده * واتفق اذ ذاك ان فتيَيْن من امرآء ذلك الصقع ارادا ان يقرأا النحو على بعض النحاة وكان الفارياق يحضر الدرس وهو مكبّ على النسخ * وكان احد التلميذين بطيئًا عن الفهم سريعا الى الجواب * يتثآب ويتمطى * ويَتَغرض ويُخطا * ويتناعس ويتقاعس * ويتفاسأ ويتعاطس * واذا خُيّل له انه فهِمَ مسئلة حكّ تحت ابطه * وشمّ رائحتها وكرف ثم تمطّق كما يتمطّق من اقِطه * ثم عربد من افتتانه * وسلق مَن وَليَه بلسانه * وقال لا قُبحًا لذوى الخواطر البليدة * والفطن البعيدة * كيف لا يتعلم الناس كلهم فن النحو * وهو اسهل من حكّ ما تحت الحُقو * اما والله لو كانت العلوم كلها مثله * لما غادرت منها كبيرا ولا صغيرا الا واستوعبته كله * لكنى سمعت ان النحو انما هو مفتاح للعلوم ولا يعدّ منها فلا بدّ وان يكون غيره اصعب منه * فقال له معلمه لا تقل هكذا بل النحو اساس العلوم وكل العلوم مفتقرة اليه افتقار البناء الى الاساس * الا ترى انّ اهل بلادنا لا يتعلّمون سواه ولا يعرّجون على غيره * وعندهم ان من تمكّن منه فقد تمكّن من معرفة خصائص الموجودات كلها * ولذلك

لا يولفون الا فيه * وانما يحصل الخلاف بينهم فى تقديم بعض الابواب على بعض * وفى توضيح ما كان مبهما منه بادلّة وشواهد * واختلفوا ايضا فى الشواهد فمن قائل انها مفتعلة ومن قائل انها ضرورة او شاذّة بيد ان المآل واحد * وهو ان العالم لا يسمّى عالما الا اذا كان متمكّنا من النحو مستقصيا لجميع دقائقه * ولا يكاد يستتبّ امر الا به * ولو قلت مثلا ضرب زيد عمر من غير رفع زيد ونصب عمرو فما يكون ضرْبُه حقاً ولا يصح الاعتماد على هذا الاخبار * فان حقيقه فعل الضرب متوقفة على علم كون زيد مرفوعا * وجميع اللغات التى ليس فيها علامات الرفع فهى خالية عن الافادة التامة * وانما يفهم بعض الناس بعضا من دون هذه العلامات عن دُربة او اتّفاق * فلا معوّل على كتبهم وان كثرت ولا على علومهم وان جلّت * وانى وان كنت قد لقيت منه عَرَق القربة وكثيرا ما بت وبالى مشغول بِعُقْلة من عُقَله وبداهية من عرافيله * فكنت آرق ليلى كله ولا اهتدى الى وجه الصواب فيما عوص علىّ من ذلك * الّا انى استفدت منه فائدة عظيمة جعلتنى ممنونا لبنت ابى الاسود الدُؤَلِى أبَد الدهر فانها هى التى كانت سببا فى استنباطه * (قلت وكذا سائر البدائع كان اصل استنباطها مسبّبًا عن النسآ) فقال له التلميذ ما هذه الفائدة ياستاذى * قال قد طالما كان يخامرنى الريب فى قضية خلود النفس * فكنت اميل الى ما قالته الفلاسفة من انه كل ما كان له ابتدآء فهو متناهٍ * فلما رايت النحو له ابتدآء وليس له انتهآء قست النفس عليه فزال عنى والحمد لله ذلك الابهام * ومثله او اكثر منه فى الصعوبة فنّ المعانى والبيان * فقال له التلميذ لم اسمع بذكر ذلك قطّ * قال اما انا فقد سمعت

به واعرف ما يشتمل عليه * وهو المجاز والكناية والاستعارة والتورية والترصيع وغير ذلك مما ينيف على مئة نوع * وبيان ذلك مفصّلا * يستفرغ أجَلا * وربما قضى الانسان عمره كله فى علم الاستعارات وحدها ثم يموت وهو جاهلها * أو يكونُ قد نسى فى آخر الكتاب او الكتب ما عرفه فى اوله * وذلك انّ من اخترع هذا العلم الجليل لم يكن سلطانا حتى يمكنه اجبار الناس جميعا على متابعته ومشايعته * بل كان فقيرا فأولع بهذا الشى وشرح الله صدره لتقرير قواعد له فكان لا يقع بصره على شى الّا وخطر بباله طريقة من طرقه * فاذا نظر الشمس مثلًا طالعةً قال كيف ينبغى ان يفهم هنا طلوع الشمس هل هو حقيقىّ او مجازىّ وهل المجاز هنا عُرْفى او لُغَوىّ * وكذا لو راى البقل نابتًا فى زمن الربيع قال كيف نأويل قول القائل انبت الربيع البقل * فهل يصح اسناد ذلك الى الربيع وهو انما نشأ عن دوران الارض حول الشمس فهو ولا شك مسبّب عنها * ولا ريب ان مدير الارض انما هو اللّه عزّ وجلّ * فيكون قوله انبت الربيع البقل مجازا بدرجتين * لانّ الربيع مسبب عن دوران الارض ودوران الارض مسبب عن تقدير البارى تعالى * وكذا قولهم جرت السفينة او النهر * ومن المجاز ما له ايضا ثلث درجات ومنه ما له اربع * ومنه ما تفوق درجاته دوج المأذنة * ومن هذا الدرج ما شكله فِرْقىّ ومنه حَلَزونىّ ومنه لولبىّ * ومنه غير ذلك ثم ما زال المستنبط يفكّر فى هذه البدائع حتى ادركه الاجل فمات وبقى عليه اشياء كثيرة لم يحكمها * فقام من بعده مَن أُولع مثله بهذا الفنّ فاستدرك على سلفه مواضع كثيرة * وظل يباحثه ويعارضه الى ان قضى نحبه وقد ترك مجالا لغيره * فجاء من

بعده مَن اصلح بينهما فى عدّة مواطن وعاب على كلّ منهما ايضا امورًا * ثم مات ولم يُنهِ ما قصده * فخلفه من صنع به ما صنعه هو بغيره * وهكذا بقيت ابواب النقد مفتوحةً الى عصرنا هذا * فمن قائل ان هذه العبارة من الاستعارة التبعية * ومن قائل انها من الترشيحية * قال بعض العلماء الاستعارة تنقسم الى مصرّح بها ومكنيّ عنها * والمصرح بها تنقسم الى قطعية واحتمالية * والقطعية تنقسم الى تخييلية وتحقيقية * وتنقسم ثانيا الى اصلية وتبعية * وثالثا الى مجردة ومرشحة * وقال بعضهم وهذه تنقسم ايضا الى عِقْيَوْنِيَّة ومُكَاتِيَّة ونَبيْصيَّة وطَعْطُعِيَّة وغُميْسِيَّة ولَعْلَعِيَّة ويَلمعيّة * وعَشْعاسية * والعقيونيّة تنقسم ايضا الى فرقعية وقرقعية ومقامقية * والفرفعية الى جَحَلْنَجعية وشُنْطُفِيَّة وعُطْروسيَّة ودمْحالية وشينقورية وكِربرية * والقرقعية الى خعخعية وعُهْعخية وعهخفية وكَشْعشجية وكشعَطجية * والمُكاتية الى مَعوتية وعنتريّة وصُفرية وعَصَلية وبُلُكيّة وصَفّاريّة وضَغيلية وطَرْطبيّة وانقاصية * الى غير ذلك من التنقسم * ويشترط فى خطبة الكتاب ان تكون جامعة لجميع هذه الانواع * وان يراعى فيها وفى الكتاب كله نوع الطباق * مثال ذلك اذا قال القائل فى فقرة طلع * فلا بدّ وان يقول فيها او فى الثانية نزل * واذا قال اكل يقول بعده من غير تراخ تقيّأ او — وفى الجملة فينبغى ان تكون الخطبة عويصة ما امكن * وايّة خطبة لم تكن كذلك كانت عنوانا على ركاكة الكتاب كله فلم يكن جديرا بالمطالعة * فقال له التلميذ وقد امتُقع لونه وهل النحاة ايضا ماتوا ولم ينهوا قواعد هذا العلم * وهل قرآتى له عليك تغنى عن اعادته عند غيرك هنا * وهل يجب على الطالب فى كل بلد سافر اليه ان يتعلم نحو اهله ام هو علم مرّة واحدة * فقال له الشيخ اما

عن المسألة الاولى فاجيب انه ما جرى على البيانيّين فقد جرى ايضا على النحاة * فقد قال الفرآء اموت وفي قلبي شي من حتى * وقد مات سيبويه وبقي في قلبه من فتح همزة ان وكسرها اشيآ * ومات الكسائي وفي صدره من الفآ العاطفة والسببية والفصيحة والتفريعية والتعقيبية والرابطة حزازات * ومات اليزيديّ وفي واسه من الواو العاطفة والاستئنافية والقسمية والزائدة والانكارية صداع واى صداع * ومات الزمخشري وفي كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغيرذلك قروح واى قروح * ومات الاصمعي وفي عنقه من رسم كتابة الهمزة غُدّة * وفي الجملة فان معرفة حرف واحد من هذه الحروف اذا تعمد الطالب استقصاها وجب عليه ان يترك جميع اشغاله ومصالحه ويعكف على ما قيل فيه واجيب عنه * وما قيل من الامثال اعطِ العلمَ كلّك يُعْطك جزاءه الا لاجل ذلك * واما قولك هل يلزم ان تقرا النحو ايضا على غيري هنا اى في بلادنا فذلك غير لازم * فان اهل بلادنا كلهم لا يطالعون غير هذا الكتاب الذى تطالعه انت * بل قلّ من يطالعه ويفهمه او يعمل بمقتضى قواعده * واما عن سؤالك الثالث فاقول انه لا ينبغي اعادة هذا العلم في كل بلد ولكنك حيثما سرت وايّان توجهت وجدت اناسا ينتقدون عليك كلامك * فان عبّرت بالواو مثلا قالوا الافصح هنا الفآ * او باو قالوا الاولى ام * وفي بعض البلاد اذا عُلم انك تنقط يآء قائل وبائع سقط اعتبارك من عيون الناس * فقد قرات في بعض كتب الادب ان بعض العلمآء عاد صديقًا له في حال مرضه فراى عنده كرّاسة قد

كتب فيها لفظة قايل بنقطتين تحت الياء فرجع في الحال على عقبه وقال لمن سار معه لقد اضعنا خطواتنا في زيارته * وهذا هو سبب قلّة التاليف في عصرنا * فان المولّف والحالة هذه يعرّض نفسه للطعن والقدح والبلاء * ولا يراعي الناس ما في كتابه من الفوائد والحِكَم * الّا اذا كان مشتملا على جميع المحسّنات البديعية والدقائق اللغوية * ومَثَلُ ذلك مثل رجل فاضل يدخل على قوم بهيئة رثة ورعابيل شماطيط * فالناس لا تنظر الى ادبه الباطني بل الى بزّته وزيّه * والحمد لله على قلة المولفين اليوم في بلادنا اذ لو كثروا وكثر نقدهم وتخطئتهم لكثرت اسباب البغض والمشاحنة بينهم * وقد استغنى الناس عن ذلك بتلفيق بعض فِقَر مسجّعة في رسائل ونحوها كقولك السلام والاكرام * والسنّية والبهية * فاخفّه ما كان ساكنا * فاما الشعر في عصرنا هذا فانه عبارة عن وصف ممدوح بالكرم والشجاعة او وصف امراة بكون خصرها نحيلا * وردفها ثقيلا * وطرفها كحيلا * ومن تعمّد قصيدة جعل جلّ ابياتها غزلًا ونسيبا وعتابا وشكوى وترك الباقي للمدح * ثم ان التلميذ النجيب استمر يقرا على شيخه الاديب في النحو حتى وصل الى باب الفاعل والمفعول فاعترض على ان الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا * وقال هذا الاصطلاح فاسد لان الفاعل اذا كان مرفوعا كان الذي عمل فيه الرفع آخر * والحال انه هو العامل * وبيانه انّا نرى الفاعل في البناء يرفع الحجر وغيره على كتفه فالحجر هو المرفوع والفاعل رافع وكذلك فاعل الـ......... فانه هو الذي يرفع الساق * فقال له المعلم مه مه

لقد افحمت فكان ينبغى لك التادّب فى مجلس العلم فانه غير
مجلس الامارة * ثم ختم التلميذان قراة الكتاب ولم يستفيدا شيا
وكانّ الشرح كله كان موجّها الى الفارياق * ومذ ذلك الوقت احذ
فى تجويد عبارته بمقتضى القواعد النحوية *

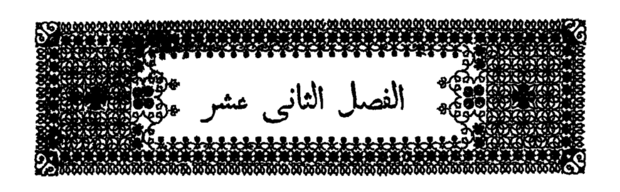
فصار يهوّل بها على رعاع الناس

كما يظهر فى

الفصل

الاتى *





الفصل الثانى عشر

في اكلة وأُكال *

لا بدّ لى من ان اطيل الكلام فى هذا الفصل امتحانا لصبر القارى * فان اتى على اخره دفعة واحدة من غير ان تحترق اسنانه غيظا * او تصطك رجلاه غيرة وحميّة * او ينزوى ما بين عينيه أُنُفَةً وحشمة * او تنتفخ اوداجه وَغْرا وهَوَجا * افردتُ له فصلاً على حدته مدحا فيه وعددته من القرّاء الصابرين * ولكون الفارياق فى هذا الوقت قد طال لسانه وان يكن فكره قد بقى قصيرا ورأسه صغيرا ناقصا من عند قُمَحْدُوته * وقد نذرت على نفسى ان امشى وراءه خطوة خطوة واحاكيه فى سيرته * فان رايت منه حمقة جئت بمثلها * او غواية غويت مثله * او رشدا قابلته بنظيره * والا فانى اكون خصمه لا كاتب سيرته او ناقل كلامه * وينبغى ان يعلّق هذا الحكم فى اعناق جميع المولفين * ولكن هيهات فانى ارى اكثرهم قد زاغ عن هذه المحجّة * اذ المولف منهم بينا هو يذكر مصيبة احد من العباد فى عقله او امرأته او ماله اذا به تكلّف لايراد الفِقَر المسجّعة والعبارات المرصعة وحشّى فصّنه بجميع ضروب الاستعارات والكنايات * وتشاغل عن همّ صاحبه بما يدل على انه غير مكترث به * فترى المُصابَ ينتحب ويُولول ويشكو ويتظلم * والمولف يسجّع ويجنّس ويرصّع

ويورّى ويستطرد ويلتفت ويتناول المعانى البعيدة * فيمدّ يده تارة الى الشمس وتارة الى النجوم * ويحاول انزالها من اوج سمائها الى سافل قوله * ومرة يقتحم البحار * واخرى يقتطف الازهار * ويطفر فى الحدائق والغياض من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة * ما ذلك دابى فانى اذا اوردت كلاما عن احمق انتقيت فيه له جميع الالفاظ السخيفة * واذا نقلت عن امير تادبت معه فى النقل ما امكن فكانى جالس بمجلسه * او عن قسّيس مثلا او مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختلّ * لئلّا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تاليف هذا الكتاب * فاعلم اذًا ان الفارياق بعد ان فار دماغه بحرارة النحو زيادة على ما كان له من الرغبة فى النظم سار ذات يوم لقضآء مصلحة له * فمرّ فى طريقه على دير للرهبان وكان الوقت مسآء * فراى ان يبيت ليلته تلك فى الدير فعرج عليه وطرق الباب فبرز له رويهب * فقال له الفارياق هل من مبيت عندكم لضيف * فقال له الرويهب * اهلًا به ان لم يكن ذا سيف * ففرح الفارياق بهذا الجواب وعجب من انه يوجد فى الدير من يحسن المساجلة * وانما قال له الرويهب ما قال لان الدير كان ينتابه كثير من اتباع الامير ليبيتوا فيه من كلّ سِرْطِمٍ قِهْقَمّ ملْهِم نَهِم وَجِم وَخِم هَقِم يُسمَع له هَيْقم * فكان احدهم اذا بات ثمّ ليلة يكلّف الرهبان من المطاعم الفاخرة ما لم يعهدوه * لان هولآء الخلق يعيشون عيشة المتقشفين المقترين المتبلّغين بادنى القوت * اذ هم ينظرون الى الدنيا والى لذاتها نظر العدو * فهى عندهم ضرّة الآخرة * كلما تباعدعنها الانسان المخلوق فيها تقرّب الى الجنة * حتى ان الخبز الذى كثيرا ما ياكلونه بغير إدام ليس كخبز الناس * فانهم بعد ان يخبزوه رقيقا يشمّسونه ايّاما متوالية حتى يجفّ وييبس * بحيث يمكن للانسان اذا

اخذ بكلتا يديه رغيفين وضرب احدهما بالآخر ان يخيف بقرفتهما جميع جرذان الدير * او انّ يتخذهما متخذ الناقوس الذى يُضرب به لاوقات الصلوة * ولا يقدرون على اكله الا منقوعا بالمآء حتى يعود عجينا * فاما تقلّد تابع الامير بالسيف فانما هو تهويل وانذار بنكال المتهاون به * كتهويل الفارياق على الرويهب بسواله * ومن لم يكن له سيف استعار سيف صاحبه او اتخذ له خشبة رقيقة فى غمد سيف * وليس فى استعارة الماعون وغيره عند اهل الجبل من عار بل كثيرا ما يستعيرون حليّا ومِعْرضا للعروس يزفونها به وللرجل ثيابا وعمامة يزينونه بها * ثم انه لما حان وقت العشآء جآء ذلك الرويهب بصحفة من العدس المطبوخ بالزيت وبثلثة أصْنُج من ذلك الخبز وجعلها بين يدى الفارياق * فجلس للعشآ وتناول رغيفا ودقّه بالاخر حتى انكسر * فلما التقم اول لقمة نشبت شَظِيّة من الخبز فى سنّه وكادت ان تذهب بها * فجعل يسندها ويسدّ مواضع الخلل منها بالعدس * ولم يكد يتم العشآ حتى اشتدت حرارة العدس فى بدنه فجعل يحكّ باظفاره وببعض قصد الرغيف حتى تهشّم جلده * فسآءه ذلك جدا وقال لقد خلخلت هذه الكسرة سنّى فلاقلعنّ سنّا من اسنان هذا الدير * ثم انه اعمل فكره فى نظم بيتين فى العدس تشفّيا مما ناله منه جريا على عادة الشعرآء من انهم يتشفّون بعتابهم الدهر مما هم فيه من النحس والقهر * والشقاوة والضرّ * فالتبست عليه لفظة فقام فى طلب القاموس * فطرق باب جاره وكان من المتحمّسين فى الدين * فقال له هل عندك ياسيدى القاموس * قال ما عندنا بالدير جاموس بل ثيران فما حاجتك به الان * فطرق باب آخر وكان اشدّ منه خشونة * فقال له هل لك فى ان تعيرنى القاموس ساعة قال اصبر علىّ الى نصف الليل فان الكابوس لا ياتينى الا

فى هذا الوقت * فمضى الى غيره واعاد عليه السؤال * فقال له اى شى هو هذا القاموص ياماغوص * فرجع الى صومعته وقال * لا بدّ من نظم البيتين وساترك محلّا فارغا للّفظة فقال *

اكلتُ العدسْ فى دير مساءً ‏ ‏ فبتّ وبى أُكال لا يطاقُ
فلولا اننى اعملتُ ظفرى ‏ ‏ لقال الناس — الفارياقُ

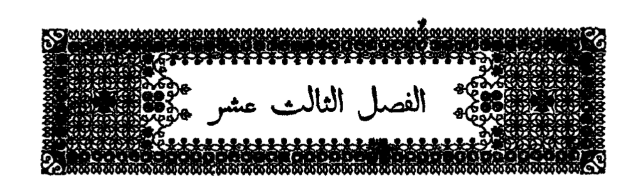
فلما كان نصف الليل والفارياق نائم اذا باحد الرهبان يقرع عليه الباب * فظن انه اتاه بالكتاب المطلوب * ففتح له وهو مستبشر بوجدان ضالته * فقال له الراهب قم الى الصلوة واقفل الباب واتبعنى * فتذكر عند ذلك ما قاله له جاره من ان الكابوس لا ياتيه الا فى نصف الليل * فقال فى نفسه لقد صَدق الرجل فان هذا الداعى اشدّ على النائم من الكابوس * قبحًا لها من ليلة شؤمى لقد كاد الخبز يقلع سنّى والعدس منانى بالحكّة * وما كدت الان اغفى حتى اتانى هذا القارع الاقرع النحس يدعونى الى الصلوة * اكان ابى راهبا وامّى راهبة ام وجب علىّ الشكر والصلوة من اجلْ اكلة عدس * ولكن ساصبر الى الصباح * فلما كان الغد جاءه ذلك الرويهب ليساله عن حاله اذ كان قدّ دخل الدير مذ عهد غير بعيد فكان فيه بقيّة رقة ولطف * فقال له الفارياق سألتك بالله ان تجلس عندى قليلا * فلما جلس قال له قل لى فديتكَ افى كل يوم انتم تفعلون هذا * فوجم الرويهب وظنّ به سوءًا ثم قال اىّ فعل تعنى * قال اكلكم العدس مساءً وقيامكم فى نصف الليل للصلوة * قال نعم ذلك دأبنا فى كلّ يوم * قال ما الذى اوجبه عليكم * قال التعبّد لله والتقرب اليه * قال ان الله تبارك وتعالى لا يهمه ان كان الانسان ياكل عدسا او لحما * ولم يامر بذلك فى كتبه * اذ ليس فيه

مصلحة لنفس الآكل او للماكول * قال هذا دأب النسّاك العبّاد اذ التقشف في المعيشة ونهك الجسم بالردىّ من الطعام وبقلّة النوم ينفي الشهوات * قال لا بل هو منافٍ لما شآءه الله * اذ لو شآء ان ينهك بدنك ويخليه من الشهوات لخلقك ضاويا دَنِفا * ما قولك في من خلقه الله جميلا * ايجوز له ان يشوّه وجهه بان يبخق عينه او يخرم انفه او يشرم شفته او يقلع اسنانه كما اردتم قلع اسناني البارحة بخبزكم هذا اليابس * او ان يسخم سحنته * قال في ظني انه لا يجوز * قال اليس البدن كلّه على قياس الوجه * لعمري ما خلق الله الساعد الفعم الا وهو يريد بقآءه فعما * ولا الساق المجدولة الّا وشآء لها ان تكون كذلك دائما * ولا حلّل الطيّبات من المآكل للناس الا وهو يريد ان ياكلوها هنيًا مريئًا * نعم قد حرّم هذه الطيّبات بعض الاديان المشطة * غير ان دين النصارى يحللها * وانما جآء التحريم من بعض شهارب طعنوا في السنّ فلم يكن بهم قَطَم الى اللحم ولا الى غيره * ما المانع من تناوله كل يوم * قال لا ادرى وانما سمعت علمآءنا يقولون ذلك فقلّدتهم * واني اقول لك الحقّ اني مللت من هذه العيشة * فاني ارى جسمي كل يوم في ذبول ونفسي في انقباض * ولو كنت عرفت من قبل ما اصير اليه لما سلكت هذه الطريقة * غير ان ابي وامي فقيران وخشيا ان اكون من ذوي البطالة والتعطّل * اذ لا صنائع نافعة في بلادنا يمكن للانسان ان يتعلّمها ويعيش منها فزيّنا لي الرهبانية * وقالا لي اذا واظبت على الطريقة في الدَير بضع سنين فربما ترتقي الى رتبة عالية فتنفع نفسك وايانا * وما زلا بي حتى اجبتهما ولو لم اجبهما طوعا لاكرهاني على ذلك * فقال له الفارياق نعم ان الرهبانية هي ملجا من البطالة فكل من كان عطلا عن علم او صنعة يقصدها * الا انك ما زلت مثلي حدثا فيمكن

لك ان تقصد احدا من اهل الخير والشفقة فدلّك على ما ينفعك * والله تعالى خلق الاشداق * وتكفّل لها بالارزاق * وقد جعل فى الحركة بركة * هذا وانت تعلم ان الرهبانية مشتقة من الرهبة وهى خوف الله تعالى * فاذا تعاطيت حرفةً وعشت بها بين الناس وتزوجت ورزقت ولدا وخشيت الله فانت ح راهب * ليست الرهبانية باكل العدس والخبز اليابس * البس ان رهبان ديرك بينهم من الخصام والطعن والحقد ما لا يوجد عند غيرهم * فان رئيسهم لا يزال يحاول اذلالهم واخضاعهم له * وهم لا يزالون مدمدمين عليه شاكين منه * وبينه وبين روساء الاديار الاخرى من الحسد والمنافسة ما بين وزراء الدول * واكثرهم ينال الرئاسة بالتملق للامير الحاكم او للبطرك * فاذا احس بوشك انقضاء مدته وخشى العزل رايته يجود بالهدايا والتحف لذوى الامر والنهى بما لا يجود به اكرم اهل بلادنا * وذلك حتى يقروه على رئاسته * وهولاء الرهبان المكرهون على التبلّغ بالعدس وعلى الشحس اذا دعاهم احد لمادبة سمعت لاستراطهم دويا * فبلفلفون ويلعمظون ويلتمظون ويتكظكظون ويشتقّون حتى تجحظ عيونهم * واضرّ ما يكون علىّ منهم انك لا تكاد تسلّم على احد منهم الا ويمدّ لك يده لتبوسها * وربما كانت نجسة قذرة * فكيف الثم يد من هو اجهل منى ولاغناء عنده فى شى * انظرْ كم عندنا فى بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان * ولم ارَ احدا منهم نبغ فى علم ولا من أثِرت عنه مكرمة * بل لا تسمع عنهمْ الا ما يشين الانسان فى عقله وعرضه * قدكنت فى خدمة بعبربعر مدة فرايت احد هولاء الكارزين قد تمكّن من ابنته تمكن الزوج من امراته * فكان يقول لها فيما يسالها عنه هل تتمججى ألّيتاك ويترجرج ثدياك * فما للراهب ولترعّد

كالا[illegible]سوان ورجرجة اثدآئهن * وآخر كان رئيسا فى دير فعلق بنتا فى قرية بالقرب من الدير فلم تلبث أن علقت منه * غير انه لمّا كان اخوه وجيها عند الحاكم خاف ابو البنت من ان يخاصمه ويفضحه * بل قد تقرر فى عقول الجهلآء من اهل بلادنا ان افشآء امر مثل هذا مما يفتضح به عرض احد هولآء النسّاك حرام * ايم الله ان الستر عليه حرام فان فضيحته تردع غيره * واعرف آخر جآء الى قريتنا متماوتا وقد طوّل كمّيه واسبل قلنسوته حتى لم يكد يظهر من تحتها الّا فمه ولحيته تظاهرًا بالصلاح والتقوى * ثم انزل نفسه منزلة خطيب فى القوم * فجعل يخطب ويعظ وينذر بصوت جهير * وكان يبكى عند ذلك اشد البكآ ويذرف المدامع اذ كان جعل فى منديله الذى يمسح به وجهه شيا ذا حُرْقة لا ادرى ما هو * ثم آل امره الى انه كان يقضى ايّاما وليالى مع ارملة حسنآ شابّة من نسآء الامرآ فى خلوة استذراعًا بانها تعترف له اعترافا عامّا * اى من يوم انتفخ ثديها ونبت شعرها الى ذلك اليوم * واعرف آخر كان قد [illegible] الى رومية وكان [illegible] فكان ينام فى فرشه بثياب الرهبانية على [illegible] الدير [illegible] ثم لما راى ان جميع قسّيسى رومية واعيان ائمتها من البابا الى الكردينال الى الراهب ينامون عريانين لا شى يستر سوْآتهم غير مُلآء الكتّان الرفيع كفر بهم وصار يستحلّ الحلال والحرام معا * فانظر الى هولآ العُبّاد من العباد فانك لا ترى فيهم الا خبيثا منافقا * او جاهلا مائقا * وندر وجود الصالح بينهم * اما العلم فهو محرّم عليهم كلّهم * لا باس فى الرّهبانية تطوّعا لا باس انما هى طريقة محمودة * ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة * وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف * يشتغلون بالعلم وبتهذيب املآء اخوانهم

ومعارفهم * ويحضّون على مكارم الاخلاق والاتصاف بالمزايا الحميدة *
ويولفون الكتب المفيدة وينهجون لقومهم المناهج المودّية الى الخير
والفلاح والفوز والنجاح * لا مثل هولآء الجهال الذين لا يعرفون شيا من
الدنيا سوى التقشّف والرّثاثة * وناهيك دليلا على جهلهم انى سالت
اشدهم تحمّسا ان يعيرني القاموس فظنّه الجاموس * واخر ظنه الكابوس *
واخر القاموص * فبادر ياصاحِ وتخلّص منهم هداك الله والّا فتكون لا من
اهل الدنيا ولا من اهل الآخرة * فان دين الجاهل عند الله ليس بشي *
واذا بلغت الستين سنة فها هي الرهبانية بين يديك * فقال له كيف
التخلّص * قال أَلَك في الدير متاع فاساعدك على حمله * قال ما لي
سوى ما تراه عليّ * قال فامضِ بنا اذًا فان الرهبان الان عاكفون على الصلوة *
فخرجا من باب الدير ولم يعلم بهما احد * فلما بعدا قليلا هنّا الفارياق
صاحبه بخروجه من ربقة الجهل وقال له * لعمري لو كنت كلّما اكلت
اكلة قدس خلّصت راهبا او رُوَيهبا او بالحرى راهبة اورُوَيهبة لوددت ان
لا آكل الدهر غبرة وان أَكَل بدني * فجزى الله الدير خيرا *



الفصل الثالث عشر

في مقامة

او مقامة في الفصل الثالث عشر

قد مضت عليّ برهة من الدهر من غير ان اتكلف السجع والتجنيس واحسبني نسيت ذلك * فلا بدّ من ان اختبر قريحتي في هذا الفصل فانه اولى به من غيره * اذ هو اكثر من الثاني عشر واقل من الرابع عشر * وهكذا افعل في كل فصل يُوسَم بهذا العدد حتى افرغ من كتبي الاربعة * فتكون جملة المقامات فيما اظن اربعا * فاقول

حدّث الهارس بن هشام قال أَرِقت في ليلة خافية الكوكب * بادية الهَيْدَب * طويلة الذنب * مُلْأَى من الكُرَب * الى الكَرَب * فجعلت انام على ظهري مرة وعلى جنبي اخرى * واتصوّر شخصا ناصبا امامي يتثآب وآخر ينخر نخرا * واخر يتهوّم سكرا * فان التصوّر فيما قالوا يبعث على فعل ما ترغب النفس فيه * وينشط الى ما تصبو اليه وتشتهيه * ومع ذلك فما اكتحلت غُمضا * ولا فتح فمي تثاؤب طولا ولا عرضا * وكان يُخيّل لي ان اهل الارض كلهم رقود وانا وحدي من بينهم أَرِق * وان جميع جيراني في سكون وانا دونهم قَلِق * فقمت الى الشراب فحسوة منه حسوة * فلم تك الا غفوة * كانّما كانت هفوة * فافقت في اسوأ حال * وشرّ بلبال * والهموم قد انثالت عليّ من كل جانب * والافكار متطايرة على كل مغارب ومجانب * فكان يخطر ببالي

كل ممكن ومحال * ويعاودني ما كنت فكّرت فيه من الاحوال * مرة منذ احوال * فلما علمت ان النوم قد ندّ عني وان تناومت * وانه لا بد من ترقب الفجر ان اذعنت وان قاومت * مددت يدي الى كتاب الطالع فيه * وقلت ان لم يُنمنئ فينبّهني ببعض معانيه * فتناولت اقرب ما وصلت اليه يدي * وانا غير موثر احد الكتب على غيره في خَلَدي * واذا به كتاب موازنة الحالتين * وموازنة الآلتين * للشيخ الامام العالم العامل * الفاضل الكامل * ابي رُشْد نُهيَة بن حزم * المشهور بالبلاغة في النثر والنظم * وهو كتاب لم [illegible] اليه احد من المولفين * ولم يجاره فيه كاتب من المجلّين * فقد وازن فيه بين حالتي بؤس المرء ونعيمه * ورَوحه وهمومه * ومنافعه ومضارّه * واحزانه ومسارّه * منذ كونه طفلا * الى ان يصير كهلا * ثم شيخا قحلا * وقد جعل ذلك في جدولين متقابلين * واسلوبين متفاضلين * الا انه لما كان الشيخ قدس الله سرّه * ورفع في اعلى علّيين مقامه وقدره * على ما يظهر لي ذا عيشة راضية * وسعادة وافية * وهمة ماضية * رجّح طرف اللذات على غيرها * واستقلّ شرّ الحيوة بالنسبة الى خيرها * حتى انه زعم ان اللذة تكون عن الفعل والتصوّر معا * بخلاف الالم فان الفكر لا يقع منه موقعا * وانه كان اذا امتثل خَوْدا يداعبها وتداعبه * هزّته نشوة طرب مال بها سريره ومركبه * وكلكله ومنكبه * بيدَ اني ارتبت في كلامه في هذا المحلّ * وقلت سبحان الله لا بدّ لكل مولّف من هفوة وان جلّ * وذلك اني لما تصورت الشخص المتهوّم * والناعس والمتثائب وانا متناوم * لم يُغْنني التصوّر عن الفعل نقيرا * ولا وجدت فيه لذة لا قليلا ولا كثيرا * على اني اذهب الى ما ذهب اليه بعض المجانين * من ان لذة النوم لا تكون قبله ولا معه ولا بعده للنائمين * وهي عقدة للطبائعيين *

لا يمكنهم حلّها بلسانهم وافكارهم * ولا باسنانهم واظفارهم * غير ان عبارة المصنف كانت من العلم والحكمة بحيث تخلب عقل الناقد الخبير* وتربك في تحرّي احد القولين كل نحرير * فلما اطلقت النظر فيهما وعاد اليّ كليلا * واعملت حدّ النقد ورجع مفلولا * عزمت على ان استجلي هذا الاشكال * من بعض ذوي الدراية والجدال * فقلت في نفسي كما ان يدي نالت ادنى الاسفار * كذلك يكون مراوحي عليه ادنى الجار * وكان يسكن بالقرب مني مطران يطريْ قومه على حِلْيته * ويُعظّمون فضله وادبه على طول لحيته * فقصدته ضحوة النهار * باديَ الاستبشار * فرايته ذا بِكْلة تروق * وبِزّة تشوق * فعرضت عليه الجدولين وقلت افتني في هذه القضية * ولك الاجر من رب البرية * فنظر فيهما ثم حرّك راسه * وجعل يرمش ثم يشكو نُعاسه * وقال لي ما ترجمته * اذ لم يكن ممن تسمو الى السجع همّته * ما لحنت مغزاهما * ولا دريت فحواهما * ولو كانا بعبارة ركيكة * كان ذلك عليّ اسهل من الجلوس على هذه الاريكة * فقلت قد اخّره في العلم والتفقّه* تقدمه في الصف * ونقص من عقله وفهمه ما زاد في لحيته وكمه * فلاستعلمنّ بعده اكثر الناس حمقا وتَوَجّا * وما ذلك الا معلم الصبيان الهجا * وكان في البلد مَن اتصف بهذه الصفة * وهو مع ذلك ذو كبر وعجرفة * فقصدت محلّه * والقيت عليه المسئله * فاذا به قام يصفق بيديه * ويرارئ بعينيه * ويقول لقد سقطت على الخبير * واهتديت براي بصير * ان شئت ان تعرف ايّ القولين ارجح * واصدق واصح * فَزِنِ الجدولين دون جلد الكتاب في ميزان * فما رجح منهما فهو الراجح ما اختلف في ذا اثنان * فقمت من عنده غضبان نادما * ولعنت الارق الذي كان السبب في ان اكون لمعلمي الصبيان مكالما * بعد ان

قرأت في غير كتاب * وسمعت من ذوى الالباب * انهم اسخف خلق الله عقلا * واكثرهم جهلا * وابعدهم عن الفهم * واسفههم الى الوهم * فسرت في ذلك اليوم * الى فقيه من جلّة القوم * قد كبّر عمامته وكوّرها * ووسّع جبّته وزوّرها * فقلت افتني ايها الفاضل الاحذق * اى القولين عندك احقّ واصدق * فقال امّا اذ جئتني مستفتيا * ورمت ان تكون برأيي مستهديا * وبطريقتي مقتديا * فاني اقول لك بعد التروّى * في هذا المذهب المتحرّى * انّا معاشرَ الفقهآء من اهل الكلام * القائمين باحكام الأحكام * وتبيين المتشابه بين الانام * وانّ من دأبنا اظهارًا للحق ان نسهب في التعليل * ونكثر من قال وقيل * اذ لا بدّ من انتشآء عَرف الصواب * من الاسهاب * ومن الاهتدآء الى بعض المذاهب * بفرض المستحيل وجعل المعدوم كالموجود الواجب * فعندى انه لا بدّ من عدّ الفاظ القولين * واحصآء حروف الجدولين * فما كان منهما اكثر حروفا * فهو ارجح واحسن تاليفا * والله اعلم * ففصلت من عند الفقيه * كما فصلت من عند صاحبه السفيه * وقلت انما اللوم على مستفتيه * ثم قصدت شاعرا كنت اعهده يتلهوق ويتشدّق * ويتفصّح ويتمدّح * ويتبجّح ويتزنّح * وقلت له هاك ما تحرز عليه اجرا * ويكسبك بين الناس فخرا * فأَبنْ لى اىّ الاهلوبيين أَبدع * وبالحق فاَصدع * قال اما انا فما لى من خَلاق في الدنيا ولا نصيب * غير المدح والنسيب * ففى الاول غُصّتى * وفي الثانى لذّتى * فاصبر علىّ ريثما اطالع ديوانى كلّه * واتصفحه جُملَه * فان وجدت المديح فيه اكثر من الغَزَل * كان الخير في الدنيا اقل * فالحقته بصاحبيه الفقيه والمعلّم * وقلت كم من متكلّم مُكلِّم * ثم سرت الى كاتب الامير * وكان مشهودا له بالتحرّى والتحرير * فاثنيت عليه قبل السؤال مطرئا *

وقلت لم يكن غيرك في ذا مجزئا * فقال انّ سعادتي في الكون هي ان ارضى عن اميري ويرضى عني * وشقاوتي هي ان اغضب منه ويغضب مني * وقد نسيت كل ما جرى عليّ من الغضب والرضى * لكثرة المشاده والمقتضى * فان صبرت عليّ في المستانف شهرا * لاقيّد في دفتري ما القاه منه حلوا ومرّا * ونفعا وضرّا * افدتك الجواب فاقبل عذرا * فصيّرته رابع الثلثة * وقلت لاستشيرن ذا حداثه * فان اهل المراتب والمناصب قد ذهبت صدارتهم بالبابهم * فلم يبقَ فيهم خير لقارع بابهم * فجئت الفارياق وهو مكبّ على النسخ * وفي طلعته مبادئ المسخ * فقد رايت عينيه غائرتين * ويديه ذاويتين * وعظم خديه ناتئا * وجلده كالظل زائنا * حتى رثيت لحالته * وكدت امسك عن الكلام اشفاقا من بطالته * لكنه لما رآني قام اليّ * ثم اقبل عليّ * وقال هل من خدمة اقتضت سَعْيي * اونجوى اوجبت وعيي * فقلت قد اقدمني كذا وكذا * فاكفني ذل السؤال كُفيتَ الاذى * فاخذ رقعة من تحت اسمال * وكتب فيها في الحال *

اتيتني مستفتيا في امرِ يعلمه كل امرء ذي حِجْرِ

الخيرَ ان قابلته بالشرّ في العمر كان قطرةً من بحر

لا ترى الاجرب كيف تَسْري عدْواه في جميع اهل المصر

وليس من ذي صحّة ويُسْر عدوى لمن داناه طول العمر

والطفل اذ يُثغر كم من ضُرّ يُلْقَى ويُلْقَى عنده في قبر

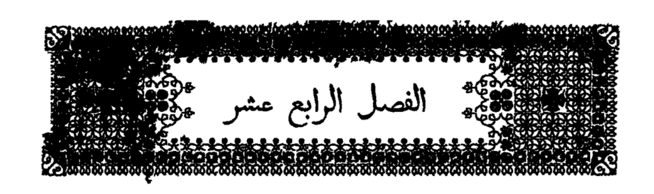
وعند إشعارٍ ونبت ظُفرِ ليس له من لذّةٍ وسُرِّ

وكلّ عضو لقبول الكسر اقرب منه لقبول الجبر

وما فسادة سريعا يُزرى   كالعين لن تصاحه مى دهر
ونعى طفل لابيه يفرى   فوّادة وكلّ عظم يبرى
وليس فى مولدة من بِشر   نَدّ لحزن موته كالاضرّ
وما تكون لذة عن فكر   اذا تحققتَ ولا عن ذِكر
وانما ذا هَوَس قد يجْرى   فى خاطر المغفّل المغترّ
فهل تصوّر الشفآء يبرى   ذا مرض أُمرض منذ شهر
وهل لمن يبرد وقت القُرّ   دِفْءٌ بتذكارَ اوان الحرّ
فلبس دُنبانا لاهل الخِبْر   سوى بلآء دائم وخُسْر
يُولَد فيها العبد غيرَ حُرّ   وهكذا بموت رغما فادرِ

قال فلما اخذت الرقعة وتاملت فيها * وتحققت معانيها * علمت ان قوله هو الاسدّ * وان قول غيره هذيان وفَنَد * فقلت له بورك فى زمن جاد بمثلك * وهدى المستفيدين الى رشدك وفضلك * وقبحا لاهل الثرا * اد لم يُحلّوك ارفع الذرى * ثم انصرفت من عنده داعيا * ولما قاله واعيا *





الفصل الرابع عشر

فى ستر

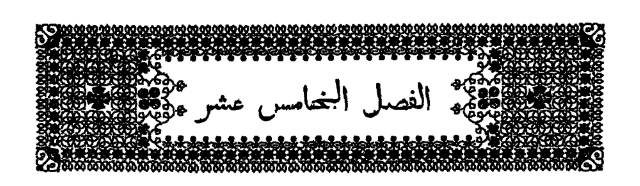
هحع هحع الحمد لله * الحمد لله * قد تخلصت من انشاء هذه المقامة ومن رقمها ايضا فانها كانت باهظة * ولم يبقَ لى همّ منها سوى حث القارئ على مطالعتها * وهى وان تكن خشنة غير مهلهلة كسجع الحريرى الا انها تُلبَس على علاتها * وتحمد لافاداتها * وفى ظنى ان الثانية تكون احسن منها * والثالثة احسن من الثانية * والرابعة احسن من الثالثة * والخمسين احسن من التاسعة والاربعين * لا تخف من هذا التهويل والتوهيل لا تخف * انما هى اربع لا غير كما وعدتك * والان ينبغى ان اعصر يافوخى لاستقطر منه افكارا ومعانى حسنة والفاظا رائقة مع تجنب الثرثرة * فان العلماء يسمون ذلك فيما اظن اخلاء * ولكن قف هنا حتى اسألهم * ماذا تسمّون الكلام الذى يندفق بالمعانى ويبلّ قارئه حتى آتيكم به * فان لم تسمّوه لى حالا فلا تلوموني على نقيضه * فانى انا من الموجود ودابى ان ابحث عنه لا عن المعدوم * ولما كان اسم الاخلاء موجودا ونقيضه معدوما ناسب ان اعدل اليه عن غيره * الى ان تتواطئوا على اسم ولكن لا بالخناق والتناوش * والنقار والتهاوش * وبالجلاد والجدال * وبالتماسك بالحبوب والاذيال * بل بالرزانة والوقار * والاوّن والاستبصار * فان الرزين

اذا وضع اسمًا لشى جآء ذلك الاسم رزينا مثله * فلا يمكن بعدُ انتقاله الى آخر * بل ربّما وُقُرّ بالاسم المسمّى وان يكن مما اتصف بالخفّة والطيش * الا ترى ان كلام الشاعر الرقيق ياتى رقيقا * وكلام الضخم ياتى ضخما * كما قيل كلام الملوك ملوك الكلام * وشعر المرأة ياتى خالبا للعقول لاعبا بالالباب مثلها * ويستثنى من هذه القاعدة وضع الولد من قبل ابيه اى مادة توزيغ الولد * لا ان الاب يحبل ويلد * وذلك ان الوالد قد يكون قبيحا وياتى ولده صبيحا * وسببه ان الايلاد لما كان من الافعال التى لا تتمّ الا بمشاركة اثنين اعنى رجلا وامراة اذ التغليب هنا لا يخلو ايضا من الابهام * لم يكن للوالد مطلق التصرف فى تهيئته ولده كما شآء * فقد يكون هو عند ذلك مقدّرا له شكلا ارتضاه وتكون امّه حرسها الله [illegible] شكلا آخر بحسبما استحسنته وخلج صدرها اذ ذاك * فياتى الولد خنفشاريّا * لا يقال ان الرجل لا يستحضر عند ذلك صورة معلومة لذهوله بشاغل المادة * فان ذلك لا يصدق على من اَلِفَ شيا واحدا بخصوصه * فان طول الفة الانسان لشى تعدّل هواه فيه * فيباشره برشد ورويّة * فمَثَله كمَثَل الطبّاخ الشبعان بطبخ خصص الطعام باتقان واحكام بخلاف الجائع فانه يلهوج عمله ويلهوقه * فاعلم اذًا بعد هذا الاستطراد البديع * والعطال المجيع * ان الفارياق ذهب ذات يوم الى بعض القسيسين ليعترف له بما فعل وفكر * وقال من المُنكَر * فقال له القسيس فيما ساله به * قد سمعت عنك انك كَلِفٌ بالنظم وبالالحان وهما من اعظم اسباب الفساد والغرام * فهل سوّل اليك الخنّاس ان تتغزل فى الشعر بامراة قاعدة النهد * مورّدة الخدّ * بيّنة الكَحَل * مرتّجة الكفل * نحيلة الخصر * مفلّجة الثغر * عَبْلة الساقين * مجدولة

الساعدين * سوداء الشعر والحلمتين * نجلاء العينين * مخضبة الكفين *
رقيقة الشفتين * مزججة الحاجبين * مدورة السرّة * ذات محيّا يستبي *
حلوة الابتسام * مهفهفة القوام * لها رضاب عذب * ونكهة تسكر الصبّ *
قال قد فعلت ذلك لكني انّ اراك الا حريفي في هذه الصنعة * فقد
رأيتك تحسن وصف الحسان ايّ احسان * قال ليست حرفتي تلفيق
الكلام * وانما هو شئ عرفته بالقياس والالهام * فان كلّ من تعاطى النظم
يملأ دماغه بهذا الوصف المحرّم * وكيف كان فلا بدّ من ان تحرق غزلك
كله * بالتفصيل والجملة * فانه يبعث الاغرار على المعاصي * فتجري
به يوم يؤخذ بالنواصي * وتعزّ التفاصي * قال كيف احرق في ساعة
واحدة ما سهرت فيه ليالي متعدّدة حرمت فيها من الكرى * وكابدت بها
جهدا ولا جهد السُرى * او السُرى * فكنت اذا نظمت البيت من
القصيدة يخيّل اليّ انى قطعت مرحلة الى محلّ المتغزّل بها * وعند تمام
القصيدة اتصوّر انى وصلت اليها ولم يبق بيني وبينها سوى فتح
الباب * فكان الختام عندي افتتاحا خلافا لجميع الشعراء * ولذلك لم
اكن اقصد القصائد الطويلة خشيةَ أن تطول عليّ المسافة بطولها * فهل من
الرأي السديد ان يحبط عملي كله من اجل الاغرار * وبعدُ فاني لا اريد
انهم يقراون كلامي * لانهم ان لم يفهموه سألوا عنه اهل العلم فيذمه هولاء
ويخطئونني ويفندونني * اذ لا يرون في كلام الصغير للوضيع حسنا * وان
استحسنوه لم يكن جزآي منهم الا قولهم اخزاه الله و قاتله الله وثكلته امه
ولا ابَ له ولا امّ له * قال ان ابيتَ الا الاصرار على العناد * والزيغ
عن جادّة الرشاد * امسكت عنك مغفرة ذنوبك * ونددت في الكنيسة
بعيوبك * قال لا تعجّل فان العجلة من الشيطان * ارايتك لو مدحتك

بقصيدة طويلة تجعلها كفّارة من الذنب * وان شئت ان امدح فيها ايضا جميع الرهبان والراهبات والعابدين والعابدات والزاهدين والزاهدات والناسكين والناسكات والقانتين والقانتات والمفرّدين والمفرّدات والمغبرّين والمغبرّات والمذكّرين والمذكّرات والذاكرين والذاكرات والمتقين والمتقيات والمتبتلين والمتبتلات والمتهجدين والمتهجدات والساجدين والساجدات والمخبتين والمخبتات والمسبّحين والمسبّحات فعلتُ * ففكّر ساعة وكانّه رأى ان ليس فى التغزل كبير اثم * فان وصف المراة مثلا بضخم الكفل وفعومة الذراع وتدملك الثدى اذا كانت فى الواقع كذلك انما هو من قبيل قول القائل البدر طالع عند طلوعه او السحاب منقشع عند انقشاعه * وانما يكون افترآء واثما ما اذا وُصفت بذلك وكانت مسحاء مرداء * او كانت تتّخذ الحشايا لتُحسَب عجزاء فصدّقها ناظرها فى ذلك وقال فيها ما قال مجازفة * فلما تدبّر الامر ورازه بعقله قال * لا ينبغى ان تتّخذ مدحى كفارة فانى اخشى ان تمسك بى ولا تعود تطلقنى * اذ ارى من قوافيك فى الفاعلين والفاعلات انك مُسكة عُلَقة نُشَبة لُزَمة * وانما تمدح اوليآء الله والربّانيين الصالحين الذين زهدوا فى الدنيا رغبة فى الاخرة لوجه الله ولبسوا المسوح ولزموا السهر فى طاعة الله وداوموا على التقشف حبا بالله * فمنهم من لم ياكل مدّة حياته كلها الا العدس والخبز جافّا صلبا * فقال الفارياق واعقبه ايضا كسر سن وحكة * قف قف * قد نسيت ان اذكر لك شيا اخطره الان ببالى العدس * وذلك انى تسبّبت مرة فى اخراج رويهب من ديره وتركه الطريقة * وانما الذى اغرانى بذلك ما قاسيته فيه. ففعلت ما فعلت تنفّيا * فقال ذنبك فى التشفى وهو ضرب من الانتقام اكبر من ذنبك

فى اخراج الرويهب * فان اكثر الرهبان لا فائدة من اقامتهم فى الدير لا لهم ولا لغيرهم * وما عدا ذلك فقد يحتمل ان هذا الرويهب يتزوج ويجعل من ولده رهبانا كثيرين * ولكن اذا مدحت الراهبات فاحذر من ان تذكر لهن اثداء واعجازا اذ لا شى لهن من ذلك * فان طول الاعتكاف والاحتجاب قد صيرهن مخالفات لسائر النساء * ونحن معاشر العباد اعلم بهن * فقال له الفارياق سألتك بالله معبود اهل السماوات والارض هل جميع القسيسين مثلك فى الظرافة والدعابة * قال لا ادرى وانما ادرى انى انا وحدى شقيت بما عرفت * وانى لو بقيت جاهلا مثلهم لكان خيرا لى * ان من الجهل لراحة * فقال له وكيف ذلك * قال اعندك للسر مكان حريز * قال ان سرى من دمى فلا ابوح به * (قلت بل باح به الان) قال اتريد ان اقص عليك قصتى * قال اكرم بها قال اصغ سمعا *



الفصل الخامس عشر

في قصة القسيس

ثم طفق يقول * اعلم اني كنت في مبدأ امري حائكا * ولما شآء الله تعالى من الازل ان يخلقني قبيحا وقصيرا * حتى ان امي عند نظرها اليّ كانت تحمد الله على انه لم يخلقني بنتا لم اكن اصلح للحياكة * لانّ قصري الفاحش منانى غير مرة في حفرة النول بالبُهر والخُناق * اذ كان جسمي كله يغيب فيها فينقطع نَفَسى * مع ان منخريّ بحمد الله يسعان من الهوآء ما يكفي خمسين رئة وخمسين كرشا * وكثيرا ما كان يُغشَى عليّ فيها واوخذ منها على آخر رمق * فلما قاسيت من هذه الحرفة كل جهد وعنآء رايت ان التسبّب ببعض ما يرغب فيه النسآء اصلح * فاكتريت لي حانوتا صغيرا وقعدت فيه * فكانت النسآء يمررن عليّ وينظرن اليّ ثم يتضاحكن * وسمعت مرة منهنّ مَن تقول * لو كان الظاهر عنوانا صادقا على الباطن لكان خرطوم هذا التاجر يشفع له في جثّته ويروّج سلعته * فاعتمدت على كلامها وقلت لعلّ من القبح سعادة * فقد قيل في الامثال انّ من الحسن لشقوة * ومكثت مدة على هذه الحال من غير طائل * فان انفي وقف بيني وبين رزقي * وبلغ كبره من الفحش بحيث انه لم يدع لغير الاِبآء والاعراض عني موضعا * فقعدت يوما افكّر

فى خُلق الله تعالى هذا الكون * واقول يالحكمة الله كيف تخلق فى الدنيا انسانا ثم تخلق فيه شيا يمنع عنه رزقه وقوام معيشته * ما الفائدة من هذا الانف الضخم الذى لا يصلح لشى الا لان تضمّن فيهٔ اعجاز قفا نبك * ولمُ لم يقوّم منه شى ويكوّر فى جثتى * ومالى ارى بعض الناس جميلا كالمَلَك وبعضهم قبيحا كالشيطان * السنا جميعا خلق الله * اليس سبحانه يعمّهم كلّهم بعنايته على حد سوى * اليس الصانع الارضىّ اذا اراد ان يصنع شيا فانه يتانّق فيه ويتقنه عند استطاعته وياتى به من احسن ما يكون * هل يصوّر المصوّر صورة قبيحة الا لكى يضحك الناس من المصوّر عنه * العلّ فى ضِخَم الانف حُسْنا او خيرًا او نفعا ونحن معاشر المخلوقين لا نعلمه * ثم اقوم الى المرآة واتامّل وجهى فيها فانكره ولا اجد فيه موضعا للاستحسان * فاعود الى مذهبى الاول واقول * ان كنت انا لم استحسن وجهى فهل يستحسنه آخر غيرى * على ان الانسان يرى ذأم غيره فيه حسنا ورذيلته فضيلة * اترى فى الناس مَن يروق لعينه القبح * فقد يقال ان السود لا يرون فى الابيض منا حسنا * غير ان لون السواد عندهم عامّ فلذلك يستحسنونه * وما ارى غيرى مَن اقلّ أنفا كانفى حتى اطمع فى انه يكون مستحسنا * اما اللون فانى لست من البيض ولا من السود فانا بين اللاعنّين * الا ليت اهل بلدتى كانوا كلهم مثلى قُنافيّين فاتسلّى واتاسّى بهم * من اين ورثت هذا الجلمود وانف ابى كان كانوف الناس * ليت شعرى اين كان عقل ابى حين نقر فى راسه فكر انشاى فى هذا الكون وفى اىّ طود او طربال او منارة كانت امّى تتفكّر ليلة راوحَتْه على هذا العمل * الاّ ليتما غُشى عليهما تلك الليلة فما افاقا * او قَدَرا فما اطاقا * او سُحرا فما تاقا * او سُكّرا فماقا * وجعلت اجيل هذه الافكار

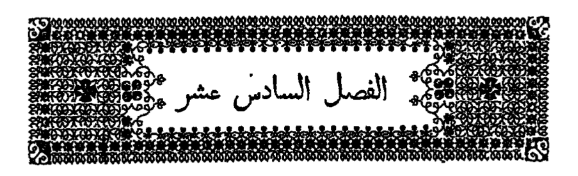
في راسيّ واصوغها في قوالب مختلفة وافانين متنوّعة * واذا بامراة متنقّبة اقبلت عليّ وقد نتأ من تحت نقابها شي شبيه بالقُلّة * فظننت انها جعلت حنجور عطر عند انفها لتشمّه عند مرورها على الجيف في اسواق المدينة * فسالتني عن شي تريد شراه فسعّرته لها فكانها استغلته فقالت لي اقصدْ فان تسعيرك هذا تسعير * فقلت لها وانّ شراءك لَشُري * فضحكت وقالت لقد احسنت في الجواب ولكنك اسأت في الطلب * فراعِ حقوق الشركة والجنسيّة فاني شريكتك ورفيقتك * فكان ينبغي لك ان تحابيني * قلت ايّ شركة بيننا اصلحك الله وهذه اول خطوة شرفتِني فيها بالزيارة * فرفعت النقاب واذا بانفها الناتئ يضيق عنه وجهها * وكانه واجهَ انفي ليحيّيه * فخطر ببالي ح ما قيل عن ذلك الغراب الذي كان يخمع والِفَ غرابا مهيض الجناح * وان احد الشعراء لما ابصرهما قال ما كنت ادري ما اراده بعضهم بقوله ان الطيور على الافها تقع حتى رايت هذين الغرابين * ثم اني بعتها اخيرا ما ارادت ان نشتريه * وحاولتُ ان اقبّلها قُبْلة واحدة تعويضا عما خسرته معها فما امكن لي * لان انفينا حالا ما بيننا * ثم ذهبَتْ ومكثت انا على تلك الحال مدة * فلمّا تحققت اني لا اصلح للتجارة لان النساء لا يشترين الا ممّن كان فرهدا غيْسانيّا تبركا بجمال طلعته في انهن يتمتّعن بما اشتريه من عنده * وتذكراً لذلك النهار السعيد الذي عرفنه فيه * واني مذ فتحت الدكان لم ابع الا لتلك الكُرنيفيّة وكان ذلك بخسلوة * عزمت على الرّهبانية فذهبت الى دير ما وقلت للرئيس * قد اقدمني الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة * فان الدنيا لا تغني عن الآخرة شيا * وان اللبيب من اتخذ دنياه هذه مجازا الى تلك * اذ لو كانت هذه

وطننا الذى شآءه لنا خالقنا لكنّا نعمّر فيها طويلا * على انّا نرى ان من الناس مَن يولد فيها ويعيش يوما واحدا فهذا دليل على انّا لم نخلق لها * واشباه ذلك من الكلام الذى جرى على السنة العبّاد * فقبلنى الرئيس واعتقد فىّ الفضل * واتّفق فى اليوم القابل انه حاول التسوّر على حائط لينفذ منه الى بعض بيوت الشركآء * فدخلت فى احدى عينيه قصدة من غصن شجرة فذهبت بها * فرجع غضبان وقد تشآم بقدومى الى الدير * اذ كان قد أَلِف التسوّر قبل مجيئى بمدّة طويلة ولم يعرض له شى قط * فمن ثمّ طردنى من الدير فدخلت ديرا آخر واحدث الكلام الاول * فقبلنى رئيسه فاقمت ثَمّ ايّاما اقاسى فيها من قشف المعيشة والوسخ ما لا يرضى الله ولا احدا من العالمين * هذا ما عدا ما كنت ارى من عناد الرهبان وتفرق ارائهم * وطعن بعضهم فى بعض وشكواهم الدائمة للرئيس من امور باطلة * وتكبّر هذا عليهم وأثَرته باشيآء استخصّها لنفسه من دونهم * وتنافسهم فيما يهدى اليهم النسآء من نحو منديل وكيس وتكّة * وزد على ذلك كله جهل الجميع اذ لم يكن فى الدير كله مَن يحسن كَتْب رسالة فى معنى من المعانى * حتى ان الرئيس نفسه ادام الله عزّه لم يكن يعرف ان يكتب سطرا واحدا بالعربية * وانما كان يخط هذه الحروف السريانية المعروفة عندهم باسم كرشونى * وكان هذا الجاهل يتبجّح بمعرفته لها ويحمل كل من دخل صومعته على اعظامها * حتى انه كان يدعو ايّا ما كان لزيارته * فكانت الاغرار من الرهبان تعتقد ان ذلك من حسن اخلاقه وكرم طباعه * وكان قد كتب بها على بابه سطرا وعلى الحائط سطرا آخر * فكنت حين انظر ذلك اضحك * وهو من غفلته يظن انى اضحك اعجابا بها * ومن كان خبّا متخاتلا من الرهبان على جهله (فان كثيرا من الناس قد

جمعوا بين الجهل والختل) كان يتقرّب اليه استجلابا لرضاه بان يقول
له وهو حاسر الراس تواضعا وخشوعا اكرم عليّ ياسيدى بنسخة من خطّك
اصلح عليها خطّي * فكان ذلك من احسن ما يُدلّ به عليه * فلما اشتدّ عليّ
الخطب من عشرتهم وخصوصا من رداءة الطعام طفقت ادمدم واتضجّر *
فسمعني يوما طباخ الدير اشكو من قلّة السمن فى الارزّ الذى كان يطبخه
فى بعض الاعياد العظيمة *وكان عُتُلًّا زنيما * فاستشاط مني غيظا وحملني
على كتفه كما يحمل الرجل ولده ولكن بلا شفقة * ثم ذهب بى الى
مَمار الدير وغطّسني فى خابية السمن وهو يقول * هذا السمن الذى
اطبخ به الارز الذى لم يعجبك ياصاحب الخرطوم * ياسليل البوم *
يانصيب المحروم * ياابن اللوم * ياابا الكبائر والجروم * يارائحة الثوم *
ياريح السّموم * ياأُغْلجوم * يامَنْهوم * يالَهوم * ياوخوم * وصبّ عليّ قوافى
كثيرة غير هذه * فبلغ مني تغطيسه عرضي فى السبّ اكثر من تغطيسه راسى
فى السمن * فتملّصت منه بعد جهد ودخلت صومعتي حتى اغتسل واذا به
يطرق الباب ويعجّ ويقول * لا بدّ من ان اعصر انفك فقد دخل فيه
من السمن ما يكفى الرهبان ايّامًا * ثم اهوى بيديه على منخرى كانهما
كلبتا حدّاد وجعل يعصرهما اشد العصر * حتى ظننت ان قد زهقت نفسى
منهما * فان الانف وحده دون سائر ثقوب الجسد محل دخول النفس
وخروجها خلافا لقوم * ولذلك يقال تنفّس الانسان * فلما شقّ عليّ ما
قاسيته ولم اجد فى الدير من اشكو اليه * اذ الرهبان كلهم يتملّقونه ويتودّدون
اليه حتى يشبعهم ولو من الثُرْتُم * (وهو ما فضل من الطعام او الإدام فى
الاناء) خرجت من الدير مبتئسا حزينا قانطا وقد ضاقت الدنيا عليّ
برُحْبها * وقلت ابن اذهب بانفى هذا الذى سد عليّ مذاهب الرزق *

ام اين يذهب بى هو * فخطر ببالى ان اقصد ديرا بعيدا كنت اسمع
عن رهبانه انهم صُلّاح * وان بعضهم يحسن الخط العربىّ ويحبّ
الغريب ويكرم الضيف * فتوجّهت اليه فلما سلّمت على رئيسه وطالعته
بما عزمت عليه احمد رأيى وهشّ بى * لكنه لم يتمالك ان
نظر الىّ نظر المتعجب منى المستعبذ من
شؤم تسعة تلحقه من انفى *
فمكثت فى ديره ما
شآء الله ان
امكث *





الفصل السادس عشر

في تمام قصة القسيس

وجعلت من همّي مدة مكثي هناك بادي بدء مداراة الطباخ ومساحنته والثناء عليه * فكان لا يحوجني الى شي مما يمكن نيله في الدير * حتى اني جعلت جُلّ مقامي في المطبخ * وكنت احسن ايضا طبخ الوان من الطعام لا يعرفها هو فعلّمته اياها فكلف بي * فكان رئيس الدير اذا استضافه احد عزيز عليه او اشتهى لونا من الطعام بخصوصه كلّفني به * فكنت اتانّق له في عمله ما امكن حتى حظيت عنده * اعني اني كنت اسامره واجلس بين يديه * ثم اني تلبّست بالصلاح والتقوى بين الرهبان * فكنت اسدل قلنسوتي حتى تبلغ قصبة انفي * ويا ليت العادة جرت بان يُستَر الانف بها كلّه * وكنت اذا مشيت اخفض راسي الى الارض ولا انظر يمينا ولا شمالا الّا لمحا * واذا اكلت او شربت او رقدت او مشيت او غسلت وجهي اخبر عن ذلك كله حامدًا لله ومثنيًا عليه * فاقول مثلا * قد خرجت اليوم من صومعتي ولله الحمد او ولله المجد وهي احبّ الى الرهبان * او تناولت في هذا الصباح مُسْهلا ان كان الله تقبّل وما اشبه ذلك مما عُرِف عند المتظاهرين بالتقوى * حتى اعتقد الرهبان فيّ جميعا الصلاح والفضيلة * وكنت ايضا قد كتبت بعض صلوات

ركيكة للرئيس فاعجب بخطّى ومدحنى على ذلك * ووعدنى بان يرقينى الى درجة تليق بى * اذ رآنى متميزا عن الرهبان بالعلم وجودة الرأى * واخصّ ذلك بكونى غَيْدارًا (الغيدار هو السيّئ الظن يظن فيصيب) ثم قدّر الله رب الموت والحيوة أنْ مات فى بعض البلدان البعيدة بعض القسيسين الذين يباشرون خدمة الرعية * اى الذين ياكلون ويشربون فى بيوت الناس لا فى الدير * والذين يختلطون برعيتهم خلافا لعادة الرهبان * فان هؤلآء لا يخالطون الناس الا عند الضرورة * فتسبّب رئيس الدير فى ان بعثنى الى ذلك البلد فى مكان القسيس المتوفّى اى بدلًا منه لا انى دفنت معه * فلما وصلت تلقانى اهل كنيستى بالاكرام والترحيب * فابديت فيهم الورع والعفة فشاع فضلى بينهم * حتى ان بعض التجار ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعانى الى منزله لاقيم عنده رجآء ان يفتح الله رحم امراته بسببى كما تقول التوراة فتلد له البنين * وكانت جميلة رشيقة القد * قاعدة النهد * تحب الخلاعة واللهو * والقصف والزهو * (سبحان الله ما احد يذكر النسآء الا ويهيج خاطره للسجع) فاقمت عنده مدة * فى انعم عيش وجِدَة * ثم عنّ لى ان اغازل زوجته واناغيها * واعاشرها واراضيها * فاجابت الى مُراودتى * ولم تبالِ بارنبتى * فان من طبع النساء الميل الى الولىّ * والاستغنآء عنه بالقصى * وما ادراك ما اعتذرت به احدى النسآء بقولها قرب الوساد * وطول السواد * فبرزت الدنيا لعينى ح فى احسن صورة * ونسيت ما لاقيت فى الدير من المشاقّ الكثيرة * وقلت لاعوضنّ علىّ ما دامت فرصة الحظ لى ممكنة * وشوارده مذعنة * كل ما فاتنى منه ايام كنت حانكا * وطبّاخا وناسكا * ثم فرضت على نفسى ان نقسم لذاتى معها على كل يوم شُبَرْ ءرة * كدأب المتزوج بحرّة * وعلى

الحاضر * وهو الان ايضا فى حيّز الغابر * بحسب البواعث والبوادر * فبدأت بالعدد * حتى بلغت الامد * وكان الرجل ذا نية سليمة * وشيمة مستقيمة * فلم يكن يسئ بى الظن * ولا يعوقه عن شغله امر يعنّ * فترك لنا قُطوف اللذّات دانيه * وكوس المسرّات صافيه * ومن العجب * الذى ينبغى ان يدوّن فى الكتب * انها كانت تخاصم الخادمة فى حضرته وغيابه * وتشتمها بين يديه افحش الشتم منعا للارتياب * ولم تخش منها تَبعة * ولا كانت من طردها جَزعة * وقد طردت كثيرا من الخوادم لسبب ولغير سبب * بعد سبّهن كل السبّ * وحملهن على الحقد والغضب * وذلك من معجزات النسآ وبِدَعهن الغريب الذى يعمى الرجال عن كُنه سرّه العجيب * والحاصل انى كنت أُعجب بحسنها * كما كنت أعجب من فنّها * وانى اقمت معها على هذه الحالة فى غاية السُرّ * مُفنقا راتعا ولا خطر (١) ومتزوّجا ولا مُهر * ثم استانفت عددًا آخر * اطول من ذاك واكثر * فلما ابطرتنى النعمة * وامنت من الدهر كل نقمة * نقر فى راسى ان اجمع بين الكافين * فان بكثرة العين قُرّة العين * وقلّما رايت من انهمك فى الاول * الا وتعاطى الثانى وما اشبهه من العُقَل * وذلك كالقمار والجَبْخ والفَقْخ والحَدْج والمَيْسِر والاِسجار والنَدَب والخَطَر والرَشق والقَرَع والنَجْش والصَبْن والضُغْو والغذمرة والمحارضة والمناحبة والمراهنة والمجازفة والمحاقلة والمزابنة والاجباء والمُداحلة والمعارضة والمنابذة والمبادّة والمباخسة والمعابنة والموالسة والتدليس والتَطويش والمقاطرة والمعاومة والمراوضة والمواصفة * فطهبل وطهفل * ومحل وتطهمل * ودجّل وزعفل * وابطل وتختّل * وعرفل وتبهلص * وتبلهص ويُهْصَل (٢) فاجتمعت برجل كنت اسمع عنه انه يتعاطى هذه الصنعة * وقد تفرّغ لها بجدّ وبذل فيها وُسعه * واوسع فيها بذله * وعقل بها عقله * وفى الحجاة والنفصيل * من دون قافيه وسجع طويل * تعاطيتها معه

(١) افنق الرجل تنعّم بعد البؤس

(٢) تبهلص الرجل وتبلهص خرج من ثيابه ويهصل خلع ثيابه فقامر بها *

(انتهى سجع القسيس) قال فجعلت انفق فيها ما اجمعه من العجائز والاغرار برسم النفوس والارواح * وانا مع ذلك مواظب على الصنعة كالاولى * بل كان ذلك داعيا لزيادة هيام كل مني ومن بزيعتي * فانها طمعت ح في الهدايا والصلات كما هو دأب النساء في كل امر يحدث لازواجهن وعشاقهن * فبلغ خبر صنعتي هذه الحديثة للجاثليق * فارسل يطلب مني المال الذي جمعته * فتعللت له بعلل اباها ولم يرضها * فتسبب في احضاري اليه وضبط ما كان عندي من متاع وغيره * ولم يشق علي فقد ذلك كله قدر ما شق علي انقطاع العدد الذي كنت شرعت فيه في بيت التاجر الصالح * ثم اني تفلت من عِكال الجاثليق بعد مدة كادت ان تنسيني لذات الايام الغابرة * وخرجت في طلب آخر نكاية لذاك فصرت الى جاثليق من اشد الناس عداوة لجاثليقي القديم * اذ العداوة توجد بين الجثالقة * كما توجد بين الزنادقة * فاقمت عنده مدة ثم خشي علي ان يرهقني من ذاك سوء فسفرني الى بلاد بعيدة في سفينة حرب * فما سرنا بعض ساعات حتى تعطل بعض ادوات السفينة وخشي رُبانها ان تغرق بهم * فرجع وقد تشأم بي وقال لبعض الركاب انه انما جرى عليه ما جرى من شُمَخْتَرِيَّتي * فتعجبت اذ بلغني كلامه جدا * لان اولئك القوم لا يرتسمون ولا يتشاءمون * ولا يتطيرون ولا يتفاءلون * ولا يتحتمون ولا يتيمنون * ولا يتسعدون ولا يتمسحون * ولا يُقلدون بعُود الشبارق ولا يستعملون نُبّت العُطَف * وما عندهم هَقْعة ولا لُجام * ولا عاطوس ولا عاطس * ولا كابح ولا كادس * ولا قعيد ولا داكس * ولا بارح ولا سانح * ولا زَجْر ولا تحزّي * ولا عَيْثرة ولا عِيافة * ولا طَرْق ولا عرافة * ولا هَجيج ولا كهانة * ولا ابنا عيان ولا تنجّي * ولا ألمة ولا حُفوف * ولا لُعطة ولا انتجاء * ولا تنشرة ولا تعيد * ولا طلاسم ولا تنشهق *

ولا عزائم * ولا رُقَى ولا تمائم * ولا اليَنْجَلَب ولا تُوَلَة * ولا جَوْط ولا غرّ * ولا تدسبم النونة ولا شدّ الحِقاب * ولا رَسْع ولا ضَخْبة * ولا قُلَيب ولا كَبْدة * ولا وَجيْه ولا سُلْوانة * ولا سُلْوان ولا عُقَرة * ولا مَجُول ولا مُهْرة * ولا أُخْذة ولا عُوذة * ولا هَبْرة ولا رأْمة * ولا كَحْلة ولا هِنمة * ولا جُلْبة ولا صَرّة * ولا قَبْلة ولا نُشْرة * ولا قُبْلة ولا نَفْرة * ولا صَدْحَة ولا هَمْرة * ولا زُرْقَة ولا عَطْفة * ولا فَطْسة ولا صَرفة * ولا غَضار ولا كَرار * ولا بَرِيْم ولا حِرْز * ولا خَصْمة ولا رَتيمة * ولا أَسْحم ولا صِهْميم * ولا تذءّب ولا صوت اللُّوَف * ولا هامة ولا صفر * ولا أُخْذة النار ولا تنجيس * ولا نُحْج ولا إنكيس * ولا اسُّ ولا شَجَيْثا * ولا طبّ ولا تَوَل * ولا سحْر ولا ماقِط * ولا عاضه ولا مستنشة * ولا نفاثات في العُقَد ولا صدى * ولا شعبذة ولا نَيرَنج * ولا شعوذة ولا حابل ولا حاوٍ * ويومئذ ايقنت ان القنافيّ مكروه عند جميع الامم * وان اوقية لحم زائدة في وجه الرجل تشقيه وتحرمه * ورطلين في بتيلة المرأة يسعدانها ويفيزانها * فزاد تعجبي من هذه الدنيا المبنيّة على رطلين واوقية من اللحم * ومع ذلك فلم يمكن لي الزهد فيها * ثم انى سافرت بعد ذلك الى تلك البلاد وامنت فيها من مكر اعدآى * .واستاجرت بيتا واتخذت لى امرأة تخدمنى * وقد جرت العادة فى تلك البلاد وفى بلاد الافرنج ايضا بان يتخذ القسيسون نسآء للخدمة * فتاتى المراة احدهم صباحا وهو فى فراشه الونبر وتقضى له ما يروم منها * فلما ذقت طيب العيش وسوس الىّ الوسواس ان اتزوج بنتا فقيرة لكنها كانت جميلة * غير انى لم اكن على يقين من نهود ثدييها ومع ذلك فقد كلفت بها * فطلبت من الجانليق ان يزيد وظيفنى فأبَى * فا لححت عليه وهو مصرّ على المنع وانا مصرّ على الاستزادة * ثم ناقشته وراغمته فراى ان يردّنى من حيث جئت * فسرت الى جانلبق محب

للجاثليق الاول فسرّ برؤيتي وانزلني عنده * فرجعتُ الى ما كنت عليه سابقا * وها انا مترقب فرصة اخرى تمكّنني من المقايضة على هذا الشخص الآخر ايضا فانه جاهل جدّا * وعندى ان مبادلة الجثالقة فى هذا الزمان العَسُوف * انفع من حجر الفيلسوف * انتهت قصة القسيس وهذا تفسير ما اشار اليه آنفًا من الالفاظ الغريبة *

ابناعيان . طائران او خطّان يخطهما العائف فى الارض ثم يقول ابناعيان أَسْرِعا البيان الخ *

أُخْذة النار بُعَيد صلاة المغرب يزعمون انها سرّ ساعة يُقتَدح فيها *

الأُخْذة رُقية كالسحر او خرزة يؤخَّذ بها *

الارتسام التكبير والتعوّذ والتختّم التفاؤُل *

الأَسْحم الدم تغمس فيه ايدى المتحالفين *

أُسْ كلمة تقال للحيّة فتخضع *

الانكيس فى اشكال الرمل كالمنكوس *

البارح من الصيد ما مرّ من ميامنك الى مياسرك *

البريم خيطان مختلفان احمر وابيض تشده المراة على وسطها وعضدها..... والعوذة *

التحزّى حزا حزوًا وتحزى زجر وتكهّن وحزّي الطير ساقها وزجرها *

تدسيم النونة تدسيم نونة الصبيّ تسويدها كيلا تصيبها العين *

المتذعّب تذعّبتْهُ الجنّ افزعته *

التشهّق شهقت عينُ الناظر عليه اصابته بعين *

التشوّه يقال لا تشوّه عليّ اى لا تصبنى بعين *

التعيّد تعيّدَ العاينُ على المعيون تشهّق عليه وتشدد ليبالغ في

اصابته بعينه * ذكره الفيروزابادى فى ع و د *

التنجيس — اسم شى من القذر او عظام الموتى او خرقة الحائض كان يعلّق على من يخاف عليه من ولوع الجن به *

تنجّى — تنجّى لفلان تشوّه له ليصيبه بالعين كنجا له ونجأه بالهمز اصابه بالعين *

التُوَل — تال يتول عالج السحر *

التُوَلَة — السحر اوشبهه وخرز تحبّب معها المراة الى زوجها كالتِوَلَة *

الجُلْبة — العوذة تخرز عليها جلدة *

الحابل — الساحر *

الحِرْز — العُوذة *

الحُفُوف — شدة الاصابة بالعين *

الحَوْط — خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلّا تصيبها العين *

الخَصْمة — من حروز الرجال تلبس عند المنازعة او الدخول على السلطان *

الرأمة — خرزة المحبة *

الرَتيْمة — كان من اراد سفرا يعمد الى شجرة فيعقد غصنين منها فان رجع وكانا على حالهما قال ان اهله لم تخنه وّالا فقد خانته وذلك الرَتَم والرتيمة *

الرسع — رسع الصبىّ شد فى يده او رجله خرزا لدفع العين *

الزجر — العيافة والتكهّن *

الزُرْقة — خرزة للتاخيذ *

السانح — ضد البارح *

السُلوان ما يُشرَب ليسلّى او هو ان يوخذ تراب قبر ميت فيجعل فى مآ فيسقى العاشق فيموت حبّه الخ *

السُلوانة خرزة للتاخيذ وخرزة تدفن فى الرمل فتسودّ فيبحث عنها ويسقاها الانسان فتسلّيه *

شد الحِقاب الحِقاب خيط شدّ فى حِقو الصبى لدفع العين *

الشَعْبَذة الشعوذة *

الشَعْوَذة أُخَذ كالسحر يُرى الشى بغير ما عليه اصله فى راى العين *

شحيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح *

الصَخْبة خرزة تستعمل فى الحبّ والبغض *

الصَدَحة وبالضم والتحريك خرزة للتاخيذ *

الصَرّة خرزة للتاخيذ *

الصَرْفة خرزة للتاخيذ *

الصِهْمِيم حُلوان الكاهن *

صوت اللوف نبات له بصلة تسمّى الصرّاخة لان له فى يوم المهرجان صوتا يزعمون ان من سمعه يموت فى يومه *

الصَفَر حيّة فى البطن تلزق بالضلوع فتعضها او الخ *

الطِبّ مثلثة الرفق والسحر *

الطَرق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف اذا تكهّن *

العاضه الساحر والعِضة الكذب والبهتان والسحر *

العاطوس ما يُعطس منه ودابّة يتشاءم بها والعاطس ما استقبلك من امامك من الظبآ *

العِرافة العرّاف الكاهن والطبيب وصنعته العرافة وقد عرف ككتب *

العَطَف نبت يوخذ بعض عروقه و يُلوى و يطرح على العارك فتحبّ زوجها *

العَطْفة خرزة للتاخيذ *
العُقَرة خرزة تحملها المراة لـئلّا تلد *
عود الشُبارق الشبارق شجر عال ويقلّد الخيل وغيره بعوده للعين *
العيافة عفتُ الطير اعيفها عِيافة زجرتها وهو ان تعتبر باسمآئها ومساقطها وانوآئها فتتسعّد او تتشآم *
العَيْثَرة عيثر الطيرَ رآها جارية فزجرها *
الغزّ غزّ الابلَ والصبيّ علّق عليهما العهون من العين *
غُضار وكَرار الغضار خزف يحمل لدفع العين وكرار خرزة للتاخيذ تقول الساحرة ياكَرار كُرّيه وياهمرة اهمريه ان اقبل فسرّيه وان ادبر فضرّيه *
الفُطْسة خرزة لهم للتاخيذ يقلن اخذته بالفُطْسة بالثُوبآ والعَطْسة *
القَبْلة ضرب من الخرز يوخّذ بها *
القَبَلة ما تتخذه الساحرة لتُقبل به وجه الانسان على صاحبه *
القُلَيب خرزة للتاخيذ *
الكابح ما استقبلك مما يتطيّر منه *
الكادِس ما يتطيّر به من الفال والعطاس وغيرهما والقعيد من الظبآء وهو الذى يجى من خلفك ويتشآم به ونحوه الداكس *
الكَبْدة خرزة للحبّ *
الكَحْلة خرزة للتاخيذ او للعين *
اللُجام ما يتطيّر منه *
اللَخْج لجه بعينه اصابه بها *
اللُعطة اسم من لعطه بسهم او بعين اصابه *
اللَمّة يقال اصابته من الجنّ لمّة اى مسّ اوقليل والعين اللامّة المصيبة بالسوء *

الماقِط الحازى المتكهن الطارق بالحصى *

المِجْول العُوذة *

المُسْتَنشَة الكاهنة *

المَهْرة خرزة كان النسآء يتحببن بها *

النُشْرة رقية يعالج بها المجنون او المريض *

النفّاثات فى العقد السواحر *

النُفْرة شى يعلّق على الصبى لخوف النظرة *

النَيْرنَج أُخَذ كالسحر وليس به *

الهامة الصَدَى وهو طائر يخرج من راس المقتول بزعم الجاهلية *

الهَبْرة خرزة يوخذ بها الرجال *

الهجيج الخطّ يُخط فى الارض للكهانة *

الهَقْعة دائرة فى الفرس يتشآم بها *

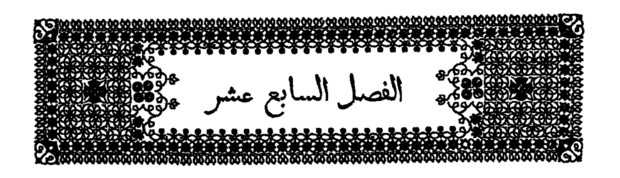
الهَمْرة خرزة للتاخيذ *

الهِنّمة خرزة للتاخيذ *

الوجيه خرزة م كالوجيهة * قلت الظاهر انها للوجاهة *

الينجلب خُرزة للتاخيذ او للرجوع بعد الفرار *

الحاوى رجل حُوّآء وحاوٍ يجمع الحيات * قلت هذا غاية ما ذكره صاحب القاموس فى ح ى ى والظاهر انه واوىّ و لكن ضعّفه فى الواو بقوله قيل ومنه الحية لتحوّيها الخ وقوله يجمع الحيّات كانه لحّظ فيه معنى حوى لا يناسب ما قاله فى تفسير الجِنْفِش وعبارته * او حية عظيمة ضخمة الراس رقشآء ركدآء اذا حويتها انتفخ وريدها * فهو صريح هنا فى الرقية وقد ذكرت ذلك وما اشبهه فى كتاب مفرد *



الفصل السابع عشر

في الثلج

لا غرو ان يجد بعض القارئين كلامي في هذا الفصل باردا لاني كتبته في يوم عبوس قمطرير * ذي زمهرير * والثلج اذ ذاك ساقط على السطوح * وقد سدّ الطرق ودخل في البيوت والصروح * وكاد يطفي النار * ويذهب بالاصطبار * ويمنى بالقَمَر والقِمار * غير انه لا ينكر احد ان شارب الثلج او آكله او اللاعب به يحسّ منه بحرارة * وكذلك قاري كلامي فانه وان وجده باردا فلا بدّ وان يحتمي عليّ من هذه البرودة * فيكون قد حصل الغرض وهو تسخين دماغه * ولا سيما اذا كان قد بقيت فيه بقية غيظ وحدّة من الفصل المتقدم * ولكني لم اقصد فيما حكيته الا الصدق * ولو خطر ببالي ان آتي افكا وعضيهة لاوعيت ذلك في قصيدة وختمتها بدعاء ومدح لاحد البخلاء * ومن مارانى في ذلك فليسال القسيس نفسه * الا ان الثلج يخالف كلامي من جهة انه يسقط على الاسود فيبيّضه وكلامي قد سقط على القرطاس فسوّده * وكلاهما في ظني يروق العين وكلاهما يجتمعان في هذه الجهة * وهي ان الثلج لا تطلع عليه الشمس اياما الا ويذوب * وكذا كلامي فانه لا يكاد يبقى منه شي في راس القاري بعد تقمّره او عند ظهور بُوح عليه * وهناك جهة اخرى تضمّهما * وهو ان الثلج بعد سقوطه يسنا عنه الصحو وانجلاء الجو * وكذلك كلامي فانه بعد تساقطه من راسي يسنا عنه انجلاء جوّ فكري وصحو بالي واستعداده الى

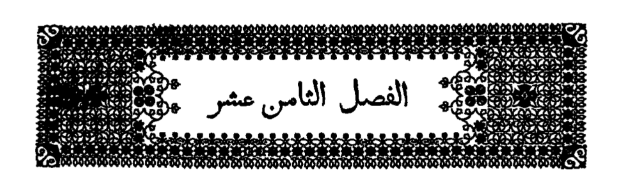
ما يروق ويروع * فعلى كل حال تجد المشابهة هنا فى موقعها وعذرى فى محله * وبعدُ فانى ارى الاغنياء المثرين يتخذون فى ديارهم الفسيحة مساكن للصيف واخرى للشتاء وكِنًّا للمبيت واخر للاستحمام * ومن لم يكن له من غيرهم الا بيت واحد فغير جدير بان يزار فيه الا حين يكون بيته موافقا لوقت الزيارة * او يكون وقت الزيارة موافقا لبيته * فبناء على ذلك ينبغى للعلماء اقتداء باكابرهم الاغنياء ان يتخذوا لهم فى رؤسهم الفيحاء مواطن متعددة مختلفة لما ياتى عليهم من الكلام البارد والفاتر والحميم * ففى وقت ثوران الدم وهيجان الطبع يقراون البارد تقليلا مما حركهم من بواعث الحرارة * وفى وقت السكون يتلون الحميم * او بالعكس على مذهب من يداوى الشيء بجنسه لا بضده * لا يقال ان القارى يضيع وقته فى تمييز البارد والحميم من هذه الفصول * اذ لا يستوعب مضمونها الا اذا اتى على آخرها * بخلاف سائر الكتب فانه لا يتعمّد فيها الكلام البارد فهى على منهاج واحد * فانى اقول ان كل فصل من تلك الفصول له عنوان يدل عليه دلالة قطعية كدلالة الدخان على النار * فمن درى العنوان فقد درى الفصل كله * مثال ذلك اذا مرّ بك فى احد الفصول ترجمة البالوعة او البلّوعة او البلّاعة او البُرْبُخ او الاَرْدَبة فلا بدّ لك من ان تفطن الى ان حمارا من حُمُر الدير قد غطس فيها للتعريب او الترجمة * الا انه لا ينبغى للقارى اذا درى مَغْزى الفصل من العنوان ان يضرب عن قراته * ثم يقول متبجحا بين اقرانه واخوانه قد قرات كتاب الساق على الساق وفهمت معانيه كلها * فان ذلك يكون كقول مُقنس (۱) قد رايت اليوم الامير اعزه الله وكلمته مع انه لم يكن راى منه الا قذاله عن بُعد * ولم يتح له تقبيل يده الشريفة * اوكان ذلك الامير قد ساله عن شيء فتلعثم فى الجواب او تروّى فيه فسبّ اباه واجداده ولعنه

(۱) افنس الرجل ادّعى الى فس شريف (اى اصل) وهو خسيس

وتهدّده بالصلب او بسَمْل عينيه * اوكقول هبنّقع (المزهوّ الاحمق المحبّ لمحادثة النسآء) قد رايت اليوم فلانة * ولما ان واجهتني وقفتْ وتنفّست الصعدآ * مع انها تكون قد وقفت لتبصق او انها تنفّست الصعدآ بُهْرا * بل الاولى ان ينوي القاري عند افتتاحه هذا الكتاب ان يتصفحه كله من اوله الى آخره حتى حواشيه وعدد صفحاته * ويعتقد ان لكل مولف اسلوبا * وانه لا يمكن لاحد ان يعجب الناس كلهم * اذ الاهوآ متفاوتة والارآ مختلفة * ومن الاسرار التي بقيت مكتومة عني انك تجد بعض المولفين فاتر الحركة غير ذي نشاط ولا مرح * قليل الارتياح الى ما يبعث على التهاوش والتناوش * متقاعس الهمة عن السَّبح والحركة * ناظرا الى الحوادث كلها نظر المتوقع لها * وهو مع ذلك اذا اخذ القلم انبض كل عرق في القاري وحرك كل ساكن * ومنهم من تراه نَزِقا حركا ذا تترّع وتسرع وحفد وصَمَيان واقبال وادبار وسعي وتهافت * ومعاجلة ومبادرة ومزاحمة ومزاهمة ومسابقة ومحاشرة * ثم هو ان قال شيا سقط من راسه على ذهن القاري سقوط الثلج حتى يكاد ان يخمد منه ذكآه * فلما تاملت في ذلك وتحققته ارتبت في كون سقوط الثلج ناشئا عن فرط برودة متكونة في الهوآ وقلت بل لعل سببه فرط حرارة حزّت في صدرْ الجو على سكان هذه الارض * ووافر وغر تكوّن في حشاه فلفظه عليهم ناجيا انْتقامًا منهم عما ياتونه في الليالي الباردة من المنكرات * وذلك ان بعضهْم يحاول عكس الطبيعة فيسخّن فراشه باداة فيها نار * وبعضهم باداة فيها مآ حميم * وبعضهم باداة فيها شراب * واخرون باخرى فيها لحم * وربما كان من ذلك اللحم لحم خنزير اجلّك الله * فمن اجل ذلك اسقط الجوّ عليهم الثلج المتراكم منعًا لهم من الخروج من ديارهم لاستعمال هذه الادوات لكي يستريح من فسادهم ولو يومين *

الا انه قد فاتة ان كثيرا من هولاء الناس يتخذون اداة للاداة او اداة لاداة الادوات * مثال الاول ما اذا تربّع الغنى فى دسته وتدثر بفروته وقال لغلامه سرّ ياغلام الى محل كذا واْتنى منه باداة لتسخين فراشى هذه الليلة * فيذهب الغلام يطأ الوحول والثلوج ورجل سيده نظيفة * ومثال الثانى ما اذا كان السيد جوادًا سخيًا فيبعث غلامه فى مركب له او فى آخر مما يستاجر من الطرق * او اذا كاَن ذا سيادة وامارة ويريد ان يكتم سرة عن غلامه * لان لذة الخادم انما هى التلبس فى عرض مخدومه وجعل نفسه اولى بالمخدومية منه * فيستعمل ذلك السيد آخر او اخرين او أُخر فى مكاَن غلامه * ويكُون قد بعث اليهم من قبل ذلك بهدية على يد خادمه اظهارا لمكارمه * او انه اعطاهم اياها من يده * فيكون سقوط الثلج على اى حال كان سببا فى التسخين والحرارة * لانه اذا اعتُبر فى حق المخدوم كان سببا فى اتخاذه الاداة * وان اعتُبر فى حق الخادم وغيره ممن سدّ مسدّه كان موجبا للحسد * وهو من اعظم الموثّرات تسخينا واحماء * ومع كونه اى الثلج يرى ساقطا على كل موضع فى المدينة دون تمييز دار عن دار فان لفظه فى الحقيقة لا يصيب الا روس بعض الناس * وكان الاولى ان يطرد حكمه فيعمّ لا مثل احكام اللفظ الارضى فانها تجرى على قوم دون قوم * والفرق بين اللفظين هو ان الثلج لما كان سقوطه او لفظه من علو الى سفل كان المظنون به انه يتصوب على جميع الروس بشدة * فيشمل الكبير منها والصغير والمسفّط منها والمسمرَط * فاما الاحكام والقوانين الارضية فمن حيث كان لفظها من سفل الى علو اى من روس ناس مسودين الى روس ناس سائدين * لم يكن من المحتمل ان يكون تبعّثها قويا حتى يبلغ ذوى الرفعة والعلآ الذين بمرّ السحاب من

تحت قُذُلهم * ثم ان الثلج معما يتبعه في الواقع من الضنك والمشقة لمن الفه فقد يروق لعين من لم يكن رآه * فقد بلغنا ان بعض الصعاليك كان مرة ضيفا عند اناس لم يكرموه ولم يحتفلوا به اذ كان دونهم في المعارف والنباهة * وكان بلدهم لا يسقط فيه الثلج البتة * فلما فصل من عندهم الى بلاد اخرى راى فيها الرزق وعاين بها الثلج كبّر لرؤيته وهلّل واعجب به غاية الاعجاب * حتى زعم انه منة من الله خصّ بها ذلك الصقع تمزية له على غيره * كما انه تعالى حرم منها بلد مضيفه الاول * وكذلك كلامي ههنا فانه معما فيه من الاستطراد والحشو والالفاظ المضغوطة بين المعاني ومن المغازي المعقودة بالتلميح والتلويح * والتحويل والتمليح * فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الف هذا التخليط بل ربما يحمله الاعجاب به على تحديه ومحاكاته * ولكن هيهات فان الباب قد اغلق في وجوه المتحدّين * على انى لست ازعم انى اول كاتب في الدنيا نهج هذه الطريقة واسعطها المتناعسين * الا انى رايت جميع المولفين في سَهْوة كتبي قد قيدوا انفسهم بسلسلة نَفَس من التاليف واحدة * لكننى لا اعلم الان هل غيّروا اسلوبهم اَوْ لا * اذ قد مضى علىّ بعد فراقهم اكثر من خمس سنين * فكانّ العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد عرف سائر الحَلَق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يسمّى حلقيّا * بناء على انه مشى ورآ القوم وحذا حذوهم * فاذ قد تقرر ذلك فاعلم انى قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقى ولا بسُتَيْهِىّ ولا اكون امام القوم فان الثانية انحس من الاولى * وانما انا مستقبل لما استحسنت * آخذ بناصية ما استظرفت * رافض مكلف العادة *



الفصل الثامن عشر

في النحس

لقد ارحت سن القلم من كدم اسم الفارياق قليلا بعد ان تركته مع القسيس الربيط * وتلهّيت بالكلام على الثلج لما داخلني من فرط الحدة عليهما معًا * اما على القسيس فلكونه خان صديقه الذي اواه الى منزله في حرمته * وكان ينبغي له ان يذهب الى مواجرة او يفعل كسائر القسيسين من اهل حرفته * اذ لو كان الله تعالى رزق ذلك التاجر ولدا على نيّته اي فتح له رحم امراته كما تقول التوراة لكان اربعة ارباع هذا الولد من القسيس والباقي وهو اسمه من التاجر * فيكون قد اقام نفسه مقام مَن يربّ النغول * مع ان اول ذكر فاتح رحم كما تقول التوراة مبارك ومعظم عند جميع الامم * ولهذا كان حق الوراثة عند الانكليز للبكر اي لفاتح الرحم * فكيف يحاول القسيس هنا جمع اللعنة والبركة على راس مخلوق واحد * إنّ ذلك لا محال * واما على الفارياق فلانه هو الذي كان السبب في افشآء هذا السرّ بما ابداه من العناد والتصلّف في حفظ ابياته التي لا اشك في انه ارتكب فيها المين والغلو والمبالغة المردودة لغير نفع * وهو مع ذلك يحسب انه يحسن صنعا * فاما مشابهة الولد اباه في الخَلق هل هي دلالة قطعية على كونه ابنه فغير متفق عليها * فذهب بعض

الى انها ليست علامة كافية * لان الام قد يحتمل فى حالة كونها مسافحة ان تكون مفكرة فى زوجها ومتصورة له فياتى توزيع الجنسين بحسب هذا التصوّر * وذهب بعض الى ان الام وحدها لا فاعلية لها في التوزيع فقد ياتى بعض الاولاد مشابها لعمّه او خاله او لآخر ممن لم تكن امّه قد راته قطّ * والان ينبغى لى ان استمر فى القصة * وان اعرضها على مسامع القارى من دون اجراض احدنا بغصّة * فاقول قد تقدم فى اول هذا الكتاب ان الفارياق وُلد والطالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى التيس * والسرطان واقف على قرن الثور * فاعلم هنا ان النحس على قسمين نحس ملازم ونحس مفارق * فالنحس الملازم ما لزم الانسان في يقظته ومنامه واكله وشربه وغدوه ورواحه وفى كل ما ياتيه * والنحس المفارق ما خالف ذلك اعنى ما لزم الانسان في حال دون حال * واعرف ما يكون لزومه فى الاحوال الخطيرة الشان كالزواج والسفر وتاليف كتاب ونحو ذلك * ثم ان ماهيات النحس الملازم مختلفة ايضا * فمنه ما يكون كالعقده المحكاة * ومنه كالربقة ومنه كالمسمار * ومنه كالوتد ومنه كالمشبك * ومنه كالقفل بلا مفتاح ومنه كالغِراء ومنه كالغِجار * ومنه كالبِجاد ومنه كالشِراس * ومنه كالدبق والطِبق اوكالرُومة او الشُرط واللزاق * ومنه كالجلد ومنه كالدم السارى فى جميع اوصال الجسد ومفاصله * وجناجنه وسلائله * وسناسنه وشلاشله * وترائبه وتراقيه * وشراسيفه وبوانيه * وغضاريفه وحوانيه * ورَبَلاته ومذاخره * وعَضَلاته ونواشره * وعصبه وبواهره * واعصاله ومرادغه * وسافينه وناعورة * ووريده ووتينه * واسهرَيّه واخدعَيه * ومريئه وفليقه * وحلقومه وبخاعه * ونائطه ونخاعه * واوداجه وذِفراه * وثُفنته وشظاه * ورواهشه وشرايينه * ونسيسَيْه واشلائه * وعموده واشوائه *

فنحس الفارياق كان من هذا النوع * غير انه لا ينبغي ان يفهم هنا انه كان دمويا اى كثير الدم او محبا لسفكه او ولاجا فيه * فانه كان منزها عن هذه الصفات كلها وانما كان نحسه كالدم من جهة انه كان ملازما له في جميع احواله * فقد حكى وان يكن كاذبا فعليه كذبه انه بات ليلة وقد راى في المنام انه شرب مثلوجا ثم شرب عقبه سخينا فاصبح يشكو من وجع في اضراسه شديد ومن بحح في حلقه * وكان يحلم انه يتهور من قنة جبل او يسقط عن ظهر جمل فيغدو وظهره متقوس * وكان اذا حلم انه اكل الكامخ مغسه في ليلته . او شرب أجاجا او زعاقا قآ * او اشتم روائح كريهة غثت نفسه * وكان اذا حدثه احد بانه راى في حديقته رِبحلة راى هو في المنام ليلته تلك انه في

وَيْل — واد في جهنم او بئر او باب لها *

او في المُوبِق — واد فيها *

او في الفَلَق — جهنم او جب فيها *

او في بُولَس — سجن فيها *

او في سِجِّين — واد فيها *

او في أثام — واد فيها *

او في الحُطَمة — باب لها *

او في غَيّ — واد فيها او نهر *

او في الصَعُود — جبل فيها * وحوله

لُبَيْنَى — اسم بنت ابليس *

او زَلَنْبُور — احد اولاد ابليس الخمسة *

او مِسْوَط — ولد لابليس يغرى على الغضب *

او السُرْحوب   شيطان اعمى يسكن البحر*

او خُنْزُب   شيطان *

او السَرْفح   اسم شيطان *

او الجِمّ   الشيطان او الشياطين *

او نُهّم   شيطان *

او هَياه   من اسمآ الشياطين *

او الحُباب   اسم شيطان *

او الأَزَبّ   اسم شيطان *

او أَزَبّ العقبة   اسم شيطان *

او الهِرآ   اسم شيطان موكّل بقبيح الاحْلام *

او الوَلْهان   شيطان يغرى بكثرة صبّ المآ فى الوضو *

او الخُبْث والخبائث   ذكور الشياطين واناثها *

او السَفِيف   ابليس ويسمّى ايضا المبطل وكنيته ابو مُرّة وابو قِتْرة *

او عمرو   اسم شيطان الفرزدق *

او القِلّوط   من اولاد الجن والشياطين *

او الشَيْصبان والبَلأزر والقازو والخابل والخَنّاس والوَسواس والفتّان والأَجْدع *

وكان اذا بصر من كوّة بعته بكمكامة مكماكة خيّل له فى المنام انه سے

ارض خافية   بها جنّ *

او فى البِراص   منازل الجن *

او فى البَلّوفة موضع بناحية البحرين فوق كاظمة يزعمون انه من مساكن الجن*

. او فى الباقر   موضع برمل عالج كثير الجن *

او العازف   ع سمّى لانه نعرف به الجن *

او فى الحَوْش بلاد الجن *

او فى وَبار وبار كقطام وقد يصرف ارض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن إرَم لما اهلك الله تعالى عادا ورّث محلتهم الجن فلا ينزلها احد منا *

او فى عَبْقر ع كثير الجن *

او فى جُبَّهم ع كثير الجن * ولديه

الشَّيْصَبان قبيلة من الجن *

او بنو هنّام قبيلة من الجن *

او بنو غَزْوان حىّ من الجن *

او دَهْرَش اسم ابى قبيلة من الجن *

او اُحْقَب اسم جنى من الذين استمعوا القرآن *

او زمزمة قطعة من الجن *

او الشِق جنس من الجن *

او شِنقْناق رئيس للجن *

او العِسْل قبيلة من الجن *

او العِسْر قبيلة من الجن وهو ايضا اسم ارض للجن *

او السِعْلاة والعَيْشَجور والشّهام ساحرة الجن *

او السَّعْسَلِق امّ السّعالِى *

او العُضْرُفوط من دوابّ الجن *

او النَظْرة الطائف من الجن *

او الزَوْبَعة رئيس للجن *

او الخافى والخافية والخافيا الجن وكذا الخَل *

او التابع والتابعة   الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه حيث ذهب *

او العَكَنْكَع والكعنكع   الغول الذكر *

او الخَيْدع   الغول الخدّاعة *

او السِلْتم والصَيْدانة والخَيْعَل والخَيْلَع والخولع والخيتعور والسَمْرمرة والسَمْع والعَوْلَق والعَلُوق والهَيْرَعة والهيعرة والمَلْد والعفْزناة (كلها من اسمآء الغول) *

او الجِتْرِيس   الغول الذكر *

أو التِمْسَح   المارد الخبيث *

او الدِرْقِم   اسم الدجال وهو ايضا المِتْبِتِح كسكّين *

او الطُخْمُوس   المارد من الشيطان والخبيث من الغيلان *

او الزَّبانية   جمع زِبْنية وهو متمرد الانس والجن ومثله العِكَبّ *

او الحَيْزَبون   وكانّ صاحبنا وَهِم فى هذه فانى لم اجدها فى القاموس فكيف يمكن رؤيتها فى المنام * واسمها غير موجود فى قاموس الكلام * مع ان المص رحمه وزن عليها الحيزبور والخيتعور والقيدحور والعيجلوف والعيطبول والهيجبوس والجيهبوق والزيزفون والجيثلوط والعيضموط * ثم انه كان اذا سمع خَنبة تكلم رجلا بمنطق رخيم سمع فى الليل عَزيفا وهَساهِس وتَهويدا وزِيْزِما وهَدْهَدا ونَهَزْجا وزِى زِىْ * (كلها من اصوات الجن) واذا راى جارية تَرْدى نصف النهار (١) جآء فى نصف الليل الكابوس والجاثوم والدُوْفان والنَيْدَل والباروك والدِيثان والدَيثانى * وراى ليلة ما ان قد زفت اليه عروس فاتاه تيس وجعل ينطحه بقرنيه فاستيقظ فاذا بقرن راسه مرضوض * وراى ليلة اخرى ان قد وجد على شاطى نهر دنانير ودراهم فمدّ يده واخذ منها خمسة عشر درهما لا غير * فلما عبر الشط الثانى راى شيخا بيده كرة يديرها * فكان كلما ادارها اخذ الفارياق فى ظهره وجع شديد كوجع

(١) رَدَت الجارية رفعت رِجْلا ومشت على اخرى تلعب *

الدآ المعروف في بلاد الشام بالوثاب * فلما رمى بالدراهم من يده من شدة ما اصابه سكن عنه الوجع * وراى ليلة اخرى ان رجلا مغربيا اتحفه بشي فتلقفه في الحال مشرقي وذهب به * قال والى الان لم يرجع به مع انتظاري له كل ليلة * وقس على ذلك سائر احلامه * ومما قاله في الحلم نظما *

كانّ همومي وهي تحت مخدّتي اذا بتّ تُغرى بي الهرآ لتُذْرِئه
تقول عليّ اليوم كان بُواله وانّ عليك الليلَ ذا ان تخرّته

وقال

أُسرّ اذا انقضى يومي لانني ارجّي فيه احلاما تسرّ
فاحلم انني اسعى واشقى فليلي مثل يومي او اشرّ

وقال ايضا

ويارب حتى في المنام تروعني باضغاث احلام تسوء وتزعج
فياليتني اشقى نهاري وفي الكرى أُسَرّ برويا من احبّ وابهج

وعنّ له يوما ان يمدح بعض ذوي السيادة والسعادة * فلما حظي بلثم اعتابه الشريفة وانشده القصيدة رجع القهقرى على عادة اهل بلاده من ان الصغير لا يُرِي الكبير قفاه * اشارة الى انه لا قذال لا قذال الكبير * ثم جآه الحاجب يقول ان الامير ادام الله دولته * وخلد صولته * وجعل الشمس والقمر نعلا لفرسه * وجعل يومه خيرا من امسه * وجعل ظله ممدودا على الارض ظليلا * وجعل طرف الكون بتراب نعاله مكحولا * وجعل الثريا مقرا لرجليه * والعيوق شراكا لنعليه * وجعل الوجود باسمه مبتهجا * وبابه لكل لائذ رتجا مرتجى * وجعل ـــ فلم يتمالك الفارياق ان بادره وقال دعني من جُعَل ياجُعل * ماذا يقول الامير * قال يقول الامير المعظم * المخطبر المكرم * ذو

للآلآ الغامرة * والنعم الوافرة * من اذا قال فعل * واذا سئل اعطى فاجزل *
واذا تنحنح القى الرعب فى قلوب اعاديه * واذا سعل خفقت فَرَقا افئدة
شانئيه * واذا مخط ارتجّ المكان لهيبته * واذا حبق تزلزل المجلس لحبقته *
فقال الفارياق افّ لهذه الرائحة الخبيثة ياخبيث قل ما يقوله للامير *
وارحنى من هذا التقعير * لقد برّزت على الشعرآ * بهذا الغلو والاطرآ * قال
انه يقول لك انك قد احسنت فى ابيات القصيدة وابدعت ما شئت *
لانك شبّهته بالقمر والبحر والاسد والسيف الماضى والطود الراسخ والسيل
المنهمر مما هو خليق بالاتصاف به * الّا فى بيت واحد جعلته فيه قوادا *
قال كيف ذلك جلّ الامير عن القيادة * قال نعم انك قلت انه يجود بالمال
والنفائس ويولى الابكار * وقلت فى بيت آخر انه محمّد الذكر محمود
المناقب وهو غير محمد ولا محمود * وبسبب هذا الخطا الفاحش حرمك
من رؤيته * قال هذه عادة الشعرآ انهم لا يزالون يتلمّظون بذكر الخرائد
والمحامد * وليس المقصود بذلك نسبة القيادة الى الممدوح * قال هذا غاية
ما عندى فلا تطمع بعد فى المثول بحضرة اميرنا المبجل * فمن ثم رجع
الفارياق محروما من هذا المغنم الهنّى * وبلغ منه الغيظ ان اضله عن
الطريق المستقيم * فسار فى طريق آخر وما وصل الى منزله الا بعد اللتيّا
والتى * واخذ يفكر فى نحس طالعه وشؤم قلمه * فظهر لهوسه ان القلم
انحس شى يتخذه الانسان سببا لمصالحه * وان اشفى الاسكاف انفع
منه * وان تقديم النون عليه فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون لس هو
الّا اشارة الى النحس * وان ما قاله المنجم فى طالعه صحيح * فانه اوّل
المراة التى زفّت اليه فى المنام بالعقرب * والجدى بالتّيس الذى كان
ينطحه * والسرطان بنفسه اذ رجع القهقرى من عند الامير فكاد ان يعثر

بحصير مجلسه السامى لولا ان تمسك ببعض اوتاده الشريفة * واوّل الثور بالامير الممدوح * الا ان العبارة الاولى وهى قول المنجم نحس النحوس غير محصورة فى حادث واحد * اذ هى تستغرق جميع الاحوال والحوادث كما سيرد بيانه * وذلك ان الفارياق لما سمع من نجيّه الذى قايضه على الاعتراف ان المساومة فى قيل وقال هى من البياعات الرابحة * والاسباب الناجحة * خلج فى صدره ان يجرب تنفيق ما عنده من البضاعة المزجاة * الا انه لم يعرضها من اوّل وهلة على احد المشترين من الجثالقة كما فعل صاحبه * بل اخذ فى تقليبها وتفليتها وتمشيطها وتنسيلها من جهة واستشفافها من اخرى * فظهر له انها قديمة قد ركّت بحيث لا يكاد احد ان يرغب فيها * واتفق وقتئذ ان قدم عنقاش يقدّد على شرآء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها * وادعى انه يقدر ان يعيدها الى لونها الاول * وانه لا يعجزه شى من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصليحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها * وانه اى العنقاش لما بلغه فى بلاده فساد تلك السلع اقبل حفدا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوات ما يرفأ كل خرق ويعيد كل لون ناصل * فسار اليه الفارياق عجلا الى المقايضة واطاه على ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة راقت لعينه * فقد يقال لكل جديد بهجة * ثم قفل الى منزله مسرورا بصفقته * فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا * لعمر ربّ الجنود ما جرت العادة فى بلادنا بتغيير البياعات ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها * ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصقع وكان من الضواطرة الكبار * فكانما كان سكّينا سقط على حلقومه * او خردلا دخل فى خرطومه * فهاج واربد *

وابرق وارعد * وماج واضطرب * وضج وصخب * والّب وحزّب * وبربر وثرثر * واقبل وادبر * وزجر ونهر * ووثب وطفر * وفتل لحيته من الغيظ حتى صارت كالمقرعه * واغرى كل حننوف مثله بان يهيج معه * ونادى ياخيل الله على الكفار * انهم صالوا النار * كيف تجرّا هذا الشقى المنحوس * المعتوه المهلوس * على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له جاثليقه * وسلكه فيه بطريقه * وكيف اقدم بوقاحته * وصفاقة وجهه وقباحته * على معاملة ذلك العنقاش اللئيم * ومبايعته ما ورثه من ابائه من الزمن القديم * اليس فى بلادنا صُلُب * وادهاق ويلب * هلموا به مُهانا * اجلدوه عريانا * اطرحوه نيرانا * القموه حيتانا * اطعموه دمانا * اقطعوا منه لسانا * اسقوه الزوانى * علىّ به كالآن كالان * فابتدر بعض الحاضرين وقال انا آتيك بهذا الجُعشوش باسرع من رد طرفك اليك * ثم ولّى حفدا الى الفارياق فوجده مكبّا على قراة الدفتر الذى فيه اثمان السلعة * فتناوله بالسيف فاصاب فروته * ثم سيق الفارياق الى الجزّار المشار اليه * فلما بصر به انتفخت اوداجه واتسع منخراه وتعقدت اسرّة جبينه واصفرت شفتاه * ورقص شارباه واحمرت حدقتاه * واحترقت اسنانه ودارت بينهما هذه المحاورة *

قال الضوطار ويلك يامغبون * ما دعاك الى المساومة فى سلعتك *

الفارياق اذا كانت هى سلعتى كما اقررتَ فما الذى يمنعنى من ذلك *

الضوطار ضللت * هى سلعتك من حيث انك ورثتها من ابائك لا من حيث ان لك حق التصرف فيها *

الفارياق هذا خلاف العادة والحق فان ما يرثه الانسان يحق له التصرف فيه *

الضوطار كذبتَ * انك انما ورثتها لتحفظها لا لتضيعها ولا لتبادل بها *

الفارياق هى ميراثى افعل به ما اشآء *

الصوطار   قُبحتَ * انى انا القيّم عليه الصائن له من الشوائب *

الفارياق   ما بلغنا عن احد انه تولّى ميراث غيره الا اذا كان الوارث غير راشد *

الصوطار   غويت * انك انت غير رشيد وانا وليّك ووصيّك وكفيلك ووكيلك وحسيبك *

الفارياق   ما الدليل على انى لست من الراشدين ومن ذا الذى جعلك وصيّا ووليّا *

الصوطار   زغتَ * انما الدليل على غوايتك وضلالك هو انك تبدّلت به متاعا غيره * واما كونى وصيّا فان جميع امثالى يشهدون لى به كما انى انا ايضا اشهد لهم بانهم اولياء غيرك *

الفارياق   ليس تبديل شى بآخر دليلا على الضلال والزيغ اذا كان المبدل والمبدل منه من جنس واحد * ولا سيما انى رايت لون القديم يوشك ان ينصل وقد ركّت رقعته فتبدلته بما هو ازهى واقوى *

الصوطار   كفرتَ * انه غشى على بصرك فما تستطيع ان تفرق بين الالوان *

الفارياق   كيف ذلك ولى عينان ناظرتان ويدان لامستان *

الصوطار   عميتَ * فان الحواس قد تغش ولا سيما حاسة البصر *

الفارياق   اذا كانت حواسى قد غشت فكيف سلمت حواسك من الغش وانت بشر مثلى *

الصوطار   جِنْتَ * انى وان كنت بشرا مثلك لكنى وكيل من طرف شيخ السوق * وقد افادنى مما اودع الله فيه من الاسرار العجيبة ان لا يطرا علىّ غبن ولا غش الّا وتبيّنته لانه هو منزه عن الغش *

فقال الفارياق وكان به فأفاة * واين شيخ الفسوق هذا ثم استدرك كلامه وقال انما اردت شيخ السوق * فلا تكن زيادة هذه الثمانين موجبة لحدّ الثمانين *

الصوطار لُعنت * هو بعيد عنا بيننا وبينه ابحار وجبال * غير ان انفاسه القدسية تسرى فينا *

الفارياق كيف به اذا مرض او جنّ او مسّه طائف من الجن او اصابه برسام * فكيف يمكنه والحالة هذه تمييز المتاع الردى من الجيد *

الصوطار هلكتَ * ما هو بمُبلَو للعوارض لانه بوّاب رتاج عظيم وبيده مزلاجان عظيمان لاحكام الباب من قُبُل ومن دُبُر *

الفارياق ليس هذا بدليل فان كل انسان فى العالم يمكنه ان يصير بوّابا ذا مزلاجين *

الصوطار فسقت وفجرت * انه هو وحده مستبدّ بهذه الخطّة اذ قد فوضت اليه من المالك للآمر *

الفارياق متى كان ذلك *

الصوطار صُلبتَ * مذ الفى سنة تقريبا *

الفارياق أوَ عاش هذا الشيخ الفى سنة *

الصوطار الحدتَّ * انما انتقلت اليه بالورانة *

الفارياق ممّن ورثها أمن ابيه وجده *

الصوطار نكلت * من انسان لا يُعدّ فى اهله *

الفارياق هذا امر عجيب كيف يرث الانسان شيا من رجل غريب فان الغريب اذا مات من غير وارث انتقل ماله الى بيت المال فهو اولى به من رجل على حدته *

الصوطار عُذّبت * هذا سرّ ليس لك ان تبحث فيه *

الفارياق ما الدليل على كونه سرّا *

الصوطار افحشت * هذا هو الدليل * وعند ذلك قام عجلا واتى بكتاب واخذ يقلب فيه من اوله الى اخره حتى يجد فيه مطلوبه اذ لم يكن كثير الدراسة له * الى ان وجد عبارة مضمونها ان المالك كان احبّ مرة رجلا فوهبه هبات شتى من جملتها كاس وطست وعصا فى راسها صورة ثعبان وجبّة وتبّان ونعلان وباب له مزلاجان * وقال له قد وهبتك هذه كلها فاستعملها واهناً بها *

الفارياق لعمرى ليس فى هذه الهبة ما يدل على سرّ * هذا وقد مات كلّ من الواهب والموهوب له وفُقد الموهوب كله * فكيف لم يبقَ الا المزلاجان فقط وقد ضاع الباب وهما لا ينفعان من دونه شيا *

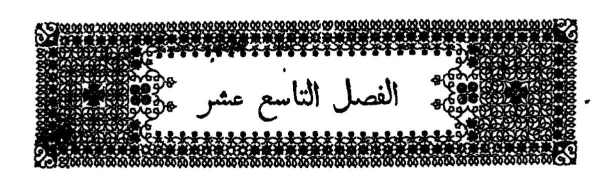
الصوطار فُنّدت * لم يبقَ لنا فى غير المزلاجين من حاجة *

الفارياق بحق هذين المزلاجين عليك يا سيدى الّا ما اريتنى الكاس مرة فى العمر وحسبُ * ولك علىّ بعد ذلك الإمرة التامة * فلما

ان ضغط الصوطار بين هذا السلب والايجاب استشاط وُغرا وهمّ ان يلحق الفارياق بالباب والكاس لولا ان دعاه داعٍ الى اللوس * فقام ناشطا ووكل به بعض الاوغاد وكان وقتئذ يتصوّر جوعا فراى ان رؤية قعر القدر فى المطبخ اشهى اليه من النظر الى وجه الفارياق * فتغافل عنه فتملص الفارياق من هذه الورطة واقبل يهرول الى الخرجى وقال له * لقد خسرت تجارتى معك فان البضاعة كادت تمنينى بمبضع * فابتغى منك الاقالة * أوْ لا فان يكن عندك فى الخرج راس يلائم جثتى حين تعدم هذا فارنى اياه ليسكن روعى * اذ لا يمكن لى ان اعيش بلا راس * فاما ان لم يكن فى الخرج غير اللسان فما لى به حاجة هذا متاعك فضمّه اليك * فقال له الخرجى ما هكذا حق التعامل * ينبغى ان تصبر على ما يلحقك من تبعة الصفقة كما هو داب

جميع المتبايعين عندنا * وتلك من بعض خواص هذه التجارة * ولكن لا تخف فان من خواصها ايضا ان تقى الواقى لها وتحفظ المحافظ عليها * فيكون له بها غنًى عن الراس اذا نقف * وعن العينين اذا سُملتا * وعن اللسان اذا استلّ * وعن الساقين اذا غمزتا بالدَهَق * وعن اليدين اذا غلّتا بالكبل * وعن العنق اذا وُقصت * والكبد اذا فُرصت * قال ما ارى ما ترى فان الاسف لا يحيى مائتا * والندم لا يردّ فائتا * فان يكن عندك مخزن آمن فيه من العدوّ على السلعة فآونى اليه * والّا فهذا فراق بينى وبينك * فاطرق الخرجى ساعة ثم دخل به حجرة صغيرة واغلق الباب * واخذ يمتحن الفارياق كما سيرد بيانه فى الفصل الآتى *





الفصل التاسع عشر

فى الحس والحركة

قدجرت عادة الناس جميعًا بان يقولوا اذا احبوا شيا او اشتاقوا الى شى ان قلبى يحب هذا الشى * او يحسّ بمحبة هذا الشى * اويشتهى ذلك الشى * ولست ادرى علة هذا الاستعمال * فان القلب انما هو عضو فى الجسم من جملة الاعضاء فلا يمكن ان تكون حاسّتها كلها مجموعة فيه * وبيانه انّ مَن احبّ مثلاً لونًا من الطعام بخصوصه فلينظر فى ادوات الاكل الباعثة على اشتهائه * ومن احبّ امراة فلينظر فى الاداة الباعثة على اشتهآئها * وما يميل اليه الطبع وهو غير محتاج الى اعمال اداة ظاهرة وذلك كحب الرئاسة والسعادة والتّدين والتّحلى. ان يحمل على الراس * اذ هى امور معنويّة لا علاقة لها بتلك البضعة اى القلب * وكما ان الطحال الذى هو وزير الميمنة لا تعلق له بهذه الامور * فكذلك كان وزيره الميسرة اى القلب * الا انه لما كانت حركة القلب اسرع من غيره لكونه اقرب الى الرئة التى هى حرز التنفس * ظنّ الناس ان القلب اصل فى جميع اهوآء الانسان واشواقه * ومن عادتهم اجتنابًا للبحث عن كثرة الاسباب والعلل والتيقن للحقائق ان يقتصروا على سبب واحد من الاسباب المتعددة * وينسبوا اليه كل ما تسبّب عن غيره * كما تنسب الشعرآء مثلا دواعى النحس الى الدهر ودواعى البين

والفراق الى الغراب * وبناء على هذا الاعتقاد اى نسبة الاهواء كلها الى القلب اراد الخرجى ان يمتحن قلب الفارياق ليعلم هل نبض فيه حبّ السلعة الجديدة نبضا قويا أوّلا * فجعل يقول له هل تحسّ فى قلبك بان السلعة الجديدة خير من الاولى * وهل يضطرب فرحًا وسرورًا عندما تسمع بذكرها * وهل ينبسط و يتسع وينشرح عند خطورهذه ببالك * وينقبض ويضيق ويتصامّ عند ذكر تلك * وهل عند قرآتك دفتر الاثمان يُخيّل لك أن قد طُبع فيه اى فى قلبك كل حرف من حروف الدفتر * حتى لو اعوزك وجوده سدّت تلك الحروف مسدّه * وهل يضطرم ويتوقد مرة ويذوب ويضمحل اخرى * ثم يعود اقوى مما كان عليه كالسمندل المعروف * وهل تحسّ ايضا بان ناخسا ينخسه * وواخزا يخزه * وعاصرا يعصره * وراهصا يرهصه * وممزقا يمزقه * وضاغطا يضغطه * فقال له الفارياق اما الاضطراب والخفقان فانه دائما على مثل هذه الحالة * وهو عُرْضة لذلك فى حالتى الفرح والترح فان ادنى شى يوثر فيه * واما التوقّد والذَوبان فلا ادرى * فقال المراد بالتوقد هنا وبالنخز والعصر الحميّة والتحمّس والتهوّس وتخيّل ما هو معدوم موجودا وما هو موهوم يقينا * ومَثَل ذلك مثل من يسافر فى فلاة لا ماء فيها فيبلغ منه الظمأ ان يتصوّر السراب ماء وشعاع الشمس نَقبِرًا * ولا يزال يُمنّى نفسه بوجدان الماء حتى يقطع المفازة * فان شدة التخيّل والتهوّس تعين الانسان على تحمل المكاره والمشاقّ * فيكون رازحًا تحت ثقلها وهو يحسب انه من المتكئين على الارائك * فيستوى بذلك عنده المجاز والحقيقة والمحسوس وغير المحسوس * حتى يحسب الصُفر خِوانا والنعش عرشا والخازوق او الصليب منبرا * وربما كان ذا زوجة وعيال فيتخذهم متخذ الماعون من الخزف فيغادرهم ويجرى فى البلدان القاصية لترويج السلعة * ويستغنى عن اهله واخوانه ورهطه

بما لديه فى الخرج * فيحمله على كشفه مستبشرا مسرورا ويضرب فى مناكب الارض طولا وعرضا * فكل مَن مرّ به من عباد الله عرض عليه الشركة والمضاربة * ولا يزال دأبه كذلك حتى يقضى نحبه وطوبى له ان مات على هذه الحالة * الخرجَ الخرجَ * ما لنا سواه من حرفة ولا شغل * السلعةَ السلعةَ * ليس لنا غيرها من جُعل * ثم طفق يبكى وينتحب * فلما افاق بعد حين ساله الفارياق هل عندكم معاشر الخرجيّين سوق وشيخ للسوق * قال لا * قال ومن يقوّم لكم المتاع قال كلّ منا يقوّم متاعه بنفسه ولا نحتاج الى آخر * فتعجّب الفارياق وقال فى نفسه انّ فى هذا لعجبا * فانّ قوما من هولآء الصعافيق لهم شيخ سوقٍ وما لهم خرج * وقوما لهم خرج وليس لهم شيخ * ولكن لعل صاحبى هذا على الحق * اذ لو لم يكن كذلك لما تكلّف حمل الخرج من اقصى البلاد وتجشّم اخطار السفر وغيره * ثم نخزه الخنّاس ان الخرجى ربّما لم يجد محترفا فى بلاده فجآء بما عنده لينفقه فى بلاد اخرى * فان تاجرا لو استبضع من بلده مثلا خزًّا او كِرباسا الى بلد آخر لم يحكم له بانه قدم الى هذا البلد حبّا باهله * فقد جرت العادة بان المتسبّبين يطوفون فى كل الاقطار * ثم فكّر فى انّ أناةَ الخرجى وما هو عليه من الرزانة والصبر لا بدّ وان يكون قرينها الرشد والحزم * بخلاف النزق والطيش فانه لا يكون الا قرين الغواية والضلال * فمن ثم حكم بان الخرجى كان على هُدًى وذلك لاناته وحلمه * وان المطران كان من الضالين لحِدّته وتترعه * ثم قال للخرجى قد وعيت ياسيدى كل ما اوعيتَه اذنى * وما ارى الحق الّا معك * وانى مشايعك ومتابعك وحامل للخرج معك * ولكن اجرنى من هولآء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تاخذهم فى خلق الله رافة ولا شفقة * وعندهم أنّ اهلاك

نفس غيرةً على الدين يكسبهم عند الله زُلْفى * وقد تمسكوا بظاهر اقوال من الانجيل فيما رأوه موافقا لغرضهم وزائدا في جاههم وسلطانهم * فيقولون ان المسيح بقوله ما جئت لالقي على الارض سِلْما لكن سيفا انما رخّص لهم في اعمال هذه الاداة في رقاب الناس ردًّا لهم الى طريقة الحق * وقد نبذوا وراء ظهورهم خلاصة الدين وجوهره ونتيجته * وهي الالفة بين جميع الناس والمحبة والمساعدة وحسن اليقين بالله تعالى * وما صعبٌ على من زاغ وعمي عن الحق ان يستخرج من كل كتاب وَحْيًا كان او غير وَحْيٍ ما يوافق غرضه وفساد عقيدته * فان باب التاويل واسع * ايجوزُ الان لامير الجبل اذا شاخ ولم يَعُد التدثّر بالثياب يدفّئه ان يتكوّى ببنت عذراء جميلة اي يتدفأ بها ويصطلي بجمر جسدها كما فعل الملك داود * ام يجوز له اذا حارب الدروز وانتصر عليهم ان يقتل نساءهم المتزوجات واطفالهم ويستحيي ابكارهم لتفجر بهن فحول جنده * كما فعل موسى باهل مدين على ما ذكر في الفصل الحادي والثلثين من سفر العدد * ام يجوز له ان يتزوج بالف امراة ما بين ملكة وسرّية كما فعل سليمن * ام يجوز لاحد من القسيسين ان ينكح زانية ويولدها النغول كما فعل النبي هوشع * ام يسوغ لاحد من الولاة ان يقتل من اعدائه كل رجل وكل امراة وكل طفل رضيع * كما فعل شاول بالعمالقة عن امر ربّ الجنود * حتى ان الرب غضب عليه لعدم قتله خيار الشاء والانعام ولابقائه على اجاج ملك العمالقة وندم على انه ملّكه على بني اسرائيل فقام صمويل وقطّع الملك قطعا امام الرب في جلجال * هذا واني قد قرأت في فهرست التوراة المطبوعة في رومية في حرف الهاء ما نصه * ينبغي لنا (اي لاهل كنيسة رومية) ان نهلك الهراطقة * اي المبتدعين او المشاحنين * واستشهدوا على ذلك بما كان يجري بين

اليهود واعدائهم من القتال والفتك والاغتيال على ما سبق ذكره * فان يكن دين النصارى يحلّل قتل الرجال والنسآء والاطفال والفجور بالابكار من النسآ ويبيح التوثب على عقار الغير من دون دعوة الى الدّين بل مجرد عتوّ وظلم كما كان يحلّله دين اليهود * فلايّ سبب نَسَخَه اذًا وابطل احكامه * لكن دين النصارى مبنيّ على مكارم الاخلاق * وغايته من اوله الى آخره ابقآء السِلْم بين الناس * وحثّهم على الصلاح والخير * والّا فلنرجعْ يهودًا * فلما سمع الخرجيّ ذلك رأى ان ورآ هذا الكلام لباقعةً * فحرص على انقاذ الفارياق من ايدى العتاة * وارتاى ان يبعثه الى جزيرة تسمى جزيرة الملوط استئمانًا فيها * فركب الفارياق فى سفينة صغيرة سائرة الى الاسكندرية * فلما ان سارت به غير بعيد هاج البحر واضطرب بالسفينة فلزم صاحبنا فراشه من الدوار * وطفق يشكو من الم البحر وينوح قائلا *

نواح الفارياق وشكواه

ويلى من السَفَر ومّما اشتق منه ما كان اغنانى عن مقاساة هذا الضر الاليم * ما كان اغنانى عن هذه المساومة التى سامتنى هذا الكرب العظيم * ماذا وسوس الىّ حتى دخلت بين الضواطرة ولا عائدة لى من هذا الفضول الذميم * لقد ولدت فى الدنيا وعشت زمانا ولم يخطر ببالى ما اختلف فيه عَبام وبعيم * فلاى شى دخلت فى هذه المضايق وتورّطت فى هذا الشرّ العقيم * هل كان يعنينى ما تهاتر عليه اهل المشرقين من فساد رايهم

وخلقهم اللئيم * لهفى على القلم وان يكن فى شِقه شَقّ وحول مُجاجه الوَنِيم * لهفى على الحمار الذى كان يزقع ويرفس من لى بذلك البهيم * لعله الآن احسن حالا منى ولعله فى نعيم مقيم * وانا اليوم بما فرّطت مُليم * مَن لى بالخان والاخوان فيهم كل بزيع نديم * زمانَ لا شغل الا معاقرة المدام والتطريب والترنيم * ليتنى قلت ما قال الناس وعبدت معهم البعيم * (استغفر الله قد كفر صاحبنا) ليس كل وقت وقت جدال ومناقشة خصيم * لقد نصحنى المطران بقوله ان الحواسّ قد تغش فى الصـّيل والجسيم * والغبى والحكيم * والجاهل والعليم * انه يعرف الحق ويقول غيره خوفَ كل عتلّ زنيم * اذ الجاهلون لا يعجبهم الا التضليل والتهييم * الم يقل لى انك لا تقدر على تجديد القديم * وعلى تقويم ما لا يستقيم * نعم ان الحواس تغش وسيّان فى ذلك السفيه والحليم * والكريم واللئيم * ثم وقف قليلا حتى يورد امثلة على هذا واذا به يقول * ان القبيحة الشوهآء اذا نظرت وجهها فى مرآة تقول ان كنت شوهآ عند بعض فانى حسنآ عند آخرين * ولذلك قال صاحب القاموس الشوهآ العابسة والجميلة ضدّ * وان القُناف اذا نظر جلمود انفه قال يحتمل ان بعض الحسان يرغبن فيه وما يرين به أمْتا ولا عوجا * وان سادتنا القباح من الملوك والملكات وذوى السعادة والجَدّ لا يصورهم المصوّرون الا حسانا * وهم لا ينظرون انفسهم فى العِناس الا كما صوّرهم المصورون * وانّا لنرى الشمس طالعة ولمّا تكن قد طلعت كما يقول الرياضيون * ونرى العصا فى المآ معوجّة وهى غير ذات عوج * وان السراب يرى الشخص اثنين * وان بعض الالوان يبدو بلونين * وان السحرة يخيّلون للناظرين انهم يمشون على المآ ويدخلون فى النار ولا يحترقون * ومَن يكُ فى سفينة ماخرة فبالله ديار وعقار فانه يرى

ما يقابله فى الارض متحركا ماشيا وهو ساكن ثابتٌ * ومن يقعد فى شباك مناوح لشباك آخر مساوٍ له فى الارتفاع فانه ينظره اعلى من شباكه * ولعل صاحبى الخرجى كان بكآوه لداعٍ غير داعى السلعة * فانه يبلغنى عن اللاعبين واللاعبات فى الملاهى انهم يبكون ويضحكون ايان شاوا فلعل البكآ عندهم من الصنائع التى يتعلمونها على صِغَر * ماذا يفيدنى الخرج الان * ادعوه ويتركنى * احبه ويبغضنى * احمله وينبذنى * فلما ابتدا هذه السفاهة التى تعدّ عند الخرجيّين كفرا * وعند السوقيين تسبيحا * وعند المتوسطين بينهم سفاهة ناشئة عن الجزع * اذ الناس لم يتفقوا الى الان الا على الخلاف * مادت به السفينة ميدة شديدة. يحسبها الخرجيون انتقاما من الرب * والسوقيون عارضا من العوارض * فجعل يصرخ ويقول الا ياشيخ السوق عفوًا بحق لحيتك التى عند الحلاقين الا ما اجرتنى * ياخرج * ياسلعة * يادفتر * ياصواطرة * ياصعافقة * يانسّاجى السلعة * ياصبّاغيها * ياسدّيها ياملحميها يامنيّريها يامطرزيها ياموشيها يارقاميها يارفّائيها ياشصّاريها ياخياطيها ياكفافيها ياشرّاجيها يانشّاريها ياطوآئيها ياقسّاميها (ا) يالفافيها ياملفقيها * تداركونى بحقكم قد هلكت * فما كاد يتم هذا الدعآء الا ومالت به السفينة ميلة تدحرج بها راسه الصغير كالبطيخة * فجعل يصرخ ويستغيث ويقول لقد عذّبت عن التفديد * هذا اثره ظهر من اول الطريق فكيف يكون فى آخره * ثم غشى عليه وصار يهذى ويقول الخُرْ الخُرْ * فسمعه احد الركّاب يكرر ذلك فظن انه يشكو من احد الاخبثين فى فراشه * فلما لم يجد شيا قال هو يهذى من الالم وتركه * ثم قدّر الله ان سكن البحر وصفا الجو وظهرت بعد ساعات ارض الاسكندرية * فجآ ذلك الرجل وبشّر الفارياق برؤية

(ا) القَسامىّ مَن يطوى الثياب اول طيّها حتى تنكسر على طيّه *

لارض * فقام منجلدا وغسل وجهه وبدل ثيابه * فلما خرجوا من السفينة سبقهم الفارياق وما كاد يطا لارض حتى تناول منها حصاة والتقمها وقال هذه أمّي * واليها امّي * فيها ولدت وفيها اموت * ثم انه توجه الى خرجي كان في المدينة وادّى اليه كتاب توصية من الخرجي لآخر * ولبث عنده ينتظر سفينة تسافر الى تلك الجزيرة * فلنهنّئه بوصوله سالما آمنا * ولنقدم عرض حال للسدّة لاميرية * والحضرة الملكية * حضرة بطرك الطائفة المارونية كائنا من كان * ثم نعرج قليلا على السوقيين والخرجيين ونذكر الفرق بينهم *

عرض كاتب الحروف

قد تفلّت الفارياق من ناديكم * وانملص من ببس اياديكم * وعَنْجَر في وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا * وبقى لان ان اذكركم ما اشططتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخي المرحوم اسعد * اذ اودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنوبين نحو ست سنين * وبعد ان اذقتموه جميع ضروب الذلّ والهوان والبوس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق الهوآ اللذين يمنّ بهما الخالق على لابرار والفجّار من عباده قضى نحبه وما كان سجنكم له لا لمخالفته لكم في اشيآ لا تقتضي عذابا ولا عتابا * وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مَدَنيّ * اما الدّين فان المسيح ورسله

لم يامروا بسجن من كان يخالف كلامهم وانما كانوا يتنزلون [illegible] * ولو كان دين النصارى نشا على هذه القساوة الوحشية التى [illegible] انتم رعاة التائهين وهداة الضالين لما آمن به احد * اذ لا احد من الناس يصبو الا اذا كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه * وكل انسان فى الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوعد والتأنيب والتشنيع ليس من الخير فى شى * وناهيك ان المسيح ورسله اقروا [illegible] السيادة على سيادتهم وإمرتهم * ولم يكن دابهم الا الحض على مكارم الاخلاق والامر بالبرّ والدعة والسلم والاناة والحلم * فانها هى المراد من كل دين عُرف بين الناس * واما المدنى فلان اخى اسعد لم يأتِ منكرا ولا ارتكب خيانة فى حق جاره او اميره او فى حقّ الدولة * ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعىّ * فاساآة البطرك اليه انما هى اساآة الى ذات مولانا السلطان * لانّا جميعا عبيد له مستامنون فى امانه وحكمه * وكلنا فى الحقوق سوآ * اذ البطرك ليس له حق فى ان يخطف من بيتى درهما واحدا لو شاآه فانّى له ان يخطف الارواح * وهَبْ ان اخى جادل فى الدين وناظر وقال انكم على ضلال فليس لكم ان تميتوه بسبب هذا * وانما كان يجب عليكم ان تنقضوا ادلّته وتدحضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تخشون تبعته * والا فكان الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك * بل اصررتم على عتوكم فى تنكيله وزعمتم ان فراره من داركم مرة لنجاة نفسه كان زيادة فى جنايته وجريرته فزدتم تجبرا عليه وظلما * وكانّى بكم معاشر السفهآ تقولون ان اهلاك نفس واحدة لسلامة نفوس كثيرة محمدة يُندَب اليها * ولكن لو كان لكم بصيرة ورشد لعلمتم ان الاضطهاد والاجبار على شى لا

يزيد المضطهد وشيعته الّا كلفًا بما اضطهد عليه * ولاسيما اذا علم من نفسه انه على الحق وان خصمه القاهر له على ضلال * او انه متحلّ بالعلم والفضائل وقرينه عُطُل منها * فقد فاتكم على هذا العلم الديني والسياسيّ * وعرّضتم عرضكم للقذف والتسويد * وذكركم للمقت والتفنيد * ما دامت السمآء سمآ ولارض ارضا * وان اخي رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت * وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سو فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم * وقد لعمرى اخرج عنكم بموته من شيعتكم هذه المتوحّمة على سفك الدم اكثر مما لوبقى حيّا * وحسبك بالخواجا ميخائيل مشاقه لاكرم وبغيره من ذوى الفضل والبراعة مثالا * الم تاخذكم ياغلاظ لاعناق رافة فى شبابه وجماله * الم تتاثر قلوبكم التارزة لصفرة وجهه حين حجبتموه عن النور والهوآء * وحين ذوت غضاضة جسمه وبضاضته * وحين لم يبق من ترارته غير الجلد والعظم وبخلتم عليه ايضا ان تطلقوه بهما * الم تشفقوا عليه اذ رايتم اناملة قد ضنيت لعوز ما كان يتمتع به حُمُر ديركم * ولقد طالما والله اخذت القلم فخطّت ما يعجب به الملوك * ولقد طالما والله صعد المنبر فخطب فيكم ارتجالا والعَرَق يتصبّب من جبينه ذاك الصليت * ولشدّ ما ابكى سامعيه تذكيرا وتزهيدا * وطالما الّف وعرّب لكم كتبا ركيكة وعلّم حمقى رهبانكم واخرجهم من ظلمات الجهل * الم يخزِ وجوهكم الصفيقة ما كان يترقرق فى وجهه من مآء الحيآ فكان اشدّ خفرا من مخدّرة * وانّه كان عزيزا فى اهله * مكرما عند لامرآء محبّبا الى الخاصة والعامة * نزيه النفس * كريم الخلق * فصيح اللهجة * انيس المحضر * أمثله يحبس ست سنين ويذل وينكل ويموت والله يعلم باى شى مات * ما بال الكنائس الفرنساوية

والنمساوية والانكليزية والمسكوبية والرومية الارثودكسية والرومية الملكية والقبطية واليعقوبية والنسطورية والدرزية والمتوالية والانصارية واليهودية لا تفعل هذه الفظاعة والشناعة التى تفعلها الكنيسة المارونية * ام هى وحدها على الحق والناس اجمعون على الباطل * الستم تزعمون ان ملك فرنسا هو مجير الدين وناصره * والناسُ منْ اهل مملكته الكاثوليكيين ما زالوا يطبعون كتبا ينددون فيها بعيوب رؤساء كنيستهم وقبائحهم وسفاهتهم وفحشهم وشراهتهم والحادهم * بل ان كثيرا منهم قد الّفوا تواريخ خاصة بما كان عليه الباباوات من الفسق والفجور وسوء التصرف * وبكفرهم بخلود النفس والوحى وبالهيّة المسيح * فمنهم من قال ان البابا ارماديوس الثامن ويعرف بدوق صَفْوَىْ رقى الى درجة بابا وهو عامى * ومنهم من قال ان مجمع باسيل انما كان انعقاده لخلع البابا يوجين وانهم حكموا عليه بالعصيان والارتشاء والشقاق والبِدَع ونكث اليمين * ومنهم من قال ان البابا نيقولاوس الاول كان قد حرم كونتيار مطران كولون لمخالفته له فى المجمع الذى عقد فى مُتْز سنة ٨٦٤ * فكتب المطران المذكور رسائل الى جميع كنائسه يقول فيها * ان المولى نيقولاوس الذى اتخذ له لقب بابا ويحسب نفسه انه بابا وسلطان معا وان يكن قد حرمنا فقد علونا على سفاهته * ومنهم من قال ان امبروسيوس حاكم ميلان حصل على درجة مطران مع انه كان غير صحيح الاعتقاد بدين النصارى * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثامن ارسل نوابا من طرفه الى القسطنطينية * فعقدوا ثمّ مجمعا اجتمع فيه اربعمائة اسقف وكلهم حكموا ببراءة فوتيوس وانه جدير برتبة مطران * ومنهم من قال ان البابا اسطفانوس السادس امر بان تنبش جثة فرموسيوس اسقف بورطو من القبر لانه كان قد اثار

تشغبا على سلفه البابا يوحنا الثامن * ثم حكم عليه حالة كونه ميتا بقطع راسه وثلث من اصابعه والقيت جثته في التيبر * وان البابا سرجيوس كان قد [illegible] ماروزيا التي تزوجت بمركيز طوسكانى * وانه اتخذ البابا [illegible] ماروزيا هذه ولدا ربّاه عنده داخل قصره من دون [illegible] احد من اهل رومية * ثم تزوجت ماروزيا بعد ذلك بهوك ملك اوليس وعملت على [illegible] البابا يوحنا العاشر لانه كان يهوى اختها * فخنقته بين فراشين واستبدت بالامر * ثم احتالت ان ولّت ليو هذه الرتبة ثم قتلته في السجن بعد اشهر * ثم ولّت من بعده رجلا خامل الذكر فولى بعض سنين ثم عزلته ونصبت يوحنا الحادى عشر وهو ابنها من سرجيوس الثالث وكان قد اتى عليه اربع وعشرون سنة لا غير * وشرطت عليه ان لا يباشر من الاحكام الا ماكان مختصا برتبته البابا وية * وانها سمّت زوجها ثم تزوجت بسلفها ملك لومباردى [illegible] اليه الحكم * فقام احد ولدها من زوجها الاول وشغب عليها اهل رومية وحبسها وابنها البابا في صانت انجلو * وانه وَلِي بعده اسطفانوس الثامن * غير انه لما كان بغيضا عند الرومانيين لكونه من جرمانية شوّهوا وجهه فلم يقدر بعدها على الظهور بين الناس * ثم انتُخب ابن ولد ماروزيا المسمّى اكطافيانوس وله من العمر ثمانى عشرة سنة وسمّى من بعد ذلك يوحنا الثانى عشر * وكان خليعا ماجنا فحّاشا مستهترا منهمكا فى اللذات وهوى النفس مولعا بركوب الخيل والفروسية * وانما لم يخلّ ذلك بامور الكنيسة لان اكثر الدول والكنائس كان على هذه الحال * وان اوتو الامبراطور لما علم ان هذا البابا قد اضمر العصيان وكان اهل ايطاليا قد استدعوا حضوره لاصلاح ما اختلّ من احوالهم توجّه من باڤيا الى رومية * وبعد ان استتبّ له الامر فى المدينة عقد مجمعا

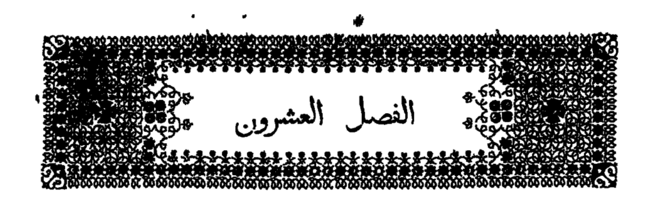
حضر فيه البابا بنفسه وكثير من امرآ جرمانية ورومية واربعون اسقفا وسبعة عشر كردينالا وذلك فى كنيسة مار بطرس * وشكى البابا بحضرتهم اجمعين انه فسق بعدّة نسآء وخصوصا ايتَنّث التى ماتت وهى نُفَسآ * وانّه قلّد مطرنيّة طودى لغلام كان سنّه عشر سنين لا غير * وانه كان يبيع الرتب والدرجات الكنائسية بيعا وسمل عينى اشبينه فى المعمودية سملا * وجَبّ اى خصى احد الكرادلة او الكردينالات جبّا * ثم قتله * وانه لم يكن يومن بالمسيح وغير ذلك مما اوجب على الامبراطور خلعه ونصب ليو الثامن فى مكانه * الا انه لم يكد الامبراطور يخرج من رومية حتى هاج البابا عليه اهل المدينة * وعقد مجمعا خلع فيه ليو الثامن وامر بقطع يد الكردينال الذى كتب الشكوى عليه * وقطع ايضا لسان الكاتب الذى كان يقيّد الحوادث وأنفه واثنتين من اصابعه * ثم قُتل البابا يوحنا الثانى عشر وهو معانق لامراة وكان القاتل له على ما قيل زوجها * ثم ان القنصل كريسنتيوس ابن البابا يوحنا العاشر من ماروزيا جيّش اهل رومية على اوتو الثانى وسجن بندكتوس وكان من حزب الامبراطور فمات فى السجن * فلما بلغ ذلك مسامع اوتو ولّى يوحنا الرابع عشر * فقام عليه بونيفاس السابع الذى كان ولى الرئاسة من قِبَل القنصل وقتله * وبقى القنصل مستقلا بتدبير الامور ومباشرة الاحكام الى ان قام غريغوريوس ابن اخت الامبراطور وخلع اوتو الثالث * ثم احال عليه الامبراطور وضرب عنقه وامر بان تعلق جثته من القدمين * وسُملت عينا البابا يوحنا الخامس عشر الذى كان انتخبه الرومانيون وقُطع انفه ثم رُمى به من ذروة قلعة صانت انجلو * ثم عُرضت الرئاسة البابا وية على البيع فاشتراها كلٌّ من بندكتوس الثامن ويوحنا التاسع عشر واحدا بعد واحد * وكانا اخوى مركيز

طوسكانى * ثم اشتُريت لولد سنّه عشر سنين وهو بندكتوس التاسع * ثم انتخب باباوان اخران وكان احدهما يكفّر الاخر ويحرمه * ثم اصطلحا على ان يتقاسما دخل الكنيسة فيما بينهما وان يعيش كل منهما مع سرّيته * ومنهم من قال ان كنيسة رومية اصدرت مرة منشورا حكمت فيه على بعض ملوك فرنسا بان يطلّق امرائه ويباشر دواعى التوبة سبع سنين * وانه لما شهر المنشور فى المملكة سقطت حرمة الملك من عيون الناس فتجنّبته الخاصة والعامة حتى لم يبق عنده غير خادمَين * ومنهم من قال ان البابا غريغوريوس السابع عقد مجمعا فى رومية على آنرى الرابع سلطان جرمانية وقال فيه * قد خلعت آنرى عن ولاية النمسا وايطاليا واُعفيت جميع النصارى من الطاعة له ونقضت عهدهم له * ولست آذن لاحد فى ان يخدمه باعتبار انه ملك ذو سلطان * وان آنرى لما ضاق بذلك ذرعا اضطر الى الذهاب الى رومية * فلما قدم على البابا وجده خاليا بالكُنتس ماتيلدة فى كانوزا(۱) فوقف السلطان يستاذن فى الدخول لدى الباب ولم يكن معه احد يخفره * فلما دخل المقام الاول اعترضه بعض حشم البابا ونزعوا عنه حلّته الملكيّة والبسوه ثوبا من الشعر * ووقف ايضا ينتظر الاذن فى صحن القصر حافيا وكان ذلك فى قلب الشتآء * ثم اُلزم ان يصوم ثلثة ايام قبل تقبيل قدم البابا * فلما انقضت الايام الثلثة دُخل به الى مجلس البابا فوعده بالعفو بشرط ان ينتظر ما يحكم به عليه فى مجلس اغوسبرغ * الى ان قال ثم مات البابا المذكور وخلفه رئيس دير سُمّى اوربانوس الثانى * وكان مثل سلفه فى العتوّ والتجبّر * فمن ثم جعل يحرّض ابنَى آنرى على قتال ابيهما * وهذه ثانى مرة هاج البابا فيها الابناء على ابآئهم * فقاما عليه واودعاه السجن ثم فرّ منه ومات فى لياج مسكينا ذليلا * ومنهم

(۱) الكنتس مونث الكُنت من القاب الشرف عند الافرنج *

من قال ان آنري السادس ولد فريدريك الثاني سار الى رومية ليتوّجه البابا سيلستانوس * ولما كان الامبراطور متطاطئا لتقبيل قدمه وعلى راسه تاج الملك رفع البابا رجله ورفس بها التاج عن راسه فوقع على الارض وكان سنّ البابا وقتئـذ ستا وثمانين سنة * ومنهم من قال ان بعض البابا وات واطنه اينوصنت الثالث حرم الملك لويس واباه * غير ان مطارين فرنسا نسخوا حكمه وامروا بالغائه * وان البابا اينوصنت الرابع عقد المجمع الثالث عشر على الامبراطور فريدريك الثاني وذلك في سنة ١٢٤٥ وحكم عليه فيه بكفره وبانه كان يتسرّى بجواري مسلمات * فناضل عن الامبراطور خطباوه وحزبه وردّوا على البابا انه افتضّ بنتا وارتشى غير مرة * ومنهم من قال ان البابا المذكور اغرى طبيب الامبراطور المشار اليه بان يدسّ له السمّ في طعامه * وان البابا لوقيوس الثاني وَلِيَ مرة حصار رومية بنفسه ومات من رمية حجر على راسه * وان البابا اكليمنضوس الخامس عشر كان يجول في ڤينّي وليون لجمع المال ومعه عشيقته * وان راهبا من الدومنيقيين سمّ الامبراطور آنري عن امر البابا وذلك في القربان * وانه في سنة ١٢٠٠ تزاحم باباوان على الرئاسة وجمع كل منهما حزبه للقتال وعلى راية كلٍّ صورة المفاتيح * وان احدهما تصرف في آنية كنيسة مار بطرس وانفقها في اهبة الحرب * وان البابا اوربانوس كان يعذب كل من خالفه من الكرادلة او الكردينالات * وفي ذلك الوقت انكرت دولة فرنسا رئاسة البابا واستبدّت اساقفتها بامور رعيتهم * ومنهم من قال ان البابا يوحنا الثالث والعشرين شُكي بانه سمّ سلفه وباع الوظائف الكنائسية وقتل عدة ابرياء * وانه كان كافرا ولوطيا معا * فمن ثم خُلع بحضرة الامبراطور * الى غير ذلك مما يضيق عنه هذا الكتاب فاني لم اضعه في الدين وانما

اوردت ما مرّ بك على سبيل الاستطراد * فان كان ما قاله هولآ المولفون من الفرنساويين حقا كان اخي ابرّ من هولآ الائمّة واتقى * اذ لم يُسْنَك قطّ بانه لاط او زنى او سمّ احدا او هاج الابنآ على ابائهم ليقتلوهم * او انه اختلس انية الكنائس او طغا وتجبّر على سلطانه او ارتشى * وانما هي مماحكات جرت بينه وبين بطركه على اشيآ غير مقيسة ولا معدودة ولا موزونة ولا مكيلة * فانت تقول مثلاً ان دركات قنوبين المودّية الى سجين ثلث * وهو قال الثمانئة * وانا اقول المئة الاف * فما مدخل السجن هنا والعذاب * وان كان ما قالوه كذبا وافترآ كان ذلك ادعى الى تنكيلهم والاقتصاص منهم * لافترائهم على احبار الله وخلفائه فواحش لن يستطيع عبّاد القتيش ان ياتوا باقطع منها * مع انّا لم نرَ احدا منهم عُذّب او نُفي او استفزّ من داره او أُنف من محضره * بل قد طُبعت كتبهم المرة بعد المرة * وسعروها في الاسواق كسعر كتب العلم * ولعل قائلا يقول ان عرضك هذا موجّه الى البطرك المتولّى الان وهو من اهل الفضل والمكارم وليس هو الذي سجن اخاك وقتله وانما كان سلفه * قلت عندي علم ذلك * غير انه ما دام هو يعتقد بان ما فعله سلفه كان صوابا فهو شريك له ولا يلبث ان يعامل من يقتدي باخي معاملة سلفه * وكذلك يعم اللوم جميع المطارنة والاساقفة والقسيسين والرهبان ان كانوا يصوّبون ما فعله البطرك المتوفى * وكنت اودّ لو اختم هذا العرض بعتاب اوجهه الى حضرة المطران بولس مسعد ابن خالي وخال اخي وكاتب اسرار البطرك * ولكني خشيت الان من الاطالة * وفيما قلت ما يغني اللبيب *



الفصل العشرون

في الفرق بين السوقيين والخرجيين

اعلم ان للسوقيين شهرة عظيمة في جميع الاقطار * وذلك انهم احتكروا السلعة منذ القديم في مخازن لهم * وقالوا كل من لم يشتر من مخازننا انزلنا به القصاص * ثم انهم احفوا دفتر اسعار البياعات عن المشترين وغالوا بثمن الاصناف واشطوا * فكانوا يتقاضون من المشتري اضعاف القيمة * ثم اتخذوا لهم معامل ومخازن في جميع الامصار وجعلوها مظلمة خالية عن الكُوَى ومنافذ النور * فكانوا يبيعون منها من غير ان يُبدوا حقيقة لون السلعة ورقعتها * وكانوا يجعلون ما يبيعونه من اصنافها ملفوفا [illegible] فيأخذه الشاري [illegible] النساجين و[illegible] بين والصباغين ما يفوق العدد * فكانوا يصنعون لهم [illegible] ما يامرونهم به * واتفق في بعض السنين ان وقع موات ذريع في الماشية وامحلت البلاد فقل الصوف والحرير عندهم وكادت الانوال والمعامل تتعطل * فارتاى رجل منهم من اهل الحصافة والحذق ان يستعمل الشعر وبعض اصناف الحشيش بدل ما اعوزهم من الحرير وغيره * وجاء عمله هذا متقنا محكما حتى استنه على اكثر الناس * ثم ان نفرا من المعسرين الذين حملهم الضنك في المعيشة على توسيع دائرة الفكر والنظر في الامور والتبصر لها * (فان جل العلماء والمستبطين من الصعاليك

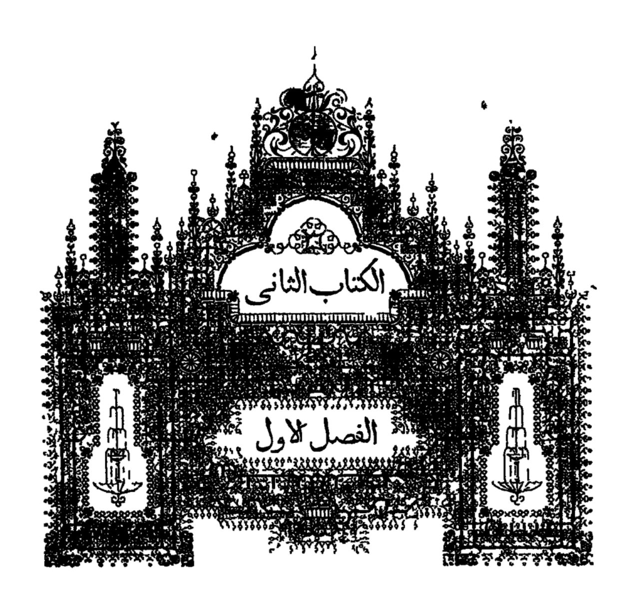
ذهبوا يوما الى بعض المخازن لشرآء ما لزم لهم وجآءوا بها اشيآء الى منازلهم ملفوفا مصونا على العادة * وكان لاحدهم يهوى امرأة يريد ان يتزوج بها وقد اشترى لها منديلا * فلما اهداها اياه بحضرتهم وكانت ذات استشراف واستطلاع واستكشاف للمستور كما هو شأن سائر النسآء * اخذت المنديل وقبل ان تشكره على معروفه ادنته من نور السراج اذ كانت زيارتها له في الليل * فرات فيه خللا كبيرا مع ان النور كان طفيفا يوشك ان ينطفى * واذا بها صرخت تقول * بئس من باعك هذا انه قد غبنك * ان فيه خللا مثل الذى قد فتنك * فلما سمعوا ذلك تنبهوا فاخذ بعضهم يتأمل حاجته * وصار الاخر يقيس ثوبه على قامته وهلمّ جرّا * فظهر لهم ان البضاعة ليست على وفق مرادهم * لان من ذهب ليشترى حاجة بلون احمر وجدها سودآء * ومن اراد ثوبا طويلا وجده قصيرا * ومن اراد حريرا وجده كرباسا * فرجعوا بها في الغد الى الباعة وقالوا لهم قد بعتمونا ما لم نرده * واوردوا لهم كل اسباب الاقالة * فقال صاحب المنديل لقد كدتم تسوّدون وجهى عند محبوبتى اليوم * وكادت تغاضبنى لما اتحفتها من سقط المتاع لولا انها طمعت فيما يكون خيرا منه * فقالت لهم الباعة انما بعناكم ما طلبتم ولكن على ابصاركم غشاوة فلستم تبصرون اللون ولا الرقعة ولا تعرفون المقادير ولا المقاييس * فقال من اشترى الثوب كيف يمكن ان يجهل الانسان قامته ويعرفها آخر غيره * وقال صاحب اللون الاسود انما اردت اللون الاحمر وها ان ثوبك اسود ورفيقاى هذان يشهدان لى وها هو واضح لكل ذى عينين * فقال له البائع انت اعمى لا تميز الالوان ثم ذهب لياتيه بلُماك ليكحله به فابى ذاك وقال لا بل انت عَمِه اعمى * وقال من اشترى الكرباس بدل الحرير هب ان البصر يُغشّ افيخفى اللمس على الاعمى * فلجّ بينهم الجدال والعناد وملاوا المكان صخبا وضجيجا * وفيما هم

على ذلك اذا برجل اقبل يسعى وهو يلهث [illegible] لسانه ووضع يديه على كشحيه * فما كاد يدخل الحانوت حتى سقط لا يستطيع حراكا وغدا يئن ويقول اه امراتي اه امراتي * ثم غشي عليه ساعة * فلما افاق ادار نظره يمنة ويسرة فراى غريمه * فلم يتمالك ان وثب من مجثمه وقال * يا اهل الفساد * ومروّجي الكساد * ومسبّبي الفتن بين المرء وزوجته * ومفرّقي الاب عن ابنه وابنته * وغابني الاغرار من الشارين * ومبرقعي وجوه المبصرين * كيف حلّ لكم من الله ان تغشوني وتبيعوني ما لا حاجة لي به * اني اتيتكم بالامس اطلب منكم ان تبيعوني لحمًا لاتخذ منه مرقا لزوجتي لانها عليلة مذ ايام * فبعتموني كِسَر خبز وقلتم لي انه لحم غريض* فلما اوقدت النار لاطبخه اذا به خبز * فباتت امراتي من غير ان تذوق شيا وقد اصبحت لا حراك بها الّا بلسانها * فهي لا تزال تلعن تلك الساعة التي راتني فيها قبل الزواج * وتسب القسيس الذى كان السبب فيه * وقد حلفت انها اذا برئت من مرضها لتامرنّ النسآ جميعا بان يكنّ مع ازواجهن ضُجُعا مفسّلات مناشيص (١) وكانه لما قال ذلك فار دمُهُ في دماغه فوثب من مكانه وكاد ان يبطش بالبائع * لولا ان تداركه بعض الصنّاع في الحانوت * فلما تملّص البائع من يديه صعد منبرا وقال * اسمعوا ايها الخصمآ * ولا تعجلوا الى اللّوم فانه من داب اللؤمآ * ان عيونكم قد غشي عليها فهي تبصر الاحمر اسود * وذوقكم قد فسُد فعندكم ان اللحم خبز مُفتّأد * وعقلكم قد ركّ وحرض فانتم تحسبون الحرّير قطنا * والجوهر عهنا * فما ينصفنا الّا قيّم السوق * فهلمّوا اليه والّا فانتم من اهل الكفر والفسوق * فلما سمعوا مقالته وعلموا ان محاكمته لهم عند شيخ السوق سطط لكونه اضعف منهم بصرا وبصيرة لهرمه * التهبوا غيظا فجعلوا يركسون الامعة ويسوسونها ويسعرونها ويمرقون كل ما قدروا عليه ويطاون ما امكن لهم

(١) الضجع جمع ضَجوع وهي المراة المخالفة لزوجها * قلت وهو غريب فان اشتقاقه من [illegible] يقتضي ان يكون معناه الطاعة * والمفسّلة المراة التي اذا اربد غشيانها قالت انا حائض لترده والمناشيص جمع مِنشاص للتي تمنع زوجها في فراشها *

وطئوه * ويكسرون كلّ ما اصابوا من معدّ وصندوق وكؤس واكواب وخرجوا وهم سامدون * ثم تواطاوا على ان يعقدوا مجلسا تلك الليلة ليتدبروا في امورهم * فلما كان المسآ اجتمعوا وقالوا قد اتضح لنا ان هولآء الباعة ظالمون غابنون * وان حواسنا لم تزَل الشيء الا على ما هو عليه * فشكرا لله ولصاحبة المنديل التي هدتنا الى هذا * فتعالوا نستقلّ بامورنا ونعمل لنا مخازن ومعامل كما عملوا هم * ثم اتخذوا لهم شيعة واخدانا * واصحابا واعوانا * واسقطوا عنهم من السعر ما امال اليهم كثيرا من الناس * وقالوا لهم ان عهدنا اليكم ان نبيعكم البضاعة بمرأى اعينكم ولمس ايديكم وذوق السنتكم [illegible] لم يرضَ شيا اشتراه فانا نبدله له بما هو خير منه * ثم بحثوا عن [illegible] ونشروه في جميع البلاد واستعملوا لذلك وسائل مختلفة * وقالوا للناس [illegible] الدفتر الانور * والدستور الاكبر * فلا تشتروا منا حاجة الا على مقتضى تسعيره * ولا تذهبوا الى شيخ السوق فانه هالك في غروره * فرضي الناس بما اشترطه هولآء على انفسهم * وانفصلوا عن الشيخ المذكور وعن حزبه * وغدا كلّ من الحزبين يكذّب حريفه ويسوئ قلبه ويخطّئه ويسفهه ويحمّره ويفنّده ويخرفه ويلعنه ويكفّره ويؤثمه ويفسّقه * وسبحان من يداول الايام * بين الانام *





في دحرجة جلمود

قد القيت عني والحمد لله الكتاب الاول وارحت يافوخي من حمله * وما كدت اصدق ان اصل الى الثاني فاني لقيت منه الدُوار * ولاسيما حين خضت البحر متبّعا للفارياق تفضّلا وتكرما * اذ لم يكن مفروضا عليّ ان ارافقه في كل مكان * وقد مضى عليّ حينٌ بعد وصوله الى الاسكندرية والنفامة الحصاة من الارض ولسان قلمي يتمطّق * وثغر دواتي مطبق * حتى عاد اليّ نشاطي فاستانفتُ الانشآ ورايت ان ابتدي هذا الكتاب الثاني بشي ثقيل ليكون عند الناس اكثر اعتبارا * واطول اذكارا * وكما اني ابتدات الكتاب الاول بما يدل على السامي شي من العلويات

ان كنت لمّا تنسَ ما مرّ بك * استحسنت الان ان آخذ فى شى من السعلبات لاجل المطابقة * هذا ولما كان الحجر من الجواهر المنيعة المفيدة راق لى ان ادحرج منه هنا [illegible] من اعلى قنّة افكارى الى اسفل حضيض المسامع * فان وقفت تنظر الى تصوّبه من دون ان تتعرّض له وتحاول توقيفه مرّ بك كما تمرّ السعادة علىّ * اى من غير ان يصيبك منه شى * والّا اى ان استسهلت حبسه عن منحدره كرّ عليك ودفعك تحته * والعياذ بالله مما ورآ هذا الدفع * فانظر اليه ها هو متحرك للسقوط * ها هو متصوب * فالحذر الحذر * قف بعيدا واسمع من دويّه ما يقول * ان من نظر بعين المعقول الى هذه الدنيا والى ما اختلف فيها وائتلف من الاحوال والاطوار * والجواهر والاعراض * والاوطار والاغراض * والعادات والمذاهب * والمراتب والمناصب * وجد ان كل شى يمرّ عليه منها يفوق كنهه ادراكه ويفوت تأمّله * وان حواسّنا وان تكن قد أَلِفت اشيآء لم تغادر الالفة عليها محلّا للتعجّب منها * الا ان تلكم الاشيآء لا تنفك فى نفس الامر عن كونها معجبة محيّرة * ومن تبصّر فى ادنى ما يكون منها حقّ التبصّر راى نفسه كمن قد اهمل اداً فرض تعيّن عليه * انظر مثلا الى اختلاف ضروب النبات فى الارض فكم فيه من الازهار البديعة الصفة العجيبة الكيفية * من دون ان نعلم لها منفعة خصوصية * والى اختلاف انواع الحيوان من دبابات وهوامّ وحشرات وغيرها * فان منها ما هو حسن الشكل ولا فائدة منه ومنها ما هو قبيحه والحاجة اليه ماسّة * وانظر فى السماء الى هذه النجوم دراريها كوكب دِرّى، ويضمّ متوقد متلالئ *

وخُنّسها الخنّس الكواكب كلها او السيّارة او النجوم الخمسة الخ *
ونَبابيانها الكواكب السابيات التى لا تنزل الشمس بها ولا القمر *

وتوائمها　تواتم النجوم واللولو ما تشابك منها *

وبروجها　معروف *

وتنينها　التنين بياض خفى فى السمآ يكون جسده فى ستة بروج وذنبه فى البرج السابع الخ *

ومجرتها　باب السمآ او شرجها *

ورجمها　النجوم التى يرمى بها *

واغلاطها　أغلاط الكواكب الدرارى التى لا اسمآء لها *

وإثانها　الاثان صغار النجوم *

وخنسانها　النجوم لا تغرب كالجدى والقطب وبنات نعش والفرقدين *

وأنوائها　النوء النجم مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق *

التى يرجع البصر عنها وهو كليل * والى اختلاف سحن الناس ورؤسهم * فانك لا تكاد ترى سحنة بشر تشبه سحنة آخر غيره * ولا تجد بين رؤسهم اى عقولهم راسا يشبه غيره * فمن عباد الله هولآء من اختار المخالطة والمقارفة * والمحاشرة والمزاحمة * والمضاغطة والمصادمة * والمباراة والمعاجمة * والملاهسة والمداحمة * والمجاوسة والمداغمة * والمزاعمة والمداهمة * والمساومة والمزاهمة * على اختلاف فيها * وذلك كالتجار والنسآء * ومنهم من قابلهم بضد ذلك فاختار العزلة والانفراد كالنساك والزهاد * ومنهم من جعل دابه التهافت على المن والافترآ * والعلو والاطرآ * كالشعرآ والمستاجرين لمدح الملوك فيما يطبعونه من هذه الوقائع الاخبارية * ومنهم من قابلهم بضده فآثر الصدق والتحرى * والتحقيق والتروى * والقول الفصل والمطابقة بين الماضى والحاضر والاتى * وذلك كاهل الفلسفة والحكمة والرياضة * ومنهم من

يعمل النهار كله ويكدّ بكلتا يديه وكلتا رجليه وربما لم ينطق بكلمة واحدة * وذلك كاصحاب الصنائع الشاقة * ومنهم من لا يحرك يده ولا رجله ولا كتفه ولا راسه وانما ينطق في بعض ايام الاسبوع بكلمات ثم يقضي سائر الايام مستريحا متنعما * مترفها متترفا * وذلك كالخطباء والوعّاظ والمرشدين الى الدين * ومنهم من يفتك ويبطش ويجرح ويقتل كالجند * ومنهم من يعالج ويداوي ويشفي ويحيي كالأساة واولياء الله تعالى اهل الكرامات والمعجزات * ومنهم من يُستاجَر للتطليق * ومنهم للتحليل * ومنهم للايلاد * ومنهم للالحاد * ومنهم للتفريق * ومنهم للتاليف بين الآحاد * ومنهم من يتكوّى في بيته فلا يكاد يخرج منه الا لضرورة * ومنهم من يصعد الجبال والادقال * والمنابر والاشجار * ومنهم من يهبط الاودية والبواليع والمراحيض * ومنهم من يسهر الليالي في تاليف كتاب * ومنهم من لايذوق النوم حتى يحرقه * ومنهم من يسود ومن يُساد * ومنهم من يقود ومن يقاد * ومع هذا التنافي والتباين فمآل مساعيهم وحركاتهم كلها الى شي واحد * وهو ادخال الانسان خنابتيه غداة كل يوم في رائحة كريهة قبل ان يستنشق روائح الازهار * ويتمتع بمتوع النهار * واعجب من جميع ما مرّ بك من هذه الاحوال حالتا اصحابنا السوقيين والخرجيين * فان حرفتهم لما كانت لا تتوقف الا على استعمال اداتين فقط * اى المخيلة والقَسْم دون افتقار الى آلة اخرى * وكان مورد اقوالهم * ومصدر جدالهم * ومبنى انتحالهم * وجلّ راس مالهم * قولهم يحتمل ان يكون هذا الشي من باب المجاز الاسنادي او اللغوي * او من مجاز المجاز او الكناية * او من حمل النظير على النظير * او النقيض على النقيض * او من باب ذكر اللازم وارادة الملزوم او بالعكس * او من قبيل ذكر البعض وارادة الكل او بالعكس *

او من نوع اسلوب الحكيم * او من باب التهكم * او من طاقة التلميح * او من كوّة الالتفات * او من خرق الحشو * او من خرت الأدماج * او من خصاص الاكتفآء * او من شقّ الاحتباك * او من سَمّ عكس التشبيه * او من خلل سوق المعلوم مساق غيره * او من فتحات التجريد * او من فرجة الاستطراد * او من ثقوب التورية * لم يكن من اللائق بهم ان يخلطوا هذه الأوّات وتلك اللوّات بشى

من العَرّادات العرّادة شى اصغر من المنجنيق *

والدَبّابات الدَبّابة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى اصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها *

والدَرّاجات الدبّابة تعمل لحرب الحصار تدخل تحتها الرجال *

والمنجنيقات المنجنيق آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة والمنجليق المنجنيق *

والنَفّاطات النفّاطة اداة من نحاس يرمى فيها بالنفط *

والخَطّار المنجنيق والذى يطعن بالرمح *

والسَيطانات السَيطانة قَناة جوفآ يرمى بها الطيور *

والضُبُر جلد يُغشى خشبا فيها رجال تُقرّب الى الحصون للقتال *

والقَفْع جُنّة من خشب يدخل تحته الرجال يمشون به فى الحرب الى الحصون *

والجَلاهق الذى يرمى به ونحوه البراقيل والبنادق *

والحَسَك اداة للحرب من حديد او قصب فيلقى حول العسكر تعمل على مثال الحسك المعروف *

والقُرْدُمانيّ قبأ محشو يتخذ للحرب وسلاح كانت الاكاسرة تدّخرها في خزائنهم والدروع الغليظة *
والتِجْفاف آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان *
والْيَلَب الترسة او الدروع من الجلود *
والسَرْد اسم جامع للدروع *
والدَرَق التروس من جلود بلا خشب ولا عَقَب ونحوه الجَحَف *
والحُرْشُف الرجّالة وما يزيّن به السلاح *
والعَتَلات العَتَلة العصا الضخمة من حديد لها راس مفلطح يهدم بها الحائط *
والمِنْسَفات المِنسفة آلة يقلع بها البنآ *
والفَلَق مقطرة السجّان وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة الساق *
والخَنازِر الخَنْزرة فاس عظيمة يكسّر بها الحجارة *
والعَذْرآ شي من حديد يعذّب به الانسان لاقرار بامر ونحوه *
والمقاطِر المقطرة خشبة فيها خروق على قدر سعة ارجل المحبوسين *
والمراديس المِرْداس آلة يدكّ بها الحائط والارض *
والدَهَق خشبتان يغمز بهما الساق *
والصاقور الفاس العظيمة *
والمَلاطِس المِلْطَس المِعْول الغليظ *
والمَقارِيص المقراص السكين المعقرب الراس *
والملاوِظ المِلْوَظ عصا يضرب بها *
والمقامع المِقمعة خشبة يضرب بها الانسان على راسه *
والمقافع المقفعة خشبة يضرب بها الاصابع *

والحُدَاْة　　الفاس ذات الراسين *

والمِنقار　　حديدة كالفاس *

والمَهامِز　　المِهْمزة المقرعة او العصا *

والعَرافيص　　العِرْفاص السوط يعاقب به السلطان *

والمخافق　　المخفقة الدِرّة او سوط من خشب *

ولا بالرماح الطاعنات والسيوف الباترات والنبال الصاردات والنصال المدميات والمقادع المولمات والمقارع المصنيات والصُلُب المهلكات والخوازيق النافذات والاغلال المصلصلات والنيران المتاججات والغارات والغزوات والنكايات والكبسات والاستلابات والافتضاضات والانكالات والعداوات والمشاحنات وآخر الجميع بالركاكات * فكم لعمرى من دم سفكوا * وجند اهلكوا * وعرض هتكوا * وحرمة انتهكوا * وذى اهل ربكوا * وعزب همكوا * ونساء ايّموا * واولاد يتّموا * وبيوت خرّبوا * واموال نهبوا * ومصون اذالوا * وحرز نالوا * ومستور فضحوا * وحرام اباحوا * فهل فعل ذلك من قبلهم سَدَنة

الانْصاب　　الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله تعالى *

والكَعَبات　　الكعبات او ذو الكعبات بيت كان لربيعة كانوا يطوفون فيه *

والرَبّة　　كَعْبة لمَذْحِج *

وبُسّ　　بيت لغطفان بناها ظالم بن اسعد لما راى قريشا يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت واخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة

واجترأ به عن الحج فاغار زهير بن جناب الكلبى فقتل ظالما وهدم بناءه *

وعَبَدة مَرْحَب صنم كان بحضرموت *

والعَبْعَب صنم *

والغَبْغَب صنم *

ويَغوث صنم كان لمَذْحِج *

والبُجّة والشّجّة صنمان *

وسَعْد صنم كان لبنى مِلْكان *

ووُدّ صنم ويضم *

وآزر صنم *

وباجَر صنم عبدته الأزد ويكسر *

وجهار صنم كان لهوازِن *

والدَوّار صنم ويضم *

والدار صنم سمّي به عبد الدار ابو بطن *

وسُعَير صنم *

والأُقَيصِر صنم *

وكُثْرى صنم لجديس وطسم كسره نهشل بن الرئيس ولحق بالنبى صلّعم فاسلم *

والضِمار صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه *

ونَسْر صنم كان لذى الكِلاع بارض حمير *

والشمس صنم قديم *

وعُمّيانِس صنم لِخَولان كانوا يقسمون له من انعامهم وحروثهم *

والفِلْس صنم لطيّئ *
وجُرَيْش صنم كان فى الجاهلية *
والخَلَصة صنم كان فى بيت يدعى الكعبة اليمانية لخثعم *
وعَوْض صنم لبكر بن وائل *
وإساف صنم وضعه عمر بن لُحَيّ على الصفا *
ونائلة صنم آخر وضعه على المروة وكان يذبح عليهما (فى قول) *
والمُحَرِق صنم لبكر بن وائل *
والشارِق صنم فى الجاهلية *
والبَعْل صنم كان لقوم الياس عمّ *
وَسُواع صنم عُبد فى زمن نوح عمّ فدفنه الطوفان فاستثاره ابليس فعُبد وصار لهذيل وحُجّ اليه *
والكُسْعه صنم *
والعَوْف صنم *
الكَفَّين صنم كان لدَوْس *
ومَناف صنم *
ويَعُوق صنم لقوم نوح او كان رجلا من صالحى زمانه فلما مات جزعوا عليه فاتاهم الشيطان فى صورة انسان فقال امثّله لكم فى محرابكم حتى تروه كلّما صلّيتم ففعلوا ذلك به وبسبعة من بعده من صالحيهم ثم تمادى بهم الامر الى ان اتّخذوا تلك الامثلة اصناما يعبدونها *
والأَشْهَل صنم ومنه بنو عبد الاشهل لحىّ من العرب *
وهُبَل صنم كان فى الكعبة *

ويالِيل	صنم *
والنَعِم	صنم والتمثال من الخشب والدمية من الصِبغ *
والأَسْحم	صنم *
ونُهْم	صنم لِمُزَيْنة وبه سموا عبد نهم *
وعائم	صنم *
والضَيْزَن	صنم *
والمَدان .	صنم *
والجَبْهة	صنم *
واللات	صنم لثقيف سمّى بالذى كان يلتّ عنده السويق بالسمن ثم خفف وهو فى حديث عروة الرّبّة *
وذى الشَرَى	صنم لدَوْس *
والعُزّى	صنم او سَمُرَة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عِرْقٍ الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بُسّا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله صلّعم خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة *
ومَناة	صنم *
والإلاهة	الحية والاصنام والهلال والشمس ويثلث كالاليهة *
والطاغوت	اللات والعزّى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عُبد من دون الله *
والزُوْن	الصنم وما يتخذ ويعبد — والموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزيّن *

والجبت   الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا حبر فيه وكل ما
عُبد من دون الله تعالى *

او عَبَدة الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد وفُرْدود والفرقد والذِبْح والكَتَد والعَوائذ والحضار والاحور والزُبْرة والاظفار والعُذْر والمَعرّة والاعيار والنَثرة والجَوزآ والبرجيس والتياسين والمَيسان والسُنّيق والشرطين والفارطين والاثافى والعَيّوق والعوهقين والصَرفة والطَرفة والابيض والصِباع والهَقعة والهَنعة والرِدْف والمَعلَف والناقة والنَسقين والسِماكين وسُهَيل والشَولة والعَوكلين والمِرزَمين والسُلّم والبُطَين والقدْر والحَيّة والتحايى والخراتين والخبآ وسُهى والشاة والعَوّآء وكَوَىّ *

فكان يجب عليهم ان يجمعوا رايهم على امر واحد ويقولوا من حيث ان حرفتنا لا تحتاج بحمد الله الى قياس وعدد كحرفة الطبيعيين والمهندسين والرياضيين * فانهم ايّان طلب المنافس منهم دليلا بادروا حالا الى البرهان بالمقادير والمساحة والحساب * فانصبوا انفسهم وانفس سائليهم * وكان حقا [illegible] ان ننهج منهاجا مريحا يقرّبنا ومُعاملينا الى الغرض المقصود * وهو [illegible] اسباب تعلّم هذه الحرفة لكل مضطر اليها منهم * فمن شآ بعد ذلك ان يلبس قبآ او جبّة مع سراويلات من تحتها او تُبّان فليصنعها هو باى لون اعجبه وباى شكل راق له * اذ ليس من الرشد ان يعترض الانسان انسانا آخر مثله فى كيفية لبسه او فى دوقه ومنامه * لان ابن ادم من يوم يستهل بالبكآ الى ان يبلغ اربع عشرة سنة يعيش مستغنيا عنا غير مفتقر الى ما رسمنا به عليه * اذ الغريزة تهديه الى ما يلائمه ويصلح له * الا ترى ان الطفل اذا خُلّى وطبعه لم يلبس الكتّان الرفيع فى

الشتآ وان كان مطرزا * ولا الفرو في القيظ وان كان مزركشا * وانه متى جاع طلب الاكل * ومتى نعس نام * وان طربته بجميع آلات الطرب والانغام * ومتى ظمى شرب * ومتى تعب استراح فهو في غنى عنا من اصل الفطرة * حتى انه يمكنه بحول الله تعالى ان يعيش مائة وعشرين عاما وشهرا من دون روية وجه احد منا او مشاهدة تاجه وحلله الفاخرة وخاتمه النفيس وعصاه المفضضة * فلندع الناس اذا في دعتهم وسلامتهم وشغلهم * ولا نتطفل عليهم ولا نكلفهم ما لا طاقة لهم به * اذ لو شاء الله ان يحوج الطفل الينا لاوحى اليه ان يسال ابويه من وقت ترعرعه عن اسمائنا ومقامنا * وعما نحن عليه من المماحكة والجدال * والقيل والقال * والتشاحن والتشاجر * والتناقر والتنافر * والتلاعن والتهاتر * والتدابر والتهاجر * واحسن من تركه على هذه الحالة ما اذا عنينا بتاديبه وتربيته وتهذيبه وتعليمه صنعة تنفعه في تحصيل معيشته ومعيشة والديه * كالقراة والخط والحساب والادب والطب والتصوير * ومما اذا نصحنا له ان يسعى في خير نفسه وخير ابويه ومعارفه وجنسه وكل من صدق عليه انه انسان بقطع النظر عن هيئات اللباس وتفاوت الالوان والبلاد * لان اللبيب الرشيد لا ينظر الى الانسان الا لكونه متصفا بالانسانية مثله * ومن اعتبر الامور الطارئة عليه كالالوان والطعام والزي فانه يتباعد عن مركز البشرية كثيرا * وانما يتم حسن صنيعنا هذا كله ما اذا صنعناه حسبة لوجه الله تعالى * غير طالبي الجزآ والهدايا * ولا النذور والعطايا * لان كثيرا من الاطبآ يداوون المعسرين مجانا * فترى احدهم يغادر طعامه وفراشه ويذهب الى مريض محموم او به جدري او طاعون احتسابا عند الله * اذ الناس كلهم عيال على الله * واحبهم الى الله انفعهم لعياله * هذا ما كان ينبغي

ان يقولوه * وهذا ما اقوله انا * تامل فى خرجى اقبل يطوف البحار والامصار * ويجول فى الجبال والقفار * ويعرّض نفسه ونفس من ينحاز اليه للسبّ والقذف والعداوة والمشاحنة * وما ذلك الا ليقول للناس انه اعرف منهم باحوالهم * واذا سُئل عن دوآ لعين رمدت * او ساق قرحت * او أُدرة انتفخت * او اصبع دميت * او اذا قيل له ما ترى فى من كثرت عياله * وقلّ ماله * وعضّه زمانه * وجار عليه سلطانه * فمُنى بالجوع * وحُرم الهجوع * واصبح يمشى والناس ينظرون جُهُوته * ويتجنبون خلطته * ولا يستعملونه ولا يستخدمونه * لما تقرر فى عقولهم من ان الفقير لا يحسن عملا * وقد اصبحت اولاده يبكون ويتضورون * وامراته تشكو وتسترحم ولا راحم لها لكون شبابها قد ذهب فى تربية اولادها * او قيل له هل عندك من ماوى لضيف عرير * ما له من نصير * قال ما جئتكم لهذا وانما قدمت اليكم لانظر فى انوالكم التى تنسجون عليها بضاعتكم وفى الوانها التى لا تشاكل ما عندى فى الخرج من اللون الناصع * وما ان يهمّنى النظر فيما فيه راحتكم وانما الراحة فيما به تعبكم * ولو تعطّلت جميع معاملكم * لاقتصاركم على لونى الذى ابرزه لكم راموزا وعنوانا واستوجبتم بذلك لوم التجار والحرّاث والحكام لم يكن علىّ فى ذلك من شى * وهذا سوقىّ يضع لاحدى عينيه على فم جاره والاخرى على عينيه * ثم يغلّ يديه ورجليه * ويقول له اليوم يجب عليك ان تتنحّس * (١) لان شيخ السوق اصبح متخما يشكو وجعا فى معدته وامعائه واضراسه وهو نحس * فينبغى ان تجانسه وتمسك معه * لا يحل لك اليوم ان تنظر * لان الشيخ المشار اليه اضرّ به طول السهر البارحة مع ندمائه ونديماته فعدا وباحدى عينيه الكريمتين رمد او عمش * لا يحل لك اليوم ان تعمل بيديك *

(١) التنحس ترك اكل اللحم *

ولا ان تحرك رجليك * ولا ان تسمع باذنيك * او تستنشق بمنخريك لان السوق اليوم لم تقم والبياعات لم تنفق * ثم هو اذا قيل له افلا تصلح بين زيد وزوجته فقد خاصمته بالامس بعد ان جآت من حانوتك العالى وتماسكا بالشعور * وحلفت المراة لتمنينّه بحيزبون او لتشكونه الى احد اصحابك الضواطرة الكبار * او ان عمرا التاجر قد حُبس منذ يومين لكونه دان بعض الامرآء ولم يمكن له ان يحاكمه ويستوفى منه حقه * ففلّسه القاضى واركبه حمارا فى الاسواق ووجهه الى دبر الحمار * او ان فلانا قد مرض ولزم فراشه لانه ناقش بعض خدّام الامير فنكل به الامير ضربا بالعصى على رجليه وصفعًا بالنعال على القذال * فغدا لا حراك به وقد ورمت رجلاه وانتفخ قفاه * لم يكن منه الا قوله ما دام السوق وشيخه سالمين فالدنيا كلها سالمة * والمصالحُ مستتبّة والسوق مرفوعة وقائمة * والبطون ملأى والافواه لاقمه * والاضراس خاضمه * والمِعَد هاضمه * والايدى غانمه * والافراح دائمه * والخيرات متراكمه * والروسآ حازمه * والعناية عاصمه * والقادمات بالنذور متزاحمه * والوقوف شاملة عامه * وثغور الامانى باسمه * والسلامة خاتمه * الى السوق * الى السوق * فهو حرز العلوق * وذخر الحقوق * فى الصندوق * فى الصندوق * فهو اولى من الصَبوح والغَبوق * وقد طالما والله امتلأ هذا الصندوق ذهبا وجواهر ثم افرغ على تهاتر وترّهات ومباحث فارغة وامور سخيفة * فقد بلغنا ان بعض ضواطرة السوق انفق فى مدة ستّ سنين قضاها بالبحث والجدال على شكل قُبّعة كذا وكذا بدرة من المال * وتفصيل ذلك انه نظر نفسه ذات يوم فى المرآة وكان قد تعلّم مبادى الهندسة والهيئة * فراى راسه مدوّرا كالبطيخة * فراق له ان يتخذ قبّعة مدورة على هيئة راسه * لان المدوّر

يلأئم المدوّر كما تقرر فى الاصول * فرآه بعض مزامليه من سوق آخر وكان اعظم منه قدرا ووجاهة واوفر علما * فسخر منه وقال له مَن وسوس اليك ياابن قُبَعة * حتى لبست هذه القُبّعة (١)* مع ان شكل راسك مخروط* فقال له قد ضللت بل هو اكثر استدارة من راسك كما يشهد لى بذلك شيخ السوق * فال كذبت بل هو مخروط وان كنتَ كثير العَنس اليه وانى اهدى من شيخك واقوم طريقا * قال كفرت وعميت عن معرفة نفسك فانّى لك ان تعرف غيرك * قال تبدّعت بل انت صُمِه كُمِه وقد حمقت وسفهت فى عدم قبولك النصح * فاليوم ترى الناس المدوّر من المخروط * والسارط من المسروط * ثم لجّ بينهما العناد وتقابضا بالازياق والجيوب والافلاع* ثم بالجمم ثم بالاعراض* فمزق كل منهما عرض صاحبه اى عدوّه * ثم صاحا واستغاثا وتشاكيا لدى الحاكم وتباهلا وتهاترا * فلما ثبت للحاكم ان فعلهما فعل الشبارقة (٢) راى ان مداواتهما بغرامة رابية * اولى من حصرهما فى الزاوية * فانصرف كل منهما وقد غرم كذا وكذا بدرة * ثم ان الصوطار الاول اتخذ له بعد ذلك قبّعة بين بين * اى نصفها [illegible] ونصفها مخروط بحيث لا يقدر على تمييزها لا الجهبذ النحرير * والناقد الخبير* وآب الى حانوته كمن قفل من غزوة * او اسر الدبحّية * (رئيس الجند) او كذلك الديك الغالب* واول ما امر على السوق امر جميع القبّعيّين ان يخرجوا لملاقاته بالتقليس لا بالتلقيس (٣) * فخرجوا على تلك الحالة وهم يضجون ويقولون * اليوم عيد القبعه * اليوم يوم الفرقعه * ياامّعه ياامّعه * فبصر بهم اعوان الحاكم فى ذلك الصقع فظنوا انهم خلعوا ربقة الطاعه * وشقّوا عصا الجماعه * فبادروهم بالالت الازّ والبحز والبخز والبزّ والبغز والبهز والجُرز والجلز والحزّ والحفز والخز والدغز والرزّ والرفز

(١) ابن قُبَعة وقابعاً وصف بالحمق *

(٢) الشَبْزق مَن يتخبطه الشيطان من المسّ *

(٣) التقليس استقبال الولاة عند قدومهم باصناف اللهو وان يضع الرجل يديه على صدره ويخضع* والتلقيس مبالغة لقسه اى عابه ولقبه *

والززّ والشخز والشرز والشعز والشكز والضخز والضفز والطعز والعرز والفحز والقلز واللبز واللتز واللزّ واللكز واللقز واللمز واللهز والمحز والمرز والمهز والنخز والنحز والنغز والنكز والنهز والوخز والوكز والوقز والوهز والهبز والهرز والهمز والوهز * حتى جعلوهم عبرة للمعتبر * وفرّ الصوطار بقبعته وقد اوقع قومه في الخزى والعار مما اصاب الرجال من الرزء ولحق النسآ من الزيادة * ومع ذلك كله فلم يُجْدِه شيخ السوق المستعَزّ به شيا * بل ظل مكبّا على تعاطى الافيون لطول ارقه وتبييته * وقد سدّ اذنيه ببعض اوراق دفاتر السوق لئلا يسمع صراخ المستجيرين به او يوقظه احد من سباته * فهو راقد الى هذا اليوم اى يوم تدوين هذه الواقعة * فان افاق فللقارى ان يقيد ذلك فى اخر هذا الفصل فقد تركت له محلا *

انتهت دحرجة الجلمود والحمد لواجب الوجود *





الفصل الثانى

في سلام وكلام *

عمتَ صباحا يافارياق * كيف انت * وكيف رايت الاسكندرية * هل تبيّنت نسآها من رجالها فان النسآ فى بلدكم لا يتبرقعن * وكيف وجدت مآكلها ومشاربها وملابسها وهوآها ومآها ومنازهها واكرام اهلها للغربآء * الم يزل براسك الدُوار * وعلى لسانك هجو الاسفار * قال اما موقع المدينة فانيق لكونه على البحر * وقد زادت بهجة بكثرة الغربآ فيها فترى روس ناس مغطاة بطراطير * واخرى بطرابيش * واخرى بكمام وغيرها بقاعط * واخرى ببرانس وغيرها بعمائم * واخرى بأصناع وغيرها بعصائب * واخرى بعمارين وغيرها بقداميج * واخرى بنصاف وغيرها بقبعات * واخرى بقلانس وغيرها ببراطل * واخرى بسُبوب وغيرها باراصيص (ا) * واخرى باراسيس وغيرها بخنابع * واخرى بقنابع وغيرها بدنّيات واخرى بصواقع * وغيرها بصُمد واخرى بصوامع * وغيرها بمشامذ واخرى بمشاوذ * وغيرها ببرانيط على شكل الشقيط والشبابيط والصفاريط والضماريط والقلاليط والصاربط والعذافيط والعماريط والقماعيط * ومنهم من له سراويلات طويلة مفرسخة تكنس ما خلفه وما قدّامه * ومنهم من لا سراويلات له فبعثطه بادٍ والناس بتمسّحون بما امامه * ومنهم من له تبّان * ومنهم من له إنب * ومنهم

(ا) الارصوصة قلنسوة كالبطيخة *

[illegible]ر ومنهم بهميان * ومنهم برجّل (السراويل الطاق) ومنهم بأندروَرد *
ومنهم بدِقرارة او دُقرور * ومنهم من يركب الحمير والبغال * وغيرهم على
الخيل والجمال * والابل في ازدحام * والناس فى النظام * فينبغى للسائر
بينهم ان لا يفتر من الدعآ بقوله اللهم أجِر * اللهم احفظ * اللهم الطف *
توكلت على الله * استعنت بالله * اعوذ بالله * فاما براقع النسآء فهى
وان كانت تخفى جمال بعضهن الا انها تريح العين ايضا من قبح سائرهن *
غير ان تستّر القبيحات اكثر * لان المليحة لا يهون عليها اذا خرجت من
قفصها ان تطير فى الاسواق من دون ان تمكّن الناظرين من رؤية
ملامحها * لينظروا حسنها وجمالها ويكبروا لافترارها * فيقولوا ما شا الله *
تبارك الله * جل الله * الله الله * حتى اذا رجعت الى منزلها اعتقدت ان
جميع اهل البلد قد شُغفوا بها حبا * فباتت تنتظر منهم الهدايا والصِلات *
والاشعار والمواليات * فكلما غنّى مغنٍّ انصتت الى غنائه وسمعت اسمها
يتشبّب به * فاذا بكرت فى اليوم القابل [illegible] الاسواق ورأت الناس مكبّين
على اشغالهم تعجبت من بقآئهم اصحآ قادرين على السعى والحركة *
فزادت لهم فى كشف مسافرها * وقساتها ومحاجرها * وفتنتهم باشاراتها
وايمائها * ورأراتها وايبائها * ورمزها ولمزها * وهَجلها وغمزها * وغنجها
ودلالها * وتيهها وعجبها * وزهوها وشكلها * وتدعّبها وتصعيرها * ودعلجتها
ودغنجتها * وتبغنجها ودهمجتها * وشزرها وخزرها * وشنَفها وحدفلتها *
وشفونها وازلاقها * واستكفافها واستشفافها * واستيضاحها واستشرافها *
وخلاعتها وخُيَلائها * وتمايلها وتهاديها * وتعدّنها وتعاطفها * وتثنّبها وتاوّدها *
وتدكّلها وتخوّدها * وتذيّلها وتعيّلها * وتفتّلها وتقتّلها * وتذبلها وترفلها *
وتبخترها وتخطلها * وتفحتها وتدهكرها * وتبهكنها وتهذخرها * وتخلعها

وتفككها * وميحها وحككها * وتدأديها وتغطرفها * وتودفها وتغصفها * ودألها ووهازتها * وألها وهوادتها * وخيزلاها وخيزراها * توزانباها وازوزاها * ومطيطآتها وكردحائها * وهبيخاها وعجيساها * وهربذاها وحيداها * وهبصاها وجيضاها * وقنجلاها وهبلاها * وخبقاها ودفقاها * وعرقلاها وهمقاها * وعميثليتها وقمطراها * وسبطراها * وتبدحها وترنحها * وخندفنها وخزرفتها * وخظرفتها وبادلتها * وبحدلتها وبهدلتها * وذحذحتها وحرقلتها * وحركلتها وهركلتها * ورابلتها ورهبلتها * وقهبلتها وكسملتها * وقندلتها وحنكلتها * وعردلتها وهيقلتها * وخذعلتها ودربلتها * وزيحلتها ووكوكتها * وكوكوتها ووذوذتها * وذوذوتها وزوزكتها * ورهوكتها وفرتكتها * ومكمكتها ورهدنتها * وكتكتتها وبرقطتها * وقرمطتها وحرقصتها * وزهزمتها وحذلمتها * ودمرمتها وزهلقتها * وترهيئها وتعمجها * وتبهرسها وتهبرسها * وتغطرسها وتهطرسها * وتكدسها وترهوكها * وتهالكها وتهكيلها * وتفركها وتومزها * وتهيمها وأنفها * ورسمها وزوفها * وزيفها وهوجلها * وحتكانها وعتكانها * وزيكانها وزوكانها * ورفلانها وملدانها * وزيفانها وذألانها * ورَيسانها وكتفانها * وميسانها وتزابيها * وهمذانيها وتشرطلها * وتعذلقها وتخزلجها * وحقطها ولبطها * وبفزها وقفزها وبهزها مقبلة مدبرة * وزاد طمعها ايضا في الهدايا * قال وقد نظمت في البرقع بيتين ما اظن احدا سبقني اليهما وهما *

لا يحسب الغر البراقع للنسا	منعا لهن عن التمادي في الهوى
ان السفينة انما تجرى اذا	وضع الشراع لها على حكم الهوا

فاما رجالها فان للترك سطوة على العرب وتجبرا * حتى ان العربي لا يحل له ان ينظر الى وجه تركي كما لا يحل له ان ينظر الى حرم غيره * واذا

اتفق فى نوادر الدهر ان تركيا وعربيا تماسبا اخذ العربى بالسُنّة المفروضة * وهى ان يمشى عن يسار التركى محتشما خاشعا ناكسا متحاقرا متصاغرا متضائلا قافا متقبصا متقبصا متقفصا متشمصا متحمصا متحرفصا مكتزا منكاولا متازحا متقرفعا متقرعفا مقرعفا متقفعا منكنبثا مقعنصرا متقوصرا مستزمرا معرنفطا مقرنفطا متجعثما متجعثنا مرزئما مرمئزا مقمئنا مكبئنا متحنبلا متفاصا مراعرا مكردحا متضائما متصعصعا مترازئا مقرنبعا مدنقسا مطرمسا مطرمسا متكرفسا منقفشا معقنفشا متخويا معرزنما متحشلا آزما لازبا كاتعا كانعا متشاجبا مُضَعْنبا مُجُرْبرا مجرمّزا متدخدخا * فاذا عطس التركى قال له العربى رحمك الله * واذا تنحنح قال حرسك الله * واذا مخط قال وقاك الله * واذا عثر عثر الآخر معه اجلالا له وقال نعشك الله لا نعشنا * وقد سمعت ان الترك هنا عقدوا مجلس شورى استقر رايهم فيه لدى المذاكرة على ان يتخذوا لهم مركبا وطيئا من ظهور العرب فانهم جرّبوا سروج الخيل وبراذع الجمال واكفها واقتاب الابل وبواصرها وحُصُرها وسائر انواع المحامل من

كِفْل	مركب للرجال *
وشِجار	مركب يتخذ للشيخ الكسير ومن منعته العلّة من الحركة *
وجِذْج	مركب للنسآ كالمحفّة *
وأُجْلُح	هودج ما له راس مرتفع *
وحُوف	شى كالهودج ولبس به *
وقُرّ	مركب للرجال والهودج *
ومِحفّة	مركب للنسا *
وفِرفار	مركب من مراكب النسا *

وحَمْل هودج *

وجِلال مركب للنسآ *

وكُذْن مركب لهن *

وقُعْش مركب كالهودج *

ومُحارة شبه الهودج *

وقَعَدة مركب لهن *

وكُتْر الهودج الصغير *

ومَشرة ج مواثر مراكب تتخذ من الحرير والديباج *

ورِجارة مركب اصغر من الهودج *

وعَريش كالهودج *

وعَبيْط مركب *

وجِزْق مركب شبيه بالباصر *

وبُلُبلة هودج للحرائر *

وجِقْل هودج *

وتُوْأمة من مراكب النسآ ج تُوْآمات *

وفُوْدج الهودج ومركب العروس *

ومن رَحْل وعجلة وعرش وشُرْجُع ومِزفة ومِنصّة وسرير ونعش فوجدوها كلها لا تصلح لهم * ورايت مرة تركيا يقود جوقة من العرب بخيط من الكاغذ وهم كلهم يقودون له * استغفر الله مرادى ان اقول ينقادون له * ولم ادرِ ما سبب تكبّر هولآ الترك هنا على العرب * مع ان النبى صلّعم كان عربيا * والقرآن انزل باللسان العربى * والائمّة والخلفا الراشدين والعلمآ كانوا كلهم عربا *

غير انى اظن ان اكثر الترك يجهل ذلك فيحسبون ان النبى صلّعم كان يقول شويله بويله * او بقالم قبالم * او

غطالق پاپ خى دلها طغالق پلق يخ بلها
صفالق پاره خشت وكرد فصالق هاپ دركلها
دخا زاوشت قلدى نلك خدا شاوزت قردلها
اشكلرهم كبى والله قلاقلها بلابلها

لا والله * ما هذا كان لسان النبى ولا لسان الصحابة والتابعين والائمة الراشدين رضى الله عنهم اجمعين الى يوم الدين امين وبعده امين * فاما ماوها فما احسن راسه وانجعه * الا انه قذر الذنب تتجسد حيوانات الارض باجمعها * وطيور السمآء بجملتها * حتى ان سمك البحر اذا اصابته هيضة طفر الى راس هذا الذنب [illegible] ما اثقله * فاما اكلها فالفول والعدس والحمص والزنّ والدُوْسر والقَرِيْنآ والخَرْفى والجُلْبان والباقِلّى والحُنْبُل والدُجْر والخُلّر والبُلُس والبِيْقة والترمس والخُرّم والشُبْرُم واللوبيآ وكل ما يحبنطى به البطن * وذلك ان اهلها لا يرون فى الخمائص حسنا * حتى ان النسآ فيما بلغنى يتخذن معجونا من الجُعَل وياكلنه فى كل غداة لكى يسمنّ ويكون لهن عُكَن مطويات * واضرّ ما لاقيت فيها قُيَّعر قيعار * قدم اليها من بعض البلاد الحميرية وتعرف بجماعة من النصارى فيها * فصار يدخل ديارهم ويسامرهم * فلما لم يجد عند احدهم كتابا اقام نفسه بينهم مقام العالم فقال انه يعرف علم الفاعل والمفعول وحساب الجُمّل * واتخذ له كتبا بعضها من غير ابتدآء وبعضها بغير ختام وبعضها مخروم او

ممحو * فكان اذا خاطبه احد في شي عمد الى بعض الكتب ففتحه
ونظر فيه ثم يقول * نعم ان هذا الشي هو من الاشيآ التي اختلف فيها
العلمآ * فان بعض مشايخنا في الديار الحميرية يتهجاه كذا * وبعضهم
في الديار الشامية كذا * ولمّا يستقرّ رايهم عليه فاذا استقرّ فلا بد من
ان يخبروني به * قال الفارياق وقد سمعت مرة مَن استفزه باعث من
الشغل يساله عن الوقت * فقال له ساعة وخمس دقائق اما الساعة فقد
اشتق منها الساعي وعيسى * اما الساعي فلكون السعي كله يتوقف على
الساعات * اذ لا يمكن لاحد ان يعمل عملا خلوّا من الوقت * فان جميع
الافعال والحركات محصورة في الزمان كانحصار ـــ ثم ادار نظرة ليتشبهه
بشي فراى كوزا لبعض الصبيان * فقال كانحصار المآ في هذا الكُزّ * ثم
راى زنبيلا لصبيّ اخر فقال او كانحصار غدآ هذا الولد في هذا الزنّبيل *
واما عيسى فلكونه اشتمل على جميع المعارف والعلوم اشتمال الساعة
على الدقائق * ثم ان قولي خمس حقيقة معناه اربعة بعدها واحد او
ثلثة قبلها اثنان ولك ان تعكس * وانما قالوا خمس دقائق ولم يقولوا
خمسة طلبا للتخفيف والعجلة في الكلام * فان بطول الالفاظ يضيع
الوقت * وقولي دقائق هو جمع دقيقة وهو مشتق من الدقيق
للطحين * اذ بينهما شبه ومناسبة بجامع النعومة * ثم ان هناك الفاظا
كثيرة تدل على الوقت وهي المسآ والليل والصبح والضحى والظهر والعصر
والدهر والابد والحين والاوان والزمن * اما الستّ الاولى ففيها فرق
واما الاخيرة فلا * فاعترضه رجل من اولئك الكبرآ وقال قد رابني
ياالستاذنا ما قلت * فان كلّا من جاريتي وستّها لها فرق * فضحك
الشيخ من حماقته وقال له ان كلامي هنا فيما حواه الزمان لا فيما

حواه المكان * فساله آخر قائلا اين جامع النعومة هذا الذى ذكرت ان فيه الدقيق * فضحك ايضا وقال اعلم ان لفظة جامع تسمّى عندنا معاشر العلمآ اسم فاعل اى الذى يتولى فعل شى ايّا كان * لكنى طالما عزمت على ان اناقشهم فى هذه التسمية * لان من يموت او ينام مثلًا لا يصح ان يقال فيه انه فاعل الموت او النوم * فقولى جامع على القاعدة المعلومة عندنا هو اسم لمن جمع شيا * حتى ان الكنيسة يصح ان يطلق عليها لفظ الجامع لانها تجمع الناس * فلما قال ذلك اكفهرت وجوه السامعين * قال فسمعت بعضهم يجمجم قائلا * ما اظن الشيخ صحيح الاعتقاد بدين النصارى * فقد اصابت اساقفتنا فى حظرهم الناس ان يتبحروا فى العلوم ولا سيما علم المنطق هذا الذى يذكره شيخنا * [illegible] المنطق تزندق * ثم انصرف منه الجميع مدمدمين * وساله مرة قسيس عن اشتقاق الصلوة * فقال هى مشتقة من [illegible] لان المصلى يحرق الشيطان بدعائه * فقال له القسيس اذا كان ماوى الشيطان سقر مذ الوف سنين ولم يحترق فكيف تحرقه صلوة المصلّى * فتناول بعض الكتب ليقتبس منه جواب ذلك فاذا به يقول * قال احد علمآء الرهبان الاحتراق على نوعين * احتراق حسّى كمن يحترق بالنار * ومعنوىّ كمن يحترق بحبّ العذرة * ثم وقف وتاوه قائلا * قد اخطأ سيدنا الراهب * لان العذرآ يجب مدّها * فقال القسيس وقد حنق عليه كيف يجب مدّها اذا لم تنشأ * قال ويلى عليك انت لآخر لا تعرف المدّ والقصر فى الكلام واطفال الحارة فى بلادنا يعرفون ذلك * قال بلى ان اقتصار الكلام مع من يحطّى الرهبان مرية * ثم تولى من عنده مدمدما * قال الفارياق وقال

لى مرة قد يظهر لى ان الحق استعمال دعا اذا اريد به معنى الصلوة ان يتعدّى بعلى * فيقال دعوت عليه كما يقال صليت عليه * قلت فقلت له لا يلزم من كون فعل يوافق فعلا آخر فى معناه ان يوافقه فى التعدية * فغصّ بذلك ولم يفهمه * وشكا اليه مرة رجل من معارفه اسهالا آلمه * فقال له يغالطه او يسلّيه * احمد الله على ذلك ليتنى مثلك * قال كيف هو ان طال قتل واسال الجسم كله * فقال له انه منّة من الله * الم تسمع كل ملهوف يقول يارب سهل * فقال التاجر انا ما عنيت التسهيل بل الاسهال * فقال هما بمعنى واحد لان افعل وفعّل كلاهما ياتيان للتعدية * كما تقول انزلته ونزّلته * ولان كلّا من التسهيل والاسهال فيه معنى السهولة * وكتب مرة الى بعض المطارين العظام * المعروض ياسيدنا بعد تقبيل اردافكم الشريفة * وحمل نعالكم المنيفة اللطيفة * الظريفة النطيفة الرهيفة العفيفة الموصوفة المعروفة المخصوفة * قال فقلت له ما اردت بالارداف هنا * فقال هى فى عرف المطران بمعنى الراحة * ثم لم يلبث ان بعث اليه ذلك المطران ببركة وكتاب اطرا فيه على علمه وفضائله جدا فمما كتب اليه * قد قدم علىّ مكتوبكم الابنيّ واننا خارج من الكنيسة فما قراته حتى دخلت الصومعة واولجت فيها * فلما اتيت على اخراه علمت انك صاحب الفصول * مولف الفصول * جامع بين الفروع والاصول * طويل اللسان * قصير البدان * (عن المحرمات) واسع الجبين * عميق الدين * عريض الصدر * مجوف الفكر * وكتب فى آخره * اطال الله بقاك * وفباك * وهنّاك ومنّاك * والسلام ختام * والختام سلام * والبركة الرسولية تشملكم اولا وثانيا الى عاشرًا * فجعل يبدى هذا الكتاب لجميع معارفه وخصوصا لمن كانوا خرجوا من

عنده مغضبين لتقريره على لفظة الجامع * فلما وجدوها فى كلام المطران
زال عنهم الاشكال والريب فى صحة استعمالها * وزاد الرجل عندهم
وجاهة وجلالا * فاما سوالك عن كرم اهل هذه البلدة فانهم كانوا فى ظهور آبائهم
على غاية من السماحة والجود * الا انهم لما برزوا الى عالم التجارة وخالطوا
اصحاب هذى البرانيط اخذوا عنهم الحرص والبخل واللآمة والزعيق بل
برّزوا على مشايخهم * وانهم اذا ضمهم مجلس لم يكن منهم الا الحديث
عن البيع والشرآ * فيقول احدهم قد جآنى اليوم جندىّ من الترك فى
الصباح ليشترى شيا فتطيرت من صباحه واستفتاحه * اذ لا يخفى عنكم
ان الجندى يستدين ولا يقضى دينه * واذا تكرم بنقد الثمن فما يعطى
التاجر الا نصفه * فقلت له ما عندى مطلوبك ياافندى * وانما اردت
تغضبه بهذا اللقب ليتادب معى * فما كان منه الا ان دخل الحانوت وبعثر
البضاعة كلها واخذ ما أراد منها وما لم يرد * ثم ولّى وهو يسبنى * فيقول
آخر وانا ايضا جرى لى مع سيدة من نسآء الترك واقعة * وذلك انها بكرت
علىّ اليوم وهى تنوء بحليها * واقبلت باسمة الىّ وقالت هل عندك ياسيدى
حرير مزركش * قلت وقد استبشرت عندى * فقالت ارنى المتاع
فاريتها اياه * فتداركتنى بالخفّ وقالت امثلى يرى هذا * ارنى غير
ذلك * فاريتها ما اعجبها فاخذته وقالت ابعث معى من يقبض الثمن *
فبعثت غلامى فتبعها حتى دخلت دارا كبيرة وامرت حاجبها بضرب الغلام
وايلامه * الا ان الحاجب لما كان من الترك وراى الغلام امرد لم يطاوعه
قلبه على ضربه لكن انفذ فيه امر سيدته بما اوصل اليه من الاذى والالم *
وهكذا ينقضى نهارهم بالمكروه وليلهم بذكره * واظن ان التاجر يطرب
بمجرد ذكر البيع والشرآ وان لم يكن فيه ربح * فاما ما جرى لى

بعد وصولى فانى نزلت عند خرجى من اصحاب صاحبى الاول * فتبوأت حجرة بالقرب من حجرته * فكنت اسمعه كل ليلة يعرك امراته بآلة غير معدة للانين والحنين * والرنين والخنين * فكان يهيجنى فعله الى البطش به * وكثيرا ما فكرت فى ان اقوم من فراشى لكنى خشيت ان يصيبنى ما اصاب ذاك الاعجمى المتطبب الذى جاور قوما من القبط * وانه سمع ذات ليلة صراخ امراة من جارانه فظن ان لدغتها عقرب وذلك لكثرة وجود العقارب فى بيوت مصر * فقام الى قنينة دواء تالبطها واقبل يجرى * فلما فتح الباب وجد رجلا على المراة يعالجها باصبعه كما هى عادة القوم * فلما راى الطبيب ذلك دهش فوقعت القنينة من يده وانكسرت * وكان هذا الخرجى ابيض اللون ازرق العينين مع صغر واستدارة فيهما * دقيق ارنبة الالف مع عوج فى قصبته * غليظ الشفتين * وانما تكلفت لوصفه لك ليبقى نموذجا عندك تقيس عليه جميع من تراه من الخرجيين وغيرهم * وكان قد اتخذ فوق سطح منزله هرما صغيرا مرصوفا من قنانى الخمر الفارغة * فكان سطحه اعلى سطوح الجيران * قال ثم عن له يوما ان يكلفنى انشاء خطبة فى مدح الخرج لكى اتلوها فى مخطب صغير كان قد استاجره * فلما فرغت منها عرضتها عليه فذهب بها الى قيعر قيعار * فقال له ما مرادك ان تصنع بهذه الاحجية الخرجية * قال يتلوها منشئها على الناس فما رايك فيها * قال هى حسنة الا ان عيبها هو ان لا يفهمها احد الا انا وهو * ونحن قد قراناها فلا موجب لاعادتها * فعدل عن ذلك * قال واتفق لى وانا مقيم عنده انى خرجت فى عشية من عشايا الصيف البهيجة امشى وحدى وبيدى نسخة الدفتر * ولما كان راسى قد حفل بالافكار فيما انا عليه من فرقة الاهل والاحباب وذكر الوطن * والتغرب عنه

لغير سبب من اسباب المعاش سوى لخصام سوقى وخرجى على قال وقيل * اوغلت فى المشى فانتهيت الى ظاهر المدينة وكان يتبعنى رجل رأى فى نسخة الدفتر معرفها فرهم لهيئتى بداهية * فاقبل الىّ يكلمنى ثم عطف بى يمنة ويسرة وهو يعللنى بالكلام حتى انتهينا الى مكان خال * فتركنى هناك وقال لى ان علىّ ان اقضى هنا بمصلحة * فحاولت الوجوع الى مقرّى واذا بسرب عظيم من الكلاب جرت فى تستبعنى ودنت منى * فهولت عليها بالكتاب فهجمت علىّ هجمة السوقى على الخرجى * ثم تحاصّوا جسمى وثيابى والكتاب فبعضهم عضّ * وبعضهم أدمى * وبعضهم جرّ * وبعضهم تهدّد فى المرة الثانية * فما كدت اتملّص من بين ايديهم الا وثوبى وجلدى ممزق على ممزق * وقد مزّق الدفتر ايضا اوراقه وجلده * فلما رجعت الى منزلى ورانى الخرجى على هذه الحالة لم يكترث بشانى او انه لم يرنى من فرط اشتغاله بالخرج * وانما علم انى رجعت خلوا من الدفتر فاعتقد انى اعطيته لاحد * ففرح بذلك جدا ورغب فى ان يجعلنى عنده فى مصلحة خرجية * لكن راى من الواجب ان يشاور صاحبه فمن ثم كتب اليه فى شانى * فابى ذاك وقال لا بد من تسفيرى الى الجزيرة * لان النية استقرت على هذا من قبل * وما حسن تغيير النيات * فعزم مصيفى على اجراء ذلك وها انا منتظر السفينة *



الفصل الثالث

في انقلاع الفارياق من الاسكندرية

من نحس صاحبنا انه عند سفره الى تلك الجزيرة لم تكن خاصّية البُخار قد عُرفت عند الافرنج * فكان سفر البحر موكولا الى الريح ان شاءت هبّت وان شاءت لم تهب * كما قال الصاحب ابن عباد

وانما هي ريح لست تضبطها   اذ لست انت سليمن بن داود

فمن ثم ركب الفارياق في سفينة ريحية من هذا النوع وكان في مدة السفر يتعلم بعض الفاظ من لغة اصحاب السفينة مما يختص بالتحية والسلام * من جملة ذلك دعآء يقولونه عند شرب الخمر على المائدة وهو قولهم طابت صحتك * الا ان لفظ الصحة عندهم يقرب من لفظ جهنم فكان يقول طابت جهنمك * فكانوا يضحكون منه وكان هو يسبّهم بقلبه ويقول * قاتل الله هولآء العلوج انهم يقيمون في بلادنا سنين ولا يحسنون النطق بلغتنا * فيلفظون السين اذا سبقها حركة رايا وحروف الحلق وغيرها محاله ونحن لا نضحك منهم * وقد سمعت ان بعض قسيسيهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال * « ايها الكوم « كد قات الوكت لان ولكني اهسب فكم نهار لاهد الكابل ان سا الله » *

ثم سار الى بعض معارفه من اهل الدراية والعلم والتمس منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن ظهر قلبه او يتلوها تلاوة * وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر فقال * « بسم الله الرحمن » * ثم كانّه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته * فاستدرك كلامه وقال * « لا لا ما بدّيش اكول مسلما بيكول « لاسلام بسم الله الرهمن الرهيم بل كما تكول النسارى بسم لاب « ولابن والروه الكدس * ياولادى المباركين الهادرين هنا لسماع هتبتى * « وكبول نسيهتى وموهزتى * ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزات لآلم * « اهبرونى هتى اكسر من هابكم فلا يتدجّر اهد من تُوله ولا يتالّم * ولا « فهزى فرسة سنهت لى اليوم * ازكر فيها النسآ والرجال تنزكير من لا يكشى « [illegible] وانزرهم يوم الهشر والهساب * يوم لا ينفا مال ولا أسهاب * « و[illegible] لا جواب * ايلموا رهمكم الله ان الدنيا زايله * ومتامهها « باتله * وهالاتها هايله * ومهاليها سافله * فكونوا منها على هزر * ولا « يُدلكم ما آجب منها وما سرّ * اسرفوا انّها تُزركم * ولا تالكوا بها وتُركم * « اهسوا فيها كلبكم كبل ان تسندوا روسكم الى المهدّة * ووازبوا الى « السلوات فى الديك والشدة * كدموا للكنايس نزوركم ولو كليله * واستهينوا « بالكدّيسس هال التيله * لتنكزوا من المهن والمسايب * وتنفسّوا من الكرنب « والنوايب(١) اهترموا كتّيسيكم واساكفتكم ووكّروهم واكتدوا بهم * واركبوهم ولاهزوهم « ترشدوا بسابهم وركسهم ودابهم * ياايها النّسارى ان ديننا هو الهك * ووادة هو « لاسدك * وكبيرة هو لاكدك * وسُوكه هو لانفك * لا تكالتوا هولآ « الكرجيّبن * الزين اندسّوا فيكم مزهين * يتزبّبون فى ادلالكم عن « الزرات المستكيم * بما يزهرون لكم من الورا والكُلك الهلم * لا انهم

(١) الكرنب مصحّفة عن الكرب *

« هم الرياب الكاتفة المتردية بلباس الهملان * الجايلون فى كل كُتْر
« وسُك ينسبون الينا الزيك والبهتان * وهم ازيك من سلك تريكا *
« واكزب من كش سديكا * وكان رفيكا * الى ان فال ايها الكاركون فى
« بهار الهتايا * تجنبوا ما يفدى بكم اليها فان آكبتها الَيكم بلايا ورزايا *
« الا فاسرموا ازبابها سرما * وكاوموا اركابها أزما * واستاسلوا جزرها رهزا *
« واكلاوا مُكوِياتها ـ تنالوا ركزًا * الازباب الازباب * فاكتاوا الازباب * حتى
« تهلسوا فى يوم الهساب * من الكساس والازاب *» (اى اقطعوا الاسباب
حتى تخلصوا فى يوم الحساب من القصاص والعذاب) ومع ذلك فلم
يصفعه احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا النمط * الا
ان امراة لبيبة كانت قد تزوجت مذ عهد فريب لما سمعت الفقرة الاخيرة
غضبت وقالت * الا لا بارك الله فى يوم راينا فيه وجوه هولآ العجم فقد
احتكروا خيراتنا وارزاقنا * وافسدوا بلادنا وسابقوا ناسنا الى تحصيل
ازاتهم من ارضنا * وعلّموا من عرفهم منا البخل والحرص والطيش والسفاهة *
وما لعمرى حصلوا على هذا الغنى الجزيل الا لجشعهم وشحهم * فلقد سمعنا
ان الرجل منهم اذا جلس على المائدة مع اولاده ياكل اللحم ويرمى
بالعظام اليهم ليتمششوها * ولكونهم حراميّين غبّانيين فى البيع غشاشين *
وقد بلغنى ان اخوانهم فى بلادهم انجس منهم وافسق * وهذا الشخص
الان يغرى بعولتنا بارتكاب الفاحشة لتخلو له الساحة فيفعل ما يشآ *
فانى اعلم عين اليقين ان هولآ المنابريّين انما يقولون بافواههم ما ليس
فى قلوبهم * وانهم ليعلّمون الناس الزهد فى الدنيا والجُبّ وهم احرص
الثقلين عليها وافرم الخلق الى البعال * فما جزآوه الان الا قطع لسانه
حتى يعرف الم القطع * لعمرى ان الانسان لا يهون عليه احيانا ان يفلّم

اظفاره لكونها مدة * ولذلك كانت اخواتنا نسآء الافرنج يربّين اظفارهن ويفتخرن بها مع انها لا تلبث ان تنبت * فكيف يجوز قطع ما يعمّر به الكون * (طيّب الله انفاسك ياحديثة عهد بالزواج * وعتيقة نقد للاعلاج * ليت النسآء كلهن مثلك وليتني الثم شفتيك) ثم لما خرج القسيس من الكنيسة اذا بالناس جميعا اهرعوا لتقبيل يده وذيله * وشكروه على ما افادهم من المعاني البديعة بقطع النظر عن غيرها * لما تقرر في عقولهم من ان من خواص دين النصارى ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن * لان قوة الدين تقتضيه لتحصل المطابقة كما افاده المطران اتناسيوس التتونجي الحلبي البُشكاني الشلّاقي الشَوْلقي الانقافي النشّافي المقسقسيّ اللَقّاعي النَطّامي المُصنوي الحُتفلي الأرْشميّ الثُرتميّ القَدِيحي التخمّمي الانعيثي في بعض مولفاته المسمّى بالحكاكة في الركاكه * قال الفارياق * واذ قد ابتلاني الله بعشرة هولآء اللئام فلا بد لي من مجاملتهم ومخالقتهم الى ان يمنّ علي بالنجاة منهم * قلت وحيث قد مرّ ما قاله الفارياق في سفرته الاولى فلا موجب الان لاعادة ذكر شكواه هنا من الم البحر * وانما نقول انه في خلال معاناته ومقاساته حلف لا يركبنّ بعدها في شي من مراكب البحر * من

الجُفآ	السفينة الخالية	ذكره صاحب القاموس في المهموز *
والمُرزاب	السفينة العظيمة او الطويلة *	
والزَبْزَب	ضرب من السفن *	
والبارجة	السفينة الكبيرة للقتال *	
والخليج	سفينة صغيرة دون العَدَوْليّ *	
والطَراد	السفينة الصغيرة السريعة *	

والمُعبّدة السفينة المقيّرة *

والغامِد السفينة المشحونة كالآمِد *

والدَسْرآ السفينة تدسر المآ بصدرها ج دُسْر *

والزُرْزُور المركب الضيّق *

والزَنّبرىّ الضخم من السفن *

والقُرْقور السفينة الطويلة او العظيمة *

والكار سفن منحدرة فيها طعام *

والهُرْهور ضرب من السفن *

والقادس السفينة العظيمة *

والبُوصِىّ ضرب من السفن *

والصَلْغة السفينة الكبيرة *

والنُهْبُوغ السفينة الطويلة السريعة الجرى البحرية ويقال لها الدونيج معرّب *

وذلك الرّفيف سفن كان يُعبر عليها وهى ان تنضّد سفينتان او [illegible] *

والشُقْدُف مركب م بالحجاز *

والحَرّاقة ، ج حَرّاقات سفن فيها مرامى نيران *

والزَوْرَق السفينة الصغيرة *

والبُراكيّة ضرب من السفن *

والعَدَوْليّة سفن مسوبة الى عَدَوْلَى ، بالبحرين او ـــ

والجَرْم زورق يمنى *

والجِنّ السفينة الفارغة *

والشَوْنة المركب المعدّ للجهاد فى البحر *

والتلّوى ضرب من السفن صغير ذكره فى ث ل و *

والجُفاية السفينة الخالية ذكره فى ج ف ى *

والخَليّة السفينة العظيمة او التى تسير من غير ان يسيّرها ملّاح او التى يتبعها زورق صغير *

والشَذا ضرب من السفن *

الى الرِكْوة الزورق الصغير *

والقارب السفينة الصغيرة *

والرَمَث خشب يضم بعضه الى بعض ويركب فى البحر *

والطّوف قِرَب ينفخ فيها ويشد بعضها الى بعض كهيئة السطح يركب عليها فى الماء ويحمل عليها *

والعامَة عيدان مشدودة تركب فى البحر ويعبر عليها فى النهر ويقال لها ايضا العامّة *

وانه بعد وصوله الى مرسى الجزيرة اعدّ له فيه مكان [illegible] لتطهير انفاسه به مدة أربعين يوما * اذ قد جرت العادة عندهم بان من قدم اليهم من البلاد المشرقية وقد استنشق هواها فلا بد وان يُنشره فى المرسى قبل دخوله البلد * فاقام فيها ياكل ويشرب مع اثنين من اعيان الانكليز ممن ركبوا فى السفينة * وطاب له العيش معهما لانهما كانا قد ساحا فى بلدان كثيرة من المشرق واخذا عن اهلها الكرم * ثم بعد انقضآ المدة جآ الخرجى واخذه الى منزله بالمدينة * وكان المذكور قد فقد زوجته من يوم نُوى تسفير الفارياق اليه * فلزم الحداد والتقشف * ولزمته الكابة والتاسّف * وأن لا ياكل غير لحم الخنزير اعلى الله شانك عن ذكره * وانما امر طباخه بان ينفس فيه * فيوما كان يطبخ له راسه * ويوما رجليه *

ويوما كبده * ويوما طحاله * حتى ياتى على جميع آرابه ثم يستانف من الراس * وانت خبير بان نصارى الشام يحاكون المسلمين فى كل شى ما خلا الامور الدينية * فمن ثم كان لحم الخنزير عندهم منكرا * فلما جلس الفارياق على المائدة وجآ الطباخ بارب من هذا الحيوان الكريه ظن ان الخرجىّ يمازحه بارآته اياه شيا لم يعرفه * فامتنع ان ياكل منه طمعا فى ان ينال من غيره * واذا بالخرجى قضى فرض الغدآء وشرع حالاً فى الصلوة والشكر للبارى تعالى على ما رزقه * فقال الفارياق فى نفسه قد اخطا والله صاحبى * فانه وضع الشكر فى غير موضعه اذ الثنآ على الخالق سبحانه لاجل فاحشة او اكل سحت لا يجوز * وفى اليوم الثانى جاء الطباخ بعضو آخر * فالتقمه وشكر عليه ايضا * فقال الفارياق للطباخ لمَ يشكر الله صاحبنا على اكل الخنزير * قال ولمَ لا وقد اوجب على نفسه ان يشكر له على كل حال وعلى كل شى كما ورد فى بعض كتب الدين * حتى انه كان يقضى هذا الفرض بعد ان يبيت مع زوجته * قال وهل شكر له على موتها * قال نعم فانه يعتقد انها الان فى حضن ابراهيم * قال اما انا فلو كان لى امراة لما اردتُ ان تكون فى حضن احد * ثم ان دولة الخنزير انقرضت وظعنت * وصارين الفارياق صويت وذوت * فكان يقضى النهار كله على الخبز والجبن * ثم بلغه ان خبز المدينة يعجن بالارجل ولكن بارجل الرجال لا النسآ فجعل يقلّل منه ما امكن * حتى اضرّ به الهزال * وحدثت اضراسه من قلة الاستعمال * فوقع منها اثنان من كل جانب واحدٌ * وهذا اول انصاف فعله الجوع على وجه الارض * اذ لو كانا وقعا من جانب واحد لثقل احد الجانبين وخفّ الاخر فلم تحصل الموازنة فى حركات الجسم * اما المدينة فان القادم اليها من بلاد الشرق

يستحسنها ويستعظمها * والقادم اليها من بلاد الافرنج يحتقرها ويستصغرها *
واعظم ما حمل الفارياق فيها على العجب صنفان صنف القسيسين وصنف
النسآء * اما القسيسون فلكثرتهم فانك ترى الاسواق والمنازه غاصّة بهم *
ولهم على روسهم قبعات مثلثة الزوايا لا تشبه قبعات السوقيين فى الشام *
وسراويلهم اشبه بالتبابين فانها الى ركبهم فقط * وسيقانهم مغطاة بجوارب
سود * والظاهر انها عظيمة لان جميع القسيسين فى هذه الجزيرة معلّفون
سمان * وقد جرت العادة عندهم ايضا بان القسيسين واهل الفضل والكمال
من غيرهم يحلقون شواربهم ولحاهم * وانما يجب على القسيسين خاصة
ان يلبسوا سراويلات قصيرة مزنّقة حتى يمكن للناظر ان يتبيّن ما ورآها *
فاما النسآ فلاختلاف زيّهن من سائر نسآ البلاد المشرقية والافرنجية *
ولان كثيرا منهنّ لهن شوارب ولحى صغيرة ولا يحلقنها ولا ينتفنها * وقد
سمعت ان كثيرا من الافرنج يحبون النسآ المتذكّرات * فلعل هذا الخبر
الغريب بلغ ايضا مسامعهنّ * كيف لا وانباء الرجال لا تخفى عن النسآ *
والحسن فيهن قليل جدا * وانقيادهن الى القسيسين غريب * فان المراة
منهن تؤثر قسيسها على زوجها واولادها واهلها جميعا * ولا يمكن ان تُتخذ
طعاما فاخرا من دون ان تهديه باكورته حتى اذا اكل منه اكلت هى *
وقد بلغنى ان امراة سوقية متزوجة اى من حزب شيخ السوق رات رجلا
جميلا من الخرجيين فاستحسنته فيهم * وقالت لو دخل هذا الرجل كنائسنا
لزادت به بهجة ورونقا * فارسلت اليه عجوزا تدعوه اليها فلبّى الفتى
دعوتها * لان عداوة السوقيّين والخرجيّين انما هى مقصورة على
الضواطرة والنجشيّين والمحترفيّين لا مبلغ لها عند الرجال والنسآ *
ففاضت معه فى الحديث الى ان قالت له ان كنت تتبع طريقتنا فانى

امكّنك من نفسي ولا امنع عنك شيا * فقال لها الشاب اما الذهاب الى الكنيسة فاهون ما يكون عليّ لكونها قريبة من منزلي * واما الاعتقاد فكليني الى نيّتي * فاني آنف من هذا الاعتراف الذى يكلفكم به القسيسون من اهل كنيستكم * وليس من طبعي الكذب والتدليس حتى اعترف للقسيس بالصغائر واكتم عنه الكبائر * كما يفعله كثير من السوقيين * او اذكر له ما لم افعله واخفي عنه ما فعلته * فتاوّهت المراة عند ذلك واطرقت وهي تفكّر وتحرك راسها * ثم قالت لا باس انّا ليكفينا منك الظاهر كما افادنيه قسيسي * ثم تعانقا وتعاشقا وجعل يتردد عليها وعلى الكنيسة معا * حتى ان الزواني في هذه الجزيرة متهوّسات في الدين * فانك تجد في بيت كل واحدة منهن عدة تماثيل وصور لمن يعبدونه من القديسين والقديسات * فاذا دخل الى احداهن فاسق ليفجر بها قلبت تلك التماثيل فادارت وجوهها الى الحائط لكيلا تنظر ما تفعله فتشهد عليها بالفجور في يوم النشور * قال ومن خصائص اهل هذه الجزيرة انهم يبغضون الغريب ويحبون ماله وهو غريب * فان مال الانسان عبارة عن حياته ودمه وذاته * حتى ان الانكليز اذا سالوا عن كمية ما يملكه الانسان من المال قالوا كم قيمة هذا الرجل * فيقال قيمته مثلاً الف ذهب * فكيف يتأتّى لاحد ان يبغض آخر ويحب حياته * وانهم يتجاذبون كل غريب قدم اليهم * فياخذه واحد منهم بيده اليمنى ليريه النسآء * ويمسكه الآخر بالاخرى ليريه الكنائس والدولة لمن غلب * ومن خصائصهم ايضا انهم يتكلمون بلغة قذرة طفسة منتنة بحيث ان المتكلم يُشَم منه رائحة البخر اول ما يفوه * والرجال والنسآء في ذلك سوآء * واذا استنكهت امراة جميلة وهي ساكتة نشبت منها عرفا ذكيا * فاذا استنطقتها استحالت الى

بَخَر * ومنها انه اذا اصيبت احدى النسآ بدآء في احد اعضآئها ذهبت
الى الصائغ وامرته بان يصوغ لها مثال ذلك العضو من فضة اوذهب لتهديه
للكنيسة * ومن كانت معسرة صاغته من الشمع ونحوه *ومن ذلك ان حلق اللحى
والشوارب مندوب وحلق ما سواهما محرّم *حتى ان القسيسين يلحّون على النسآ
في السوال كثيرا حين يعترفن لهم عن قضيتي النتف والحلق ويحرزونهن
من ارتكاب ذلك * ومنها ان لاهل الكنائس عادة ان يخرجوا في ايام
معلومة بما في كنائسهم من الدُمى والتماثيل على ثقلها وضخمها * يحملونها
على اكتاف المتحمّسين في الدين فيجرون بها في الشوارع وهم ضاجّون *
واغرب من ذلك انهم يوقدون امامها الشموع حين يودّ كل انسان ان
ياوى الى كهف في بطن الارض من شدة توهج الشمس * وغير ذلك كثير
مما حمل الفارياق على العجب * لان اهل بلاده مع كونهم سوقيين ولهم
حرص زائد على عداوة الخرجيين لا يفعلون ذلك * وقد ثبت عنده ان
الخرجيين هم على الهدى الا في اكل الخنزير * وان السوقيين على ضلال
ماعدا استحسان نسائهم لغيسانيّ الخرجيّين * الا انه ليس من طريقة في
الدنيا الا وفيها ما يحمد وما يذم * وان الانسان تراه في بعض الامور عاقلا
رشيدا وفي غيرها جاهلا غويّا * فسبحان المتصف وحده بالكمال * وانما
ينبغي للناقد المنصف ان ينظر الى الجانب الانفع ويقابله بغيره * فان
راى نفعه اكثر من ضرره حكم له بالفضل * لا ان يمنّي نفسه بان يجد
شيا من الاشيآء كاملا قال الشاعر

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها كفى المرء نُبْلًا ان تعد معايبه

هذا وكما ان الجوع اسقط من فم صاحبنا الضِرسِ المستجمع ضرسين *

كذلك اسقطت مشاهدة تلك الامور من راسه اعتبار السوقيين وبنى عمّهم من كلا جانبى الدين والرشاد * فظهر له ان افعالهم احرى ان تكون افعال المجانين * فلهذا ضاق صدره فى بلادهم وعيل صبره * مع احتياجه الى الطعام الطيّب الذى كان الفه فى الشام والى لباس يليق به * فان الخرجىّ افاده ان المفدّدين على السلع الخرجية لا ينبغى لهم التحفّل بالملبوس * اذ المقصود من الخرج انما هو حمله فقط * مع ان السوقيين يحسبون ان الخرجيّين يستجلبون اليهم المفدّدين بالمال والهدايا * فلهذا كان الفارياق دائم الحزن والاسف * فلم يمكنه وقتئذ ان يتعلم لسان الخرجيين وانما تعلم منهم بعض الفاظ تخصّ ترويج السلعة فقط * هذا وقد كان عند الخرجى المذكور خُرَيْجىّ لئيم * شكس الاخلاق اصفر الوجه * ازرق العينين دقيق ارنبة الانف كبير الاسنان * راى الفارياق يوما ينظر من طاقة له الى سطوح الجيران فنزغه الشيطان ان يسمّر الطاقة * فلما رآها الفارياق مسمرة تفاءل بانها خاتمة النحس * وهكذا كان * فانه مرض بعدها بايام قليلة * فاشار الطبيب على الخرجى بان يسفره الى مصر * فسافر من ثم ومعه كتاب توصية الى خرجى آخر *





الفصل الرابع

في منصّة دونها غصّة

ما زال البحر بحرا * ما برحت الريح ريحا * ما انفك طالع الفارياق هابطا * ما فتئ لسانه فارطا * فلما بلغ الى الاسكندرية وجد في محل الخرجي القديم خرجيا آخر قد دخل في مضايق ذميمة لم يرض الشيخ خليل بن ايبك الصفدي ان يدخل فيها * فتخلّق عمن تقدمه وخبثت ريحه بين اقرانه * والحامل له على ذلك انه راى هوآ البلاد شديد الحرارة عليه * فارتاى ان يتخذ له هرمين يتسلقهما حين يحترّ * كما ان سلفه اتخذ هرما من الدنان * فافرغ عليهما من اللجين ما يسيل به واد * فشاع اسرافه هناك وملّه اصحابه * ثم سافر الفارياق من الاسكندرية الى مصر وادّى كتاب التوصية للخرجي * فانزله في دار رفيق له وكانت محاذية لدار رجل من الشاميّين كان يجتمع عنده كل ليلة جماعة من المغنّين والعازفين بالات الطرب * فكان الفارياق يسمع الغنآ من حجرته * فهاج به الوجد والغرام * وتذكر اوقاته بالشام * وحنّ وصبا الى مجالس الأُنس * وخيّل له انه انتقل من عالم الجن الى عالم الإِنس * واسفرت له الدنيا عن لذات مبتكرة * وشهوات مدّخرة * وافراح صافية * واماني وافية * فنسي ما كابده في البحر من الدُوار والفُواق * وفي الجزيرة من الجوع وتسمير الطاق *

وما اصابه من بُحْح التشديد * وترح التقليد * ورأى لدولة مصر بهجة ورونقا * وفي عيشها رغدا مغدقا * فكأنّ الناس كلهم مُعْرسون او مفاخرون ومنافسون * ولنسائها كياسة وظرفا وجمالا * ولطفا ولينا ودلالا * وتيها واختيالا * يخطرن في الطرق بالحبر كالمنشآت * فيجعلن مجموع الهمّ على القلب في شتات * وما انا باول واصف لهنّ انهن خلّابات للعقول * غلّابات للفحول * فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر * وذكر محالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر * وفي المثل السائر * تراب مصر من ذهب * وغيدها نِعْم اللُّعَب * وانها لمن غلب * واعجب ما يرى من احوالهن * حين يخرجن من حجالهن * ويتفلّتن من عكالهن * ما اذا ركبن الحمير الفارهة العالية * واستوين فوقها على منصّة مصفّحة بالعالية * فترى عُرفهن قد ملأ الخياشيم * وحُوَر اعينهن يذكّر الناس بحور جنات النعيم * فكل من ينظر حورية منهن يكبّر عند رؤيتها * ويستصغر الدنيا بجمال طلعتها * ومنهم من يهلّل لالتفاتتها * ويسبّح عند حركتها * ومنهم من يتمنى ان يكون ممسكا بركابها * او ماسا لجلبابها * او حاملا لنعالها * او رافعا لاذيالها * او بطانة لحبرتها * او بوابا لحجرتها * او رسولا بينها وبين عاشقها * او تبعا لتبعها ومرافقها * او مشّاطا يسوّي فرقها * او خياطا يرقع خرقها * او صائغا يصوغ لها سوارا * او حدّادا يصنع لها مسمارا * او بلّانيا يدلك بدنها * او هنًا آخر يداني هَنَها * وهي من فوق تلك المنصّة تتعزّز وتتمنع * وتنشفن وتتطلّع * فترمي هذا بنظرة فتدميه * وذاك بغمزة فتُصبيه وتسبيه * فتعطل على التجار اشغالهم * وتبلبل من ذوي البطالة بالهم * حتى كأنّ الحمار من تحتها يعرف قدر مَن حمل * ويدري ما غرض من كبّر لركوبها وهلّل * فهو لا ينهق ولا يسمع

له شخير * ولا يكرف كسائر الحمير * بل يسمُد على الخيل كبرا * ويمشى الخيلآ زهوا وفخرا * اما قائد الحمار فانه يرى ان قائد الجيش دونه فى المنزلة * وان الناس لفى افتقار اليه فهوالذى لا بدّ له من عائد وصلة * كيف لا وهو الموصوف بالسياسة * والقيادة والفراسة * وهنا قضية نسيت ان اذكرها * فلا بد من ان اقيدها فى هذا الموضع واحررها * وهى ان القلوب بروية المتبرقعات * اولع منها بروية المسفرات * وذلك ان العين اذا رات وجها جميلا وان يكن رائعا شائقا غاية ما يمكن * فان المخيّلة تستقر عليه وتسكن * فاما عند تبصّر الوجه المحجوب * مع اعتقاد القلب بان صاحبه من الجنس المحبوب * ولا سيما اذا قام الدليل عليه بحلاوة العينين * وبالهُدُب وبزجج الحاجبين * فان المخيّلة تطير بالافكار عليه * ولا تجد لها من أَمَد تنتهى اليه * فيقول الخاطر (انتهى السجع لانه ملأ الصفحة) لعل هذا الوجه

أُثْعُبانيّ الاثعبان والاثعبانى الوجه الفَخْم فى حسن وبياض *
او ذوانسبات يقال فى وجهه انسبات اى طول وامتداد *
او هو مُصفَح المصفح من الوجوه السهل الحسن *
او مُثمعدّ المثمعد من الوجوه الطاهر البَشَرة الحسن السَحْنة *
او مدنّر يقال دنّر وجهه تدنيرا تلالا *
او ملوّز الملوّز من الوجوه الحسن المليح *
او مخْروط المخروط من الوجوه ما فيه طول *
او ساجع الساجع الوجه المعتدل الحسن الخلقة *
او عَنْمىّ الوجه الحسن الاحمر *
او فَدْغم الفدغم الوجه الممتلى الحسن *

او ذو كلثمة   الكلثمة اجتماع لحم الوجه بلا جهومة *

او مَسْنون   يقال رجل مسنون الوجه مملّسه حسنه سهله *

ولعله جامع لجميع سمات الوسامة فاشتمل على خدين اسيلين * اسجحين
او مكتلين * وفي كل خدّ اذا ضحكت غمرة او هُزّمة او شُجْرة او عُكْوة او
غُرّمة او فُحْصة او فيهما

عُلْطة   العلطة واللعطة سواد تخطه المراة في وجهها زينة *

او في كل منهما خال عمّ حسنه * وعزّ فتنه *

اوفيهما اوفي احدهما خِداد (ميسم في الخدّ) او تُرْخ (الشرط اللين) *

او وَحْص او عُد او ظُبْظاب *   الوحص بثرة تخرج في وجه الجارية
المليحة والظبظاب بثر في وجوه الملاح ومثله العُدّ *

واشتمل ايضا على ثغر منصّب * ذى شَنَب ورَتَل وحَبَب *   ثغر منصب
مستوي النبتة والشنب ماء ورقّة وبرد وعذوبة في الاسنان
اونقط بياض فيها او حدّة الانياب كالغَرْب تراها كالمنشار
والرَتَل بياض الاسنان وكثرة مائها والحَبَب تنضد الاسنان
وما جرى عليها من الماء كقطع القوارير *

او على تفليج في ثنايا من الدرّ * ذات اُشُر ووَشْر *   اُشُر الاسنان
واُشَرها التحزيز الذى يكون فيها خلقة او مستعملا يقال اشرت
المراة اسنانها واشّرتها والوشر تحديد المراة اسنانها وترقيقها *

او ان لها عِتْرة * تتهالك في حبّها عِتْرة *   العِترة اُشَر الاسنان ودقة في
غروبه ونقاء وماء يجرى عليه — والريقة العذبة وهي ايضا
نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى وغبر *

او ان بذقنها نونة تعوذ بسورة ن * او ان شفتها ريّا او حَوّاء او نَكعة *

اوان فيها لَعَسا او دَبَبا * او بتصبّب منها العسل تصبّبا *

او ان فيها ثُرمله * تشفى من الوله * الثرملة النقرة فى ظاهر الشفة العليا والنكعة من الشفاه الشديدة الحمرة *

اوان فى طُرّمتها طِرّما * الطُرمة النبرة وسط الشفة العليا والطرم الشهد والزبد والعسل *

او انّ لها تُرّفه * اشهى واعزّ من الترفه * الترفة هنة ناتئة وسط الشفة العليا خلقة وهى ايضا النعمة والطعام الطيب والشى الطريف تخص به صاحبك *

او ان لها عُرّعُرة * على مثلها تهون الغرغرة * العرعرة ما بين المنخرين *

او خَوْرَمة * تطيب بها النفس عن الخُرّمة * الخورمة مقدم الانف او ما بين المنخرين والخرّمة واحدة الخرّم وهو نبت كاللوبيا بنفسجى اللون شمه والنظر اليه مفرح جدا ومن امسكه معه احبّه كل ناظر اليه ويتخذ من زهره دهن ينفع لما ذكر *

او نَثْرة * عليها تنشر البدرة * النثرة الخيشوم وما والاه او الفرجة بين الشاربين حيال وتَرة الانف *

او ان لمراعفها غَفّرا * يكسر شوكة الاجرا * المراعف الانف وحوالد والعفر زئبر الثوب *

او ان لها خُنْعُبةً * تشدّ العظام الوَرِبة * الخنعبة النونة او الهنة المندلية وسط الشفة العليا او الشق ما بين الشاربين حيال الوترة ويقال فيها ايضا الخُنّبعة *

او عَرْنَبة * تصح بها القلوب الوصبة * العرنبة الانف او ما لان منه او الدائرة تحته وسط الشفة او طرف وترة الانف *

او عُرْنَمة * هي للحسن سمة * العرنمة مقدم الانف او ما بين وترته
والشفة او الدائرة عند الانف وسط الشفة العليا ومثلها الهرثمة *

او ان على ملاطمها وملاغمها لُغُما * ينفي سدما* ويشفى سقما * الملاطم ما
حول الشفة والملاغم ما حول الفم كالملاجم واللغم الطيب القليل *

او لعل لها نَبْرة * هي تمام النضرة * النبرة وسط النقرة فى ظاهر الشفة
والنضرة الحسن *

او تُفْرة * يطيل الصب عليها زفره * التفرة مثلثة الاول النقرة فى وسط
الشفة العليا *

او حِثْرمة * تذر القلوب بها مغرمة * الحثرمة الدائرة تحت الانف وسط
الشفة العليا او الارنبة او طرفها *

او وَتيرة * تفدَى بالف وتيرة * الوتيرة حجاب ما بين المنخرين *

او ان لها خيشوما يبرئ كمها * ويطرى وَمْها * الخيشوم من الانف
ما فوق نخرته من القصبة وما تحتها من خشارم الراس
والومه شدة الحرّ *

او [illegible] يمضى بها العاشق اقسامه * القسامة [illegible] الحسن والوجه [illegible] او
الانف وناحيتاه او وسط الانف الخ *

او ان لها ذَلَفا * يصحّ دنفا * الذلف صغر الانف واستوآ الارنبة او
صغره فى دقة اوغلظ واستوآ فى طرفه ليس بحدّ غليظ *

او خَنَسا تغبب له الخنّس * الخنس تاخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
قليل فى الارنبة وهى خنسآ والخنّس الكواكب كلها او السيّارة *

او كان انفها مُصفَحا * المصفح من الانوف المعتدل القصبة *

او اشمّ * الشمم ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستوآ اعلاها وانتصاب الارنبة *

او ان به قَنى * قنى الانف ارتفاع اعلاه واحديداب وسطه وسبوغ طرفه
او نتو وسط القصبة وضيق المنخرين هو اقنى وهى قنيآ *

او ان به غُرْضَين * يلهيان عن التغريض واللُجين * غرضا الانف ما
انحدر من القصبة من جانبيه جميعا والتغريض اكل اللحم
الغريض والتفكه *

او ان لها ناظرين * نفديهما بالناظرين * الناظران عرقان على حرفى الانف *

او ناحرتين * نذيل لهما النحور والمقلتين * الناحرتان عرقان فى اللَحْى
وضلعان من اضلاع الصدر او هما الواهنتان والترقوتان *

او حافزا * يشرح قلبا حالزا * ويتلحّز له الشاعر تلحّزا * الحافز حيث
ينثنى من الشدق وقلب حالز ضيّق والتلحّز تحلّب فيك
من اكل رمانة جامضة ونحوها شهوة لذلك كالتلزّح *

او ان خنّابتيها * تحوم القلوب عليها * الخنابتان طرفا الانف *

او ان لها صامغين * هما قرة العين * وريّ الغين * الصامغان والصماغان
والصمغان جانبا الفم وهما ملتقى الشفتين مما يلى الشدقين
وهما ايضا السامغان لغة فى الصاد والغين العطش * ويا ليت
شعرى هل يتكوّن فيهما صمغ شهد حتى سميا بهذا وهل
هما منطبقان او منفتحان وهل يتلحّز لهما الشاعر المسكين كما
تلحّز من الحافزين الله اعلم *

ثم يقول او ان لها حُترة * يديم الصبّ اليهما حَتْره * الحترة مجتمع الشدقين
والحتر تحديد النظر * فهل من تلزّح معه *

او ان لها ماضغين * يعوّذان من العين * الماضغان اصول اللحيين
عند منبت الاضراس *

او غُنْبة * تهند الخلىّ سُنْبه * الغنبة على ما فى القاموس واحدة الغُنُب وهى دارات اوساط اشداق الغلمان الملاح * لكنى رايت رتة البرقع اولى بها فلا عِكاس ولا بِكاس * على هذا الاختلاس * والتهنيد التصبى والتشويق والسنبة الدهر *

ولعل عارضها * يتيم معارضها * العارض صفحة الخد وجانب الوجه *

او ان لها عِلاطا * يشغف من ناظره نياطا * العلاط صفحة العنق والنياط الفواد *

او بُلدة * تفتن اهل البلدة * البلدة نقاوة ما بين الحاجبين وثغرة النحر وما حولها او وسطها *

اوان لها مُحاجر * تباع لها المحاجر * المحجر من العين ما دار بها والمحاجر الثانية ما حول القرية *

او اسارير * يعنو لها من جلس على السرير * الاسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان *

او ان طُلَيتها تبرى الطَلْيآ * الطلية العنق او اصلها والطليآ قرحة كالقُوَباَ *

ولِدِيْدَيْها اللَدود * اللديدان صفحتا العنق دون الاذنين واللدود وجع ياخذ فى الفم والحلق *

ولزيزيها اللّز * اللزيز مجتمع اللحم فوق الزور واللز الطعن *

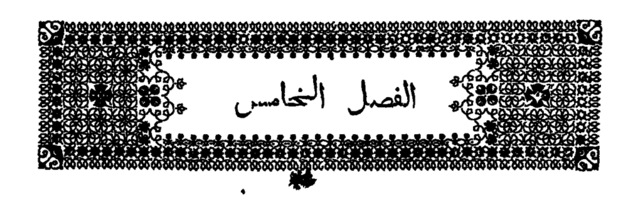
ومفاهرها اعز الى ذى مسغبة من الفهيرة * المفاهر لحم الصدر والفهيرة محض يلقى فيه الرضف فاذا غلا ذرّ عليه الدقيق وسيط *

وان سالفتيها تغنيان عن السلاف * السالفة ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط الى قَلْت الترقوة *

ونحرها عن نحر النهار * نحر النهار والشهر اوله *

ونرائبها عن الأتراب * الترائب عظام الصدر او ما ولى الترقوتين منه والاتراب
واحدها تِرب وهو اللِدَة * ويصح ان تكون ايضا بكسر الهمزة
مصدر اترب الرجل اى كثر ماله فليسال القائل عن ايهما اراد *
الى غير ذلك من الاحتمالات التى لا بدّ منها لحصيف العقل المستحكم الراى *
وانما اطلت الكلام هنا لكونى ناقلا له عمن تبصّر الوجه المحجوب * ودهش
عن الاصابة فسال فمه سعابيب *
وغاية ما اقوله انا ان مَن شاعر امراة ليلا ولم يرها كما جرى لسيدنا
يعقوب عمّ وقع له ما وقع لصاحبنا هذا المكثر من اللعلّات والاِنّات والاَوّات *
ولقائل ان يقول ان هذه القضية معكوسة فى شان المراة اللابسة * فان
النظر اذا وقع عليها وهى متسترة وقفت معه المخيلة عند حدّ ما * بخلاف
العريانة فان المخيلة والقلب عند النظر اليها يطيران عليها ولا يقفان على
حدّ فالمخيلة تتصور اشياآء والقلب يشتهى اشياآ اخرى * وللمجيب ان يقول
ان ذلك انما نشا عن الفرق الحاصل بين الوجه والجسم * فان الجسم من
حيث كونه اكبر من الوجه اقضى طيران المخيّلة اليه * وحومان القلب عليه *
وردّ هذا القول جماعة منهم الصباباتى والمباعلىّ والالغزىّ وابو ازّ * بان كبر
الجسم هنا ليس سببا للطيران والحومان * اذ لو لم يبدُ منه الا موضع واحد
لكفى * فبقى الاشكال غير مدفوع * واجيب بان العلة فى ذلك انما هى لكون
الجسم جسما والوجه وجها * وسُفه هذا القول فانه تحصيل للحاصل * وقيل
انما هو لكون الوجه محلّا لاكثر الحواس * ففيه مخزن الشم والذوق والبصر
وقريب منه مخزن السمع * وارتضاه جماعة منهم العُزهى والتيتاى والذَوْذخى *
وردّ بان هذه الحواس لا مدخل لها هنا * فان المراد من كونيّة المراة لا
يتوقف عليها اصالة فهى مستغنَى عنها * وقيل انما هو لكون الجسم بحرى

أشكالا كثيرة * ففيه الشكل القمقمي والرماني والقرموطي والاطاري والخاتمي والقبي والعمودي والهدفي والصادي والميمي والمدرج والمخروط والهلالي ومنفرج الزاوية * ورد بانه كقول من قال انه اكبر من الوجه وجوابه كجوابه * وقيل انما هو لكون العادة الاغلبية هي ان يكون الوجه حاسرا والجسم مستورا * فاذا راى الانسان ما خالف العادة هاجت خواطره وطارت افكاره * وقيل غير ذلك والله اعلم * ويحتمل ان هذه القاعدة التي استدركت ذكرها غير صحيحة فياليتني نسيتها فان ذكرها اوجب المناقشة بين العلماء * والحاصل ان الغرام البرقعي لما باض وفرخ في راس الفارياق غردت الطبارة عليه لان يتخذ له آلة لهو * فما عتم ان تابط له طنبورا صغيرا من السوق * وجعل يعزف به في شباك له مطل على دار رجل من القبط * وكان عند الخرجي خادم مسلم قد عشق ابنة القبطي فغار عليها من الطنبور * فسعى بالفارياق الى سيده قائلا اذا سمع المارون في الطريق صوت الطنبور من دارك ظنوا انها دسكرة او حانة او نكنة (مركز الاجناد ومجتمعهم على لوآء صاحبهم الخ) لا دار للخرجيين * لان هذه الآلة لا يستعملها غير الترك * فشكره الخرجي على ذلك واستصوب ما قاله واوعز الى الفارياق بالغاء الآلة * فالغاها وجعل يفكر في التملص من ايدي هذه الزمرة التي لم يبرح اذاها واصلا اليه من كل شباك سوآ في الجزيرة والارض * ثم بعد ايام قليلة هرب الخادم بالبنت وتزوج بها بعد ان اسلمت والحمد لله رب العالمين *



الفصل الخامس

في وصف مصر

قد وصف مصر كثير من المورخين المتقدمين * ومدحها جمّ غفير من الشعرآ الغابرين * وها انا اليوم واصفها ومادحها بما لم يسبقني اليهُ احد من العالمين * فاقول انها مصر من الامصار * او مدينة من المدن * او مَدَرة من المَدَر * او كورة من الكُوَر * او قصبة من القَصَب * او بُحْرة من البُحَر * او ماهة من الماهات * او قرية من القرى * او قارية من القوارى * او عاصمة من العواصم * اوصقع من الاصقاع * او دار من الديار * او بلدة من البلاد * او بلد من الابلاد * او قطر من الاقطار * او شي من الاشيآ * غير ان اهلها يقولون انها مصر الامصار * ومدينة المدن * وعاصمة العواصم * وشي الاشيآ الى آخره * وما ادرى فرق ذلك * وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة * متدفقة بالشهوات السابغة * توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبد اللطيف البغدادى * يجد بها الغريب ملهى وسكنا * وينسى عندها اهلا ووطنا * ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل في اجسام نسائها * فترى فيها النسا سمانا كالاقط بالسمن على الجوع * والرجال كالحشف بالشيرج على الشبع * ومنها ان اسواقها لاتشبه رجالها البتة * فان لاهلها لطافة وظرافة وادبا وكياسة وشمائل

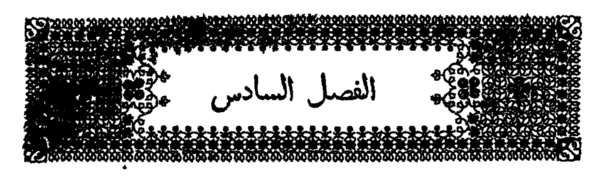
مرضية واخلاقها زكية * واسواقها عارية عن ذلك راسا * ومنها ان مآها لا يشبه عيشها اى خبزها * فان الاول عذب والثانى تافه * ومنها ان العالم فيها عالم والاديب اديب والفقيه فقيه والشاعر شاعر والفاسق فاسق والفاجر فاجر * ومنها ان نسآها يمشين تارة على الارض كسائر النسآ وتارة على السقف وعلى الحيطان * ومنها تذكّر المونث وتانث المذكر مع ان اهلها متقنون للعلم واى اتقان * ومنها ان حمّاماتها لا تزال تقرا فيها سورة او سورتان من القرآن فيها ذكر الاكواب والطائفين بها * فالخارج منها يخرج طاهرا وجنبا * واعجب من ذلك ان كثيرا من رجالها ليس لهم قلوب * وقد عوّض الواحد منهم عن قلبه بكتفين وظهرين وباربعة ايدى واربعة ارجل * ومن ذلك ان كثيرا من البنات اللاى يغسلن اقمصتهن فى بعض مجارى النيل يتعمّمن بقمصانهن بعد غسلهن ويمشين عريانات * ومنها ان قوما منهم بلغهم ان نسآ الصين يتخذن او بالحرى يُتّخذ لهن قوالب من حديد لتصغير ارجلهن عن المقدار المعهود * فجعلوا يشذّبون اصابعهم واعتقدوا ان اليد اذا كان بها اربع اصابع فقط كانت اخف للعمل وانفع لصاحبها * مع ان الاصابع والكفوف عندهم ليست مما يكسى حتى تقضى عليهم بزيادة النفقة * كما هو شان الافرنج الذين لا يغادرون عضوا من اعضائهم الا ويكسونه احتفالا به وتفخيما له او حذرا عليه من العدوى * ومن ذلك اى من الخواص لا من الاعضآ ان البنات اللاى يُستخدمن فى الميرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك * يحملنه على روسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات صادحات مادحات مازحات * غير آحات ولا ترحات ولا دالحات ولا رازحات ولا كالحات ولا نائحات * ومن كان نصيبها من الآجر نظمت عليه موالا اجريا * او من

الجبس غنّت له اغنية جبسية * كانما هن سائرات فى زفاف عروس *
ومن ذلك ان فيها ديوانين عظيمين يقال لكل منهما الديوان المخدّمى *
فالديوان الاول قيّمه رجل يجهز للرجال ما يلزمهم لتبريد فريشهم من هو *
والديوان الثانى وهو دونه فى القدر والشان قيمته امراة تجهّز لهم ما يلزمهم
لتسخينهم من هى * واصل منشى الديوان الاول عجمىّ * وقد صار الان
من الشهرة والنباهة عند العرب بحيث لا تزال تسمع بذكره والثناء
عليه فى كل مقام ولا يكاد يخلو منه مجلس انس او غنآ او ادب * ومن ذلك
ان البرنيطة فيها تنمى وتعظم * وتغلظ وتضخم * وتتسع وتطول وتعرض
وتعمق * فاذا رايتها على راس لابسها حسبتها شونة * قال الفارياق وكثيرا
ما كنت اتعجب من ذلك واقول * كيف صح فى الامكان وبدا للعيان
ان مثل هذه الروس الدميمة * الضئبلة الذميمة * الخسيسة اللئيمة * المَهينة
المُليمة * المستكرة المشؤمة * المستقذرة المهوّعة * المستقبحة المستفظَعة *
المستسمجة المستشنعة * المسترذلة المستبشعة * تقلّ هذه البرانيط المكرمة *
وكيف انماها هوآ مصر وكبّرها الى هذا المقدار * وقد طالما كانت فى
بلادها لا تساوى فاروزة العراش * ولا توازن نافورة الفَراش * وكيف كانت
هناك كالترب فاصبحت هنا كالتبر * ياهوآ مصر ياتارها باماآها ياترابها صيّرى
طربوشى هذا برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس وافضل *
واجلّ وامثل * وللعين ابهى واكمل * وعلى الراس اطبق * وبالجسم اليق *
وغير ذى قرون تتملّق لتتسلّق * وتُبزرق عليها لتترزّق * قال فلم يغن
عنى الندآء شيا وبقى راسى مطربشا * وطرف دهرى مطرفشا * ومن ذلك
ان قوما من الهُكُكآء المهاكك فيها يمرأون ويسرعون لحاهم ويزاحمون
ذوات البراقع على مورد الانانة * فتراهم تحففون وبهجلون وبتبارون

ويوكوكون ويوزوزون ويباغمون وهم اقبح خلق الله * ومن ذلك ان لضابط البلد شفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم * وذلك انه يامر جميع السالكين فى طرقها ليلاً ان يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة * خيفةً ان يعثروا بشى فى اسواق المدينة فيسقطوا فى هوة او جبّ فتنكسر ارجلهم او تندقّ اعناقهم * ومن وُجد ليلًا يطوف من غير ذوى البرانيط وليس بيده فانوس غُلّت رجله الى يده * ويده الى عنقه * وعنقه الى حبل * والحبل الى وتد * والوتد الى حائط * والحائط الى ناكر ونكير * وتصلية سعير * ومن ذلك ان لهم [illegible] اسلوبا فى الكتابة لا يعرفه احد الا هم * ولهم حروف كحروفنا [illegible] انها لا تقرأ الا اذا ادخلها الانسان فى عينه كذلك رايتهم يفعلون * ومنها انه اذا مات منهم احد فلا يزال اهل الميت يندبونه وينوحون عليه حتى يؤوب اليهم ووطبه ملآن من الطرّيخ * ومن خصائصها ايضا ان البغاث بها يستنسر * والذباب يستصقر * والناقة تستبعر * والجحش يستمهر * والهرّ يستنمر * بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيدة * ومن ذلك ان كثيراً من اهلها يرون ان كثرة الافكار فى الراس * يكثر عنها الهموم والاكدار او بالعكس * وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور * كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره * وان تلك الكثرة سبب فى الاقلال * وهذا الطول موجب لقصر الاجال * واوردوا على ذلك براهين سديدة * قالوا ان العقل فى الراس كالنور فى الفتيلة * فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفد الفتيلة ولا يمكن ابقاوها الا باطفآء النور * او كالمآ فى الوادى * فاذا دام المآ جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب فى البحر فمتى حُقن بقى * او كالفلوس فى الكيس * فما دام المفلس اى صاحب الفلوس بمدّ

يده الى كيسه وينعق منه فنى ما عنده * لا ان تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده * او كالنيس النازى * فانه اذا دام نزوه نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه * فمن ثم اصطلحوا على طريقة لتوقيف جريان العقل فى ميدان الدماغ حينا من الاحيان ليتوفر لهم فى غيره * وذلك بشرب شى من الحشيش او بمضغه او بالنظر اليه او بذكر اسمه * فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم ويحضر السرور * وتولى الاحزان * ويبرقص المكان * فمن يرهم على هذه الحالة ودّ لو يُكتب فى زمرتهم ويدخل فى دائرتهم وان يكن قاضى القضاة * ومن ذلك ان طرقها لا تزال غاصة بالابل المحمّلة * فينبغى للسائر فيها اذا راها مقبلة ان يخلى لها الطريق * او لا فلا يامن ان يفقد احدى عينيه * وقد ينشا عن هذا الزحام فوائد كما فى حكاية المراة التي سارت مع امها لتحضر عرس اختها فطالعها من محلها *





الفصل السادس

في لا شي

قد كنت اظن اني اذا تركت الفارياق واخذت في وصف مصر استريح فاذا هو هي او اياها * فينبغي لي الآن ان امكث في ظل هذا الفصل الوجيز قليلا لانفض عني غبار التعب ثم اقوم ان شا الله تعالى *

الفصل السابع

في وصف مصر

قد فرغت حامدا لله شاكرا له من القلم والدواة حتى اصف هذه المدينة السعيدة الجديرة بالمدح من كل من رآها * لانها بلد الخير ومعدن الفضل والكرم * اهلها ذوو لطف وادب واحسان الى الغريب * وفي كلامهم من الرقة ما يغني الحزين عن التطريب * اذا حيّوك فقد احيوك * وان سلموا عليك فقد سلّموك * وان زاروك زادوك شوقا الى رويتهم * وان زرتهم فسحوا لك صدورهم فضلا عن مجالسهم * اما علماوها فان مدحهم قد انتشر في الآفاق * وفات فخر من سواهم وفاق * بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشة الوجه ما لا يمكن المبالغة في اطرائه * ولكل نوع من

الناس عندهم اكرام يليق به سوآ كان من النصارى او من غيرهم * وربما خاطبوهم بقولهم ياسيدى ولا يستنكفون من زيارتهم ومخالطتهم ومعاشرتهم خلافا لعادة المسلمين فى الديار الشامية * وبذلك لهم الفضل على غيرهم * وكانّ هذه المزية وهى حسن الخلق ورقة الطبع امر مركوز فى جميع اهل مصر * فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة * وكلهم فصيح اللهجة بيّن الكلام سريع الجواب * حلو المفاكهة والمطارحة * واكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه الانقاط * وكانه المجارزة وهى مفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى * فان من لم يكن قد تدرّب فيه لا يمكنه ان يفهم منه شيا وان يكن شاعرا * وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة وغناوهم اشجى ما يكون * فلا يمكن لمن أَلِفه ان يطرب بغيره * وكذلك آلاتهم فانها [illegible] عن [illegible]ازف بها * واعظمها عندهم هو العود وقلّ [illegible]تناؤهم [illegible] * ولهم فى ضرب العود طرق وفنون تكاد تكون من المغيّبات * غير انى أذمّ [illegible] شيا واحدا * وهو تكرير لفظة واحدة من بيت او موّال مرارا متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام * ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفنّ * وبعكس ذلك طريقة اهل تونس فان غناهم اسمه بالترتيل * وهم يزعمون انها كانت طريقة العرب فى الاندلس * ومما ينبغى ان يذكرها ان النصارى المولودين فى بلاد الاسلام الناهجين منهج المسلمين فى العادات والاخلاق هم ابدا دونهم فى الفصاحة والادب والجمال والكياسة والطرافة والنطافة * الا انهم انشط منهم على السفر والتجارة والصنائع واكثر اقداما وجَلَدا على تعاطى الاعمال الشاقة * وذلك ان المسلمين اهل قناعة وزهد وفى النصارى شرة عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة * وقنية الخيل النجيبة * والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر

لا حد لها * فاذا دخلت دار نصرانى من المتمولين بمصر رايت عنده عدة خوادم وخادمين ونحو عشرين قصبة للتبغ من اغلى ما يكون وقدر نصفها من الاكاليل الثمينة * وثلث غرفات مفروشات باحسن ما يكون من القماش * وآنية فضة للطعام والشراب والرائحة * واسرة عالية وطيئة وثيابا فاخرة وغير ذلك * ومع هذا فلا تجد عنده كتابا * ولو ان مشتريا شاء ان يشترى شيا من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصرانى بربع الثمن * ولكن وجود هذه الشراهة انما هو فى الغالب عند النصارى الغربآ * فاما القبط فانهم اشبه بالمسلمين * وقلّ من تعاطى المتجر منهم * اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت فى الذروة العليا من الابهة والعزّ والفخر والكرم والمجد * فكان للمتسمين بخدمتها مرتّب عظيم من المال والكسى والشحن مما لم يعهد فى دولة غيرها * وكان واليها يولى المراتب العلية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصارى ما عدا اليهود * خلافا لدولة تونس فان شرفها عمّ الجميع * ومع عظم ما كان يكسبه التجار واصحاب الحرف وما يناله اهل الوظائف من الرزق العميم فكانت الاسعار بمصر رخيصة جدا فلهذا كنت ترى الناس قصريّهم وعمّيهم مقبلين على الشغل واللهو معا * فالبساتين غاصة باهل الخلاعة والقصوف * ومحال القهوة مجمع للاحباب * والاعراس مسموع فيها الغنآ والات الطرب من كل طرف * والرجال يخطرون بالخز والديباج * والنسآ ينوّن بما عليهن من الحلىّ * والخيل والبغال والحمير مسرجة ومكسوة بالحرير المزركش * الا ان صاحبنا الفارياق لم يكد يدخل ارضا سعيدة الا ويخرج منها وقد تغير حالها * فارجع معى الان لنخلصه من ايدى الحرجبس * فانى تركته يحاول ذلك مذ حين *



الفصل الثامن

١٠

في اشعار انه انتهى وصف مصر

قد غادرنا اى انا وجماعة المولفين الفارياق يحاول ان ينفض الحرج عن ظهره * وانى الآن من دونهم عليمت انه بات ليلة وهو يفكّر في ان كل شى ابتدته الصنعة فلا بد من ان تتقلقله الاحوال * فمن ثم عزم على القلقلة * فخرج في الصباح من معزفه فاخذ يطوف في الاسواق ويحرك كتفيه عند كل خطوة ويقول * لاقلبنّه لاطرحنّه * لاركسنّه لابدبنّه * انه انقض ظهري اى قرح اى عقر * هل انا الا حمار لحمار بالنكر * فراه بعض الظرفاء وهو يحرك منكبيه فقال لا بد لهذا من شان فاقبل اليه ولطّف له المقال حتى استخرج سرّه من سرّته * وعلم حاله وسبب سفرته * فقال له لا عليك فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة * ولكن لا بدّ للفوز بذلك من حركة * قال واى حركة اعظم مما ترى * قال بل الامر دون ذلك * أَلَكَ اذن واعية * وفكرة مدركة وقدم ساعية * قال اجل * قال فاسمع أذا ما اقول لك * ان بهذا المصر شاعرا مفلقا من النصارى له وجاهة ونباهة عند جميع الاعيان * قال ما هذه صفة شاعر وما ارى كلامك الا متناقض الطرفين * فكيف فك هذا المعمى وتاويل هذه الاحجيّة * قال لا تناقض فانه شاعر بالطبع لا بالصنعة * والفرق بين ذلك ان الشاعر

بالصنعة هو من يتكسب بشعره فيمدح هذا ويكذب على هذا حتى ينال منهما شيا * فاما الشاعر بالطبع فانما هو الذى يقول الشعر لباعث من البواعث دون تكلّف وانتظار للجائزة * قال ليس هذا الفرق مما ذكره لآمدى * قال ابعث لامدى الى آمد واسمع منى * قال قد امّدته فما الرشد * قال نصحى لك ان تكتب كتابا الى هذا العلامة وتلتمس منه فيما تطرى به عليه مواجهته * فاذا تكرم بذلك فاذكر له ج ما انت تعانيه واستنجد به * فلا بد من ان يجيبك * فانه رجل متصف بمكارم الاخلاق ويحب دغدغة الافتخار * ولا سيما انه يرغب فى مجالسة ذوى الادب وتيسير اسباب معيشتهم * فتلطف اليه فى المقال * وانا ضامن لك ان تفوز منه بالآمال * فشكره الفارياق على نصيحته ورجع الى محله راضيا مستبشرا * فلما جنّ الليل اخذ القلم والقرطاس وكتب ما نصه *

" اهدى سلاما لو تحمله النسيم لعطر الآفاق * ولو جعل للبدر هالة لما اعتراه المحاق * ولو مزجت به الصهباء لما اعقب شربها صداعا * ولو استفه مريض او لعقه لما لقى برحا واوجاعا * ولو عُلّق على شجرة لزهت فى الحال اوراقها ولو فى الخريف * ولو سقيه الروض لانبت من كل زوج بهيج ظريف * ولو جعل على اوتار عود لاطرب دون عازف * ولو تُغُنّى به فى مجلس لاغنى عن المشموم والمعازف * ولو علّق فى الآذان لكان شنوفا * ولو صقل به سيف كليل لجاء رهيفا * ولو مُثل لكان حدائق ورياضا * وسلسبيلا وحياضا * ولو نيط بالعمائم * لاغنى عن التمائم * ولو تختم به ولهان لاجزاه مُجزأ السُلوان * ولو كُتب على رجام لألهى الثاكل عن النواح * او على خصر هيفا لقام لها مقام الوشاح * او على انف مزكوم لما احوجه الى السعوط * او على ساق اعرج لكان له من قفره سبق وفروط * او على

لسان ابكم لانحلت عقدته * او على كف بخيل لهان عليه في البذل ذهبه وفضته * او على اجاج لعاد فراتا * او على رمل لانبت الريحان نباتا * وتحيات فاخرة * ذكية عاطرة * ارق من النسيم * واحلى من التسنيم * واشهى من العافية على بدن السقيم * واجلى للعين من الاثمد * واغلى للناقد من العسجد * واصفى من الماء الزلال * واعلق بالقلب من امل الوصال * واشغل للبال * من هوى ذى دلال * وازهر من نور الصباح * وازهى من نور الافاح * واعبق من شذا الراح * واثمن من الجوهر النفيس * واعز عند البستى من التجنيس * وعند ابى العتاهية من الزهديات * وعند ابى نواس من الخمريات * وعند الفرزدق من الفخريات * وعند جرير من الغزليات * وعند ابى تمام من الحكم * وعند المتنبى من جزل الكلم * تهدى الى الجناب المكرم * المقام المحترم * ملاذ الملهوفين * مستغاث المضيمين * ثمال المظلومين * ملجا المهضومين * منهل القاصدين * مورد الطالبين * ادام الله سعده * وخلد مجده * وبعد ياسيدى فانى قدمت هذه الديار وانا حامل لخرج قد انقض ظهرى * وعيل به صبرى * ولم اجد من يزحزحه عنى ولو قليلا * ولست اجد بنفسى الى التخلص منه سبيلا * وقد هُديت الى نور معروفك فى جنح هذا الغماس * وأُنبئت انك انت وحدك معتفى من هذا الارتباس * دون سائر الناس * فهل تسمح لى بان ازور ناديك الكريم * وابث اليك مشافهة ما بى من البث المقيم * والضر الاليم * فانك اهل لان تاخذ بيد من لا ناصر له * وان تصطنعه لك بالنعمات تحقق امله * وتنيله ما امله * وان تتخذه لك ما عاش رهن شكرك * ممنون برك * فهو يرجو ذلك منك رجاء من لاذ بعفوة قصرك * فان رايت ان تفعل وذلك من

[illegible] امتناناته * والسلام [illegible] وكتب عنوانها [illegible] الى الماجد الكامل سيدى [illegible] الاكرم [illegible] الحسيب الافخم الاوحد الافضل الاسعد الا[illegible]

الاكمل الامجد الاجل الخواجا فلان ادام الله بقاءه بالعز والنعم *

فلما بلغت هذه الرسالة الى الخواجا المذكور وطالع ما فى شرح السلام من التشابيه المتكلفة لم يتمالك ان ضحك منها [illegible] *

وقال لبعض جلسائه ممن [illegible] بالادب * سبحان الله قد [illegible] اكثر الكتاب [illegible] اهدآء السلام والتحيات للمخاطب كانهم يهدون له عرش بلقيس او خاتم سيدنا سليمان * فتراهم يشبهونه بما ليس يشبهه * ويغرقونه فى الاغراق و[illegible] فى الغلو حتى ياتى [illegible] محروقا * وربما جآوا بفقرتين متماثلتين فى المعنى كقول صاحب هذه الرسالة الان ثمال المظلومين ملجا المهضومين * ثم اذا انتقلوا من السلام الى الغرض اجادوا الكلام الى الغاية * وما ادرى ما الذى حسن لارباب فن الانشآ ان يضيعوا وقتهم [illegible] والتشبيهات المبتذلة * وبنظم الفقر المتماثلة فى [illegible] العالم يتاتى له ان يبدى علمه بعبارة و[illegible] بليغة المعنى * وهذه الف و[illegible] سنة قد مضت وما زلنا نرى زيدا يلوك ما لفظه عمرو * وعمرا يمضغ ما قاله زيد * فقد سرى هذا الدآء فى جميع الكتاب * اما تفخيم المخاطب فى العنوان بالاجل والامجد والاسعد والاوحد وما اشبه ذلك فله وجه * وذلك انه لم تجر العادة فى بلادنا بان يكون تبليغ الكتب على يد البريد * وانما تبعث مع اشخاص ليست لهم خبرة بالطرق ولا بالديار فانها كما لا يخفى عاطلة عن التسمية خطا * فاذا حملها رجل لا يعرف القرآة طفق بسال

كلّ من لقيه في الطريق من اسم المخاطب * فان لم يكن العنوان دالاً عليه التبس على القارئ * وان كثيرًا من الناس مشتركون في الاسماء وانّ كانوا مختلفين في المكارم والاخلاق * وفضلاً من ذلك فقد يتفق ان مبلغ الكتاب بعد ان يكون قد سال غير واحد عن اسم المخاطب ووجدهم [illegible] * وبعد ان يكون قد اضاع انصاف [illegible] نهاره في البحث [illegible] الطريق * فلا يكاد يهتدي اليه الاّ ويجد عونًا [illegible] * [illegible] [illegible] يقفه ويرشده الى احدى الجهات التي اراد [illegible] فيبقى [illegible] ثم ينتقل منه الى غيره * وربما لقي غيره ما لقيه هو فينتقل الكتاب الى آخر [illegible] [illegible] فلا بدّ من الاستقصاء في العنوان عن صفات المخاطب * فقال [illegible] [illegible] انه يجب ياسيدي ان يذكر في العنوان جميع [illegible] [illegible] المخاطب مثلاً اذا كان جميلا كيّسا [illegible] القد [illegible] عريض الحزام * الجميل الكيّس الغني الى آخره * فقال اما وصف الانسان بالجمال والغنى فهو من الموبقات له * واما بغير ذلك ككبر العمامة وعرض الحزام فليس من الصفات المخصصة اذ الناس في ذلك سوآء * وما خالف ذلك فما اولاه بالاستعمال وستراه من قريب مستعملاً ان شآء الله * وهو وان يكن احيانا من المضحكات وذلك كانّ تصف رجلاً مثلا بالزَبَبيّة والكثّية والحنطاوية والشرنبثيّة والكرنيفية والوُلْهبيّة والزُخزبيّة والسَنطبيّة والعَرْزبّة والعَشجبيّة والعِظْيبيّة والجحوطيّة والازَطيّة والسناطية والفُسْحميّة والجَهْضمبّة والبَرْطاميّة والحُثرميّة الاّ انه احسن من ايقاع اللبس في صفات المخاطب * فقد بلغني ان كثيرا من الكتب التي تضمنت مقاصد مهمة لما لم يدل عنوانها بالنص والتوقيف على ذات المرسل اليه فُتحت لبطم صاحبها * فكانت سببا في ضرر المرسل

والموسل اليه * انتهت محاورتهما * واعلم هنا ان الخرجا المذكور لما بلغته الوكة الفارياق كان مريضا فلهذا لم يجبه على الفور * فبقى الفارياق ينتظر جوابه اياما حتى اعتقد ان سجعه كله ذهب باطلا * اذ لم يكن يعلم السبب وكان فى خلال ذلك دائم الفكر والقلق * فانا الان ادعه فى هذه الحالة منتظر الجواب * وادع صاحبه يتداوى حتى يشفى *

واعرج قليلا على منازل الالقاب والقاب المنزلة المتعارفة

وقتعذ بشرط ان تسمحوا الى بان

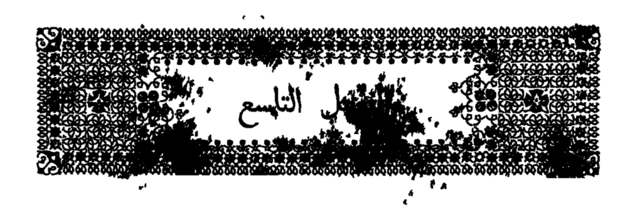
انتقل الى فصل

اخر

وهو

*





الفصل التاسع

فيما أشرت اليه

حد اللقب عند المشرقيين انه هنة نائتة او زنمة او علاوة زائدة متدلدلة تناط بكونية الانسان * وعليه قول صاحب القاموس العلاقى الالقاب لانها تعلق على الناس * وعند المغربيين اى الافرنج انه جليدة تكور في الجسم * وشرح ذلك ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنمة وكذا العلاوة يمكن ركسها وقلبها * فاما الجليدة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى صاحبه * وحاشية ذلك اذ الشرح لا بد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى * ان الزنمة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر * فان لكل قاعدة شذوذا * والجليدة عند الافرنج متوارثة كابرا عن صاغر * مثال ذلك لقب الباشا والبيك والافندى والاغا بل الملك انما هو محصور فى ذات الملقب به فلا ينطلق منه الى ولده * فقد يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتبا او نوتيا * فاما عند الافرنج فلا يصح ان يقال لابن المركيز مريكيز او مركيزى * وقد يجتمع مطلق الزنمة والجليدة فى جهة بقطع النظر عن كون الاولى متناهية والثانية غير متناهية * وذلك ان اصل كل منهما فى الغالب أكال يحدث في ابدان ذوى الامر والنهى لهيجان الدم عليهم * فلا يمكن تسكين هذا

الهيجان وحلّ هذا الاكال الا باحداث الهنة او الجليدة * بيانه ان الملك
اذا غضب مثلا على زيد من الزيدين لذنب اقترفه * ثم بعث اليه ذلك
الزيد بشفيع عريان ليترضاه سكّن هذا الاستشفاع ثورة ذلك الغضب *
واختلطت الكيفية الهيجانية بالماهيّة العريّة فانتجتا جليدة لمن كان يخاف
سلخ جلده * فتحلى بها بين افرانه حلية موبدة ولم يخف من تداول
القرون عليه * والغالب في الجليدة ان تحتاج الى جسمين * جسم مغضوب
عليه وجسم شافع فيه * والغالب في الهنة ان تحتاج الى جسم واحد فقط *
ومن الهنات هنات كنائسية وهي على نوعين * ترابيّة وهوائيه * فالترابية
ما كان لها مستقر او اصل في التراب فتنمى فبه وتثمر * وذلك كان يكون
جاثليق من الجثالقة مستقرًا في دار او دير * وله إمرة على اناس يودون
اليه عشورا ونحوه * فهو يامر فيهم وينهى ويحكم ويقضى بحسب الاقتضاء
او بحسب ما يعنّ له * ولا بدّ وان يكون عنده كاتب يعى اسراره *
وطباخ يشد فقاره * وخازن يخزن ديناره * وسجن يحبس فيه من خالفه
في رايه او انكر عليه اطواره * وما اشبه ذلك * والهوائية عكس ما تقدم
وذلك كهنة المطران اتناسيوس التتونجي صاحب كتاب الحكاكه في الركاكه *
فان سيّده قلّده هذه الهنة ليحكم بها في مدينة طرابلوس الشام * غير انه
ليس في هذه المدينة احد من اهل مذهبه حتى يودى اليه عشورا او
يطبخ له طعاما او يكتب له رسالة * فهو متقلد بها لمجرد الزينة فقط
جريا على عادة بعض المتقدمين الذين كانوا يطلقون هنة الامير * على
راعى الحمير * وزنمة الملك * على شيخ قرية عَفِك * والغرض من ذلك
كله انفراد شخص عن غيره بصفة ما * واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان
الخواجا والمعلم والشيخ ليست القابا معدودة في الهنات ولا في الجليدات

اذ ليس فى تحصيلها ما يحتاج الى شفيع او اختلاط أكالىّ بماهية عربية * وانما هى خرقة تستر عورة الاسم الذى اطلق على المسمّى وهى غير مخيطة فيه ولا مكفوفة ولا مشرّجة ولا ملفوفة * بل هى كالبطاقة شدت الى لابسها ليُعرَف بها سعره * الا انه كثيرا ما يقع الغلط فى الصاقها بمن ليس بينه وبينها من علاقة * فاهل مصر مثلا يطلقون لفظة معلم على نصارى القبط * وكلهم غير معلِم ولا معلّم اذا قلنا انه مشتق من العلم * فاما اذا كان اشتقاقها من العلامة فلا مشاحّة * ولفظة خواجا على غيرهم واصل معناها كالمعلِم فبقى الاعتراض فى محله * فاما لفظ الشيخ فانه فى الاصل صفة من اسنّ * ثم اطلق على من تقدم فى العلم وغيره مجازا عمن تقدم فى السن * فان الطاعن فى السن يستحصف عقله ويستحكم رايه وان انكره النسآ * فنُقلت مزيّته الى من باشر العلم * والذى يظهر لى بعد التامل ان فى الهنات والجليدات لضررا عظيما على من تحلّى بها وخلا عنها * الدليل الاول ان المتصف بها يعتقد بمجامع قلبه انه افضل من غيره خَلقا وخُلقا * فينظر اليه نظر ذى القرن الى الاجمّ * ويستكفى بهذه السمة الظاهرة عن ادراك المناقب المحمودة والمزايا الباطنة ويخلد بها الى البلادة واللذات الموبقة * الثانى انه لو نشبت فيه ربقة زحل يوما من الايام ودارت به دوائره فان لم يجد ذات جليدة مثله لم يمكنه الجلد مع غيرها * وربما كان يهوى جارية عنده جميلة فى المطبخ او فى الاسطبل فيحرمه منها ابوه او منصبه او اهله او اميره فيقع تعطيل على اهل الجمال * وهو امر مكروه بل قد جزم بتحريمه جميع العلمآ * الثالث انه قد يتفق ان يتزوج بذات جليدة معسرة مثله غير موسرة * فاذا ولدت له اولادا لم يمكنه ان يحضر لهم شيخا يعلمهم فى داره * ويستحيى ان

يبعثهم الى المكتب ليتعلموا مع جملة اولاد الناس * فتغدو اولاده من العجماوات ويتسلسل ذلك فى ذريتهم الى ما شا الله * الرابع ان الهنة والجليدة تقضيان على المتصف بهما بنفقات لاقة * وتكاليف شاقة * تفضى به الى التفريط والاسراف * والتهالك والاشراف * وربما اوصلته اخيرا الى انشوطة حبل من مسد * الخامس ان الانسان من اصل الفطرة ليس له هنة ولا جليدة فاحداثهما فيه بعد ذلك امر مغاير للطبيعة * او فى الاقل من الفضول، او من البطر * وهناك ادلة اخرى اضربنا عن ايرادها

خوف الاطالة * فقد تبين لك ان الخواجا المشار اليه كان غير

ذى هنة ولا جليدة * ولعله كان يحصل على

احداهما لولا ميله بالطبع الى

الادب * ولكن

لكل سى

آفة *



الفصل العاشر

في طبيب

مصح الله ما بك من السقم ياخواجا ينصر او مسح او مزح * على حدّ مَن
قرا الصراط والسراط والزراط * ومن قال اجعلى فديتك بصاقا او بساقا
او بزاقا * انك غادرت الفارياق فى وسواس وبلبال * فهو ينتظر
الجواب منك في الغدوّ والاصال * قال انى ليحزننى كثيرا ان قد بلغنى
كتاب صاحبك وانا محموم موجع الراس فلم يمكن لى ان اعجل اليه بالجواب *
وكان بودى لو افعل ذلك معما كنت اعانيه غير ان الطبيب رسول عزرائيل
منعنى من الحركة * ولكن لا بدّ من ان تسمع قصتى مع هذا القرنان * وهى
انى اتخمت يوما من اكلة برغل اخذتها بحذافيرها فاصبحت وبى غثيان *
واتفق ان زارني فى صباح ذلك اليوم بعض الامرآء الذين ينبغى ان
يقال لما اثبتوه نعم فى موضع لا ولما نفوه لا فى موضع نعم * فرانى على
تلك الحالة فقال ما بك * فاخبرته الخبر * فقال عليك بطبيبى الساعة
فهو امهر الاطبآء لانه قدم من باريس منذ ايام * ولولا ذلك لما اتخذته
طبيبا لى ولاهلى * قلت من عادتى ان اصبر على المرض الخفيف اياما
واستعين على معالجته بالاحتمآء والتوقى فقد يكون فى ذلك ما يغنى عن
العلاج * فانى ارى هولآء الاطبآء يعالجون الامراض بالخرص والتخمين * فما

يهتدون الى العلة والمعلول لا بعد ان تبلغ الروح [illegible] * فيجربون مرة دواء ومرة اخرى غيره * قال لولا ان المرض قد بلغ منك ما [illegible] الكلام فلا بد من احضاره الان * وما زال بى حتى بعثت اليه خادمى حياً وخجلا * ثم خطر ببالى ان الادب عندنا من فرط كرمه قد يجبر المادوب على الاكل * وربما القمه بيده ما تعافه نفسه * ولكن لم اسمع ان احدًا تكرم بان يجبر غيره على علاج * فلم اتمالك ان ضحكت * قال ما اضحكك * قلت لا شى * قال ما احد يضحك من لا شى فلا بد وان يكون هناك شى * قلت فكّرت فى ذلك الطبيب الذى عاد مريضا فقال لاهله آجركم الله فى مريضكم * فقالوا انه لم يمت بعد * قال يموت ان شا الله * فضحكت * قال لا عليك فان هذا الطبيب ليس مثل ذاك * وبعد فانك عزب ليس لك اهل حتى يقول لهم ذلك * ثم ما عتّم الخادم ان جآ به وهو اشد منى مرضا ونحولا * فالظاهر انه لم يكن له شغل حتى يخرجه من داره * فلما ان دخل جس نبضى ونظر الى لسانى ثم زوى ما بين حاجبيه واطرق الى الارض وهو يهسّ اى يحدث نفسه * ثم رفع راسه وقال لخادمى هات الطست * قلت ما تريد ان تفعل وانا صاحب جثتى افلا تشاورنى * قال انه الفصد او الرمس * قلت هداك الله ياشيخ انها اكلة برغل مع اللحم مما تسميه الناس كبيبة * قال انا اعرف ذلك انا اعرف * انكم يااهل الشام كلكم تموتون بهذه الكبّة * فقد شيعت بها حين كنت فى بلادكم اكثر من مئة جنازة * نعم هى الكبّة * قلت فى عجانك ان شا الله * قال لا تدخل الكبة فى عجينى مطلقا * فالتفتّ الى الامير وضحكت فظهر لى انه هو ايضا لم يفهم * وفى الاختصار فانه ما زال هو والامير يخطّئان رايى حتى استسلمت للهلكة ومددت يدى * فاعمل فيها مبضعه اعمال السكين

نفى بطيخة * فخرج الدم متبعقا حتى دحل فى عينيه فاطلق يدى وذهب ليغسل وجهه * ثم جآ بعد هنيهة وقد غشى علىّ * فتداركنى خادمى بمآ الزهر وغيره والامير ناظر الى دخان تبغه والطبيب يساره * فلما افقت ربط يدى وخرج مع الامير وقالا احترز لنفسك فانا نعودك من قريب * فقلت فى نفسى لا اعادكما الله * فلما كان الغد جآ الطبيب متابّطا اعشابا * فقلت ما هذه الاعشاب * قال حقنة قلت تكفينى واحدة * قال ان الامير يقول لك ينبغى ان تحتقن ان لم يكن لنفعك فلاكرامه * فقلت فى نفسى لا باس باكرامه فى الحقنة * الا انه قد خالف العادة مرة اخرى فان عادة المذكور ان يحلّف الزائر باسم الله واسمآ ملئكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالبعث ان ياكل او يشرب شيا على اسمه * وهذا زائر يلحّ علىّ بالاحتقان * ثم استعملت الحقنة * ثم وافانى اليوم القابل ومعه حقة * فقلت وما بيدك * قال مسهل مما اصنعه للامير * فاستففته * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى * فاستبشرت وقلت له قد وَهَنت منّى القُوَى بقوة المسهل * قال ينبغى ان تتخذ اليوم حمّاما فى غاية السخونة لكى تعرق وقد جرّبته فى ذوى الامير فوجدته بعد المسهل انفع ما يكون * ثم تولّى هو بنفسه تسخين المآ وانزلنى فى مغطس كنت اتخذته لنفسى * فلما دخلته لفحنى حرّه حتى غشى علىّ بعد ان سمط جلدى * فأُخرجت منه على رَمَق من الحياة * فتداركنى خادمى بالمشمومات حتى افقت * ثم جانى فى الغد وليس بيده شى ففرحت ايضا وقلت لعله قد نفد ما فى وطاب علاجه وكان الحمّام آخر ما عنده * فسالنى عن حالى * فقلت هو كما ترى * قال عليل * قلت واىّ عليل * قال ينبغى ان تفصد * فسقط علىّ كلامه كجلمود صخر حطّه السيل من عل *

وقلت كانك تهمّ باعادة ما صنعته اوّلا فمتى ينتهى هذا الدور * قال لا بدّ ان احد هذه العُلُوج (جمع علاج) يزيل ما بك * قلت اجل اما الاول فهو انت واما الثانى فهو دمى او روحى * ثم تجلّدت وتمنعت وقلت له قل للامير انى والحمد لله عزب فلاى سبب يحاول تسفيرى سريعا فلم يفهم * وقال انى اريد ان افصدك لا ان انقل عنك * قلت فانا لا اريد فارحنى اراحك الله * فاولانى كتفه وولّى * ثم لم يلبث ان بعث الىّ برقعة الحساب وتقاضانى فيه خمسمائة قرش * فانه زعم ان عنده ناسا فى الريف من الفلاحين يجمعون له تلك الاعشاب مع انها مما ينبت على حيطان ديار القاهرة * وما كفاه ذلك حتى توعّدنى بانى اذا تاخّرت عن قضائه كما تاخرت عن الفصد الثانى يرفع القضية الى ديوان قنصله * فنقدته المبلغ المذكور بتمامه وقلت لا بارك الله فى الساعة التى ارتنا وجوه العجم وادبارهم * وها انا اليوم والحمد لله احسن حالا * ومرادى ان اجتمع بصاحبك * ولكن لا بد من اكرامه قبل الزيارة * ثم انه امر غلامه بان ينتقى تختا من الثياب الفاخرة وان يتوجه بها الى الفارياق * فانه كان وقتئذ مبرنطا * ثم كتب له رسالة وجيزة مع ابيات قليلة تتضمن استدعاءه الى مجلسه فى اليوم القابل * وتفصيل ذلك ياتى فى الفصل التالى *





الفصل الحادى عشر

في انجاز ما وعدنا به

كان للفارياق صاحب من الديار الشامية يتردد عليه * * فلما وفد الخادم بالرسالة وتحت الثياب كان هو حاضرا * فقال للفارياق انا اذهب معك الى الخواجا ينصر فقد سمعت بذكره غير مرة واحبّ ان اراه * فقال له الفارياق ولكن لعلّ فى الإزوآ اساآة ادب فى حق المَزور * (ا) فان المدعوّ لا يليق به ان يستصحب احدا معه * قال لا باس فان هذه عادة الافرنج فاما فى مصر فيمكن للمدعو ان يستصحب ايّا شآء * وللمستصحَب ايضا اذا لقى واحدا فى الطريق من معارفه ان يستصحبه * ولهذا ايضا ان يستصحب آخر وللاخر آخر حتى يصيروا سلسلة اصحاب * بحيث لا يكون فى السلسلة حلقة انثوية * وكلهم يكلمون المَزور من دون محاشاة وينالون منه الاكرام ويترحّب بهم * ولا يمكن ان يسال احدا منهم فيقول له وانت ما حاجتك واىّ كتّاب وصاة عندك الىّ * وما اسم زوجتك او اختك وما سنّهن * وفى اى حارة يسكنّ كما تفعل اصحابك الافرنج * فلا تخش من الرجل جُبْها * وبعدُ فان لنا عليه دالّة الادب * فهى تغنينا عن دالّة النسب * فاجابه الى ذلك وسارا اليه معا * والفارياق يرفل بثيابه وقد اتخذ له عمامة كبيرة * فتذكر يومئذ عمامته بالشام وسقطته تلك المشؤمة *

(ا) ازوى الرجل جآ ومعه آخر *

فلما استقرا بمجلس المشار اليه بعد الترحيب والتلقّي بالبشر والبشاشة * وبعد معاقبة اوحشتنا لآنستنا * ومداركة آنستنا لاوحشتنا * ومواترة سلامات طيّبين * وموالاة طيبين سلامات * كما جرت العادة عند الخاصة والعامة * قال الخواجا للفارياق قد سرّني قدومك الى هذه الديار والله سبحانه وتعالى قد اسبغ عليّ نعمته لاشركك فيها * فقد قال الشاعر

قالوا البعال الذّ شي يشتهى   فاجبتهم هذا ضلال بيّن
اسداً معروف الى ذى حاجة   اشهى وابقى وهو امر هيّن

على انى لا اقول ان بك حاجة الىّ لكنى لحنت من شكواك انك محتاج الى ذى مروة يواسيك او يسليك او يتوجع * وقد وجب عليّ القيام بما يسليك ما انت معانيه * سوآء كان ذلك بالمواساة او بالنصيحة * ولا سيما انه قد ظهر لى انك منشّم فى طلب العلم * وقد عانيت القريض * ولكن فى كلامك ما انتقدته عليك * وليس هذا وقت نقد وتقييد * وانما اسالك ايّ كتاب من الادب قرات * فابتدر صاحبه وقال قرا كتاب بحث المطالب * فقال له لقد عجلت فى الجواب * فان هذا الكتاب فى النحو لا فى الادب * لا انكم يا تلاميذ الجبل تحسبون ان من قرا هذا الكتاب فكانما قد استوعب العربية كلها دون افتقار معه الى شى من كتب اللغة والادب والشروح * وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمق كتابا او خطبة فانما يستعمل بعض اسجاع مبتذلة ساكنة الروىّ * خيفة ان يلتبس عليه المرفوع بالمنصوب * ويتطالل الى بعض استعارات باردة * وتشبيهات جامدة * حشوها الالفاظ الركيكة والمعانى المتقلقلة من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا او رباعيا * وما يتعدى به من حروف الجرّ * فعند قوله هذا تذكّر

الفارياق قول المطران لقيعر قيعار واولجت فيها * فذكرها للخواجا المذكور فغلب عليه الضحك حتى فحص الارض برجله * ثم قال نعم وان لفى كتب الكنيسة كلها اغلاطا فاضحة من هذا النوع * فقد قرات فى كتاب منها عن بعض الرهبان انه كان من التواضع على جانب عظيم حتى انه كان كلما مرّ عليه رئيسه يقوم وينتصب عليه * اى له * وعن آخر انه بلغه عن راهبة ما انها كانت ذات كرامات ومشاهدات * فكان يستمنى دائما ان يراها * اى يتمنّى * وعن آخر انه كان خرج من ديره وغاب عنه مدة طويلة ثم رجع فوجد رئيسه الاول قد مات وولى رئاسته احد اصحابه * وانه بعد ان تفاوضا وتباشرا قلده الرئيس خدمة تهبيب الرهبان ليلاً * اى ايقاظهم من هبّ اذا قام * وعن بعض المطارنة انه كان اذا وعظ فى الكنيسة ينتعظ له كل من يسمعه * اى يتّعظ * وغير ذلك مما لا يحصى بل قد ورد فى الانجيل وكلام الرسل كلام فاسد المعنى ومنشاه فيما اظن جهل المعرّبين * فمن ذلك ما ورد فى انجيل متى خطابا عن المسيح عمّ * احذروا لا يضلكم احد فانه سياتى باسمى كثيرون قائلين انا هو المسيح فلا تصدقوهم * والمراد ان يقال ان كثيرا ينتحلون اسمى فيدّعى كل منهم بانه هو المسيح * وشتان ما بين الكلامين * وفى رسالة مار بولس الى طيموناوس * ولتكن الشمامسة ازواج زوجة واحدة * ومقتضاه اشتراك الشمامسة فى بضع واحد * معاذ الله ان يكون كلامى هذا ازدراء بالدين وانما اوردت ذلك شاهدا على جهل من عرّب والّف من اهل ملتنا * نعم ان بعض المطارنة قد الفوا تاليف مفيدة جوّدوا عبارتها وحرروا معانيها * الا ان الجمهور من اهل الكنيسة جهال اغبياء لا يعجبهم الا الكلام الفاسد الركيك * ولقد اقصى بنا هذا الاستطراد الى غير الغرض * فلنعد الى ما كنا

بصدده وهو اسعافك ايها الخدين بما يريحك من حمل الحرج * هل لك في ان تكون كاتبا عند رجل من السّراة الاغنيآ يريد ان ينشي ممدحا يكتب فيه بلغات مختلفة مساعيه ومعاليه * فيكون شغلك فيه في كل يوم نظم بيتين او اكثر بحسب الاقتضآء * قال فقلت اني ياسيدي ما بلغت من العلم ما يوهّلني الى هذه الرتبة * ونحن هنا في بلد العلم والادب فاخشى ان يتصدّى لي قوم يزيفون كلامي ويخطّئونني * فاخجل والله بعدها من ان انظر الى وجه مخلوق من البشر * فاني رجل احب الخمول وان بضاعتي في ذلك لمزجاة * قال لا تخش من ذلك فان اهل مصر وان كانوا قد تقصّوا حدّ العلم وبرعوا في الفضل والادب على غيرهم * الّا انهم لا يتعنّتون على الناظم او الناثر بلفظة يخلّ فيها عفوا * او بمعنى يخطي فيه سهوا * فانهم اهل سماح ومياسرة * على ان من نبغ في الشعر ان لم يلق من ينتقد قوله مرة ومن يخطّئه اخرى فلا يمكنه ان يصل الى مرتبة الشعرآء المجيدين * ولو بقي ينظم ابياتا ويودعها سمعه فقط لما عرف الخطا من الصواب قط * فلا يكاد احد يصيب الّا عن خطا * وقد جرت العادة بين الشعرآء بان ما يستهجنه بعضهم من المعاني والالفاظ يستحسنه البعض الآخر * فلا يزال الشاعر والمولف بين اثنين عاذل وعاذر * ومخطّئ ومصوّب * ومفسّق ومبرّي * ومعترض ومناضل * وراتق وفاتق * وممزق ورافئ * وخارق وراقع * وحاظر ومسوغ * ومضيّق وموسّع وقائل لمَ وقائل لأنّ * حتى ترجح حسناته سيّاته * وتتداول الناس ابياته * وقد طالما حاول الشهرة اناس بالقول المردود * والكلام المقصود * فمنهم من نظم ابياتا مهملة اي عارية عن النقط فاهملت * ومنهم من التزم فيها الحبك بان يجعل في اول كل بيت منها حرفا من حروف اسم الممدوح

فتركت والغبت * ومنهم من جعل دابه التجنبس والتوربات البعيدة فردّت وزيفت * واكتفوا من ذلك بمجرد الشهرة بين قومهم ولم يبالوا بالتعرض للّوم والتفنيد * وانى اعيذك من ان تعدّ فى جملة هولآء * فانى رايت فى انشائك نزوات افكار لطيفة تدل على قريحة جيدة * وسليقة متوقدة * وبعد فمن ذا الذى ما سآء قط * قال فقلت والله ان لّك علىّ لمنتين عظيمتين * الاولى عنايتك بمعاشى * والثانية تنشيطك اياى الى النظم * فقد كنت جزمت بان لا اقول الشعر الا مكتوما عن الناس وها انا لك

ياسيدى من الشاكرين * وبكرمك من الزائرين * ثم

انصرف من عنده داعيا له وقد اضمر

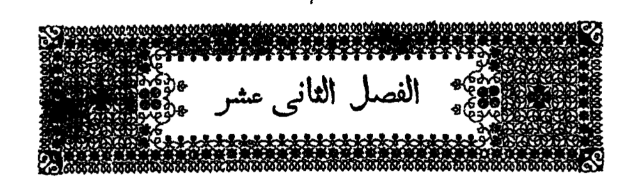
مفارقة الخرجى

فى اليوم

القابل

*





الفصل الثانى عشر

في ابيات سرته

لم يكن لصاحبنا الفارياق عند الخرجي من الاثقال الا جثته فقط * فلذا تأبّط طنبوره ووضع دواته في حزامه وقال له * قد اغنانى الله وارانى طريقا غير التى طرقتها لى انت وحزبك الخرجيون * فانا اليوم مفارقك لا محالة * قال كيف تفارقنى وما اسات اليك في شى * قال هذا الطنبور يشهد عليك بانك سؤتنى * قال ان العازف به لا تقبل له شهادة فكيف تصح شهادته هو مع كونه سببا في جرح شهادة صاحبه * قال بل تصح كما صحت شهادة جرابانك * وانه لينطق بمساويك كما نطقت اتان جدّك * ويدكّ حصون عنقاشيّتك كما دكّ المدن بوق ربيبك * قال ما هذا الكلام * قال وحى والهام * قال لا باس في ان تعزف به فقد علمت ان الخادم من حسد شكاك * قال بل انى عازف به عند من يقولون لى زد ويُعاد واحسنت والله * لا عند عجم لا يذكرون اسم الله الا في الابتهال * قال قد خلّطت واشططت * قال قد فرّطت وقسطت * قال انك كنود * قال انك من اليهود * ثم ولّى عنه وهو سامد الراس جاحظ العينين من الغيظ * وسار واكترى محلاً آوى فيه الطنبور وتوجه الى الممدح * فما استقر به المجلس الا وورد بشير اليه وبيده رقعة فيها بيتان يراد ترجمتهما *

فلما عُرِضا على مترجمي اللغات العجمية واديت ترجمتهما الى جهبذ الممدح انتهت النوبة اخيرا الى الفارياق * فاخذ القلم وكتب

ركب السريّ [illegible] جواده   ياليته منا امتطى اكتافا
اذ ليسَ فينا [illegible] اَو رافس   بل كُلنا يُغدو به رقافا

فلما قابل الجهبذ هذين البيتين بالاصل وجدهما [illegible] اشتمال البطن على الجنين او الامعآ على العَفَج * مع عدم الحشو بالالفاظ التي يستعملها الشعرآ غالبا لسد ما في ابياتهم من الخلل * فاعجب بهما جدا. وقال * هما حَريّان بان يفضلا على الترجمة العجمية * فاني لا ارى فيها لا معاظلة الفاظ ولكن لعل هذه عادة القوم فدعهم وعادتهم * غير انه لما اشتهر البيتان عند اهل النقد اعترض بعض ان قوله رامح او رافس من الالفاظ المترادفة فتكون الاولى او الثانية لغوا * فالاولى ان يقال جامح او رامح وفيه مع ذلك سجع * واجيب بان للفظة رامح معاني كثيرة منها الثور له قرنان واسم فاعل من رمح اذا طعن بالرمح او صار ذا رمح * ورمح البرق لمع * ورُدّ بان الثور ليس له مدخل هنا بقرنيه * فان الناس لا تركب الثيران وان اشار اليه المتنبي في الغبب * واسم الفاعل بمعنى طاعن لا يناسب المقام * لان المركوب لا يكون طاعنا * ثم ورد في اليوم القابل بشير ثان معه رقعة فيها بيتان اخران فقال الفارياق

قام السري مبكّرا لصبوحه   فارتجت الارضون من تبكيره
اَوَما ترى ذي الشمس من شباكه   مدّت اليه شعاعها لسروره

فاعترض على البيت الثاني انه غير لفق للاول * واجيب بانه متفرّع عليه ومرتبط به * لان الارضين لما ارتجت وخشي العالمون سطوته ترضّته الشمس بشعاعها * وردّ بان ترضي الشمس كان متراخيا عن ارتجاج الارضين

فلا يفيد * واجيب بانّ الترضّى حاصل على اى حال كان * فان الشمس لا يمكنها ان تطلع قبل وقت الطلوع * وضحك قوم من هذا التعليل * ثم ورد فى اليوم الثالث بشير آخر فقال الفارياق

نام السرىّ مهنّأً بالامس لم　　يخطر بخاطره الشريف هموم

ان نام نامت امّة الثقلين او　　ان قام قامت والكرىّ جريم

فاعترض على لفظة الثقلين انها ثقيلة * وان امّة حقها ان تكون امّتا * ورد بان اللفظة خفيفة ولا عبرة فى كونها مشتقة من الثقل * ثم ورد فى اليوم الرابع بشير آخر فقال

شرب السرىّ فحلّ شرب المُسْكر　　فاستغن عن فتوى الفقيه المنكِر

واذا اصرّ على الخلاف محرِّم　　فاعمد الى حدّ الحسام الابتر

فاعترض عليه انه مبالغة قبيحة تفضى الى الكفر وتعطيل الشرع * واجيب عنه بانه طبق الاصل * ثم ورد فى اليوم الخامس بشير آخر فقال

خرج السرىّ مع السريّة ماشيا　　غلسا الى الحمّام كى يتنعما

من كان يدعك مرة جسميهما　　خُلِقت يداه على المدى ان تلثما

فاعترض عليه ان الاولى ان يقال ماشيين * ورد بانه لا محظور منه فان السرى هو الاصل بدليل تغليب ماشيين * ثم اعترض ان الافصح ان يقال جسمهما او اجسامهما * واجيب بان الافصح لا ينفى الفصيح * ثم قيل انه ارتكب ضرورة بحذف حرف الجر فى المصراع الاخير اذ حق الكلام ان يكون خلقت يداه بان * على ان تثنية اليد هنا لا معنى لها فان الداعك لا يدعك بكلتا يديه * واجيب بانه لا مانع من حذف الجر مع أنّ * وان التثنية للايذان بان كل الجوارح مخلوقة لخدمة الممدوح * ثم ورد فى اليوم السادس بشير اخر فقال

خلع السريّ اليوم نعليه على   مُثنٍ عليه مبالغ فى مدحه
فاستبشروا ياعصبة الشعرآ من   هذا السخآء بيمنه وبسنحه

فاعترض عليه بان اليمن والسنح بمعنى واحد * واجيب بانه كقول الشاعر والفى قولها كذباً ومينا * ثم ورد فى اليوم السابع بشير آخر فقال

حلق السريّ اليوم اسفل جسمه   باظافر ظفرت بكل مؤمّل
فالناس بين مصفّر ومرتّل   ومدفّف ومزمّر ومطبّل

فاعترض عليه صرف اظافر* واجيب بان ذلك غير محظور لا سيما وقد وليها قوله ظفرت * ثم ورد فى اليوم الثامن بشير آخر فقال

طوبى لمن فى الناس اصبح حالقا   راس السريّ الاحلس المانحوسا
لا زال محفوفا بلطف الله ما   حلقت له شعرًا شريفا موسى

فاعترض عليه بان الماحوس غير وارد فى صفة الراس * واجيب بانه لا باس به هنا للجناس * ثم قيل ان محفوفا مع ذكر الراس ثقيلة * واجيب بانها خفيفة بالنسبة الى راس السريّ * قلت وكان الاولى ان يعاب عليه قوله طوبى لمن * فانه مطلق لا يفيد ان السرى حلق راسه فى يوم معيّن * غير ان الجناس فى المصراع الثانى شفع فى البيت كله * ثم ورد فى اليوم التاسع بشير آخر فقال

بَسَم الزمان مّن المنى وتنوّرا   لما استحمّ سريّنا وتنورا
ان المعالى من اسافله زهت   والشعر بالشعرآ أُكسِب مفخرا

فاستحسن هذان البيتان جدا لما فيهما من المطابقة والجناس التامّ وغيره الا قوله مفخرا * ثم ورد فى اليوم العاشر بشير آخر فقال

قحب السريّ واى شهم ماجد   بين البرية مثله لا يقحب
ذى سنّة فُرضت على كل الورى   ان المخالف منهم ليُصلّب

فعيب عليه لفظة قحب واجيب بانها فصيحة بمعنى سعل * ثم ورد فى اليوم الحادى عشر بشير آخر فقال

عطس السريّ فكلنا يبكى دما وارتاعت الارضون والافلاك
حرس الاله دماغه عن عطسة اخرى تموت برعبها الاملاك

ثم ورد فى اليوم الثانى عشر بشير آخر فقال

فسّى الامير فايّ عرف عاطر فى الكون فاح وايّ مسك ديفا
ياليت اعضا العباد جميعهم تغدو لنشوة ذا العبير انوفا

فعيب عليه قوله فسّى * اذ التكثير هنا لا معنى له * واجيب بان القليل المنسوب الى السريّ كثير * وعليه بظلّام للعبيد * فان ادنى ما يكون من الظلم فى حق البارى تعالى كثير * ثم ورد فى اليوم الثالث عشر مبشّران فقال

حبق السريّ اليوم فى وقت الضحى والجوّ ادكن ليس يسفر عن شُرَق
فتعطّرت ارجاؤنا باريجه فكان من حبّق له عَرْف الحَبَق .

فاستحسنا لما فيهما من التجنيس * ثم ورد فى اليوم الرابع عشر مبشران اخران فقال

قد أُسهل اليوم السريّ فكلنا فرح ففى اسهاله التسهيل
فاستبضعوا خزّا اليه مطرّزا وتسابقوا ان البطىّ قتيل

فاستحسن البيت الاول للجناس * وعيب عليه قوله مطرزا * اذ التطريز هنا لا موجب له بل فيه ايلام * واجيب بانه طبق الاصل * وان حق الترجمة ان لا تزيد على الاصل المترجم منه فى المعنى ولا تنقص عنه ولا سيما فى الامور المهمة الخطيرة * وقد كان يجب ان يعاب عليه قوله فكلنا فرح وان علله بقوله ففى اسهاله التسهيل * اذ المتبادر ان التسهيل مسبّب عن حتف الممدوح وكانّ الجناس شفع فيه *

ثم ان الفارياق بعد انقضآ هذه المدة الذكية راى من الواجب ان يزور صاحبه ويخبره بما جرى له * فلما تشرف بمجلسه ساله الخواجا عن حاله * فقال له قد كنت اود ياسيدى ان ازورك قبل الان لكن خشيت ان يعلق بناديك اثر من الرائحة التى شملتنى * فقال له لا ضير فى ذلك ولا سيما اذا تعودت عليها * وان ناديّ لا يبرح كل يوم يعبق به امثالها من زيارة امثال السريّ وهذا شان امّ دِفار * ولكن كيف حالك من جهة المعيشة * قال قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا * واتخذت خادمة لتصلح لى الدار * وخادما ليصلح الحمار * وانا الان بجاهك وفضلك فى احسن حال ثم انصرف من عنده داعيا له *

(سرّ بينى وبين القارى)

قد كان طبيب الجزيرة نصح للفارياق ان يجانب النسآ اى يبتعد عنهن لا انه يلصق بجنبهن فان فى قربهن حَيْنا له فالفى قوله كذبا ومينا *





الفصل الثالث عشر

في مقامة مقعدة

لا يمكن لي ان ابيت الليلة مستريحا حتى انظم اليوم مقامة * فقد عودت قلمي في هذا الموضع موالاة السجع * وترصيع الفقر الرائعة للعقل الرائقة للسمع * الشائقة للطبع * فاقول *

حدّث الهارس بن هشام قال * بينا انا امشي في اسواق مصر واسرح ناظري في محاسنها * واتهافت على النظر الى جمال سوافنها * فتدركني جمال مداثنها * فالطأ بقرار حائط واصبأ بآخر * واجعل يدي تارة على عيني وتارة على ما هو اصغر منها او اكبر * اذ اومأ اليّ فتى من حانوت له * عليه لوائح هيبة ومنزلة * وحَوْبة في التراتب متخللة * غير متحللة * فقال ان شئت ان تصعد الى هنا الى ان ينفضّ زحام الابل * وتتساغ غصّة هذا الأزل الأزل * فانك لدينا لمن المقرّبين * واني باكرامك لقمين * فوجدت دعوته كدعوة الداعي بحيّ على الفلاح * وقلت ما يابى السماح * الّا من فاته الصلاح * وعمِه عن النجاح * كيف لا وقد اوشكت جوارحي ان تعود مجروحة * وضاقت باحمال ابلكم الارض وهي فسيحة * فابتسم ابتسامة اسفرت عن لحن للقول سريع * وطبع الى ابلاء المعروف ذريع * ثم صعدت اليه فوجدت عنده نفرا عليهم عمائم مختلفة * ولهم وجوه مؤتلفة * فلما

سلّمت متودّدا *وتبوّأت ما بينهم مقعدا * قال رب الحانوت هل لك فى ان تنتظم معنا فى سلك جدال قد شغلنا من الضحى * وجعلنا له الآذان كثِفال الرحى * فهو دائر على كل منّا بالمناوبه * ومستدرك ختامه باوّله بالمعاقبه * دون دَرَك ومُعاقبه * اذ ليس فيه افضآ الى البحث في الاديان * وانما هو امر مباح لكل انسان * فقلت ان كان مرجعه الى العقل فقد كلّفتمونى إدّا *وشططتم فى انتظامى معكم جدّا * اذ لست بصاحب اسفار * بل حليف تطواف واسفار * وان كان الى الطبع فان بى لطبعا سليما * وخُلقا قويما * قال هذا الثانى هو مركز دائرته * وفيصل محاورته * قلت فاملأ اذنى اذا من جدالك * والْقِ علىّ اعدال عِدالك * قال اعلم * فرج الله عنك كل غم * انى انا والحمد لله من المسلمين المومنين بالله وبرسوله * وبوحيه وتنزيله * وان صاحبى هذا الودود * واشار الى احد القعود * هو من النصارى والآخر من اليهود * والآخر امّعة ما له اعتقاد ولا جحود * وانّا قد تنازعنا كاس البحث فى الزواج * وافضنا فيه كما تفيض من عَرَفات الحجّاج * اما النصرانى فانه يزعم ان طلاق المراة مفسدة من اعظم المفاسد * ومندمة تمنى المطلّق بالغُصص والمكابد * ووجه فسادها على مقتضى زعمه * وقدر فهمه * ان الزوجة اذا علمت انها تكون عند زوجها كالمتاع المنتقل * وكثوب المبتذل * موقوفة على بادرة تفرط منها * او هفوة تنقل عنها * لم تخلص له سريرتها * ولن تمحض له مودتها * بل تعيش معه ما عاشت فى انقباض وايجاس * ووحشة وابتئاس * ونكد وياس * وتدليس والباس * واذا انزلته منزل مبتاعها * واعتقدت ان متاعه غير متاعها * وانه لا يلبث ان يلاعنها او يبارئها * او يخالعها او يكسوها ثياب التجِمّة * ويقول لها الحقى باهلك * او استفلحى بامرك * او انت علىّ كظهر امّى * او

حبلك على غاربك * وعودى الى كناسك * عند اهلك وناسك * فما انت لى باهل * وما انا لك ببعل * لم تحرص له على حاجة ولا على سرّ * ولم يهمّها ما ينزل به من الشرّ * وربما خانته فى عرضه وماله * وكادت له مكيدة فضحته بها بين اقرانه وامثاله * وهناك محذور آخر * ادهى وانكر * وانكى واضر * وامضّ وامرّ * وهو ان المراة اذا فركت زوجها بان رأت منه ما تخاف غائلته * لم يهمها ان تربّى عَيْله او تستكفى عائلته * فان المراة لا تحبّ ولدها الا اذا احبت بعلها * ولا تحب بعلها الا اذا ادام وصلها * وآتاها سؤلها * ومن كان له زوجة لم يُولها فواده * ولم ينخل لها وداده * فاتخذته عدوا خصيما * لا اليفا حميما * فهو جدير بان يرثى له شامته * ويرجع عنه سامته * فان صدره والحالة هذه مورد الشجون * وراسه منبت القرون * ومنزله منزل الاكدار * وحالته فى الجملة حالة اهل النار * الا انى اعترض على مذهب من حظر الطلاق * وتقيد بزوجته دون اطلاق * بان الزوجة اذا علمت ان جسم زوجها قد أُدغم فيها * واصبح سره فى فيها * فصارا فردا لا زوجا * سوآ هبطا وهدة او صعدا اوجا * وانه لا يفكّ هذا الالتحام الا بمقراض الحمام * ولا تحلّ عقدة هذه الكينة * الا بانحلال جميع الاجزاء الطينية * وانها اذا مرضت مرض [illegible] * واذا رات رايا فلا بدّ له من ان يواطئها عليه ويجامعها * نشزت عليه وتنمرت * وطغت وتجبرت * فتارة تسومه شرآ لباس وحُلىّ * وتارة تتعنت عليه بامر تذيقه فيه الصُلىّ * فويل له اذا حبا * ثم ويلان اذا أَبى * وان غاب عنها ليلة قامت قيامة كيدها عليه * وان تشاغل عنها بامر له فيه نفع جرّت جميع المضارّ اليه * فدابه التودّد اليها والتملّق * والمداراة والترفق * ومجاملته لها اذا جفت * ومخالقته اياها اذا انفت * وتناشده معها اذا تذكّرت * وتصعصعه منها اذا

تشزّرت * وهل يطيب عيش لمن علم انه طوع لهوى غيره * وان لا مناص له من ضيرة * فاما شان الاولاد * وهو الداعى الى تحمّل هذا الكُباد * فان الزوجين اذا كانا على حالة النفور والعناد * والخلاف والالحاد * لم تكن تربيتهما لولدهما الا اغرآء بالاقتدآ بهما * وتدريبا على الفساد بسببهما * فيكون اهمالهم من غير تربية عند طلاق امّهم أولى * وان الوفاق هو المصلحة الاولى * على انّا نعلم من التجربة * منذ سنّ الله تعالى الزواج وحبّبه * ان المراة اذا علمت ان لزوجها استطاعة على طلاقها * وتملصًا من وثاقها * حرصت على ان تتحبب اليه وتلاينه * وتياسره وتخادنه * وتخالقه وتداريه * وتتلافاه وتراضيه * وتجامله وتسانيه * خيفة ان يتنغص عيشها بفراقه * او تحرَم من خَلاقه * فان لم يحصل بينهما الوفاق * فالطلاق الطلاق * ورای صاحبنا هذا اليهودى قريب مما رايت * فلا يخالف الا فى اسباب الطلاق وهى كيت وكيت * فاما صاحبنا الامعة * فانه متردد فى هذه القضية المنكعة * فتارة يقول ان الطلاق ادعى الى الراحة * وتارة انّه موجب لنكد العيش وصفق الراحة * وطورا يزعم ان المُتعة او الزواج الى اجل مسمّى اوفق * حتى اذا انقضى يجدد العهد بينهما ويوثق * الى ان يتفارقا عن تراض * ويقضيا لهما وعليهما ولا فاض * فهو اخف على الثبج * وانفى للحَرَج * وان يكن يفعله بعض الهمج * وحينا يقول بل التسرّى اسرّ * واهنأ واقر * ان لم يكن من القرينة مفرّ * واونة يختار الاقتصار على خويدمة رُعبوبة * وآونة على وحدة العزوبة * والتناول مما تنفيزه به الفرص المرقوبة * واخرى على جب الآلة * ان كان الجبّ ينجى من الحبالة * قال وذلك انى صعّدت فى درجات هذه الخطّة ونزلت فى دركاتها * وعانيت ضروبا من اخطارها وهلكاتها * فوجدت عند كل درجة منها مهواة تغيب فيها

الاحلام * وتضيع الافهام * وتهن القُوى * ويستطاب التَوى * ويصغر كل عظيم من البلا * حتى كأنّ هذه الحاجة ليست من الحُوج فى شى * وما لها به من صلة لحىّ * فهى داء لا آسى له * وثوب قشيب مسموم يسر ناظره وحامله * لكن يقرّح اوصاله ومفاصله * وكل امر فى الدنيا فانما يصح قياسه على عقول الكَيْسَى من الناس * ويعالج بالصبر او الياس * الا هذه الحَوْبة فان المرجع فيها الى الطباع * ولا يفيد معه رشد ولا زَماع * ثم أنّ انين الثُكْلى * وقال وانى ازيد على ما قاله الامعة قولا * ولا اخشى من احدكم عذلا * فاقول ولكم تصدعت قلوب من ذلك الصدع * واشتقت من ذلك الوَمّاح مشاقّ لا يطيقها طبع * وكم من رؤس لاجله دُعكت ورضّت * وعقول اُفِنت وحَرِضت * واعناق دقّت * وعيون لقّت * واسنان هُتِمت * وانوف شُرِمت * وشعور ندفت * ولحًى نتفت * وايدٍ قطّعت * وانساب ضيّعت * وكنائب كتّبت * وكتب كُتبت * (حاشية من جملتها هذا الكتاب) وخيل رُكضت * وسيوف ومضت * ورماح شُرّعت * واحزاب تترّعت * وجبال دكّت ونسفت * وبيوت اقوت وعفت * واملاك خُربت * وملوك استخربت * وبلدان خربت * بل امم تهالكت وفنيت * وقرون اندرجت ونسيت * ثم تاوّه وقال وسلعة نَفدت * ودنانير نُقدت * قال الهارس فعلمت انه قد صدعه الصدع بباله * وعظه بلهاته عند تغلغله فيه وايغاله * ولذاك كان يفيض فى حديثه ويخوض فيه * ليعلم هل من مصاب مثله وعنده علم ما يشفيه * ثم التفت الىّ مستعبرا * وقال وانت فما ترى * قلت والله انها لاحدى الكُبر * ومعضلة تفيض لها العبَر * قد طالما ارتبك فيها العالم النحرير * وضل عن علمها اللبيب الخبير * لا جرم ان معرفة الافلاك وكواكبها * وابتناء معادن الارض وعجائبها * واسرارها وغرائبها *

لأَهْون عليّ من ان اقول فى هذه المسألة نعم أَو لا * فما ارى الّا سكوتى عنها أَولى * ثم بينا هم يوجبون ويسلبون * ويوجزون ويسهبون * اذا بالفارياق مرّ علينا راكبا على حمار فاره * سامد سامه * فلما بصرت به قلت له نزال نزال * وحىّ على هذا العِدال * فما نرى غيرك جديرا بايضاحه * وبشفائنا من صُماحه * قال فى اىّ امر مريج كنتم تخوضون * وعن اىّ نكر مشيج انتم تحيصون * قلنا له فى الزواج * فهلمّ العلاج * فابتدر وقال على ارتجال *

مسالة الزواج كانت ثم لا　　تزال طول الدهر امرا معضلا

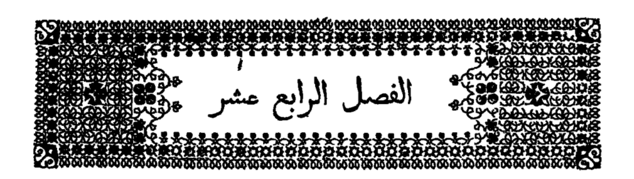
ان يكن الطلاق يوما حُلّلا　　للزوج ايّان ابتغاه فعلا

فليس عندى رشدا ان تُحظلا　　زوجته عنه ولا ان تُعضَلا

ان لم يصيبا للوفاق سبلا　　فدعهما فليفعلا ما اعتدلا

ايان شاآ طلّقا وانفصلا

قال فضحكنا من افتجاره ما لم يذكر فى الكتب * وقلنا له الى حمارك من كثب * فما نرى رايك الّا بِدْعا * ولقد اسات جابة بعد ان اصبت سمعا * ثم تفرقنا كما اجتمعنا * وعجبنا مما سمعنا *



الفصل الرابع عشر

في تفسير ما غمض من الفاظ هذه المقامة ومعانيها

ليس في لغتنا هذه الشريفة ولا في لغة امة اخرى من الامم لفظة تدل على فاعل ومفعول او فاعلين اشتركا في فعل واحد للذتهما ونفعهما * واحتاجا الى من يدخل عليهما ليتعرف منهما اي رفع ونصب يجري بينهما* وبيانه ان لفظة الزواج عندنا معناها ضمّ واحد الى آخر حتى يصير كل واحد منهما زوجا لصاحبه * ولكن من دون قيد مكان ولا زمان * فلو تزوج زيد بهند في سهل او على قنة جبل او في كهف في يوم الاحد او الاثنين او السبت بشرط التراضي بان يكتب الرجل للمراة صكا موذنا بزواجه بها او يشهد على ذلك رجلين لصحّ * هكذا كانت سنّة السلف المتقدمين من الانبيآ وغيرهم كما هو مسطور في تواريخهم * بل لم يكونوا يقيدون انفسهم لا بالصك ولا بالشهود * اما لفظ النكاح فمعناه احراز امراة على اي وجه كان * وذلك لان عرب الجاهلية لم يكن عندهم آداب للنكاح والطعام وغيرهما حتى جآ الشرع فعرّفه وميز الحلال من الحرام منه * قال ابو البقآ في الكليات ـــ ولكن لم اجده في فصل النون فان رايته في غيره انجزت ما وعدت به * وكنت اريد استشهد بكلامه على ان اسم النكاح لم يزل الى الان مستعملا وانه في كتب الفقه اكثر من ان يحصى *

وهو حجة على من انكره من النصارى وعلى من استعاذ من ذكره * وانما
استعملته العلماء من دون محاشاة [illegible] * الاول انه استعمل قديما من
الجاهلية فاثبتته العاقلية * الثاني لوروده في القرآن * الثالث لاشتماله
على اربعة احرف وفاقا للطبائع والعناصر والجهات * الرابع لورودها في
اسرار سور القران * فالنون في ن والقلم وما يسطرون والكاف في كهيعص
والالف في الم والحاء في حم * الخامس انك اذا قلبت هذه اللفظة بدا
لك منها معنيان شريفان * الاول اسم فاعل من حبى والثاني فعل امر من
كان * وبه برزت الموجودات الى العيان * وتجلت الحقائق لذوي العرفان *
السادس لخفة اللفظ وحلاوته * السابع لكون اوله يدل على آخره وآخره على
اوله * وقد سمى بعضهم هذا النوع دلالة الاول على الاخر وبالعكس * قال
وفائدته انه لو استشهد القاضي احدا على فاعله فنطق بالنون والكاف
ثم غشي عليه او على القاضي تلجزا لذلك * عرف من بقي غير مغشي عليه
بالمجلس القاضوي ما اراده القائل * وكذلك لو طرا عليه عند اداء الشهادة
ما قطعه عن الكلام شوقا وهيبة فلم يسمع منه الا الالف والحاء لدل هذا
الجزء الاخير مع قلة حروفه على جميع ما يراد من المدلول * قلت وهو
تعليل بديع غير ان هذه التسمية لا توجد في كتب البيانيين والبديعيين *
ولست احب الالفاظ الطويلة فالاولى ان ينحت له لفظ من تلك الجملة
بحيث يسلم الطرف * فان قلت بل قد استعملت الفاظا طويلة جدا في وصف
البرنيطة بقولك المستقبحة المستفظعة مع انه كان يمكنك ان تصفها بالفاظ قصيرة *
قلت كان ذلك من باب مراعاة النظير * فان طول البرنيطة يقتضيه * فاما
مدلول اللفظ الذي نحن بصدده فانه قصير * ثم اني كنت ابتدات كلاما
في اول هذا الفصل ولم انهه فان القلم زلق بي الى معنى آخر على عادته *

واظن ان الجناب الرفيع او الحضرة العلية لم يفهماه فهو ثم اقول الان * انه اذا كان المراد من الزواج ان كلاً من الزوجين يزاوج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليّان يقول فخذ الدجاجة لاتم عليّ * لم يكن من المعقول ان يدمق عليهما ذو قبعة فيقول للمراة لا تتزوجي هذا لكونه لم يسمّ بطرس * ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسمّ مريم * او ان يقول هذا يوم الاحد لا يصح فيه الزواج * وهذه حجرة لا يحل فيها البعال * والّا لصح ان يقول لهما أرياني الميل في المكحلة * ومثل هذا الكلام لعمري لا يليق باحد ان يقوله او يكتبه * ثم ان المرأة هي من الاشيآء التي لكثرة تكرر النظر اليها كالشمس والقمر لم يوفّ العقل حق اعتبارها * وبيانه ان الله عز وجل خلق المراة من الرجل لتكون بمنزلة معين له على مصالحه المعاشية ومونس له في وحشته وهمومه * الا انّا نرى ان هذه العلة الاصلية كثيرا ما تستحيل عن صيغتها الاولوية حتى ان بلآء الرجل وهمه ووحشته ونحسه وشقاوته وحرمانه بل هلاكه يكون من هذه المراة * فتنقلب تلك الاعانة احانة * وتلخيصه ان الانسان وُلد في هذه الدنيا محتاجا الى اشيآء كثيرة لازمة لحفظ حياته * وذلك كالاكل والشرب والنوم والدفء * والى اشيآء اخرى غير لازمة للحيوة وانما هي لتقويم طبعه حتى لا يختلّ * وذلك كالضحك والكلام واللهو وسماع الغنآ واتخاذ المراة * الا ان هذا الاخير مع كونه جعل في الاصل لتقويم الطبيعة * اذ يمكن للرجل ان يعيش حينا ما من دونه * فقد غلب على سائر اللوازم المعاشية التي لا بد منها * الا ترى ان من يحلم بامراة يجد منها في الحلم ما يجده منها في اليقظة * وليس كذلك من يحلم بانه اكل عسلا او شرب سلافا * بل وقوع هذا نادر جدا حتى للجائع والعطشان * وقد طالما رضيت اصحابنا الشعرآ بطيف الخيال

من المحبوب * وما احد منهم رضى على جوعه بان يبعث اليه ممدوحه بكاس مدام فى الحلم او ثريدة * واذا تناول الانسان طعاما طيبا لونا كان او لونين بقى مدة ساعات مكتفيا بما ناله غير مفكر فى القِدْر ولا فيما يقتدر فيها * حتى يعاوده الجوع فيطفق ح يفكر فى تناول طعام آخر * ولكن لم يسمع عن احد من الناس فى حالتى الجوع والشبع انه كان كلما راى طائرا فى الجو اشتهى ان يقع على سفوده فى البيت حتى يسترطه * او انه كان لا يزال يبصّص فى دكاكين الطباخين والبدّالين والزياتين ويلاوص من ثقوب اقفالهم ومن خصاص ابوابهم وشقوق حيطانهم على ما عندهم من اصناف الماكول * نعم ان الجائع فى بلادنا يحسب كل مستدير رغيفا كما يقال * وفى بعض بلاد الافرنج ربما حسب ايضا المستدير والمطاول وذا شق كظلف الشاة وذلك لتفننهم فى اشكاله * غير ان الجائع الى النسآء ليس له شكل ينتهى اليه * وكذلك قصية الشرب فان الظمان بعد ان يروى غليله بالمآ فاذا جئ اليه بكاس من التسنيم عافه * وكذلك البردان المحتاج الى الدفء فانه متى لبس ما يدفئه من الثياب ويجمّله بين الناس لم يتطالل بعد ذلك الى كل ثوب ينظره فى دكاكين التجار معرضا للبيع * ولو راى مثلا قوس قزح او روضة مدبجة بالازهار البهيجة لم يتمنّ ان تكون الوانها فى سراويله او قميصه * وانما يراها ويستحسنها مجرد استحسان من دون ان يشغل بها خاطره ولبّه * ولا يحلم ليلته تلك انه راى روضة انيقة او يتصور وهو متوسّد على فراشه انها لو كانت حِيال محدّته لراد ذلك فى تنعيمه او عمره * وقس على ذلك النائم اذا نام كفايته على فراش غير وطىّ فان منظر الفراش الوثير بعده لا يهمّه * والحاصل ان للانسان عقلا فى يافوخه يدله على ما ينفعه ويضره

ويسوّه ويسره * وان فى كلّ من معدته وحلو[illegible] يزن به ما هو محتاج اليه من الطعام والشراب * وبه يدرى مضمون [illegible] اكلة حروت اكلات * فامّا فى امر المراة فالقانع العزوف يغدو شرها رغيبا * وال[illegible] غويا * والحليم سفيها * والمهتدى ضالا * والحكيم عَمِها * والعالم جاهلا * والفصيح عيّيا وبالعكس * والصَبُور جزوعا ولا عكس * والفتي شيخا ولا عكس * والغنى فقيرا وبالعكس * والفظّ لطيفا ولا عكس * والسّمين نحيفا وبالعكس * والمعافى مبتلى ولا عكس * والمتثبّت متغشمرا وبالعكس * والبخيل كريما ولا عكس * والساكن متحركا وبالعكس * والطرد عكسا وبالعكس * وهلم جرا * واذا راى امراة تبغضه فربما احبها * او تجفوه كلف بها * او تعرض عنه تعرّض لها * او تتملّق اليه وتملثه فُتِن بها * او ترميه بحقيبتها على ثقلها جُنّ بها * الا ولو حضر مجلسا كان فيه

امراة وضيئة حسنة نظيفة *

وهيّئة حسنة الهيئة *

ومُخَبّأة الجارية المخدرة لم تتزوج بعد *

وذَبّاة الجارية المهزولة المليحة الخفيفة الروح *

وجُرّبآ الجارية المليحة *

وخِدَبّة ضخمة *

وخُرعُوب الشابة الحسنة الخلق الرخصة او البيضآ اللينة الجسيمة اللحيمة الرقيقة العظم *

وخَنِـة الجارية الغنجة الرخيمة *

ورُطّبة معروف *

وسَرَهَبة المراة الجسيمة الطويلة *

وشَطْبة الطويلة الحسنة الخلق *

وشِطْبة الجارية الحسنة الغضة الطويلة *

وشَنْباء ذات شنب وقد ذكر تحت البرقع *

وصَلْبة الطويلة التارّة *

وصَهْبآ الصَهَب حمرة او شقرة فى الشعر كالصُهبة والصهوبة *

وعَجْبآ المراة يتعجب من حسنها *

وقَبآ الدقيقة الخصر الضامرة البطن *

وكَبْكابة المراة السمينة *

ومكدوبة النقية البياض *

وكاعِب التى نهد ثديها *

ولَعُوب الحسنة الدَلّ *

ووَطْبآ العظيمة الثدى والوَطْب الثدى العظيم *

وهَدْبآ الكثيرة شعر الهدب *

وذات صُلُوتة الصَلْت الجبين الواضح وقد صلت ككرم *

وصُمُوت الخلاخيل غليظة الساقين لا يسمع لهما حسّ *

وخَوْثآ الحَدُثة الناعمة *

وبَلْجآ البَلَجة نقاوة ما بين الحاجبين هو ابلج وهى بَلْجآ *

ومِبْهاج حسنة *

وجائعة الوشاح ضامرة البطن ومثله غَرْثى الوشاح *

وخَدَلّجة المراة الممتلئة الذراعين والساقين *

ودَعْجآ الدَعَج سواد العين مع سعتها *

ورَجْراجة يترجرج عليها لحمها *

وزجّاء الزَجَج محركة دقة الحاجبين فى طول والنعت ازج وزجّاء *
ومُعَذْلجة الممتلئة الناعمة الحسنة الخلق *
ومفلّجة الاسنان الفلج تباعد ما بين الاسنان *
وبَيْدح بادِن ونحوه بُلْدح *
ودَحُوح عظيمة *
وذات سَجاحة سَجِح الخدّ سهل ولان وطال فى اعتدال *
ودُمْلُحة الضخمة التارّة *
وصُلْدُحة عريضة وكذا سلطحة وصلطحة *
وفُقّاح المراة الحسنة الخُلُق *
ووَضّاحة البيضاء اللون الحسنته *
وبَيْدَخة تارّة *
وبُلاخيّة عظيمة او شريفة *
وضَمخة المراة الغضّة *
وطُباخية الشابّة المكتنزة *
وفتخاء الاخلاف ناقة فتخاء الاخلاف ارتفعت اخلافها قِبَل بطنها ذمّ وفى المراة والضرع مدح *
وفِرْضاخة ضخمة عريضة او طويلة عظيمة الثديين *
وقِفاخ المراة الحادرة الحسنة الخلق *
ولُباخية لحيمة *
وهَبَيَّخة الناعمة التارّة *
وبُخَنْداة المراة التامة القصب كالبُخَنْدى *
وبُرَخْداة الجارية الناعمة التارّة *

ومُبَرْنَدة الكثيرة اللحم *

ونَادة المكتنزة الكثيرة اللحم *

ونُوهَدة السمينة التامة الخلق وكذا النُهودة والمُوهدة *

ونُهمَد السمينة العظيمة *

وجَدّآ الصغيرة الثديين *

وجَيْدآ الطويلة الجيد الدقيقته *

وبَضّة المُجرّد بضّة عند التجرّد *

وخَبَنْداة جارية خَبَنْداة تامة القصب او تارّة ممتلئة او ثقيلة الوركين وساق خَبَنْداة مستديرة ممتلئة *

وخَرِيْد الخريد البكر لم تمسس او الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة كالخريدة والخرود *

(تنعيه المرأة الجُشُوب الدِرْدِحة الضَمْزر اللَهْبَرة العُكْبُرة القُعْسُوس الجُبّاعة الثَدْمة اكثر دلًا وغنجا من جميع هولآ)

ورِخْوَدّة الليّنة العظام السمينة *

ورِغْديد رخصة *

ورَهيْدة الشابة الرخصة الناعمة *

وعُبْرُد الجارية البيضآ الناعمة ترتجّ من نَعمتها *

وعَضاد المراة الغليظة العضد *

وعُمُدّة الشابة الممتلئة شبابا كالعُمُدانيّة *

وغادة المراة الناعمة الليّنة البيّنة الغَيَد *

وغَيْدآ المتثنّية لينًا *

ومُقَصَّدة المراة التامة العظيمة تعجب كل احد والتى الى القِصَر *

ومأدة الجارية الناعمة *
ومَمْسودة مجدولة الخلق *
وأُمْلُود المراة الناعمة اللينة *
وناهِد كاعب *
وبَهِيْرة السيدة الشريفة والصغيرة الخلق الضعيفة وكذا البَهِيلة
وبَشِيرة جميلة *
ومبشورة الحسنة الخلق واللون *
وتارّة ممتلئة الجسم *
وتَرّة الحسناَ الرعناَ *
وجُاشرة الضخمة الحادرة الجسيمة العبلة المفاصل العظيمة الخلق *
وجَهْراَ مونث الاجهر وهو الحسن المنظر والجسم التامّ والاحول
المليح الحولة *
وحادرة السمينة او الحسنة الجميلة *
وأُحْوُرِيّة البيضاَ الناعمة *
وحُوارِيّة الحُواريّات نساَ الامصار *
وحَوْراَ الحَوَر ان يشتد بياض بياض العين وسوادِ سوادها وتستدير
حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها او النخ *
وذات تدهكر ترجرج *
ومُدَهْمَرة المراة المكتّلة المجتمعة *
ومزنّرة طويلة جسيمة *
وزَهْراَ المراة المشرقة الوجه *
ومَسْبورة الحسنة الهيئة *

ومسمورة   الجارية المعصوبة الجسد غير رخوة اللحم *

وشُغْفر   المراة الحسناآ *

وصُيّرة   الحسنة الصورة *

وعبقّرة   تارة جميلة *

وعَبْهرة   الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم كالعبهر والجامعة للحسن فى الجسم والخلق *

وعُجُنْجُرة   المكتّلة الخفيفة الروح *

ومُعْصر   التى بلغت شبابها وادركت او دخلت فى الحيض او راهقت العشرين *

وغَرّاآ   بيضاآ وكذا فَرّاآ *

وذات افترار   افتر ضحك ضحكا حسنا *

وفُزْراآ   الممتلئة لحما وشحما او التى قاربت للادراك *

وقُفاخِريّة   النبيلة العظيمة من النساآ *

ومُرْمورة   المرمورة والمرمارة الجارية الناعمة الرجراجة *

ومُشْرَة للاعضاآ   رَيّا *

ومَطِرة   لازمة للسواك او للتنظف والاغتسال *

وذات مكْرة   المكرة الساق الغليظة الحسناآ *

ومُمْكورة   المطوية الخلق من النساآ والمستديرة الساقين او المدمجة الخلق الشديدة البَضْعة *

ومارِيّة   بيضاآ برّاقة   (من مار) *

وذات نَضْرة   حسن وبهجة *

ووُثيرة   الوثيرة الكثيرة اللحم او الموافقة للمضاجعة *

(تنبيه المرأة الرّبسة الدعْفصة الدِنّقصة القُنْبُصة الصَعّلة الطَهْمل الصَلْفع الضَوْكعة الرَصعآ القَشْوانة الكروآ اكثر دلا وغنجا من جميع هولآ)*

وهُذُكِر المراة التي اذا مشت حرّكت لحمها وعظامها* ٠

وهَيْذُكُور الكثيرة اللحم والشابة الضخمة الحسنة الدلّ كالهُدكورة

وبِلِز المراة الضخمة اوْ الخفيفة *

وعُكْموزة الحادرة التارّة *

وغمّازة الجارية الحسنة الغمز للاعضآ *

وكِناز كثيرة اللحم صُلْبة *

وآنِسة الجارية الطيبة النَفْس *

وبَيْهس الحسنة المشى *

وخَرُوس البكر فى اول حملها *

وخَنْسآ تقدم ذكرها تحت البرقع *

ومُرْكس الجارية طلع نهدها فاذا اجتمع وضخم فقد نهد *

وعيْطَموس المراة الجميلة او الحسنة الطويلة التارة كالعُطْموس *

وعَلْطَميس الجارية التارة الحسنة القوام *

وعانِس التى طال مكثها فى اهلها بعد ادراكها حتى خرجت من عداد الابكار *

وقُدْمُوسة ضخمة عظيمة *

وقِرْطاس الجارية البيضآ المديدة القامة *

وكَنيسة المراة الحسنآ *

ولَعْسآ من فى لونها ادنى سواد *

ولَمِيس اللينة المَلْمس *

وعَشّة المراة الطويلة القليلة اللحم او الدقيقة عظام اليد والرجل *

وخربَصة المراة الشابة التارّة *

ودُخوص الجارية الممتلئة شحما *

ورخْصَة معروف *

وبَضّباضة بَضّة الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة *

وخَرِيْصة الجارية الحديثة السن الحسنة البيضآء التارة *

ورَضْراضة فى معنى رجراجة *

وغَضّة غضيضة الطرف الغضّة الناضرة والغضيض من الطرف الفاتر *

وفارض ضخمة *

وفَضْفاضة الجارية اللحيمة الجسيمة الطويلة *

ومُفاضة الضخمة البطن *

وخُوْطانة جارية خوطانة وخوطانية كالغصن طولا ونَعمة *

وسَبْطة الجسم حسنة القدّ *

وشَطّة حسنة القوام طويلة *

وشِناط المراة الحسنة اللون والقوام *

وذات عَنَط وعَيَط طويلة العنق حسنته *

وذات شِناط مكتنزة اللحم كثيرته *

ومُلَعّظة الجارية السمينة الطويلة الجسيمة *

وبَشْعآ الشديدة المفاصل والمواصل من الجسد *

ونَريْعة فائقة الجمال والعقل *

وبزيعة طريفة مليحة كيّسة *

ومُتَلِع الحسنآ لانها تتلع راسها تتعرض للناظرين اليها *

وسَنيحة   الجميلة اللينة المفاصل اللطيفة العظام *

وشَبْعى الخلخال والسوار   ضخمة تملاهما سمنا *

وشَمُوع   مَزّاحة لَعُوب *

وصَمْعآ   الصغيرة الاذن والاذن الصغيرة اللطيفة المصمّة الى الراس *

وضَرْعآ   عظيمة الضرع *

وفَرْعآ   تامّة الشعر *

ولَعّة   عفيفة مليحة *

ولاعة   التى تغازلك ولا تمكنّك (قلت لانها تلوع مغازلها بذلك) *

وأَنُوف   طيبة رائحة الانف *

وخَنْضَرِف   المراة الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *

وذَلْفآ   تقدم ذكر الذَلَف تحت البرقع *

وذات سَجُف   السجف دقة الخصر وخماصة البطن *

وسُرْعُوف   المراة الطويلة الناعمة *

وسَيْفانة   الطويلة الممشوقة الضامرة *

وظريفة   الظَرْف انما هو فى اللسان او حسن الوجه والهيئة او يكون فى الوجه واللسان او البَزاعة وذكا القلب او الحِذق او لا يوصف به الا الفتيان الازوال والفتيات الزولات لا الشيوخ ولا السادة *

وقِرْصافة   القِرْصافة من النسآ التى تتدحرج كانها كرة *

وقِصاف   المراة الضخمة *

ولَفّآء   واحدة اللُفّ للجوارى السمان الطوال *

وحسنة المَعارف والموففين   المعارف الوجه وما يظهر من المراة والموففان

الوجه والقدم او العينان واليدان وما لا بدّ لها من الطهارة

ومُهَفهفة صامرة البطن دقيقة الخصر *

وهَيْفآ الهَيَف ضمر البطن ورقّة الخاصرة *

وبَرّاقة الحسنآ لها بهجة وبريق كالابريق *

وبُهْلُق المراة الحمرآ جدا *

وخارُوق نعت محمود للمراة عند الجماع *

وجرباق الطويلة العظيمة او السريعة المشى *

وشطبة حسنة القدّ لطيفته *

ورَقْراقة التى كانّ الماء يجرى فى وجهها *

ورَوْقة حسنآ تعجب *

وسَوْقَلآ الطويلة السليطة او الحسنتهما *

وعَبِقة المراة التى اذا تطيّبت بادنى طيب لم يذهب عنها اياما *

وعاتق الجارية اول ما ادركت *

وعَشَنّقة طويلة ليست بضخمة ولا مُثقلة *

وغُبْرُقة العينين واسعتهما شديدة سواد سوادهما *

وغُرانق امراة غرانق وغرانقة شابة ممتلئة *

وذات غَرْنقة غزل بالعينين *

وذات لمّة غُرانقة ناعمة تفيّئها الريح *

وفُنُق جاربة فنق ومفناق منعمة *

ولَبقة الحسنة الدلّ واللبسة *

ومُلصقة الضيقة المتلاحمة *

ولَهِقة شديدة البياض *

(تنبيه المراة الطّرطبة المتخبخبة الرّغادبة العَكّبا ذات الحردبة والستطبة البُلّغَثة الخَرّثا الخُنظوب العُكّبرة المُتَدنة الخَطّلا اكثر دلّا وغنجا [illegible] جميع حولآء

وممشوقة	خفيفة اللحم *
ورُوْدكة	حسنآ فى عنفوان سبابها *
وضِبْرِك	المراة العظيمه الفخذين *
وضَكْضاكة	قصيرة [illegible] مكتنزة *
وضُنَاكة	الصُلبة المغصوبة اللحم *
ومُعَرْوِرِكة	متداخلة *
وعَكَوّكة	القصيرة الملزّزة او السمينة *
وعَضُنّك	اللفآ التى ضاق ملتقى فخذيها مع ترارتها *
وعاتِكة	المراة المحمرّة من الطيب *
ومُفَلّك	التى استدار ثديها *
ومَكْماكة	المكماكة والكمكامة القصيرة المجتمعة الخلق *
[illegible]كة	الجارية [illegible]
واسيله الحـ[illegible]	كالاسيل [illegible] الطويل [illegible]
ومُبَتّلة	الجميلة كانها بُتّل حسنها على اعضائها اى قطّع والتى لم يركب بعض لحمها بعضا وفى اعضائها استرسال *
وبَهْكَله	المراة الغضة الناعمة *
وجَمُول جَمْلآ	الجمول السمينة والجملآ الجميلة والحسنة الخلق من كل حيوان *
وحَذْله	المراة الغليظة الساق المستديرتها او الممتلئة الاعضا لحما فى دقة عظام كالحَذْلآ *

وخَلّة　　المراة الخفيفة *

ودَخْلة　　الضخمة التارة

ودُعجلة　　السمينة لو [illegible] الخلق *

[illegible]　　للجارية المشمة لا تكاد تبرح من مجلسها مدح *

ورخيمة　　رخُمت الجارية صارت سهلة المنطق فهى رخيمة ورخيم *

ورَقيمة　　المراة العاقلة البَرْزة وفى ب ر ز امراة [illegible]رْزة بارزة المحاسن او متجاهرة كهلة جليلة الخ *

ونَيسانة الضُحى　　مدح ونحوه نَؤوم الضحى *

وحسنة الخفيّين　　اى صوتها واثر وطئها يقال اذا حسن من المراة خفيّاها حسن سائرها *

وغانية　　المراة التى تُطلَب ولا تطلب او التى غنيت بحسنها عن الزينة*

(تنبيه) المراة [illegible] القَيلع الجَنجل البَزمل الحَمَكة [illegible] الجَبلة الجَهْبلة الحَنْكلة القيعلة اكثر قبحا وتدعيا من الجميع [illegible]

وسيأتى تتمة وصف الحسان فى الفصل السادس عشر من [illegible] الرابع اذ لم يبق لى من حراك وقوة لذلك واحسب القارى نظيرى * وانما اقول * نعم لو كان فى ذلك المجلس السعيد جميع هولآ الحسان على اختلاف الوانهن لودّ ان ينظمهن كلهن فى سلك واحد ويجعله فى عنقه كسبحة اوليآ الله المفردين * ومن ماراني فى ذلك رجعته الى قصة سيدنا سليمن عم * فانه معما اوتى من الحكمة * وما ادراك ما الحكمة * فقد كان سلكه يشتمل على الف امراة * منهن ثلثمائة سُرّيات والباقى سَريّات * فكان له فى كل يوم امراتان ونصف وكسور * كلّا ولو انه اى الرجل راى الشمس طالعة والبدر بازغا والكواكب مضيئة لكان اول ما يخطر بباله

ان يقول * لقد تزينت هذه السمآ بهذه النيّرات البهية * فمتى تزيّن حجرتي بواحدة من اخواتهن او بانتنين او بثلاث او بعشر او بالسبعة كلها * ولو راى غوطة او ربوة او جبلين متناوحين او نّوفا او حشّة او هدفا او شُقّبا او قّوزا او دَعْصا او كوّثلا او خُوطا يتاوّد او بحرا يتموّج او عوّطبا او طاووسا او تفاحا او رمّانا او عقد درّ منظوم او شيا آخر يروق العين لسبق وهمه الى امراة * بل ربما تصوّر واحدة لم يكن قد راها قط ولا وجود لها فى الاعيان * ولو راى سفينة ماخرة فى اليمّ وعليها شراعها لشبّهها بامراة ترفل بثيابها فى الطرق كما كان داب احد الخرجيين المتورّعين * ولو راى حمامتين تتزاقّان وتتلاسنان قال ليت لى الان من ازقّها وتزقنى والاسنها وتلاسننى وانقرها وتنقرنى * ولو راى ابا بَرائل بين صغادره يلقمهن مما لديه * ويصفق لهن بجناحيه ويجثّل اليهن ويتجفّل ثم يحلج بينهن لود ان يكون نظيره * وحسبك بذلك من دناآة واهانة لهذه الصورة البشرية التى يقال فيها انها خلقت على مثال الخالق تعالى عن الشبيه والنظير * لا ولو انك القيته فى جب سيدنا يوسف * وفى فلك سيدنا نوح * وفى بطن حوت سيدنا يونس * وعلى ناقة سيدنا صالح * ومع اصحاب الكهف * لصرخ قائلا المراة المراة * ومن لى بالمراة *

ولو انزلته فى بُنانة الروضة المعشبة *

ورُقْمة	الروضة وجانب الوادى او مجتمع مائه *
ودَقِيرة	الروضة الحسنآ العميمة النبات *
ووَدِيفة	الروضة الخضرآ *
وغُلْبآ	الحديقة المتكاثفة *
وعُلْجوم	البستان الكثير النخل *

ومُخرفة البستان *

وحديقة الروضة ذات الشجر *

وفى حُجرة وعِلية وغرفة ومقصورة وخِدر وحَجلة ومَنصّة

وسِدار شبه الخِدر والموصّد الخدر *

وخُشة القبة العظيمة *

وجُنبُذة كالقبة *

وعَرش الخيمة والبيت الذى يستظلّ به [illegible]ريش *

وكِرح بيت الراهب ومثله الركح *

وكُوخ البيت المسنّم من قصب *

وصومعة بيت للنصارى *

وريع الصومعة *

وفنزر بيت يتخذ على خشبة طولها نحو ستين ذراعا للربيئة *

وبَهو البيت المقدم امام البيوت *

وحِلة جماعة بيوت الناس او مئة بيت والمجلس والمجتمع *

وفُسطاط السرادق من الابنية ومثله المضرب *

وكِبس بيت من طين *

وحِفش البيت الصغير جدا *

وجَنز البيت الصغير من الطين *

وخُص البيت من القصب او — *

ورَدهة البيت الذى لا اعظم منه *

ومَجلوه البيت الذى لا باب فيه ولا ستر *

ووأم البيت الـ[illegible] *

وقُنّة بيت من حجر *
وطِراف البيت من أَدَم *
ووَسُوط بيت من بيوت الشعر او هو اصغرها *
وطُنُف السقيفة تشرع فوق باب الدار *
ونُزُل ما هيّئ للضيف ان ينزل عليه *
ومَغنى المنزل الذى غنى به اهله ثم ظعنوا او عامّ *
ومَعْهَد المنزل المعهود به الشى *
ومَعان المباءة والمنزل *
ونَدِىّ مجلس القوم نهارا او — *
ومُرْتَبع الموضع يرتبعون فيه فى الربيع *
ومَصِيف ومَشْتى معروف *
ودَسْكرة بناء كالقصر حوله بيوت او — *
ومَشْرَقة موضع القعود فى الشمس بالشتاء *
ومَضْحاة ارض مضحاة لا تكاد تغيب عنها الشمس *
وظُلّة شي كالصفّة يستتر به من الحرّ والبرد *
ومَشْرُبة الغرفة والعلية والصفة *
وسُغنة الزَفْن او مطلق المظلّة *
ومظلّة الكبير من الاخبية *
وساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق *
وعِرْزال بيت صغير يتخذ للملك اذا قاتل الخ *
وكِنّ البيت *
وقَبْطون المخدع *

وسَرَب الحفير تحت الارض *
ودِيْماس الكنّ والسَرَب والحمّام *
وبُرج معروف *
وصَهْوة البرج فى اعلى الرابية *
وصَرْح القصر وكل بنآ عالٍ *
وعَقَر البنآ المرتفع *
وطِرْبال كل بنآ عالٍ *
وأزَج ضرب من الابنية *
وإيوان الصفة العظيمة كالازج *
ورواق بيت كالفسطاط او سقف فى مقدّم البيت *
وأجَم كل بيت مربع مسطح وبضمتين الحصن *
وكَعْبة الغرفة وكل بيت مربّع *
وأُطُم القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مُسطح
ووَشِيع عريش يبنى للرئيس فى المعسكر *
وسُنّيْق بيت مجصّص *
وجُوْسق القصر *
ودَوْشَق البيت ليس بكبير ولا صغير او البيت الضخم *
وقَهْقور بنآ من حجارة طويل *
وبُغْبور الحجر الذى يذبح عليه القربان للصنم *
وزُور مجلس الغنآ *
وبُدّ بيت الصنم *
وزُون الموضع تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزيّن *

ومسجد　　معروف *

وكنيسة　　معروف *

وفُهْر　　مدراس اليهود تجتمع اليه فى عيدهم او ـــ *

ومِدْراس　　الموضع يقرا فيه القرآن ومنه مدراس اليهود *

وفى كوكبان　حصن باليمن رصّع داخله بالياقوت فكان يلمع كالكوكب *

والجَوْسق　　دار بنيت للمقتدر فى دار الخلافة فى وسطها بركة من الرصاص ثلثون ذراعا فى عشرين *

وقصر النعمان الذى بناه السِنِمّار　هو رجل اسكاف بنى قصرا للنعمان ابن امرء القيس فلما فرغ القاه من اعلاه لئلّا يبنى لغيره مثله او هو غلام لأُحَيحة بنى أُطُمة فلما فرغ قال له لقد احكمته قال انى لاعرف فيه حجرا لو نزع لتقوض من عند آخره فساله عن الحجر فاراه موضعه فدفعه احيحة من الاطم فخرّ ميتا *

والجعفرىّ　　قصر للمتوكل قرب سرّ من راى *

والمارد　　حصن بدومة الجندل *

والأبْلق　　حصن بتيما قصدتهما الزبا فعجزت فقالت تمرّد مارد وعزّ الابلق *

وصِرْواح　　حصن بناه الجن لبلقيس *

ودار الخيزران　بمكة بنتها خيزران جارية الخليفة *

وقصر بَهْرام جُور　من حجر واحد قرب همذان *

وقصر غُفْرا　　بالشام *

والدبع　　بنا عظيم للمتوكل بسرّ من راى *

وزُغَرة　　حصن قرب الكرك *

وقصر عسل　　بالبصرة *

والنَدّ حصن باليمن *

والغُفر حصن بها *

وسَمدان حصن بها عظيم *

والشَخَب حصن بها *

وئَرَبان حصن بها *

وهِرّان حصن بها *

وشُواحِط حصن بها *

والمَوْهَبة حصن بها *

والظُفُيْر حصن يمانى صنعا *

ولَسبِيس حصن باليمن *

والنُجَير حصن قرب حضرموت *

وغُمْدان قصر باليمن بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف بين كل سقف اربعون ذراعا * لما انفك ان يصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراه * ولا عيش الا مع المراة * ولو انزلته فى

شِعْب بَوّان احدى الجنان الاربع *

وصنعآ د باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق *

والسُغْد بساتين نزهة واماكن مثمرة بسمرقند *

والشَعْران جبل قرب الموصل من اعمر الجبال بالفواكه والطيور *

والوَهْط بستان ومال كان لعمرو بن العاص على ثلثة اميال من وَجّ كان يُعرّش على الف الف خشبة شرآ كل خشبة درهم *

وبَلَنّسية د شرقى الاندلس محفوف بالجنان لا ترى الا مياها تدفع ولا تسمع الا اطيارا تسجع *

ومُرْسية د اسلامى بالمغرب كثير المنازه والبساتين *

وثَمانين بلد بناه نوح عم لما خرج من السفينة ومعه ثمانون نفسا *

وجابَلَص د بالمغرب ليس وراه انسى *

والراهُون جبل بالهند هبط علبه آدم عم *

والجُودىّ جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عم *

وقاف جبل محيط بالارض او من زمرذ وما من بلد الا وفيه عرق منه وعليه مَلَك اذا اراد الله ان يهلك قوما امره فحرّك فخسف بهم *

والقِيق جبل محيط بالدنيا ومثله الفِيق *

والساهِرة ارض يجردها الله يوم القيامة * لما انفك يصرخ ويقول المراة المراة * ومن لى بالمراة * ولاعيش الا مع المراة * بل لو صعد الى

المِشْريق باب للتوبة فى السمآ *

وطوبى شجرة فى الجنة *

وعلّيين فى السمآ السابعة تصعد اليه ارواح المومنين جمع علّى *

والضُراح البيت المعمور فى السمآ الرابعة *

وبُرْقع اسم للسمآ السابعة او الرابعة او الاولى *

والحاقورة اسم للسمآ الرابعة *

والصاقورة اسم للسمآ الثالثة *

والغُرْفة السمآ السابعة وكذا عَروبا وفيها سدرة المنتهى *

وعِقّيون بحر من الريح تحت العرش فيه ملئكة من الريح معهم رماح من الريح ناظرين الى العرش تسبيحهم سبحان ربنا الاعلى *

والاعْراف سور بين الجنة والنار * لاحد يرتقى بمجامع حافوده ويقول

المراة المراه * فانى ما دمت بشرا لا بدّ لى من المراة *
ولو اريته من الغرائب

السَكيْنة — شى كان له راس كراس الهرّ من زبرجد وياقوت وجناحان *
والكَلْواذ — تابوت التوراة *
وقُرْطى ماريّة — هى مارية بنت ارقم او طالم كان فى قرطها مائتا دينار او جوهر قوّم باربعين الف دينار او درّتان كبيضتى حمامة لم يرَ مثلهما قط فاهدتهما الى الكعبة *
وقنطرة خُرّزاذا امّ ازدشير — بسمرقند بين ايدج والرباط من عجائب الدنيا طولها الف ذراع وعلوها مائة وخمسون اكثرها مبنى بالرصاص والحديد *
وتابوت تاحة — هى تاحة بنت ذى الشُفْر قال ابن هشام حفر السيل عن قبر باليمن فيه امراة فى عنقها سبع مخانق من در وفى يديها ورجليها من الاسورة والخلاخيل والدماليج سبعة سبعة وفى كل اصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعند راسها تابوت مملو مالًا ولوح فيه مكتوب باسمك اللهم اله حمير انا تاحة بنت ذى شفر بعثت مائرنا الى يوسف فابطا علينا فبعثت لاذنى بمُدّ من وَرِق لتاتينى بمُد من طحن فلم تجده فبعثت بمدّ من ذهب فلم تجده فبعثت بمد من بحرىّ فلم تجده فامرت به فطحن فلم انتفع به فاقتفلت فمن سمع بى فليرحمنى وايّة امراة لبست حليا من حليى فلا ماتت الّا ميتى *
وذا الفَقار — سيف العاص بن منبّه قتل يوم بدر وكان كافرا فصار الى النبى صلّعم ثم صار الى علىّ *

والكَشُوح من السيوف السبعة التى أهدتها بلقيس الى سليمن عم *

والجِنّ حىّ من الجن منهم الكلاب السود البهم او سفلة الجن وضعفاوهم وكلابهم او خلق بين الانس والجن *

وأُوَرم الجَوْز قرية بحلب فيها اعجوبة وهى ان المجاورين لها من القرى يرون فيها بالليل ضو نار فى هيكل فيها فاذا جآوه لا يرون شيا *

والرئىّ جنّى يُرَى فيُحبّ *

وفرس فاين الذى قال له هِجْدَم يقال اول من ركبه ابن ادم القاتل حمل على اخيه فزجر الفرس فقال هج الدم فخفف *

والعصافير شجر يسمّى من راى مثلى له صورة كالعصافير كثيرة بفارس *

والنَسْناس جنس من الخلق يثب احدهم على رِجْل واحدة وفى الحديث ان حيّا من عاد عصوا رسولهم فمسخهم الله نسناسا لكل انسان منهم يد ورجل من شق واحد ينفرون كما ينقز الطائر ويرعون كما ترعى البهائم وقيل اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة خلق على حدة او هم ثلثة اجناس ناس ونسناس ونسانس او النسانس الاناث منهم او هم ارفع قدرا من النسناس او هم ياجوج وماجوج او هم قوم من بنى آدم او خلق على صورة الناس وخالفوهم فى اشيا وليسوا منهم *

ودُعْموصا رجل زنآ مسخه الله دعموصا لدويبة او دودة سودآ تكون فى الغدران اذا نشّت *

وعَبّودا عبد اسود اول الناس دخولا الجنة *

وعامِر بن جَدرة اول من كتب بخطنا *

وُمرامرا　　اول من وضع الخط العربى *

وابا عُروة　　رجل كان يصيح بالاسد فيموت فيشقّ بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه *

وطَخمُورث　　ملك من عظما الفرس ملك سبعمائة سنة *

والوَضّاح　　رجل ملك الارض وكانت امه جنّية فلحق بالجنّ *

والرابضة　　ملئكة هبطوا مع ادم وبقية حملة الحجّة لا تخلو الارض منهم *

واليَبْروح　　اصل اللفّاح شبيه بصورة انسان *

وسُكَيْنة　　اسم البقّة الداخلة انف نمروذ *

وطاخِية　　نملة كلمت سليمن عم *

وعَيْجَلوف　　اسم النملة المذكورة فى القرآن *

والتُخَس　　دابة بحرية تنجى الغريق تمكّنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين *

والجَسّاسة　　دابة تكون فى الجزائر تجسّ الاخبار فتاتى بها الدجال

والرُخ　　طائر كبير يحمل الكَرْكَدّن *

والكركدن　　دابة تحمل الفيل على قرنها *

والزَبَعْرى　　دابة تحمل الفيل بقرنها *

والعَقام　　سمك وحيّة تسكن البحر ويانى الاسود من البر فيصفر على الشط فتخرج اليه العقام فيتلاويان ثم يفترقان فيذهب كل منهما الى منزله *

وبنت طَبَق　　سلحفاة تبيض تسعا وتسعين بيضة كلها سلاحف وتبيض ببضة تنقف عن حية *

والفلَنان　　طائر يصيد القردة *

والبُلُت طائر محترق الريش ان وقعت ريشة منه فى الطير احرقته *
والسَمَنْدل طائر بالهند لا يحترق بالنار *
والتِهِبّط طائر اغبر يتعلق برجليه ويصوت بصوت كانه يقول انا اموت انا اموت *
والأَنّن طائر كالحمام صوته انين أَوْهِ اوه *
والزماح طائر ياخذ الصبى من مهده *
والهَدِيل فرخ على عهد نوح عم مات عطشا او صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهى تبكى عليه *
والقُرْقُفَنّة طائر يمسح جناحيه على عينى القنذع الديّوث فيزداد لينا *
والقُقْنُس طائر عظيم بمنقاره اربعون نقبا يصوت بكل الانغام والالحان العجيبة المطربة ياتى الى راس جبل فيجمع من الحطب ما شآ ويقعد ينوح على نفسه اربعين يوما ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فينقدح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رمادا فيتكوّن منه طائر مثله ذكره ابن سينا فى الشفآ * لمدّ عنقه وجعل اصابعه فى اذنيه واذّن صارخا * هاى هاى المراة المراة * اورنى المراة * ما يجزئنى شى عن المراة * ولو انك لاعبته
بالجُنابى لعبة للصبيان *
وحَذَبْذَبى لعبة للنبيط *
والطَّبطابة خشبة عريضة يلعب بها بالكرة *
والقُرْطبّى ضرب من اللعب ونوع من الصراع *

والكِبْكِب   لعبة *

والكُوْبة   النرد او الشطرنج *

والهَبْهاب   لعبة للصبيان *

وكُتْكُتَى   لعبة *

والبُحَيْثَى   لعبة بالبُحاثة اى التراب *

والكُثْكُثَى   لعبة بالتراب *

والطَثّ   لعبة للصبيان يرمون بخشبة مُستديرة تسمى المِطَثّة *

واللُوثة   خرقة تجمع ويلعب بها *

والأُنبُوثة   لعبة يدفنون شيا فى حفير فمن استخرجه غلب *

والشِطْرنج   معروف *

والخَرِيْج   لعبة يقال لها خَراجِ خراجِ *

والفُنْزُج   رقص للعجم *

والقَجْقَجة   لعبة يقال لها عَظْم وضّاح *

والكُجّة   لعبة ياخذ الصبى خرقة فيدوّرها كانها كرة *

والكَجْكَجة   لعبة تسمى است الكلبة *

والجُمّاح   تمرة تجعل على راس خشبة يلعب بها الصبيان *

والجُمْح   رمى الصبى الكعب بالكعب حتى يزيله عن مكانه *

ودِجِنْدِح   لعبة للصبية يجتمعون لها فيقولونها فمن اخطاها قام على رجل وحجل سبع مرات *

والدّاح   نقش يلوّح للصبيان يعلّلون به ومنه الدنيا داحة *

والرُجّاحة   حبل يعلّق ويركبه الصبيان *

والدُبّاخ   لعبة *

والدُماخ لعبة للأعراب *

والمِطَخّة خشبة يلعب بها الصبيان *

والطَريْدة لعبة تسميها العامة المَسّة والضَبْطة فاذا وقعت يَد اللاعب من آخر على بدنه راسه او كتفه فهى المَسّة واذا وقعت على الرجل فهى الاَسْن *

والنَرْد معروف *

والمواقدة لعبة وان تفعل كفعل صاحبك *

والباقِر لعبة *

والبُقَيْرَى لعبة *

والجِعِرّى لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبى بين اثنين على ايديهما *

والحاجُورة لعبة تخط الصبيان خطّا مدورا ويقف فيه صبى ويحيطون به لياخذوه *

والدِكْر لعبة للزنج والحبش *

والسَحّارة شى يلعب به الصبيان *

والسُدّر لعبة للصبيان *

والعَرْعرة لعبة للصبيان *

والشَعارير لعبة *

والمِنْجار لعبة للصبيان او الصواب الميجار *

والتُوْز خشبة يلعب بها بالكحّة *

العَزّ عرز لفلان قبض على شى فى كفه ضامّا عليه اصابعه يريه منه شيا لينظر اليه ولا يريه كله *

والقُفَّيْزَى لعبة للصبيان ينصبون خشبة ويتقافزون عليها *

والنُقاز لعبة لهم يتنافزون فيها اى يتوائبون *

والبُكْسة الكجة *

والحَوالِس لعبة للصبيان *

والدُسّة لعبة *

والدَعْكَسة لعب للمجوس كالرقص *

والفِسْفِسَى لعبة لهم *

والفاعوس لعبة لهم *

والبَوْصآ لعبة لهم ياخذون عودا فى راسه نار فيديرونه على روسهم *

والرُقاصة لعبة *

والحَوْطة لعبة تسمى الدارة *

والخُطّة لعبة للاعراب *

والضَبْطة لعبة لهم *

والتَضَرْفُط وهو ان تركب احدا وتخرج رجليك من تحت ابطيه وتجعلهما على عنقه *

والضُرَيْفِطة لعبة لهم *

والمَقط مقط الكرة ضرب بها الارض ثم اخذها *

والمِرْصاع دُوّامة الصبيان وكل خشبة يُدحَى بها *

واليَرْمَع الخُذروف *

وقُلُوبَع لعبة لهم *

والخَجْفة اللعب بالكرة *

والخُذْرُوف شى يدوره الصبى بخيط فى يديه فيسمع له دوى ويسمّى ايضا الخُذْرة والفرصافة والخذروف ايضا طين يعجن

يعمل شبهها بالسكّر يلعب به الصبيان *

والزُحْلوفة تزلّج الصبيان من فوق التل الى اسفله *

والعَياف العياف والطريدة لعبتان لهم *

وفاصّة قرصافة لعبة لهم *

والحُزُقّة ضرب من اللعب *

والدَبّوق لعبة *

والزُحْلوفة كالارجوحة *

والشَفَلّقة لعبة وهو ان يكسع انسانا من خلفه فيصرعه *

والعُفّقة لعبة *

والعُقّة التى يلعب بها الصبيان *

والقِرْق لعب السُدّر *

والكُرّك لعبة لهم *

ودِبّى جُل لعبة *

والدُخَيْلياَ لعبة لهم *

والدِرَفّله لعبة للصبيان *

والدِرَكْلة لعبة للعجم او ضرب من الرقص او هى حبشية *

والفِسّال لعبة للصبيان يخبّون المشى فى التراب ثم يقسمونه ويقولون فى ايّها هو *

والفِيال لعبة لفتيان العرب *

والدُمّة لعبة *

والدُوّامة التى يلعب بها الصبيان فتدار وتسمى ايضا المِرْصاع *

والمَرْغمة لعبة لهم *

والشَّحمة لعبة لهم *

وعَظْم وضّاح لعبة لهم *

والمِهْزام عود يجعل فى راسه نار يلعبون به *

والبُرْطَنة ضرب من اللهو كالبرطمة *

والتُّون * خرفة يلعب عليها بالكجة *

والطُّبَن لعبة لهم *

والقِنَّين لعبة للروم ينقامر بها *

والكُبْنة لعبة *

والدَّمَه لعبة للصبيان *

والمِجْذآ خشبة مدورة تلعب بها الاعراب *

والمخاساة خاساه لاعبه بالجور فردا او زوجا *

والقُزَة لعبة *

والقُلَة عودان يلعب بهما الصبيان *

لشحر فاه وشحاه وعجاه وزاد صراخا وصجيجا وهو يقول المراة المراه * الا فلاعبونى بالمراه * ولو انك طرّبته

بالرّباب معروف *

والعَرْطبة العودّ او الطنبور او الطبل او طبل الحبسه *

والكُوبة البَرْبط والطبل الصغير المخصّر *

والدِرِّيج شى كالطنبور يضرب به *

والصَنْج شى يتخذ من صُفر يضرب احدهما على الاخر وآلة باوتار يضرب بها معرّب والصيار صوت الصنج *

والوَنَج ضرب من الاوتار او العود او المعزف *

والعود　　معروف *

والمِزْمار　　ما يزمّر به ويقال له ايضا الزّمخر والزَّنْبق والصُلْبوب والنقيب والقُصّابة والهُبْنوقة *

والمِزْهر　　العود يضرب به *

والشَّبّور　　البوق ويقال له ايضا القُبْع والقُنْع والقُنع والصُور *

والطنبور　　معروف *

والكَنّارات　　العيدان او الدفوف او الطبول او الطنبور *

والكُوس　　الطبل *

والبَرْبَط　　العود *

والشياع　　مزمار الراعى *

والهُيَرَعة　　البراعة يزمر بها الراعى *

والدف　　معروف *

والمُسْتُقة　　آلة يضرب بها الصنج ونحوه *

والعَرْكَل　　الدف والطبل *

والصَغانة　　من الملاهى معرّبة *

والطِّبن　　الطنبور او العود *

والقِنّين　　الطنبور *

والكِران　　العود او الصنج *

والوَنّ　　الصنج *

لظل فاغرا فاه وهو يزعق ويقول المراة المراة * الا فطرّبوني بالمراة * ولو اطعمه

الجُوْذاب　　طعام يتخذ من سكر ورز ولحم *

والقِسب　　الافط خلط رطبه بيابسه *

والكَباب معروف *

والسَنّوت الزبد والجبن والعسل وضرب من التمر *

واللَفيتة العصيدة المغلّظة او مرقة تشبه الحيس *

والنَفينة طعام اغلظ من السخينة *

والعُلانة سمن وافط بخلط *

والغَبيثة لت الافط بالسمن كالعبيثة *

والسِكباج معروف *

والطَباهجة اللحم المشرّح *

والنابجة طعام جاهلىّ *

والأَخيخة دقيق يعالج بالسمن او الزيت *

والقَفيخة طعام يعالج بالتمر والاهالة *

والكامخ ادام *

والثريد معروف *

والرشيديه طعام معروف فارسيته رشته *

والزّهبدة البُرّ يدق ويصب عليه لبن *

والشَهيدة البَرق المشوى *

والقَديد اللحم المشرّر المقدّد *

والحَنيذ حنذ الشاة شواها وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهى حنيذ *

والزُماوَرد طعام من البيض واللحم ويسمى ايضا الميسّر *

والبَرابير طعام يتخذ من فريك السنبل والحليب *

والبُورانية طعام ينسب الى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون *

والجاشريّة طعام *

والجَعاجر ما يتخذ من العجين كالتماثيل فيجعلونها فى الربّ اذا طبخوه *
والحَريرة دقيق يطبخ بلبن او دسم *
والحَكّر السمن بالعسل يلعقهما الصبى *
والمَخْبور الطعام المدسّم والخُبْرة والثريدة الضخمة — والطعام واللحم وما قُدّم من شى وطعام يحمله المسافر فى سفرته وقصعة فيها خبز ولحم بين اربعة او خمسة *
والخَزيرة شبه عصيدة بلحم *
والصَحِيرة اللبن الحليب يغلى ثم يصب عليه السمن *
والغَذِيرة دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضف *
والفُرْفور سويق من ثمر اليَنْبوت *
والمُرّىّ ادام الكامخ *
والمَضِيرة مريقة تطبخ باللبن المضير *
والنَجِيرة لبن يخلط بطحين او سمن *
والوَغِير لبن يغلى ويطبخ *
والخَاميز مرق السكباج *
والخَنِيز الثريد من الخبز الفطير *
والمُرزّز الطعام المعالج بالرز *
والبَسِيسة لت كالاقط المطحون بالسمن *
والحَمِيسة القليّة *
والحَبْس تمر يخلط بسمن واقط فتعجن شديدا *
والكَبِيس لحم يجفف على الحجارة فاذا يبس دق فيصير كالسويق *
والهَرِيسة معروف *

والبَوْش طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل فى زنبيل ويجعل فى جرة ويطين ويجعل فى تنّور *

والجَشِيش السويق وحنطة تطحن جليلا فتجعل فى قدر ويلقى فيه لحم او تمر فيطبخ *

والرَّشْرش السمين من الشوآ *

والقَمِيشة طعام من اللبن وحب الحنظل ونحوه *

والمكَرّشة طعام يعمل من اللحم والشحم فى قطعة مكورة من كرش البعير *

والكَوْشان طعام من الرز والسمك *

والآمِص لآمص والاميص طعام يتخذ من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرّد المصفّى من الدهن *

والخَبِيص طعام من التمر والسمن ويسمى ايضا البُرُوك *

والعَمْص ضرب من الطعام *

والكَرِيص طبخ الحُمّاض باللبن فيجفف فيوكل فى القيظ *

والمَصُوص طعام من لحم يطبخ وينقع فى الخل او يكون من لحم الطير خاصة *

والأقِط سى يتخذ من المخيض الغنمى *

والمُبَرْقَط طعام يفرّق فيه الزيت كثيرا *

والبَهَطّ الارز يطبخ باللبن معرب *

والخَلِيط الجدى اذا سلخ فشوى *

والسَمِيط الجدى اذا نزع شعره فشوى *

والسُرَيْطاآ حسًا كالحريرة *

والسُوَيْطاآ مرقة كثر ماوها ونمرها اى بصلها وحمصها وسائر الحبوب *

والتَشْيِيط   لحم يشوى للقوم *

والخَدِيعة   طعام لهم *

والخُذِيعة   طعام بالشام من اللحم مشتق من خذع اى حزّز وقطع والمخذّع الشِواء *

والخَلْع   لحم يطبخ بالتوابل فى وعآ من جلد او القديد المشوى في وعآ باهالته *

والرَضِيعة   البرّ يدق بالفهر ويبلّ ويطبخ بالسمن *

والوَضِيعة   حنطة تدق فيصب عليها السمن فيوكل *

والثميغة   ما رقّ من الطعام واختلط بالوَدَك *

والخَطِيفة   دقيق يذر عليه اللبن ثم يطبخ *

والصفصفة   السكباجة *

والطِحرف   حسا رقيق دون العصيدة *

والمُوخِف   طعام من اقط مطحون يذر على مآ ثم يصب عليه السمن *

والأَلُوقة   طعام طيب او زُبد برُطَب *

والحُرُوقة   طعام اغلظ من الحسا *

والمدقّقة   من الطعام مولدة *

والرَوْذَق   الحمل السميط وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه *

والزُرَيقآ   الثريدة بلبن وزيت *

والسَلِيقة   الذرة تدق وتصلح او لاقط خلط به طراثيث وما سُلق من البقول ونحوها *

والسويق   معروف *

والشُبارق   ما اقتطع من اللحم صغارا وطبخ *

والوَشيق لحم يقدد حتى ييبس او يُغلَى اغلاة ثم يقدد ويحمل في الاسفار *

والوليقة طعام يتخذ من دقيق ولبن وسمن *

والدَليك طعام من الزبد واللبن او زبد وتمر ونبات ونمر الورد الاحمر يخلفه ويحلو كانه رُطَب النيء *

والرَبيكة اقط بتمر وسمن *

والسَّهيكة طعام *

والفَريك طعام يفرك ويلت بسمن وغيره *

واللَّبيكة اقط ودقيق او تمر وسمن يخلط *

والوَديكة دقيق يشاط بشحم *

والبَكيلة دقيق بالرب او بالسمن والتمر *

والحَذَل حب شجر ويختبز *

والطُفَيشَل نوع من المرق *

والعَوْكَل ضرب من الادام *

والزَوْم طعام لاهل اليمن من اللبن لذيذ *

واباعاصم السويق والسكباج *

والهُلام طعام من لحم عجل بجلده او مرق السكباج المبرد المصفي من الدهن *

والسَخينة طعام رقيق يتخذ من دقيق *

والكُبان طعام من الذرة لليمنيين *

والتَلْبينة حساً يتخذ من نخالة ولبن وعسل *

والجَليهة تمر يعالج باللبن *

والإِرَة القديد ولحم يعلى بالخل اغلآة فيحمل في السفر *

والآصِية طعام كالحسى بالتمر *

والإِطْرِيّة طعام كالخيوط من الدقيق *

والكَدَى لبن ينقع فيه التمر تسمّن به البنات * ولو اطعمته من انواع الكمأة الذُبَح والفَرْحانة والقُرْحان والغَرْد وبنات أَوْبر والجماميس والفَقْع والبرْنيق والذُعْلوق والقَعْبل والعُرْجون والعُرهون ومن انواع السمك القُباب والهازِبَى والكَنْعَت والكَنْعد والخُبّاط وهي اولاده والبُنَيْنيث والمُدّج والأَبْدح والقُدّ والغَوْبر والزّمير والزُنْجور والاَشْبور والطَنْز والانقليس والجُوَفى واللُخْم وابا مَرينا *

والصِلِنْباح سمك طويل دقيق *

والحافِيْرة سمكة سوداً *

والجِرّي سمك طويل املس لا ياكله اليهود وليس عليه فصوص *

والصُرْصَران سمك املس *

والغارة . سمكة طويلة *

والقَيصانة سمكة صفراً مستديرة *

والشَبّوط سمك دقيق الذنب عريض الوسط لين المسّ صغير الراس كانه بَرْبط *

والجِنّيس سمكة بين البياض والصفرة *

والصِلَعة سمكة صغيرة خضراً قصيرة العظم *

والحَفّة سمكة بيضاً شاكة *

والعُفّة سمكة جرداً بيضاً طعم مطبوخها كالارز *

والخُذّاف سمكة لها ذوائب كالخوص *

والحاقُول سمك اخضر طويل *

والفُتَن سمكة عريضة قدر راحة *

والغُلآ سمك قصير *

والهِق السمك الصغار الهاربة *

والبَلَم صغار السمك *

والصَحْناة ادام يتخذ من السمك الصغار *

والصِيْر الصحناة او شبهها والسميكات المملوحة يعمل منها الصحناة *

والحَوِيْد السمك المقدد *

والقَرِيب السمك المملوح ما دام فى طرآته *

والطِرّيخ سمك صغار تعالج بالملح *

والحُساس سمك صغار تجفف *

والنَشُوط سمك يمقر فى مآ وملح *

والإربيان سمك كالدود *

والصُعْفُر بيض السمك *

والسِكّل سمكة سودآ ضخمة *

والزَجْر سمك عظام *

والبال الحوت العظيم *

والأَطُوم سمكة بحرية غليظة *

والجَيْذرة سمكة كالزنجى الاسود الضخم *

والبُنبك دابة كالدلفين *

والجُمَل سمكة طولها ثلثون ذراعا *

واللِبآ سمكة تتخذ منها الترسة الجيدة وهو ايضا شى كالحمص

شديد البياض توصف به المرأة *

والتُخَس تقدم ذكرها فى الغرائب * ومن المَحار

السُلَج اصداف بحرية فيها شى يوكل *

والدَلاع ضرب من محار البحر *

والقَرَلع دويبة بحرية لها صدفة *

والجُمْحُل لحم يكون فى جوف الصدف * ومن انواع الخبز

الطُرْموث خبز المَلّة ومثله المُفْتاد والمَضّباة والطُرْموس والاِصْطَكْمة والاُصْطُكْمة * ومن الغرائب هنا ان صاحب القاموس اورد التى بالكسر بعد ا ش م والتى بالضم بعد ص ط م *

والزُلُحْلَحة الرقيقة من الخبز وكذا الصَرِيقة *

واللُحُوح خبز شبه القطائف *

والانبخانىّ خبزة انبخانية ضخمة *

والخُبْزة الثريدة الضخمة *

والمَشْطور الخبز المطلىّ بالكامخ *

والسِلّجِن الكعك *

والخَبِيز الثريد من الخبز الفطير *

والرَشْرش اليابس الرخو من الخبز كالرَشْراش *

والهَشاش الخبز الرخو اللين *

والمُرَبّقة الخبزة المشحمة ونحوها المروّلة *

والرُقاق الخبز الرقيق *

والصَغِيغة خبز الارز المرقق *

والمُلّى الخبزة المنضجة * ومن اجناس اللبن

السَمَعْج اللبن الدسم الحلو ومثله السَمْلج والسَمْهج والسمهجيج *

والقُطْبِيَّة لبن المعز والضان يخلطان او لبن الناقة والشاة *

والشَمِيْط ما لا يُدرَى احامض هو ام حقين من طيبه *

والجُلَعْطيط اللبن الرائب الثخين ومثله لبن عُجَلِط وعكلط وعذلط وعكلط وعلبط * تقدم نحوى بغيض كان يتكلم بالاعراب الى لبّان فقال يالبان اعندك لبن عُثَلط علبط عجلط فقال له اللبان تنصرف او تُصفَع *

والكَثْخة الزبدة المجتمعة البيضآ *

واللِياخة الزبد الذائب مع اللبن *

والقِشْدة الزبدة الرقيقة *

والقِلْدة القشدة والتمر والسويق يخلّص به السمن *

والنَهِيْد الزبد الرقيق *

والعَكِيس اللبن الحليب نصب عليه الاهالة *

والثميرة اللبن الذى ظهر زبده *

والنَخِيسة لبن العنز والنعجة يخلط بينهما *

والإمْحاص الحليب ما دام فى المِمْخضة *

والحالُوم ضرب من الاقط او لبن يغلظ فيصير شبيها بالجبن الطرى *

ومن الحلواء

الوَطِيئة تمر يخرج نواه ويعجن بلبن والاقط بالسكر والكعك *

والعَبِيبة طعام وشراب من العُرْفط حلو *

والبُرْت السكر *

والضَيْح العسل والمغل *

والمَلَخ عسل فى جلّنار المَظّ *
واليَعقيد طعام يعقد بالعسل *
والفارِد ابيض السكر واجوده *
والقَنْد عسل قصب السكر *
والفانيذ ضرب من الحلوآ *
والصَقْر عسل الرُطَب والدبس *
والاكْبِر شى كانه خبيص يابس ليس بشديد الحلاوة يجى به النحل *
والفالوذ م ويسمى ايضا الرِعْديد والمُزَعزع والزَلِيل والكَمّص والمُزعفر *
والماذِىّ العسل الابيض او الجديد او خالصه وجيده *
والمُسيّر حلوآ *
واللوزِيْنج معروف معرب *
والوَخِير ثريد العسل *
واللّواص الفالوذ والعسل *
والسِرِطْراط الفالوذ او الخبيص *
والمَجِيع تمر يعجن بلبن *
والقَطائف معروف *
والكُرْسُفىّ نوع من العسل *
والطِرْم الشهد والزبد والعسل *
والمَنّ كل طلّ ينزل من السمآ على شجر او حجر يحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ الخ *
والزَلابِيه حلوآ معروف * ومن الثمر
الصَرَبة شى كراس السنور فيه شى كالدبس بمص ويوكل *

والعَتْرُب شجر كالرمان يوكل *

والبُوت شجر نباته كالزعرور *

والوَعْثآ ضب له حبّ طوال *

والجَوْح البطّيخ الشامى *

والصَذَح ثمرة اشدّ حمرة من العنّاب *

والمُلاحىّ عنب ابيض طويل ونوع من التين *

والعُنْجد الزبيب او ضرب منه *

والفِرْصاد التوت او حمله او احمره *

والقَشَد نبت يشبه القثآ او الخيار *

والكَشَد حب يوكل *

والمَريد التمر ينقع فى اللبن *

والمخد ثمر يشبه الخيار *

والحَناذ المشمش *

والصُفْرِيّة تمر يمانى يجفف بُسرًا فيقع موقع السكر فى السويق *

والضَمِير العنب الذابل *

والزِنْبار التين الحلوانى *

والسُكّر من احسن العنب *

والزَعْرآ ضرب من الخوخ *

والشَعْرآ ضرب منه ايضا *

والمِغْثَر شى ينضجه الثمام والعُشَر والرِمْث كالعسل وكذا المِغفر *

والغُوفُر البطيخ الخريفى او نوع منه *

والقُبَّر عنب ابيض طويل *

والمُرْمار الرمّان الكثير الماء لا سحم له *
والنهر العنب الابيض والكُلافِيّ عنب ابيض فيه خضرة *
والجَوْزة ضرب من العنب *
والمِشْلُوز المشمش الحلو *
والبَلَس ثمر كالتين *
والضّغابيس صغار القثاآ او نبات كالهليون *
والمَيْس نوع من الزبيب *
والكِشْمش عنب صغار لا عجم له الين من العنب *
والضُرُوع عنب ابيض كبار الحب *
والاقماعيّ عنب ابيض يصفرّ اخيرا حبه كالورس *
والمَيْعة شجرة كالتفاح لها ثمرة بيضآ اكبر من الجوز تؤكل ولبّ
نواها دسم يعصر منه المعة السائلة (فى فول)
والغاف شجر له ثمر حلو جدا *
والباسِق ثمرة طيبة صفرآ *
والرازِقيّ العنب المُلّاحى *
لزاد شحر فم وزعيقا ولغطا وزياطا وضجيجا وهو يقول المراة المراة * لا
فاحسوني المراة * ولو انك سقيته من الشراب
الرحيق ممزوجا بالبند الرحيق الخمر او اطيبها او الخالص او الصافى
والبند الذى يسكر من الماآ *
والسَلْسل ممزوجة بالسلسل السلسل المآ العذب ومن الخمر اللينة *
والمِسْطار مزاجها العَضْرس المِسْطار الخمر الصارعة لشاربها والعضرس
المآ البارد العذب والثلج *

والإسفنط مزاجها النقز الاسفنط المطيب من عصير العنب او ضرب من الاشربة او اعلى الخمر * والنقز الماَ الصافى العذب *

والخرطوم ممزوجة بالماَ الزلال الخرطوم الخمر السريعة وماَ زلال كغراب سريع المرّ فى الحلق بارد عذب صاف سلسل *

والمعتقة مزاجها الفرات المعتقة الخمر القديمة والفرات الماَ العذب جدّا *

والمثلّث شراب طبخ حتى ذهب ثلثاه *

والفضيخ عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ *

والفقْد شراب من زبيب او عسل كالفُقْدد *

والمقَدىّ شراب من عسل *

والعاذىّ شراب الفسّاق *

والجُمهورىّ شراب مسكر او نبيذ العنب اتت عليه ثلث سنين *

والخُسْروانى شراب *

والسَكَر الخمر ونبيذ يتخذ من التمر *

والغُبَيْراَ السُكُركة وهى شراب من الذرة *

والمِزْر نبيذ الذرة والشعير *

والكَسِيس نبيذ التمر *

والبِتْع نبيذ العسل المشتدّ او سلالة العنب *

والسُقُرْقَع شراب يتخذ من الذرة او من الشعير والحبوب *

والجِعَة نبيذ الشعير *

والفُقّاع هذا الذى يشرب لما يرتفع فى راسه من الزَبَد *

والباذِق ما طبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا *

والخليطين ما ينبذ من البسر والتمر معا او من العنب والزبيب او منه ومن التمر ونحو ذلك *

والصرى الماء من البسر الاحمر والاصفر يصبونه على النبيذ [illegible]ون منه نبيذا *

والعكى سويق المقل *

والاطواق لبن [illegible] وهو مسكر [illegible] معتدلا ما لم يبرز شاربه للريح فان برز [illegible] *

والصعف شراب من العسل او [illegible] العنب فيطرح ثم يغلى *

والنبق دقيق يخرج من لب جذع النخلة حلو يقوى بالدبس ثم يجعل نبيذا *

والسليل الشراب الخالص *

والمعمول المعمول من الشراب ما فيه اللبن والعسل *

والطلا الخمر وخاثر المنصف وهو الشراب طبخ حتى ذهب نصفه*

لعربد وزاد صراخا وصياحا وهو يقول المراة المراة * الا فاسقونى المراة * بل لو سقيته من [illegible] والكوثر * ومن رحيق مختوم * مزاجه من تسنيم * وجعلته فى جملة [illegible] عليهم ولدان مخلدون * باكواب واباريق وكاس [illegible] * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * فى سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * ولمن خاف مقام ربه جنتان * ذواتا افنان * فيهما عينان تجريان * فيهما من كل فاكهة زوجان * ومن دونهما جنتان * مدهامتان * فيهما عينان نضاختان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فيهن خيرات حسان * فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام * والحب ذو العصف

والريحان * بين منكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان * بين منكئين على فرش بطائنها من استبرق * وعلى فرش موضونة * يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة * لما رايته والحالة هذه راضيا من دون المراة * فاعوذ بالله من هذا الانسان * ومع ذلك اى مع كون وجود الطعام والشراب للرجل الزم من وجود المراة اذ الاول مخلوق لحفظ الحياة والثانى لتقويم الطبيعة على ما سبق ذكره * فان وجود المراة أصعب منهما واكثر تعذرا واغلى سعرا * اذ الطعام والشراب يوجدان فى كل مكان وزمان * حتى ان اهل سقر لهم طعام من الزقوم والمهل والضريع * وشراب من غسلين * وظل من يحموم * ولكن ليس لهم نساء من مارج من النار او من الشياطين * ولا وجود للمراة ايضا فى السفينة ولا فى دير الرهبان الا نادرا * ولا لراكب فرس او حمار او جمل او بغل * ولا لساع على القدم * ولا لمباشر الحروب ولا للمسجون * ولا للقبيح الخلقة الا اذا كان جميل الدينار والحلا * ولا لشاعر مملق وان تملقهن وسهر الليالى فى وصف محاسنهن والتشبب بها * ولا لمن له تشويلية وترويلية وزلقية وزمالقية وزهلفية وتيتائية واذليلائية ونعنعية وهلوكية وشكازية وئيتلية وعنبنية وحريكية وطمسلية ومنجوفية وحصورية وسرسية وعجيرية وذوذخية وحوقلية وهوذلية وخواخية وعذيوطية وصيوطية وعظيوطية ونتية ونموتية وصفيطية ومجيائية وعتولية * فان قيل ان الادرم لا خبز له ايضا * قلت يمكن ان يدق له الخبز ناعما فيمضغه ويجترى به * ولكن كيف السبيل الى مضع المراة مع التيتائية واخواتها * ثم انه كما وقعت البلبلة عن ذات

المرأة وحارت العقول فى السرّ الذى اودعه الله فيها * من جهة انها اول الاسباب فى عمران الكون وخرابه * اذ لا يكاد يحدث فى العالم خطب جليل الا وتراها من خلله واقفة وراه او بالحرى مضطجعة * كذلك حصل التشويش والتخليط فى اسمها * فالمراة فى لغتنا الشريفة مشتقة من مرؤ الطعام اذا صار مريئا هنيئا جيد المغبّة * الا انها كثيرا ما تكون طعاما ذا غصّة وشجا وتخمة وتختير وتخثير * ثم ان همزها للوصل ووصلها للهمز * وجمعها من غير لفظ المفرد وهو متعدد * وفى بعض اللغات هى ويل الرجل * وفى بعضها سَوْأة * فاما الزوجة وهى المفهوم منها انها امراة وزيادة او نصف امراة ونصف رجل فقد خصّت ترضّيا لها باسماء كثيرة * من ذلك القرينة واشتقاقها معلوم * والعازبة واشتقاقها من عزب اى بعد لانها تعزب عن ابويها الى زوجها او بالعكس او عنه الى غيره * والحُرْمة * واللحاف لانها تدفى الرجل بحر جسدها كما سياتى * والحدادة والنِضر والعِرس والحَليلة واللباس والجَثْل والحال والخُصْلة والشاعة والحَنّة والرُبض والنَعْل ولست ارضى بهذه فالاولى محوها * ومن الغريب انها سميت لباسا ولحافا ولم تسمّ سروالا * قال بعض العلماء اذا اراد الله ان يقضى خيرا على الارض قيّض له امراة فكانت الوسيلة الى اجرائه * واذا اراد الشيطان ان يقضى شرّا توسل اليه ايضا بامراة * وقد اختلفوا فى تاويل هذا القول * فالخرجيون على ان دخول المراة فى قضية ملك الانكليز كان للخير المحض * والسوقيون على انه كان للشر الجهنمى * وكذلك قضية ملكتى الانكليز وقضية ايرين زوجة ليو الرابع وثيودورة زوجة ثاوفيلوس * وغير ذلك مما لا يحصى * واعلم هنا انه لم تجر العادة بان يتخذ من النساء بابا او مطرانا او رئيس جيش او رئيس سفينة او قاض * وذلك لانتفاء

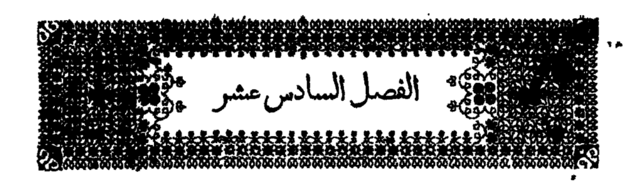
باسهن وسطوتهن * فان الرجال مستعبدون للنسآ بالطبع خلوّا من هذه المراتب العلية فكيف بهن اذا وليتها * فان قيل ان الافرنج يتخذون منهن ملكات ويفلحون * قلت قد تقرر عندهم انه اذا كان رئيس الدولة انثى كانت ادارة الاحكام والعمل كله لذكر * ولعل ذلك من مشاكل الامور الانثوية فان هذا التعليل يصدق ايضا على كون البابا وغيره يتخذ من النسآ * ولعلي قد اطلت الكلام هنا على النسآ مع انه ربما يوجد فيهن صغار غير جديرات بالطويل منه * فينبغي لي الان تطليقهن والعود الى ما كنت بصدده * وساعود اليهن في موضع آخر ان شا الله *

الفصل الخامس عشر

. . . .

. . . .

. . . . في ذلك الموضع



الفصل السادس عشر

في ذلك الموضع بعينه

لم يطاوعني القلم على الانتقال من هذا الموضع النهي الى الكلام في الفارياق وامثاله * بل لعله هو نفسه يروم ذلك ايثارا له على ذاته * فلا بد اذا من الرجوع الى وصف النسآء من دون اعتذار اليه فاقول * قال بعض الفحول من العلمآء ان المراة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم * اما وجه كونها اشرف فلان شاهدي ثانيتها واقفان في محل مرفوع * بحيث يمكن لها ان تراهما او تريهما ايان شاءت من دون تطاطي راس وانحنآء * وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفى * الا ترى ان بعض الادبآء قال ان من عزّ لا ان يقولها الانسان وهو رافع راسه ومن ذلّ نعم ان يقولها وهو خافضه * اما شاهدا الرجل فهما منكوسان في محل منخفض بحيث لا يقدر ان يراهما الا اذا تطاطا وانحنى * واما وجه كونها افخم فلان ساقيها اللتين هما عمودان لهيكل الجسم * وبطنها الذي هو منبت لتكوّن النسمة * وعجزها الذي هو مورد للاعجاز * تكون افخم من ساقي الرجل وبطنه وعجزه * واما وجه كونها انبل فلانها تنبل بما يلقى اليها مدة تسعة اشهر * واما وجه كونها احلم فلان سِمَة الحلم ترى في شاهدي ثانتها * واما وجه كونها افضل فلانها خلقت من الرجل وعقبه *

وهو خلق من تراب * لكنها اذا ماتت (معاذ الله من ذلك) تستحيل الى تراب كالرجل لا الى اصلها الذى اخذت منه اى لا تصير رجلا ولا ضلعا * واما وجه كونها اكرم فلانها ارق فؤادا وارحم قلبا والين طبعا * فاذا رات احدا محتاجا الى شى من عندها لم تضن به عليه * وناهيك ما جآء عن مادح السيدة زبيدة اذ قال

أزبيدة ابنة جعفر　　طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما　　تعطى الاكف من الرغاب

فلما انكر الوصفاء عليه ذلك وهمّوا بضربه انتهرتهم واحسنت اليه لعلمها انه لم يخطئ الوصف * وقال فحل اخر ان المراة تعمّر فى الغالب اكثر من الرجل * وسبب ذلك انها لما كانت مفطورة على اللين والطفولة والنعومة كان لها ان تتلقى ما يستقبلها من الحوادث بالصبر والتانّى * فتكون به ميلعا اى تارة تميل الى هذا الشق وتارة الى ذلك * فمثلها كمثل الغصن الرطيب يميل مع الريح فلا ينقصف * فاما الرجل فانه لما كان مفطورا على القسوحة واليبوسة فمتى دهمه امر تصلّب له واقتسح فلا يلبث ان يعطب به * فمثله كمثل الشجرة اليابسة اذا قويت عليها الريح * قال ومن خواصها ايضا ان الخمرة لا تبلغ منها قدر ما تبلغ من الرجل * واختلفوا فى تعليل ذلك * فذهب قوم الى ان فى دم المراة قوة جاذبية تغلب على الخمر فتجذبه سفلا فلا يصعد الى دماغها * وزعم بعض ان فى المراة نوعا من الخمر يسمى رضابا وهو فيها قوى جدا * بحيث اذا خالطه الشراب اىّ شراب كان ذهب بقوته * والقطرة من هذا النوع تباع احيانا ببدرة واحيانا براس انسان او بعنقه * ومن خواصها ان شعرها

يكون اطول من شعر الرجل * وشعرها ابلغ من شعره * وشعورها ادق * ومشاعرها انفع * اما الاول فلم يختلف فيه اثنان * واما الثانى فلانها اذا قالت شعرا فانما تقوله فى رجل فهو يعجب الرجال ويبلغ منهم بالطبع * ويعجب النسآ بالطبع والصنعة ايضا * ولعل ذلك مشكل آخر من المشاكل الانثوية * فانى ارى هذا التعليل يصدق على الرجل فانه انما يقول الشعر فى امراة * ويمكن ان يجاب بان الشاعر المجيد اكثر شعره يكون فى غير الغزل * وذلك كاختلاق مدح يفتريه على امير * او وصف مجلس انس او حرب ونحوه * واما الثالث فلانها اذا مرّت مثلا بحانوت بزّاز ورات بزّا شفافا اترنجى اللون * فاول ما تلمحه تقول لك هذا يصلح للّيل * وربما كان فكرك وقتئذ فى كتاب تطالعه او فى شرآ حمار تركبه * واذا رات ديباجا اخضر قالت بديها هذا يصلح للشتآ * او كتانا ابيض فاخرا خصّصته بالصيف * ثم اذا مرّت بدكان جوهرى او اذا تهوّستَ انت واخذتها اليه قالت لك على الفور هذا الحجر الماس يصلح لان يجعل فصا فى خاتم للبنصر * وهذه الياقوتة فى خاتم للخنصر * وهذه الزمردة فى خاتم للمتوسطة * وهذا الفيروزج فى خاتم للسبابة * وهذه الفريدة فى خاتم للابهام * وهذه اللآلى الكبيرة لقلادة فى العنق * وهذه الصغيرة لسوار * وهذه السلاسل الذهب المرصعة توضع فى العنق مع القلادة وتدلّى الى الخصر ويعلق بها ساعة من ذهب * وهذه الشنوف الثقيلة للشتآ * وتلك الخفيفة للصيف * وهذه المتوسطة للربيع والخريف * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار * فان قيل ان الكاف فى فكرك خطاب مطلق لكل قارى وربما تشرف كتابك هذا بمطالعة امير او غيره من السادة العظمآ فلا يصح توجيه الخطاب اليه * لان الامير لا يفكر فى الحمير * قلت قد يرد فى

سفر التكوين فى الفصل السادس والثلثين ان عانة من ولد سعير الحورى كان يرعى حمير ابيه زبيون وكان اميرا * بل قد علّق عليه فى بعض النسخ جِلاً دوك وهو اعظم من الامير * ثم انها اى المراة لم تلبث حالة كونها ناظرة الى تلك الجواهر ان تقسم اهل المصر جميعا الى خمسة اقسام

القسم الاول فى تهيئة الجواهر *

من التِجاب ما اذيب مرة من حجر الفضة *

والمُشْخُلَبة خرز بيض تشاكل اللولو او الحلىّ يتخذ من الليف والخرز وقد تسمّى الجارية مُشْخُلبة بما عليها من الخرز وليس على بنائها شى * قلت وفى محفوظى ان ابن الاثير حكاها بتقديم الخآ على الشين دون هآ *

والصِئْب حبّ اللولو *

والقَصَب ما كان مستطيلا من الجوهر ...... والدرّ الرطب والزبرجد الرطب المرصّع بالياقوت *

واليَشَب حجر معروف *

والبَهْت حجر معروف *

والكِبريت الياقوت الاحمر والذهب او جوهر معدنه خلف التُبّت بوادى النّمل وفى ت ب ت تبّت كسكّر بلاد بالمشرق ينسب اليها المسك الاذفر *

والياقوت معروف *

والدَهْنج جوهر كالزمرذ *

والزِبْرِج جوهر او الزينة من وشى *

والزبردج الزبرجد *

والصَّلِيجة سبيكة الفضة المصفّاة *

والمَرْجان م وتعريفه فى القاموس انه صغار اللولو *

والخَرايد الخريدة اللولوة لم تثقب *

والفَرِيد الشَذْر يفصّل بين اللولو والذهب ج فرائد والجوهرة النفيسة والدرّ *

والجُذاذ حجارة الذهب *

والبَلّور جوهر معروف *

والتِبْر الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة اوما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ومكسر الزجاج وكل جوهر يستعمل من النحاس والصفر *

والسِيرآ الذهب الخالص *

والشَذْر قطع من الذهب نلفظ من معدنه بلا اذابة او خرز يفصّل بها النظم او هو اللولو الصغار *

والسَمّور الماس *

والعَمْرة الشذرة من خرز يفصل بها النظم *

والنُضار الجوهر الخالص من التبر *

والخَرَز الجوهر وما يُنظم *

والفِلِزّ نحاس ابيض — او جواهر الارض كلها او ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها *

والهِبْرِزىّ الذهب الخالص *

والنَرامِس الجُمان *

والحَصّ اللولوة ونحوها الخوصة *

والخِلاص ما اخلصته من الذهب والفضة *

والدّلِيص مآ الذهب *

والخَضَض خرز بيض صغار يلبسها الصغار *

والثّعثع اللولو والصدف *

والجَزَع الخرز اليمانى الصينى *

والزِيّلع ضرب من الودع *

واليَنع ضرب من العقيق *

والزُخْرف الذهب وكمال حسن الشى *

والصَرِيْف الفضة الخالصة *

والسفائق السفيقة الضريبة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما *

والعقيق معروف *

والخَضْل اللولو والدر الصافى وخرز معروف *

والحُوْمة البلّور *

والجُمان اللولو او هنوات اشكال اللولو من فضة او حرر بتّص بمآ الفضة *

والمِيْنا جوهر الزجاج *

والمَهْو اللولو وحصى ابيض والمَهاة البلورة *

والنِهآ الزّجاج ويقصر او القوارير وحجر ابيض ارخى من الرخام — وضرب من الخرز *

القسم الثانى فى عمل الحلىّ

من البؤبؤ راس المكحلة *

والأُربة القلادة *

والأرنب حلى *

والمِعْقب القُرط ومثله الرَّعثة ج رِعاث *

والنجّة خرزة او لولوة تعلق فى الاذن *

والدُملج معروف *

واليارَج القُلْب او السوار *

والجانب الجانب من الدر نظم يعرَّض او كل ما جعلته فى نظام *

والداح سوار ذو قوى *

والسَنيح الدر او خيطه قبل ان ينظم فيه والحلى *

والوِشاح كِرْسان من لولو وجوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر واديم عريض يرصع بالجوهر تشده المراة بين عاتقيها وكشحيها *

والوَضَح حلى من الفضة *

والفتخة خاتم كبير فى اليد او الرجل او حلقة من فضة كالخاتم *

والخَلَدة السوار والقُرْط *

والزِراد المخنقة *

والعِضاد الدملج كالمعضاد *

والعِقْد معروف *

والقِلادة ما جعل فى العنق *

والمِنْجد حلى مكلل بالفصوص وهو من لولو ودهب او قرنفل .... ياخد من العنق الى اسفل الثديين يقع على موضع النجاد *

والمَسْجور من اللولو المنظوم المسترسل *

والسَّفيرة قلادة بعرى من دهب وفضة *

والسعيرة حَد تصاع من فضة او حديد على شكل السعيرة الخ *

والعِنْزة	قلادة تعجن بالمسك والافاويه *

والغَمْر	الشنف *

والتِقْصار	القلادة ج تقاصير *

والكُسْبر	المَسَك من العاج كالسوار *

والقُفّاز	— او ضرب من الحلى لليدين والرجلين *

والجِبْس	سوار من فضة يجعل فى وسط القِرام *

والسَلْس	— او القُرْط من الحلي *

والشَمْس	ضرب من القلائد *

والقُداس	شي يعمل كالجمان من الفضة *

والكَبِيس	حَلْى مجوف محشوّ طيبا *

والقلادة المكرّسة	وهى ان ينظم اللولو والخرز فى خيط ثم يضمّا بفصول بخرز كبار *

والنِقْرِس	شى يتخذ على صنعة الورد تغرزه المراة فى راسها *

والخَرْبَصِيص	القرط والحبة من الحلى *

والخُرْص	حلقة الذهب والفضة او حلقة القرط او الحلقة الصغيرة من الحلى *

والحَوْط	خيط مفتول من لونين اسود واحمر فيه خرزات وهلال من فضة تشده المراة فى وسطها لئلاّ تصيبها العين *

والسِمْط	قلادة اطول من المخنقة *

والعُلْطة	القلادة *

والقُرْط	الشنف او المعلّق فى شحمة الاذن *

واللطّ	القلادة من حب الحنظل المصبّغ *

والانْواط	المعالبق *
والرُصيعة	حلية السبف المستديرة او كل حلقة مستديرة فى سيف او سرج او غيرهما *
والسَنْف	القرط الاعلى او معلاق فى فوق الاذن او ما علّق فى اعلاها *
والنُطْفة	القرط او اللولوة *
والوَقْف	سوار من عاج *
والجِزاق	السوار الغليظ *
والحِلَق	خاتم من فضة بلا فصّ وهو ايضا خاتم المُلك *
والمِخنقة	القلادة وكذا المزنقة والمعنقة *
والخَوْق	حلقة القُرط والشنف *
والدَيْسق	كل حلى من فضة بيضآ خالصة *
والزُناق	كل رباط تحت الحنك *
والسَوْذق	السوار والقُلْب *
والطارقيّة	قلادة *
والطَوق	معروف *
والقَلَقِيّ	ضرب من القلائد *
والمَسَك	الاسورة والخلاخيل *
والجَدِيل	الوشاح *
والحَبْلة	ضرب من الحلى *
والحِجْل	الخلخال *
والمُرْسَلة	قلادة طويلة تقع على الصدر او القلادة فيها الخرز *
والسِذْل	السمط من الدر يطول الى الصدر *

والاَشْكال حلى من لولو او فضة يشبه بعضه بعضا يُقرّط به النسآ الواحد شَكَل *

والطِمْل القلادة كالطميل لانها تُطمَل اى تلطخ بالطيب *

والقبَل شى من عاج مستدير يتلالو يعلّق فى صدر المراة *

والقِرْمِل ما تشدّه المراة فى راسها *

والاكليل شبه عصابة تزيّن بالجوهر *

والمَحال ضرب من الحلى *

والنَخْل ضرب من الحلى *

والتهاويل الالوان المختلفة وزينة التصاوير والنقوش النح *

والبَريم حبل للمراة فيه لونان مزيّن بجوهر *

والتّوائم توائم اللولو ما تشابك منها *

والتُوْمة اللولوة والقرط فيه حبة كبيرة *

والخاتَم معروف *

والعِصْمة القلادة *

والكَرْم القلادة ونوع من الصياغة فى المخانق او بنات كرم حلى
كان يتخذ فى الجاهلية *

والاَنْظام كل خيط نظم خرزا *

والشُكْنة القلادة *

والجُمان سفيفة من أدَم ينسج وفيها خرز من كل لون تتوشحه المراة *

والبُرة الخلخال *

والرِىّ القلادة او التى توضع فى عنق الغلام *

والوَنيّة العقد من الدر او اللولوة *

الى الخَشل روس الاسورة والخلاخيل *

القسم الثالث في عمل الطيب واتخاذ المشموم

من الأَناب المسك او عطر يضاهيه *

والجُلّاب مآ الورد *

والزَّرْنب طيب او شجر طيّب الرائحة *

والكُرْكُب نبات طيب الرائحة *

والمَلاب عطر او الزعفران *

والشَق نبت طيب الريح يُدبَغ به *

واليَلَنْجُوج عود البخور *

والرّباحيّ جنس من الكافور *

والمَرْنَجِ اجود عود البخور *

والرَّيحان نبت طيب الرائحة او كل نبت كذلك *

والشيح نبت طيب الرائحة *

والصّيّاح عطر او غِسْل *

والنَضوح طيب *

والسَابِخة عطر كانه قشر منسلخ ودهن ثمر البأن قبل ان يربّب *

واللَّبيخة نافجة المسك *

واللَخْلَخة طيب م *

والسُعْد طيب م *

والرَنْد شجر طيب الرائحة والعود والآس *

والزّباد م ويسمى الزَهْم *

والعَبْد نبات طيب الرائحة *

والقَنْديد العنبر والكافور والمسك وطيب يعمل بالزعفران *

والنَدّ	طيب م *
والحَنِيذ	دهن والغسل المطيب *
والكاذى	شجر له ورد يطيب به الدهن *
والبَهار	نبت طيب الريح *
والخَطّار	دهن يتخذ من الزيت بافاويه الطيب *
والخُمْرة	الوَرْس واشياء من الطيب *
والذَرِيرة	عطر *
والزَبْعر	نبت طيب الرائحة *
والإِذْخِر	حشيش طيب الريح *
والسّاهريّة	عطر *
والضَيْمُران	الريحان الفارسى *
والمُطيّر	العود او المُطرّى منه *
والظَفار	شى من العطر كانه ظفر مقتلف من اصله *
والعَبِير	الزعفران او اخلاط من الطيب *
والعَبْهر	النرجس والياسمين ونبت آخر *
والعِطْر	الطيب *
والعَمار	الريحان يزين به مجلس الشراب *
والعنبر	روث دابة بحرية او نبع عين فيه *
والغَرا	نبت طيب او هو الغُرَيْرا *
والغافِرة	طيب او الكبابة *
والقُطْر	العود الذى يتبخّر به *
والكافور	نبت طيب نَوره كنور الاقحوان والطلع او وعاؤه وطيب م

يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين الخ *

والنِسْرين ورد م *

والعَجُوز ضرب من الطيب *

والبَلَسان شجر صغار كشجر الحنّا لا ينبت الّا بعين شمس ظاهر القاهرة يتنافس فى دهنها *

والقلَسان نبات طيب الرائحة *

والقَنّس نبات طيب الرائحة ويسمى ايضا الراسَن *

والهَبّس الخِيْرِيّ ويقال له المنثور والنمام *

والمَرْدَقوش طيب تجعله المراة فى مشطها *

والحُصّ الوَرْس والزعفران *

والسَعِبط البان ودهن الخردل *

والقُسْط عود هندى وعربى *

والضَياع ضرب من الطيب *

والمَيْعه عطر كالمائعة *

والنَقُوع صبغ فيه من افواه الطيب *

والعَوْف نبات طيب الرائحة *

والخِلاق ضرب من الطيب *

والرّحِيق ضرب من الطيب *

والبُنْك طيب م *

والسُكّ طيب يتخذ من الرامك *

والمسك المشموع اى المخلوط بالعنبر *

والنـدل ضرب من الطيب *

والزُّعلة اكليل من ريحان وآس *

والسُّنبل نبات طيب الرائحة *

والقُنْدُول شجر بالشام لزهره دهن شريف *

والنَّدل العود او اجوده كالمندلى *

والبَشام شجر عطر الرائحة *

والبَهْرمان العصفر والحنّآء *

والثِوَمة شجرة اطيب رائحة من الآس *

والجَيْهَمان الزعفران وكذا الرَيْهقان *

والخُزامَى خِيرِىّ البرّ *

والضُرْم شجر طيب الريح *

والمَكْتومة دهن يجعل فيه الزعفران او الكَتَم *

واللَطِيمة المسك *

والمُنْشَم عطر شاقّ الدقّ او قرون السنبل *

والنمّام نبت طيب *

والمَهْضُومة طيب يخلط بالمسك والبان *

والأُشْنة عطر ابيض مما يلتف على شجر البلوط والصنوبر *

والبان شجر لحب ثمره دهن طيب *

والجَفْن شجر طيب الرائحة *

والحَنُّون الفافية او نُور كل شجر *

والرُّقُون الحِنّا والزعفران *

والكُشْنة شى يتخذ من آس واغصان خلاف تبسط وينضد عليها الرياحين اصله كُشْنا او هى نُورُدَجة من القصب والاغصان

الرطبة الوريقة تحزم ويجعل جوفها النور قلت ونحوها الكُتْنة *

والمَيْسُوسَن شى تجعله النسآ فى الغِسْلة لروسهن *

والغالية طيب م *

والفاغِيَة النمامة وزهر الحنآ والافعآ الروائح الطيبة *

والفاغية نور الحنا او يغرس غصن الحنا مقلوبا فيثمر زهرا اطيب من الحنآ فذلك الفاغية *

والكِبآ عود البخور او ضرب منه *

والكاذى دهن ونبت طيب الرائحة *

واللُّوّة العود يتبخر به *

والقَدا شى يتطيّب به كالبخور *

القسم الرابع فى عمل الآنية والادوات والمتاع والفرش

من الغَرَب جام من الفضة *

والشُفارِج الطبق فيه الفيخات والسكرجات *

والصُراحيات آنية للخمر *

والمطافح المغارف *

والبُهار انآء كالاباريق *

والطِرْجُهارة شبه كاس يشرب فيه ونحوه الطِرْجهالة والفنجانة ويقال للفنجانة الصغيرة سُوْمَلة *

والشُوارِف وعآ الخمر من خابية ونحوها *

والاكواب والاباريق والقوارير والكُوْس والاقداح والطاس والصحون والعُدَد والخروس والصيعان والدنان والصحاف والقِصاع والزُلُج والقوارى والجفان والعِلاب والبواطى والماكل والقِعاب والنواجيذ والعِساس والعُسُس

والفِدام والعُسوف *

والجُهْمة القدر الضخمة *

والهَيْطلة القدر من صفر *

والمِرْجل القدر من الحجارة والنحاس *

والكَفْت القدر الصغيرة *

والهِلْجاب القدر العظيمة وكذا البِساط *

والتأمورة الابريق والحقة والثمية المشدودة الراس *

والقَعْن الجفنة يعجن فيها *

والجام م ونحوه الصاع *

والمَكّوك طاس يشرب به *

والعَبْزار ضرب من اقداح الزجاج *

والسُعُوف الاقداح الكبار وامتعة البيت وكل شى جاد وبلغ من مملوك او علق او دار فهو سَعَف وبالتسكين السلعة *

والوَرْسيّ من اجود اقداح النُضار *

والزَوْرآ اناء من فضة *

والفاثور الطست او الخوان من رخام او فضة والناجود والباطية *

والقَذْمور الخوان من فضة *

والدَنْسق خوان من فضة *

والقَرْقار إناء *

والمُئْبَنة كبس تضع فيه المراة مرآتها واداتها *

والعِكْم نمط تجعل فيه المراة ذخيرتها *

والقَشْوة قفة من خوص لعطر المراة *

والجُؤنة سفَط مغشّى بجلد ظرف للطيب *

والعَتيدة الطبلة او الحقّة يكون فيها طيب الرجل والعروس وكذا الشريط *

والدُرْج جفش النسآء الواحدة بهآ *

والصِوان ما يصان فيه الثوب *

والتَخْت وعآ تصان فيه الثياب ونحوه العَيْبة والمَبناة *

والاَسْطان آنية الصفر *

والاَبْزَن حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس *

والشِجاب خشبات منصوبة توضع عليها الثياب *

والغُذن الغِدان القضيب تعلق عليه الثياب *

والقَفَدانة غلاف المكحلة وخريطة من اُدَم للعطر وغيره *

والحناجيد الحُنْجود قارورة طويلة للذريرة ووعآ كالسفط الصغير ونحوه الحُنْجور *

والبَزّ الثياب او متاع البيت من الثياب ونحوها *

والعَقار متاع البيت ونضده الذى لا يبتذل الّا فى الاعياد *

والثَقَل كل شي نفيس مصون *

والبَتات الجهاز ومتاع البيت ونحوه المُحاش والآثاثة والشَذَب والزَلْزل والاَهَرة والرِهاط والسُفاطة ويقال لقماش البيت خاشِ ماشِ وقاش ماش وقُرْبُشُوش *

والنَجْد ما ينجّد به البيت من بُسط وفرش *

والنَضَد السرير ينضّد عليه *

والنِضيدة الوسادة وما حشى من المتاع *

والبُورِيّة الحصير المنسوج *

والمِسْوَر متكا من ادم *

والعَبْقرىّ ضرب من البسط *

والرَفْرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط — والفراش والوسادة والبسط *

والزِلِّيّة البساط *

والنَمَط ضرب من البسط *

والمِسْخيّة نوع من البسط *

والاِراص بساط ضخم من صوف او وبر *

والنُسُج السجادات *

والزَرابىّ النمارق والبسط او كل ما اتّكى عليه الواحد زِرْبىّ *

والرِحال الطنافس الحيرية *

والنمارق الوسادة والميثرة والطنفسة *

والدُرْنوك ضرب من البسط *

والوِراك ثوب يزيّن به المَوْرك وهو الموضع الذى يجعل عليه الراكب رِجله *

والبَراطِل البَرْطلة المظلة الضيقة *

والظُلَل الظُلّة الغاشية وشى يستتر به من الحرّ والبرد *

والمماطر المِمْطر ثوب صوف يتوقى به من المطر كالممطرة *

والأزْفان الزِفْن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر البحر ونداه *

والسُرادقات السرادق الذى يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف

ولا بد كذلك من اتخاذ النَسِيْفة للحمّام وهي حجارة سود ذات نخاريب يحك بها الرجل * ثم تزين تلك الدار ال[illegible]ة بالفُسَيْفسآ والسُرُنْج * الفسيفسآء الوان من الخرز تركّب فى حيطان البيوت من داخل * والسَرُنْج شى من الصنعة كالفسيفسآ * وبسُرُر مرمَّلة اى مزينة بالجواهر ونحوها وبحَجَلات ومِنَصّات وبارائك بعروش وكراسى وطوارق من العاج عظم الفيل *

والساج   شجر *

والشِيْزَى   خشب اسود للقصاع او هو الآبنوس او الساسم او خشب الجوز *

والسَمُر   شجر معروف *

والنُضار   خشب للاوانى *

والعَيْزار   شجر *

والضُبار   شجر البلّوط *

والساسَم   شجر اسود او الابنوس *

والثَوع   شجر جبلى بسمو *

والشَوْحَط   شجر تتخذ منه القسىّ او ضرب من النبع *

والضَبْر   شجر جوز البر *

والصَوْمر   شجر الباذروج *

والصِنار   الدُلْب *

والسَّلام   شجر * قيل لاعرابى السلام عليك قال الجنجان عليك قيل ما هذا جواب قال هما شجران مرّان وانت جعلت علىّ واحدا فجعلت عليك الآخر *

والكَنَهْبَل   شجر عظام *

والبَقْس شجر كالآس ورقا وحبا او هو الشِمْشاذ *

والنَشَم شجر للقسيّ *

والضّال السِدْر البرى وشجر آخر *

والبَقْش شجر يقال له بالفارسية خوش پاى *

والنِبْش شجر كالصنوبر ارزن من الابنوس *

والشُخْس شجر صلب *

والمَيْس شجر عظام *

والوَمْس شجر يعملّ منه البرابط والاعواد *

والقَطَف شجر جبلى خشبه متين *

ثم تزين بقوارير من البلّور *

والقِطْر ضرب من النحاس *

والقِلِزّ النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد *

والفِلِزّ نحاس ابيض تجعل منه القدور المفرغة او — *

والبَلَنْط شى كالرخام الا انه دونه فى اللين *

والبَلَق حجارة باليمن تضى ما وراءها كالزجاج *

والحُكَك حجر ابيض كالرخام *

والنهاء حجر ابيض ارخى من الرخام *

والمُهْل اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوهما *

والهَيْصَم ضرب من الحجارة املس *

ثم تمام زينة هذا المكان الشريف وِثاب محشوّ بالعُشَر والحُرَيْمِلة * الوثاب السرير والفراش * والعُشَر شجر يحشى فى المخاد ويخرج من زهره وشُعَبه سكّر * والحريملة شجرة تنسنق جراوها عن الين قطن ويُحشى به مخاد

الملوك * غير انى ارتكبت هنا غلطا فاحشا في تاخيرى ذكر الفراش وهو اول ما يخطر ببال العروس عند دخولها بلـدا * وهنا تمّ اثاث الدار * وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار *

القسم الخامس فى عمل الثياب

الثُرقبيّة وهى ثياب ببض من كتان مصر *
والجِلْباب القميص وثوب واسع للمراة *
والسُكُب ضرب من الثياب *
والسِلاب الثياب السود *
والقَصَب ثياب ناعمة من كتان *
واللّبيبة ثوب كالبقيرة *
والنُقْبة ثوب كالازار *
والبِظّماج ما كان احد طرفيه مخملا او وسطه مخمل وطرفاه منيّران *
والمعرّجة المخططة فى التوآ *
والموثوجة ثياب رخوة الغزل والنسج *
والهُبَّرج الموشى من الثياب *
والمترّحة المترّح من الثيابْ ما صبغ صبغا مشبعا *
والوَجيح الصفيق من الثياب *
والخَوخة ضرب من الثياب اخضر *
والوُليخ ثوب من كتان *
والثفافيد ضرب من الثياب *
والجِماد ضرب من الثياب *
والمعضّدة المعضد ثوب له علم فى موصع العضد *

والفِرِنْد ثوب م *
والمُقَرمَدَة ثوب مقرمد مطلى بشبه الزعفران *
والمجسّدة المصبوغة بالزعفران *
والمُقَدبَة ثياب م *
والهُرْدِيّة المصبوغة بعروق الهُرد *
واللاذة ثوب حرير صينى *
والبُقطرية الثياب البيض الواسعة *
والحَصِير ثوب مزخرف موشى اذا نشر اخذت القلوب مآخذه لحسنه *
والخُسْروانية نوع من الثياب *
والدِثار ما فوق الشِعار من الثياب *
والسّابريّة الثياب الرقيقة الجيدة *
والمُسيّرة ـ المسيّر ثوب فيه خطوط *
والصُدْرة ثوب م *
والصِدار ثوب راسه كالمقنعة واسفله يغشى الصدر *
والعبقرية عبقر بلدة ثيابها فى غاية الحسن *
والمِعجر ثوب تعتجر به المراة وثوب يمانى *
والعُشاريّة ثوب عشاريّ طوله عشرة اذرع *
والعُفار ـ ضرب من الثياب احمر *
والقبطرية ثياب كتان بيض *
والمُرَمّر ضرب من تقطيع ثياب النسآ *
والمنيّرة المنسوجة على نيرين *
والباغِريّة ثياب من الخز او كالحرير *

والتوريه منسوبة *

والمُمَرْعَزة المِرعِزّى الزغب الذى تحت شعر العنز *

والمطرّزة المعلَمة *

والمفروزة ثوب مفروز له تطاريف *

والقرمزية المصبوغة بالقرمز *

والقَهْز ثياب من صوف احمر كالمرعزى وربما يخالطها الحرير *

والتِنّيسيّة تنّيس د تنسب اليه الثياب الفاخرة *

والمُدَمقسة الدِمَقس كالابريسم او القزّ او الديباج او الكتان *

والقَسّية منسوبة الى قسّ من ارض مصر *

والكِرْباس ثوب من القطن الابيض *

والمُلَسلسة الموشّاة المخطّطه *

والنرْسيّة نرس ة بالعراق *

والمورّسة المصبوغة بالورس *

والأَكْياش الثوب الذى اعيد غزله مثل الخز والصوف *

والماجشون الثياب المصبّغة *

والمقفّصة المخططة كهيئة القفص *

والمحرّضة المصبوغة بالاِحْريض للعصفر *

والعُرْضىّ جنس من الثياب *

والمِعْرَض ثوب تجلى فيه الجارية *

والرَيْطة كل مُلآة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة او كل ثوب ليّن رقيق *

والسِجِلّاط ثياب كتان موشية وكأن وشيه خاتم *

والسُّمْط ثوب من صوف وبالكسر الثوب ليست له بطانة طيلسان *

والمقطّعات القصار من الثياب — او برود عليها وشى *

والمردّعة التى فيها الرطوب *

والصّديع ثوب يلبس تحت الدرع *

والمضلّعة المسيرة المخططة وما جعل وشيها على هيئة الاضلاع *

والنِصْع ثوب ابيض *

والموشّعة المعلَمة *

والشُرافىّ ثياب بيض *

والسُّقّ ويكسر الثوب الرقيق *

والبُنْدقية ثياب كتان رفيعة *

والمحقّقة المحكمة النسج *

والخُزْرانق الثياب البيض *

والدّبيْقية دبيق د بمصر *

والرِتاق ثوبان برتقان بحواشيهما

والرازقية ثياب كتان بيض *

والمزبرقة المصبوغة بحمرة او صفرة *

والعِلْقة ثوب بلا كمّين — او الثوب النفيس *

واللِّفاق ثوبان يلفق احدهما بالاخر *

والمحبّكة الموثقة المخططة *

والمِجْوَل ثوب للنسآء *

والخُمْلة الثوب المخمل كالكسآء ونحوه كالخميل *

والخال الثوب الناعم وبرد يمنى *

والدِرَفّل ثياب كالارمنية *

والمُمَرَّجل ثياب فيها صور المراجل *

والمُمرجَل ضرب من ثياب الوشى (اورد صاحب القاموس التى بكسر الجيم فى رج ل والتى بفتحها فى مادة على حدتها) *

والمرمَّلة المرققة *

والسَّحْل ثوب ابيض من قطن ونحوه المِسْحَل *

والمُسَلْسَلة ثوب مسلسل فيه وشي مخطط *

والعَقّل الثوب الاحمر *

والمفلفلة الموشاة كالفلفل *

والقَسْطلانية ثياب منسوبة الى عامل *

والوَصيلة الثوب المخطط *

والمهلهلة الرقيقة *

والأَمِيَّة منسوبة *

والمُبرَم جنس من الثياب والثوب المفتول الغزل طاقين *

والبُهْرِيَّة ثياب منسوبة من نحو اليسط او هي من الكتان *

والمُوَسَّمة المخططة *

والمرقّمة المخططة والرقم ضرب من الوشى او الخزّ او البرود *

والعَقْم المرط الاحمر اوكل ثوب احمر *

والقَدْم ثوب احمر *

والقِرام ثوب ملون من صوف فيه رقم ونقوش او ستر رقيق كالمِقْرَم *

وابى قَلَمون ثوب رومى يتلون الوانا *

والملحَم جنس من الثياب *

والبيّم كل لبّس من عس او ثوب *
والآجيّ الثوب المخطط *
والدَفَيّ ثوب مخطط *
والأُرجوان ثياب حمر *
والسُنَّه ثياب من حرير فيها امثال الاترج *
والسَتّون اللبسة من الثياب *
والشادَكونه ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن *
والمُعَرضَه المصوّر فيها اشكال العرحون *
والمعنّه ما كان فى وسطها ترابيع صغار كعيون الوحش *
والمعنّه ثوب معنّ فيه طرائق لبست من جنسه *
والمفوّهه المصبوغه بالفوّة (عبارة القاموس فى ف و ه والفوّة كسكر
عروق رقاق طوال حمر يصبغ بها الخ وفى ف وى الفوّة
كالقوّة عروق يصبغ بها) *
والفُوهيّ ثياب بيض *
والنَهْمه الثوب الرقيق النسج *
والمُلَهْلَهه الملهلة من الثياب كالمهلهل *
والموجّهه ما كان لها وجهان *
والمِخْساء كساء غليظ او ابيض صغير يتزرر به او ازار يشمل به *
والسَّبجه كساء اسود *
والخُضبيح كساء من صوف *
والإضْريج كساء اصفر والخز الاحمر *
والمسبّح الكساء القوى الشديد ونحوه المسبّح *

والسَّبْح الكسآ المخطط كالمسبّح *
والبجاد كسآ مخطط *
والبُرجُد كسآ غلط *
والخُودِيآ الكسآ *
والأَغثر ما كثر صوفه من الاكسه *
والخَمِيصه كسآ اسود مربّع له علمان *
والمِرْط كسآ من صوف او خز ح مروط *
والسمْله كسآ دون القطيفه *
والطمْل الكسآ الاسود والثوب المشبع صبغا *
والمارِقِي كسآ صغير له خطوط مرسله *
والشَرْعبي ضرب من البرود *
والعَصْب ضرب من البرود *
والمكعّب الموشي من البرود والاثواب والثوب المطوي الشديد الادراج *
والجِلاح ضرب من البرود المخططه *
والسِّيَح برد يمنى *
والقُرْدح ضرب من البرود *
والسّعيديه ضرب من برود اليمن *
والسُّنَد ضرب من البرود *
والنَمِر برد دقيق فلبس بلا كمس كالنمره *
والحَبَر ضرب من برود اليمن مفرده حبره كعنبه *
والحَبير البرد الموشي والثوب الجديد *
والسِيَرآ نوع من البرود فيه خطوط صفر او يخالطه حرير *

والمطيّر ضرب من البرود *
والقِطْر ضرب منها *
والمشيّز المخطّط بحمرة *
والمريّش البرد الموشى *
والفُوف ضرب من برود اليمن وبرد مفوّف رقيق او فيه خطوط بيض *
والنَصِيف الخِمار ومن البرد ما له لونان *
والبركة برد يمنى *
والمَرْجَل برد يمنى *
والمرحّل ما فيه تصاوير رحل *
والتَحَمة البرود المخططة بالصفرة *
والأتْحمىّ برد معروف *
والمسهّم البرد المخطط *
والقَطيفة رداء مخمل *
والمُطرَف رداء من خز مربع له اعلام *
والجُبنة رداء من خز *
والجِبْم الديباج *
والسُندس ضرب من البزيون او ضرب من رقيق الديباج *
والاستَبْرَق الديباج الغليظ او ديباج يعمل بالذهب او ثياب حرير صفاق *
والمشجّر المشْجر من الديباج ما كان فيه نقش كهيئة الشجر *
والسِبّ شقة رقيقة كالسبيبة *
والطَرِيدة شقة مستطيلة من الحرير *
والسَرَق شقق الحرير الابيض او عامة *

والبَتّ الطيلسان من خز ونحوه *

والسُدُوس الطيلسان الاخضر *

والطِلّس الطيلسان الاسود *

والطاق الطيلسان او الاخضر *

والساج الطيلسان الاخضر والاسود *

والصُتيّة الملحفة او ثوب يمنى *

والشُوْذر الملحفة والإتْب *

والدُواج اللحاف الذى يلبس *

والمِشْمال ملحفة *

واللِفاع الملحفة او الكسآ او النطع او الردآ وكل ما تتلفع به المراة *

والمُرجّل ازار خز فيه علَم *

والمُدارة الازار الموشى *

والحَقْو الازار ومثله الخِصار *

والصِداد ما اصطدّت به المراة وهو الستر *

والفُوَط ثياب تجلب من السند ومآزر مخططة *

والدِثار ما فوق الشعار من الثياب *

والحُلَل واحدتها حُلّة وهى ازار وردآء وبرد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانه *

والسِرْبال القميص او الدرع او كلّ ما لبس *

والقُرْطَق لبس م *

واليَلْمَق القبآ معرب يلمه *

والقُرْقُر لباس المراة *

والفَرْرح لباس كان لنسآئهم *
والمِفْصل المفصل والمفصلة والفُضُل الثوب الذى تتفضل فيه المراة وتتوشح *
والحِقاب شى تعلق به المراة الحَلْى وتشده فى وسطها كالحَقَب *
والنِطاق شقة تلبسها المراة وتشد وسطها فترسل الاعلى على الاسفل الى الارض والاسفل ينجر على الارض الخ *
والمِجَنّ الوشاح وقد تقدم فى باب الحلى *
والاِتْب برد يشق فتلبسه المراة من غير جيب ولا كمين والبقيرة ودرع المراة *
والجُوْب درع المراة اى قميصها *
والاُصْدَة قميص يلبس تحت الثوب *
والخَيْلَع القميص بلا كمّ *
والرادعة قميص قد لُمّع بالزعفران او بالطيب *
والقُمُص السنبلانية اى السابغة الطول او منسوبة الى بلد بالروم *
والشِعار ما تحت الدثار من اللباس وهو يلى شعر الجسد ويفتح *
والقِدْعة المِجْوَل وهى الدُرّاعة الصغيرة *
والجيْد المدرعة الصغيرة *
والغِلالة شعار تحت الثوب كالغُلّة *
والهُفّاف الهَفاف من القميص الرقيق الشفاف كالهَفْهاف *
والشَليل الغلالة تلبس تحت الدرع *
والقَرْقل قميص للنسآ او ثوب لا كمّى له *
والغِطاية ما تغطت به المراة من حشو الثياب كغلالة ونحوها *

والفَرْوة معروف *

والسَبَنْجُونة فروة من الثعالب *

والشَعْرآ الفروة *

والمُسْتُقة فروة طويلة الكم *

والخَيْعل الفرو او ثوب غير مخيط الفرجين او درع يخاط الخ *

والمِعْقَب الخِمار للمراة *

والنِقاب ما تنتقب به المراة *

والخِمار النصيف وهو العمامة وكل ما غطّى الراس *

والوَصاوِص البراقع الصغار *

والمِقْنعة ما تقنّع به المراة راسها والقِناع اوسع منها *

والعِصابة ما عُصب به والعمامة *

والسِيْدارة الوقاية تحت المقنعة والعصابة *

والعَمارة كل شي على الراس *

والعَمَر منديل تغطى به الحرة راسها *

والخُنْبُعة مقنعة صغيرة للمراة *

والبُخْنُق خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكيها لتقي الخِمار من الدهن والدهن من الغبار والبرقع والبرنس الصغيران *

والصِقاع البرقع — وخرقة تقي الخِمار من الدهن كالصوفعة ونحوها الغِفارة *

والقُنْبع خرقة تخاط شبيهة بالبرنس والخنبعة او شبهها *

والقُنْزعة التي تتخذها المراة على راسها كالقنذعة *

والهِنّبع شبه مقنعة للجوارى وقد خيط مقدّمها *

والقُرزُل الشي تتخذه المراة فوق راسها كالقنزعة *

والبُخْنَّق خرقة تلبسها المراة تغطّى راسها ما قُبَل ودبر غير وسطه وتغطى الوجه وجنبى الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع *

والتَّساخين الخفاف وشى كالطيالس *

والجُراميق الجرموق الذى يلبس فوق الخف *

والكَوْث القفش الذى يلبس فى الرجل اى الخف القصير *

والران كالخف الا انه لا قدم له وهو اطول من الخف *

والجَوْرب لفافة الرجل وجوربته البسته اياه *

والقُفّاز شى يعمل لليدين يحشى بقطن تلبسهما المراة للبرد او ضرب من الحلىّ الخ *

وتمام هذا كله ثلثمائة وخمسة وستون جِنْسا ومثلها مقارم * الجِبس سوار من فضة يجعل فى وسط القِرام * والمقرمة مُحْبس الفراش ومثلها سراويل من

الارنبانىّ الخزّ الادكن *

والسّنا ضرب من الحرير *

والأرْدن ضرب من الخز *

والطارُونى ضرب منه والطُرن الخز *

والقُبَّين الخز المطبوخ الابيض *

والبِرْس القطن او شبيه به او قطن البَرْدىّ *

والشَريع الكتان الجيد *

والقَز الابريسم وهو الدِمَقس ويقال ايضا الدِمَقْس والمدقس *

وقد زل بى القلم هنا ايضا زلة ثانية فان السراويل يجب تقديمها على جميع ما سواها ليطابق الذكرُ الفكر * ثم انك اذا اخذتها الى ساحات المدينة واسواقها حيث تزدحم الناس * فاول ما تلمح فرهدا مُستانيًا غيسانيا تقول هذا يصلح لان يكون زير نسآء ولان يركب الجياد ويتقلد السيف ويحتقل الرمح ويطعن به * او غلاما مترعرعا قالت هذا يصلح لان يربى فى المدرسة الزيرية حتى ينبغ * او كهلاً قالت وهذا جدير بان يقعد فى بيته ويتعاطى الغزل والنسيب ليجهّز ما يلزم لتلاميذ المدرسة منه * او شيخا همّا هَرِما قالت وهذا قمين بان يكون مشيرا فى الامور التى تعسر على الاغرار من الخِرّيجين فيكفيهم النصب فى ايشائها * فان لم يلفَ عنده الراى السديد فليدرج فى كفن ويرمس * هذا وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار او بالاكاف * فامّا وجه كون مشاعرتها انفع فلانّه قد جرت عادة من شاخ من ذوى الامر والنهى انه اذا جفّ دمهم وضوى لحمهم حتى لم يَعُد التدثر بالثياب يدفئهم * شاعروا واحدة من هولآ النواعم فاستغنوا بحرها عن حرارة الدثار والنار والابازير * والاحسن فى ذلك ان تكون جارية عذرآ * وقد اختلفوا فى علة الحرارة ومأتاها * فبعضهم على ان نفسها من فيها هو الذى يدفئ المقرور * واعتُرض بان هذا النفس لا بدّ وان يختلط بالشنب فيبرد * وغيرهم على ان منفذ الحرارة انما هو من المسامّ التى ينبت فيها الشعر * فان المراة لما كانت مفتوحة المسامّ كان صعود الحرارة منها ابلغ * بخلاف الرجل فان مسامّه مسدودة بما له من الشعر * وردّ بان الامرد مثل المراة فى كونه مفتوحها ولم يقل احد بان مشاعرته تدفى * وذهب بعض الى ان الحرارة انما هى من النفس من انفها * وقال قوم من المتهافتين على الجناس انها من

موضع آخر * قال فى القاموس تكوّى الرجل بامراته تدفأ واصطلى بحر جسدها * قلت ومع حرص المولف على جمع الالفاظ الغريبة النادرة لم يذكر فعلا يدل على اصطلا المراة بحرارة جسد الرجل * ولهذا اى لاجل ان فى جسم المراة من الحرارة ما لا يوجد فى جسم الرجل كان اخف ما يكون من الدثار يدفئها ولو فى الصبر * والرجل اذ ذاك يُكهى ويقفقف ويقرعبّ ويتقرقف * ومثله غرابةً ان اكلها يكون اقلّ من اكل الرجل ولحمها اكثر من لحمه * قال المتكلمون ووافقهم على ذلك الاطبآ النطاسيّون * ان مما فضل الله سبحانه المراة به ان جعل فيها قوة على حج الخصم وهداية الضالّ الى الدين القويم * واوردوا على ذلك شاهدا ما جرى لذلك المعتزلى مع امراته * وذلك ان بعض المشاهير من علمآ المعتزلة الذين يزعمون ان افعال العبد ليست مخلوقة لله كان يجادل اهل السنّة ويورد لهم من الادلة والبراهين على تاييد مذهبه ما يربكهم به * فانبرت له امراة لبيبة سُنّية وقالت لقومها زوجونى به فاخصمه فى ليلة واحدة ان شآ الله فبات معها تلك الليلة على الحادة * حتى اذا قضى لها الفرض ثم تنفّل بعده وتطوّع وظن انه قد استحق الثواب وخُلُق بالاغتماص * قالت له واين الرابع والخامس والعاشر باسترواض * فتجلّد لآخر ثم قال قد نفد ما فى الوطاب * فلا ملام ولا عتاب * قالت امثلك من يبدى هذا الاعتذار * وانت تقول ان الافعال غير مخلوقة للواحد القهار * قال قد نبّهت من كان غافلا * وهديت من كان ضالا * انى عدّيت عن مذهبى القديم * وقد هدانى الله الى الصراط المستقيم * قلت ويعلم من كتب التاريخ ان المراة لها اعظم مدخل فى دخول النصرانية فى بلاد الافرنج * قال بعض الظرفآ من الادبآ ان المراه اذا رامت

ان تشترى حاجة او تستقصى احدا شيا لم يلزمها ان تنقد البائع او القاضى مالاً * وانما تنقده العين من العين * قال ولذلك جآ هذا الحرف بالمعنيين * بخلاف الرجل فانه اذا اراد قضآ شى ايا كان ولا سيما النشنشة فلا بد وان يحل عقدته بنفائات الدرهم او الدينار * وانها ايضا اذا توحّمت على شى تحبه وهى حبلى ظهر ذلك الشى المتوحّم عليه فى الولد * فينبغى للاب ان يتفقد ولده ليعلم اى شكل من الاشكال بدا فى اجسامهم * وما انكره منها فليكتمه * قال وان القدرة الخالقية قد اوجدت لها من النبات وغيره اشكالا كثيرة تقرّ بها عينها وينشرح صدرها اذا نظرتها او لمستها * وليس للرجل شى من هذه الخصائص * وان امراة واحدة اذا كانت فى مجلس قد اجتمع فيه عشرون رجلا امكن لها ان تهنّدهم كلهم اجمعين * فتتصبّى هذا بلفظة * وذلك بلحظة * وذا بغمزة * وذاك بهجلة * وآخر بخزرة * وغيره بتحشيفة * واخر باسجادة * وغيره بزفرة * واخر بالتفاتة * وغيره بليّة جيد * وآخر بشمّة * وغيره بنزنزة * واخر بعضة على لسانها * وغيره باخراجه ونضنضته * وآخر بضم شفتيها وانفاصهما * وغيره بعَرْض عارضها * وآخر بتفيّئ شعرها * وغيره بابتسامة * واخر بضحكة * وغيره بقهقهة * فيقوم الجميع عنها راضين * وابرع ما تكون المراة ما اذا جلست بين زمرة من الفتيان يغازلونها ويداعبونها ويتملقونها * قال ومَن خصائصها ايضا انها تعرف ما فى قلوب الرجال * فلذلك تُفتنهم بوكوكتها وحركتها وتعمُدهم وتُصبيهم * وتتبلهم وتشجيهم * وتحسّرهم وتبلبلهم * وتطربهم وتشغلهم * وتعبّدهم وتهنّدهم * وتتيّمهم وتهيّمهم * وتشوقهم وتروعهم * وتعوقهم وتلوعهم * وتورّقهم وتسبيهم * وتشرفهم وتشبهم * وتحلهم وتسحرهم * وتحربهم وتسهرهم * وتسبعهم

ونشريهم * وتجيعهم وتصديهم * وتغلبهم وتفادهم * وترآهم وتصدرهم * وتكبدهم وتطحلهم * وتمعدهم وتفخذهم * وتبطنهم وتستهم * فاما ما قيل فى خصائص فرنستها من انها تحسن اعمال البيت كالخياطة والتطريز وغيره فمذكور في كثير من الكتب فعليك بمراجعتها * انتهى الكلام الان على المراة بغير مرآ على ان عندى منه ما عند الفرآ من حتى *

قال بعض معانيه العلمآ المراة كلها شرّ * وشر ما فيها انه لا بد منها *

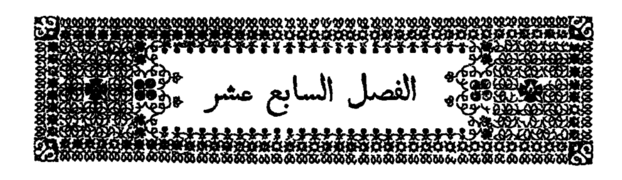
قلت وهوكحلم جحى نصفه صدق ونصفه كذب *

فالصادق منه قوله انه

لا بد

منها





الفصل السابع عشر

في رثآ حمار

اهلاً بك يافارياق اين انت وفيمَ كنت هذه المدة الطويلة ـــ في نظم الابيات السرية ـــ ولكن هذا معلوم عندي ولم اسالك الا عن امر حديث ـــ قد فجعت بالامس بحمار لي وسالت عنه الجيران فلم يقل احد منهم انه سرقه * فاكتريت مناديا بدرهم فجعل ينادي في الاسواق اَلا قد فرّ اليوم حمار الفارياق وخلّى قيده في الوتد فهل منكم من رآه * فلم يجبه احد الا بقوله ما اكثر الحمير الآبقة اليوم من بيوت مواليها * فلما عاد اليّ بهذه البشرى بلغ مني الغيظ كل مبلغ * وآليت ان لا انظر بعدها في وجه حمار سوآ كان حقيقيا او مجازيا * فقد قال بعض ائمة اللغة ان من خصائص لغتنا هذه الشريفة دون غيرها ان يقال للرجل الجاهل حمار * ثم اخذت ارثيه بهذه الابيات وهي

راح الحمار وخلّى القيد في الوتدِ ... وما راى اثره في الناس من احدِ
فهل انا راكب من بعده وتدًا ... ام مجرني فبده لو كان من مَسَد
ام كيف ادخل دارا كان لي سكَنا ... فيها وأُنزِل عندي مُنْزَل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شَفَق ... كالطفل من شفق سرهدته بيدي
وحينئذ يشعر لا يخالطه ... باسٌ ولا يجد خوفا من البَرد

وكان يوقظنى منه النهاق اذا استثقلت نوما بصوت مطرب غَرِد

كم حاد بى عن مَضيق حين ابصر من جولى الجمال تبلّ الارض بالزبد
وسار بى فى طريق بلّ جانبها اهل الجَمال بمآ الورد وهو ندى
وكم جرى فارها اذ لاح عن بعد زفاف خود اليها بالغ الامد
واذ تبيّن نعشا للجنازة لم يمرز به مع اليم النخس فى الكَتَد
ما ضل يوما عن استقرآ معلفه اكان فى روضة غنّآ ام جُرَد
قد رابنى حذقه حتى ظننت به مُسْخِيّة مثل بعض الخلق عن احد
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت رجلاه عن جوب وَعْث طال او جُدَد
شُلّت يدا مَن به ولّى وغادرنى امشى وانشب فى اوحال ذا البلد
اعالمٌ اننى من بعده جَزِع وان فرقته نار على كبدى
وان صوت المنادى اليوم يزعق أَن البسْ إكافك فى جنح الدجى وغُد
لايغرُرَنّك رَغْد انت واجده عند الحرامىّ خصمى فيك من حسد
فانما ذا لحِيْن انت تعلمه ما دام شهرا على طِرْف ولا عَتَد
يفديك كل حمار ندّ من بطر او ضجّ من لَغَب او خار من جُهُد
او حار من نَشَق قلّاب جحفلة كرّاف بول قديم جقّ كالقِرَد
مصنبع الراس ممشوق القوائم لم يحرن اذا سُمته خَسْفا ولم يَحِد
أَليّةُ انه بالطرقّ أَعْرَف من مولاه ان لم يُعقّه القيد ذو العقد
ياليت لى خصلة من ذيله اثرا ارنو اليها كما يُرنَى الى الخُرُد

قال فقلت له لقد ضاع شعرك فى الحمار العادى * كما ضاع الدرهم فى المنادى * قال اما الدرهم فقد ضاع حقا واما الحمار فلا * قلت كيف ذلك والدار منه بلقع * قال من عادتى انى اذا فقدت شيا وذكرته فى

الشعر خيّل لى انى عُوّضت عنه * فان لم اذكره بقيت متحسّرا على فقده * قلت او يقوم النثر مقام النظم * قال ربما يقوم عند بعض الناس* فقد بلغنى ان كثيرا من المولفين كانوا يحاولون ادراك اوطار حرمهم منها قلّة ذات اليد فالفوا فيها كتبا واستغنوا بها عنها * قلت من قال ذلك * قال هم قائلوه * قلت هذا محض كذب فانى الّفت فى النسآ كذا وكذا رسالة وما خطر ببالى قط انى عُوّضت من واحدة ممن وصفت* قال ولِمَ الّفتها اذًا * قلت لم يكن لى من شغل ولا حركة * ووجدت الزمان علىّ طويلا ولا سيما الليالى من دون مباشرة شيء ما فلفقت ما كان يخطر ببالى * قال وهلّا تفرح الان بتاليفك اذا قراته او اذا سمعت ان الناس يقراونه * قلت بل اضحك من سخف عقلى وقتئذ * فانى قد عرّضت عرضى لالسن القادحين فضلا عن كونى اضعت اوقاتى عبثا فيما لم يجدنى نفعا * وقد بلغنى ان كثيرا من المتزوجين سآهم ما قلته فى النسآ وذكر مكايدهن فاستظهروا علىّ بجماعة من العلمآ عابوا علىّ تبويب كتبى وخطّاونى فى عبارتها * وكنت ايضا حكيت كلاما عن بعض النسآ بلفظه فقالوا لا ينبغى ان يحكى الكلام بلفظه فى الكتب وغير ذلك مما ندّمنى كثيرا * قال قد سمعت ان الناس لا يزالون يعادون المولف حال حياته * فاذا مات حرصوا على كلمة يأثرونها عنه كما قال الشاعر

ترى الفتى ينكر فضل الفتى	ما دام حيّا فاذا ما ذهب
لجّ به الحرص على نكتة	يكتبها عنه بمآء الذهب

قلت وما نفع هذا الحرص لمن مات * قال لا نفع منه غير انى ارى ان فى النظم للذة عظيمة * ولا بدّ وان يكون النثر ايضا مثله فانهما كليهما

يخرجان من مخرج واحد * افلا تقول بصحة ذلك * قلت انى اقول باللذّة فى التاليف من جهة ان المولف يعرف شيا جهله غيره * ولا شك ان فى معرفة الحقائق لذة * غير انه يقابلها من الالم ما يرجحها * وذلك أن المولف اذا عرف مثلاً حقيقة واراد ان يعرّف غيره اياها وجد اكثر الناس قد صمّوا عن سماعها * ومَثَل ذلك مثل طبيب نصوح راى اهل بلده يستحمّون بالمآ البارد فى حال كونهم محمومين * فنصح لهم ان لا يفعلوا ذلك فأبَوا وقالوا ان هذه البرودة تزيل الحرارة * فهو من جهة أنّه عارف بالحقيقة مسرور * ومن جهة انه يرى غيره فى ضلال عنها محزون * وسروره لنفسه لا يوازن حزنه على غيره * الا ترى ان اهل العلم كلهم ضعاف ضاوون قليلوا الكلام والنوم والاكل والضحك * وان الجهال سمان تآرون اصحآ كثيروا الاكل والنوم وغيره مما جُعل لتقويم الطبيعة * قال فما بال الاطبآ سمان ايضا وهم بمنزلة العلمآ فى كونهم يعلمون من المنافع ما يجهله غيرهم * قلت ان الطبيب لا يرى الناس حين ياكلون ويشربون ويباعلون * وانما يراهم حين يمرضون فلا تحزنه افعالهم * فاما العالم فانه فى كل وقت ومكان يرى من العامة ما يدل على ضلالهم وجهلهم * فلا يمكنه والحالة هذه الا ان يتاسّف على ما هم فيه من الغباوة والغفلة * قال افتقول اذا بالجهل * قلت هنيـّا لمن رضى به * قال وما قولك فى الشعر * قلت ان كان هو لمصلحة اى لشى يعود الى القيام باوَدك فنِعْم هو * وان يكن عن مجرد هوس وميل الى التجنيس والترصيع ايان رايت امراة جميلة او وردة او روضة كما هو داب اكثر الشعرآ يتكلفون للنظم فى كل ما لاح لهم * او كرنانك الحمار الآن فتركه اولى * قال ولكن احسن الشعرا .

جآء عن هوس اى عن السليقة لا بالتكلف * فانى حين امدح السرىّ اجد فى ضم لفظة الى اخرى ما يجده المُعانى لضم نقيضين مختلفين * وليس كذلك ما نظمته فى الحمار * فانى نظمت فيه هذه المرثية فى ساعة من الزمن * قلت ولكن الناس لا ينظرون الّا الى الظاهر * فقصيدتك فى الحمار يسمونها جارية * وابياتك فى السرىّ سريّة * قال ان كان الامر كما ذكرت فلم رغبت عن التاليف ولكن لا فى النسآ فان ذلك امر مستفيض * قلت اما اولًا فلان المولف يوقع نفسه فى كلاليب السنة الناس فيمزقون عرضه وجلده كما ذكرت لك انفا * والثانى فان حقيقة اسم المولف غير محمود * فهو عند من يعلم حقيقة معناه بمعنى الملفّق واكثر الناس يضحكون من هذا الحرف * فيحسبون انه من التاليف بين شخصين * وانما يقولون لمن تعاطى ذلك شيخ * وهو ايضا مكروه عند بعض الناس وخصوصا عند النسآء * واحسن الالقاب هنا فيما ارى عند النصارى قسيس وعند المسلمين بيك * اما القسيس فلأنّ كل الناس تلثم يده وتتبرك بذلك * وان المراة من القبط لتغسل رجلى القسيس بيديها بمآ الزهر ثم توعى مآءها فى زجاجة * وانه متى جاع حمل امعآه الى دار احد من معارفه فاستقبلته زوجته بالبشاشة والاكرام فزعبها اى زعب * واذا شآ ان يبقى فى بيته لعارض من العوارض بعث غلامه بعلامة الى احد البيوت فجآه منها بغدآء ينظم فيه شعرآ عصرنا قصائد * فاما البيك فانه وان يكن مقامه بين الناس كريما الا انه لا يمكنه ان يبلغ من البيوت ما يبلغه القسيس * اذ لا يتاتّى له ان يمشى وحده * فلا بدّ وان يمشى معه اثنان عن اليمين والشمال وهما وان اظهرا له الخضوع والاحترام ففى قلوبهما

منه حزازات تبعثهما على مراقبته والتعنّت عليه * اللهم الّا اذا تزيّا بزى خادم له وجّ فظاهر اللباس يجبئ عنه العين * قال هيهات ان اصير قسيسا * هيهات ان اصير بيكا * اما حرفة القسيس فانها لا تصلح لى لانى لا احبّ الركاكة * واما صفة البيك فانى لا اصلح لها فان القدرة الازلية لم ترتض لى منذ الازل بالبوكية للبيكية * وما بقى امامى الا الشيخية * قد توكلت على الله * قلت انى مفارقك

على ان تخبرنى بما سيحدث لك فى شيخيتك*

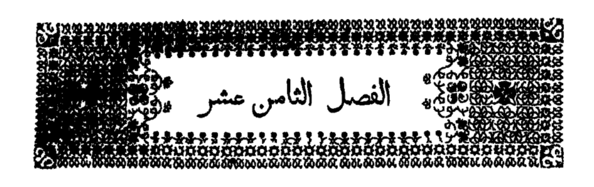
قال سافعل ذلك

ان شا

الله

*





الفصل الثامن عشر

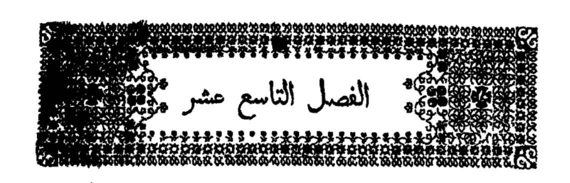
في الوان مختلفة من المرض

ثم لازمَ الفارياق نظم الابيات وهو حريص على الانتسام بسمة شيخ * فعنّ له ان يقرا النحو على بعض المشايخ لما انه راى ان القدر الذى كان تعلمه منه فى بلاده لا يكفى لممدح السريّ * وفى ذلك الشهر الذى نوى فيه القرآة أُصيب برمد اليم * فلما افاق شرع فى العلم فقرا على الشيخ مصطفى كتبا صغيرة فى النحو والصرف * ثم اشتد به دآ الديدان الذى سببه فيما قيل اكل اللحم نيّئا * وتلك عادة مشهورة عند اهل الشام * فكان يتمعّص منه وقت القرآة والشيخ يظن ان ذلك من اختلاف المسائل وكثرة التعليل * حتى قال له مرة سبحان الله ما أحد قرا علىّ هذا الفن الا ويتمعّص * فقال له ليس التمعّص كله ياسيدى الشيخ من زيد وعمرو * فان لجماعة الديدان ايضا مدخلا * فانى لا اكل شيا الا وسبقوا معدتى اليه * قال لا باس عليك عسى ان يخف عنك ببركة العلم * واتفق للفارياق وقتئذ ان ساله احد معارفه ان يقرا على الشيخ المذكور ذلك الكتاب الذى تقراه النصارى فى الجبل * وهو كتاب بحث المطالب * فلما ختمه التمس من الشيخ ان يكتب له اجازة اقرانه فى بلاده * فكتب له اجازة وعرضها على الفارياق * فحين تصفحها راى فيها خطا فى اللغة

والاعراب * فاستاذن من شيخه ان يوقفه على الغلط * فلما وقف عليه قال ساكتب له غدا اخرى * ثم كتب له اجازة غيرها فلما امعن الفارياق فيها النظر اذا بها كالاولى * فنبّه شيخه على ما فيها * فقال له اكتب له انت عني ما شئت * فكتب له ما اعجب به * على انّ الشيخ كان مضطلعا بفن النحو غاية ما يكون * فكان يقضي ساعة تامة في شرح جملة غير تامة * الا انه لم يكن يزاول الانشآ والتاليف فكان علمه كله في صدره وعلى لسانه ولا يكاد يخرج منه الى القلم شي * ثم بعد قراة النحو على النسق المذكور واجع الفارياق وجع العينين * فلما افاق راى ان يقرا شرح التلخيص في المعاني * فشرع فيه مع الشيخ احمد * فلم يسِرْ فيه قليلا حتى اصابته الحكة ولم يكن قد عرفها في مبادئها فلهذا استمرّ على القرآة * حتى اذا كان الشيخ آخذًا مرة في شرح مسألة معضلة ثارت الحكة في بدن الفارياق فجعل يحكّ بكلتا يديه * فالتفت اليه الشيخ فرآه منهمكا في الحك * فقال له ما بالك تحك وانت على ما يظهر لي غير منتبه لقيل واجيب * هل نحن الان في محاكة الالفاظ او في محاكة الاعضآ * قال لا تواخذني ياسيدي فاني ارى لذة الحك مانعة لي من التنبّه لغيره * قال اوَ بكِ الحكة * قال لعلها هي * فنظر الشيخ الى يديه فقال هي والله فينبغي ان تقتصر في بيتك وتطلي جسمك بخرء الكلاب فليس لها من علاج سواه * فلزم الفارياق بيته وجعل يطلي بدنه كل يوم بالخرء المشار اليه ويقعد في الشمس ساعات حتى لقي من ذلك عذاب الهون * ثم لما افاق رجع الى القرآة * وبعد ان ختم الكتاب عاودته ضريبة الرمد * ثم خطر في راسه ان يقرا شرح السلّم للاخضري في المنطق * فشرع في قرآته على الشيخ محمود فاصابته الهيضة وهي الدآء

المسمى في مصر بالهوآ الاصفر * فبقى ثلثة ايام لا يعى ولا يعقل من الدنيا شيا ولا يقدر على النطق * سوى انه سمعه خادمه مرة يهذى ويقول كلّية موجبة كبرى * فظن انه يستعظم مصيبته فيقول انها كبرى * ولم يكن احد اصيب بهذا الدآ في مصر * فلما مضت ثلثون يوما انتشر في البلد وعمّ بلاوه والعياذ بالله فكان يموت به كل يوم الوف * ووقتئذ عرف الفارياق انه كان المقدّم في هذه البليّة وغيره التالى كما تقول المناطقة * وان الديدان التى كان يقاسى منها هى التى عجلت له بهذا الدآء فعجل هوبها * فجعل اى الفارياق يركب حماره ويطوف في الاسواق وكانّه أمِن من المقدور * (حاشية لم يكن هذا الحمار ذلك الذى استحق الرثآ والتابين بل كان ممّن يحقّ له التقريظ) فسار الى قرية في الريف ومعه خادمه وخادمته * فعلم به بعض ولاة البلاد فاستدعى به وبالخادم والخادمة * وقال له اىّ لبيب هل هذا وقت الموت او وقت الايلاد حتى جئت بهذه الجارية هنا * قال انا مدّاح السرىّ وقد اتيت لاسرّح ناظرى في نضرة الريف فاجيد مدحه بعد موت من يموت * فقد ضقت بالمدينة ذرعا وخشيت على قريحتى العقم * قال ما هذه واشار الى الخادمة * قال هى اخت هذا يعنى الخادم * قال وما هذا * قال خولىّ هذا يعنى الحمار * فالتفت الامير الى الخادم فراى عليه طلاوة * فقال له من حيث انك شاعر السرىّ او شعروره فلا تثريب عليك * وانما ينبغى ان تترك الخادم هنا فانه يصلح لخدمتى * قال لك علىّ الامرة فخذه * فاستبد به الامير تلك الليلة وساله عن الفارياق ملحّا * فقال له الخادم والله ياسيدى انه رجل طيب غير انى اظن انه اعجمى فانى لا اكاد افهمه حين يتكلم بلغتنا * فلما اصبح الصباح ناهب الفارياق للرجوع فلم

يجد الحمار * فظن انه لحق بالاول * فجعل يبحث عنه فوجده قد خرج مع حمار آخر من حمر الامير الى سهل وهو تحته يزقع وينخر * فلما ان راه على حالة المفعولية غلبه الضحك فقال * قد ورد فى الحديث ان الناس على دين ملوكهم * الا انه لم يقل احد قط ان الحمير على مذهب اصحابها * ولكن بالعبر ولا بالمُعِبر * ثم رجع الى الدار فوجد خادمه وخادمته ينتظرانه * وقال له الخادم قد سرّحنى الامير فانه لم يرنى اهلا لخدمته الا ليلة واحدة وها انا الآن حرّ * ثم ان الارباف بعد ان هنّا الامير ومرّاه رجع الى مصر وكان البلآ قد خفّ * فسال عن شيخه المنطقى فقيل له انه حىّ لم يقضِ من القضايا * فرجع اليه واتمّ معه ما كان ابتدا به * فلما بلغ آخر درجة من السلّم عاودته ضريبة الرمد فلزم بيته * فلما افاق راى ان يتعلم شيا من الفقه وعلم الكلام * فبدا بالكنز وبالرسالة السنوسيّة فمرض —— فزاره بعض معارفه من الفرنساوية فساله عن سبب ضعفه فاخبره الخبر * فقال له انا اشفيك منه باذن الله ولكن على شرط ان تعلم ابنى العربية * فقال حبا وكرامة * فشرع مذ ذلك الوقت فى تعليمه وفى تعاطى الدوآ من عند ابيه * ولكن لا بدّ لتفصيل ذلك من فصل على حدته



الفصل التاسع عشر

في دائرة هذا الكون ومركز هذا الكتاب

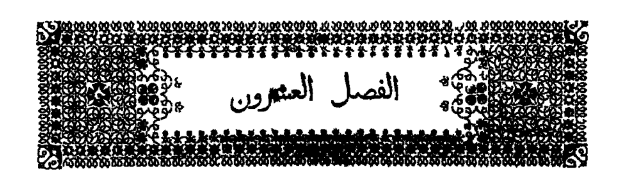
كان هذا الرجل طبيبا مشهورا بمصر * ولكن شهرته في دائه اكثر منها في دوآئه * وذلك انه كان قد تزوج جارية تارّة على كبر سنّه فاولدها بنتا وصبيا * ثم عجز عن اداَ حقها فجعل دابه الملاطفة لها والتملق * وتلك عادة الرجل مع المراة من انه كلما قصّر في اعتابها وارضائها في الحقوق الزوجية زاد حرصه عليها وكلفه بها وتردّبه لها * توهّم ان هذا يسدّ عند المراة مسدّ ذلك * وكذا حالته معها اذا كان يخونها ويرأم اخرى * كما ان داب المراة ان تزيد هشهشتها وعروبيّتها لزوجها بزيادة اشباعه اياها واطفاف الكيل لها * او تملقه لها اذا كانت تخونه * وبناَ على ذلك قال الطبيب لزوجته يوما من الايام * ياهذى انى ارى ان قد صدئ مفتاحي من قفلك * وان سنّك وترارتك تقتضيان ان تتخذى لك آلة رضاعية لتتلهّى بها حتى يحين حَيْني فتتزوجي بآخر * والّا فانى اخاف ان تفركيني وتطيرى من عندى كما يطير الحمام * وقد يهون علىّ ان اخسر منك شيا واحدا ولا اخسرك بجملتك * فانك ام ولدى * ومحل سرّى من كبدى * فلا اطيق فراقك * فاختارى لنفسك من شئت آلك به بقربه * فضحكت المراة عند ذلك * ثم قال ومن حيث انى

معروف فى هذا البلد بانى طبيب فاذا راى الجيران رجلا قادما الىّ بل رجالا فلا يكون عليك شبهة * فضحكت المراة ايضا لقوله رجالا * قال فان الناس يقرعون باب الطبيب ولو فى نصف الليل * وهنا ضحكت ايضا * ثم تمادى فى الكلام معها الى ان قال ولا تظنى انى انا وحدى تفردت بهذه العادة * فان امثالى من اهل بلادى يفعلون كذلك وهنا قهقهت * فلما فرغ من بقية خطبته على هذا النسق ظنت زوجته اوّلا انه قصد بذلك ان يستطلع سرّها ويتصيّدها بزلّة * فبكت من شدة الغيظ وقالت له ازعمتنى بغيّا حتى تقابلنى بمثل هذا الكلام وتسيئ بى الظن * قال حاشا لله من ذلك * وانما تكلمت معك بمقتضى الطبع فتدبّرى قولى بعد حين وردّى علىّ الجواب * فانصرفت المراة من حضرته وهى واجمة مرتابة * ثم مضت عليهما ايام غير قليلة والرجل لا يهارش ولا يعاظل * ولا يلاعب ولا يباعل * فقلقت جدّا لهذه الحال * وضاق صدرها عن صبر الاعتزال * واخذت تفكر فيما قاله لها زوجها * فتبعّلت له يوما من الايام وتبرّجت وتعطرت وقصدت غرفته وهى تقول فى نفسها * اليوم يكون برزخ الحالتين * وفيصل الحدّين * فان لم تكن منه مباعلة ذكّرته بما قال * فتلقاها بالبشر والبشاشة واجلسها بجانبه وعرف انها كَرِعت * اذ راى قد علت عينيها حمرة وهما ترارئان وفى صوتها تهدّج اى رعشة واضطراب * فلما استقرت بادرها بالكلام بان قال هل تبصّرت فيما قلته لك منذ ايام * قالت نعم ولكن اما عندك فضلة تغنينى عن هذا الامر * قال ما عندى والله من وَشَل ولا فضلة * ولا ثَمَد ولا ثُمْلة * ولم يبق لى امل لاصلاح شانى فى ناعوظ ما لا فى لحم السقنقور ولا فى شحم الوَرَل دَلْكا ولا فى الرنجبيل ولا الفلفل ولا التامول

ولا القاقلة ولا الراسن ولا الفوفل ولا القرنفل ولا السنبل ولا البسطكي ولا الجوزبوا ولا الهال ولا الرازيانج ولا في عاقر قرحا ولا في حب الصنوبر ولا الحمص ولا الكابلي ولا البليلج ولا دارفلفل ولا السمسم ولا الخولنجان ولا البسباسة ولا دهن البلسان ولا خصى الثعلب ولا في بيض العصافير ولا في دهن السوسن ولا في القلقاس ولا في اصل النرجس منقوعا في الحليب ليلتين ولا في الكرفس مدقوقا بزره بالسكر والسمن ولا في لبس الثوب المورّس ولا في اكل اصل اللوف ولا في الخشخاش معصورا ماؤه في اللبن الرائب ولا في البورق مدوفا بالعسل او في دهن الزنبق ولا في البندق الهندي ولا في الهَنقاق مقلوا ولا في علك البطم والينبوت ولا في المسك مدوفا بدهن الخيريّ ولا في البَهْمَن ولا في الجَزَر ولا في الهليون ولا في الاملج ولا في البَسفارذانج ولا في اخضر الباقلّى بالزنجبيل ولا في القلقل مدقوقا بالسمسم معجونا بالعسل ولا في صمغ الكُنْدُلَى ولا في المُقل ولا في ثمر البطم ولا في التبخير بخفيف لحم الرخم مخلوطا بخردل سبع مرات ولا في حب الزَلم ولا في لبّ القرطم ولا في معك الغَنَم ولا في الموز ولا في مسح دماغ الخفاش بالاخصيين ولا في لحم الحمام ولا في قرفة القرنفل ولا لما ضننت عليك بشي لما تعلمين من فرط محبتي لك * فقالت له اذا كان الامر ياسيدي كما ذكرت فاني اختار قسيسا * قال اي وسواس وسوس البك هذا الاختيار الذي ليس من الخير في شي * قالت اما اولا فلانّ الناس لا يسيئون به الظن اذا راوه داخلا اليّ كل يوم * والثاني انه يقال ان مادة القسيس متوفرة فيه * قال قد غويت ومع ذلك فاني اخشى منه على ولديّ فانه ربما يعربهما بخلافي حالة كوني مخالفا له في معتقده فالاولى ان تختاري آخر * قالت

انت طبيب تعرف الصحيح من العليل والقوى من الضعيف فاختر لى من تشآ فانى ارضى بكل ما ترضى به انت * قال بارك الله فيك * ثم قبلها من فرحه ووعدها بانجاز [illegible] القابل * وما كان [illegible] الفجر الا وهو فوق جارة يقصد بعض اصحابه * فلما اجتمع به قال له ان لى عندك حاجة جئت التمسها منك * قال قل ما بدا لك * قال على شرط ان لا تخيبنى * قال سابذل مجهودى كله ان شا الله فى قضائها * فاخذ يده ح توثيقا للعهد ثم قال له انى اريد ان تكون خليفتى فى زوجتى * فقال له الرجل هل بدا لك سفر عن مصر وان تترك زوجتك هنا * قال لا وانما تكون خلافتك عنى فى حضورى * فاسآ الرجل وقال او خامرك ريب فى صداقتى لك حتى اضمرت استطلاع سرّى * وخفى امرى * فعند ذلك صرّح له بالقصة والحّ عليه فى القدوم معه * ولما ان قدما انعقد البيع بحضوة كلّ من الزوج والزوجة وتم التراضى * وصار الرجل مذ ذلك الوقت يتردد على دار الخلافة وبقى كذلك مدة * ثم ان الزوجة لما ملّته كما هى عادة النسآ وظهر له ذلك من قلة احتفالها به مرة ومن اعتذارها اليه اخرى * جرى هو ايضا على عادة الرجال من انه افشى سرّها لصاحب له * فجرى هذا ايضا على جُدَد امثاله وجعل يتردد اليها وقامّ عندها مقام الاول * ثم ملّه فافشى سرها * ثم جآها اخر فقبلته * ثم آخر وآخر حتى صاروا جماعة عظيمة * ثم تراجع اليها احبّاوها الاوّلون وانهمكت فى التبديل والتغيير حتى صارت دار الطبيب كالمشرعة * ولم تكن هذه القصة قد شهرت فى مبادئها عند الجيران اذ كانوا يظنون ان القوم ياتون ليتداووا من علل بهم * ولكنها علمت بعد ذلك * وكان سببه ان الطبيب اتخذ له دارا اخرى خارج البلد

ليصيف فيها * وترك امراته في الدار الاولى والزائرون على ما كانوا عليه من الورود والصدور * فتنبّه ج الناس لذلك * وفي هذا الوقت اى ورود الخلق الى هذا المغنم البارد كان الفارياق المسكين يتردد على منزل الطبيب ليعلم ابنه ويتداوى * فظن الناس انه من جملة الزائرين * وتقلدوا اثمه في اعناقهم الى يوم الدين * فانه كان معطّلا وفعله ملغى عن العمل * وبقى على تلك الحالة مدة من دون ان يرى فائدة من العلاج * فكأنّ الطبيب اراد ان تطول المدة عليه الى غاية تعليم ابنه * فمن ثم اقتصر الفارياق عن التردد اليه وتداوى عند غيره وشفى * وفي خلال ذلك سافر الى الاسكندرية لمصلحة ما * فاجتمع فيها بواحد من الخرجيين الصالحين * فساله هذا ان يرجع معه الى مصر ليعلم عنده بعض تلاميذ فاجابه الى ذلك * وانما رغب فيه لكون الخرجيّين لا يوخرون اجرة من يعمل لهم * وفي اثناء هذا عنّ له ان يقرا علم العروض * فاخذ في قراة شرح الكافي على الشيخ محمد * فما كاد يختمه حتى فشا الطاعون بمصر * فاشتد بالمولى الخرجي الحرص على حياته ايثاراً للمصلحة الخرجية كما زعم * فمن ثم راى ان يتباعد عن شدة الفنخ قليلا كيلا يطبق عليه فيفجع الخرجيون امثاله بفقده فيكون فقده سببا في فقد غيره * اذ قد تقرر عندهم ان شدة الحزن تميت * فجعل الفارياق مع الخرّيجين الخُرَيجيين ومع رجل لبيب ذى خبرة بالعلاج المانع من عدوى الطاعون * ثم استصحب ما لزم له وفرّ الى الصعيد وتفصيل ذلك في الفصل الاتي *



الفصل العشرون

في معجزات وكرامات

كان عند الخرجي المذكور خادمة رعبوبة من اهل بلاده * فلما عزم على الفرار راى ان يغادرها في منزله لتصون حاجته فيه * وانما أبى ان يستصحبها معه لانه كان متزوجا بامراة هي دونها في الحسن * كما جرت العادة في بلاد الافرنج من ان الخادمة غالبا تكون فوق مخدومتها في القسامة والجمال ودونها في الدراية والمعارف * فوقع في خاطر زوجته انه اذا نشبت فيها عوالق الفخ اوّلا ربما اتخذ زوجها تلك الخويدمة في فراشها وطاب عنها نفسا * وان اوّل شي تتعلمه البنت من امها قبل زواجها هو منع الاسباب التي تبعث زوجها على الاستغناء عن شخصها او عن ذكرها * ولذلك كان من عادة نسآء الافرنج ان يهدين الى بعولتهن صورهن وان كانت شنيعة ليجعلوها في قمصهم* او خصلا من شعورهن وان تكن جرلاً ليتختموا بها * ثم بدا مشكل آخر * وهو ان الخادمة اذا بقيت وحدها في الدار لم تامن من ان يتسوّر عليها احد في الليل فيقع المحذور* ويحمى التنّور * ويكسر المجبور * ويمدّ المجزور * ويطم المطمور* ويذال المذخور * ويحرث البور* وتفك الطلاسم عن المسحور* ويفتق المشصور * ويسمد الصُعبور * ويوسع الصُنبور * ويعثر المطمور *

وتذلّل العبسور * ويصدع الفائور * ويخرب القهقور * وينقر في الناقور * فتتشلّم شوكة الزنبور * فارتأى بعد ان رفع يديه بالابتهال الى الله تعالى ان يضمّ اليها رجلا من اهل بلاده نحيفا قشعوما * اعتقاد انه لا يقدر على ارتكاب شي من الافعال التي جرّت هذه القوافي المتعددة * وذلك من جملة الاغلاط الفاضحة التي اشتهرت بين الناس * اعني انهم يظنون في الغالب من دون مراجعة النسآ والاستشهاد بقولهن ان النحيف لا يقدر على ما يقدر عليه السمين * وكان الاولى ان لا يستبدّوا برايهم في ذلك * فمكث القشعوم مع الخادمة في اهنا عيش * اما ما كان من الخُرَيْجيين فان مخرّجهم اى مرتّبهم وكّل بهم ذلك الرجل اللبيب * واوعز اليه في ان يحظرهم عن الخروج * وان لا يدع احدا من اقاربهم يدخل اليهم * وان يستخدم رجلا ليشترى لهم ما يلزمهم من الخارج * ولا يستلم منه شيا الا بعد ان يغمسه في الخلّ او يبخّره بالشيح * وغير ذلك مما عرف في اصطلاح الافرنج لمنع اسباب الوبا * وكان هذا الوكيل من مشاهير علمآ ملّته * وكان في مبدا امره كافرا لا يعتقد بدين من الاديان * لكنه كان حميد الخصال حسن الاخلاق * غير ان كفره حال بينه وبين رزقه فاضطر الى ان ينحاز الى الخرجيين من اهل بلاده * ففرحوا بهدايته كثيرا * واحسنوا اليه احسانا وفيرا * فانقلب هزله جدّا وتمكنت منه الوساوس والاوهام حتى اعتقد اخيرا انه اهل للكرامات والمعجزات * فكان يتمنّى ان تسنح له فرصة لذلك * واتفق في هذا الاوان ان مات بالطاعون ذلك الخادم الذى كان يشترى لوازم الدار * فلما جآء الدفّانون ليحملوه اعترضهم الوكيل من داخل الدار * فخافوا ان يخالفوه لكونه من الافرنج فان لهم عند اهل مصر حرمة زائدة * ثم انه

مضى الى موضع منفرد وجثا على ركبتيه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى لان يحقق له صدق عقيدته * ثم فتح الباب وخرج والقى نفسه على جثة الميت وجعل فمه في اذنه وهو يناديه قائلا * ياعبد الجليل (اسم الميت) انى ادعوك باسم المسيح ابن الله لان تعود من ظلمة الموت الى نور الحياة * ثم اصغى ليستمع الجواب فلم يجبه احد * فاشار الى الدفانين أنِ اصبروا * ثم سار الى ذلك الموضع الذى صلّى فيه اوّلا * وغيّر ركعته بان جعل فمه بين فخذيه وهو يجمجم فى الدعآ وذلك على منوال الياس النبى حين صلّى لانزال المطر بعد ان قتل انبيآ بعل * وكان عددهم اربعمائة وخمسين نبيّا على ما ذكر فى الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الاول * الا انّ بين الداعيَيْن فرقا * وهو ان النبى صلى هكذا بعد الفعل * وصاحبنا هذا قبل الاحيآ * وكان الاولى ان يرفع عبد الجليل الى غرفة كما فعل النبى المذكور بابن الارملة التى كانت تعوله * وكان دعآوه الى الله لاحيائه ان قال ايها الرب الهى اجلبتَ الشرّ ايضا على هذه المراة بقتل ابنها الخ * ثم انه شبح يديه حتى صارت جثته على شكل صليب * ثم قام ناشطا مسرورا واسرع فى ان القى جثته على الميت واعاد فى اذنيه كلامه الاول * فلما لم يجبه احد وراى الميت لم يزل مفتوح الفم مطبق الجفنين ولم يمش مرة هنا ومرة هناك ولم يعطس سبع عطسات كما عطس ابن المراة الذى احياه النبى اليشع على ما ذكر فى الفصل الرابع من سفر الملوك الثانى * ذهب الى المطبخ وامر الطباخ بان يصنع له مرقة على الفور * فلما صبّت المرقة اقبل بها الى عبد الجليل وجعل يفرغ منها فى حلقه وذلك مشغول عنه بناكر ونكير * فلما احياه امره امر الدفانين ان يحملوه وقال ما علىّ ذنب فى كونى

لم ارد ان ابعثه وانما الذنب عليه * ثم اقبل الى حجرة الفارياق وقال له لا تواخذنى ياخليلى بعجزى عن احيآء الخادم فان زمن الانشار لمّا يبلغ * ولكنى لا اتراخى فى عقيدتى بان افعل ذلك المرة الآتية ان شا الله * فلما سمع الفارياق ذلك اضطرب باله وثار دمه غيظا وحزنا * فاصابه فى ذلك اليوم الدآء الفاشى * فخرج تحت ابطه سلعة كالاترجة وحمّ واخذه صداع اليم * فاما الوكيل فلم يصبه شى * وذلك من الاسرار التى يعجز عن ادراكها الحكمآ * ثم ان الفارياق كان حال مرضه يفكّر فيما جرى عليه وهو وحيد غريب لا مونس عنده يسليه * ولا طبيب يداويه * وكان يقول فى نفسه اذا مت على هذه الحالة فمن عساه يتمتع بكتبى هذه التى سهرت الليالى على نسخها * نعم ان الموت على كل حال صعب مكروه غير ان موت الفتى مثلى غريبا اصعب * وانى قد ابتليت والحمد لله فى هذه المدينة بجميع انواع الادوآ المصبوغة بلون الحمام * فاذا فسح الله الآن فى اجلى فلا افارق هذه الدنيا لا قرير العين بنجل يرثنى * وان لم يكن عندى من حطام الدنيا غير الكتب * كيف لا وقد جآء عن ابيشلوم ولد سيدنا داود انه بنى له جدارا ليذكر به بعد موته اذ لم يكن له خلف * فلاتزوجنّ فان لم ياتنى خلف فالطوب بمصر كثير * اللهم يسّر * غوثك ياكريم * يارحمان يارحيم * ثم لما كان يمعن النظر فى حال الزواج ويتصوّر مشاقه وشدائده التى كان يرى اودّآءه ومعارفه يقاسونها ويئنّون من باهظ حملها * يرجع عن عزمه ويسخر من استحالة عقله وضعف فهمه لضعف جسمه * ثم يعتذر لنفسه بان كل انسان اذا عاش مدة حياته على راى لم يوافق راى الجماعة * وكان يعتقد وهو حىّ صحيح الجسم معافى انهم كلهم على ضلال وانه هو وحده على هدى * فاذا ادركه ضعف

جسم لم يلبث ان يتغير عقله فيميل عن مذهبه الاول * كما جرى لبيون الفيلسوف ولكثير غيره من الحكماء والفلاسفة * ثم ان الله تعالى تدارك الفارياق برحمته * ومنّ عليه بالشفاء من علته * فقام من فراشه كانما قام من [illegible] به ويغني * [illegible]

[illegible] البالة ولا تنغص عليه عيشة * وشمر اذياله [illegible]

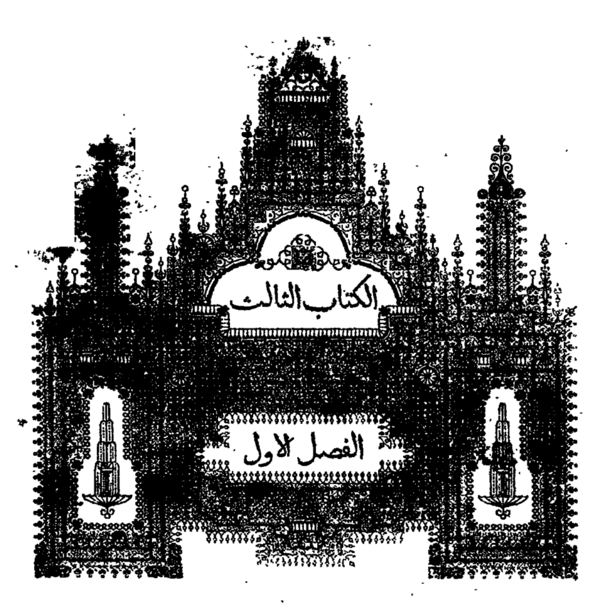
[illegible] فوق هذا الاجيج المتاجج

امامنا فيما

يلي

هذا





ـــــے اضرام اتون

او ما كفى بني آدم ما [illegible] فيه من [illegible] والعنآ * والـ[illegible]ـلاء والـ[illegible]
والتعب [illegible] والتخيب * والحرمان والنحس * والقنوط والتعس *
يمـ[illegible]يهم فى الفرث والوحم * [illegible]دون فى الاوجاع والالم * ويرضعون
فى الضرر * ويفطمون فى الخطر * ويحبون فيعثرون * ويدرجون فيتدهورون *
يمشون فيكلّون * ويكدّون فيملّون * ويبطلون فيتضورون * اذا جاعوا
خاروا ووهَوا * واذا اكلوا اتخموا وبَجِروا * واذا ظمئوا صووا * واذا شربوا
غثوا وغنثوا وخثروا * واذا ارقوا ذابوا قلقا وكمدا * واذا ناموا ذهب
العمر منهم سدى * واذا هرموا ملّهم اهلهم واخوانهم * واذا اختُضروا

حضروهم تحسيرا وربما احانهم * ثم هم بين ذلك فى تحصيل اسباب المعاش ساعون * وفى التظاهر باللباس والزينة معنّون * والعزب منهم متهافت على امراة تكون له [illegible] * وذو الاهل همّه بزوجه وتربية ولده [illegible] فاذا [illegible] * واذا حزنوا حزن [illegible] * وويل له ان تكن زوجه بزرا * او كانت عاقرا [illegible] * ورأى غيره من المتزوجين بنين ذوى طلعة [illegible] * وشمائل سارّة * فيقول فى نفسه انما لذة الدنيا البنون [illegible] ميت بلا خلف واىّ منون * وكم من سقوط ظفر وهن [illegible] * وكم لقلع ضرس ذهب الصبر او جله * ما عدا الادوآ المتعضّلة * [illegible] المتاصّلة [illegible] تخالف الازمان وحول الاحوال * وتعاقب الاحزان ودول [illegible] على هذا الجسم البالى البال * ففى الشتآ يكون عرضة للريح [illegible] * [illegible] والعفونات * وفى الصيف للصفرآ [illegible] والدمل [illegible] الاستسقاء * وفى الربيع [illegible] الدم [illegible] ونزغته * وفى الخريف لتحرك السودآ وادوآ [illegible]

منهم من يولد ويعرض له من العيوب والامراض

الجنأ	اشراف الكاهل على الصدر *
او الفسأ	خروج الصدر ونتوء الخثلة *
والفطأ	دخول الظهر وخروج [illegible] *
والحدب	معروف *
والحسبة	ان يبيض جلد الرجل من دآ فتفسد شعرته فيصير [illegible] واحمر
والحصبة	بثر يخرج بالجسد *
والشبت	دآء م *
والضبوب	دآء في الشفة *

والطَنَبُ طول فى الرجلين فى استرخا وطول فى [illegible]

والعَكَب غلظ فى الشفة واللحى *

والغَضبة بخصة تكون بالجفن الاعلى خلقة *

والغِضابُ دآء او الجُذرى *

والغَلَب غلظ العنق *

والقَلَب انقلاب الشفة *

والقُلاب دآء القلب *

والقُوَبآ الذى يظهر فى الجسد ويخرج عليه *

والكَنَب غلظ يعلو الرجل واليد *

والكَوَب دقة العنق وعظم الراس *

والناقبة دآء للانسان من طول الضجعة *

والجَوَث عظم البطن فى اعلاه او استرخآ اسفله *

والخَوَث استرخآ البطن *

والعَمَج [illegible]يب الانسان وهو ايضا هيجان المابور *

[illegible] [illegible] الصلب [illegible]

تدا[illegible] صدور القدمين فى المشى وتباعد [illegible] بين والفحج

والفحج اقبح منه *

واللَخَج [illegible] الغمص *

[illegible] استرخآ الشدقين *

والجلح انحسار [illegible] عن جانبى الراس *

والصَفَح عرض فاحش فى الجبهة *

والنَظَف علّة يَكوى منها الانسان *

والفركحة تباعد ما بين الاليتين *

والفَطَح عرض الراس والارنبة *

والقَلَح شق فى الشفة السفلى *

والقادح أُكال فى الاسنان *

والقَلَح صفرة الاسنان *

والكَسَح الزمانة فى اليدين والرجلين *

واللَخَص اللخص فى العين *

والمَرَح شدة سيلان العين وفسادها *

والمَشَح احتراق باطن الركبة لخشونة الثوب او اصطكاك الربلتين ومثله المشح *

والوَذَح احتراق فى باطن الفخذين *

والنَّزخ خروج الصدر ودخول الظهر *

والزُلّخة وجع ياخذ فى الظهر *

والفَتَخ استرخا المفاصل او عرض الكف والقدم وطولهما *

والنُفاخ نفخة الورم من دآء يحدث *

والجَرَد عدم الشعر *

والدَرَد ذهاب الاسنان *

والرِدّة تقاعس فى الذقن *

والسُواد دآء من شرب المآ *

والقَوَد طول العنق والظهر *

والكُباد وجع الكبد *

واللَهَد دآء فى ارجل الناس وافخاذهم *

والأُدَر — الآدر والمادور من ينفتق صفاقه فيقع قُصْبُه في صَفَنه النح وفعله كفرح *

والبَجَر — خروج السرّة وعظم البطن *

والبَخَر — النتن في الفم *

والباسور — م ج بواسير *

والبَثَر — البثور وبثرت العين خرج في اجفانها حبّ احمر *

والبَذْرة — قرحة تخرج ببياض الجفن *

والحَصْر والحَصَر — الحصر احتباس ذى البطن وبالتحريك ضيق الصدر والبخل والعيّ في المنطق *

والحَفَر — سُلاق في اصول الاسنان *

والحَمْرة — ورم من جنس الطواعين *

والمُحاجَر — داء في البطن *

والأُخَيضر — داء في العين *

والذَّهَر — اسوداد الاسنان ومثله التذيير *

والزَّحِير — استطلاق البطن *

والزَّعَر — تفريق الشعر وقلته *

والزَّوَر — عوج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينه *

والشَّتَر — انقلاب الجفن من اعلى واسفل وانشقاقه او استرخاء اسفله *

والصَّعَر — صغر الراس *

والصفر — داء في البطن يصفّر الوجه *

والظَّفَر — داء في العين *

والظهر — داء الظهر *

والعور معروف *

والنقطبر عدم استمساك البول *

والقَصَر يبس فى العنق *

والمَعَر قلة الشعر *

والناسور علة فى المآقى وعلة فى حوالى المقعدة وعلة فى اللثة *

والكُزاز داء من شدة البرد *

والسُلاس ذهاب العقل *

والقُعاس داء فى المفاصل *

والفَطَس انفراش الانف فى الوجه *

والقَعَس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب *

والقُفوف عظم الروثة *

والقَنعسة شدة العنق فى قصرها كالاحدب *

والكَسَس قصر الاسنان او صغرها او لصوقها بسنوخها *

والنِقرِس ورم ووجع فى مفاصل الكعبين واصابع الرجل *

والهَوَس طرف من الجنون *

والحَمَش دقة الساقين *

والخَفَش صغر العينين وضعف البصر خلقة او فساد فى الجفون بلا وجع او ان يبصر بالليل دون النهار *

والدَوَش ظلمة البصر وضيق العين *

والرَمَش حمرة فى الجفون مع ماء بسيل *

والطَرَش اهون الصمم *

والطُشاش داء كالزكام *

والعُطاش   داء لا يروى صاحبه *

والعَمَش   ضعف البصر مع سيلان الدمع فى اكثر الاوقات *

والمَدَش   رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها *

والنمش   نقط بيض وسود او بقع تقع فى الجلد تخالف لونه *

والبَخَص   لحم ناتئ فوق العينين او تحتهما كهيئة النفخة والتبخص انقلاب الاجفان *

والبرص   معروف *

والتَعَص   وجع العصب من كثرة المشى *

والحاصّة   داء يتناثر منه الشعر *

والحَوَص   ضيق فى موخر العينين او فى احداهما *

والحَوَص   غؤور العينين *

والخَيَص   صغر احدى العينين *

والرَمَص   وسخ ابيض يجتمع فى الموق *

والشّوصة   وجع فى البطن او ريح تعتقب فى الاضلاع او ورم فى حجابها *

والغَمَص   ما سال من الرمص *

والقَبَص   وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة *

والقِرْماص   قصر الخدين *

والقَفَص   حموضة فى المعدة من شرب الماء على التمر وحرارة فى الحلق *

واللَحَص   تغضن كثير فى اعلى الجفن *

واللَخَص   كون الجفن الاعلى لحيما *

واللَصَص   تقارب المنكبين والاسنان *

والماصّة   داء ياخذ الصبى من شعرات على سناسن القفار الخ *

والمَعَص التوآ فى عصب الرجل *

والمَغَص معروف *

والوَقَص قصر العنق * -

والحَرَض فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل *

والهَرَض الحصف يخرج على البدن من الحرّ *

والخُباط دآء كالجنون *

والأذْوَطيّة الاذوط الناقص الذقن *

والأَسَطّية الاسطّ الطويل الرجلين *

والسَرَطان ورم سوداوى يبتدئ مثل اللوزة واصغر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمر وخضر شبيه بارجل السرطان لا مطمع فى برئه وانما يعالج لئلا يزداد *

والضَرَط خفة اللحية ورقة الحاجب *

والضَوَط عوج فى الفم *

والطَرَط خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب *

والقَطَط قصر الشعر وجعودته *

والمَرَط خفة الشعر *

والمَعَط عدم الشعر *

والجَحْط خروج المقلة او عظمها *

والبَثَع ظهور الدم فى الشفتين وانقلاب الشفة عند الضحك *

والجَلَع عدم انضمام الشفتين *

والخَلَع النوآ العرقوب *

والرَسَع فساد فى الاجفان *

والزَمَع اصفرار فى وجه المرأة من دآ يصيب بطرها *
والزَلَع شقاق فى ظاهر القدم كالسلع *
والزَمَع الزيادة فى الاصابع *
والصُداع وجع الراس *
والصَلَع انحسار شعر مقدم الراس *
والتصوّع نشقق الشعر *
والقَرَع معروف *
والقَفَع ارتداد اصابع الرجل الى القدم *
والقُلاع دآ فى الفم *
والقَمَع فساد فى موق العين واحرار او بثرة تخرج فى اصول الاشفار *
والكَتَع رجوع الاصابع الى الكف *
والكَثَع احرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب *
والكَلَع شقاق ووسخ فى القدم *
والكَوَع اقبال الرسغين على المنكبين *
واللَخَع استرخآ الجسم *
واللَطَع بياض فى باطن الشفة الخ *
والوَكَع اقبال الابهام على السبابة من الرجل *
والهَنَع انحنآ فى القامة *
والبَثَغ ظهور الدم فى الجسد *
والذَلَغ انقلاب الشفة *
والفَدَغ التوآ فى القدم *
والفَوَع صخم فى الفم *

والوَبْغ   حِبْرية الراس *

والجَنَف   الجنف في الزور دخول احد شقيه وانهضامه مع اعتدال الآخر *

والحَشَفة   قرحة تخرج بحلق الانسان *

والحَنَق   الاعوجاج في الرجل *

والخَنَق   انهضام احد جانبي الصدر او الظهر *

والسأف   تشقق وتشعث ما حول الاظفار *

والسَّعفة   قروح تخرج على راس الصبي ووجهه *

والشأفة   قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوى فتذهب او اذا قطعت مات صاحبها *

والشَنَف   انقلاب الشفة العليا من اعلى *

والطَرْفة   نقطة حمرآ من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها *

والغَضَف   استرخآ في الاذن *

والغطَف   كثرة شعر الحاجب *

والكُتاف   وجع الكتف *

والكلَف   شي يعلو الوجه كالسمسم — وحمرة كدرة تعلو الوجه *

والارَفان   آفة تصيب الزرع والانسان كاليرقان *

والبُخق   اقبح العور *

والبهق   بياض رقيق ظاهر البشرة الخ *

والحَوْلق   وجع في حلق الانسان *

والحُماق   الجدري او شبهه *

والخُناق   دآ يمتنع معه نفوذ النفس الى الرئة *

والرَوَق *   ان تطول الثنايا العُلى السُفلَ *

والسُلاق بثر يخرج على اصول اللسان او تقشر فى اصول الاسنان وغلظ فى الاجفان *

والشَدَق سعة الشدق *

والشُمَق مرح المجنون *

والغُمَقة دآء ياخذ فى الصلب *

والفَتَق علة فى الصِفاق *

والفَوَق ميل الفم والفرج *

واللَسَق لسوق الرئة بالجنب عطشا *

والمَشَق ان تصيب احدى الربلتين الاخرى *

والوَدَق نقط حمر تخرج فى العين تشرق به او لحمة تعظم فيها او مرض فيها ترم منه الاذن *

والسَكَك عيب فى الاذن *

والساهك حكّة العين *

والشاكّة ورم فى الحلق *

والشوكة دآء م وحمرة تعلو البدن *

والفَرَك استرخآ اصل الاذن *

والفَكَك انفراج المركب استرخآ *

والأَلَل قصر الاسنان واقبالها على غار الفم كاليَلَل *.

والبَدَل وجع فى البأدلة (اللحمة بين الابط والثندوة) ووجع المفاصل واليدين *

والبُوال دآء يكثر منه البول *

والنَعَل تراكب الاسنان *

والقَلَل تساقط الاسنان *

والحَذَل حمرة فى العين وانسلاق وسيلان دمع *

والجِقْل دآ فى البطن *

والعَلَل استرخآ ووجع فى العصب *

والحَوَل معروف *

والخَبَل فساد الاعضآ والفالج *

والخَزَل الكسرة فى الظهر *

والخُمال دآء فى المفاصل *

والدَّحَل عظم البطن *

والدَّخَل ما داخلك من فساد فى عقل او جسم *

والشَّبَل شهلوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة *

والسَّغِل السَّغِل الصغير الجثة الدقيق القوائم او المضطرب الاعضآ او السيّى الخلق والغذآ او المتخدد المهزول وقد سغل كفرح فى الكل *

والسُّلال م كالسِلّ *

والسَّوْلة استرخآ البطن وغيره *

والصَّحَل البحح *

والضَّعَل دقة البدن من تقارب النسب *

والطَّحَل دآ الطحال *

والطُّلاطِلة سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب *

والعَفَل شى يخرج من قبل النسآ كالادرة *

والعَقَل اصطكاك الركبتين *

والعُقابيل ما يخرج على الشفة غبّ الحمى *

والغَمَل فساد الجرح من العصاب *

والقَبَل اقبال احدى الحدقتين على الاخرى *

والنَّمْلة بثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحتراق ويرم مكانها يسيرا ويدبّ الى مكان آخر*

والأُطام حصرة البول والبعر من دآ *

والحُثام دآ في العين *

والجُذام معروف *

والخَشَم تغير رائحة الانف من دآ فيه *

والرَّحَم وجع الرحم *

والسَّرَم وجع الدبر *

والضَّجَم عوج في الفم والشدق والشفة والذقن والعنق *

والعَسَم يبس في مفصل الرسغ تعوجّ منه اليد والقدم *

والغَمَم سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والقفا *

والقَقَم تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى *

والفَقَم ميل وارتفاع في الاليتين *

والكَزَم قصر في الانف *

والكَشَم نقصان في الخلق وفي الحسب *

والمُوم اشد الجدري *

والبَطَن دآ البطن *

والثَّفَن دآء في الثفِنة وهي من الانسان الركبة ومجتمع الساق والفخذ*

والدَّنَن انحنآ في الظهر ودنو وتطامن في الصدر والعنق *

والزَمَن العاهة ونحوه الضمن *
والنسوّن استرخآ البطن *
والقَعَن قصر فاحش فى الانف *
والآفة والماهة الآفة المصيبة والماهة الجدرى *
والجَلَه انحسار الشعر عن مقدم الراس *
والشَوَه طول العنق وقصرها ضد *
والفَوَه سعة الفم *
والقَرَه القره فى الجسد كالقلح فى الاسنان *
والقَمَه قلة شهوة الطعام كالفَهَم *
والمَرَه فساد العين لترك الكحل *
والبله قلة الفطنة *
والتَلَه الحيرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا *
والدَلَه ذهاب الفواد من همّ ونحوه *
والبَزا انحنا فى الظهر عند العجز او اشراف وسط الظهر على الاست *
والجَخو سعة الجلد واسترخاوه *
والخَلا دون الصلع *
والجَوَى دآ فى الصدر *
والحَصاة استداد البول فى المثانة حتى يصير كالحصاه *
والحَقوة وجع فى البطن من اكل اللحم *
والخَفى استرخآ الاذن وانكسارها *
والنقرس [illegible] وجع المفاصل واليدين والرجلين او ورم فى القوائم او منعك الالتفات من كبر او وجع *

والهَرَى   بثور صغار حمر حكاكة *
والثغا   اختلاف نبتة الاسنان بالطول والقصر والدخول [illegible] *
والضَوَى   دقة الجسم وقلة الجسم خلقة او الهزال *
والطَنَى   طنى لزق طحاله ورئته بالاصلاع من الجانب الايسر *
والفَغا   ميل فى الفم *
والقَعا   هو ان تشرف الارنبة ثم تقعى نحو القصبة *
والقُطَى   دآ فى العجز *
واللَّقوة   دآ فى الوجه *
واللَّوى   وجع فى المعدة واعوجاج فى الظهر *

وغير ذلك من العيوب كان يكون الانسان فشعوما او مقرفما او زَعْبلا او سَقَطْرَى او نِغاشيا او إزبا او دمبما * ومن الادوآ التى لم يُعرَف لها بعدُ اسم * ومحال ان تحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية والعشرون حرفا * واصعب ما فيها واضرّ الهُكاع والتشويل * وقد زاد معاصرونا على ذلك الدآ الزَّرْبى مما حلت عنه لغتنا [illegible] * واعود فاقول الم يكف بنى ادم ان مدى عمرهم قصير * وهمّهم فيه طويل كثير * وامرهم عسير * لكل منهم من العنآ والجهد واللوعه * ما يكفيه وآخرين معه * فطالب العلم يسهر الليالى فى تبيين مشاكل * وايضاح مسائل * وذو الصنعة يقضى نهاره كله مكبّا على عمله ذا سخط * حتى ينال كفافه فقط * وذو الامارة مشغول البال باحكامه وسياسته * والرئيس ذو همّ برئاسته * والملك موجس من وزرائه ان يتحالفوا عليه فيسقوه ما به هلاكه * والوزرآ خائفون منه ان ينقم عليهم فتدور بهم أفلاكه * والتاجر يبكر الى متجره وهو مشفق من كساد بضاعته * والطبيب يخشى ان نُرشَد الناس فيستغنوا

عن براعته * فتعفن عفافيره * وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره * وسَفوفه ولَعوقه ووَجوره * والقاضي يستعيذ من قدوم من تفتنه من الغيد بجمالها * وتربكه في مسائل غير مذكورة في كتابه فيعلق بحبالها * ويتحير من احوالها * والربّان يحذر من عصف الارواح * والراجل من شب نار الحروب التي وقودها الارواح * فكلما راى سلطانه متغيرا * وخاطره مكدرا * قال اللهم اكفني غيَر الدهر * واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل العصر * فاني ارى في وجه ملكي واميري سيمآ القتال * والرسم بمنازلة الابطال * وانا ذو صاحبة وعيال * واملاك واموال * اللهم اكفف السنة الاجانب عن القدح فيه * والقِ في قلوبهم رعبه وامحُ من صدره ما يوغره ويزفيه * والحارث يوجل من كثرة الامطار * وهبوب الاعصار * والمعلّم من رغبة الناس عن العلم الى الجهل * والمتعلم من عقبة الكُتّاب * وعاقبة الكتاب * الشافه لما كتده من تهديد الجَلد * والحاظر له عن اللهو والدد * والمغنّي والعازف بالات الطرب من وقوع الغلآ * او استيلآ الحزن على قلوب الاغنيآ * واللاعب من اهتدآ الناس الى الجد * والشاعر من الفائه ممدوحه كالحجر الصلد * او محبوبه ذا جفآ وصد * والمولف مثلي من مجانين (اي يشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدّون له فيحرقون كتابه * ويخرّقون إهابه * والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته * وهما من بخله وحرمانهما من ثروته * والقسيس من كتب الفلاسفة * والفلاسفة من وعيد القسيس وبوادره العاصفة * ورعوده القاصفة * وفي الجملة فكل ذي حرفة يخاف من انحراف نفعها عن جانبه * وكلٌّ يدعو الله لصلاح حاله ولو بفساد حال صاحبه * اذ لا تكاد تتم مصلحة من هذه المصالح المذكورة * الّا وينجرّ معها مفسدة بالصرورة * كما قال ابو الطيب المتنبي مصائب

قوم عند قوم فوائد * ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما ساله * جدير بنوال ما امله * وان لغته في ذلك عند الحق سبحانه وتعالى هي اصدق مقالا * نعم اعود فاقول * وان طال المقول * او ما كفى الناس الخوف من الموت يفاجئهم وهم في دعة واطمئنان * او يفجعهم بفقد ما لديهم عزيز من اهل وولد واخوان * وخلان وحيوان * اذ بعض الناس يكلفون بالخيل والطير والسنانير والكلاب * كلفهم بالاهل والاصحاب * او الرعب من ان يسقط احدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه * او تسرى النار في بيته فيحترق تالده وطريفه فيعدم رزقه * او يقع في تيار فيجفا به الى ما شا الله * او تخسف به الارض * او يخرّ عليه السقف من فوق * او تبلغه الوكة من مسافة مائتى فرسخ فتقلقه وتورقه وربما ابكته دمًا * او ياتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته * او يفقد ما في كيسه او هميانه في الطريق * او ينشب في عينه عود فيعطلها * او تتشنج به عضلة فيعد بعدها من سقط المتاع * او ياكل شيا ضارًا فيودى به * او شرابا مسموما فيسقط امعآه وارابه * او يرى جميلة فيؤرّقه جمالها فيصبح وهو هائم متيّم يشكو للطبيب من سقامه * وللشاعر من غرامه * فلا هذا يطمعه ويمنّيه * ولا ذاك ينفعه ويشفيه * اوقبيحة فتدهمه مُرْعبة * ويلازمه القمه عن المادبة * او تنبحه الكلاب وتخرق ثيابه فيبدو وَذَمه * او يسيل دمه * او يكون جالسا يوما على التخت * فيسمع له صريف التحت * فيسود وجهه بين اخوانه وعترته * واهل قريته وكورته * وربما نبزوه بالخُضْفى اوالغَضْفى اوالنَضْفى او الخُبْثى او الخَفْقى اوالعَفْقى او الغَفْقى او الحَصْمى او الخَضْمى او الرَدْمى * او يقع عليه الكابوس ليلاً فيقف جريان دمه على قلبه فيهلك لليلته * نعم الم تكفهم هذا كله حتى طفق

بعضهم يجهز على بعض كتائب الحدس والتخمين * ويجرّد عليه مقانب الخرص والتزكين * فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرّعة * وبسيوف اللعن مبضعة * وبنصال الجدال فائدة مارقة * وبنبال الجلاد صاردة خاسفة * فقال بعضهم الا ان درجات السماء مئة وخمس * فقال غيره الا انها مئة واربع * فقال اخر لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان وسمل العينين * وسلّ الانثيين * انما هي مئة وست * ثم قام اخر وقال الا ان دركات جهنم ستمائة وست وستون * فقام غيره وقال الا انها ستمائة وخمسون * فقال اخر لقد كذبتما والحدتما وضللتما واستوجبتما غلّ اليدين والرجلين * ونتف الشعرين * انما هي ستمائة وسبع وستون * ثم قام اخر وقال الا ان قرن الشيطان ثلثمائة وخمسة وخمسون ذراعا * فقال آخر هذا افك واضح * وبهتان فاضح * بل هو ثلثمائة وستة وخمسون * فقال اخر وكسوره * ثم قال اخر الا انه من حديد لكونه ثقيلا على الناس بعنّيهم * فاجابه غيره الا انه من ذهب لكونه يضلّهم ويغويهم فقال اخر بل هو من اليقطين لانه ينمى ثم يذوى * ويكبر ثم يصغر * ويطول ثم يقصر * ثم قام آخر على راس سلّم عال وقال بصوت جهير الا ان بكم ايها الناس لجُلَيْدة ينبغي قطعها بحجر محدّد لا كبير ولا صغير * فقال آخر بل بسكّين ماض لا طويل ولا قصير * فقال آخر لقد سفهتما انما هي عزيزة علينا * كريمة لدينا * لايصح قطعها بحجر ولا سكّين * ولا خدشها بشي ولو من رقيين * فانما هي متصلة بالوريد ومنعقدة بالوتين * ومن قطعها فقد كفر * واستوجب نار سقر * فقال آخر بل قطعها واجب فانها من الزوائد * فاعترضه القائل بعدم القطع انّا لا نرى شيا غيرها يقطع فما وجه تخصيصها بالقطع * قال بلِ الشوارب تُحفَى والاظفار تقلّم * قال ولكنها بعد ذلك

تنبت وتلك لا * قال اما دليلي القطعي على وجوب القطع عدم نفعها لصاحبها * قال لم يخلق الله شيا عبثا من غير نفع * قال بل خلقه اياك لغير فائدة * قال لا بل انت مخلوق عبثا * ثم حشد كلّ من الفريقين بخيله ورَجْله * وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومُحله * فمن بين فارع بحدّ الحسام * ورام بالسهام * وباطش بيده وقاذع بلسانه وهاجٍ بقلمه * فالروس متناثرة * والدمآ جارية والاعضآ متطايرة * والعرض مهتور والحرمات مهتّكة * والمال مسلوب والديار مخرّبة * والحزازات في الصدور كامنة * والمشاحنة ظاهرة وباطنة * والخيل مُسرَجة * والكماة مدجّجة * والطرق معطلة * والارض ممحلة * والفرص للانتقام مرقوبة * والدعوات في الليالي مشبوبة * ياايها الناس اعتبروا بمن فات * كيف صار الى الرفات * وان منهم من كان يذكر اسمه في حياته بالبركات * فاصبح يذكر باللعنات * ومنهم من كان يحسب في قومه سراجا وهّاجا * فصار يحسب دخانا وعجاجا * ومنهم من كان ياكل حتى ينتفخ بطنه وتجحظ عيناه * ويتلجلج لسانه وترتخي شفتاه * فصار الان الدود ياكله * وبعض الحشرات يستوبله * ياايها الناس * وجمهوركم في سبات والباقي في نعاس * فرارٍ من غرور النفس * وحذارٍ من غرور الرمس * وبدارٍ الى تقديم عمل صالح يقربكم الى الله * ويلّم بعضكم ببعض وانتم في الحياة * اتموتون وفي قلوبكم الحقد على خصمكم * وفي افواهكم اللعن على مخالفكم في زعمكم * الم يقل لكم الحق كونوا ياعباد على الارض اخوانا فانكم من اب واحد وامّ واحدة وانكم جميعا لميتون * سوآ كنتم ذوي وجوه سمر او حمر او صفر او سود او بيض انكم كلكم بشر انكم كلكم فانون * انكم ناظرون ولامسون وسامعون وشامون وطاعمون * ما بال

الجُلَيديّ منكم ينشأ اللاجليدي * والحديدي منكم يمقت اليقطيني افلا تتوادعون * الم اظهر لكم في طلوع الشمس وغروبها * وفي بزوغ الكواكب ومغيبها * وفي سكون الريح وهبوبها * وفي خمود النار وشبوبها * وفي زخر المياه ونضوبها * وفي صروف الدهر وخطوبه * وهمومه وكروبه * وفي سواد الشعر ومشيبه * وفي هرم الجسم وشحوبه * وفي الازمان اذا تزالت * والاحوال اذا حالت * والدول اذا دالت * وفي الغياض اذا ابتهجت * والرياض اذا دبجت * والاشجار اذا اورقت وجرّدت * والاطيار اذا زقزقت وغردت * وفي اللسان اذا نطق * والقلم اذا مشق * ليس لعمري بين الوحوش الضارية والطيور الكاسرة ما بينكم من العداوة والبغضآ * والضغن والشحنآ * اذكروا يوم ان صعد خطيبكم المنبر * وعبس وبسر * وتوعد وتنكر * وخطّا وكفر * وحض على القتال وذمّر * ثم دعا فاستغفر * واستخار الله واستبشر * فاغرتم على جيرانكم * وانتهكتم حرمات اخوانكم * وفرقتم بين الام ورضيعها * والمراة وضجيعها * وبين الاب وولده * وسَبَدَه ولبده * اذكروا يوم ان حشد رئيسكم اليه اعوانه * وهاج اهله واخدانه * على ان يخون سلطانه * واي خيانه * وما ذلك الا لمخالفته له في الحزر والتقدير * والتاويل والتعبير * والتخريج والتفسير * ادكروا يوم ان اعلمتم انفسكم بعلائم الجهاد * وقلتم هذه حرب الله هذا قتال لرضى رب العباد * هذا يوم كسب الثواب والنجاة من العذاب * فافيضوا الى العدو من البر والبحر * واغتنموا عند الله اجر هذا البرّ * ادكروا يوم ان تنازعتم على لون طعام تاكلونه * وشكل شراب تشربونه * ورحضة جسم تغسلونه * ونوع فراش تتوسدونه * ورقعة ثوب تلبسونه * ووجه كلام تعفكونه * وماعون تستعملونه * الِلخلاف

فی هذه الدنیا فُطرتم * ام بالخصام والمعاداة أُمرتم * ما بال علمآ الریاضة
والهندسة والتنجیم لا یختلفون فی ادلّتهم * وان اختلفوا ثم یصبّوا النار
لتحقیق نحلتهم * وانتم تشبونها عند کل فرصة تسنح لکم * ووهم یسبق
الیه فکرکم * وکان الاولی ان تتواطاوا علی رای واحد کما تواطأ اولئك*
وان تُسنّوا لعباد الله مصالحهم لا ان تدخلوهم فی هذه المهالك *
وتربکوهم فی هذه المرابك * وان تهدوهم الی اقوم المسالك * لا ان
تلبّسوا علیهم فی هذه الحوالك * دعوهم یشتغلوا باسباب معیشتهم* ولا تکلفوهم
ادراك ما فوق طاقتکم وطاقتهم* واعملوا انتم ایضا بایدیکم ساعتین اذا عملتم
بالسنتکم النصناصة ساعة * واجمعوا امرکم عند تفرق اهوائکم علی
الالفة والطاعة * انسیتم ما جآ فی الزبور الذی به تلهجون * وتهذّون
وتذبرون * وهو قوله ما احسن الاخوة ان تسکن جمیعا فی بیت واحد
کالدهن النازل علی اللحیة لحیة هرون * لا ولا تحرّموا ما حلل الله لکم
من الطیبات * ولا تتلاوصوا الی معرفة ما لغیرکم من الهفوات * ولا
تبیعوا املاك السماوات * وانتم علی الارض من ذوی البطالة والترّهات *
لیس علی السوقی ان یتزوج خرجیة من حرج * ولا علی الخرجیّ ان
یتزوج سوقیة من مَرَج * فان اختلاف الحزر فیما لا یعلم * لا یکون
مانعا للفوز بهذا المغنم * الذی یدریه من تعلم ومَن لم یتعلم * او لم
تعلموا ان الارحام من الرحمة اشتقت * والی المصاهرة شلت * وعلی
الانساب انطبقت * والی التآخی والتآلف خلقت * وبالتوادّ اختصت *
ولانتهاز فرص الحظ فُرصت * فما لکم عنها تتباعدون * وتتقاعسون
وتتقاعدون * ولمْ انتم هولآ فی بحر الشك والظن تسبحون *
وتستبضعون تجارة الخرص وتربحون * لا سمع الله دعآ احد منکم

فی الشرق كلا اذا كان يستصوبه اهل الغرب * ولا يفيزكم بالآخرة كلا
اذا تالفتم فی الدنيا على هذا الضرب * فليصافح اذًا اخضر الراس
منكم اسوده * ومدوّره ذو القُبّعة مخروطه ذا اللبدة * وليُصْفِ كلّ منكم
لاخيه نيّته ووده * ويحفظ له عهده * واذ قد اتفقتم على المخلوق فلا
تختلفوا على الخالق * فهو رب المغارب والمشارق * وانه ليريد ان
المشرقی منكم اذا سافر الى المغرب يرى اهله فيه له اهلا * وشمله شملا *

فاقبلوا النصيحة * واسمعوا ما يمرّ بكم بعدها من العبارات
الفصيحة * والمعانی المليحة * فی هذا
الفصل الذی
سميته





الفصل الثانی

في العشق والزواج

قد ذكرت في آخر الكتاب الثانی ان الفارياق ابتلاه الله بامراض كثيرة وكتب وفيرة ثم انجاه منها جميعا * وانه بعد ان رای نفسه معافى منها اطمانّ خاطره واخلد الى الغنآ * والآن ينبغي ان اذكر ختام هذه النوبة * وعاقبة هذه الحوبة * وتفصيل ذلك ان الدار التي كان فيها الحريجيّون كانت محاذية لدار بعض التجار * وكان له بنت تحبّ السماع واللهو والطرب وترتاح الى الغنآ جدا * فكانت اذا سمعت الفارياق يغني او يعزف في غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى ان يفرغ فتنزل الى حجرتها * فلما علم الفارياق ان صعودها كان لاجله اذ لم يكن احد غيره يظن به التعرّض لها صبت اليها نفسه ونزغه فيها نازغ من الهوى * غير انه كان من طبعه النفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين اشقى الناس * لان الحالة الزوجية لا يبدو منها في الغالب سوى صعوباتها ومشاقها * وكان اذا قيل له فلان تزوج تاخذه به رافة ويرثى له كما يرثى لمن دار به تيّار شديد او رزئ برزيّة كبرى * فتنازع فيه ح عاملا الهوى والحذر * فرجحت كفّة الاول الثاني فرای ان مجرد النظر اولى من التعرض باشارة تدل على انه ذو صبوة وهيام * ومكثا على ذلك مدة وهو احذر من التورّط *

حتى اذا كان يوم ورآها تمسح محاجرها بمنديل امّا من حرّ الشمس او من غيره اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه * فانفتقت بنائق الصبر من صدره * وطار به الوجد لإزالة حذره * وقال فى نفسه ايقابل احد غيرى دموع باكية بالاعراض * وهل ورآ الدموع غير الهوى * كيف لا تذيبنى وما قلبى بجلمد * ولا انا بمخلّد * وقد علمت ان اعظم لذات الحيوة ما اذا وجد الانسان له خدينا نوبّا * وقرينا صفيّا * وانا غريب محتاج الى مؤنس فى وحشتى * ورفيق فى وحدتى * ومَن مؤنسٌ مثل الزوجة * واىّ خير فى العزوبة لمن رزقه الله قوته وحُوجه * وبمثل هذه الخواطر السريعة وطّن نفسه على تحمّل اعبآ الهوى من اى جهة كانت * فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما * فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى الخد اخرى * واصبع تقرن باخرى * وذراعين تشبحان مع تنفس وزفير * وشفتين تصمّان * وراس يهزّ وغير ذلك مما يعطل به المبتدئون فى الحب * فاما المتناهون فلا يرضيهم الا الهصر بالفودين كما نص عليه الاستاذ امرء القيس * ودامت دولة الاشارة بينهما اياما مديدة من دون كلام * فلما عجزت الايدى وسائر الجوارح عن ترجمة ما فى القلب وخصوصا لبُعد ما بينهما احتالا على ان يجتمعا فى مكان بحيث يرى المحب حبيبه * فلما بصر بها عن قرب وجدها والفضل لمخترع الزى المصرى عَنْدلة جَزْلة * اذ لو كانت متردية بالزى الافرنجى لما عرف هل كان ما فى صدرها عِهْنا او بِرْسا او قطنا * او خُرْفعا او عُطْبا * او بَيْلَما * او قِشْبرا او حريرا او نُودلا (١) * او كان ما ورآها عُظامة او لحما وشحما * قال وهاتان الصفتان اعنى العَنْدلة والجزلية احسن ما يراد من المراة * فان الاولى تنشفع فى الكون الامامى والثانية فى الكون الخلفى * قالت وقد

(١) العِهْن الصوف او المصبوع الوانا والبِرس القطن او شبيه به او قطن البردى والخِرفع القطن المندوف والعُطب الصوف المنفوش والبَيلم قطن البردى وقطن القصب والقِشبر ارذا الصوف ونفايته والنُودل الثدى *

جآء عن سيدنا سليمن عم مدح العندليب بقوله فى الفصل الخامس من سفر
الامثال فليروينك ثدياها فى كل حين * ولقائل ان يقول ان العهن
واخواته مع وجود اليد والبجت (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق
الصفتين المذكورتين * والجواب ان ذلك محظور غالبا فى البلاد المشرقية
ولا سيما من اول مرة * فاما عند غيرهم فلا محظور منه ولذلك شاع استعمال
الطّامات عندهم بلا نكير * ثم حيث تقدم لنا فى الكتاب الاول وصف
الحمار على اسلوب افرنجى فلا باس هنا ايضا فى وصف الرجل قُبيل
الزواج على النسق المذكور فنقول * انه مدة تعلله بغبطة الزواج وتلحّزه
من لذاته * لا يخطر بباله شى من مستانف آفاته * وانما يخطر فى
حدسه * ويقول فى نفسه * ان حالتى لا تكون كحالة معارفى وجيرانى *
الذين تزوجوا واخطاتهم الامانى * اذ هم لم يودوا الزواج حقه * ولم ياخذوا
فى اسبابه بالثقه * لان منهم من باعل * وهو غير كفو لهذا العمل * اما لصفر
راحته * او لعدم سماحته * او لمباينة سنّه عن سنّ زوجته * او لضعف
فى آلته * او لانه كان من الزمالقية على شفا * او كان مُصّلفا او مُشَفّشِفا (٢) *
او لان اميره كان يغيّبه عن وطنه * او لان جاره كان يخالفه الى عطنه *
او لان امّه كانت رقيبة على امراته * او لان امامه كان ضيزنا له على
مائدته * فلذلك ثار بينهما النقار * وطال النفار * فقُدّ القميصان
من قُبُل ومن دُبُر * ونتف الشعران والصخب كثر * وخدش الجلدان
خدشا بالظُفر * وانتثر الريحان من فوق السرر * اما انا فانى بحمد
الله خال عن هذه الخلال * فلا تحول لى مع زوجتى حال * ولا تزاحمنى
فيها الرجال * ولا يعتريها منى ملال * فرضاى رضاها * ومناى مناها * وما
انا بادرم ولا انخر * ولا احدب ولا اخنب * وان لى يدين اعمل بهما

(١) البجت جنس الكبش لبعض سمنه من هزاله *

(٢) المصلف من لا تحظى عنده امراة وهو ايضا الذى ثقلت روحه وقل خيره والمشفشف من به رعدة واختلاط غيرة واشفاقا على حرمه *

ورجلين اسعى عليهما * وان يكن بى من عيب فى خُلقى * يستره عنى حسن خُلقى * فانى لا اعاوضها فى طعامها * ولا فى لباسها ومنامها * بحيث تنام الى جنبى * وتتخذ من الملبوس ما يليق بها وبى * فما يمنعنى من اتخاذ قرينة * تكون على هذه الصفة الميمونة * حتى اذا سمع الناس بان زوجى عَرُوب * وعرضها عندى مصون ووجهها عن المراود محجوب * حسدونى على هذه النعمة السابغة * فكان لى كل غصة من العيش سائغه * ولا يخفى كم فى كيد الحسود من لذة * لا تتقاعس عنها الالذّه * ما عدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس * الذى قربه للقلب ترويح وللكرب تنفيس * وان امرا يقاسى النهار جهده * ثم يبيت فى الليل وحده * من دون ضجيع له تنفخ فى انفه * وتسخن دمه من امامه ومن خلفه * لجدير بان يحصى مع الاموات * ويلقى بين الرفات * هذا وانى استغنى برضيها عن الشراب * وبشم شعرها عن المسك والملاب * فانهم قالوا ان الرائحة الانثوية تستنشق من منابت الشعر وبها نشوة الحواس * سوآ كان فى المغابن او فى الراس * واجتزئ بحر جسدها عن الوقود للاصطلآ * وبالرنوّ اليها عن الاثمد والجلآ * فيتوفر علىّ كل يوم فى الاقل درهم * انفق نصفه على الحمّام كل غداة فيبقى لى النصف الآخر وذلك خبر عَمَم * وغنى اتمّ * فاما ما يقال فى كيد النسا * واعناتهن الرجال بما يعزّ على الإسا * فليس ذلك على عمومه * ولا تقرر حكم الا واستثنى امور من تعميمه * فلعلى اول من اخرجه هذا الاستثنآ * وسنّ للاعزاب على الزواج الثنآ * كيف لا وانا ذو فصاحة وتبيان * ودهآ وجنان * فما يعيينى شى من نكرها * ولا تخفى عنى خافية من امرها * فاتارضها واجّها * واريها ان لى عليها ففيّة تضطرها الى طاعتى وتحوجها *

فان قلت لها اليوم يصوم فيه المباءلون * ويتبتّل المفاءلون * قالت انا اول من صام * وآخر من نام * وان قلت لا يجمل بالمحصنة ان تتبرّج * قالت ولا ان تتغنّج * وان قلت ان حق الزوجة على زوجها فى كل اسبوع مرة * قالت وتبقى ايضا عفيفة حرة * وان قلت ليس الحلىّ بلازم للعرس * قالت ولا الديباج شرّ لُبس * وفى الجملة فان عيشى معها يكون رغيدا * وحالى سعيدا * وحظى مديدا * وطعامى مريئا * وشرابى هنيئا * وثوبى وضيئا * وفرشى وطيئا * وبيتى مانوسا * ومتاعى محروسا * وطرفى قريرا * وشانى مذكورا * وسعيى ميمونا * وقصدى مامونا * فحىّ هَلَ الزواج * بلعوب مغناج * طلعتها علاج * من الالفاج * وصحبتها انهاج * الى الافلاج * انتهى * وانا اقول ان مما غُرس فى هذه الطينة البشرية اللَثِية ان الرجل متى وطّن نفسه على الزواج حبّب الله اليه زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن الناس خُلقا وخُلقا * لا بل يرى نفسه انه قد ترفع عن اقرانه * وتمزّى على اخوانه * حتى يستخسّ ما كان من قبل يستعظمه * وانه قد صار انسانا جديدا يجدر بان يجدد له وجد الاوطى * وبناء على ذلك ثم بعد الفارياق يرضى بالاغانى والاشعار المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى جديدة من نظمه * ونظم خلال ذلك قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب غريب فجاءتا طيخيّتين كما سترى ذلك * ولو استطاع ان يخترع كلاما جديدا يعبّر به عن غرامه وحديث شانه لفعل * وكان اذا رأى رجلا متزوجا يهيب به وينشده

انا فى حلبة الزواج المجلّى	انما انت فُسكل فاشور
ان قدحى يفور عما قريب	انما قدحك السفيح يبور

او عزبا قال له

يا ايها الاعزاب اني راشد　　دين العزوبة فاقتدوا بمثاليا
ليس الفتى الا البعال فبادروا　　يا قوم واستغنوا بمثل بعاليا

ونهض يوما لان ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تهافتا على احداث شي غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك * وهي

ساعة البعد عنك شهر وعام الـوصـل يمضي كانما هو ساعة
اتنجم الليل الطويل صبابة　　وتنجمي لنجوم ذي تفليك
ويخفق مني القلب ان هبت الصبا　　ويذكرني البدر المنير محياك
الا ليت شعري كم يقاسي من النوى　　وانحائه قلب يذوب تجلدا

ومن الفضول هنا ان نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عيني قرة * واني اراك احسن الخلق * وانّا ليغبطنا الناس * وانك تغنيني عن الغنى * واني بقربك سعيد * وببعدك عميد * وانّا نكون ابدا كما نحن الان * وانك ذات ملاحة تشغل الخليّ * واني اغار عليك من النسيم يفيّئ شعرك هذا الدجيّ * وانّا لجسمان في روح واحد او روحان في جسم واحد * وانك لترين مني كل يوم محبّا جديدا * واني لارى فيك كل وقت حسنا جديثا * وانّا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين * الى غير ذلك من الكلام المتعارف عند امثاله * قال خير ايام الانسان في حياته هي المدة التي تتقدم الزواج والتي تليه * قلت ومبلغها عند الافرنج شهر يسمونه قمر العَسَل وهو بعد الزواج * ومبلغها عندنا معاشر العرب شهران يقال لهما قمرا العَسَل * حتى اذا امتلات الخليّة عادت

كل نحلة زنبورا ورجع كل شي الى اصله * واقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش * فلا بدّ لهذا المخلوق الآدمي من ان يحب ذاتا من الذوات او شيا من الاشيآ او معنى من المعاني * وكلما زاد حبه في قسيم منها نقص في قسيمه الآخر * وقد يكون احدها سببا في زيادة حبّه للاخر * مثال ذلك مَن كلف بالشعر او الغنآ او التصوير فكلفه هذا يكون باعثا له على حبّ الذات الجميلة * ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته في النسآ بل ربما لهى عنهن بالكلية * ومن كلف بالخيل المطهّمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات أوْ لا * وعدّ بعضهم من هذا النوع السراباتية وهم المنظّفون للمراحيض * واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلَف من هوى النفس * فهذه ثلث حالات متسببة عن ثلثة اسباب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى باعتبار القلّة والكثرة وما بينهما * الاولى متعادلة وهي ان يحبّ المحبّ محبوبه كنفسه * فلا تطيب نفسه بشي ولا تهنئه لذة الا اذا كان محبوبه مشاركا له في تلك اللذة * وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبُعَيده * ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة * الثانية المتعدية اى المجاوزة للمتعادلة * وذلك كاَن يحبّ المحب حبيبه اكثر من نفسه * وذلك صفة الاب والام في حبّ ولدهما وصفة بعض العشاق * اما الاب فانه يفدى ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسرات حتى يمتّعه بها * فاذا راى نفسه عاجزا عن الاكل والبعال وراى ابنه ياكل ويباعل لذّ له ذلك * وهو مع هذا غير خال ايضا عن الرشد والتمييز * فاما العاشق فانه قد يوثر معشوقه على نفسه غير ان

افعاله تكون مختلة في غير محلها ووقتها * والثالثة معلومة وهي ان يحب الانسان محبوبه مع ايثار نفسه عليه وهو الاغلب * وهناك ايضا ثلث احوال اخرى مكانية وهي القرب والبعد والتوسط * ولها تاثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس * فالصادق الود يحب في حالتي القرب والبعد على حدّ سوى * بل ربما كان البعاد مهيجا له الى زيادة الشوق والالم * وما احسن قول من قال في هذا المعنى

كانّ الهوى شمس ابى ان يردّها مهاة نوًى لا بل تزيد بها حرّا

فاما الطَرِف الشَنِق فانه لا يرسل الساق الّا ممسكا سافا * وثلث اخرى زمانية وهي الصبى والشباب والكهولة * فمحبة الصبى اسرع واعلق * ومحبة الشباب احرّ واقوى * ومحبة الكهولة افرّ وادوم * والكهل يقدر محاسن محبوبه ومنافعه اكثر * ومحبته له تكون امرّ واحلى * فالمرارة لعلمه انه قد عرّض نفسه للوم اللائمين وعذل العاذلين من الاحداث والاغرار * ولاشفاقه دائما من ملل محبوبه اياه * فقلبه ابدا واجب * وهمّه بشانه ناصب * والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم * ولكون هواه والحالة هذه راهنا متمكنا فهو يعتقد بمجامع قلبه انه ساع في اسباب سعادته وحظه * ولها ايضا ثلث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعني اليسر والعسر وحالة ما بينهما * اما الموسر فان محبته ابرد واحول * لان غناه يحمله على استبدال محبوبه والتنقل من حال الى حال * فلتحذر النسآ المحصنات هذا الصنف من الناس وان ماس بهن ماسه * الا اذا كن لا يخفن على سرّهن وعرضهن * لان الهوى يستخرج خبايا الاسرار * كما يستخرج خزن الدينار * وعنده ان كل شي عبد درهمه * وطوع نَهَمه * فاما الفقير فان محبته اشطّ واشد

والورع * لان فقره من حيث كان مانعًا له من ازالة الموانع التي تحول بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضي به الى اليأس او الخبال او الى الانتحار * فاما المتوسط فان حبّه اعدل واصحّ * ولها ايضا ثلث حالات اخرى وهي الذل والعزّ والمساواة * فالذل غالبا صفة العاشق والعزّ صفة المعشوق * ومن اعجب انواع المحبة الحبّ المختلط بالبغض * وذلك كان يهوى رجل امراة وهي تهوى غيره وتتمنع عليه * فيهيج به وجده الى وصالها تشفّيا منها * فان فاز به غلبت محبته على كراهيته والّا فلا * ولا يزال هذا دابه حتى يسلو عنها * والغالب ان المحب لا يسلو محبوبه اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر باخر شبيه له في خلقه وخلقه وهيهات ذلك * فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تقع من قلب الناظر موقعا مكينا * فتحلج فيه من محركات الوجد والشوق ما تخالجه عشرة مدة مديدة * وعندي انه لا بدّ وان يكون المحبّ قد تصوّر في عقله سابقا صفات وكيفيات من الحسن فصبا اليها * حتى اذا شاهدها حقيقة في ذات من الذوات كما كان تصورها علِق بها قلبه وخاطره فكان كمن وجد ضالّة ينشدها * وقد تكون المحبة عن طول سماع عن شخص فيسترسل السامع اليه شيا فشيا حتى يكلف به * واكثر اسباب المحبة النظر والعشرة * واعلم ان كثيرا من الناس قد عشقوا الصور الجميلة في الذكور والاناث لغير دعارة وفسق * وانما هو ارتياح نفس ووجد بال * ويؤيّده ما ورد في الاثر * من عشق فكتم فعفّ فمات مات شهيدا * والعاشق في هذه الحالة يرضى من معشوقه بادنى شي * فالقبلة عنده نصر وفتح وغنيمة * قال الشريف الرضي

سلوا مضجعي عني وعنها فاننا رضينا بما يخبرن عنا المضاجع

قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعنى * وقال ابن الفارض رحمه

كم بات طوع يدى والوصل يجمعنا فى بردتيه التقى لا نعرف الدنسا

وهذا العشق يسمى عند الافرنج العشق الافلاطونى نسبة الى افلاطون الحكيم * ولا حقيقة له عندهم وانما هو مجرد تسمية * ويعرف عندنا بالهوى العُذْرى * نسبة الى عُذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية اى بكارتها وافتصاصها وشى آخر منها * ويروى عن مجنون ليلى انها اتته يوما وجعلت تحدثه فقال لها اليك عنى فانى مشغول بهواك * وللمتنبى فى هذا المعنى

فشُغلتُ عن ردّ السلا م فكان شغلى عنك بك

واحق النسآ بان تُعشَق وتعزّز التى جمعت الى حسن خلقها الادب وحسن المنطق والصوت * واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما جآ فى بعض المواليات المصرية * فانه والحالة هذه يقدم على اصعب الاعمال واعظم المساعى * ويباشرها من دون ان يشعر بها * لان فكره ابدا مشغول بمحاسن حبيبه * فلو رفع صخرة فى هذه الحالة على عاتقه بل فِنْدًا لتوهم انه رافع نعال محبوبه او بالحرى رجليه * ثم انه معما يلحق المحبة من طوارى التنغيص والخيبة والحرمان وخصوصا مضض الغيرة فان عيش الخلى لا خير فيه * لان الحب يبعث على المروّة والنخوة والشهامة والكرم * ويلهم المحب المعانى اللطيفة والخواطر الدقيقة * ويكسبه الاخلاق المرضية * ويستوحيه الى عمل شى عظيم يذكر به اسمه ويحمد شانه

ولا سيما عند محبوبته * وقلما رايت عاشقا به جفآ وفظاظة او رثٌ. وبلادة او دناءة وخساسة * قال بعض العُزهين واظنه من ألتيتائيّيين * لو لم يمنع من عشق المراة شي بعد التعفف والتورّع سوى الاضطرار الى حبّها لكفى * لان الانسان متى علم انه مسخّر لحب شي ومكلّف به ملّه بالطبع ونفر منه * قال فيكون حب المراة على هذا مغايرا للطبع * هذا اذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالى الهمة * فاما الاوباش من الناس فلا معرفة لهم بقدر انفسهم فهم يتساقطون على حب المراة حيثما عنّت لهم وكيفما اتفق * قلت هو كلام من لم يذق الحب او من كان مفركّا * ولو سمع انثى تقول له يوما احمل ياروحى هذا الحمل من الحطب على راسك * او احبُ ياعينى على استك كالولد الصغير للبّاها حاملا وزُحْنُقُفًا (١) * ثم ان للعشاق مذاهب مختلفة فى العشق * فمنهم من يهوى ذات التصنّع والتمويه والعجب * ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يوثر الحسن الطبيعى * وان يكون فى محبوبته بعض الغفلة والبلاهة * والى هذا اشار المتنبى بقوله

حسن الحضارة مجلوب بتطرئة   وفى البداوة حسن غير مجلوب

ومثل الاول مَثَل مَن يُقدّم له لون من الطعام وبه قَمَه فيحتاج الى التفحية والتقتيت * ومثل الثانى مثل مَن به سيْفَنيّة وسرْطميّة (٢) فلا يمنعه عدم التفحية والتوابل من ان يلسو ويلوس ويلثى ثم يالجس قعر الجفنة بعد فراغه منها * فاما رغبة بعض الناس فى الغفول والبلاهة فانها مبنية على ان المحبّ لا يزال يقترح من محبوبته اشياآ كثيرة تبعث اليها الحاجة * فمتى كانت ذات دهآ وذكآء خشى ان تملّه وتحرمه * ومنهم من يزيد فى المراة غراما اذا كانت ذات عزّة وشرّة ومعاسرة * فيكون

(١) الزحنقف الزاحف على استه *

(٢) سيْفَنيّة طائر بمصر لا يقع على شجرة الا اكل جميع ورقها والسرْطم الواسع الحلق السريع البلع *

استرضاؤها ادعى الى النشاط والسعي * وهذا يفعله في الغالب من يتفرغ للهوى ويتصدى له من كل جهة * ومنهم من يعشق المراة لانتسابها بسمة شرف وسيادة او وجاهة * وذلك داب ذوي الطموح والاستطالة * ومن هذا الصنف من اذا راى امراة وسيمة الشان تشبه امراة شريفة عشقها لاجل حصول المشابهة فقط * ويقال لاهل هذا المذهب المشبهية * وهو في النسآ اكثر فان المراة لا تكاد ترى رجلا الا وتقول لعله يشبه بعض الامرآ الغابرين او المعاصرين او الآتين * ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملاينة * وذلك شان ذوي الرفق والرقة * ومنهم من يعشق من على طلعتها اثار الحزن والكآبة والفكرة * وهو مذهب ذوي الحنين والطرب * ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس * وهو خلق المحزونين المبتئسين * فالنظر الى مثل هذه ينفي الهم * ويجلو الكرب والغم * ومنهم من يعشق من بها مرح ونزق وطيش وزلزلة وقهقهة * وهو داب السفهآ والجهلا * ومنهم من يعشق المراة لادبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها * وهو مذهب العلمآ والادبا * ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلي والتانق في الملبوس كثيرة الغنج والتمويه * وهو طريقة ذوي السرف والشطط * ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة * وهو شان الفساق الفجار * ومنهم من يعشق الحبتعور الشهوانية المتلعجة الملقسة * وهو خلق من بلغ منه العهر كل مبلغ * ومنهم من يعشق اللاعة الخريدة العفيفة ابتغآ ان يفسدها ثم يتباهى بذلك بين اقرانه * فاذا وصبت له ملها او ارادها ان تكون على غير تلك الحال * وهو عندي شر من عاشق المتوهجة * ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها في محبوبته بحسب اختلاف الاحوال * هذا في الخلق فاما في

الخُلق فالنحيف يهوى السمينة وبالعكس * والاسمر يحب البيضآ وبالعكس * والطويل يحب القصيرة وبالعكس * والاملط يحبّ الكثيرة الشعر وبالعكس * اما النسآ فاحبّ الرجال اليهن الفارس الاتبع * الشجاع الاروع * فاما الغنى والفقر فلا ضابط لهما فان الغنى يتهافت على حب الفقيرة كما يتهافت على حبّ الغنية * بل البخيل من الاغنيآ يوثر حب الفقيرة طمعا في ان يرضيها بالقليل من المال * والغالب ايضا ايثار حبّ الجيل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التى تتصور المخيلة وجودها فيه دون غيره * الا اذا منع مانع جهل بلغته فيحصل للمخيلة انقباض فى تماديها * وكما ان لطف النسآ وقلفطتهن تعجب الرجال ولا سيما فى الفراش كذلك كان يعجب النسآ من الرجال ترازنهم وشيطميتهم * فلا تكاد امراة ترى رجلا على هذه الصفة الا وتقول فى قلبها عند هذا كفايتى وغنآى * وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطَول من الطُول * غير ان النسآ على الاعم يجنين اللذات من كل مجنى ويكرعن من مواردها ما ساغ وما اغص * فمَثَلهن كمثل النحله تجنى من الزهر وان يكن على الدمن * فامّا الغيرة فهى خلق طبيعى فى كل بشر اذا كان سليم الذوق * فان الانسان يغار على متاعه من ان ينتهكه غيره فكيف على حرمته * وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نسائهم فليس على اطلاقه * فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معا اذا علم منها خيانة * نعم انهم يتساهلون معهن فى امور كثيرة ربما تعدّ عند المشرقيين قيادة * الا انها فى نفس الامر وقاية من الخيانة * اذ قد تقرر عندهم ان الرجل اذا حظر امراته عن الخروج وعن معاشرة الغير اغراها بالصدّ * بخلاف ما اذا ارضاها بهذه اللذات الخارجة * ثم انه لما

علم اجتماع المسعسلس ابى الفارياق والبنت خلافا للعادة المالوفة ذاقت امها من ذلك مرارة الصاب * فاستشارت بعض اصدقائها فى امرها فقالوا لها لسنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من الخرجيين * وانت من اعرّ بيت من السوقيين وهما لا يجتمعان * فقالت لهم ليس هو من جرثومة الخرجيين بل هو دخيل فيهم * قالوا لا فرق فى ذلك فان رائحة الخرج ساطعة منه وقد ملأت خياشيمنا وحذّروها منه غاية التحذير * مع انى قد حذّرتهم وامثالهم فى الفصل الذى مرّ من هذا الفصول * فلما علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق من مصالح النسآء * وانما هى مصلحة من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه * والمقصود من الزواج انما هو التراضى والوفاق بين الرجل والمراة * وان ابهمتم ذلك فها انا انذركم انى لست من السوقيين فى شى * فرات امها ان تغيب بها اياما عن ذلك المحل رجآء ان يبعثها البعد على السلوان * فهاجت بها جميع عواصف الهوى فى كلّ من العاسل والمعسول * واليه اشار ابو نواس بقوله * دع عنك لومى فان اللوم اغرآء * فلما رات الامّ ان لا امارة * تمنع البنت من الاشتيارة * ولا جزر * يكفّها عن الجزر * (١) رجعت الى منزلها واستدعت بالفارياق وقالت له * قد علمت ان السوقيين لا يبتغون مصاهرتك * فان كان عزمك على ان تتزوج ابنتى ينبغى لك ان تتسوّق ولو يوما واحدا * قال لا باس * فعلى هذا تسوّق بهم وعقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت * ثم احضرت الآت الطرب ليلا واديرت الكوس وزها مجلس الانس والسرور * والفارياق مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومُعيد على العازفين الاطرآ وقول آه وابه واوه * حتى اذا كلّ يده ولسانه وراى ان عزم الشَرْب ان يسهروا

(١) الجزر سور العسل من خليته

الليلة كلها الى الصباح انسلّ من بينهم وصعد الى السطح لكي يستريح * وكانت الليلة مقمرة من ليالي الصيف * فلما ابطا عليهم ظنوا انه تملّت من الأرْبة فاخذوا في التفتيش عليه كما يفتش على امراة فالك او فارك * فلما وجدوه وعلموا ان نبّته مخالفة لنيتهم اخلوا له ولعروسه حجرة وهمّوا بالانصراف * فقالت الامّ لا او تنظروا باعينكم البصيرة * (١) وسبب ذلك ان عادة اهل مصر في الغالب هي ان يتزوج الرجل المراة من دون ان يعاشرها ويعرف اخلاقها * وانما ينظر اليها نظرة واحدة بان تناوله مثلا فنجان قهوة او كاس شراب بحضرة امها * فان اعجبته خطبها من اهلها والّا كفّ رجله عن زيارتهم * ومنهم من يتزوج ولم يكن راى امراته قط * وذلك بان يبعث اليها امّه او عجوزا من اقاربه ومعارفه او قسيسا فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم * والغالب ان امّ البنت ترشي القسيس ليجيد صفة حسنها فيرغّب الرجل في التزوج بها * ومنهم من يتزوج امراة قاطنة في بلاد بعيدة فيبعث الى احد معارفه في تلك الجهة ليصفها له في كتاب ثم يستخير الله ويرتبط * ومع ذلك فان عيش هولاء المتزوجين على هذا النمط يكون هنيئا * واما في بلاد الشام فعادة اهل المدن كعادة اهل مصر وعادة اهل الجبل مغايرة * فان الرجل هناك يتمكن من رؤية المراة ومعرفة اخلاقها * هذا ولما كان الفارياق قد تعدّى حدود العادة بمصر في كونه اجتمع بالبنت مرارا عديدة في حضور امها وفي غيابها * ارادت امها ان تنفي عنها العار باظهار علامة البكارة * حتى يشيع خبر براءة البنت في جميع البلاد * فان اكثر الناس لا شغل لهم الّا الكلام * واجمعت تلك الرمزة ورآءَ الباب بعد ان جمعوا بين العروسين * يطيّبون الواحد ثم

(١) شيء من الدم يستدل به على الرميّة ودم البكر *

ينادى ويقول افسح الباب باابا برلاج * فظن الفارياق انه يريد الدخول عليهما ليعلّمه كيف يكون العمل * ففتح له فقال له ما هذا الباب [illegible] وانما اردت باب الفَرْج * فرجع الى عروسه واذا باخر يقول لِج اللبّة ياولّاج * وآخر ثبّر الطعنة يابجّاج * وغيره اروِ الصدى يالثجّاج * وآخر أزلِ الزغب ياحلاج * وغيره افرغ السّجل يا[illegible] — اسرع الوطء يازلاج — املأ الوطب يارمّاج — ملّل الملمول يامعّاج — اغطس فى اللجة ياغاطس — افقس البيضة يافافس — أجلِ المسواك ياواص — تسوّر السور يامعاس — روّض المهرة يافارس * وما زالوا به حتى شام ابا عُمَيْر وناول امها الصيرة * فتهللت منهم الوجوه فرحا وحبورا * وصفقت الايدى استبشارا وسرورا * ونطقت الالسن بالنبرئة * وختموها بالتهنئة * ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غانمين * وكادت الام تطول عن الارض شبرا لهذا الفتح المبين *

القصيدتان الطبحيتان

ما كنت اول عاشق بين الورى نسع العنيفة من امام ومن ورا
وراى البكا له معينا شافيا يوما ويوما اضحك المستعبرا
ويكون مصروع الغرام مرتبا متكسا مستقبلا مستدبرا
ومحنبشا ومجمّشا ومدهفشا ومكنّصا ومزنجرا ومعنجرا
ومرنّما رمغنّا ومصفّرا ومشببا ومطبلا ومزمرا
وفيينة مشاسا منمطّا وعبينة منفاعسا مقعنصرا
واذا راى رايا رشيدا كان فى ابرامه مترجّنا متاخرا
والعشق عقّل العقل عن عتويه حتى يضل عن الصواب ويبطرا

التزبب التزيد فى الكلام كالتزبيب وزبّب فمه اجتمع الريق فى صامغيه والتكسس التكلف

فد كنت اعجب ان يقولوا شاعر   ذو جنّة واخال ذلك مفتري

حتى لقيت صُوَيحبيّ كليهما   فاذا هما من طينة الله شُوّرا

خُلِق الجمال لعن صبّ جُنّة   ولقلبه نارا تزيد تسعّرا

لا غرو ان يغدو لحمرة وجه من   يهوى وقد حمل الغرام محمّرا

ياليت يغني المرء يوما واحدا   عنهن من شي يباع ويشترى

لت الجمال لهنّ مثل الملح في   قدر الطعام مهوّما ان كثرا

بل ليتهن خلقن اقبح ما يرى   كيلا نهيم تحيّرا وتخيّرا

لت الكواعب كن فُضُلا حبذا   الطُّرْطُبّ مع لا ياكُبادي منظرا

ياليت ذي الهيفآ دِرْدِحة وذي   الدعسآ فَلحسة فيهنّنا الكرى

لت العيون النجل صيّقة وما   في الثغر من در نظيم صُفّرا

ياليت كانت كلّ ساق فَعْمة   عود الشّكاعى بل ادقّ واصمرا

ياليت لم تصلُت جسّ فوقه   شعر كلَيْل كلّ غرّ غرّرا

ياليت ما في الجسد من عظ بدا   وقصا لاعيننا وسبا منكرا

والحسن ان القبح احسن ملمحا   اذ ليس يبكي العين ما منه يُرى

فلايّ داعٍ كان شغل عقولنا   وقلوبنا بهوى الوثائر اكثرا

ولِمَ اختصصن بكل علق مضنّة   وبكل حلى فاخر دون الورى

وبِمَ ارتفعن على الرجال تطاولاً   ولهنّ تحت تقدما وتاخرا

والى م تصطبر الفحول وقد طغت   افعالهنّ تحيّر المتصبرا

ما خرجن وعقلنا يُخرجن اذ   يدخلن او يخرجن سفه من مرى

ولاي شي لم نكن قود على   من لحظها قلب المتيم قد فرى

ولاي شي حل رشف الريق من   ثغر الوصيف وكان ذلك مسكرا

وعلى م تعتزّ السناط على سمج   تمشي وتصبح بالغرام محسرا

الدردحة المرأة التي طولها وعرضها سوآء والدعسآ العجزآ والفلحسة المرأة الصغيرة العجز *

سلها هل النسور داركما اسفى ... في كل شهر ام تاخر اشهرا

اين المعالى والمكارم اين من ... فخر الانام بعزة وتجبرا

بقعاده اسم العود ان ذكرت له ... طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا

واذا تجمعا سامة في وجهه ... من اى ستر قال انشى عنبرا

ولربما عشق الكبير فنجن من ... ريح من الحسنا تفعم منخرا

ولو ان ذا القرنين جارى كيدها ... لراى الى قرنيه قرنا آخرا

لولا النسا لما رايت مخطا ... ومسفها ومفسقا ومفجرا

ومفلسا ومجبها ومعتنا ... ومكشخنا ومجرسا ومعزرا

ومتيما ومهيما ومسهما ... ومدتما ومذمما ومشهرا

ولما تناثرت الجماجم في الوغى ... تحت السنابك وهى نورى المغفرا

ولما مضت دول بهن لُهَت فبيتها الدمار فاصبحت تحت الثرى

أملت على حوادث الامم التى ... غبرت فقلت مقال من قد حررا

يارب قد فتن النسا عقولنا ... فامسخ محاسنهن قبحا يزدرى

او فاجعلن غشاوة تغشى على ... ابصارنا أو لا فاعم المبصرا

او فاصنا او فاصنا او فالصنا ... او فاخصنا طبعا بصاء بالحرى

التجبيه ان تحمر وجوه الزانييس ويبهلا على جمهور او حار ويطاف بين وجوههما وكان القياس ان يقابل بين وجوههما لانه من التجبيه . والكشخان الديوث وكشخنه قال له ياكشخان *

الثامنة

لمن اشكو وقلبي اليوم من اكبر اعدآى

لمن اشكو وعقلى اليوم معقول باهوآى

وطرفى مسبل لبى ولبى جالب دآى

ولوامى من كانوا اذا غبت اودآى

ولاواتى من الاسو عن لالى من اللاى

وقد افسد آرابى جميعا بعضها اللآى
راى نار الهوى تذكو لاحراق واصلآء
فما بالى باصلآى تلظيها واسلآى
بقول الحتف من لمى وكونى ميت احياء
احب الى من عيشى يوما عيش تيتاء
حياة الضرى تكدير وصفوتها باصفاء
وما ينجع نصح فيه لو كان باتلآ
فهل من حكم ما بيننا يقرو بافتآ
عواديه وذعواه باصباحى وامسآى
وثورته ورشأته لاخزاى واختآى
طغا خطبى فما لى اليوم من آس واسوآى
فباسوآى لا ينغك من لهج باسوآء
ولا تشغلكم هجوى وتقربظى واطرآى
فراسى اليوم امرة لداعى نكس اهوآى
فلا مطمع فى رشد خليع رق اغوآء
اذا وقصت به عنقى فلا تشكوا لاذمآى
وان شججت به راسى فلا تبكوا لادمآى
وان هشمت به سنى فلا تعموا عن إلمآء
وان بخقت به عينى فلا تكروا لاعمآى
حرى المقدور من قدم بتصليلى واشقآى
ملوشآ لابقانى معافى اى اسآ
ولىو شآ لاعمانى عن لقآ سودآ

دعوا ذا الوجد يشقيني ويمنيني باشفاء
وهذا العشق يعنيني ولا تعنوا باشفاى
[illegible] وانشاى
فما يدخل ما بى [illegible]
سوى فظ قسى [illegible]
اذا اسمعتكم عتبا [illegible]
ولا تبقوا على طوقى وجلبابى واعضاى
فان الفدم من يسمع ذا عذل باغضاء
وان الحر من يسمع عتبا تلو ارضاء

الاغانى

[illegible] بان	فى حسنك الفتان
[illegible] فتى ولهان	مبلبل البال
عذب بما ترضاه	لا الجفا اخشاه
قد طال ما اصلاه	وانت لى سالى
يا يوسف الحسن	حوشيت من سجن
هددت بالحزن	اركان امالى
من ذا الذى اغراك	بصد من يهواك
الطرف منه باك	وجسمه بالى
حتام هذا الهجران	والصد والحرمان
حسن بلا احسان	كالشهرق بالالال
محبك الواجد	منك الرضى فاقد

[illegible]

ما القصد ما القصد سواك ياغالى
يافاتن العشاق باللحظ والاحداق
تبارك الخلاق حسنك الكالى
افديك بالمال والروح والآل
وصالك اشهى لى من طول آجالى

غيره

ما ترى عينى مثيلك يارشا فارحم قتيلك
لم يرم الا سلامك ثم ان شئت جميلك
كل ما فيك مليح كبدى منه جريح
بليت تفدى مقامك والهوى فيها صحيح
انت لى يابدر سالى وانا للهجر سالى
من يلم [illegible] لم [illegible]
[illegible]
[illegible] وانا [illegible] تغالى
فيك تعذيبى بوذلى وهيامى اصل مبلى
ليت من يهوى رامك يبتلى بالهجر مثلى
[illegible] بالهجران ذرعا [illegible] كلن ادعى
لم ازل ارعى ذمامك [illegible] لست ترعى
ان [illegible] وصل فعذنى فيك قد احسنت ظنى

اسال الله دوامك فهو لي اشهى نمى
يامليك الحسن طرا معرض المملوك امرا
انمه يوما ملامك ان له احرمت دكرا
طال بالشب عهولى والعفات منك سولي
من راى يوما قوامك راح صتا دا نحول
انما ندرى عرال فاتنى منه الدلال
ياعدولى دع ملامك انما العشق حلال

عسرة

اللعا طبيبى فاض لي ست والهوى نصيى من يوم اشب
ان في حبيبي شكوى رثيت ياصنو العصب ماهذا الجفا
يوسف الجمال دا الهوى صعب نهبت بالدلال شانك العجب
ان سل عن حالى بمقع العسب او نعت سالى لم نفد دوا
من جل الصدود صرت فى دى الحال من مطل الوعود صار جسمى بال
ادمعى شهودى واشتعال البال ليس من محمد عن حكم الهوى
قد رلى لي اللاحى لما عادنى وعلا نواحى ممّا آذنى
وجهك الصاحى صلاّ رادنى بارس الملاح انعم باللقا
مُرْ بما تشاه تلقى مطيع تلقى فداه جهد المستطيع
ولسنى اذكاه شكلك البديع حسدى اصاه منك قول لا
من بعد يوذى بدر مهنى ليس عن الوعد منك حصى
بعض هذا الصد اصل عصى انا ملك وحدك سلى انا

عـــــــرة

ياقاتر الجفون ما بدا لك	حتى جفوت عاشقا حمالك
ويا قضيب البان ما امالك	عن مغرم متوسل وصالك
عذب بما ترضاه يا غزالي	لا الجفا شمائه العذال
انعم بوصل منك يوما بالي	انعم طول العمر ربي مالك
علام تجفوني ومالي ذنب	وما لعلني عن هواك قلب
نحو من اولاك ما تحب	دعني اقتل مرة ادبالك
لم يبق لي على الصدود طوق	وعال صبري عنك هذا الشوق
وليس لي الى سواك شوق	وهل لعيني ان ترى امثالك
احرمت طرفي في الليالي غمضا	وقلت ارضى علّه ان يرضى
فهل ترى صدك عني فرضا	فمن يسلى قارسا افنى لك
فاستدلك الله السلي سولي	وكن رفيقا بي فاماموني
تكفي الذي تراه من نحولي	نعد رب العرش مد حالك

مـــسيرة

يابدر قل لي	هذا الهجران	تغوي اليه	أم اصبيته
خذ لي بوصل	ياغصن البان	توجر عليه	او في النية
ما القصد الا	يوما مرآك	فالصب صار	في بليه
لا تجف عدلا	متى افراك	فهو اسار	بالاذنيه
نعمت بالا	انعم بالي	ياذا الجفون	الهنديه
وطبت حالا	طبت حالي	على سجون	في الطويه
فقت الانام	بما حويت	من الجمال	الملكيه

ومك راما عهد سبت بدا الدلال قرب الطيبه
كم دا البطال ولا وصال ليست نرام دى السجيه
مذى الفعال ياوب الجمال وذا الغرام لى مبتليه
انت المراد دون الانام لا بد لك في البريه
فما سعاد بين الوسام انت ملك او حوريه

غيره

الى متى يابدرلى انت المنى كلّ جنى ملك الرضى الّا انا
يافاتنى بالبرق لما تخطر وساحنى اد جرت شررا تنطر
قد شاقنى مبسم الثغر الازهر واستافنى وجدى الى حدّ المنا
بى كلّما الفاك منى محرما وجد نما لكن جسمى امرضا
ياذا اللمى حتام لاتبدى الرضى صل مغرما البسته هذا الضنا
سبحان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قد فتن صبّا به اسى عميد
انت الحسن والشوق فى قلبى يزيد ان الشجن للعظم منى اوهنا
كلّفت فى دا العشق تبريح الجوى حتى نفى لكن هيهات الوفا
هل منصفى مما به يقضى الهوى او مسعفى خدن على نيل المنى
يابدر لا تسمع مقال العادل وارع الولا ناهيك وجدى قاتلى
فقت الملا حسنا فرق بالنائل جد بالطلا من فيك ياحلو الجنى

غيره

اذا امر الهوى رابك فلا تفتح له بابك
ولا تشغل به دابك يسمك الحزن والهما
انيت العشق من بابه وعللت باكوابه

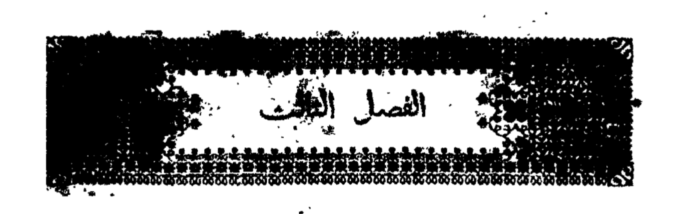
فما قد دقت من صابه   دعاني لم ادق طعما
هو العشق له مبدا   ولا نلتقي له حدّا
يذيق العاشق السهدا   ويبلي الجلد والعظما
اناس قد كوى قلبي   بهذا الدلّ والعجب .
اذا لم تسمع عني   فمن اشكو له السقما
ساهي بي الذي اجد   من الشوق الذي يقد
فدتك الروح والجسد   فكن يوما معي سلما
لقد افرطتَ في هجري   وملّكت الهوى امري
فلا والله ما ادري   اسحرا كان ام حلما
عسى او علّ ان تشفي   عليلا منك يستشفي
ونيران الهوى تطفي   فعدل نطقا وحد مهما
عدا مضناك باحت   له صبر ولا قلب
ودمع فيك منصب   لان تسقي نفيك الما

غيره

طيري لا صبر   لا اسلو عنه ساعة   ياأهل الخير   حلّ ومتيم من راعه
دمعي سكب   ونار شوقي لا تخبو   ولي قلب   الهوى بدى الطاعة
انا الهائم   عن حب السوى صائم   ليلي قائم   لا اغفي فيه ساعة
اشكو الوجدا   ولم تزد الا صدّا   فارحم عبدا   قد نوّعت اوجاعه
مالي صبر   وكيف صبري يابدر   ودا الهجر   اشقى نفسي الطمّاعة
طعا الهجران   وما يشفي الصب الولهان مثل السلوان   لكن نفسي نزّاعة
اراني السين   انواع الضنا والحُزْنْ   وعشق الزين   مني فوق الاستطاعة
دوام الصد   لم يترك للمضني حد   وليس العد   ينسى عبد اطاعة

غيرة

[illegible] تسبى [illegible] يا
[illegible]
[illegible] من صدودى ... يا [illegible]
[illegible] مهودى ... ولم تبل [illegible]
[illegible] منى كبيرا ... وكان وصلى احرى
[illegible] الصبرا ... من فرط ما دهانى
[illegible] القالا ... وطبت منى بالالا
قل لى [illegible] لا لا ... فالمطل قد اضنانى
[illegible] مال ... ياسيد الحسن حالى
[illegible] منالى ... اما كفى اشجانى
[illegible] من قد ابدع ... هذا المحيا الاروع
والحسن طرا اودع ... فى طرفك الفتان
إن الهوى هوان ... تضنى به الابدان
ما اختاره انسان ... الا وكان العانى
مولاى يامولايا ... يامنتهى منايا
لا تتخذن سوايا ... وتسلنى بثانى



الفصل الثالث

في العدوى

قد تقدم في المقامة الاولى ان عدوى الشرافشي من عدوى الخير * وان
الاجوف قد يعدي اهل المصر جميعا بخلاف الصحيح فانه لا يعدي احدا
من جيرانه * وهذا يرى ايضا في الامراض العقلية والقلبية * وشاهده على ما قالوه
ان معلمي الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم اياهم ترك عقولهم ويافن
رايهم * وكذلك المكثرون من مخالطة النسآ فان قلوبهم ترق وطباعهم
تتخنث * فيتجردون عن تلك الشهامة والبسالة المختصة بالصيدين من
الناس * وقد اعرف كثيرا من ابنآ جنسي الذين عاشروا الافرنج لم تسترق
طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل * فصار احدهم لا يحو[illegible] المائدة
[illegible] التي اكل منها مثلها لا تحتاج بعد [illegible] غسل * واذا
حضر مجلسا انحى على احد شقيه وزقع زقعة يدوي منها المجلس *
وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزي اي اعذروني * ومنهم من يلبس هذه
النعال الافرنجية [illegible] وسادتك [illegible] العربية * او يرخي شعره كشعر
المراة واول ما يستقر به [illegible] قبعته ويطفق يزرع في حجرتك
ما يتعاظر من جبريته * ومنهم من اذا ضمه مجلس بين اخوانه ومعارفه
او غيرهم وراى فيه اديبين يتساجلان او يرويان النوادر الغريبة اخذ

في التصفير * ولكن تصفيرا مختلا خلاسيا اى غير افرنجي مُحت ولا عربي مُحتم * اذ لم يكن قد عاشر الافرنج مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا الفن الجليل * ومنهم من يمد رجله الى ان تلتقي وجه جليسه * ومنهم من ياتيك زائرا ولا يبرح ينظر في كل هنيهة الى ساعته اشارة الى انه كثير الاشغال جم المصالح * مع انه يلبث عندك حتى يراك تهوّم من النعاس * او يراك قد حلت وسادتك وقلت شفى الله مريضكم * كما قال الاخفش لمن عادوه في مرضه * مع ان للافرنج فضائل كثيرة لا تنكر * منها انهم يرون في استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيبا * ومنها انه اذا زار احدهم خليلا له ووراه مشغولا رجع على عقبيه من حيث جآ فلا يقعد ينتظره حتى يفرغ من شغله * بل لو وجده متفرغا خفف قعوده عنده ما امكن * واذا راى على مائدته كراريس او صحفا لم يتلقفها ليقراها ويفهم مضمونها * ومنها انه اذا كان للمزور منهم ولد مريض او كانت زوجته قد وضعت او مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر للسلام والكلام فيما لا طائل تحته * ومنها ان احدهم لا يتزوج امراة الا بعد ان يراها ويعاشرها * وانهم يبوسون ايدى النسآ ووجوه بناتهن وما يرون في ذلك معرّة وانحطاط قدر * وانه ليس عندهم أوشن (١) ولا ضَيفن ولا مُزَوِر * ولا يقول احدهم لصاحبه اعرني منديلك كي امخط فيه او آلتك كي احتقن بها * ومنها تساهلهم مع المولفين وحلهم ما يصدر منهم من الجهل والخطا مَحمَل السهو او الاغراب * فلا يتعنتون مثلا على من قال فلان شمّ النرجس وحبق * او حبق وشم النرجس * او شم فحبق او ثم حبق * والمولفون عندنا لا يجوزون ذلك * وفي كتاب الّفه احد معارفي موزع الدبار الشامية باللغة الانكليزية في احوال تلك البلاد واخلاق اهلها *

(١) الرجل الذى ياتى الرجل ويقعد معه وياكل طعامه *

بعد ان وصف عرسا حضره فى دمشق ذكر انهم ختموا العرس باغنية لم يزل ذاكرا لها بحروفها * وقد راى تفضلا منه ان يترجمها الى اللغة المذكورة * وهى فى الحقيقة مرثية فى امراة اذكر منها بيتين وهما

بالله يافبر هل زالت محاسنها   وهل تغير ذاك المنظر النضر
ما انت يافبر بستان ولا فلك   فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانكليز حملوا روايته على الاغراب ولم يخطّئه احد منهم بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع ان يختموا اعراسهم بالمراثى المبكية * ولكن لو كانت روايته هذه فى اللغة العربية وبلغت مسامع اهلها لعقدوا عليه مجلسين احدهما عامّى والآخر خاصّى ففى العامّى يقول احدهم ما شآ الله ياخى مرثيه فى ختام العرس اسمعوا ياناس وتعجبوا من حذق هذا الراوى * فيقول الاخر اى والله مرثيه بدل الغنا عمركم ياناس سمعتوا كلام زى دا * فيقول غيره لا حول ولا قوة الا بالله ما لقيش المغفل دى الا الرثآ يجعله فى ختام العرس * فيقول آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنش غفله اعظم من دى اهل العرس يختموا فرحهم بمرثيه وما يتطيروش * فيقول غيره الله على دى الراوى هو معقل ولّا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دى ويملا كتابه بالهجس والكلام الفارغ * فيقول آخر ياسلام دى والله اغرب ما سمعت ان الناس يستعملوا النواح عوض الغنآ والبكآ عوض الضحك والصفع على القفا بدل المصافحة باليد * فيقول غيره ولكن الناس دول اللّى قروا كتابه حمير ولّا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانيا) ياخواجا (او اذا كان مسلما او مستسلما) ياافندى اهل بلادك ينطيروا و يتشاموا كثير فما يصحّش

ان الرقآ عندهم يستعمل فى الاعراس * فيقول الاخر سبحان الله هو جار ضحك على حمير ياخي خلونا منه * فيقول غيره لا اله الا الله نحب نعرف السيرة ايه ان كان كلامه دا جدّ ولّا مزح * فيقول آخر مزح ازّاى اللى هو طابعه فى كتاب ينباع فى الدكاكين وصوّر عليه صورته بسيف وحمايل وازرار * فيقول غيره بقا نقول ازّاى يبقى الانكليز يبلعوا كل شي يستفرغه فى حلقهم الغريب اللى عنده سيف بازرار وحمايل * فيقول آخر اظن الافرنج كلهم يصدقوا الخرافات * فيقول آخر ياخي دا باب واسع اول الكلام واخره غفلة من الراوى وحماقة من السامعين * الى غير ذلك من الانتقاد والتعنّت * فاما فى المجلس الخاصّى فان القضية تبلغ فيه مبلغا اعظم من ذلك واخطر * فانهم يصورونها فى صور فتاوى علمية واجوبة فقهية فيستفتى اعظم ادبآء المجلس قائلا * ما قول امام الادبآ * وتاج الالبا * فى مولّف زعم ان اهل الشام يستعملون المراثى فى ختام اعراسهم * فهل تقبل له شهادة اوْ لا * الجواب * لا تقبل له شهادة عندنا على ذنبْ جار * وان باع كل نسخة من كتابه عند الافرنج بدينار * صورة استفتآ آخر * ما قول عمدة المصنفين * وقدوة المولّفين * فى مدّع ادعى انه سمع بكلتا اذنيه مرثية تنشد فى ختام عرس فى الشام الشريف * فهل يصدق كلامه وتجوز مطالعة كتابه او لا * الجواب * لا يصدّق ولا يوثق بما راه بعينيه لا فى الليل ولا فى النهار * ولا بما سمعه باذنيه وان كانتا كاذنى الحمار * استفتآ آخر * ما قول من كلامه مزيل للايهام * وموضح للابهام * فى كاتب اودع فى كتاب الّفه كثيرا من الروايات الهَذاهذية (١) والحكايات الاقشاسيّة * وزعم فى جملة ما قاله ان اهل الشام ينشدون المراثى فى ختام اعراسهم * فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب او لا * الجواب *

(١) الهَذاهذ الذين يقولون لكل من راوه هذا منهم او من خدمهم *

من كذب في قصية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذبا في سائر القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب * استفتآ آخر ما قول اجل النقاد * وجهة ذوى الرشاد * فى رجل الّف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيرا من الامرآ والوزرآ * والقضاة والعلمآ * وانهم له اصحاب وخلّان * وانساب واخوان * ثم ذكر في موضع من الكتاب انه حضر عرسا في دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والرياحين * والمغنيات والمغنين * وكان ختام ما غنّوا به مرثية قيلت في امراة * فهل على فرض كونه كاذبا في هذه تشفع له معرفته بالوزرآ في تصديقه بغيرها * الجواب * ما هو بصادق في هذه ولا في غيرها ولا تشفع له معرفته بالامرآ في شي كما ورد

لن تنفع الراوى لافاك نحلته   بانه يعرف لاعيان والامرا

استفتآ آخر * ما قول من لا يعلو قول على قوله * ولا يقطع امر الا بفصله * في رجل ذى رُوآ * وسراويلات مفرسخة من امام ومن ورآ * الّف كتابا ضمنه ما سمعه وما رآه في بلاده * وكان من جملة ذلك قوله انه راى عروسا تزفّ وتُنشد بين يديها مرثية في امراة * فهل يعتمد على رُوائه بالاخذ في روايته * الجواب * ليست الرواية من الروآ * ولا يعتمد على زيّه * في الاخبار عن ميته وحيّه * كما ورد

لن تنفع الراوى لافاك حليته   ولا سراويله ان فاه او سطرا

استفتآ آخر * ما قول عمدة الانام * عفا عنه الملك العلام * في رجل تصدقه العجم * وتاخذ بكلامه في كل امر اهم * وتقرّ عيون نسائهم بالنظر الى لحيته * وسراويلاته وحليته * وكشرته وجلقته * وخرعته وجلعته * فيخطبهن

خلبا * وياسوهن غواما وحبا * الّف كتابا اودعه من اخبار اهل بلاده اى بلادنا ما شاقهن واعجبهن * وشهّاهنّ وعرّبهن * فمن جملة ذلك انه شهد محفلا حفيلا * وعرسا جليلا * قد زيّن بالانوار الزاهره * والوجوه الناضره * والمآكل القديه * والمشارب الهنيّه * والمشمومات الذكيه * فلما شرع فى زفاف العروس الى بعلها * واستبشرت الوجوه بفتح قفلها * اذا بمنشدين ومنشدات * ومطّربين ومطربات * وقفوا بين يدى العروس * وعلى وجوههم سيما الحزن والعبوس * وشرعوا ينشدون مرثية طويلة * فى امراة توفيت مذ سنين غير قليلة * فهل يصدق وصفه * ويشفع له فيه خلبه للاعاجم وصرفه * وحزبه منهم وحلفه * وقدامه وخلفه * الجواب * لا يوخذ بكلامه فيما افتراه * وان كان له اخدان من العجم على عدد شعرات قفاه * كما ورد

لن تنفع الرواى للافّاك شيعته من الاعاجم لا يدرون ما هذرا

مع ان كلام المولف لم يضرّ باهل بلاده شيا يوجب التحزّب عليه * فغاية ما يقال فيه انه نسبهم الى وضع الشى فى غير محله * ولكن هذه عادتهم فى التعنيت فلا يكاد يسلم منهم مولّف * ولو ان صاحب هذا الكتاب المذكور قال للانكليز ان الرجال فى بلاده يلبسون الليف والخوص * والنسآء يتزيّن بالخزف والشقف * ويتكلمن وافواههن مطبقة * وينظرن وعيونهن مغمضة * ويسمعن واذانهن مسدودة * ويرقدن ساعة فى الضحى * ونصف ساعة فى الظهر * وساعة وربعا فى العصر * وساعتين الّا ربعا فى المسآ وثلث ساعات الّا ثلثا فى الليل * لعدّوا ذلك منه اغرابا *

ومن هذا القبيل اى من قبيل استراق الانسان مذامّ عشيرة دون محامده

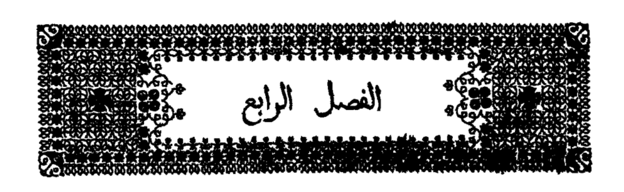
كان اظهار البصيرة اى علامة البكارة المشار اليها * فانها عدوى سرت الى نصارى المشرق من اليهود على ما ذكر فى كتبهم * مع ان لهذا الجيل ايضا فضائل كثيرة عرفوا بها من قديم الزمان الى الآن * منها درايتهم بجمع الاموال والجواهر ومعاطاتهم الحرف الخفيفة اللطيفة كالصيرفية والنقد والقرض * وصبغ ما هو قديم من الثياب حتى ياتى جديدا * ومن ذلك حبّ بعضهم بعضا بحيث ان الغريب فيهم من جنسهم لا يحتاج الى ان يتكفف ما فى ايدى الناس ممن سواهم * ولا يخاف ان يعوزه المال وهو بين ظهرانيهم فيتقوّت بالجذور * او يكون خُلطا فيبيح عرضه للاجانب * بل يلقى فى كل بلد نزله وكان فيه اناس من جيله اهلاً وسكنا * ومنها انهم قد اصطلحوا على لغة يعبّرون بها عما يخطر ببالهم من المصالح المعاشية * ولا فرق بين يهودى من اقصى المغرب وآخر من اقصى المشرق فى الاخلاق والاطوار والعادات والراى * بخلاف النصارى فان النصرانى المشرقى اذا قدم الى بلاد النصارى الغربيّين فاول ما يحيّونه عند رؤيتهم له قولهم هذا يهوديّ او تركى * ثم هو اذا احتاج الى مبيت او طعام من عندهم ابلغوه الى رئيس ديوان البوليس فصانه هناك فى موضع لا نور فيه ولا هوا الى ان يقضى عليه القاضى * كما جرى هذه السنة على امير القفّة الذى قدم من دير القمر الى باريس * وان يكن موسرا وجاء بلادهم للتفرّج عليها غبنه منهم من غبن وخدعه من خدع وسرقه من سرق وقامره من قمر حتى يرجع الى وطنه منتوفا مسلوخا * فكيف تركت نصارى الشرق جميع هذه الصفات التى اتصفت بها اليهود وتعلموا منهم تلك الخصلة التى لا يتاتّى عنها الا الغصّة والحسد * فهل يسوغ للغنى فى مذهب من المذاهب ان ياخذ دنانيره فى يديه ويعبث بها فى عين

الفقير الصعلوك حالة كونه لا يملك منها قراصة * او للشبعان ان يلوّح بشربدته للجائع اللاهس * فان قلت ان ذلك امر طبيعي وان العلامة انما يراها في الغالب المتزوجون فلا وجه للحسد * قلت لو كانت هذه العادة طبيعية لكنّا نراها مستعملة عند جميع الامم * وهولآء الافرنج الذين هم اكثر دراية وعلما في الطبيعيات لا يستعملونها * لا بل يفنّدون مستعملها ويقولون ان العُقْر يكون غالبا سببا في العُقْر(ا) * وان العروس منهم اول ما يحسّ بالانشوطة قد عقدت في عنقه ياخذ عروسه ويعتزل بها في ناحية لا يبصره فيها احد من خلق الله مجانبة لاسباب الحسد * الموجب للنغص والكمد * فلا يرون ان سرور شخص واحد يكون سببا في حزن جماعة * وانما قلت الانشوطة لان عقدة الزواج عندهم تنحلّ باسباب كثيرة * فاما قولك ان العلامة انما يراها المتزوجون فلا وجه للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب والموأربة * او هو ولا مواخذة بما اقول كلام من لا بصيرة له ولا خُبْر * فقد اجمع العلمآ كلهم المتبلّغ منهم والمقتّر والمتكفف والمعترّ والعريان وذو الرعابيل والمسجون والمكبّل والمشكوّ والمرغم انفه على ان المتزوّج اضيق عينا بالحسد من العزب * وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته اسعد منه حالا فلا يفكّر الا في وجه اسعديته دون اشقويته * ولما كانت ليلة الدخول بالعروس من الليالي الغرآ وان تكن حالكة كانت مظنّة لان تنشي الحسد في صدر الخبير بها من دون تذكير لما يعقبها * وفي المثل وما ينبئك مثل خبير * هذا واني استميح العفو من الجناب الاكرم * المقرّ الافخم * حضرة الصِيّر المكرم * عما اريد ان اساله عنه على وجه الاستفادة لا الانتقاد فاقول * من اين تعلم باذا البصيرة ان تلك البصيرة التي

(ا) العُقْر استبرآ المراة لينظر ابكر ام غير بكر *

بخصب بها المنديل وبعقد على عَلَم ابذانا ببكارة البنت هى علامة البكارة * افليس من الممكن ان يكون ليلة الدخول بها قد فار [illegible] فاص المسجور * او بقيت منه عقابيل * دبّج بها ذلك المنديل * او يكون الرجل قد ذبح عصفورا او جرح احدى اصابعه اذا كان هو الذى سبق الى اقتطاف تلك الوردة * او ان تكون البنت قد ادخرت فى ذلك الصوان شيا من الدم * فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد التذوّق * قلت لعمرى ولعمر ابيك ان تلك الساعة ليست وقت وَعْى ومعقول * بل وقت دهشة وذهول * ولا سيما اذا وقف ورآء الباب جماعة يضجّون ويعجّون * ويلحّون ويلجّون * فأفِد الجواب من ذلك * وها انا منتظرة من هنا وهنالك





الفصل الرابع

في التورية

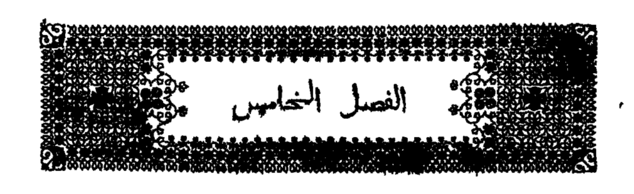
من عادة امثالي من المولفين ان يقهقروا احيانا ويطفروا فوق مدة من الزمان ويلحقوا واقعة جرت قبلها باخرى بعدها * وذلك يسمى عندهم التورية اى جعل الشي ورآ * وانهم ايضا يبتدئون بذكر صفات الشخص الذى بنوا عليه مولفهم منذ ابتدائه مناغاة محبوبته الى وقت خفوته فى الزواج * ويذكرون فى خلال ذلك امورا طويلة مملة وذلك كصفرة وجهه عند لقائها وتغير حركات نبضه وبهرة وعيّة عن الجواب وبعثه اليها عجوزا او كتابا واجتماعه بها فى مكان كذا وزمان كذا * وكتحيّفها الوانا عند قوله لها الفراش * الضمّ * العناق * الساق على الساق * الرصب * الملاسنه * البعال وما اشبه ذلك * وربما اساوا الادب ايضا فى حق الاب والام * فانهم كثيرا ما يصرحون بان الام نرضى بان تكون ابنتها فتنة لناظريها * وتتساهل معها فى تهنيد زمرة من الرجال لتقاسمها منهم شطرا * وانّ الاب من حيث ان حجره فى حجر امراته لا فى راسه لا يمكنه منع تلك الاسباب * وان الخَدَمة لا يكونون الّا ذوى حَذْل مع المراة على الرجل * فالخوادم للافندآ بسيرة سيدتهن والخادمون للطمع فيهاء وفى الجملة فانهم يجعلون بيت البنت المعشوقة دسكرة وماخورا وحابورا

ومنبتا لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد * وكل من اضافني هولآ المولفين يخترع حيلة من راسه ويعزوها الى غيره * اما الطفرة الى ورآ فعندي انه لا باس بها اذا كان المولف راى مذهب التاليف قد سدّ امامه ثم يعود الى ما كان عليه * واما تبليغ الرجل الى سرير عروسه ثم اطباق الكتاب عليهما من دون ملاوصة لمعرفة احوالهما بعد ذلك فلست ارضى به * اذ لا بدّ لي من ان اعرف ما جرى عليهما بعد الزواج * فان كثيرا من النسآء اللآي يُحسَبن اناثا قبل تولي هذه الرتبة الشريفة يصرن بعدها رجالا كما ان الرجال تصير نسآ * من اجل ذلك رايت ان انتبّع الفارياق بعد زواجه اكثر من تتبّعي اياه قبله * اذ الكلام على اثنين ادعى الى العجب منه على واحد * فاما الاسغاف للامور الخسيسة والدعلقة والدنوق فليس من شاني * فائذن لي اذا ياسيدي ورخصي لي ياسيدتي في ان استعمل الطفرة واقول * ان الفارياق حين كان مرتبقا بربقة الحب قبل الزواج كان قد استدعى به احد الخرجيين في جزيرة البُخْر اي في الجزيرة التي يتكلّم اهلها بلغة منتنة ليكون عنده بمنزلة معبّر للاحلام باجرة اكثر مما كان له عند الخرجي [illegible] [illegible] ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل [illegible] بها بمدة * فقالت [illegible] باس فان للرجل حقا على امراته ان يستصحبها حيث شآء * وان كل بقعة من الارض تكون لها في صحبته مغنى ووطنا * ثم اخبر امها بذلك فرضيت * فلما [illegible] [illegible] بالزواج واحكمت عقدته قال الفارياق لزوجته ينبغي [illegible] ان تتاهّب للسفر * لان احلام الخرجي قد تكاثرت في راسه ويخشى ان يفوته تعبيرها * فقالت أَوَ ذلك من جدّ * هل جرت عادة النسآ بان يسافرن عقب الزواج ويعرّضن انفسهن للغم

[illegible] البس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر * كيف افارق اخواني واهلي واذهب الى بلاد ما لي بها من صديق ولا خدين * قال ما [illegible] [illegible] [illegible] قبل * قالت ما كنت لاعلم من [illegible] [illegible] الناس بالسعوط الذي يعطيه الطبيب للنائم او للسكران حتى يفيق * قد علمت الان ان المرأة لم تخلق للسفر وانما خلق السفر لها * قال اني وعدت الرجل بان اسافر اليه فلا بد من انجاز الوعد * فقد يقال في المثل ان الرجل يربط بلسانه لا بقرنه * [illegible] ذلك [illegible] خرجينا هذا مسافر معنا بامرأته فانت مثلها * قالت ما انا كزوجة الخرجي فاني الان حديثة الصبغ وفي برزخ البكر والمتزوجة * ولم اعلم بعد من الارض حتى ادخل البحر * فلما علمت امها بذلك الحت عليها [illegible] السفر * [illegible] دعوني اذا استشير طبيبا لاعلم هل سفر البحر يضر بالمتزوجة [illegible] * فجيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقال * انكم يا [illegible] الشرق تنذرون النذور للكنائس رجاء ان يمن عليكم صاحب الكنيسة بالحبل او الشفاء من بعض الامراض * واما نحن فننذر للبحر * فان النسا عندنا حين ييأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي ويلتمسن بركته * فمنهن من ترجع حبلى بفذ ومنهن من تضع توأمين * ولا سيما اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنسا يطعمهن ما يشتهين * فقال الفارياق في نفسه اللهم اجعل ربان سفينتنا عنيفا شرسا نكدا شكسا فظا عسرا * فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر * فمن ثم اخذوا له الاهبة وسافروا الى الاسكندرية * اما السفر من بولاق في القنج فانه من اعظم اللذات التي ينشرح لها الصدر * فان النيل لا يكون الا ساجيا * وريس القنجة يقف قبالة كل قرية ليتزودوا منها الدجاج

والفاكهة الطريئة واللبن والبيض وغير ذلك * وناهيك بما آلنيل مذوية ومصحة * فالراكب في احدى هذه القنج لا يزال طول نهاره آكلا مسرورا قرير العين بما يراه من نضرة الريف وخصب القرى * حتى يودّ لو تطول مدة سفره فيه وان كان في قضآ امر مهمّ * فاغتنم الفارياق ج هذه الفرصة وامعن في قضآ الاعذبين ونسى مصر ولذاتها * ونعيمها وحاماتها * ورَمَدها وآفاتها * والكتب ومشايخها * والاخراج وتخاتخها * والمكاتب وبرابخها * والطنبور واوتاره * والحمار وفراره * والطبيب وقنذعيته * وصاحب المعجزة وهجرعيته * والسرى ورائحته * والوبا وجائحته * وما زال على هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية شبعان ريّان * وقد تزوّد ما يقوم بحاجة البطالة في البحر الملح * وفاز ونجح اى فوز واى نجح





الفصل الخامس

فى سفر وتصحيح غلط اشتهر

كان البوجى رفيق الفارياق فى السفر قد كتب كتابا من مصر الى بعض معارفه بالاسكندرية ليهيّئ له نُزُلا * فلما وصلوا اليها اقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التى تسافر الى الجزيرة * وكانوا جميعا ياكلون على مائدة واحدة ويتفاوضون فى المصالح الخرجية وفى السفر وغيره * وكانت زوجة الفارياق لا تدرى شيا سوى بيت اهلها * ولا تتكلم فى امر الا فيما جرى لها مع امها او لامها مع الخادمة او لهذه معهما * وكانت اذا اخبرت مثلا بان الخادمة ذهبت الى السوق لتشترى شيا تخللت كل جملة بضحكة طويلة * فاقتضى لاخبارها من الوقت نحو ما كان اقتضى للخادمة من الذهاب والاياب * وسبب ذلك ان البنات فى مصر والشام لا يعاشرن احدا سوى الخوادم واهل البيت * اما امهاتهن فلا يطالعنهن بشى من امور الدنيا مخافة ان تنجلى الغشاوة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها * فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير * ولما كنّ هولاء يرين ان فى اخبار البنات بما يهوين ويملن اليه بالطبع خيرًا لهن عظيما * فاذا رات احداهن مثلا فتى جميلا بادرت من ساعتها الى البنت وقالت لها * قد رايت اليوم ياسيدتى

شابا مليحا طريفا لا يصلح الا لك * وانه حين نظرني وقف وشخص الىّ وكانه كان يريد ان يكلمني * واخاله عرف انك انت سيدتي فاذا رايته المرة الآتية كلّمته * واشباه ذلك من الكلام ممّا يجعل البنت ذات ضَلْع معها اذا غضبت منها الامّ * ولا يخفى ان البنات اذا كنّ جاهلات بالقرآة والكتابة وحسن المحاضرة وبآداب المجلس والمائدة وغيرها * فلا بد وان يتعوّضن عن هذا الجهل بمعرفة الحيل والمكايد التي يتخذنها وسيلة لما يرمن * فان البنت اذا اشتغلت بقرآة فنّ من الفنون او بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط الحِيل * واما اذا لم يكن لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة فان افكارهن واهوآهن كلها تتجمّع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهنّ وسندا * فكلامها عندهن اصدق من كلام امهاتهن * فالأولى عندي انا العبد الحقير ان تشغل البنت باحد الفنون والعلوم النافعة سوآ كان ذلك عقليا او يدويا * ألاترى ان الانثى مفطورة على حب الذكر والذكر على الانثى * فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع احوالهم * بل ربما افضى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اليهم من دون نظر في العواقب * بخلاف ما اذا كنّ تادّبن بالمحامد والعلم اللائق بهن فانهن ح يعرفن ما يعرفن من الرجال عنْ تبصّر وتدبر * وهناك فضية اخرى وهي ان النسآ اذا علمن من انفسهن انهن اكفآء الرجال في الدراية والمعارف تترسّن دونهم بمعارفهن وتحصّن بها عند تطاول الرجال عليهن * بل الرجال انفسهم يشعرون بفضلهن فيرتدعون عن ان يهتكوا حجاب التادب معهن * مثال ذلك اذا اجتمع غلام وبنت في خلوة وكان الغلام قد قرا ودرى والبنت لم تعرف شيا غير ذكر اللباس

والزينة والخروج الى البستان * لم يلبث الغلام ان يتعدى طور الادب معها لاعتقاده انها لم تعط من الدنيا الا لتسر وطوره بها بخلاف ما اذا رآها ذات راى [illegible] وفكرة [illegible] وفهم للامور البعيدة والقريبة [illegible] ومحاضرة [illegible] ومعارضات ومماتنات فانه والحالة هذه يهابها ويحترمها * اليس كلامى هذا مخالفا لما قلته فى انصاب [illegible] بانشاب البراثن * وانما العبرة باختلاف وسائل العلم * [illegible] من هذا الاستطراد كله ان نقول ان زوجة الفارياق وان يكن [illegible] فاتها كثير من معلومات الرجال والنسا فقد ابدت من المعارضة لامها عند تصادم [illegible] الزواج بمفسدة خرجية الفارياق ما افحم المجادل * وابكم المناضل * لكنها بقيت فى غير ذلك جاهله * فان الفارياق لما كان ذات يوم على المائدة اخبره الخرجي بقدوم سفينة النار وحثه على التاهب للسفر * فسمعت بذكر سفينة النار فقالت ما معنى [illegible] فقال لها الخرجي هى سفينة ذات الواح ودسر وانما تسير بقوة بخار النار * قالت وابن النار * قال فى قميص بها * قالت يا للداهية كيف اسافر فى سفينة فيها قميص واعرض نفسى للنار * اليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون فى الفنج كسفرنا من بولاق * قال ان الفنج لا تصلح للبحر الكبير * قالت اما انا فلا اسافر ويسافر من يريد ان يحترق * فترضاها الخرجي وزوجته فابت * فلما حان الرقاد اضطجعت فى الفراش وادارت وجهها الى وجه الحائط * وهذا هو المقصود من هذا الفصل ننبيها للناس على ان هذه العادة هى من جمله العادات التى احطاوا استعمالها * اذ ليس فى الادبار شى يدل على العبط * بل الاقبال هو المظنة له * فان المراة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها فى وجهه وروت

[illegible] حاجبيها او شمخت بانفها او سدّت [illegible] عينيها كلا نشم رائحته وتبصر سحنته او غطتهما بيديها [illegible] بمزيد [illegible] كان ذلك اشارة الى الغيظ * فاما فى تولية الدبر فلا علامة تدل عليه * فان قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نَفَسه * اذ الرائحة الكريهة لابد وان تفعم المناخر وان سُدّت فلا محيص منه الا بالادبار * قلت الاولى ان تستلقى فيندفع المحذور * وبعد فان الدبر هى من الاشيآء التى طالما عُنى الناس بتفخيمها وتكبيرها وتعظيمها حسّا ومعنى * امّا حسّا فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافج والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل والمرافق والمعظّامات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتذابا لقلوب الناظرين * وفتنة لعقول العاشقين * فكيف يكون شى واحد مستعملا وسيلة للرضى والغضب معا فهو خُلْف بيّن * واما معنًى فلان العلمآ والادبآ وسادتنا الشعرآ ما زالوا يتغزلون بها ويتنافسون فى عرضها وسعتها * حتى ان بعضهم قال

من راى مثل حبّتى [illegible] البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرها [illegible] غدا

[illegible] عمرو بن كلثوم

وماكمة يضيق الباب عنها [illegible] جنونا

ولقائل [illegible] ان الشاعر [illegible] يصف الخصر لا بكونه موجبا لجنونه * [illegible] الى كونه نحيلا [illegible] جنون الناس به اذا كان كذلك غير ناصّة * واحرى [illegible] ان يكون هذا المفهوم الضمنىّ جاريا على وصف كل خصر * اذ لو قال وماكمة جننت بها جنونا لعلم بالبديهة انها تملا الباب ويفضل منها شى * وياليت شعرى هل الالف واللام فى الباب

للعهد النجسى ... ... الامام الزورنى تعرض لشرح ذلك ... ثم انه من اهم ما ... ... الليالى * هو ان تفتن ناظرها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع العالى * ... ... من وجهها وسائر جسدها وغادرته بلا ... فرط ... * ولو تصمر وجهها وذوت غضاضة بدنها لمرض او كبر فقل اعمالها على محاسنها لم تبرح معتمدة عليه ومتعهدة له * فهو عندها ... ... الخلب والتشويق * وما من امراة الا وتتمنى ان يكون لها عين فى قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعهدة له دائما * ولقد يهون عليها ان تقف ساعة او تمشى ساعتين او ترقص ثلثا ولا ان تقعد هنيهة خشية من ان ... او يضمر * وانها حين تنظر الى عطفها وهى ماشية او راقصة فما هى الا رمز الى ما وراءه * وان تهدكرها و... هما انسب مصلاة يعلق بها قلب الرجل * وذلك لانها تعلم ان الحكمة الخالقية ... ... تكون كثرة اللحم والشحم فى ذلك الموضع * بالنسبة ... البدن لا بالنسبة الى دكاكين اللحامين * شائقة للملوك ... السلاطين * والامرا والقضاة والائمة والقسيسين * والاحبار والموابذة والهرابذة والعلما والبلغا والخطبا والادبا والشعرا والعطارين والصيادلة والعازفين بالات الطرب ولسائر الناس * لا لانهم يتخذون من لحمه كبابا او من شحمه اهالة * او يستصبحون عليه او يتخذون من جلده كوبة (١) * ولكن ملا لعيونهم وشرحا لصدورهم * فاى عين ... ادم مع كونها ضيقة لا يملأوها ما هو اوسع منها واكبر بالف مرة * واشعارا لهم بان حكمتهم فى هذه الدنيا وتنطسهم وعزهم ومجدهم وان علت على الاطواد الشامخة والجبال الشاهقة فما هى الا سافلة عن حضيض هذا الموضع * الا وانها تعلم انك اذا اجلست مثلا احد هولا الاعزة الكرام امام

(١) الكوبة الطبل الصغير المختصر ولعله الذى تسميه العامة الدربكة *

بعض المناصع (١) على سرير مذهب * وضربت عليه قبة مموّهة مزخرفة منمنمة منقشة مزوقة مكسوة بالحرير والديباج ومكللة بالزهور والرياحين * استنكف ان يقعد هناك نصف ساعة * على انه لا يستنكف ان يقعد عامّة نهاره وليله محاذيا لذاك المقام المنيف * وهو حاسر الراس * مشعث الشعر * حافى الرجل * فاغر الفم * مندلع اللسان * سائل اللعاب * محملق العينين * مشمر الذيل * شابح الذراعين * معوجّ العنق * مؤلّل الاذنين * فى اقبح هيئة يمكن للانسان ان يتصورها فى حق ذى مقام * حتى لو سمع نأمة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهى يهنئه على هذا الفوز العظيم * والمغنم العميم * وتصوّر فى باله ان صوت العود لم يكن باشجى من غيره لا لكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر ذلك الموضع * ولو كان كالشطرين لسُمع له منطق باعراب * وان شكل القبة ماخوذ منه * ورائحة الندّ تروى عنه * وان العرب من زيادة شغفهم به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل او التى يعتبر فيها الشى كونه على حال مّا من الاحوال * وان فردسة صدور الرجال وعرض ظهورهم لا تجدى نفعا مع عرضه * وان المعالى فى السّراة متى تلج لهم ذات تاكيم يَعْدُن مسافلا * وان هذه الحقيبة مع ثقلها سواء كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعراء * او كانت محمولة كما هو فى الواقع فليس ثقلها الا كثقل كيس ذهب على حامله * وانها اسخن الاعضاء جميعا فى الشتاء اذ لا تحتاج الى تدفئة * وابردها فى الصيف * وانها مع كونها اول ماسّ للارض عند القعود فلا تزال انعم من الخدّين * واملس من اللديدين * فلهذا كانت لذة تقبيلها للمقبّل العذرىّ اعظم من لذة تقبيل الذقن والانف والعين والجبين * وان الناس يبتذلون لها اسماء الملوك

(٢) مواضع تتخلّى فيها لبول او لحاجة

والسلاطين * وذوى السيادة والمعالى وائمة الدين * وعند قوم (اقول واستغفر الله) تذال لها لاسمآء الحسنى * على ان تسبيحهم كل يوم ان يقولوا ربنا تقدّس اسمك * ألا وانها تعلم ايضا ان كثيرا من البهائم اعقل من الناس او اسعد حالاً من اصل الفطرة * فان الذكر من الحيوان غير الناطق لا يهيج على هبرتين من اللحم فى انشاءه مع احتوائهما على القبل والدبر الا فى وقت معلوم * وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا يزال هائجا عليهما مزبدا لاغما راغيا مترغما هادرا محمحما مبقبقا مقبقبا زاغدا مُلّعبا جالبا لاجبا وربما جنّ ايضا * وما ذلك الا لمجرّد وَهْم انهما باهدافهما تعينانه على خسق الهدف من قُبل ولا فما سبب هذا الجنون * نعم وتعلم ايضا ان هذا الموضع مع كونه فى حيّز الجسم الاسفل فهو مواز لخطّ الراس ارتفاعا * اشارةً الى ان تسفّله لا يحطّ من قدره ورفعته * حتى لو فُرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه المنزلة والاعتبار بعينه * حتى ان بعض النسآ يرين ان كشفه أَوْلَى من كشف الفم لانه اقلّ اذى منه * اذ لم يعلم الى الان ان احدا قُتل بفلتة منه فاما فَلَتات اللسان القتّالة فلا تعدّ ولا تحصى * وبناء على ذلك كنّ يتعمّدن الخروج فى اليوم الراح وهو عندهنّ من الاعياد المباركة * وبعضهن يرين انه جدير بالحلى والزينة والتنقيش سوآء كان ظاهرا او مستورا * قال بعض السناهيين

ياسائلى عن اى جز ء فى المليح اجملُ
لقد روى استاذنا نصف الجمال الكفل

قال وذلك لاشتماله على اشكال كثيرة * لانك اذا اعتبرت ذروة

الرانفة (ا) وحدها ظهر لك الشكل المخروط * واذا اعتبرتها مزدوجة بالاخرى تبيّن لك نصف دائرة او شكل هلالىّ * واذا نظرت من نقطة العسيب الى غاية ما يوازيها من سطح الشق الواحد بدا لك المستوى او المسطح * او منه الى ما دون ذلك قابلك المقبب والخط المنحنى * واذا اعتبرته مع الاكباب واجهك المجوّف وهلم جرّا * وليس من سائر اعضآ البدن من الاشكال ما لهذا * قلت ما اشوق قول الشيخ ناصيف اليازجى الاديب المشهور

وتموّجت اردافها فاخو الهوى   بين اضطراب الموجتين غريق *

ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد فى لغتنا هذه الجليلة * ومن قول صاحب القاموس المخدّم رباط السراويل عند اسفل رجل المراة * ان لباس نسآ العرب قديما كان كلباس نسآ الشام الان * او لعله كان خاصّا بالجواريات * غير ان قول المتنبّى * واعفّ عما فى سراويلاتها * يفيد التعميم * بنآء على تغزّله بالباديات كما اشار اليه بقوله * وفى البداوة حسن غير مجلوب * وقد تقدم * قال فى القاموس الدبر بالضم وبضمتين نقيض القبل ومن كل شى عقبه ومؤخّره — والاست والظهر * قلت اسمآء حروف هذه اللفظة لها معانٍ * وهذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضا معنى * وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها * وعددها بحساب الجمّل مزدوج اشارة الى ازدواج الجهتين * كما ان الضمتين اشارة الى الثقل والرزانة * ومادتها من اغزر المواد * وهل وضعها موخر عن الموخر او متقدم عليه او اشتقاقها من قولهم جئتك دبر الشهر اى آخره او اشتقاق هذا منها خلاف * والظاهر ان الامور المعنوية الاعتبارية مشتقة من الحسّية * وبقى الخلاف فى اشتقاقها من عقب الشى * وقد ورد فى القرآن ولّوا الادبار * وانكرها المطران اتاسيوس التتونجى فى

(ا) تنبيه رايت فى كتاب ليس لابن خالويه النحوى بعد تاليف هذا الكتاب ان الرانفتين يقال لهما الصومعتان والصوفقتان * وذلك مما فات صاحب القاموس *

كتاب الحكاكه في الركاكه * واعلم ان العرب قد وضعت للدبر ما ينيف على تسعين لفظة ما بين اسم ولقب وكنية * فمن اسمآئها ما تقدم في الارة الرياح ومن بعض كناها امّ سُوَيد وامّ العِزْم وامّ خِتّور * فلولا انهم انزلوها منزل الاسد والسيف والخمر في الباس والفتك والاسكار لمّا خصّوها بذلك * لا يَرِد هنا ما قاله ذلك الاعرابي في السنّور لعنه الله ما اكثر اسمآءه واقلّ ثمنه * فانّا نقول ان قلة ثمن الحيوان لكثرة وجوده لا يقدح في قيمته ومنافعه * وان كثرة اسمآئه هي من حمل النظير على النظير لحصول المشابهة بينه وبين امّ امّ سويد * من جهة ان السنّور هو من الحيوانات الكثيرة النتاج * ومن طبعه اللعب والهراش وان يكن يعقبه غير مرة خدش وادمآء * وخمش واصمآء * وجش واعمآ * وله تحمّل على المكاره والاذى حتى قيل ان له سبعة ارواح * ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة * وانه اذا شمّ رائحة شي اعجبه من الطعام تسلق اعلى جدار ودخل اضيق مكان حتى يظفر به * وانه اذا مرّت عليه يد نفّش ذنبه واخذ في خرخرة وهينمة تفصح عن رضاه باللمس * ومن طبعه ايضا النظافة والاكل خِفْوة حيآء او خوفا * فان ابيت الا المشاحّة كما هو دابك من اول هذا الكتاب بان قلت ما بال اسمآء الداهية والعجوز اذًا كثيرة واسمآء الشمس والقمر قليلة اذا كانت التسمية مبنيّة على جلالة المسمّى او نفعه * قلت اما كثرة اسمآء العجوز فباعتبار انها كانت صبية او انها تكون ذريعة لها * واما الداهية فباعتبار خشيتها * والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مِقَة * فاما الشمس والقمر فاسماوهما كثيرة جدا غير انها لم تشتهر عندنا * وليس ذلك باول ظلم فعله الناس في حق اللغة كما بيّنته في كتاب آخر * ثم هذه جملة الاسمآ والصفات التي وضعت لامّ ام سويد وقد

بذلت الجهد فى استقرآئها وهى * لاأبيثة الخَبنداة الراجح الرّجاح الرّداح الدُلَخة البَهْيَر الشَوْتَرة العَجزة العَجْزآ المُعجّزة الدّهلس الدَهْسآ البَوْصآ اللّفآ الرَكْراكة الزكزاكة الوكواكة الضِبْرك الضِناك العَضَنّك الوَرْكآ الوَرْكانة الثّقال الجَزْلة السَجْلآ المِكْفال الهِرْكَوْلة الموّكِمة لاألْيآ لاأليانة*ومن الغريب ان صاحب القاموس ذكر لاأسْته والسّتاهىّ ولم يتكرم علينا بموْنثهما فانا اثبتهما هنا عن اذنه * ومن ذلك نُفُج الحقيبة * ذات لاهداف * ذات التاكيم * ذات الرصراص * من نسوة بلاخ * ولك ان تقول بَلْخآ وان لم يذكرها الفيروزابادى لا بمعنى الحمقآ * هذا ما عدا ما يشير الى هذه الغبطة والسعادة من لاالفاظ اشارة صريحة نحو

الجَبْآ الضخمة الكبيرة *

الجَلَنْبآ السمينة وكذا الخُنْضُبة والخَضْخَبة والكَبْكابة والحَوْنآ والوَعْثة *

الخِدَبّة الضخمة *

الدِخْدِبد المكتنزة

السَرْهَبة الجسيمة *

الطُباخيّة الشابة المكتنزة *

اللُباخيّة اللحيمة وكذا الدِعْكاية *

المُبْرَنْدة الكثيرة اللحم ومثلها الهُدكورة *

الثأدة المكتنزة الكثيرة اللحم *

الثَهْمَد السمينة العظيمة *

الرَجْراجة التى يترجرج عليها لحمها *

الضَمْعَج المراة الضخمة التامة *

البَيّدح البادن وكذا البَلْدَح *

الدَّحُوح العظيمة *

الدَّمالحة الضخمة التارة *

الصَّلَدحة العريضة *

البَيَّضخة التارّة *

المُرَمَّورة الناعمة الرجراجة *

الدَّخُوص الممتلئة شحما *

الرّصراصة الرجراجة *

الهِلِز الضخمة *

الدَّحَّلة الضخمة التارة *

الدُّمَحلة السمينة ومثلها الجَمُول *

الرَّبِلة العظيمة الرَّبَلات *

القِصاقِص العظيمة *

المُزَنَّرة الطويلة الجسيمة *

المُلَحَّظة السمينة الطويلة الجسيمة *

الهَيَّكَلة العظيمة *

الضُّناكة الصُّلبة المغصوبة اللحم *

الكِناز الكثّيرة اللحم الصلبة *

المُنَزّة المتصلبة المتشددة *

المُلَزّزة المجتمعة الخلق الشديدة الاسر *

الخَنْضَرِف الضخمة اللحيمة الكبيرة الثديين *

القَهْبَلِس المراة الضخمة ومثلها المُثَخَّنة *

الشحيصة الجسيمة *

الدّيّاصة   اللحيمة القصيرة *

العانك   السمينة *

الغَبيلة   الغليظة *

المألة   السمينة الضخمة *

الوَرِهة   ورهت المراة كثر شحمها *

وخَظِية بَظِية   سمينة مكتنزة *

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاوه * فهل لجناب مولانا القاضى المكرم ولاميرنا المعظم نصف هذه الاسماَ والنعوت * انتهى البرهان على الخطا فى استعمال هذه العادة * واقول الآن انه لما كان ما كان من الادبار المشار اليه ترضاها الفارياق فى الصباح للسفر واعانه على ذلك الخرجى وامراته ووعدوها برؤية اشياَ بديعة فى الجزيرة تنسيها مكاره الفراق * فرضيت بعون الله وحسن توفيقه وسافروا فى سفينة النار * وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة فى قلب الربّان عليها * فكان اذا سمعها تئنّ من الالم يغضب ويزمجر ويتسخّط على النساَ وسفرهن * غير ان بعض الخدمة وكان جميلا حاول ان ينوب عنه فلم يتمّ له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبارة عن خمسة ايام * وهى فى البرّكافية لتصبّى خمس بنات وعشر نساَ متزوجات وخمس عشرة ارملة * ثم وصلوا الى معتزل الجزيرة واقاموا فيه ثلثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد ونزل كل منهم منزلا لائقا به *



في ولمة وابازير منوّعة

واخذ الفارياق وزوجته يطوفان في شوارع المدينة وهما في زيّ اهل مصر * وقد اتخذ هو سراويل واسعة يلتقّ عليه اسفلها من امام ومن ورآء عند المشي * والتحفت هي ببرنس ليغطي كمّيها اذ كانا يكنسان الارض * فجعل المارّون واصحاب الدكاكين يتعجبون منهما ولم يكونوا يعرفون زوجته انها امراة * فكان بعضهم يقول ارجل هذا ام امراة وبعضهم يتعقبهما * وبعضهم يلمس اثوابهما ويحدّق في وجوههما ويقول ما راينا كاليوم قطّ * شي لا هو رجل ولا امراة * فصادفهما رجل من حذّاق فقهآء الانكليز يقال له اسنيفس * فتفرّس فيهما فعرف ان الفارياق رجل وان الفارياقية امراة * فتقدّم اليهما وقال لهما هل لكما يا رجل ويا امراة ان تتغدّيا عندي يوم الاحد القابل * قالا نفعل * قال ان داري في عِبْر البحر في محل كذا فهلمّا الينا في الصباح قبل الغدآء * فلما كان يوم الاحد ركبا في زورق وقصدا منزله فوجداه قد استعد للخروج * فكأنّه اراد ان ياتي ببعض معارفه للفرجة على ضيفيه والظاهر انه سكر في الطريق او عند اصحابه فلم يَعُد * فلما راهما قال لهما قد وجب عليّ ان اذهب في قضآء مصلحة * ولكن هذه زوجتي وهولآء بناتي فاستانسا بهن ريثما اعود

ونتغدى جميعا * قالا لا باس ثم فعدا مع زوجته * وكان في المجلس شابّ من الانكليز يناغي احدى بنات الفَرَضي وهو آخذ بيدها * ثم جعل يبوسها بحضرة امها والزائرين * فاصفرّ وجه الفارياق واحمرّ وجه زوجته وبرقت اسرّة الام * فقالت الفارياقية لزوجها كيف يبوس البنت هذا الفتى وما يستحيي منا * فقال لها ليس البوس عند الافرنج مما يعاب * فان الزائر منهم اذا دخل بيت احد من اصحابه تعيّن عليه ان يبوس زوجته وبناته جميعا ولا سيما اذا كان في يوم عيد * على ان باس عندهم قد ترد بمعنى ما يراد بعدها ولكن هذه عادتهم * قالت ولكن هلّا يستحيي منا حال كوننا غريبين عنه * فال اذا كان الشي مباحا كانت اباحته امام القريب والغريب على حد سوى * او لعل الرجل قد ظن انّا لا نعرف هذه الصنعة في بلادنا * قالت ما اجهل من ظن هذا فان القبلة عندنا لا تكون الّا مع زفير وتنهّد ومصّ وشمّ وتغميض العينين * فاما هذا فاني اراه يرقّ خلوًا من احساسٍ فعل المستخفّ بما تحت يده * قال قد يظهر لي من القاموس ان المكافحة والملافمة والمثاغمة واللثم والفغّم والكعّم والتقبيل انما هو بوس الرجل المراة في فمها او التقامه له بمرّة * فقالت حيّى الله العرب ائمّة القِبلة والقُبْلة * فان تقبيل الجبين كما يفعل هولآ لا معنى له * ولكن لمَ كان التقبيل في غير الفمّ والخدّ خاليا عن اللذة التي يحسّ بها المقبّل في هذين الموضعين * قال لان الظمآن لا يرتوي من وضع فمه على اعلى القلة او على جنبها * فالت فعلى ذكر الظمآ لمَ تصف الشعرآ الريق مرة بانه حلو ومرة بانه يروي الظمآ وهو خُلف * قال لعل ذلك من مشكلات الشعر او من معضلات النسآ * فالت فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيب العاشق شرب الرضاب

من غير الفم * قال اما عند بعض العرب فلا يبعد واما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم * بل لا يعرفون له اسما غير البصاق * قالت فعلى ذكر اختلاف الاسماء ما يقال لهذه الام التى ترتاح الى رؤية ابنتها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوادة * قال انما القيادة فى الاصل صفة الرجل اذا كان يقود على حرمه * قالت ان وقوع هذا الامر فى شان الام اكثر منه فى شان الرجل * اذ الامهات تنشرح صدورهن عند مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن * لان الام عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد ان العاشق لا يرى فى البنت جمالا الا ويراه فى امها حالة كونها هى الاصل * وانه لا يكاد يحب الفرع دون محبته لاصله * ثم تماديا فى الحديث حتى حان الظهر فاقبلت احدى بنات القرصى وبيدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت تاكل وهى واقفة * ثم تولت وجاءت اخرى وفعلت مثلها * وكان للقسيس المذكور سبع بنات وعدة صبيان * فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت الام للمدعوين لعلكما جعتما فان وقت الغدا قد فات وزوجى ابطا * قالا ننتظره الى ان يجىء * فلما صارت الخامسة اطن جرس الاكل ليجتمع المتفرقون من اهل البيت كما هى عادة ذوى العيال من الانكليز * ثم مضت ساعة واعيد اطنان الجرس * وما زالت الساعات تمضى حتى تجزت الساعة الحادية عشرة * وفى خلال ذلك كانت الام تتفقد المطبخ وتسارّ البنات كانما نزل بهن نكبة البرامكة * فقال الفارياق لزوجته ان لم نذهب الان لن نجد بعدها زورقا ولا مبيت فى هذا العبر يصلح بنا * ثم نهضا ومسّيا على صاحبة البيت وركبا فى زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فتعشيا فى بعض المطاعم عشآ فى ضمنه غدآ * ثم لما كان بعد ايام قلبلة قالت زوجة الفارياق له قد رايت فى هذا البلد

احوالا غريبة * قال ما هى قالت انى ارى الرجال هنا لا ينبت فى وجوههم الشعر ولا يستحيون * قال كيف ذلك * قالت لم أرَ فى وجه احد منهم لحية ولا شاربا فهل هم كلهم مرد * قال اجهلت انهم يحلقون وجوههم بالموسى فى كل يوم * قالت لاى سبب * قال حتى يعجبوا النسآ فانهن يحببن الخد النقى الناعم * قالت لا بل المراة يلذ لها من الرجل كل ما دلّ على الرجولية * وكثرة الشعر فى وجه الرجل هى كعدمه فى وجه المراة * قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب احد منهم منك فاحشة * قالت ما وقع ذلك بعد * وانما اراهم يحرّفون سراويلاتهم حتى تبدو عورتهم من ورآئها * قال وذلك مما يلذ للنسآ على مقتضى تقريرك * قالت نعم ان هذا الزىّ اقرّ لعين النسآء من زى العرب * فانه يظهر الفخذين والساقين والبطن والعجز غير ان المغالاة فى التزنيق مخلة بالادب عند من لم تتعوّد عليه وان يكن فى نفس الامر احسن وافتن * ولكن ما شان هولآء القسيسين فانى اراهم اكثر مغالاة من العامّة بتبابينهم هذه القصيرة فهذا لا يليق برتبتهم * واقبح من ذلك حلقهم شواربهم مع ان الشوارب هى زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ * فما الذى اغراهم بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نسآهم * لعمرى لو ان احدا منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بعض هولآء المخنثين المدعوّين خوَلا الذين ينتفون شعر وجوههم ويتحففون تشبّها بالنسآ فاخزى الله كل رجل يتخنث * قال فقلت وكل امراة تتذكر * قالت نعم وكل من يتبع العادات الفاسدة * انظر العادة هنا كيف جعلت حلق الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النقص والفساد * قال صدقت ولكن اريد ان اسالك عن شى من حيث ان الكلام افضى بنا

الى ذكر ما يشوق الرجل من المراة وما يشوق المراة من الرجل * ومن
حيث انى اراك قد تسنّمت فى علم هذه الفروق فقولى لى بحق
السطح (وكان من عادته اذا سالها عن امر مهمّ ان يحلّفها بسرّ السطح
الذى كانت تصعد عليه قبل الزواج) واصدقينى فيما تقولين * هل لذة
المراة حين تنظر الى جسم الرجل كلذة الرجل حين ينظر الى جسم
المراة قالت هما سيّان ولعلّ الاولى اعظم * قال فقلت كيف ذلك
والرجل لا نعومة لبدنه ولا ملوسة * وقد خصّت المراة بمحاسن كثيرة خلا
منها الرجل * وذلك كرقة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والانامل
وقد شبّهت بالسِّرْوَدة والاساريع والعُذْفوط والعَنَم * وكالدَّسْع ولين الكَعْس
والدَّخيس والرواجب وتغطية الرواهش باللحم بحيث يبدو فى كل
اشجع نونة * وكلطف اليدين وصغر الرجلين ورخاصتهما * وامتلاء الرسغين
والكعبين وسهولة المشطين * ونعومة العُرْش والعسيب * وجدل الذراعين
ومكر الساقين وعظم الحماتين ودماجة الداغصتين * وضخم الوركين
والماكمتين والفخذين والبتيلة والبطن * وكنحول الخصر ولطف الكتفين
وانحطاط المنكب وصقل الترقوة والترائب والمفاهر * وكالعَنَط والعَطَف
وصلاتة الجبين وطول الشعر * وكونها رخيمة الصوت ذات نشر خالية عن الحارّ
والرَّيْش والغَفَر والسُّرْبة والإِسْب (ا) وكون اذنها صَمْعاء حَشْرة
مُشْرة تَنْدُرِيّة او مقذّذة او مؤلّلة مُصْعنّة * وما احلاها ياعينى مشنّفة *
واعظم من ذلك كله وابدع بروز النهدين ونهودهما * وجُمْهما ونفجهما * وتكعّبهما
وتكعثبهما * واصرئبابهما وتاوّبهما * وتقعبهما وتكبّبهما * واكتيابهما وتقببهما *
وتاثبهما وتزيبهما * وتدملكهما وتدملقهما * وتزلّقهما وتزهلقهما * وسملكتهما
وصعلكتهما * وزهلهما وتضافطهما * وتفلكهما وتدماجهما * وتمذجهما ونصعنجهما *

[illegible] السُّرْوَدة دويبة
[illegible] يشبّه بها بنان
[illegible] العذارى والاساريع
[illegible] بيض حمر الروس
[illegible] فى الرمل وفى
[illegible] يعرف بظبى
[illegible] اسهروع
والعُذْفوط دويبة
[illegible] ناعمة يشبه بها
اصابع الجوارى
والعَنَم شجرة حجازية
لها ثمرة حمراء يشبّه بها
البنان المخضوب
والدسع خفاء
العرق فى اللحم
والكعس عظام
السُّلامَى وعظام
البراجم فى الاصابع
والدخيس لحم باطن
الكف والرواجب
مفاصل اصول الاصابع
او قصبها والرواهش
عروق ظاهر الكف
والعسيب ظاهر القدم
[illegible] يستطيل بعظم
الذنب والعرش [illegible]

[illegible] العرقوب الاصابع [illegible] الاصابع [illegible] الاذنين [illegible] الشعر والسربة [illegible] وسط الصدر الى البطن [illegible] الاكعاب ان لا يكون [illegible] نقصان *

وربوّهما ونبوتهما * وخظوّهما ورتوبهما * ونتوبهما وكعوبهما * وتُموكهما ودموكهما * وبزوغهما وصبوغهما * وشخوصهما ودخوصهما * ونتوءهما ونعوجهما * وتكوّفهما وتقبيهما * وتحذّيهما وتكظّيهما * وتوقّجهما وتعاجهما * وتصدرهما وتصبيرهما * وانتبارهما ونكوّزهما * وتعرّزهما وتلززهما * وتملسهما وتشرزهما * وتعلدهما وتمغدهما * وتاصصهما وتدلصهما * واجعانهما وتنشزهما * وتُجبّنهما وتنشزنهما * وتكتلهما وتلملمهما * وتزيّمهما وتركركهما * وارتكاكهما وتشويكهما * وترهرهما وتلوّههما * واندماجهما وانفراجهما * واقبالهما وامبالهما * وارتبازهما واكتنازهما * ونصّهما وصّهما * ودُأصهما وضُنُطهما * وقد قيل لهما من جملة اسمآ كثيرة المَرازان لاحتمال رُوْزهما بالبد او الفكر * وشبّها بالرمان والفُرموط * وشبّهت حلمتاهما بالسعدان * وقد ـــ قالت قف هنا فقد اسهبت في وصفهما وفاتك احسن ما يراد منهما * قلت افيدى * قالت لو جئت بكلمة تدل على التقامهما او قفطهما لكانت خيرا من كثير من هذه الصفات * قلت ليس الذنب عليّ في ذلك فاني لم اجد هذه الدرة في القاموس * ثم قلت هذا وان المراة اذا كان في وجهها شعر ناعم او زغب ولا سيما على شفتها تستحب عند جميع الناس * فاما الاجرد منا او السناط والأزطّ فمكروه عند الله والناس * قالت اما اوّلا فلانّ المراة من حيث كانت تعلم انه لا شي في الدنيا يسدّ عندها مسدّ الرجل كان يشوقها منه ادنى شي * حتى لو نطقتَ مثلا امام امراة بالرّ بعد قولك اعوذ بالله من الشيطان لسبق وهمها الى الرجل * فعلاها على الفور الاصفرار او الاحمرار بحسب توجيهات خواطرها اليه * وكذا لو ابتدات بنطق الرّ بعد قولك بسم الله * فقلت اللهم لطفك وعصمتك * هذا فُرحان الطبع وفريحنه فكيف بيانعه * ثم قالت اما الصفات

الحسنة الموجودة فى المراة دون الرجل على ما ذكرت انت وشبب به الشعرآ وتباهى به المصوّرون فعدم وجودها فيه ليس بمانع له من ان يُحبّ * لان المراة تعلم انه لا شي يقر عينها غير الرجل فوجوده على اية صفة كانت مشوّق لها كما ذكرت آنفا * الا ترى ان نسآ السودان يحببن رجالهنّ ابلغ من حبّ النسآ لبعولتهن فى بلادنا وفى غيرها * ومَثَل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادر مختلفة * ومثل آخرَ ما عنده الا كتاب واحد يطالعه * فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى اخر حتى ياتى على اخرها وما علق بذهنه منها شى * ثم يملّ من اعادة قرآتها * وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لا يجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد ان يمعن النظر فيها * ويحدّس فى معانيها * ويحفظها ويعيها ويترسمها ويتذكرها * ويتمثلها ويتدبرها * ويمتحنها ويتوقمها * ويتصورها ويفليها ويطقّلها * وانما ضربت لك المثل بالكتب لانى اراك مبتلى بالمطالعة * وعندى امثال كثيرة غير ما ذكرت * وبعدُ فان فى الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست فى المراة * منها فردسة صدره والزّبب عليه * وارتفاع كتفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشبح ذراعيه وكثرة العضل فيهما وعظم يديه وكونه قويا شديدا جَلْدبا زَخْزَبّا شُصْلبا شُنْزبا عِرْزَبّا عَصْلبا قُصْلبا كُنْبا كَنْبا قَسْبا فزبا فَعْبا هقبقبا اِصْليتا صِفتيتا صِتيتا صنتيتا قنعاتا عَلَنّكدا فِسْوَدّا أَزْبر جُحاسرا دَيْمرِيّا سِبَطْرا قُبَعْثرا عُبْهرا عُشَنْررا قُوْعسا صُمُلّا عُبُنْبلا جرهامًا بُهْمة حُسُميّا شَيْظما عُجْرما عَرْزما عَرْضما عُرْدُمانا عَشُهوّا قَسْحما شُرُنْبثا قاهيا قِنْعاسا مُجاهجلا ذا جهارة وجُشة (ا) * فهذه كلها نعدّها نحن النسآ محاسن فى الرجل * وفيه محاسن

(ا) سيانى مرادف هذه الالفاظ فى اخر هذا الفصل *

اخرى اعتبارية وهى صعوده المنبر مثلا خاطبا * وركوبه الجواد وتقلده السلاح * وما احسن الرجل اذا مشى وسيفه يمسّ الارض * ثم قالت لو كنت اعرف القراة والكتابة لالّفت على الرجال والنسآ اكثر مما الّف فى جميع العلوم ذلك الشيخ الذى ذكرت لى اسمه سابقا وقد نسيته لكونه ميتا * قلت هو الامام السيوطى رحمه الله * قالت نعم اكثر من السيوطى ومن جميع السوطيين * قلت ومن المِسْوطيّين ايضا * قالت ولكن الذنب على من غادرنى بغير تعليم * لان العرب يزعمون ان علم القرآة مفسدة للنسآ * وان المراة اول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتابا الى عاشقها * مع انها لو خلّيت وطبعها كان لها من حيآئها وحشمتها عاصل اشدّ من الاب والزوج * بخلاف ما اذا حُظرت وحُجرت فانها لا تنفك تحاول التملّص والتفصّى مما حُصرت فيه * فمثلها كمثل المآ كلما زاد انبعاثا وجريانا زاد صفآ وانسياغا * اوكمثل السائر المسرع فانه كلما زاد اسراعا زاد حسّه ببرودة الهوآ اكثر * قال فقلت فى نفسى والله لقد احسنوا لو انها تعلمت القراة والكتابة لما بقى فى شعرى بيت الّا وشطّرته وخمسته على غير ما قصدت * اللهم انقل معارفها الى ما يفيد * واكفنى شرّ المزيد *

حاشية من مرادف القوى الشديد او الصلب الشديد وما فى معناهما العُثْعُت الكُنْبث الكُندث المِكْلث البِلْيَث المَغِث العُضَافِج العُفْضِج العَلِّج الهَمَرّج الصَلَوْدح الصَلَنْقَح الصَمَحْمَح الصَمَيْدح الكِرْدِح الكَلْدَح الدَحْوح المُجْلَنْدى الجَلْعد الجَلْمد الصَلْخد الصَمَيْد

الضَهْيد العِرْبَدّ العَضَلد الأَفود الذِفِرّ الذِبِرّ الذيمرى الرِبِرّ الرمِر
الصَمْعَرِيّ الصَبير الصِبَطْر الضَبَغْطَرى العَيْرار العَشَنْزَر القَبَعْثَرى
القُناصر الكُماتر التِيَزّ الجُلَبِز الجُلافِز الخُراخِز التُرامِز الدَخْز
الصُبارِز العَضَمّز العِلَكز العَلَنْكر الفِيَزّ القِلِزّ الكِلَزّ الملزّ الحُمارس
الدَخْنَس الدُراهس الدَلَهْمَس المتشمّس العَتَرَّس العَكَنْدَس
العَمَرّس القلمّس القُناصِس الهَكَلّس الهملّس الفُرافِص الكِيَصّ
المتخمّط الضَبَنْطَى الصِفَطّ العملّط المعلّط الضَلِبع الصَنِق
الدَمَكْمك الصَمَكِيك الصمَلّك العَبَنّك العَرِك الجَنَعْدل الحُوّل
العُرُنْدل العُثْعُل الكَمْتَل الكُنْبل الكَنَهْدل النَبْتل البُهْصم
الدِلَظْم المِرْجَم الصِرْغامة العَرْدم القِبِم القِرْشَمّ الهَيْزَم الهَبْصم *



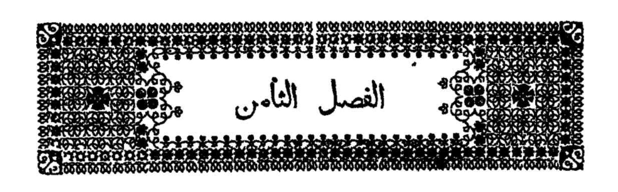


الفصل السابع

فى الحُرْتة

قد كان الكلام فى الفارياق حالة كونه فردا مُبْرِمًا فكيف به وقد صار الان زوجا * فارى لان تركه على الحالة الزوجية اولى * لان حديثهما هذا كان فى الليل فلا ينبغى التكدير عليهما فبه الى ان يصبحا ويذهب هو الى معبّرة اى موضع التعبير الذى عيّن له * ولعل الجناب الكريم ايضا متاهّب بعد حُرْتة هذه لاباربر الى الفراش* فارقد هنيّا * وان حلمت لبلنك شيا فابلعه مسامع الفارياق * فانه اصبح اليوم من كبار المعبّرين





في الاحلام

ها هو الفارياق جالسا على كرسي وامامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها صحفة من صحف الطعام * وبين اصابعه قلم طويل وبين يديه دواة فيها حبر كالزفت * وقد شرع في تفسير احلام رآها رئيس المعبر في منامه * الحلم الاول راى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند فوجد فرسا في الطريق طاعنة في السنّ ولا سرج عليها * فلما راته الفرس دنت منه ووقفت وهي تحمحم فجاوزها بعض خطىً واذا بها جرت وراَه * فلما ادركته وقفت ايضا فقال ان لهذه الفرس شانا * اني اريد ان امسك بناصيتها لانظر ماذا يكون من امرها * فلما مسّها تطاطات له كالمشيرة اليه اَنِ اركب ولا تخف لعدم السرج * فركبها حيث كان قد اعيا من المّشي وسار غير بعيد * واذا هو بدكان سروجي فنزل عنها واشترى لها سرجا ثم ركب وسار في مضيق حَرِج فيه اشجار كثيرة * فنشب في راسه بعض اغصان الشجر ومنعه من السير * فحاول ان يتقدم فلم يمكن له واشفق ان يهمز الفرس للاقدام فوقف يتفكر فيما عرض له وهو متعجب جدّا * واتفق انه مدّ يده وفتشذ ليحك راسه فاذا به قد نبت له ستة قرون * اثنان من امام على كل صدغ واحدٌ

واثنان من خلف واثنان فی الوسط * وکان ذلك الغصن مشتبكا بها کلّها * فتوصّل الى ان قطع الغصن من الشجرة لكنه بقی ناشبا فی القرون * ثم سار وهو علی هذه الحالة فكان كل من رآه يتعجّب منه ويقول انظروا هذه القرون الستة فی راس هذا الرجل * وهو غير مكترث بهم * حتى اذا دخل فی مازق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل صدم بعض الصخور اربعة من القرون * فانكسرت وسقطت وبقی له قرنان من امام فقط * ولكن كان احدهما يميل الى الثانی ويماسّه ثم صارا يتحاكان ويصطكان * وكلما اصطكا سُمع لهما صوت عظيم * فاقبلت الناس من بعيد تنظر اليه وتتفرج عليه * فلما ضاق بهم ذرعا ورای كثرة الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع * فابت عليه الفرس ذلك وصارت تثب وتطفر قُدُما * وكلما ركلها برجله ازدادت وثبا وتقدما * فنظر اليها كالمتعجب منها فاذا بلونها قد تغير عن اصله * فقال فی نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التی ركّبتها اولا * فنزل عنها ليكشف عن سنّها * فلما اراد ان يضع يده فی حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة غشی عليه منها * قال فكانّ الفرس حين ابصرته مجندلا مصروعا رقّت له فجعلت تنفخ فی منخريه وتلحس مواضع القرون المكسورة منه حتى افاق قليلا * فطفق يئنّ ويجأر بالدعآ الى الله لان ينجّيه مما المّ به * فاشارت اليه الفرس براسها أنِ اركب لنرجع من الطريق التی اتينا منها * فقام متجلدا وركب * فلما وصل الى ذلك الموضع الحرِج نبتت فيه تلك القرون المكسورة وعادت كما كانت * فكان يلمس عليها وهو سائر * فلما امسى عليه المسآ نزل فی خان ليبيت فيه ليلته تلك * وامر صاحب الخان بان يُعنَى بدابّته ويحضر له ولها عشآ * فلما انتبه صباحا وجد

السرج فد سرق * فقال لصاحب الخان قد فقدت عندك سرج فرسى وما يتاتى لى ان اركبها بدونه * فال بل انت مبطل فيما تدعيه فانك حين فدمت كنت معروريا لها * فلجّ بينهما الخصام وتماسكا بالجيوب * فلما علم انه لا ينتفع بشى رضى من الغنيمة بالاياب * وقام الى الفرس وركبها وبقى سائرا الى المسآ فوجد خانا آخر فى الطريق فبات فيه * فلما اصبح الصباح واراد ان يركب لم يجد اللجام * فجرى له مع صاحب الخان هذا ماجرى له مع ذلك * ثم بات الليلة الثالثة فى محل آخر * وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب * وبقى كلما بات ليلة يفقد عضوا من اعضآ الفرس حتى بلغ مدينته ماشيا على القدم وغابت عنه الفرس بالكلية * فاما القرون فزال منها اربعة بزوال الفرس وبقى منها الاثنان المتقدمان *

تعبيرة

لما القى هذا الحلم القرنى على الفارياق اخذ يعبث بشاربيه على عادته ويفرك جبينه بيده ويروى ما بين عينيه * الى ان اهتدى الى تعبيره فكتب بجانبه ما صورته * هذا ما عبّر به العبد الذليل المسمّى بالفارياق لجناب المولى المكرم السيد ذاهول بن غافول عن حلمه الذى رآه فى منامه * ان الفرس كناية عن امراة * والمشى ولاعيآ كناية عن العزوبه * والسرج كناية عن ادب المراة * واللجام عن عرضها * والمكان الحرج كناية عن الولائم والمآدب والزيارات التى يتجشمها المتزوج ويدخل فيها راسه وراس امراته * والعصن كنابة عن بعض المدعوين الذين ينشبون فى الزوجة * والقرون كناية عن الحالة الزوجية التى يكون عليها

الرجل والمراة * ونبتها واضمحلالها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه * ومبيته في الخانات كناية عن سفره بزوجته * وغياب الفرس كناية عن فقدها * وباقي الحلم مفهوم بالفحوى والله اعلم * فلما اخذ التعبير وامعن النظر فيه مليّا رجع الى الفارياق عجلا وعلى طلعته آثار الغيظ وقال * ان في تعبيرك خطا من وجوه * الاول ان عبارتك موجزة بخلاف عادة المعبّرين * والثاني ان الفرس ليست كناية عن المراة فان المراة عندنا لا تكون دون الرجل اى تحته بل هي اعلى منه * فيجب ان يكون تعبيرك بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم * والثالث ان اللجام لا يكون كناية عن عرض المراة فان اللجام انما يوضع في الفم وعرض المراة لا يكون في فمها * ولكن ينبغي الان ان تدع هذا وتاخذ في تعبير الحلم الثاني * فاجتهد في التحرير والاسهاب * فعسى ان تصيب وتحرز الثواب *





الفصل التاسع

في الحلم الثاني

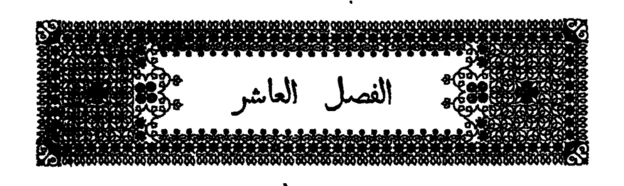
رأى صاحب المعبّر اطال الله بقاه * وعظم مقامه بين الهالجين واعلاه * انه اراد يوما ان يكتب خطبة يتلوها على القوم في يوم عيد * فاخذ القلم والقرطاس وكتب حرفا واحدا * واذا بامراته تدعوه من حجرتها ليجوّربها * فترك الكتابة وحفد اليها * فلما جوربها ورجع راى ان قد ضمّ الى ذلك الحرف حرف آخر بحبر غير حبره * فقال في نفسه تُرى من دخل حجرتي وخط هذا الحرف الذي ناسب ما اردت من المعنى * ثم اخذ القلم وكتب حرفا آخر واذا بامراته تدعوه ليربط لها شراك نعلها * فقام اليها وفعل ما امرته به ورجع فوجد حرفا آخر قد اضيف الى الثلثة الاولى حتى تمت به الكلمة فزاد تعجّبه من ذلك * ثم اخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامراته تدعوه ايضا ليمشطها الكُعْكُبة او والله اعلم المقدِّمة * فقام ومشطها برفق ولين ثم رجع فوجد كلمة تامة اضيفت الى كلمته متلائمة بها * فاخذ القلم وكتب كلمتين فدعته امراته ليجمّرها * فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد كلمتين تامتين * فلما تكامل له سطر دعته امراته ليعقد لها ظُطّامتها * ثم رجع فوجد سطرا بجملته * حتى اذا تكامل له صفحة دعته امراته ايضا ثم رجع فوجد صفحة كاملة * وعند انتهآ الكراس وجد كراسا وقس على

ذلك الى ان كمل الكتاب * وكانت امراته قد فرغت من تلحيلها وزينتها * فحمل الكتاب اليها واخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف * وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لى ومساعدتك اياى على الباسى * فينبغى ياعزيزى ان تواظب عليها * فلما كان فى الغد فعل ما فعله امس من الكتابة والخدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له اوّلا * فزاد سرور كلّ منهما به * فلما حان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول فادهش السامعين ببلاغته وانسجام عبارته ودقة معانيه * حتى اذا فرغ اخذ الناس يطرئون عليه ويقولون له ما طرق مسامعنا كلام ابلغ من كلامك قط * فقال لهم هذا بيُمن الشراك فلم يفهموا * ثم رجع الى بيته مبتهجا متهللا واخبر زوجته بما جرى * فقالت له ان نصحى لك ياعزيزى ان تجتهد فى الخدمة والكتابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نقصد بها بعض البلدان البعيدة فتتلوها هناك * لانه لا يمكن لك فى هذا البلد ان تتلو خطبة الا فى يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة * ويكون من الخسران ان تبقى هذه الكتب الجليلة غير متلوّة * فقال لها الراى ما رايت * ثم انهما تجهزا للسفر الى بعض البلاد المشرقية ومعهما تلك الكتب قد ضمّنت صناديق من خشب الساج نفيسة وانفقا عليها مبلغا جزيلا * فلما بلغا طيّتهما اكتريا لهما دارا رحيبة مطلّة على الحدائق الناضرة * وارسل مناديا ينادى فى الاسواق ان احضروا ياقوم خطبة المولى ذاهول بن غافول فى يوم كذا وساعة كذا * ليسمعكم من المعانى البديعة ما لم يطرق مسامعكم قط * فحشدت اليه الناس افواجا افواجا * ولما استقروا فى المجلس صعد سلّما كان قد نصب له فيه * وفتح ذلك الكتاب الاول الذى كان اعجب به قومه واذا به ممحوّ لم يشتمل الا على الحروف التى كتبها بيده * فحاول

ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنىً مّا فلم يمكن له * فنزل عن المنبر خجلا وهكذا انتبه من نومه *

التعبير

هذا ما يعبره العبد الفقير الفارياق للمولى ذاهول بن غافول * ان ما توهمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاسفار الى كلامك الذى اعجب به قومك لم يصلح فى غير بلادك لارتباطه بربط الطامة والشراك * والله اعلم * فلما بلغت هذه العبارة للمشار اليه اقبل الى الفارياق وهو يخبط الارض برجله ويشمخ بانفه قائلا * هذا التعبير افسد من التعبير الاول * وهذه العبارة اخصر من تلك فلا يكاد احد يفهم ما تقول * واذا كان تعبير الاحلام غامضا مبهما كالاحلام فلا موجب لاستخدام معبرين وتكليف الناس قرآءة ما لا يفهم * فقال له الفارياق هكذا جرت العادة فى بلادنا التى هى معدن الاحلام ومنبت التعبير * فان روسكم لم تكتسب هذه الخاصّية الّا من روسنا * ولولا نحن لما عرفتم ان تحلموا مدة حياتكم كلها ولا حلما واحدا * قال فكانّ الرجل انتبه من غفلته وسكن من ثورته * ثم قال قد بقى عليك الان حلم واحد فهاكه *



الفصل العاشر

في الحلم الثالث

راى صاحب المعبر اطال الله مدة نيابته عن الهالجين * وحقق احلامه مع الفالجين * أن قد نصب له ذات يوم سلّم عال يشتمل على مئة درجة ليصعد اليه ويخطب القوم من اعلاه * فلما حلق لحيته وشاربيه ولبس ثيابه السلّمية ارسل من جمع القوم الى موضع معيّن * وكانوا كلهم قد علموا بذلك من قبل وسبقوه اليه * لما انه لبث ساعة ينتظر امراته حتى تقوم من الفراش فيرقّمها ويعانقها قبل توجهه * ثم تأبّط كتابه واقبل يجرى الى ذلك المحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة * فلما بلغ الموضع وراى السلّم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من الفرح * فقال في نفسه هذه فرصة ما سمح الزمان لغيرى بمثلها * فسارِدّ اليوم هولآء القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبى واخلاق كاخلاقى * ولو لم اعمل من الصالحات غير هذا لكفى * فقد كُتب أجرى عند الله * ثم تمادى في الافكار * وثمل من الاستبشار * واستقبل السلّم وهو مدهوش * وما كاد يصل اليه الّا وقد مدّ رجله متفشّحا الى اول درجة منه من دون ان يسلم على احد من الحاضرين * ثم افتتح الخطبة بقوله * الحمد لله الذى امر بنصب السلّم وارتضاه له عرشا * فسمع احد القيام هذا

للاستهلال فانكره * وقال لمن كان يليه ما اظن خطيبنا اليوم الا معتوها *
فلست اشآ ان اسمع منه اكثر من هذا ثم ولّى * فصعد الخطيب الدرجة
الثانية وقال * وجمع الناس الى هذا المحفل المبارك وكلهم فارش اذنيه
للاستماع فرشا * فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شرّ
من الاولى * فاني لا ابالى بكون السلّم عرشا او نعشا وانما اغضب لاذنى
ان افرشها ثم ولّى * وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة
ركيكة مثل هذه وينفضّ عنه شخص وهو غير منتبه لما شمله من الفرح
الذى اذهله عن رؤيتهم حتى بلغ درجة المنّة وقد انفضّ الناس كلهم عنه *
فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم يرَ احدا * فقال فى نفسه قد
الفت خطبتى وجمعت لها القوم * وها هم قد تولّوا وبقيت الخطبة معى *
فمالى لا اتلوها جهرا فى هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض
وقذرها * فان لم يسمعوها هم يسمعها الله وملئكته * فانه يقال كلما بعد
الانسان عن الارض زاد تقربه الى السمآ * ولست ارى موضعا يصلح
للخطب اكثر من هذا * ولعلّ احدا من المارين يلتقط كلمة مما اقول
فتكون سببا فى خلاص نفسه ونفوس ذويه وجيرانه ومعارفه * فان لفظة
واحدة من فم واحد قد يكون فيها الموت والحياة * ومن العيب ان
اعود الى زوجتى واقول لها ان الخطبة بقيت غير متلوة * ثم انه مسح
عرقه واصلح صوته وثيابه بعد ان جعل الخطبة على الكتاب وجثا يصلى
قليلا ويدعو الله لان يلهم احدا من الناس ان يمرّ به ويسمعه * ثم قام
ناشطا مسرورا وقال * اسمعوا يااخوتى الاحبآ وانصتوا اليوم لما انا قائله
لكم * واتفق وقتئذ ان مر به رجل من الشعرآ الغاوين * فلما سمعه
يقول ذلك ولم يرَ عنده احدا وقف وقال من اطلع هذا المجنون الى راس

هذا السلم * واين اخوته الذين يخاطبهم ام عساه يكلّم الجنّ فى الهوآ ان فى هذا لعجبا * ثم صاح به انِ انزل يارجل ولا تعرض نفسك للهزء والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله احد * فلم ينتبه له الخطيب لانه كان شاخص البصر نحو السمآء * فاعتقد الرجل بان به لَممًا * فاراد ان ينزله باية وسيلة كانت واخذ فى قطع اوتاد السلم واطنابه * فلم يشعر الا والسلم قد تقوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على راسه اى على راس الشاعر * فتهشم كل منهما وتحطم *

التعبير

لا ينبغى للخطيب ان يكون ثرثارا * وان داوم المولى الطرّاد على الثرثرة فلا يامن من ان يسقط سقطة تدق بها عنقه والله اعلم *

فكان هذا التعبير انكى له واقهر مما تقدم وذلك لنهيه عن كثرة الكلام ولوجازة العبارة * فلما كان بعد ايام جاءه برقعة فيها ما صورته * حلمت ان رجلا من اصحابى قد اهدى الىّ قنبيطا مما ينبت فى سهل الاردنّ * فاتخذت منه عشآ وبتّ فرايت انى دككت اسوار مدينة فى الجوّ تشبه مدينة اريحا فى حصانتها ومناعتها * فكتب الفارياق بجانبه

اذا ما تعشّى القُنّبِيْط جُراضمٌ رمى الجوّ من برج استه بجُلاهق
فيفعم ثقبى منخريه عُجاجُها فيرجع ايضا سبكُها كالبنادق

فطالع امراته بذلك فقالت لعلّ الرجل قد اَلِف الان هوآء البلاد فانى اراه ابتدا يصيب * وقد ذهبت عنه تلك الحدّة التى كانت تظهر سابقا فى حركاته وكلامه * فساجرّبه انا الان بنفسى فى حلم رايته البارحة *

ثم اخذت رقعة وكتبت فيها * رات السيدة ورهآ زوجة السيد ذاهول بن غافول ان بيدها قفلا مصقولا مجلوّا ذا ثقوب كثيرة * وبيد زوجها مفتاح ذو ثقب واحد وقد صدئ * فكتب الفارياق تحته

المرء والمراة سيان في الميل الى العشق وحبّ السفاح
لكنّ ذا مفتاحه قد يهي وتلك مامون لها الانفتاح

فلما اطّلعت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالي قبل تعبيره * فما اقربه الان الى الصواب فخذ له هذه الرقعة الاخرى * فتناولها الفارياق واذا فيها * رات السيدة ورهآ ان قد كتبت على جبين زوجها عدد اثنين * فلما ابصر نفسه في المراة حاول ان يمحوهما * فبادرته وامسكت يده فلم يقدر الا على محو واحد فقط * ولكن بقي الاخر غير ظاهر ظهورا بينا * فكتب تحته

فرض على الزوج ان يكفي حليلته في كل ليل ونَفْلٌ بعده يُرضي
فان تبدّلَ لفظ الفَرْض بالرفض تبدّلت هي معنى العِرْض بالعَرض

فاستحسنت البيتين جدا ثم ناولت زوجها رقعة اخرى كتبت فيها * رات السيدة ورهآ سيدة السيد ذاهول بن غافول انها ترى الاسود بعينها اليمنى ابيض * والابيض بعينها اليسرى اسود * فكتب تحته

رضآ الزوج صعب ايّ صعب ولا سيما اذا رات المِغَنّا
فتنظر فيك كل الحسن قبحا وتنظر فيه كل القبح حسنا

فاستظرفتهما وقالت لزوجها اراه يحسن تعبير الاحلام النسائية القصيرة *

فاحلم لى الآن ياعزيزى حلما قصيرا واكتبه فى رقعة وانا اناوله اياها لننظر هل يستمر على هذه الطريقة معك او لا * فلما كان الغد جآته برقعة فيها * رُؤى فى المنام شى مطاول * ثم ظهر لعين الرآى مستديرا ثم مطاولا ثم مستديرا وهلم جرّا * فكتب الفارياق تحته

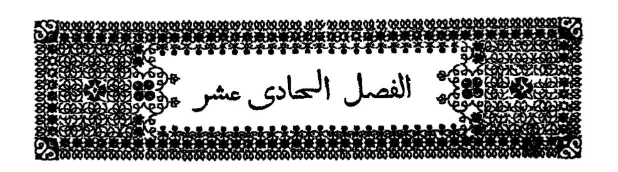
قد كنت احسب هيئة الدنيا نظير الفرج اذ فى القدر يشتبهان
حتى استبانوا انها كالاست تد ويرًا فقلت تقارب الشَبَهان

فلما اطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت اراه لا يتادّب الا معى * وانه ليشمّ الامور النسآئيّة شما فان هو الّا زير نسآء * ولكن لا باس فى ان تجربه بحلم اخر وبعد ذلك نرى ما الذى ينبغى ان نصنعه معه * فلما كان الغد جآه برقعة فيها * قد رايت ان يدا خطت على صدغى عدد ثلثة ثم توارت * فمددت يدى الى صدغى لاحكّه فمحت من العدد ستّين فصار الباقى واحدا ذا عوج * فكتب الفارياق تحته

تكلفنى زوجى ثلثا ولم أُطق سوى صرعة والعجز من ذاك لا منّى
فقلبى وطرفى لا يملّان بتّةً كمَهْبلها لكنّ ذلك لا يغنى

فاخذ الجواب واقبل يهرول الى امراته * فلما اطلعت عليه ضحكت وقالت انه لا يزداد معك الّا جنونا وسفاهة * فينبغى الآن ان تدعه حتى حين وقم انت الى الصرعة * فقاما اليها واستراح الفارياق منهما اياما *





الفصل الحادى عشر

في اصلاح البحر

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيرة ان الفارياق قدم اليها لتعبير الاحلام وانه خبير بهذا الفنّ جدا * وان به ملكة ايضا على اصلاح البخر * فبعث اليه ذات يوم بعض حجّابه يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم لمسألة مهمّة فلا بد من ان تفد عليه * فلما حانت الساعة توجه الفارياق اليه وهو موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلما حكميّا جليلا يعسر عليه تعبيره * لان العظمآء لا يحلمون الا الاحلام العظيمة * فهم منزهون عن جلاهق القنّبيط ووهى المفتاح والصرع وغير ذلك من الاحوال الخسيسة اللائقة بالصعاليك * فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغنى قدومك الى هذه الجزيرة عند الخرجى * وانه قد ضايقك بكثرة احلامه وما كفاه ذلك حتى علّم زوجته ايضا ان تحلم مثله * فهل لك الان فى تعاطى مصلحة لدينا تخفف عنك احلامه وتثقل كيسك * قال ما هى ياسيدى * قال ان عندنا فى هذه الجزيرة قوما بخرا لا يطيق احد ان يفهم منهم شيا اذا تفوهوا لشدة بخرهم * وقد سمعت انك قادر على علاجهم فهل لك فى اصلاحهم ولك عندنا المكافاة الحسنة * قال الامر اليك ياسيدى ولكنّى كاهن المعبّر * قال انى باعث الان الى الخرجى

من يخبره بذلك فلا تخش منه ضيرا * قال جزاك الله خيرا * انك اهل للخير والفضل * ثم انصرف من حضرته من غير ان يرجع القهقرى * لان حكام الافرنج لا ينكرون على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل بطونهم اظهر من ظهورهم * فلما بلغ الى منزله واخبر زوجته بذلك وكانت قد ابتدأت تتهجّى قالت * بورك من يوم انى رايت فيه بدكان جوهرى عقدا نفيسا * وكانى رايت عليه حروفا ظهر لى انها ك س ب ا ل ب خ ر فهل يخرج منها معنى * قال يخرج منها معنى انى اشتريه لك من الدراهم التى تحصل لى من وظيفة البخر * قالت نعم فانى كنت اسمع امّى تقول لابى ان الرجل اذا بذل راس ما يتحصل بيده من الاموال فى شرآ حلى ولباس لزوجته بارك الله له فى ذنبها * اى فى ذنب الاموال لا فى ذنب امراته * قال فما الفائدة اذا من هذا البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين * قالت لزيادة جمال زوجته * قال اما انا فراضٍ بما فيك من الحسن الطبيعى فلمن هذه الزيادة * قالت هى تزيدك حبّا الىّ * وتبعث غيرك ايضا على ان يحسدوك علىّ * ويتمنّوا لو انى كنت لهم * قال اللهم اكفنى شرّ المزيد * ولكن لا بدّ من شرا العِقد * فهو اولى من انحلال العَقد * فوعدها بذلك فاتّعدت بحمد الله تعالى ولمست جيدها * فلما مضى الشهر وقبضَ المرتب له انجز لها وعده * فقالت هو من دراهم البخر ولكنه احسن من الندّ * لقد قسم الله بيننا اعدل قسمة خذ انت دراهم الهَلج واطنى دراهم البخر * فقد رضيت بهم * قال فقلت لها لا تقولى بهم ولكن بها * فان بهم يرجع الى البخر * قال فهينمت بكلام لم اسمعه كله وانما سمعت من آخره قولها واى ضرر من هم * فقلت لها واى حيزبون

انت * فالتفتت الى الباب فلم ترَ احدا فقالت اين الزبون * ثم استمر الفارياق في الوظيفتين المذكورتين معبّرا ومصاحا مدة مكّنته من حل مشاكل زوجته * واتخذ له متاعا فاخرا وآنية حسنة وصار يدعو الناس ويصنع لهم ولائم * وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنسآ بحضرته * وكان من جملة المدعوّين الفارياق وزوجته * فلما رات الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنسآ قالت لزوجها * هل هولآ النسآ ازواج هولآ الرجال * قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك * قالت وكيف يخاصرونهن اذًا * قال هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج * قالت وبعد المخاصرة ما يكون منهم * قال لا ادري ولكن بعد انفصاص الناس يذهب كلّ الى منزله * قالت اشهد بالله انه ما خاصر رجل امراة الّا وباطَنَها * قال لا تُسيئ الظن انها عادة قد مشوا عليها * قالت نَعَم هي عادة ونِعْمت العادة * ولكن كيف يكون احساس المراة حين يلمسها رجل جميل في خصرها * قال فقلت لا ادري انما انا رجل لا امراة * قالت ولكن انا ادري ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا للاحساس الفوقي والتحتي * ولذلك كانت النسآ عند الرقص والقرص في اي موضع كان من اجسامهن يبدين الحركة من الخصر * ثم تنفست الصعدآ وقالت * ياليت اهلي علموني الرقص * فما ارى فيه لانثى نقص * فقلت لو فتحتِ الصاد في كل من المصراعين لكان بيتا مطلقا * فقالت ياللفضيحة بين الانام * اتقول هذا الكلام في مثل هذا المقام * قلت هيت الى البيت * فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رايت * قالت لا بد من ان ارى ختام الرقص * قال فلبثنا

الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهى سائرة * نسآ مع رجال راقصات * رجال مع نسآ راقصون * راقصات راقصون راقصون راقصات * فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات * قالت الرجال والنسآء والبنون والبنات * كيف — متى — اين — ثم بعد ايام ورد على الفارياق حلم مشكل فى وحش ذى قرون واذناب كثيرة وشيات وبقع شتى فى جلده * واراد صاحب المعبر ان يعرف تاويل كل قرن وسرّ كل بقعة * فعسر عليه ايشاؤه فذهب الى منزله مبتئسا متسخطا * فقالت له روجته ما بك * قال همّ ونكد * قالت ما سببه * قال كلما تخلصت من ورطة وحلت فى اخرى شرّ منها * قد كنت من قبل مداحا للسرى بما لم ارد * ثم صرت مشير المجانين * ثم معبّر الاحلام * ثم مصلح البخر * وكل ذلك على غير ما اروم فما انكد هذه المعيشة واضيق هذه الدنيا علىّ * اليس فى الارض مندوحة عن هذا * قالت خفف عليك ياسيدى ان كل انسان فى الدنيا له نصيب من الحزن والهم * حتى المراة ايضا لا تخلو من الهمّ فدابها كل يوم ان تزجج حاجبيها * وتكحل عينيها * وتورد خدّيها * وتخفف خطو قدميها * وتنظر فى المرآة مئة مرة كيلا ترى شعرة قد انفردت عن سائر شعرها * ثم تخاطب نفسها فى المراة وتضحك وتتبسم وتُهلس وتغمز وتلوى جيدها وعطفها وتتنفّس الصعدآ وغير ذلك * لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال فى عيون الناس * قال فقلت اهذا وقت الجدّ ام الهزل * انا اقول لك ان للوحش اذنابا وقرونا وشيات لا تحتمل التاويل * وانت تذكرين الغمز والابتسام والتكحيل * قالت ليس فى كل يوم باتسك وحش مثل هذا وانما همّ النسآ فى كل

صباح ومسآ ضربة لازب * وحسبنا بالغربة همّا وحزنا * قلت اما انت
قريرة العين هنا وقد تمتّعت بالحرّية فى الخروج وحدك * وفى
روُية الناس وفى روُيتهم لك بما لم تعهديه من قبل فى دولة البرقع
والحبرة * قالت انما ينغصنى كونى لا استطيع ان ابلّغ اهل مصر اى
النصارى منهم قبطيّهم وشاميّهم ما يراد من الزواج مما لم يعرفوه
بعد * فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المراة لمرضاة الرجل
فى فراشه وخدمته وخدمة بيته * فترى طلعة الرجل منهم اذا جاء
منزله وواجه امراته كطلعته حين غاب عنها سوآ * وانه ليقعد بعيدا
عنها قعدة المستريب المتفكّن * واذا نظر اليها فما ينظر الّا الى
شعرها ليرى هل به شعث او لا * ثم هو لا يصاحه لها امام الناس
اذا شعثته الريح وغيرها * ولا يلبسها ولا ياخذ بذراعها اذا تماشيا *
بل قلما يمشى معها الا اذا سارت لتنظر اهلها غيرة عليها من ان
يكلمها احد فى الطريق او يراها فترجع حبلى من النظر بفذّ ومن
الكلام بتوأمين * فاذا حضر الطعام تعشى وهو ساكت وجم كانما ياكل
شيا مسموما * وربما كلفها غسل رجليه قبل النوم او تكبيسهما حتى
يجيئه النعاس * وهو فى خلال ذلك يرمش ويُرضك ويتثآب
ويتمطى * ثمّ يرقد دون عَفْز ولا حفز * وكلّما كان عيد لاحد مناجيف
الرهبان تابّل عنها * ويلزمها ان تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدى *
واحسنت ياسيدى * وربما كان ذلك السيد سيدا عملّسا * او كان من
اكبر الحمقى وكانت هى رشيدة لبيبة فلا يسعها الّا ان تتبعّل له *
ولا يمكنها اذا رات منه غواية ان ترده الى طريق الصواب * فقد
تقرر فى عقول النوكى المآفيك ان عصيانهن النسآ طاعة لله [illegible] *

حتى اذا وقع منكوسا على ام راسه رجع الى امراته باللوم والتبكيت * قال قلت قد روى عن النخعى انه قال من اشراط الساعة طاعة النسآ * فقالت كانى بالافرنج قد حشروا او يحشرون الليلة * ثم استمرت تقول واقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحيى ان يتزوج ببنت لم يات عليها بعدُ نصف عمره * فاذا استقرّت عنده شرع فى تربيتها وتنبيتها وتوليدها من ذى أُنُف وعاملها بالنفاق والدهان * فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهمها انه ذو صلاح وتقوى يتورّع من اللهو والسماع وعشرة الفتيان الكيّسين * وما يخطر بباله ان مغايرة السنّ بين الرجل وامراته هى من اعظم الاسباب الباعثة لها على فركه * بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هى مفعولا يقضى له بالمزية والفضل عليها * فقلت ان دعوى الفاعلية ما اراها الّا باطلا * فان المفاقمة والمباضعة والمواقعة واخواتها تدلّ على ان الفعل مشترك بين اثنين * وانما الافضلية باعتبار البادئ * قالت ليس الابتدآ متعينا على واحد دون الآخر فايّهما بدا صحّ * فلا مزية لاحدهما على صاحبه * هذا وكم من مرة لمجرد هذا الوهم يغادر الرجل امراته وحدها فى البيت ويقضى ليلته عند احد اصحابه * فيتعاطى معه المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل * فلا يقدر على الرجوع الّا اذا حمل بين اثنين كالجنازة * ثم هو لا يفرق بين ان تكون زوجته حبلى او غير حبلى * فتراه يكلمها وهى فى تلك الحالة بعين الكلام الذى كان يكلمها به من قبل * وربما زهق عليها كالصاخب فمناها بمَرْعبة * او اسمعها الضَبَنْطَى والضَبَغْطَى والضَبَغْطَرى وايه وذُخْذُخ وهُجاجَيْك وهذاذيك * او كان عليها دُبوقآء او لزاقا او طُباقآء او عَباقآ او

عَبايا او عُباءآء * فنهاية رفقه بها وشفقته عليها انما هو ان يشترى
لها جارية او يستخدم وصيفة * وليس المقصود بذلك مجرد تخفيف
الشغل عنها وانما المقصود جعل الأَمة او الخادمة رقيبة عليها حتى لا
تخونه في عرضه * ولا اقول في ماله لانه لا يخرج من البيت الا بعد
ان يقفل صناديقه * مع ان الجارية لا تكون الا ذات ضَلْع مع سيدتها
عليه وان شتمتها بين يديه واهانتها * لانها لا يهمها كون سيدتها
تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة * بل يهمها ان تنال عندها
الطيب من الماكول والمشروب * فاذا كانت زلّة سيدتها كما يقال
تحت يدها ادلّت عليها بتلك الزلة وتجرأت على ان تطلب منها ما
تشآ * لا بل تتمنى ان سيدتها تكثر من العشّاق ما استطاعت *
لانها تومل منهم الصلة والاحسان * ومعلوم انه كلما كثرت العشاق
كثرت الصلات * وبعدُ فان من طبع النسآ في كل زمان ومكان
الارتياح الى شواغل الهوى وبواعث العشق * وان يرين اهل الدنيا
كلها مسترسلين اليها ومنهمكين فيها * فالجارية التى تكون عند سيدة
حرّة على فرض صحة ذلك لا تلبث ان تغاصب سيدتها حتى تغرى
زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند اخرى غير حرّة * غير ان الرجال
مغفلون * نعم هم مغفلون * فاما تبجحهم بكونهم يشترون لازواجهم
حليا في ربيع يُسْرهم فذلك عائد الى خيرهم * لانهم لا يلبثون ان
يسلبونهنّ اياها في خريف عسرهم وافلاسهم * فاية امراة ترضى لنفسها
بان تقعد في بيتها كالفرس المسرج المعدّ للركوب وهى محرومة من
معاشرة الناس * قال فقلت والله ما قلت كلاما احسن من هذا * وهذه
اثار النجابة بدت تسطع من طباعك فحيّاك الله وبيّاك * قالت

وما بيالك قلت ليس بشى * قالت ولكنها صدى حسنة للازدواج * قلت كانك تقولين انه من قبيل تزويج لفظة باخرى فيشمّ منه رائحة الزواج * قالت نعم الزواج سارّ حتى فى الالفاظ * قلت ولكن بقى لى عليك اعتراض وهو انك عرّضت فى اول خطبتك هذه البليغة التى افادتنى اكثر من خطب صاحب المعبّر بانى اصلح شعرك وثيابك امام الناس * او بانه يلزمنى ان افعل ذلك وهو مما فات فكرى * قالت

انك لمّا تفعله ولكن ستفعله ان شآ الله عن قريب * فانى

اراك تقدر النسآ ولا تبخسهن حقهن

وانى واحدة من عباد

الله هولآ





الفصل الثانى عشر

في سفر ومحاورة

ثم لما كان الغد ذهب الفارياق الى المعبر وهو موجس من تعبير الوحش * فجاءه الرئيس يقول قد عنّ لى ان اسافر الى ارض الشام لاجل تغيير الهوآ * فان هوآ ذلك القطر طيب والاحلام فيه تصح ويسهل تعبيرها * وانى اراك مثلى ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعسى الله ان يوفق لنا اسبابه ونعود بخير * فاستاذن الفارياق الحاكم فى ذلك فاذن له كرما وتفضّلا * فاقبل على زوجته يودعها ويقول * مهدى اليك يازوجتى بادى بدء ان تتذكرى السطح فيبعثك على حفظ العهد والوداد * وان تعنى بامر ولدى * الذى اغادر عندك معه كبدى * واذا اتاك فاسق بنبأ عنى فتثبّتى * اى اذا قال لك غدا احد ممن حسدنى عليك قد ماتّ زوجك فى البحر واكله الحوت ولم يبق فى عالم الوجود سوى اسمه فلا تركنى اليه * قبل ان يرد اليك كتاب منى تعتمدين عليه * قالت ولكن كيف تكتب لى اذا كان الخبر صحيحا * قال فقلت يكتبه لك صاحب المعبّر * ولكنى ارجو ان اصل سالما وتقر عينى بروية اهلى واهلك وابلغهم سلامك * قالت اُلَا تعيّن لى مدة لارسال الكتاب * قلت شهرين * قالت هذا دهر دهارير ايّة امراة تصبر شهرين * قلت نحن سائرون فى سفينة

الريح فان الطبيب قال لصاحب المعبر انها اوفق من سفينة النار لما في هذه من رائحة الفحم التي تضر بالمصدورين * قالت افعل ما بدا لك ولكن احذر من ان تفيق وتهوى غيرى * قلت انما احذر من الثانية لا من الاولى * قالت لا بل مني فاحذر * قلت انما عنيت اني احذر من الهوى * قالت نعم اياك واياه فانه يزيدك ضنى * قلت ليست البلاد التي نقصدها مظنة لذلك كهذه الجزيرة * قالت النسآ والرجال في جميع البلاد سوآ * ولا سيما انك الان في زى غريب والنسآ كلهن يتهافتن على الغريب * كما ان الرجال يتهافتون على الغريبة * قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المراة المصونة اذا دخلت بين جيشين تخرج كما دخلت * قالت نعم تدخل امراة وتخرج امراة * قلت واين المصونة اراك حذفتها * قالت في زمن الفِطَحْل * قلت وما الفطحل * قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعدُ * قلت من اين علمت هذه اللفظة الغريبة * قالت سمعتك مرة تقولها فحفظتها وهو دليل على التهافت على الغريب * ثم سكتت مفكرة ثم ضحكت * فقلت لها مم تضحكين امن الفطحل * قالت لا وانما ذكرت حكاية عن امراة سافر عنها زوجها فضحكتُ * قلت وما هي * قالت كانت امراة متزوجة برجل يريبها في بعض احواله ولم تكن على يقين مما رابها منه * واتفق انه سافر عنها فحزنت لفراقه لكنها طلب واجدة عليه * فجعلت مرة تدعو له واخرى تدعو عليه * وقالت ان كان بريئا بلغته دعواتي الصالحة والّا فيلحقه غيرها * فقالت هل في نيّتك اذا ان تحاكيها * قالت معاذ الله ان ادعو * قلت قولي لك او عليك حتى افهم المعنى * قالت عليك * قلت لله انت ما ارى لي من ذنبك منجى * فالتفت الى الباب وقالت

ما جآ احد * قلت دعينى بحقك من الزبون ومن مَن جآ فانا الان
على جناح السفر * فالت سِرْ فى امن الله ولا ترتَبْ فان للهزل وقتا
وللجدّ وقتا وعرض المراة هو من الاخير * قلت وهذا ايضا كلام موجّه
كانك تقولين انه ليس من الامور المقدّمة * قالت كَلّا كن مطمئنا سوآ
كان من هذا او ذاك فانك ستجدنى كما فارقتنى ان شا الله * قال
فودّعتها والدمع هامل على جيدها وبكت هى ايضا لفراقى فانها كانت
اول غيبة عنها * وكان من خلقها اذا بكت ان تبدو فى طلعتها لوائح
وجد شائقة * وملامح حسن رائقة * والنسآ اشوق ما يكون اذا بكين *
ولكن لا يكُن كلامى هذا باعثا على ضربهنّ شلّت يدا من مسّهن عن
غضب * قال فتزايد بكآى لبكائها واحسست ج بلوعة الفراق * ثم اقلعنا
وما كادت تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق فى صدرى وخطر
ببالى كل ما قالته لى مصبوغا بالوساوس والهواجس * قال ومن كان جِلْس
بيته لم يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاغمة منخريه لم يدر ما الم الفراق *
بعد ليالى الوصل والعناق * ولا سيما اذا جرى ذلك اول مرة * فينبغى
اذًا ان اصوّر لخاطر صاحبنا هذا الحلسىّ المفغومى بعض ما يقاسيه المحب من
لوعة البين * عسى ان يرق قلبه فيدعو لجميع النائين عن احبابهم
بقرب الوصل وجمع الشمل فاقول * ان الفراق طالت مدته ام قصرت
قربت طيّته ام بعدت عبارة عن فصل احد المتواصلين وحرمانه من انس
صاحبه * وقد تكون لوعته اشدّ من لوعة الموت * لان فراق الميت مقرون
بالاسف والتحسّر * وفراق الحىّ بهما و بالغيرة ايضا * وهى فى مقابلة اليأس
المتسبب عن فراق الميت بل هى اشدّ مضضا منه * هذا فى حق
المتزوّجين المتحابّين فاما فى حق الكارهين فلا اسف ولا حسرة على

كلا الحالين * ثم ان المحب المفارق اذا فارق حبيبه ورغد عيشه فى غير وطنه * من طعام لذيذ ياكله او مسامرة مطربة او سماع غنآ يتلذذ بهما او رؤية اشيآ بديعة ووجوه ناضرة سنيعة تقرّ بها عينه * فاول ما يخطر بباله انما هو حبيبه النآى فيقول فى نفسه * ألَا ليته الان حاضر عندى ليشاركنى فى هذا النعيم * فانى احسبه اليوم محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد * فكيف يتاتّى لى ان الهو وافرح وهو محزون * وكيف يمرئنى الطعام ويسوغ لى الشراب * وهو الان لعلّه مُقْهٍ عنهما وحشة واكتئابا * الى غير ذلك من الخواطر المكدرة * والافكار المحسّرة * فاما اذا قاسى جهدا ونكدا بعد فراقه فانه يقول * وَيْبًا لى وويحا وويخا وويسا وويلا وويها * ان عيشى الان نكد ذميم * وحالتى موحشة وفوادى كليم * وقد جرى بينى وبين اليفى الاتفاق على ان نكون شركآ فى السرآ والضرّآ * والنعمآء والباسآ * واحسبه الان مفنقا منعّما * مترّفا مترفها * بَرِئا بَرِجا بَرِغا طَرِحا * يسامره فى الليل كل ربيز ظريف * ويجالسه فى النهار كل كيّس لبيب * لَا وكانّى به اى بها تبتسم الان ابتسامة رضى واعجاب لمن اطرآ على محاسنها وجمالها فقال لها * ليتك كنت تتبخرين عوذة لتردّ عنك عين الحسود * فانى لا اسمح بهذا الوجه المنير الوضّاح ان يراه كل احد من الناس * ولا ينكر ان يتشهّق عليك من ابتُلى بامراة دميمة فان العين حقّ وان جمالك فريد * فما يكون جوابها له الا ان تقول له * ما احسن عينيك فانهما تريان الشى كما هو * فامّا عينا زوجى فان عليهما غشاوة * وان من مذهبه الفاسد ان يقول ان العين اذا الفت شيا مهما كان بديعا فى الحسن قلّ اشتياق النفس اليه * اوكما تقول العامّة ما تملكه اليد ترهد فيه النفس * غير انى احسى

من انك اذا اكثرت من النظر اليّ والقرب مني لا تلبث ان تتمذهب بمذهبه فتراني على غير ما انا عليه الان * فيقول لها معاذ الله هذا كلام الجهال * فاما الصادقون مثلي في الحبّ * وهيهات مثلي * فانهم ابدا يتمثلون بقول لابي نواس

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

واني اشهد الله عليّ وهو خير الشاهدين * وملئكته المقرّبين * وانبيآءه ورسله المكرّمين * انك اذا عاشرتني العمر كلّه فلن ترى عيني بشرًا احسن منك * فتقول له هذا شان الرجال دائما من انهم يتملقون المراة ليفتنوها ويحتكّوها * فمرّة يقولون لها تبارك الخلّاق * ومرة افدى الغزال الشارد * ومرة ياسعد من كنتِ له * او طوبى لمن راى طيفك في المنام * وتارة ينظرون اليها وقد غرغرت اعينهم بالدمع * وتارة يزفرون وينحبون * كل ذلك حتى يتمكنوا منها مرة او مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون * وبسرّها بائحون * فنحن منكم على حذر * ولا يخفى علينا ما بطن منكم وما ظهر * فيقول لها معاذ الله * حاشَ لله * استغفر الله * ما شاني شان المتملّقين الملاذين * ولا طبعي طبع الفاسقين * بل ان لساني في هواك ليقصر عن بيان ما تجنه سرائري * وما يخطر بخاطري * فياليتني اعرف لغة اعبّر بها عن فرط وجدي بك وتوفاني اليك * ولو اطّلعت على ضميري لصدّقتني وعلمت اني لست كاحد الناس وان غرامي فوق كل غرام * فاطيلي عشرتي ولو بدون وصال ليتاكّد لك صحة ما اقول * فتقول له وقد فتحت لهاتها وزال ضَرَسها * وما الفائدة في ذلك فان المراة ليست نجما برصد طلوعه وغروبه * ولا نوفا بنام ليعلم هل هو خلّب او ماطر *

ولا الجهية يحاول فكها وايهاؤها * وما يهمها ان تكون اجمل من سائر النسآء وجها وانما يهمها ان تكون اشوق للرجال وافتن * فان التشويق لا يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الشمائل والمحاضرة والملاطفة والمؤانسة والغنج والدلال والافترار والحدفلة والترنجج والغرنقة والوكوكة والنرآد * فيقول لها نعم سبحان من جمع جميع هذه الاوصاف الحميدة في ذاتك الفريدة * فكل ما فيك شائق وكل ما فيّ مشوق * فتقول له وقد ازدهر وجهها سرورا واعجابا * قد يقال ان نبض العاشق يكون مضطربًا فدعني اجسّ نبضك لاعلم هل ما قلته صدق او لا * فيقول لها نعم نعم خذي يدي فجسّيها واجعلي يدك الاخرى على قلبي * فتفعل ذلك * فيقول دعيني اذًا افعل بك كما فعلت بي لتنكشف هذه الحقيقة لكلّ منا * فتجهت وتحمرّ عند سماعها قوله افعل بك ويضطرب نبضها ثم تسكن وتمدّ له يدها * فيجسّها باحدى يديه ثم يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمرّ حملاقه واندلع لسانه * ثم يزفر زفرة طويلة ويقول

لك الله من قرموطة ملأت يدي ، لقابضها قبض الكثيّة الاربض
لأسحمها انسانُ مقلتيَ الفدا ، وكلّ عرير من متاع ومن عرَض

فتقول له وقد دُغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست في يده وقلبه فقط بل هي في سائر اعضائه * فينبغي على هذا ان نجسّ كل عضو فينا لنعلم اينا اكثر حركة وانتفاضا ونغضانا ونبضا وازّا ونَبْضا وأُزوحا وحَبَضا * اذ لا يصح الحكم على شيء الّا بعد الاستقرآء والاستقصآء * فيقول لها وقد طرب وجدا وحبورا نعم نعم نعم القول ما قلتِ * غير انه لما كان

للانسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ فى غيره ما لا يلاحظه فى نفسه * كان لا بدّ من ان يكون هذا الاستقرآ بالتخالف اى — فتبتدره فائلة قد فهمت ما عنيتَ وهو معلوم بالبديهة ومستغن عن التفسير وهذا هو الذى قصدت * فهات يدلك وخذ يدى * حتى اذا جالت الايدى بالجث والجس * والمَث والمس * والنجث والنجس * والبحث والمعش * والصبث واللمش * والطمث والملش * والفحث والفتش * والقبث والمتش * والمرث والمرش * والمغث والمعش * والنبث والنبش * والنقث والنكش * والنث والنتش * قالت وقد قوى حَبَضها اَلاَ هَيْتَ لك * الا هيت لك * فان قولك على ايّ الحالين صدق * فيقول لها لَبّيك وسَعْدَيك لقد طالما شبحت يدى بالدعآ لان اسمع هذه الدعوة المنعشة و[illegible] المطربة — أَعلى هذا كان الفراق * ام من اجل هذا حسّنت لى السفر بان قلت لى ذات ليلة انى ارى بك يارجل فتورا * فلو سافرت الى ارض طيّبة الهوآ لعاد اليك نشاطك القديم * فعدنا الى ذلك النعيم * افكانت هذه حيلة منك على تغييبى ليخلو لك الميدان فتمرحى فيه كيفما شئت وتتعاطى علم جسّ النبض وحركات الاعضآ * الم يكن لى نبض كسائر الناس فتتعلمى به هذا العلم الجليل * ام تزعمين انه ضعيف لا يصلح لان يتعلّم عليه * على انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بسببك * وعهدى به من قبل ليلة عرسنا له ضَرَبان وانتفاض وانغاض * افهكذا يفعل المتفارقون * وبمثل هذا يخون المترافقون * ايحلّ لك من الله ان تتنعّمى لان وانا فى حالة البوس والشقآ * بَطِرًا تجسّين العروق وانتى عَرِق المجسّة انّ بى عُرَوآء * الم يكفِ ما كنت اقاسيه معك فى البيت حين كنت اغدو منه كادحا * وارجع اليه رازحا * وكانت همومك كلها

عليّ * ولّومك * ... متوجها اليّ * فكنت انصب لراحتك * وارق لاجهاضك (١) * والغب لتشبعي * واجهد لترتعي * وابرد لتدفأي * واقلق لتهدأي * واتهجد لتهجدي * وانحل لتمغدي * فقد تبيّن الان اننا ذو امانة * ومداهنة وخيانة * واذ كنت اقول لك ان الامانة في النسآ اقل منها في الرجال * فان الرجل ابدا مشغول البال * مضعضع الاحوال * يلهيه عن اللذات كدّه ونجله * ويصرفه عن هواه رشده وعقله * والمراة لا همّ لها الّا تشويق الرجال * وفتنتهم بها في كل حال * كنت تقولين لا بل المراة اكثر حشمة وحيآ * واقلّ نهمة ورئآ * واميل طبعا الى التعفف * وابعد خلقا عن التكلّف * فان جمعنا الدهر يوما وافضنا في حديث الوفآ * والمودّة والصفآ * حججتك بما لا تقدرين معه على الجواب * واظهرت فضل الرجل على كل ذات نقاب * الخائنات الحانثات * المائنات الغادرات * فان ابيت الا الجحد والمكابرة * فالهراوة لديّ حاضرة * واليد للّطم واللّكم مبادرة * فاذا امسكت بناصيتي او جيبي * واذعت بين الجيران عيبي * جعلت لك من السُّجاب صليبا * او من الذأْط نصيبا (٢) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الغيظ كل هياج * وودّ لو يطير الى بيته مع العجاج * فينقلب فرحه ترحا وصفاؤه تكديرا * فال غير ان للحزن في مبادئه فائدة * وهي ذود شوارد الامال المغررة والأماني المحالة الى مراح البصيرة والرشد * بحيث يسكن البال * عن الحوم على موارد المحال * ويستقرّ الحال * على فطم النفس عن الاحتيال * والى هذا اشرت بقولي

(١) اجهضت المراة حملت فاقربت وعظم بطنها *

(٢) يقال ذأْط وذأْط وزعط وظأْت وذُعَتّ وذأْت وذُعَت وزَعَت وزرت وسأْت بمعنى خنق

وربّ حزنٍ يصون القلب من سَفَه كما يصون إنآء واهيا صداه

وما انقضى من لذاذات الهوى عجلا سيّان غايته عندي ومبتدأه

قال واروق الافكار وابدعها ما يخطر فى ثلثة احوال * الاول فى مبادى الحزن * والثانى فى الفراش قُبيل النوم * والثالث فى بيت الخلآ * فان هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل موادّ متكائفة تتنفّس عنها الامعآ والاعفاج * كان هذا التحليل والتنفس اسفل موثرا فى تحليل ما تعقّد فى طبقات الدماغ العليا فى وقت واحد ومكان واحد * فيكون بعض الموادّ ذاهبا سفلا وبعض الصُوَر صعدا * كالبخار الذى يصعد من الارض فيعقد سحابا ماطرا * فقد عرفت مما مرّ انه يتحصّل من الحزن من الفوائد ما لا يتحصّل من الفرح * لان الفرح يبعث على الطيش والذهول وتشتت الخواطر فى اهواء النفس واوطارها المنتشرة * فهو عبارة عن تعدّد اهوآ وتفريق خواطر * والحزن عبارة عن ضمّها ولمّها * ولهذا كان جلّ العلمآء من الصعاليك المبتئسين * وقلّ من نبغ فى المعارف من الاغنيآ والمترفين * الا ان يكون قد غرس فى طباعهم نوع من الزهد والعزوف المقترن بالحزن * قال واحسن ما سنح لى من الخواطر انما كان عن بواعث اشجان * وخوالج احزان * اما من وحشة فراق او من خيبة وحرمان * او من حسد على علم وبراعة امّا على مال وثروة فلا * اللهمّ الا اذا كان لمصلحة كانشآ مدارس ومؤاساة محتاج * وانى لاعجب منّ هولآ الرهبان فانهم معما هم فيه من الوحشة والحرمان فما احد منهم نبغ فى علم او ماثرة * ولو كنتُ راهبا لملأتُ الدير نظما ونثرا والّفت على العَدَس وحده خمسين مقامة * ليت شعرى كيف يمكن لبشر اذا خلا فى صومعته وراى تحتها الغياض المدهامّة والبحر الساجى والجوارى المنشآت * وعن يمينه وشماله الجبال الشامخة المكلّلة بالثلج وفوقه الرقيع الصافى وامامه القرى والمنازل * ان يقضى نهاره كله وهو يرمش

ويُرمِك (١) ويتثآب ويتمطّى ويملّد معدته من دون تاليف ونظم * ولا سيما ان من حسن ساكنات تلك الديار ما يشرح الصدر ويروّح من البال * فاذا كانت هذه المناظر البهيجة كلها لا تهيج هولآ النسّاك على تاليف كتاب فايّ شي بعدها يهيجها * هذا وان كثيرا من المسجونين قد الّفوا وهم في الضنك تآليف بديعة * يعجز عنها سكان القصور الوسيعة * فاما ما قيل عن عبد الله بن المعتز من انه كان ينظر الى اواني داره ويشبّه بها فليس كل عبد كعبد الله * فانّا نرى الناس الان كل ما زاد ثراهم قل جاهم * والحاصل ان وحشة الفراق تبعث الخاطر على ابتكار المعاني الدقيقة * وكذلك الصدّ والهجران والاعراض والمطل والعتاب والشفون والدلال والتمنع والتعزز من طرف المحبوب * ولكن ليس محصول هذا الحاصل اغرآ الحبيب بهجر محبّة حملا له على النظم * او تعمّد الفراق بعثًا له على وصف ما يجده من الشوق واللوعة * فان احسنه ما جآت به المقادير دون تعرّض له * وها انا ابرّئ نفسي عند العاشقين والمتزوجين واقول * انه اذا جرى بينكم وحشة اوجبت الفراق * او فراق اوجب الوحشة * او صدّ او هجر او لجاج * او جدال او اعتلاج * او تقافس او تفاقس (٢) او صراع بالشُغربيّة والشغزبية والقرطبّي والالهاد والدهشرة والظُهاريّة والمَبْأشة والبأش والعُرْضة والنُقَص والمراسغة والتنسّف والتعرّق والاعتقال فما يكون عليّ في ذلك من عتاب ولا ملام * انتهى كلام الفارياق وقد احسن فيه * الا انّه لم يحكِ عن نفسه انه كان عند الحزن جَزِعا خَرِعا كثير الوساوس والهواجس قليل الحيلة والتدبير غير ثابت الراي ولا مُصبّ على ما في نفسه * فانه لم تكد ارض الجزيرة تغيب عنه حتى طفق يشكو من النسآ ومن بطرهن عند غياب بعولتهن

(١) ارمك عينيه غمضهما وفتحهما

(٢) تقافسا بشعورهما تواثبا وفقس فلانا جذبه بشعرة سفلا وهما يتفاقسان *

عنهن * فسمعه الحرجي وزوجته فقالا له ما بالك تشكو لا خوف عليك من تعبير الوحش مدة السفر كلها * واذا بلغت ارضكم ان شآ الله فلا احلم الّا الاحلام البيّنة * قال ما شكواى من الوحش ولا الجن بل من الانس * فانى سمعت اليوم كذا واوجست كذا ولعلّى ارجع واجد كذا او لا اجد كذا او لا ارجع ولا اجد البتّة * فلمّا سمعت زوجته بذلك نارت زبانية سقر من انفها فقالت له * هل بلغ من طيشك ان تسبئ الظنّ فى النسآ المتزوجات * قال قد ظنّ فيهن ذلك من قبلى الحليم الرزين * قالت ليست هذه الخلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجى ما يخامره ريب فىّ * قال ان السيّد مشغول بالاحلام بحيث لم يبقَ فى راسه موضع لغيرها * اليس ان عالمكم بيرون يقول اُخْوَن ما تكون المراة ما اذا غاب عنها زوجها * قالت انه شاعر وان كلام الشعرآ لا يوخذ به فى الحكم على النسآء الا اذا كان نسيبا وغزلا * ثم بينما هم كذلك اذا بالريح هاجت الامواج فاضطربت السفينة ومادت اىّ ميد * فلزم كلٌ مكانه مدّة اربعة ايام حتى ذهل كل من ركّابها عما وراه وقدامه * وبعد سفر اثنى عشر يوما بلغوا مدينة بيروت وهم جياع تعبون شاحبون مبتئسون * والهالج يترقب اول فرصة من الدهر لهبوط الاحلام * فلما دخلوا البلد كان أول ما طرق مسامعهم من كلام اهلها الركيك قول المخبّر ان اهل الجبل قد خلعوا ربقة الطاعة لوالى مصر وتجنّدوا عليه * فكان اهل المدينة فى شغب واضطراب * وكان دُوار البحر والفراق * لم يزل يميد براس الفارياق * فصعد الى جهة الجبل ليرى اهله فلقى بظاهر المدينة عسكر الاهلين مخيما * فهوّل عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار نصف قلبه من صدره ولم يرد قلب المهوّل شيا * لكن بعض الناس

يرتاح للاذى وان لم يحصل له به فائدة * ثم لطف الله به وانقذه من القوم فبلغ منزل اهله * فلما علم قدومه عند اهل القرية اقبلوا يسلّمون عليه مثنى وثلاث ورباع * فكان ينظر اليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بعاداتهم * فان النسآء كن ياتين ويقعدن على الارض * فمنهن من كانت تقعد بين يديه القُرفصآء او الهَنْقعة او الاربعآ او الفرشحة او البرنطة او البرقطة او القرشطة او القَعْفَزى * او تَبْجا او احتفازا او امتعاسا او استيفازا او اقعاء كقعدة القرد وهى مشمرة قميصها فتنشق سراويلاتها عن وقاحها * وهى عادة أَلِفنها ولا يرين فيها عيبا * واكثرهن تبدى ثدييها سوآ كانت كاعبا او هصلآ او طرطبة * ويومئذ افرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك يافارياق نحيلا * ومن قائلة وقد صرت ضئيلا * واخرى ما لسحنتك قد كلحت * وغيرها ولطلعتك قد قُبحت — ولاسنانك قد قَلِحت — وجبهتك لُتِحت — وارنبتك فَطِحت — واساريرك أُرِحت — وبشرتك قَشَحت — وشفتك تقرّحت — وعنقك شُقِحت — وعينك لَجِحت — وقامتك تنفّحت — وشعراتك تصوّحت — وعجيزتك رَسِحت — وذقنك طُحّت — ولهجتك قَحْقحت * قال فتشآمت من هذه القوافى وقلت لم يبقَ بعد تعدد هذا الحت الا ان يقلن وتلك قد نكحت * ثم قالت واحدة منهن ايه وهذه هُنَة قد زادت فيك * فقالت اخرى أَوْه وهذا شى نقص منك * ثم جعلن يقلّبنه ويعرضنه كما يقلّب الشارى السلعة * وكلهن يقلن بنغمة واحدة يافارياق اين الطنبور واوقات السرور * اين ابياتك فى العقوص والطنطور * انسيت يوم كذا وليلة كذا * قال فكنت مسرورا بموانستهن وسلامة ضمائرهن عن المنكر كما هو خلق نسا تلك البلاد * فانهن لا يابين من لمس الرجال والدنو منهم ومماسة الرُكَب دون

الرُكَب * الا انه كثرت مسائلهن عليّ * وطال قعودهن بين يدى * وانا محتاج الى الراحة والانفراد * ومع ذلك فمجلس النسآ مونس على كل حال ولا سيما لمن مضي عليه فى البحر اثنا عشر يوما من دون رؤيتهن * فلو نتفن بعد هذا العهد الطويل لحيته وشواربه بالمسآئل لما لحقه من ذلك اذى * قال واعجب من ذلك انى كنت ارى الامرآ يقعدون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد * وربما اجتزأوا بالبيض والارز واللبن عن الحمام والفراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نقل * وارجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلعوا نعالهم بالقرب منه فتبقى بمرأى منهم * وترى بعض خدمهم يقوم على روسهم اى بازائها لا فوقها وفى حزامه الملعقة * وآخر فى جيبه الطاس من فضة اشارة الى غنى الامير والى كونه كاحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب * وهو قاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فيسامره ولا آلة لهو تطربه * وقد يقضى ساعات من النهار هكذا بل يوما واياما ولا يرى من امراة اصلا * حتى تعمش عيناه ويظلم فكره وتلقس نفسه وتحرض معدته * فاين هذا من مجالس الافرنج التى تزين بالمتكآت النفيسة وتفرش بالزرابى الفاخرة وتوطا بالنعال * ولا تزال الحسان مقبلات عليها مدبرات * فمن هيفآ تشرفها بوطأة * ومن غيدآ بطفرة * ومن زهرآ بزفنة * ومن وطبآ بحركة * ومن دهسآ باضطجاعة * فمن يصبر على هذه الحال * فياامير الناد * وواحد الامجاد * وراكب الجواد * ورامى الجريد على العباد * قل لخادمك حامل الطاس ينحّ نعليك من امامك * بل البسهما وتعال معى الى بلاد الافرنج لننظر الامرآ منهم مخاصرين لازواجهم واولادهم

سائرين بهم الى المنازه والحدائق ومواضع اللهو واللعب والطرب * ولا حرج على ازواجهم ان يبتسمن اويملن اعناقهن او يتفرّسن او يوكوكن او يحدقلن او يحرجلن او يفرجلن او يهرجلن او يهركلن او يتبازين او يُكَبّبن * ولا على اولادهم ان يطفروا ويمرحوا * حتى اذا كحلوا اعينهم بروْية الكَحَل باتوا ليلتهم تلك على الوليـر من الفرش مع وثائرهم * ليت شعرى لمَ لا تضمّ اليك مع جملة هولآء الحقّان والوَصفآ والبسانقة والنساتقة والهبانقة والمَهَنة والمَناصف والنَصَف والحَفَد والمَقاتِوة والخدم والحشم الذين حولك ثلثة نفر من العازفين بالات الطرب * ليجلوا عن خاطرك صدأ همّ الوحدة والاعتزال فى كل يوم عند الاصيل او فى العشآ * وأْذنْ لى فى استعطافك لان تاذن لجيرانك فى ان ياتوا هم ايضا ويطربوا لطربك * فيدعوا لك بتاييد دولتك * وتخليد غبطتك * ودوام بقائك * وسمو ارتقائك * وفى ان اسالك لمَ لا تعيّن فى العام عيدا لمولدك او لمولد السيدة او الاولاد المحروسين * فيكون يوم فرح وحبور لك ولجميع من ينتمى اليك * بحيث تصطنع فيه مادبة وتدعو اليها دعوة جَفَلى لا نَقَرى * اىّ خيرٍ فى رمى الجريد واصابتك به كتف خويدمك العبد الحقير او ضرسه حتى تعطله عن الاكل وانت لاهٍ عن احسن الرمى واصوبه واصرده وامرقه * وانت آمن هناك من ان يقال لك بَرْحَى برحى بل يقال لك مَرْحَى مرحى * هذا ما عدا ايلام ابطك الفاخر العاطر برمى الجريد * وما الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفى حزامه الملعقة او على راسه الخوان او على صدره القصعة والباطية او بيده العُسّ والقعب او على عاتقه المائدة او على عنقه القِدر * وانت لا تاكل مع السيدة واولادها ولا تاخذ ولدك وتضعه على ركبتك * ولا تحمله على ظهرك ولا تتطاطأ

له ليثب فوق راسك * ولا تحتجره ولا تحتضنه ولا تتوركه ولا تعانقه ولا تحول له خدك ليبوسك * ولا تمكنه من ان يعبث بشاربيك او يعض اصبعك او انفك ليضحك قليلا فاضحك انا كثيرا * ولا تطعمه بيدك ليعرف انك محسن اليه * ولا تاكل شيا مما يلوكه * ولا تركبه على جحش وتقود به الجحش ولا تغنّى له فى الليل ليرقد على نغمتك فيقوم فى الصباح يغنّى لك غنآ اطرب من غنآ الفقنّس ومعبد وابى البَدّاح وسواط والعَثْعَث وخليلان وعمرو بن بانة والزّنام وممدود بن عبد الواسط الربّانى وزَلْزل وصُرْفان والجَرادتين وابنة عفزر وسلّامة وشَمُول وابن جامع السهمى وذُبَيس ورُقيق وابن مُحْرز والمشدود وهاشم بن سليمن ودحمان الاشقر وطُوَيس وابن شريح والدلال بن عبد النعيم وابن طنبور اليمنى وحَكَم الوادى وابرهيم الموصلى * واشجى من

الزُنْم ومن صوت كل دُعْبُب غريض — الزنم المغنيات المجيدات والغريض المغنى المجيد ومثله الدعبب *

ولا تبابئه ولا تغازله* — باباه قال له بابى انت *

ولا تناغيه ولا تباغمه* — باغمه حادثه بصوت رخيم *

ولا تنادغه ولا ترأمه * — نادغه غازله ورئمت النافة ولدها عطفت عليه ولزمته*

ولا تنغّره ولا تَرَخّمه * — نغّر الصبى دغدغه كنغّزه ورخمت المرأة ولدها لاعبته*

ولا تهبنم له ولا تيرَعّمه * — رعّمه مسح رَعامه اى مخاطه غير ان صاحب القاموس خصّه بالمراة بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام الرُعْموم للمراة الناعمة فالعفو مرجو منهما على كل حال*

ولا تُرزم لرَزَمته * — ارزمت النافة حنّت على ولدها والرزمة صوت الصبى *

ولا تتجنّث عليه * تجنّث عليه رثمه واحبّه وتلفف على الهوى يواريه *

ولا تقرّمه ولا تسمّته * التقريم تعليم الاكل والتسميت الدعآ للعاطس (١) *

ولا تُفْدى له ولا تُصْهيه * افدى فلان رقص ابنه واَصْهاه دهنه بالسمن ووضعه في الشمس *

ولا تدسّم له نونته * النونة النقرة في ذقن الصبي الصغير وكذا الفُحْصة وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين *

ولا تبدى له البجبجة * البجبجة شي يفعل عند مناغاة الصبي *

ولا الحُوفْزَى * الحوفزى ان تلقى الصبي على اطراف رجليك فترفعه *

ولا تقول له حَلْقَةْ * قولهم للصبي اذا نجمّا حلقة اى حلق راسك حلقة بعد حلقة *

ولا بُجْباحِ * بجباح كلمة تنبي عن نفاد الشي وفنائه *

ولا مُحْماحِ * هو كقولهم بجباح ومثله خُضْحامِ وهمهام *

ولا كِخِّ كِخِّ * يقال عند زجر الصبي عن تناول شي *

ولا تعنّى بدَنْعه * دنع الصبي جُهِد وجاع واشتهى وطمع وخضع وذلّ ولؤم *

ولا بقُقته * صوت يصوت به الصبي او يصوت به اذا فزع *

ولا تكثرت لبأباته ولا لببّته * بابا الصبي قال بابا وقبّة حكاية صوته *

ولا لتغتغته ولا لشغشغته * التغتغة حكاية صوت الضحك والشغشغة عقّ الصبي قبل ان يثّغر *

ولا لتأتأته ولا لدأدأته * التأتاة حكاية صوت وهى ايضا مشى الطفل والدأداة صوت تحريك الصبي في المهد *

ولا لدَعْبَعه ولا لحَنارشه * دعبع حكاية لفظ الطفل الرضيع وحنارش الصبي حركاته *

(١) في تعريف التقريم ابهام علىّ فان التعليم هنا يحتمل ان يكون من العلامة فيكون للاكل بمعنى الطعام ويكون المراد به ما اراده بقوله في رس م الرَّشْم خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الطعام وفي رش م رشم الطعام ختمه والّا فهو في محلّه *

ولا لإدْرامه * ادرم الصبي تحركت اسنانه ليستخلف أُخر *

ولا لفُصِيْصه ولا لانتداغه * فصّ الصبي فصيصا اذا بكى بكآ ضعيفا وانتدغ ضحك خفيّا *

ولا تبالى بمِعْقاده * المعقاد خيط فيه خرزات تعلق فى عنق الصبى *

ولا بقِرْزَحْلنه * من خرز الصبيان *

ولا بدَرّاجته * الدراجة الحال التى يدرج عليها الصبى اذا مشى *

ولا بحقابه * الحقاب خيط يشد فى حقو الصبى لدفع العين *

ولا بصُمَّتته * الصُمتة ما أُصمت به الصبى من طعام ونحوه ومثلها السُكتة *

فبحق عبوديتى لك ياسيدى ودالّتى عليك الا ما وضعته يوما على ركبتك اواركبته على ظهرك * ثم لا باس فى ان تدعه يلعب مع اولاد من هم متّسمون بشرف خدمتك فانه لم يزل بعدُ صغيرا لا يعلم هذه الفروق * ثم لا باس ايضا فى ان تسهر هذه الليلة فى حريمك المحترم مع بعض رجال قريتك وازواجهم ممن يتادبون فى المحاضرة بحضرة النسآ * فانى ارى صدر السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهو حتى ينشرح بها * ولا غرو ان تستفيدا كلاكما من مسامرة رعيتكما شيا * فان راس الفقيْر ليس باضيق ولا اصغر من راس الامير عن ان يشتمل على ارآء سديدة مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمامة منه واغلظ قذالا * وكيف ترجو ان تكون السيدة وبناتها ذوات رشد ودراية وهن مقصورات فى الدار العامرة * ام كيف ترضى لهن وحاشاك الجهل والغباوة * وانتم ياسادتى الحكام والمشايخ والكبرآ والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا باهلكم وازواجكم مع اهل جيرانكم * (ولكن المطارنة ليس لهم ازواج

لتنزّهم عن الواج) وان ترفعوا فرق المذاهب من بينكم فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور * انما الدنيا النسآ انما الدنيا البنون * اُعلموا رحمكم الله ان الاجتماع بالنسآ لا يخل بشرف المنصب * اعلموا هداكم الله ان فرق الارآء فى الاديان لا يمنع من الالفة والمخالّة * اعلموا اصلحكم الله ان فى حمل الانسان ولده على ظهره وتطوّقه برجليه اللطيفتين لَلذّةً اعظم من لذة تطويل الجُبب وتوسيع الاكمام ونكوير العمامة ومن وقوف الخدمة وايديهم على صدورهم * اعلموا فقهكم الله ان العرب لم تخصّ حركات الطفل باسمآء الا وهى تريد ان تلاحظوها وتتنبهّوا لها * حتى انها وضعت لحَدَثه حرفين غريبين فى التركيب لا ثالث لهما فى اللغة كلها وهما الصَّصَصُ والقَقَقُ * اعلموا وفقكم الله ان مستر ومسيو وهر وسنيور انعم منكم بالا واحسن حالا * اعلموا نصركم الله ان الفارياق رجع الان الى بيروت وانى انا العبد الحقير كاتب سيرته مفكّر فى انشآ مقامة تسرّ العزب منكم والمتزوج معا *

(حاشية اظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فراح كلامى معهم فى الريح)

(تنبيه قد اطلت الكلام فى هذا الفصل الموذن بالفراق ليقابل فصل الزواج)





الفصل الثالث عشر

في مقامة مقيمة

حدس الهارس بن هشام قال * سوّل لي الخنّاس * (اعوذ بالله من هذا الافتتاح) الذي يوسوس في صدور الناس * كل غَميس وعُمناس * ان تزوجت امراة خرّاجة ولّاجة * هيّاجة نبّاجة * مِرغامة معذامة * لوّامة رطّامة * خُبُعة طُلَعة * خُليعة جلِعة * تجاوب ولا سوّال * وتبارز ولا قتال * وتقترح عليّ اشيا يعجز عنها الدينار * وترميني في مهالك دونها النار * فكان دابي ان اصبر مرة عليها عذيرا * واخرى ان اشكو اليها فلا تزداد الا شرّة ونفورا * ولا ينجع العتب فيها نقيرا * فقلت تالله لأُجفرنّ عنها واوهم ان بي جفورا * او لاضربن في الارض لاعلم هل ارى لها نظيرا * فاخترت الراى الثاني * بعد التعوذ بالمثاني * وخرجت من بيتي كئيبا مبتئسا * ساخطا على جميع النسا * فبينا انا في بعض الطريق * اذ مرّ بي سِرْب منهن يخطر بالثوب الصفيق * والحلى ذي البريق * وقد ارجت الارجآ بطيبهن العتيق * فرايت من بينهن الهيفآ والبدين * والغرّآ الزهرآ ضرة حور العِين * ومهنّدة العنّين * فتاقت نفسي الى وصالهن * وتبلبل بالي بجمالهن * ونسيت ما لقيت من لكاعى في البيت * وقلت ليتكنّ لي لو تنفع ليت * ثم انشدت

اری للنسآ الماشيات حلاوة　　فهل من حلوات كذا فی المقاصير
ولست اری فی الّتی ان مشت وان　　اقامت سوی مقت وكره وتمرير
اراها بعينی حيث كانت بعينها　　فهل ذو عمًی غيری يراها من الحور

فابتدرت الیّ واحدة منهن لها عنق كعنق الغزال * وحاجب كالهلال *
وقالت خفف عنك فما انت وحدك فی الرجال * ان زوجی قد قال *

افكّر فی لئامة طبع زوجی　　فاكره كل انثی فی النسآء
واحسب انهن مغايرات　　لها فاحبّهن علی السوآ

ثم التفتت الیّ اخری وجبينها يلمع كالصباح * ولحظها يدمی كالصفاح *
وقالت اسمع ما قاله زوجی فیّ * ولا تك من قارفیّ *

تخوض زوجی فی كل الفنون وما　　تخشی خطآء ولا ردّا مع الظرفا
تكون غالطة فی كل مسئلة　　وليس تغلط يوما ان تقول كفی

ثم تقدمت الیّ اخری وحبب عرقها كاللآلی * وحالك فرعها كالليالی *
وقالت دونك ما نظمه فیّ بعلی * وانظر هل يصدق ذلك فی مثلی *

تودّ زوجی شططا اننی　　عبد مخيليق لمرضاتها
وان تشهت حاجة لم تُنَل　　اكون خلّاقا لحاجاتها

ثم دنت منی اخری وهی تهتز عُجبا ودلالا * وتبسم عن شنب ما رای
الناظر له مثالا * وقالت هاك ما انشدنيه كفيحی من اول ليله * آذن
منها بالثبور والويله *

لزوجی خلقةٌ اُضعاف مالی　　من الشفتين والفم واللهاة

فكيف يتاح لى اشباعها وهى تصرخ كل وقت هات هات
فامّا أن تضعّف لى اداة والّا فارتكاب الترّهات

ثم اقبلت علىّ الخامسة * وهى من الخفر كالظبية الكانسة * وقالت انشدك ما قال فىّ شيخى فى الليلة السادسة * وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة فانني اقول زوجى دون ها
اذ لا ارى التانيث فى اخلاقها بل الفحول فى العراك دونها

ثم تقدمت السادسة * باشّة آنسة * وقالت اروِ هذين البيتين * عن حليلى الذى اعتاد قول المين * وهما

تراقبنى زوجى عليلا وسالما نهارا وليلا نائيا وقريبا
فصرت اذا عانقت فى النوم طيف من احبّ اراها بالوصيد رقيبا

ثم دلفت السابعة * وكانت ذات حقيبة سابغة وطلعة رائعة * وقالت وفى معناهما قال زوجى المفترى * واجترا علىّ بما لم يكن رجل على امراته يجترى * وذلك قوله

تغار زوجى علىّ حتى اذا رانتى مرضت تمرض
فما رانتنى فى حالة ما الّا وكانت لها تَعَرّض

ثم انبرت الثامنة * وهى على ما ظهر لى رافنة زافنة * وقالت قد سمعت زوجى يتغنى بهذين البيتين * بعد اسبوعين * وهو مطرق الى الارض كمن فقد العين * ويئس بالحَين * وهما

تـودّ زوجى ان لى　　شانيـين من مفاضحها
همَن حمار قـارحـــا　　وقـرن ثـور ناطحها

ثم استقبلتنى التاسعه * وهى تفترّ عن لآلئ ناصعه * وقالت ونحوهما ما قاله فىّ ابو ولدى * وقد حفّظه كثيرا فى بلدى وفى غير بلدى *

ان رازنى عالم او جاهل بدرت　　زوجى اليـد وخاضت معه فى الجَدَل
وان تجده خبيـرا بالبعال تقـل　　كل العلوم انطوت فى صدر ذا الرجل

ثم تصدت لى العاشرة * وهى ذات قامة معتـدلة وعين جائرة * وقالت واقطع من ذلك * ما ينشده رجلى فى المنازل والمسالك * وهو قوله

ان يزرنى يوما فتى ذو صلاح　　اسدتنه زوجى فـراح خليعـا
او خليع مستـهتَـر اطـمعتـه　　وعليـه غارت وحامت ولوعا

ثم دعتنى الحادية عشرة * وهى متمايلـة مسبكـرّة * وقالت ان زوجى السيئ الظن * قد جازف الكلام فىّ بما لاح فى باله وعنّ * فقال

ترى زوجى الرجال فتشّقيهم　　وليس لامر عن حبّ الصلاح
ولكن خوف ان يغشى عليها　　من القرم الشديد الى السفاح

ثم مالت الىّ الثانية عشرة * وكانت قصيرة حادرة * تارةً حارة * وقالت عقما وعقرا * عن مثل زوجى الهرّا * فانه هجا النسآ طرّا * اذ قال

ليس العُفاف من النسآ سجيّة　　لكـنـه سبـب الى الافســـاد
كالضرس تقلعه ليسلم غيـره　　وعلى الذى باينت حزنك بادِ

فقلت لا جرم لاقصدنّ منتاب هولآ الشعرآ * ولاتخذنهم لى عشرآ *
فعسى ان آنس منهم رشدا * واجد عند نارهم هدى * فان من كلامهم
لَحِكَما * ومن أمّهم لأمَما * وكان من عادتهم ان ينفردوا عن القوم * فى
كل يوم * ويتذاكروا امور الدنيا من العصر الى المسآ * ولا سيما امور النسآ *
فاستقصيت عن محشدهم * ودُللت على مقصدهم * فاذا هم بجملتهم
قاعدون على دكة عند البحر * وقد ضربوا لهم سرادقا يقيهم من الحر *
فسرت اليهم * وسلّمت عليهم * وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمُتّ
اليكم بالوداد * وقد بلغه من كلامكم ما وخّاه اليكم عن رشاد * قالوا مرحبا
بالقادم * وان يكن غير منادم * فلما استقر بى المجلس * انبرى واحد
منهم ينبس * قال * لا بدّ لى من ان انهى ما شرعت فيه * واظهر لكم
مكنونه وخافيه * نَعَم لمن خُلق هذا الكون اِلّا لهن * واىّ رجل ما ناله
مِحالهن * وعنّاه وصالهن * ومنّاه مُحالهن * فهن المتمتعات بدرز الدنيا
ونعيمها * ولذّاتها وطعومها * وحليها وجواهرها * وتحفها ونوادرها * يقترحن
علينا الممكن والمحال * ويكلفننا امورا دونها دق اعناق الرجال *
لكل عضو من اعضائهن حَلّى يزينه * وربما اتخذن له اثنين وثلثة ولا
تزينه * ثم ابتسم كاشرا عن نابه * واستمر فى خطابه * وبكل جارحة منا
جراح منهن لا توسَى * وحزازات لا تنسَى * يتهالك فى حبّهن المالك
والمملوك * وسوآ فى الحاجة اليهن الغنى والصعلوك * وانهن يرمين
الرجال فى مهالك * ومضايق ومرابك * ليكفوهن مونة الاطيبين *
ويفيزوهن بفرص البين * فيخوضون البحار * ويقتحمون القفار * ويعرضون
انفسهم لحدّ السيف * ولحرّ الصيف * وبرد الشتا * وذلّ الاختتآ * ودهمات
الاعدآ * ودغمات الأردآ * ومقاساة الطما والسغب * ومعاناة الشقا والتعب *

ومداراة الرقيب * ومباراة المعيب * وكلاغصاً عن الشين * وكلافصاً الى الحين * وطالما قفل احدهم الى بينه فوجد فيه قفل عرضه مفتوحا * وسرّ امره مفضوحا * فراى فى موضعه ضَيْزنا وزبونا * وقرينا وقرونا * وكثيرا ما آب وقد شُتر شدقه * او وُقصت عنقه * او كسرت ساقه * او إئْف جلاقه * او ضاع ماله * وسآت حاله * فاول ما تبتدره به من الكلام * قولها له قبل السلام * اين الطُرْفة * وكم من نُحْلَى وتحفة * ولو انك كسوتها حلة بوران * واسكنتها قصر غُمدان * واطعمتها افخر كلالوان * وسقيتها من الرحيق من يد الولدان * وطرّبتها بالعيدان * ونزّهتها فى رياض الجنان * وحملتها على كلاكتاف * وواليت عليها كلالطاف * لما رايتها عنك راضيه * ولا لحاجتك قاضيه * والويل لك ان ناهزت الخمسين * وعجزت عن التمويه * او بدا الشيب فى عارضك عند كلاربعين * او اصابك مرض فى بعض السنين * وهى عند ذلك تتفتّى وتصبّى * وتتصبّى مَن يرضى ومَن يأبى * فتغادرك فى الفراش منهوكا * وتلازم الشباك وتشير منه الى من يلبّيها وشيكا * أنِ اغتنم من الدهر هذه الفرصه * فما من دونها غصّه * اذ هو فى الفراش لا يعقل ولا يعى * ولا يبصر من يكون معى * ثم تاتى اليه فتقول اوص يارجل فقد ازف رحيلك * وجفاك طبيبك وخليلك * وملّك عائدك ومقيلك * وانت خبير ياذا الحْليله * بانه لن يعجزها فى كلاجهاز عليه حيله * وانها اذا رامت ان تتخذ فى كل يوم خليلا * ألْفته ورآ الباب عتيدا فعولا * معاودا وصولا * فوسيلتها اليه غمزة بعينها * ومُنيتها لديه شْخبة تطفى اوام غينها * بخلاف الرجل فانه لا يزال بحرفته مشغولا * مكبّلا بهمه معقولا * او يخشى انقباضا وترويلا * او صرف درهم لن يجد منه بديلا * فكيف يقال ان الرجل والمراة فى التكفل بأذل

المعارم سيان * وفى التكلّف لحمل المغارم عديلان * فهل فيكم من مجيب * عن هذا الامر المريب * فتصدى له الذى هجا النسآ جميعا * وقال دونك الجواب سريعا * فكن له سميعا * وللحق مطيعا * انى انما هجوت النسآ لا من حيث انهن اسعد منا واسلم آفات * او اقدر على اللذات * وافوز بالمسرات * بل من حيث انهن خلقن لنا فتنة وصلالا * وعذابا ونكالا * فما قلته فيهن فقد قلته عن حسد * وما اقوله الان فهو عن تحرّ ورشد * ان المراة ما دامت فى بيت ابويها عانسا * لا تزال محظورة لا ترى لها اليفا ولا مؤانسا * واخوها اذ ذاك يرتع ويلعب * ويلهو ويطرب * ويسافر ويتغرب * يالف من يالف ويصحب من يصحب * وكلما زاد مرحا * زاد ابوه ابتهاجا به وفرحا * فاذا تزوجت صارت تحت حظر بعلها * وصار هو مالك ناصيتها وولىّ فعلها * فلا تكاد تخرج من بيتها الا باذنه * ولا تاتى امرا الا اذا استوثقت فيه من أمنه * فان قال لها لك ان تفعليه * كان كالممتنّ عليها بتراث ابيه * وان قال لن تفعلى * رجعت وعبرتها كالوَلِى * وبنار حسرتها تصطلى * ثم ان عليها ان تتملقه اذا سخط مخافة بطشه * وان تقوم بخدمة رحله وحفشه * وتطبخ له كل يوم ما يقترح عليها * وتجدّد له من قديم متاعه ما يلقيه اليها * وتحفظ نَضَده * وتقوّم اوده * وتربّى ولده * فكم ليلة تبيت تداريه فيها وهو يملا المكان غطيطا * وجخيفا ونحيطا * فهى التى ترضعه وتفطمه وترشّحه وتسرهده * وترعاه وتتعهده * وتوقظه وترقده * وتلعّبه وتلهّيه * وتعلّله وتراضيه * وتوانسه وتسلّيه * وتجالسه وتمنّيه * وتنظفه وتمشطه * وتمرّضه وتحوّطه * وتمشّيه وتحمله * وتستدرجه وتنقله * وتغسله وتلبسه * وتعطره وتطوسه * وتدفئه وتُلْبئه * أَلْبَأَه اطعمه اللِبا لاول اللبن

وتدادئه وتُهْدِئه * الداداة التحريك والتسكين والاهدآ التسكين *

وتزقزقه وتباغمه * الزقزقة الترقيص كالزهزقة والمباغمة تقدم ذكرها *

وتربّته وتهمهمه * التربيت ضرب اليد على جنب الصبي قليلا لينام
والهمهمة تنويم المراة الطفل بصوتها *

وتهدهده وترنّمه * هدهد الصبي حركه لينام والترنيم تقدم ذكره *

وتداعبه وتطايبه * وتدندن له وتقاربه * قاربه ناغاه بكلام حسن *

وتهدّنه وتضربه * هدّن الصبي ارضاه والضرب عقد بطن الصبي
ليسمن *

وتدغره وتصبّبه * الدغر رفع المراة لهاة الصبي باصبعها وصبّب الصبي
اطعمه الصبيبة * وهي سمن ورُبّ يجعل له في عكّة *

وتدرّبه وتذرّبه * التذريب حمل المراة طفلها حتى يقضي حاجته *

وتفرّمه وتجوربه * التفريم تقدم شرحه وجوربه البسه الجورب *

وتجلسه وتنسّسه * نسّس الصبي قال له إسْ اس ليبول او يتغوّط *
قلت والقياس ان يقال ايسه *

وتعوّذه وتنجّسه * التنجيس تقدّم ذكره في الفصل السادس عشر من
الكتاب الاول *

وتقمّطه وترسّعه * رسع الصبي شد في يده او رجله خرزا لدفع العين *

وتزينه وتزهنعه * هذا ولو لم يكن للمراة من غصّة في الاجل غير الحبل لكفى *
وذلك لمقاساتها بعده اذا كان من بعلها * ما لا يقدره غير مثلها * ولافتضاحها
به من غيره * على فرض عدم شعورها بضيره * فقد قالت العلمآ ان وضع
المراة جنينها من غير حليلها غير ذي الم * لكنما يعقبه بعض السدَم * ثم
ان المراة ممنية ما عدا ذلك باحوال عسيرة * واخطار كثيرة * وذلك

كإجالها وحِسّها وعَيْفتها وافْلها وتوجيبها وكإحشاشها ودِحاقها * وإسقاطها
وازلاقها * قبل الوضع وبعده (١) * وكنفاسها مدّه * هي برزخ بين الموت
والحيوة وعِدّه * وكالقرو الذي ياتيها في كل شهر * وغير مرة يمنيها بالبُهر *
لانه اذا تاخّر عن وقته اضنى ظهرها * وان قلّ او كثر اضنك صدرها *
واذهب صبرها * وكوحمها وتنفّرها وتانّفها شهوات في مدة الحبل كثيرة *
لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريرة * وهي ج جائشة النفس
ضَبِستها * وجاشيئتها ولقستها * واهية القوى * واهنة الشُوى * وغير ذلك
من العلل والاحوال * التي سلمت منها الرجال * ومَن نظر بعين الرشد
والانصاف * لم يتمحّل للخلاف * قال الهارس فكانّ الخصم انكسرت
شوكته * وفترت سَوْرته * فعارض بالمواربه * ثم خشي المشاغبه * فقام
احدهم وقال حسبنا ياقوم ما سمعنا * ودَعوا الفصل اذا ما رجعنا * ثم انفضّوا
والادلة معتلّة * والعقدة غير منحلة * فقلت عسى ان اصادف من عنده
بذلك الخبر اليقين * واكفى مونة السوال والتخمين * فقد رايت الاثنين
كفرسى رهان * وفارسى علم وبيان * بيد انى اخالهما قد نطقا عن الهوى * ولم
يتحرّيا الصدق الذي ينبغي لمن حدث وروى * واذا بالفارياق *
يهرول في بعض الاسواق * وبيده زنبيل يودعه من الماكول ما حسن
لعينيه وراق * فامسكت من فرحي بالزنبيل * وقلت الدليل الدليل *
قال هو جوع بُرقوع * يُرقوع بركوع * لا ينبغي ان يقام عليه دليل ولا
برهان * ولا بيّنة ولا شاهدان * وان القاضي نفسه لأجوع الناس الى
اللُمجة * واسبقهم الى العُمجة * وان شئت فقل الى الغُنجة * فقلت
انما الدليل على تلك * ولك الامان على ما في زنبيلك من الملك *
قال ما خطبك * وممّ كربك * افي حديث النسآ كنت تخوض مع

(١) الاجال ان ينزل لبن المراة من غير حبل * والحسّ وجع ياخذ النفسآ بعد الولادة * والعيفة هي ان تلد المراة فيحصر لبنها في ثديها فترضعها جارتها المرة والمرتين * والافل ذهاب لبن المرضع * والتوجيب انعقاد اللبا في الضرع * والاحشاش يبس الولد في البطن * والدحاق ان تخرج رحم الناقة بعد ولادها * والنفرن غثيان الحبلى *

الخائضين * وتحرص مع الحارضين * قلت بلى لامر ما جدع قصيرٌ أنفه * وللمقدور غادر الاليف الفه * ثم اخبرته بما جرى لى فى البيت ومع النسآ وعند الشعرآ * وقلت افدنى الجواب بغير مِرآ * فاطرق ساعه * وقال هاكه على قدر الاستطاعه * فان الجوع قد ابدى فىّ خراعه * ولم تغادر بى للشعر حواطر صدّاعه * وهو

تكافأ الزوجان فى اللذّات — واستويا فى أَرَب الحياة
قومى اقعدى مِثْلُ لهاتِ هاتِ — وطاوعى سدّ لآتِ ات
والمرء فى الصبَى على النزّات — اقدر او أَجْرا من الفتاة
لانها كثيرة العِلّات — غير القروء سآء من شَكاة
حتى اذا ما قيل كهلٌ عات — دار لها الدّوْر الى ميقات
غايته الستّون للشطّات — وبعدها غَدَا من الرفات
نعم يسوء المرء بين النات — صعف له اذ ذاك فى الاداة
لكن لها من اعظم الغصّات — المجرضات جَرَض الممات
ان نبْغها ياتى من اللِّذات — وهى تريده فتى الأَرّات
كلٌ له سهمٌ من الهنات — مُؤَرَّبٌ حتى الى الممات

ثم عدا بزنبيله * وجعل يتحوّفه ويعيث فى قليله * قال فصَدَعنى بالحق أىّ صدع * وعلمت انه غير ذى ضلع * فملت الى موادعة زوجتى * وتسكين هَوَجى ونوجتى * فاتيت منزلى * فوجدتها دآئبة فى عملى * فاكببت على عناقها معانقة المشتاق * وانباتها بما قاله الشاعران والفارياق * فقالت جزاه الله عنى خيرا * ولا اراه فى غربته ضيرا * ثم اقمنا على الوفاق * وتعاهدنا على حفظ الرفاق *



الفصل الرابع عشر

فى حوع دُبْعوع دُهْقوع

لما راى الخرجى ان سكناه فى بيروت لا تصلح لجسمه ولا لراسه عزم على الشخوص منها الى الجبل * فأُلقِيَ فى روعه ان يسكن فى دير للروم * فسار بزوجته وبالفارياق فاقاموا فى قرية تحت الدير يومين * وكان يانس بالفارياق بعض الحسان منها ويواكلنه * فلما علمت احداهن انه صاعد فى الغد الى الدير طفقت تبكى * فكانما ظنت انه نوى الرهبانية * فظهر له انها خالفت عادة النسآ لانهن يحببن الرهبان اكثر من العامة * فان فتنة النساك العباد تتوقف على رَوْم وكيد ابلغ وهو مما يلذّ للنسآ او بالعكس * حتى اذا رابنهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن جميع ضروب الحب فلا يفوتهنّ منه شى * والحاصل ان الفارياق بُكِي على فراقه هذه ثانى مرة فى عمره حتى صار يُحسب فى عداد المحبوبين * وانه ذهب فى الغد الى الدير واتخذ له فيه صومعة بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة باعِزْ بايْ (الذين ليس لابوابهم اغلاق * قلت وهو بنآ غريب) وكان ذلك الدير منتابا لجميع اهل القرى المحيطة به * فانهم كانوا يودعون فيه امتعتهم خوفا من هجوم العساكر المصريه عليهم * لانّ الدير حَرَم آمن *

وكانوا اذا جاوا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن جملتها صومعة الفارياق * فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها تفسير حلم او غيره تلقفوها وقراوها * فمنهم من كان يفهم منها قدر ما يدور به لسانه * وآخر قدر ما يدور به راسه * وآخر قدر ما يدور به جسمه كله فيوليه ظهره ويخرج * ومنهم قدر ما تدور به يده فيرفعها ليبطش بالكاتب والمكتوب معا * ومنهم من كان يسخر منها ويقول انما هي اضغاث احلام * ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت الحرب ولم يجد منهم من استحسنها * وكان يدخل ايضا مع هولآء الداخلين داخلات فيهن من يجب تلقيها باهلا وسهلا ومرحبا * وفيهن من تجدر بواحد من ذلك فقط * وفيهن من تجدر باثنين متواترة * وفيهن من لا تصلح لشى * وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا حُمل بعضه على بعض * الا الجوع الذى تسبب عن تعطيل الطرق فانه كان لا يطاق * مع ان الفارياق كان قد خرج من عنآ سفر البحر الذى مناه بالصيام اياما متوالية * فكان لا بدّ له من اللمج * فمن ثم كان يذهب الى القرية وينادى يامن عندها دجاجة للبيع فتبيعنى اياها * فكان بعض النسآ يجبنه هذه الدجاجة السارحة مع الدجاج فى الحقل اريد بيعها * فان اردتها فاسعَ اليها واقبضها بيدك * فكان يسعى ورآ الدجاج ويطفر معها على الجدران * فان ساعده الحظ على كسر ساق احداها او اعيائها قبض عليها * وكان عند جريه ورآها يجرى معه خاطره فيقول فى نفسه * انا اجرى الان ورآء دجاجة فهل زوجتى تجرى فى الجزيرة ورآ ديك * وينبغى لى ان اقف قليلا عند هذا الجرى واقول * قد ذكرت سابقا ان الفارياق كان ذا غَوَج وسرف وجرع * فكان من طبعه اذا غاب عن اهله ان لا

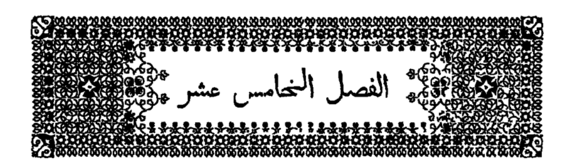
يزال يقابل حاله بحالهم بالمقابلة الاطّرادية وبالمقابلة الأمتيّة * مثال الاولى قوله انا اجرى ورآء دجاجة فهل زوجتى تجرى ورآء ديش * وقوله مثلا وهو لابس هل هى فى هذا الوقت عريانة * وفى حالة كونه قائما هل هى الآن مضطجعة * وقس على ذلك * ومثال الثانية انا اجرى الان ورآء دجاجة فهل يجرى ورآها ديش * على ان خبز الدير والقرى ج كان مخلوطا بالزؤان * فكان الفارياق اذا اكل منه خيّل له انه لم يزل فى السفينة عرضة للتنانين * ويتاكد عنده ذلك بدخول احد الرهبان عليه وهو على تلك الحالة * فلما ضاق بها ذرعا نظم ابياتا وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان يظن ان عنده غنآ * وهى

ليت شعرى ماذا يفيد البيان مع خوآء البطون والتبيان
وفنون البديع من غير أُكْل تستشيط اللهَى بها واللسان
هاك الف استعارة برغيف وبخسّ تخس تفتازان
ايها المعربون هبّوا فما من ضرب زيد عمرا يرص الخوان
اين اين الكباب والرز والبر غل تصغو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطبيخ وجآت نوبة الجوع امّها لبنان
يالها من معرة نبعث الدينـــار ما ان يعبا به انسان
ليس بيّع ولا شرآ بارض قد قضى عيشها وعاش الزوان
طال مكثى فى الدير حتى كانى راهب لا ترضى به الرهبان
اذ راونى وحولى الكتب والاقـــلام ممّا عنه نهى المطران
انا فى وحشة من الانس وحدى لا ترانى فلانة وفـــلان
عيشة لو اريتها فى منام ما شجتنى من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بارغفد لا روان فيها ومعها هذان البيتان

وصلتني الابيات يافرفيان   انما نحن في الدنيا رهبان
ما عندنا طعام كما تشتهي   ولا نبيذ ولا نسوان

فهرول اليه الفارياق ليعاتبه على تغيير اسمه * فراى في الدير احدى نسآء الامرآء كانت قد جآءت الى الدير استئمانا من العساكر * فلما رآه قال له قد شفع الخبز ياسيدي في وزن البيتين ولكن لمَ غيّرت اسمي * ثم تذكّر السيّدة فقال وقلت ايضا انكم رهبان وما عندكم نسوان * وها انا ارى عندكم سيدة زهرآء قد ملأت الطنفسة شحما ولحما * قال انما غيّرت اسمك لاجل القافية وهو جائز للشعرآء * واما قولي ما عندنا نسوان اي ليس لنا ازواج * ولكن لا ننكر ان عندنا نسآء غيرنا يزرننا احيانا للبركة * قال من ابكم يحصل ذلك * فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته الى الاركيلة المعروفة فلبث عندها ساعة شفعت في تغيير اسمه ايضا وآب الى صومعته راضيا * فوجد رئيس المعبّر قد تعكبش في راسه غصن من اغصان الحلم الاول فزاده خبالا * فكان يقول اذا سمع صوت الطبول من خيام العسكر واذا ابصر بريق سلاحهم * ألَا تسمعون طبل الشيطان * يضرب به بعض الرهبان * لا تبصرون قرون الشيطان * كيف تتقد منها النيران * اذ تحتك بها النسوانْ * والسيدة زوجته غير مكترثة بصراخه ولا بتخييم العسكر قرب الدير لان حب الغصن لم يدع في قلبها موضعا لغيره * ثم منّ الله تعالى باصلاح الحال فسارت العساكر من البلاد وامنت الطرق والمسالك وسكن صاحب المعبّر * فراى ان يذهب الى مدينة دمشق ويمرّ ببعلبك ليرى قلعتها العجيبة * فاكثروا لهم خيلا وبغالا وعزموا على السفر *



الفصل الخامس عشر

في السفر من الدير

ركب كل من الفارياق والغصن بغلا وكلّ من السيدة وزوجها فرسا * وانضم اليهم ركب وساروا يقصدون دمشق * حتى اذا كانوا في بعض الطريق اجفل بغل الفارياق لوهم خطر له فقمص به وشمص * فالقاه عن ظهره فوقع على وركه على صخر فقام يخمع مع الخامعين * فجزع عليه صاحب المعبّر اشفاقا من تعطيل مصلحة التعبير * وشمتت به زوجته اذ كانت تحسبه رقيبا عليها وعلى غصنها * وكذا مساآة الرجل قد تكون مسرة المراة * وهنا ينبغي ان تضيف إلى معلوماتك الواسعة هذه القضية * وهي انه لا شي من انواع السفر اشق من الركوب على هذه البغال العاتية * فانها بلا سرج ولا لجم ولا ركُب * وقد جعل لها هولآ المكارية الحمقى بدل اللجم حبالا تتصل بسلاسل من حديد جافية * يمسك الراكب بيده سلسلة فاذا شرد البغل وهنت يد الممسك بها عن كبحه * والعادة انه متى شرد بغل شرد سائر البغال * ثم اجفل بغل الغصن فمال عن ظهره وتعلقت رجله بحبل فتدلّى راسه يخبط على الارض * فذهب ما عند السيدة من قليل الصبر عنه * ولم يقدر احد على رد البغل * فكنت ترى عينها في جهة وقلبها في جهة اخرى * وكبر منها ما كبر * وصغر ما صغر *

وجف ما جف * ورق ما قف * وابتلّ ما ابتل * وانحل ما انحل *
واقشعرّ ما اقشعر * وازبأرّ ما ازبأر * وتنغّص ما تنغص * وانتفض
ما انتفض * وتنضنض ما تنضنض * وتلمظ ما تلمظ * وتلظلظ ما تلظلظ *
وضجم ما ضجم * وشخم ما شخم * وغدت تتململ وتتلوّى * وتتقلب
وتتحوى * ودخل في راسها اول مرة في عمرها مُنيةُ أن تكون رجلا
لتجبره * ثم هوّن الله الصعب ووفق البغل فاستوى عليه الغصن
وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والفارياق على رمق * فذهب وتفيّأ
في ظل شجرة فهوّم به النسيم فنام فقام منهوكا * ثم ركبوا وبلغوا دمشق
وهو مريض فاكترى غرفة في خان وبقي اياما لا يقدر على الخروج *
فلما نقه توجّه الى منزل اهل زوجته وعرّفهم بحاله ففرحوا به * ثم عاودته
الحمّى ثم افاق فراى ان يذهب الى الحمام ليغتسل فلمّا رجع رجعت
اليه * واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فاغمى عليه فيه فوقع وقد دخل
راسه في شق المرحاض فجعل يصرخ ويقول * ألَا انّ راسي في الشق *
لا ان الشق في راسي * فبادروا اليه فراوه على تلك الحالة * فمنهم
من ضحك منه ومنهم من رقّ له * ثم عوفي قليلا فبدا له ولصاحبه
السفر * ولكن لا بدّ لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارهقه
واغسره حتى يصف لنا محاسن نسائها اذ هو لا يحسن شيا غيره *
فاما الكلام على خواصّ نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها
وعلى الامور السياسية فليس من شانه * قال دخلت دمشق وبي
حمّى صحبتني من بعلبك * وما كدت انقه حتى سافرت منها فلا استطيع
وصف نسائها الا وصفا سقيما * فان رضيتم به اقول * اني لما دخلتها
نزلت في خان يسمى خان فارس * فعيّن لي صاحب الخان عجوزا

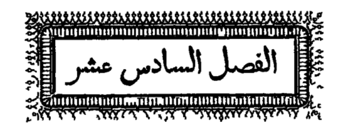
لخدمتى واحطت من طبّها وشمُظها اى خلطها الكلام الليّن بالشديد ان للعجائز يدا طويلة فى المعاملات النسائية * اعنى انهن يدخلن الديار بحيلة انهن يبعن للنسآ ثيابا ليكتسبين بها * فيخرجن من عندهن وقد تعاهدن على تعريتهن راسا * فهن السبب الاقرب والذريعة الوثقى فى الجمع بين العاشق والمعشوق * فاما نسآ المسلمين فقد ظهر لى فى بادى الراى انهن اجمل من نسآ النصارى * كما ان الرجال من المسلمين اجمل من النصارى وافصح لهجة وكذا هم فى سائر البلاد الاسلامية * ولون النسآ عموما البياض المشرب بالحمرة * والغالب عليهن الطول والشطاط * غير ان هذا الازار الابيض الذى يتزرن به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للعين كحبر نسآ مصر * وكلاهما مخفٍ لمحاسن القد ولعلهن يلبسن ذلك عمدا لتامن الرجال فتنتهن * فلهنّ الشكر عليه * ولكن ما هذه المغازلة والائتلاع * وما هذا التبهكن والتبدح * افليس للقلب عينان يبصر بهما ما ورآ ذلك الازار * ايخفى الشمس غيمٌ وهى لولاه لم يمكن لعين ان تراها * فاما زيهن فى الديار فاشوق وافتن ما يكون * قال وقد ظهر لى ايضا وانا موعوك بالحمّى بعد ان خرجت من الخان وشممت رائحة الزائرات من النصارى انهن موانسات حلوات الحديث والشمائل مناطيق * حتى اعتقدت ان شفاى يكون بذلك * ولولا انى خشيت من التبخيل بالاستغنآ عن الطبيب ولا سيما ان ابى كان قد توفى بدمشق فالقى فى روعى انى الحق به لما احتجت الى علاج آسٍ * وحين كنت اسارق النظر اليهن وانا على الوسادة كنت المح فى صدورهن حين يتنفس نبا بربو ويشمو * ثم رايت بعض اعيان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه فى الكلام * وهم من

الهيبة والوقار بمكان * فلا ادرى ما الذى حسّن للمطران جرمانوس فرحات حتى قال فى ديوانه

فكاننى حلب برقة طبعها　　وكان طبعك بالعلاطة جلّق

ولهذا القائل لاحق ان يقول الحلبى شلبى * والشامى شومى * مع ان اهل الشام ارق طبعا من اهل حلب وازكى اخلاقا واطلق لسانا ويدا ومحيا واوفر سخآء وكرما * والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبى شرفها بقدمه وكانت مثوى لبعض الصحابة واصبحت وصيدا للكعبة وما زالت من ذلك العهد منزلا للحاج * فان النصارى فيها يتبوّأون داخلها الديار الرحيبة والمنازل الفسيحة * بخلاف النصارى فى حلب فانهم لا يمكّنون من السكنى الّا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا للبيع والشرآء * هذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التى يكثر وقوعها بحلب * وعن هذه الحبّة المشئومة المتسببة عن مآئها * حتى انها كثيرا ما تشوّه وجه من يصاب بها * فهل مراد المطران ان يقول ان نصارى حلب وحدهم ارق طبعا * ام يصحّ ان نبخس الناس حقوقهم لاجل السجع والتجنيس * فيقال مثلا الجاثليق هَنْدَليق * والمطران قَطْران * والقسيس لهّيس * والراهب ناهب * والسوقى بوقى * والخرجى دُرْجى * فاما اللغة فليس لعمرى من مناسبة بين فصاحة اهل دمشق وركاكة اهل حلب * لان حلب لما كانت ساخمة لبلاد الترك دخل فى كلام اهلها كثير من الالفاظ العجمية * كقولهم انجق بيكفى يخرجون الجيم فى انجق مخرج الجيم التركية * ويتقلّنه اى يستعمله * وخوش خيو وما اشبه ذلك * ما عدا لكنتهم ولخلختهم فى نطق الالفاظ العربية * ثم ان الفارياق سافر هو وصاحبه

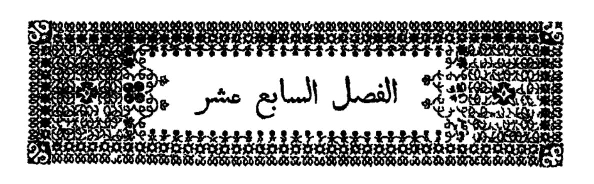
الى بيروت ومنها الى يافا * فدعاهما وربّانَ السفينة نائب قنصل الانكليز بها (هو غير الخواجا اسعد الخياط اللبيب البارع) ليشربوا عنده الماء بالسكر المعروف بالشربات * مما اشتهر ايضا بهذا الاسم عند المولفين من الافرنج واستعملوه فى كتبهم لا فى ديارهم * فساروا معه فاحضر لكل منهم كاسا تليق به بحسب ضخامة جثته * فلما فرغت الدعوة اقلعوا الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة واقاموا فى منزلها * فبعث الفارياق الى زوجته يخبرها بوصوله ويستدعيها للاعتزال معه * فقالت انا لا احب الاعتزال ولا الكسل * ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفارياق من الم السفر استروح منها رائحة النسآ *



الفصل السادس عشر

فى النشوة

هى رائحة امّ دُفار * استوى فيها ما دبّ وطار * وسلك فى البحار * ونفصلها فى العنوان فهل انت ذو استذكار *



الفصل السابع عشر

في الحض على التعري

-*-

ثم دخلا البلد ورجع الفارياق الى التعبير واصلاح البخر * وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبّر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم تنصّر وانه شاعر مفلق ذو شهرة بين علمآء فارس * فسار ومعه الفارياق ليسلّما عليه في المعتزل واذا به جعشوش حتروش حرفتة اللحى * فلما دخل البلد اقام في المعبّر فراى الرئيس بادى بدى ان يحلق لحيته * فجيء بالحلاق واعمل فيها الموسى فلما انتهى الى شاربه سترهما الشاعر بيديه * فاقبل اليه صاحب المعبر وبيده كتاب ليحتجّ منه على لزوم حلق الشوارب * فدار بينهما البحث والجدال حتى رضي الرئيس بنصف الشعائر * فلما كان ذات يوم من الايام المشئومة ذهب الفارياق الى المعبر فوجد الرئيس قد تعرّى من ثيابه بالكلية * وجعل يطوف في الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتدآء به ويقول * ياايها الناس ما جعلت الثياب الّا لستر العورة * ولا عورة لمن كان طاهرا بريئا من الذنوب والمعاصي * فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبرآءة لم يكن له حاجة بالثياب * فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعرّي قالت له ان النسآء لا عصمة لهن الا في الليل ولا بدّ لهن من الستر نهارا * فرآه

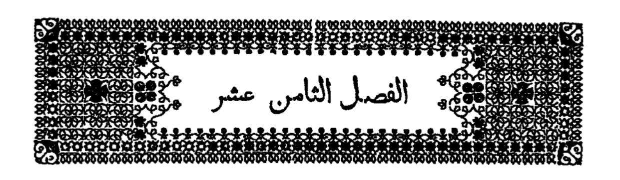
العجمى على تلك الحالة فسال الفارياق قائلا مابال صاحبنا قد غيّر اليوم زيّه الاسود وتردّى بهذا الزىّ الاحمر * قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الاحمر * ثم اشتد اللمم بكل منهما واستحكم * فخافت الزوجة ان يتلاقيا فى مازق وينشب ما بينهما الجدال او الجلاد * فرغبت الى الفارياق فى ان يضم اليه العجمى * وكان الغصن قد قدم اليها فى اثناء ذلك من الديار الشامية وهو مترجم عن جنى شهى * وجذع قوى * فبوّأته عندها مقاما كريما * وحاولت ان يخلو لها معه المعبّر خلوّا مستديما * ولو بدوام لمم بعلها * وفقد اهلها * فاقام الغصن فى ارغد عيش واهنا حال * وظلت هى معه اشغل من ذات النحيين فى اصفى بال * وظل زوجها يحض على الشعرى * وانه من شعار المتزكى المتبرّى * ولبث العجمى فى منزل الفارياق * وانما قبله عنده لدمامته وضعفه ولغلبة السكوت عليه * فلما كان ذات ليلة وقد راى عند زوجة الفارياق نسآ حسانا انحلّت عقدة لسانه ونطق بكلام دلّ على انه لم يتنصّر عن هدى * وانما اضطره الى ذلك ابو عَمْرة * ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم الغرام فى قلبه فخرج ليلا يقصد غرفة الفارياقية * فاحسّ به زوجها فبادره بحبل وهو لا يستطيع دفاعا عن نفسه * فلما كان الغد شاور زوجته فى امره * فقالت اظن انّ هذا العجمى انما جنّ لعدم الزواج وكذا سائر المجانين * الا ترى انه لما راى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم * قال فقلت ما ارى الحق معك هذه المرة * فان صاحبنا الحرجى جنّ من بعد الزواج * قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلّا بالاحلام * ولما تزوج لم يودّ الزواج حقه فاقتصّ الحق منه فليعتبر به غيره * قلت من اين علمت هذا * قالت ان المزوج لا ينبغى له ان يكون فضوليا يتعرض لغير ما

هو فيه * قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق * قالت لا تعطيل فانى لا امنعهم عن العمل بل عن فضول الكلام * واللهج بالاحلام * فان التمحّل لعلم خرق العادات * اجهد من التحمّل لعمل عادات الخرق * الّا ولو كان الامر الىّ لداويت المجانين كلهم بالنسآ ومن النسآ وعن النسآ * قلت اكل حروف الجرّ للنسآ * قالت نعم كل الجرّ فى النسآ * قلت قد حذفت الحروف * قالت بل هى باقية * قلت دعينى من المطارحة وافتينى فى امر هذا المجنون * قالت ردّه الى المعبّر وانى اكره طول مكثه عندنا مخافة ان احبل فياتى الولد على شكله * قلت ما مدخل الجنون فى الجنين * قالت او ليس الاولاد ياتون بيضا صباحا ووالدوهم قباح * فلو لم يكن لعين الامّ من فاعلية عند توجّهها لما كان ذلك * قلت هذا راى يودى الى الكفر والمحال * اما الكفر فلانك تزعمين ان للمراة مشاركة فى خلق الانسان * واما المحال فلانّ المراة لو كان لها فاعلية فى ذلك لاشبهت الاولاد آباهم او لجآوا كلهم صباحا * قالت اما جواب الكفر فلا ينكر ان يكون الله عز وجل قد خلق هذه الخاصية فى المراة وهو مسبب الاسباب * بمعنى ان القوة الوحية التى اودعها فيها الخالق القدير تكون موثرة فى كونية الولد * واما جواب المحال فلان المراة ابدا تشتهى ان ياتى ولدها على غير هيئة ابيه * وما تراه منهم مشبها اباه فالغالب انه البكر * قلت كثر الله من امثالك ما كانك قرات الكلام الّا على الاشعرى * قالت نعم الكلام هنا فى الاشعرى لا فى الجميش ولا النميص * قلت المجنون المجنون * ودعينى من المجون * فقد كدت تلحقيننى به بكلامك هذا المعصود * قالت متى كنت تكره العصد * وهو لك غاية القصد * اما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر

ودعه هناك من غير ان تخبر به احدا * قال فانطلقت به وادخلته فى احدى الحجر وقفلت عليه الباب * فلما جاع طفق يعالج الباب ليخرج فسمعه الخادم فاخرجه * فتوصلت زوجة صاحب المعبر فى ان رجعته من حيث جآ وعزمت على السفر بزوجها الى بلادها * وناب عنه آخر من بلاده فى المصالح التعبيرية ولكن لم تطل مدته لاسباب ياتى بيانها * وقبل ايرادها ينبغى ان نختم هذا الفصل بما نظمه الفارياق حين كان رئيس المعبر يحض على التعرّى وهو

الا تريد صاح ان نجنّا ونخلع اليوم الثياب عنّا
ولا ننام ليلنا ان جنّا ولا نسيى بالنسآ الظنّا
ولا نرى متى يجى حنا وان يغب نقل مريض مُنّا
وان اتانا فاسق وزنّا نركبه الخيل فلا يعنّى
ونجعل الزوج له مجنّا تقيه من كل معَنّ عنا
ولا نبالى ان راينا قرنا قد طنّ فى اصداغنا ورنّا
فقد رايت العقل يضنى الظّنا ويحرم الحرّ الذى تمنى
ولن ينال الحظ مطمئنا الا الذى باح بما اكنّا
مه ايها الشيخ الذى اسنّا ما انت والغنّآ والاغنّا
تدخل فى مضايق وتعنَى وما تبالى لو لقيت وهنا
ماذا لقيت من نذير جنّا ومن طواف ههنا وهَنّا
وافيتنا فى شهر نحس اخنى على المحبين فقلنا إنّا
لم تخل دار بتّ فيها معنا من حادث غارة سوء شنّا
يشكوك كل ذى عيال منا اوردتهم من كل رزء فنّا

فمن مجانين ابانوا الهنّا ومن مصاب بالحمام أُطنى
ومن عليل دنف قد انّا حتى رئى الصدّ له وحُنّا
قدك اتّئد اوقدت فبنا الحزنا وقد شحنت المصر همّا شحنا
فاظعن هداك الله وارحل عنا من قبل ان تنقطع عنه الطِحنا
وتنصب المآ وتنفى اليمنا عن بلد من قبل كان امنا
واختر بغير ذا المكان كنّا تاوى اليه مستريحا طَمْنا
فما عليك ان اصبت غبنا ثُمّ ودَعّا او لقيت زُبْنا
او كنت تاتى هَذَرا وأَفْنا وتنظر القبيح منك حسنا
بحيث لا تبصر يوما قِرنا وكاشحا اخفى عليك صغنا
كما اصبت ههنا خُبُنّا اصداً منك الضرس ثم السنّا
لو استطاع لقراك سجنا تصبح فيه للرزايا رهنا
شيطانه عليك قد تجنى يقول من تبغك قد اسنّا
جعلت فى دار الصلوة فرنا دخانه عمّ واعمى الرعنا
وقال قوم تُفْله اصنّا ولحنه يبلغ ضرّا منا
فليبغ فى دار سواها خدنا وما علينا ان سخا او ضنّا
اوان بكى من شومه او غنّى او اخلص الدعا لنا او لعنا
اوخار من جوع وذلّ وهنا او قال صرنا بعد ما قد كنّا
انك يامغرور لم تعشقنا ولم تعرّبنا ولم تُشْقنا
فلا جزاك الله خيرا عنا



الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرغ الفارياق من تعبير الاحلام كُلّف ان يترجم كتابا لِلَجنة في بلاد الانكليز * فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها * واتفق وقتئذ ان سافر المطران اتناسيوس الحلبي التتونجي مولف كتاب الحكاكة في الركاكة الى تلك البلاد في بعض مصالح ترتمية * فتعرف باللجنة المذكورة وافادهم ان لغة الفارياق فاسدة راسا * وذلك لخلوها مما اشترطه على المترجمين والمعربين في كتابه المذكور * وان النصارى يحبّون الكلام المسلَّط المعسطل * وانه قد ربا في هذه الصنعة مذ عهد طويل وربّى فيها كثيرين في مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لاسفار الكنيسة منهجا | يخالف اسفار الورى ويغاير
وان لفي اللفظ الركيك تبركا | ويُمنا لقوم عنهم العار ظاهر
وان غناء اللحن في القول عندهم | لكا للحن في الايقاع والاصل ظاهر
وان نسبة المولى الى الله منكرٌ | ومن ولّوا الادبار كلّ يحاذر
وان تكاة جمع متكئ اتى | وان مَصُونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشّهر | وفي مَلْك لا في ملاك كبائر

وان عبيدًا لا عبادا مضافةً الى الله أَوْلَى ما لذا الحكم ناكر
وان عذابا كالركاكات جمعه وان لم يرادف باقى الشى سائر
وما واعظيها قيل بل موعظينها ومن قال ادّوا دون ودّوا مكابر
ومن ردّ فل ان شئت صوغ اسم فاعل مُردّ كذا قال النصارى الاواخر
ويظهر يُلْغيه يبان نظيره وصرنا بَنيْنا بالتذخّر كائر
وجمع مُضَّق للاله مسبّح وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب ونعت المثنى باللذى متواتر
وائبات ياء الامر من ناقص كما حكاه لد قس الشوير المعاصر
وائبات نون الرفع فى الفعل بعد كى وأن مستفيض هكذا نص زاخر
ومن نعد يعطى نصب نائب فاعل وجوبا وحذف الفا فى الشرط دائر

وطلب من اللجنة المذكور ان يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذى مرّ ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والّا فلا * فلما راوه ذا لحية ولا سيما انه متحلّ بحِلاّ مطران والمطران عندهم لا يكون الّا عالما فاضلا اعتقدوا فيه الفضل والعلم وفوضوا اليه العمل * ولهذا السبب خاصة بطل المعبّر ولم يبق للفارياق الا مرتّبه من وظيفة اصلاح البخر * وهنا ينبغى ان يلاحظ ان الانكليز اشدّ الناس حرصا على الالقاب * فاذا زارهم أحد من البلاد الاجنبية متصفا بلقب امير او شيخ او مطران حظى عندهم الحظوة التامة * ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية * اما لقب المطران فهو عندهم من الالقاب التى تغنى صاحبها عن توصية وتنويه * اذ ترجمة هذه اللفظة تجرى لديهم مجرى قولهم رئيس اساقفة * ومن حصل على هذه الدرجة منهم حصل على دخل اربعة آلاف ذهب من اللبرة * فاما طول

اللحية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والنباهة كما يتبين من حكاية المامون مع الفقيه علويه * ولكن عادة العجم غير عادة العرب * ثم ان الفارياق لمّا آن وقت بطالته من اصلاح البخر وهو ثلثة اشهر الصيف فى كل سنة عزم على ان يسافر الى تونس * فركب فى سفينةٍ رئيسها من اهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والخرجيين مرة * ومرة بينهم وبين الفلاسفة * وبعد سفر اثنى عشر يوما كلها خطر وعناً بلغوا حلق الواد * فكان بعض الملاحين يقول فى اثناآ الطريق انه انما وقع لهم ذلك بخلاف العادة لكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الرّبّانيين * فانهم لا يسافرون فيه اصلا اما احتراما له او تشاؤما منه * لكن الفارياق كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعه * وان نيّة سفره سوآ كانت قريبة او غير قريبة لا يبلغ اليها الّا فى مدة اثنى عشر يوما * وانما كتم ذلك عنهم * قال اما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت * غير انها طيبة الهوآ والماكول والمشروب كثيرة الفواكه * واهلها طيّبون خيّرون يكرمون الضيف ويحبون الغريب * وفيها من المغنّين والعازفين بالات الطرب كثير ومعظمهم من اليهود * ونساوهم حسان سمان بيض دمى برغم النصارى القائلين ان الله لعنهم ومسخهم بعد صلبهم سيدنا عيسى عمّ ونزع منهم كل حسن باطنى وظاهرى * غير انى اظن ان القسيسين اذا نظروا يهودية جزلة بضّة ربحلة يبدّعون صاحب هذا المذهب ويفنّدونه * وانما يقول ذلك منهم من كان لزق النصرانيات ولم يرَغيرهنّ * ومعلوم ان النفس ترغب فى الحاضر الموجود عن الغائب المفقود * او لعلهم يريدون ان المسخ انما نزل بالرجال دون النسآء فليُسْأَلوا * وان كثيرا من هولآء الغبر الممسوخات غير بعدات عن الغَصن والهصر * ومن عادتهن

ان يمشين غير متبرقعات مكشوفات السوق * ثم لما ازف رحيل الفارياق من المدينة قال له بعض معارفه من اهلها لو مدحت واليها المعظم * فانه اكرم من اعطى وانعم * واكثر الناس ارتياحا الى الجود والمعروف * قال قد نويت الان السفر فلم يعد ممكنا لى غيره * ثم رجع الى الجزيرة وكان من جملة الركاب الذين رجعوا معه رجلان نمساويان احدهما ابن احد التجار الاغنياء والآخر من قوّاد عسكر البابا * وكان هذا قد اخذ من الفارياق واحدة من هذه النبخات الدقاق فردها عليه بعد يومين * فلما استقر الفارياق بمنزله خطر بباله ان ينظم قصيدة فى مدح جناب المولى المشار اليه * فانشا قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه هناك من المحاسن ولكن من دون تعرّض لذكر محاسن نساء اليهود * فلم يشعر بعد ايام الا والمولى المشار اليه بعث له بهدية من الماس تضن بها الملوك على ندمائهم * ومعها كتاب من ناموسه المعظم ووزيره المفخم مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحبّ الذى رعى المودة شانه * والكمال سجية قام بها عمله ولسانه *
» الاديب الاريب * الآخذ من كل فنّ اوفر نصيب * حسن الاخلاق *
» والحائز فى مضمار البلاغة قصب السباق * البارع الفارياق * لا
» زالت محاسنه نيّرة الاشراق * وبلاغته كواكب آفاق * اما بعد فان
» ولى نعمتنا ومولانا وسيدنا المشير احمد باشا باى امير الايالة التونسية *
» لا زالت بوجوده محمية * بلغ لرفيع جنابه من ادابكم * قصيدة تحلّى
» بها شعركم * واتضح بها فخركم * ويدوم بها ذكركم * فلله در منشيها *
» ومبدعها وموشيها * حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها * والقت
» لديه مقاليدها ونواصيها * والمولى ايده الله حسن لديه موقع خطابكم *

» وانى على بلاغتكم وآدابكم * ووجّه لكم من حضرته العلية حُكة تتذكر
» بها وداده * واياله وبلاده * فاقبلها من افضاله * ومن نزر نواله * والله
» يحرسكم بعين عنايته * ويسبل عليكم ستر ماقبته * وكتبه الفقير الى
» ربه تعالى مصطفى خزنه دار الدولة التونسية فى الرابع والعشرين من
» ذى الحجة الحرام سنة ١٢٥٧ * »

وفى اثناء ذلك قدم المطران التتونجى الى الجزيرة فبلغ الفارياق قدومه ولم يكن عرف ما افتأت عليه به عند الانكليز فذهب ليسلّم عليه وادبه الى وليمة اعدّها له * واقام المطران فى بعض المنازل يشتغل بترجمة ذلك الكتاب الذى زاحم الفارياق عليه * وظل الفارياق ينتابه حينا بعد حين وهو غير موجس منه شيا * فلما كان بعد ايام ثارت فى الجوّ حاصب ومتشغزبة ومنسبة منشبة ونكباء وهَبُوبة وحُرجوج وخجّوجاة ودرّوج وسَهُوج وشجوجاة وبارح وسَناخة وخِنذيذ وصَرْصَر ومشتكرة واعاصير ومعتكرة وهُباريّة وروامس وزوابع وزعزعان وهَيْرع وجَفْجف وزَفْزاف ومسفسفة ومُسْنفة وعواصف وخَرْفا وزَحْلِق وزهلق وسَهْوق وحاشكة وساهكة ورَعْبليل وطَيْسل وعَياهل وسَهام وسَفُون وزَهاً ومِيْلاه وسافياء* ثم جاء على عقبها روائح هنبيّة صُماحية زحية سنحية اِفاحيّة عبّاديّة جُرّية ذفرية عدارية امدريةٌ امذرية خُنازية طُفاسيّة حُطاطيّة عفاطية عُفطانية شياطية ناصِفيّة زُهْمَقية خِبراقية صَلّية خَيْعامية صُنَمية قنمية عجانية لخنية نُجْوية مختلطة بطُمْطمانية ولُخْلخانية ورُتّية ولغلغانية وقلقلانية وكسكسية وكشكشية * واذا بالمطران المزبور قد غاص فى بلوعة فوهاً فى تعريب ذلك الكتاب * ولما كان جاهلا بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لا بد من تبليغ هذه الروائح الخبيثة منزل الفارياق * فان مدير المطبعة كان

من اصحابه فكلّفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط في الترجمة * وح عرف سبب قدوم المطران ومكايده * فصرّ بعض هبّات كريهة من تلك الروائح وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر الجواب * ثم اتفق بعد مدة ان قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامى باشا المفخم المشهور بالمناقب الحميدة * وكان للفارياق دالّة عليه فسار اليه ليهنئه بقدومه * فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة لاعتزال فاخبر زوجته بذلك * فقالت له كم مرة اقول لا خير في الاعتزال * قال لا باس به اذا كان مع امير فان شرف الاسم يكفى * قالت لا يغنى الاسم عن الفعل شيا * قال فقلت بل اجتزا به كثير * قالت أمَع جارٍ له * قلت لا ادرى * قالت لو كان الاسم يغنى لكانت المراة تكتب على موضع من جسمها لفظة امير * قلت اعوّض ما يمضى * قالت ولا فأمْض على العوض * قلت ما اعجل النسآ * قالت وما احبّهن للابطآ * قلت قد كنت اودّ لو ان الله خلقنى امراة او انه يصيرنى امراة فاما الان فلا اريد اذ لا صبر للنسآ كالرجال * ومن يعش في هذه الدنيا فلا بد وان يكون صبورا * قالت لو لم تكن النسآ اصبر من الرجال ما كنّ يعمّرن في الارض اكثر منهم على ما يلحقهن من اوجاع الحبل والولادة * قلت ليس هذا هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لا تطول حياته على الارض بخلاف الطالح * قالت هل في الرجال صلاح وما من فساد الا والرجال مخترعوه * هل تفسد الاناث في الاناث ما تفسده الذكور في الذكور * وهل يفسد النسآ غير الرجال * ومن ذا الذى يتصبّاهن ويتالفهن ويتنقشهن ويغازلهن ويغويهن بالمال والوداد والوفآ غيرهم * حتى اذا استوثق احدكم باحدنا فاحرز سرّها ذهب في الحال و باح به *

وربما سكر مع بعض معارفه او تساكر فافتخر امامهم بافشآ ما يجب كتمانه وبهتك ما يلزم صونه * ألّا وانّ الرجل منكم ليعتمد على ما خصّه الله به من القوة والباس فيعتقد ان له الفضل على المراة فى كل شى * ولو كان الفخر بالقوة لكان الفيل افضل من الانسان * نعم انّا ليسرّنا ان نرى الرجل شيظما أيّدا ولكن لا يليق به والحالة هذه ان ياتى امراته الضعيفة المسكينة فيعاملها بالخيعرة والدغمرة والدنقرة والزنـنـرة والزنخرة والزمجرة والزنـهـرة والشـنـزرة والشنصرة والشنظرة والشمصرة والعجهرة والغذمرة والغثمرة والغيئرة والخزربة والخطلة والخظلبة والدحقبة والدعربة والدنحبة والزغدبة والسقلبة والشغزبة والسهجبة والصرخبة والصعنبة والطغربة والعثلبة والعصلبة والغسلبة والقحطبة والقرطبة والنيربة* ثم اذا ذهب الى اخرى اوهمها انه اسيرها وعانيها وقنّها ورقيقها وقُيّنها وقُنّورها وماهنها وقُنّجلها ومملوكها وذليل حبّها ودنف غرامها وعميد عشقها وصريع هيامها وميت هواها وشهيد حبّها * وان الله تعالى لم يخلقه فى الدنيا الّا لمرضاتها * قال فقلت اذا كان الرجل مخطئًا فى ذلك فالمراة غير بريئة ايضا لتصديقها اياه وانقيادها له * قالت انما تصدّقه من صفآ سريرتها وسلامة صدرها * فان الصادق لا يرتاب فى كلام غيره وان الكريم ينخدعْ * ولو ان الناس سمعوا مثلا بان امراة متزوجة تحب غير زوجها لانكروا عليها ذلك كل الانكار * واستفظعوه غاية الاستفظاع * فتطبّل به الطبول وتزمر الزمور وتكتب الكتب * ولا يبقى فى البلد احد الا ويروى عنها حكاية او نزهة * فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير زوجته فانهم يحملون فعله على وجه مرضى ويعتذرون عنه بقولهم ان امراته غير زافنة * او انها جمّة منفاص * او ميراص او منشاص * او خذنفرة

او عُبوق * او زخّاخة خقوق * او فتقآ غقوق * او رنقآء غفوق * او نجّاخة فشوش * او منخار حَضُون * او نخوآ انجى * او بخرآ رَهْوَى * او مُخخرة صحيآ * او صَهْوآ صهيآ * او هَرِعة رفغآ * او سُلُقْلق او متكآ * او قَشْوَر او مصوآ * او ناسعة شقآ * او مهلوسة او لصّآء * او لثية او لُنجم * او خَيْفق ذات عَفْلَق او قَلْذم * او حُق وعَفَل او ذقنآ * او ميقاب او فجوآ * او لَفوة او خَفْوآء * او قنشورة او ذنآ * او قَرنَع او سلتا * او خَرُور او قعمآء * او عائط او شرمآء * او عُنبلة او لخوآء * او مُجيّأة او رَمِصة وغير ذلك من العيوب ولا يرون فى فعله هذا سماجة * مع ان للمراة اسبابا تحملها على الشطح اكثر من اسباب الرجل * قلت تفصلى بذكرها كى اجانبها * قالت اوّلها ما اذا لم يقم الرجل بوفآ حق زوجته * وهو حق الزواج الذى من اجله تترك اباها وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها * قلت اللهمّ لطفك وعصمتك ثم ماذا * قالت ومنها اهماله امورها وقلة اهتمامه بما فيه راحتها وانشراح صدرها وتطييب خاطرها * وتلهيتها وتسليتها وترويتها وتحليتها وتدفئتها وتطريتها وناسيتها وتقويتها وتمشيتها وتغديتها وتمزيتها وتمنيتها وتمليتها وتهنئتها وتوقيتها * قلت نعم وتعريتها وتمذيتها وتمريتها وتنديتها وتنصيتها وتمسيتها وتنجيتها * قالت نعم كل هذا واكثر حالة كونها اسيرة بيته طول النهار قائمة بخدمته متعهدة لاموره * وهو يطوف فى البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق الى سوق * حتى اذا جآ منزله انطرح كالمغشى عليه وقال ان الشغل جهده والجهد شغله وانه عرض له كذا وجرى عليه كذا * مع انه هو الذى تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا * ومنها رقة فواد المراة والشفقة التى فطرها عليها البارى تعالى * فلا يمكن لها ان تقابل

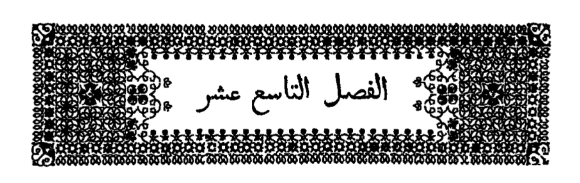
رجلا عن مودته لها لا بالوداد او عن تملقه اليها لا بالميل اليه والاقبال عليه * وناهيك ما فى الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة * قلت واعجب من احتجاجك بهذا الاشتقاق التناسب بين معانى الكَيس * قال فى القاموس الكَيّس خلاف الحمق والجماع والطبّ والجود والعقل والغلبة بالكياسة * وبين السِرّ والسرور والبسط والشرح والبُضع والبضاعة والشعور والمشاعرة واللمج والقمط * وخصوصا بين ابى أدّراس وابى ادريس دامت الفتهما فى اللفظ والمعنى * فقهقهت وقالت شرّف الله لغتنا الجامعة بين كل متناسبين ومتجانسين * قلت ولكن قد يلازم ذلك احيانا ما يسوء او ما لا يليق * نحو ازّ فانه بمعنى جامع ورمى بالسلح * وجخّ رمى ببوله ومسح جاريته * ومعط جامع ونتف الشعر وحبق * وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلانا بالسيف بضع من لحمه بضعة * ومتخ جامع وبسلحه رمى * وملخ جامع وجذب الشى قبضا او عضا وتردد فى الباطل * وملق جامع وضرب بالعصا * وجظّ جامع وطرد وصرع وبالغصة كظّه * وخجّ جامع وبسلحه رمى * ولخب جامع وفلانا لطمه * ومتر جامع وبسلحه رمى * وجلد جامع وفلانا ضربه بالسوط واصاب جلده * وصد جامع ولوى وفلانا اكرهه على الامر * وضفن جامع وبغائطه رمى * ومحنْ جامع وضرب * ومشن جامع وخدش * وأسوَى أحدث وخزى وفى المراة اوعب * وكذا حشأ وحطأ وحلأ ونجأ ورطأ وزكأ ولتأ وغير ذلك مما لا يحصى * قالت كل صعب فى جنب ذاك يهون * ولا بدّ لجانى العسل من ان تابره النحل * ثم انى فهمت من فحوى كلامك ان هذه الافعال فى لغتنا الشريفة اكثر من ان تعدّ * وان اكثر المعانى قد وضع له فيها الفاظ كثيرة تسميها العلمآ اردافة على ما ذكرت

لى سابقا * قلت لم اقل لك هذا وانما قلت مترادفة * وان هذا الفعل
بخصوصه له اكثر من مايتى لفظة * فكل لفظ دل على دفع او نهز او ضغط
او ادخال دل عليه ايضا * قالت فهل تستطيع ان تذكر لى حرفا يدل
بالخصوص على الامتناع عن النسآ عفةً وتقوى * قلت لم يمرّ بى حرف
بهذا المعنى والّا لحفظته فانى مُوْلَع بحفظ الحروف النسائية * والظاهر
ان العرب لم تكن تعرف ذلك * غير ان تَبَتّل وبَكُمَ يدلّان عليه فى احد
معانيهما * قالت فى احد لا يغنى شيا * ثم استمرت تقول ومنها وهو
مستفيض عند اكثر النسآ ان المراة اذا احسّت باعراض زوجها عنها او
بفدوره او بالجفوة لها مع تحبّبها اليه واقبالها عليه وحالة كونها له عطيفا
هلوبا بعيجا عروبا متبعّلة رعبليبا آنسة باهشة متبشبشة متهشهشة ذات
رشرشة ومشمشة ونشنشة ووشوشة مدربخة وازكة منصعة واكعة مصوصا حارقة
ان لم اقل عَلُوفا وغيرَ عاذمة مالت الى غيره لتُغيره وترده الى قديم محبتها *
فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امراته الا اذا راى الناس
يحبونها * فتكون محبتها لغيره علاجا لمحبته هو * وهذا يسمى عندنا دغدغة
وزغزغة وسغسغة * فاما عيوب الرجل فهى لعمرى اكثر من عيوب المراة
ولو لم يكن به غير الزمالقية لكفى * وهل والحالة هذه يجب حلّ عقدهما
او يجوز او يمتنع اقوالٌ * فالنصارى على منعه مع انهم يقولون ان المقصود
من الزواج بالذات الانتاج وحفظ النسل * والطبائعيون والفلاسفة على
وجوبه اخذًا بهذا القول عينه ومراعاة لادآ حق المراة الواجب على الرجل وهو
امر طبيعىّ لا بد منه ولا محيص عنه * وبقى الجواز فى عهدة غريمى الزواج *
ان شآا بقيا على ما هما عليه والّا افترقا وهو الاصلح * ولعمرى ان المراة التى
ترتضى بان تقيم مع زوجها من دون قضآ حقها لجديرة بان يعبّد لها

عيد في راس كل سنة * اليس ان استاذك صاحب القاموس الذي تستشهد بكلامه في كل مشكل نسواني قد قال الرجل م والكثير الجماع * فاذا كان الزوج غير رجل فانّي يحل له ان يحوز عنده امراة لا يودي لها حقها * ايحل لرجل ان يقتني دابة اذا لم يقدر على علفها * استغفر الله عن هذا التشبيه * او لصاحب ارض ان يغادر ارضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية * افلا يجب ح على الحاكم الشرعي ان يشتريها منه ويولّي عليها من يتعهدها ويستغلّها * واذا كان للانتاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمراة بل جلّ اركانه مختص بها ومتوقف عليها فلمَ لا يكون الطلاق مشتركا بينهما ايضا اذا اقتضت الاسباب ذلك * اذ الطلاق عندي من غير سبب ان هو الّا بَطَر وسفه * واقبح من ذلك ان روسآ النصارى ياذنون في مثل هذه الحال في فراق الزوجين * ولكن لا ياذنون لهما في الزواج وان يكن دآء الرجل عضالا لا يرجى له علاج في مدة انفصاله عن زوجته * فايّ حكمة في ذلك واي ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات * فلعلّما ياتي من بنيها من يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهبا او مطرانا * وعسى ان ياتي من بناتها من تتحمّس بالوساوس والهواجس والاحلام فتصير راهبة * هذا وقد ورد في التوراة حكاية عن الباري تعالى انه قال تكاثروا واملأوا الارض على مبالغة فيه * فان مَلْ الارض بشرًا يوجب خرابها لا عمرانها * وقال ماربولس ان المراة تخلص نفسها بتربيتها البنين الصالحين * فهل تعليق الزوج والزوجة عن الزواج مطابق لنصّ هذين الحكمين * انظر الى اهل هذه الجزيرة فانك تجد اكثر الرجال منفصلين عن ازواجهم وعائشين بالسفاح * وقسيسوهم مصرّون على ان ذلك اوفق من الزواج الشرعي * مع ان القسيسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم

غير متزوجين * ايصح ترئيس روساً على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزة * فقلت لله درّك من اين لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك الامرد والمحلوق اللحية عند قدومنا هذه الجزيرة * قالت ربّ شرارة اضرمت اتونا * انى كنت اعرف من نفسى انى لا البث ان ان انبغ فى هذا * وذلك لكثرة ما كنت ارى واسمع عن المتزوجين من الخلاف والمعاسرة * والشكو والمنافرة * لا سيما وقد رايت الان بلدا غير بلدى وناسا غير ناسى * واختبرت عادات جديدة واحوالا غريبة * فتوقجبت تلك الشرارة التى كانت مودعة فى خاطرى تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها نكبا الاحوال المتغايرة والشؤون المتباينة * ولا سيما فى ليلة الرقص التى لا تنسى * ومذ ج خطر ببالى ان املى عليك كتابا فى حقوق الرجال والنسآ ولا بد من الشروع فيه * قال سافعل ذلك ان شآ الله ولكن الامير ينتظر قدومى عليه فى المعتزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشآ الكتاب * قالت قد تشقّيت الان قليلا بما قلته فاذهب اليه وارجو ان لا تعاودنى هذه الاهتقاعة الا وانت هنا * فاستغاث واستوزع * واستعاذ واسترجع * ثم ذهب الى الامير المشار اليه وبعد ان قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوفا باكرام الامير وانعامه *





في عجائب شتى

-o-

بُلُعْبِيس حذُنْبُذَى * عُلْمِصٌ خُزَعْبله * فِلْقِ فليق عِبْرة * أُدْب بُطِيْط فِتْكِر * عجب فنك ضِحْك بُهْر * هِتْر هَكْر إدّ بُجْر * زَوْل عَيْتَى نُجَل طِمّ أَفْت غُرْو فُرِيّ * ان الانسان لا يعرف نفسه * هذه سيّدتي الرسحا المسحا الرقعا الرفغا الرصعا المردا المصلا المزوا العصلا الجحرا الزلّا القعوا النقوا الثطّا الضهيا الحموا الجبّا المِزْلاج الكَروا العَصوب المِنْداص الفلحسة تتخذ المرافد والحشايا وكبّة قطن تنفج به قميصها عن ثدييها لتوهم الناس انها دهسآ وطبآ * ولكن من اين جآتك ياسيدتي هذه الحلية المباركة وهذا اللحم القَدِي * ونحن نرى ذراعيك كاليراعة او كعود الشُكاعَى * وعنقك كالعصا ويديك كالمشط ووجهك كالصابونة التي غسل بها القصّار ثياب القَديديين والقَدّادين والداجّ والداجَة * وترائبك كالقفص وكتفيك مؤللتين مهلهلتين مرفقتين مدفقتين محدّدتين مقدّدتين مسربطتين مسمرطتين * فكيف غلطت فيك الطبيعة وسمّنتك في هذين الموضعين الكريمين وعميت عن الباقي * وهذه سيدتي البُلْقوطه الدُعْشوقة الزُلُنْقطة الجُحُنبرة الزّبازآ الجُعْبرة الحُرُنْقِفة الدِنّامة الزِوَيان العَشَبة الحُدُحّة الزُحُنة الصِرزّة الرِوَنّة البُهْسرة الحُتاعِد القُمُهْزة القُهْقُرة البُهْصلة الدَرّامة القُفُنْزِعة

القُرْنبصة الفِنْبِل القنثل القَعْنَبة القُنْبُعة القَرَمة القُذْملة الحَبَنْطاة الدَوْذَرى القُرْزُحة الكَعْتة القُلّى الجِلِبْز الزِعْنِقة القُنْبُصة القِرْزَحْلة الحُزُقّة اذا مشت تطفر وتثب وتهطع وتتالع وتعسج وتهبّع وتتطالل وتشرئب وتصلهبّ وتشمعلّ وتترقص وتزمهلّ * وتحسب ان الناظرين لا يشبرونها باعينهم * ولا يفترونها ولا يذرعونها بخواطرهم * ولا يدرون ايّ فراش يليق بها * وهذه سيدتى السودا المسحّمة المدلهمّة المطرخمّة الفاحمة الفاتمة القاحمة الدهماء المدهامّة الحُمّاء المبرطِمة الدلماء المدلامّة السحماء الدجناء الدخناء الحَفَدْلَس تطلى وجهها بالخُمْرة والغُمرة والغمنة والحَوَر والرَيْنة * ثم تصعّر خدها للناس وتنظر اليهم شزرا * وتتيه عليهم دلالا وكبرا * فاذا حاولوا ان يروا موضعا آخر من جسمها ادارت لهم ذلك الموضع المطلّى المحمّر * المنقش المزوّر * وجعلته شافعا فى سائر اعضائها * واوهمتهم ان المغطّى منها اشد بياضا من المكشوف وان لونها فى الليل يكون ازهى منه فى النهار * ولا سيما عند الخلوة * فانه يزداد بهاء وجلوة * وربما حكت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت فى الغداة لم يكن لها وقت لاصلاح شانها * فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهى لا تدرى كيف خرجت * وهذه سيدتى العجوز المتهدّمة * القَحِلة الشَهْربة * الطُهْمل اللّجِبة * العَفَنْليل الصهصليق * الجلفزير الشفشليق * الخِنْظير الشمشليق * الدردبيس الطرطبيس * الشَلْمَق الجِحْرط * الشَمْلق الجِحْرط * الجِرْبِش اللِطْلط * الهَيْغَرون الكُحْكح * الهِرْشَفة الجِلْبِح * ذات القنثلة والنقثلة * والنعثلة والنغظلة (١) * لم تزل حُشُورة عِرهاة تتفتّى وتتصبّى وتحزّق ثوبها من عند خصرها * وتُهلس اذا جلس اليها فتى فى وكرها * وهذه سيدتى الجميلة البضة العرّاء * السنيعة الغضة الفرّاء * الصبيحة الزهراء *

(١) اسماء العجوز اكثر من ان تعد

العبهر الغيدآ * الخُضّلة الدعجآ * الخريدة الموقونة العجزآ * الرشوف الشنبآ * الخَنِبة الذلفآ * السَلِمة الكاعب * المصقولة الترائب * الحلوة الابتسام * الرخيمة الكلام * التى تسكر بمغازلتها * وتفتن بمباعلتها * وتصبى فواد من لم يصبُ عمرَه * وتخبله وتتيّمه * وتعبّده وتهيّمه * وان اخذ منها حذره * واستحصر رشده وصبره * ودينه وحِجره * تراها تمشى والخفر قد نكس راسها وغضّ طرفها فاذهلها عن ان تحسن خطوها * وتبدى زهوها * وليس بها شى من التغنج والتصرج والتبرّج والتغوّج والتحلّج والتدبّج والتخفج والتدعلج والتدحرج والتبغنج والترجرج والتزجج والتسرج والتموج والتنفج * مع انها لو دخلت على حصرة الملك لقام لها احتفالا * وناولها الميحار والمخصرة اجلالا * وانشدها

فديتك من مملّكة علينا يحق لتحتها تحت الخلافه
خذى تاجى بادنى لثمة من ملاغم فيك او ادنى ارتشافه

او على حصرة ناموسه المفخم * ووزيره المكرم * لدهش عن شغله اكبارا لها واعظاما * والقى اليها الخاتم استسلاما * وانشدها

اليك الفصل فى كل الامور على أسْرى امير او وزير
فما الدستور الّا دسّ تُوْر اليك فهل سبيل للشغور

ولو دخلت مجلس قاضى القضاه * لاهدى اليها الكنزوالدر وما ملكت يداه * وانشد

لها علىّ فى الهوى حظان لا للذكر
فان لى سؤلين منها ذا وذاك وطرى

ولو دخلت على طبيب يعالج تيتاً لوصف له مسّ رانفشها * وشم سالفتها * وانشد

دهن السقنقور والترياق للعلل   رضاب فيك وللعنتين ذى الفَجَل
حتى اذا لم يدع فى الريق من وشل   ارشفته الخمر نعم الخمر من بدل

ولو خطرت على منجم لرمى الاسطرلاب من يده حيرة وذهولا * وبلبلة وغفولا * وانشد

لسنا نرى الّا جمالك فى الضحى   فهو المنير بجنح ليل اظلما
قد بلبل الفلكىّ منك مفلّك   فعليك تقويم الذى ما قوّما

اوعلى فيلسوف لذهبت معه حكمته سدى * ولم يجد للصبر عنها رشدا * وانشد

من حكاك الجسمين تقتدح النار كذا مذهب الذى قد تفلسف
وهى دعوى فان جسمى اذا احتك بهذى اسال مآء فانزف

او على مهندس لاشكلت عليه الاشكال * وتبلبل منه البال * وانشد

يفدى المكعّبُ منك كل مكعب   ومحدّب ومقعر فى العالم
ياليت ذا الشكل الهلالى الذى   فيك استقرّ على عمودى القائم

او على منطقىّ لخرج عن القياس * وخبط فى الالتباس * وانشد

على اللديدين منى ساقها وضعت   ياحسن ذلك موضوعا ومحمولا
اصبحت تاليها ابغى مقدّمها   اذ كان كل سرور فيه ماٰمولا

او على نحوىّ لما ميّز الفاعل من المفعول * ورای ان معرفة ذلك من الفضول * وانشد

رويدك انني ما جئت نكرا لديك وليس لى ذنب فيذكر
برئت من النحاة وحق ربى لقولهم بتغليب المذكر

او على عروضى لتقطع فواده * وكثر زحافه واسناده * وانشد

هددتني ياذات كل ملاحة وتركت قلبى بالغرام يعلّل
ارعى النجوم الليل فيك وانني مستفعل مستفعل مستفعل

او على شاعر لدلع لسانه تلزّجا * ثم تلمظ وتمطق ثم عض بنانه قسحا * وانشد

كم تاه صبّ بفرط العجب والتيه لكن حياوك تاليهى وتوليهى
ان يولنى منك تجنيسى مجانسة احدت توريتى واخترت توجيهى

ألّا ولو انها مسحت على عنق كل منّى ومنك ايها القارى لاغناهما عن الحُضَض * ومصح ما بهما من الورم والنُفّاخ والنَفْطة والغُدَد والعُقَد والقَمَد والقَفَد والحَفَر والعُجَر والعاذور والبُجَر والجُذر والغَبَر والكُعَر والثَعَر والزَوَر والحَبَر والقَصَر والنَعَفة والسَلَع *والنَكَف والغَبَب والغَلَب والذِرْبة والنرود والعَصَل والمَقَط والقَسَط والتشنج والتحجّن والتغضف والتغضن والتصعفر والتقبض والقَفَص والرَدَن والتشنن والكَنَع والتكربش والتكرش والتكمش والاشخاص والقَرَه والقَله والثّأى والجُما والحَرْوة والتنبّج والذُباح والرَثْية والضَواة والزرّة والخُضعة والشاكّة والإِدْل والإجْل والحِدل والصَمْغة والقروح والخُرّاج والدمّل والعِنَبة والبثور والثاليل والخنازير والالتوآ والهَنَع والحُبُون والنَدْب والعَثْم والوَكْس والحَبَط والأُجور والنَدَم والعَرَب والعاذِر والأثَر والطَلْيا والعَلَب والعَصَب والقوبآء والجَرْو والدُغام والخَدْش والجَلْف والحَشَفة والحَفْت والفُطُوف والرَزَف والكَدْم والنُسُوف والغَلْصمة والحَوْلق والحُلاق والفَرَك والكُتاف والهَيْض والخُناق *

وهذه سيدتى الزُنْمُرّدة العَنْجَرِد الدَلْعُوس لاَلْقة السلقة الملفاع الحِفْنِس الحنفس العنفص البلقع السلفع الهَرُوِم المُهَضْهِضة الشِنْظِيان البنظيان البَهْرج الطَّلِيف المُسَجَل الظَّلْف الفانكة المنمّلة المِتياح المزعاج المِعنّة الخَطَّالة الخالجة الرّادَة الزَلْزة المِخْنان الهَلُوك المتهالكة المتهتكة المستهترة الباغزة الحوّاسة العواسة الدِرْدِم الدَرْدَب المتوهجة المتلاعجة اللّفُوت العجينة المقفاطّة الجَلُوط الخروط الخِلْطة الجليع الجَلِعة الخريع الجالقة الشَنِقة الشِنّيقة المعفاص المعقاص الجُنْبثة البِظْريرة البظرير الدمرآ القاشرة الجلبّانة العنقفيز السُحْلوت السُلْخوت الهَمَرى النعّارة الهيعرة الهيرعة الهَوَرْورة الزاغية السِعْوة الساعية الخَيْتروع الخيتعور العسوس الضَنُوط المماجِن النَجَأة الملألثة الشَرُوب القَعِرة المستعربة المستضربة المستنخبة الفَقْخة الوَذاح المُدربخة المُردّة الصامد المستعقدة الفخذآ الثامدة المستدرة المستذرة المستصورة المستطبرة المستظرّة السُفِرة القَعِرة القَرُور الهَوِسة المِبْلاس المنعظة الكرعة الواكعة التَبْعَى المختلعة القَمِعة الهَكِعة الهقعة المتهقّعة الضَبِعة الظالع الوَتِغة الهينغ المستولغة المَراغة الصارف الحَلِقيّة المستحلقة المستودقة الحارقة الشبقة المتفككة المداركة المفلّكة المستجلة المستوبلة المُبْذِم المُدقم المُبلم المَهْدم القَطِمة الهَدمة العَظِمة المسنحرمة العَيْلم المتوسّنة المستأتِية الحانية المتسدّاة التى قد علم كل واحد من اهل البلد حين تخطر فى اسواقه وشوارعه وازقته ودروبه وردوبه انها تدعوهم بعينيها وبجميع جوارحها الى التمشبر الى القِراب الى الإشغار الى لاقلعفاف الى الاشمعطاط الى الاشتماذ الى الإفضآ الى الاقتعآ الى الكفاح الى العِراض الى التلفيع الى الدهفشة الى النشنشة الى الهَكاع الا السِباع الى التشّط الى الحصحصة الى لاِسوآ الى

الايعاب الى الرفش والقفش الى المحش الى المسح الى الإجفاس الى الإفطآ الى الانقاش الى القَزْب الى الزّكّ الى البلكّ الى المهك الى الهك والهكهكة الى الرهك الى الحرث الى الهقّ الى الزَجْل الى الاماهة الى الزَغْب الى الخَوْق الى الدعم الى الرّطْم الى الكَوْس الى الإقحاط الى الوَمْس الى الدَعْظ الى الدعمظة الى السَغم الى الإكسال الى الإطمار الى الغَفْق الى الخفق الى الوَجْس الى الإفهار الى الطَلْم الى التداوُم الى التسنّى الى التقمقم الى التجبية الى الإبراك الى التدبيخ الى الانسداج الى الانسراح الى الانشداح الى التنوّخ الى الدربخة الى الدهشرة الى المَشق الى السَلق الى الصَلْق الى السَلْقاة الى المَزْد الى الحَرش الى الشِقِيّة الى المحارقة الى الكَشر الى النَخْب الى التفنشخ الى الظُهاريّة الى الترفّغ الى التفشغ الى الفِشاغ الى المُزمّعة الى القرفطة الى القرفصة الى الكابوس الى الخَطّ الى لىّ العرفجة الى التكويذ الى الشَفْر الى التشفير الى التدليص الى التفخيذ الى التحييص الى الخَسْف الى التلجيف الى دحّ دح الى آر ار الى ارّ ازالى باظ باظ تقعد فى مجلس رئيسة بنات النَقَرى وتطفق تعيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن ويتعطرن ويتحلين ثم يخرجن ويمشين الخيلآ * ولكن أنسيتِ ياسيدتى يوم قلت لشيخك ما احّد يعشق الّا ويتغيّر لونه عند ذكر معشوقه * فقال لك ليس ذلك بمطرد * فكابرت واصررت على قولك فكابر هو ايضا واصرّ على انكاره * فقلت له حتى تجّيه لو انك ذكرت لى اسم ـــ ثم انتبهتِ وسكتِّ * فقال لك وقد طنّ قرن دماغه اسم مَن * فضحكتِ وقلت لا ادرى * ويوم خرج بك ليفرّج عنك الهمّ فى يوم راح فخرجت وقد كشفت نصف صدرك ولمعت الترائب والمفاهر واللعوة وهو لا يدرى لغفلته *

فلما التفت اليك ووجدك على هذه الحالة قلت ان الربيع فعلت ذلك * ويوم كان يماشيك فقلت وانت ذاهلة لغلبة الهوى افدى بروحى وجه من اهوى * فلما سالك قلت ما هو الّا انت وما انت الّا هو * ويوم ارسلت خادمك * ويوم بعثت خادمتك * وغداة كتبت رقعة دعوت فيها من شاقك * وضحوة تاخرت * وعشية تعطّرت * وساعة اعتذرت * وفُنَينةً فرّمت * وليلة اوهمت وجمجمت * وفَنّة همت وهمهمت وهينمت * وتوةً تزبرجت وتعلّمت * وتَنِفْسةً أرْنمت * وفُيَيْئةً زممت وسلّمت * وحِيْنة استحرمت حتى دُعمت * الم تكن هذه القوافى كلها مكافئة لنظر جارتك من الشبّاك * وهذا المطران اتناسيوس التتونجى قد صار الان مترجما معربا كاتبا منشئا * وهو اضبق استا من ان يفعل * ولم يبال ان جرّ عليه بتعريبه است الكلبة * وقد حسب مضايق الحروف كلها سوآء * وتعنّى وتعمّل * ولَهْوج ولهوق * وطرمذ وطرطر * وتفيّش وتحرّش * وقرمش وفشفش * وهربج وهلج * وسفسف وهمرج * واخترص ونمّم * وتورّه وصهيا * وانهأ ونيّأ * وتكسّس وتزبّب * وتنفج ولبلب * وخرشب وخشرب * وتحذلق وتابّب * وتصوّك وتزنج * وتندخ وتزنخ * ومردل وافجس * ومرطل وغطرس * وتفيهق وتشدق * وعفك وبشك * وخرق وحزق * وربك ولبك * وعصد ولفت * وهو اعظم في نفسه من المتّشمة (۱) اليس فى الكون من مِرْآة وزجنجل وسجنجل وعِنَاس ومِنظار ووَذِيلة ولُجّة ومارِيّة وزُلَقة ومُذِيّة او زجاجة او صفيحة فتنظر سيّداتى هولآ فيها وجوههن وما هنّ عليه من الاحوال * اليس فى الشرق من سيبويه فيصفع * اما فى الغرب من ابن مالك فيقدع * الا اخفش فيغار على هذه اللغة * ويرض راس هذه الوزغة * كيف يظن الانسان

(۱) المتّشمة امراة وشمت استها ليكون احسن لها وفى المثل هو اعظم فى نفسه من المتّشمة *

انه عالم ولم يتعلم * واديب ولم يتادب * وفقيه ولم يتفقه * نعم انه لا
يرى جهله فى مرآة كما يرى وجهه ولكن اليست الكتب هى مرآة العقل *
فمتى قرا كتب العلمآ ولم يفهمها عرف حدّ ما وصل اليه من العلم *
غير ان المطران اتناسيوس التتونجى مطران طرابلس الشام المقيم فى جميع
البلدان الّا فيها لم يطالع شيا من مولفات العلمآ * فغاية ما علمه من
النحو باب الفاعل والمفعول * ومن البيان نوع التجريد * ومن الفقه
باب النجاسات * ومن العروض الوتد المتحرك * ومن البديع ردّ العجز
على الصدر * هذا حدّ ما عرفه وتبجح به فى مدرسة عين تراز حين كان
قيّم تلامذتها * فاما سبب فراره منها الى رومية ثم من رومية الى مالطة
ثم من مالطة الى باريس ثم فراره من باريس الى لندرة ثم فراره من
لندرة الى مالطة * ثم فراره هذه السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا
حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه الشلّاق * وتشهيره هناك وتجريسه
فى الاخبار اليومية حتى حرم من تعاطى هذه الحرفة التى الفها مذ سنين
كثيرة * وتسبّبه فى زمن موسم لندرة فى ان جمع جماعة مغنّين ومغنيات
من بيت اشق باش بحلب * واغواؤه اياهم على ان يقصدوا الموسم
طمعا فى الربح * ودخوله معهم ومع شركائهم اولا فى شروط المصروف
والتجهيز * ثم استرجاعه المبلغ الذى كان اداه اليهم واشتراطه عليهم
اشراكهم اياه فى الفائدة من دون ان يشاركهم فى التعب * وذلك
فى مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذى كان سببا فى تخسير رئيسى
هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه فى هذا الكتاب * وربما قال
قائل هنا انك ايها المولف قد عبت على الناس جهلهم انفسهم * وقد
اراك جهلت نفسك فى هذا الفصل فاوردت فيه كلاما لا يليق

بالنسآ * فقد تجاوزت ابن ابى عتيق وابن حجاج * فلت الحامل على ذلك امران * احدهما ابرار محاسن لغتنا هذه الشريفة * والثانى انى قصدت تشويق القارئين ممن ملأوا حيطان ديارهم من قصب التبغ الى شرآ كتاب فى اللغة * فيافارئا وياسامعا * ويارافئا وياعامسا * قل للمتعنت ان من كان فى فيه مرارة لم يستطيب الحلاوة * وبعد فانى اترامى على اقدام سيدتى المدقم وسيدتى الدعشوقة وسيدتى الفاحصة وسيدتى المسخمة * واطلب منهن العفو عن

طغيان القلم اذ لا يمكن لى ان

ابيت هذه الليلة

وهن علىّ

غضاب

*





الفصل العشرون

في سرقة مطرانية

لما رجع الفارياق من عند الامير المشار اليه اخبر زوجته بما احسن به اليه وبانه وعده بوظيفة حسنة في مصر * فقالت انا اسبقك اذًا وانت تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى اهلى فدعني اسافر اليهم * قال لا باس فلما ازف الفراق اخذ يودعها ويقول * اذكرى يازوجتى ان لك فى الجزيرة حليلا يرعاك وخليلا لا ينساك * فقالت من لى بهذا * قال فقلت اىّ هذا تعنين * قالت انما اعنيك * قلت بل المتبادر غيرى * قالت هل الحقائق تتوقف على بوادركم انتم العرب * وما زال دابكم نبش ما فى صدور النسآ من الاسرار * وفقس ما فى يوافيخهن من الافكار * ومواخذتهن بالدتّ والوهم * ومعاملتهن بالحدس والقَسْم * ومعالجتهن بالهجس والزعم * والرضخ والرجم * والتذقح واللُغم * والرسيس والوغم * بدل الغَمْس والعَسم * والجلهزة والرأم * والحزم والوزم * والجمش والفغم * والضم والدعم (١) ولو ان الله تعالى يواخذ العباد باللغو مثلكم لما بقى على وجه الارض من بشر * قلت اكثر هذه المشاحنات ناشى عن لغتنا فان كل عبارة منها تحمل عدة معان لسعتها * قالت ليتها كانت ضيقة * قلت وهذا ايضا من ذاك * قالت وكذا ذاك فى هذا * قلت وكذلك

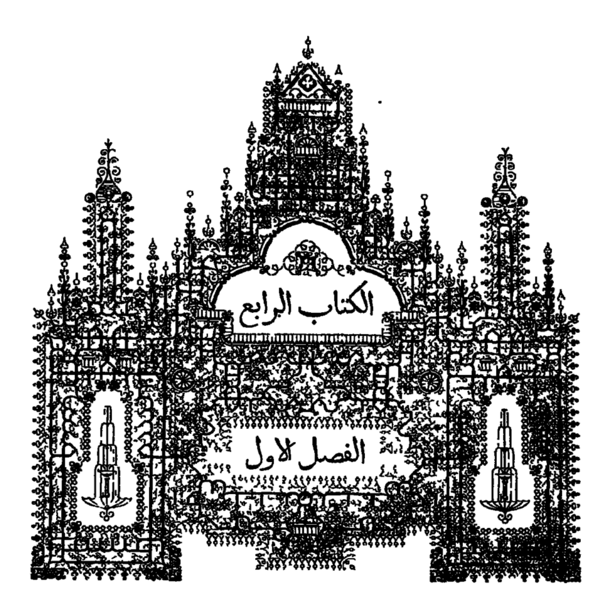
(١) الدتّ الرجم من الخبر والقسم ان يقع فى قلبك الشى فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة والرضخ خبر تسمعه ولا تستيقنه وتذقح له تجرم وتجنى عليه ما لم يذنبه والوغم واللغم بمعنى وهو الاخبار بالشى لا عن يقين والرسيس خبر لم يصح والعمس ان ترى انك لا تعرف الامر وانت تعرفه ونحوه الجلهزة والعسم انطباق الاجفان بعضها على بعض والوزم قضآ الدين والجمش المغازلة والملاعبة والفغم التقبيل والدعم ما بعده

عليه * قالت وتحته ايضا فالاولى اذًا السكوت * قلت ليس عندى ذلك * قالت انتم الرجال كلكم مِنخاريّون فَطافطيون رفشيون * قلت من اين علمت ذلك * قالت قد رجعنا الى الوهم والقسم * قلت بل فلنعد الى الوداع * قالت نعم انى اسافر وليس لى من آسف عليه * قلت هل انا فى جملة غير الماسوف عليهم * قال ما انت كاحد الناس * قلت وهذا ايضًا كلام مبهم الست برجل * قالت فى احد المعنيين * قلت هل بقى لك علىّ شى * قالت جُمْعةُ * قلت اعندك حساب ذلك فى دفتر * قالت نعم قد غرّنا تالحزكم فى الشعر ياشعرآء فزعمناكم قوالين فعالين * فاذا بكم لا تحسنون الا الوصف * قلت ومن يحسن الفعل * قالت من لا يحسن الوصف * قلت واين حق الادب * قالت فى مجالس العلمآ لا فى مجالع النسآ * قلت ذلك يفضى الى الانبتات * قالت وهذا الى الانبتات * قلت كيف يمكن الفراق اذا * قالت ان شئت الوزم الان والا فدعه الى ان تاتى مصر * قلت كيف يتاتّى وزم اعوام * فى ساعات او ايام * واشفق ان احين وعلىّ ذُبابة * قالت اذا كنت لم تخش من الدَين * فما اخالك تخشى من الحين * قلت لقد اذكرت ناسيا وطالما حسبت الناس كلهم مثلى * قالت وانت انسيتَ ذاكرة لكونى لم ارَ لى مثلا * قلت اذكرى السطح واصفحى * قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح * قلت انى اردت السطح القديم * قالت انما اريد الحديث * قلت يقال فى الامثال لا بركة الا فى القديم * قالت يقال فى الامثال لكل جديد لذة * قلت كيف الفراق وفى قلبك صغن * قالت ياحبذا الصغن * قلت اذا كان بمعنى الشوق الىّ * قالت نعم هى من الالفاظ الغريبة التى تعلمتها

منك كالعِقْبَون والفِطَحْل والحَبْرة * قلت لعلك انست من العقيون العقيان ومن الفطحل الفحل ومن الحبرة الحِبَرة * قالت لا تانس الحِبَرة بالحِبَرة * قلت قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النعومة * قالت وقالوا ايضا التسديد من السداد * قلت لم يرد فى النهى عن ذاك امر * قالت هو مقيس على نقيضه * قلت هذا بذر فى ارض سباخ * قالت وذلك قَراح بلا حرث * قلت الكلام على البذر * قالت لا يمرؤ الطعام ما دام فى الحلق ولا يسوغ المآ الا اذا مرّ على الزلقوم * ثم توادعا بعد مباراة الذمم وشيعها الى سفينة النار ثم رجع الى منزله كئيبا مستوحشا * لانها كانت كثيرًا مّا تدله على الرشاد وتنهج له الراى السديد * ثم لم يشعر بعد ايام الا وروائح المطران قد انتشرت وهى اشد اذى من الاولى * فبعث منها قدرا اخر الى اللجنة المذكورة وكتب لهم * ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شكاكم كل ذى خيشوم * فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا ان قوله الحق * فبدا لهم ان يسدّوا مسامّ المطران عن اخراج ذلك الخبث * وان يحضروا اليهم الفارياق لاعادة ترجمة الكتاب الذى تقدم ذكره * هذا وقد كان الفارياق الّف فى احوال اهل الجزيرة كتابا وعاب عليهم فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنياوية مما تفردوا به عن نصارى بلاده * وذلك كتغطيسهم اجراس الكنائس فى مآء المعمودية * واطلاق اسمآ القديسين عليها * وكخروجهم بالدمى والتماثيل نهارا وايقاد الشموع امامها وما اشبه هذا * وكان قد اعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه * فاتفق ان زاره المطران يوما فراى الكتاب على كرسى وقد عرف خط مولفه * فغافل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التى اشتملت على ذكر تلك العادات * ثم بعث بها الى رئيس

مصلح البحر وكتب غلبها باللغة الطليانية * انظر ايها الرئيس ان كان قائل
هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك اوّلا * الا ان الرئيس المذكور لما كان
لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحائف مع عدم قدرته على عزل المتوظفين
فى خدمة الدولة * كان لا بد من اعادة الاوراق الى المولّف * وكان المطران
قد فرّ من الجزيرة قبل اعادتها وظهر الجوّ من روائحه * ولو بقى بعد ذلك
لعوقب على هذه السرقة معاقبة تليق بامثاله * ووقتئذ عزم الفارياق على
السفر لقضآء تلك المصلحة اعنى ترجمة الكتاب وارسل الى زوجته يعلمها
بما استقر عليه الراى * واشار عليها بالرجوع اذ كان يرجو انه يبقى فى
بلاد الانكليز بعد انهائه الكتاب * غير انه جرت العادة فى بلاد الافرنج
بان مدرسى اللغات فى مدارسهم الجامعة لا يكونون الّا منهم وان كانوا
جاهلين * وبعد ان رجعت الفارياقية تاهب الفارياق للسفر * وها هو الان
يوعى القاموس والاشمونى فى صندوقه * وها انا منطلق لقضآء حاجة لا بدّ
منها * فاسمحوا لى ان استريح قليلا *





في اطلاق بحر

-oo◇oo-

من لم بسافر فی البحار ویقاس فیه الانوآ والامواج فلا یقدر ترفه المعیشة فی البرحق قدرها * فینبغی لك ابها الفاری البرّی ان تتصور فی بالك كلما اعوزك المآ القراح واللحم الغضیض والفاكهة الطریئة والبقول الخضِلة والخبز اللیّن إن اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله * وان سفینتهم لا تزال نمید بهم وتتقلب وتصعد وتهبط * فدون كل لقمة یسترطونها غصة * وفی كل رفدة یرفدونها مغصة * وانه متی وضع بین یدیك لون واحد من الطعام فلا تفكر الّا فیه * واعتفد ان غیرك بغتذی بمثله فی تلك الساعة بل بافلّ منه * فبذلك بحصل لك التاسّی والنسلی *

فاما اذا نظرت الى قصور الملوك والامرآ وصروح الوزرآ وفكرت فيما ياكلون ويشربون فانك لا ريب تتعب نفسك وتعنّيها لغير فائدة * ولكن اتحسب ان المعنّقة التى يشربها الامير الذ من المآ الذى تشربه انت * حالة كونك عارفا بامور المعاش والمعاد * مضطلعا بادارة مصلحة لك تكفيك واهلك المونة * وحالة كون زوجتك تجلس قبالتك او من يمينك وشمالك * وولدك الصغير على ركبتك * تارة يغنى لك * وتارة يناولك بيده اللطيفة ما سالت عنه امّه * واذا خرجت شيعاك الى الباب واذا قدمت صعدا معك واجلساك على انظف متكا فى الدار * فاما انت ياسيدى الغنى فالاولى لك ان تسافر من مدينتك العامرة حتى ترى بعينيك ما لم تره فى بلدك * وتسمع باذنيك ما لم تسمعه * وتختبر احوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم وسياستهم * ثم تقابل بعد ذلك بين الحسن عندهم وغير الحسن عندنا * ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلا بلغتهم فلا تحرص بجهدك على تعلم كلام الخَنَى منهم اوّلا * او تستحلى لاسمآ من اجل المسمّيات * فان كل لغة فى الكون فيها الطيب والخبيث * اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات الانسان وافعاله وافكاره * ومعلوم ان فى هذه ما يُحمَد وما يذمّ * فأُجلّك عن ان تكون كبعض المسافرين الذين لا يتعلمون من لغات غيرهم لا اسمآ بعض لاعضآ وعبارات اخرى سخيفة * لا بل ينبغى لك حين تدخل بلادهم سالما ان تقصد قبل كل شى المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمخاطب * اى لاماكن التى يخطب فيها العلمآ فى كل الفنون والعلوم * فمنها ما هو معدّ للخطابة فقط ومنها ما يشتمل على جميع الالات والادوات اللازمة لذلك العلم * واذا رجعت بحمده تعالى

الى بلدك فاجتهد فى ان تولف رحلة تشهرها بين اهل بلادك لينتفعوا بها ولكن من دون قصد التكسب ببيعها * ويا ليتك تشارك بعض اصحابك من الاغنيآ فى انشآ مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال والنسآ والاولاد ولكل صنف من الناس على حدته * حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم من الحقوق * سوآ كانت تلك الكتب عربية او معرّبة * ولكن احذر من ان تخلط فى نقلك عن العجم الطيب بالخبيث والصحيح بالمعتل * فان المدن الغنآ تكثر فيها الرذائل كما تكثر الفضائل * نعم ان من هولآ الناس لمن يابى ان يرى احدا وهو على الطعام * واذا اضطر الى رؤيته وهو على تلك الحالة فلا يدعوه للّوس شى مما بين يديه * لكن منهم من يدعوك الى صرحه فى الريف فتقيم فيه الاسبوع والاسبوعين وانت الآمر الناهى * وان منهم لمن يبخل عليك برد التحية * واذا دخلت دار صديق منهم وكان فى المجلس جماعة من اصدقائه لم يعرفوك من قبل فما احد منهم يتحلحل لك فى القيام ولا يعبا بك ولا يلتفت اليك * لكن منهم من اذا عرفك اهتم بامرك فى حضورك وغيابك على حد سوى * واذا ائتمنته على سرّ كتمه لك طول حياته * وان منهم لمن ينبزك بالالقاب اول ما يقع نظره على شاربيك ولحيتك اوّ على عمامتك او يجذبك من ذيلك من ورآ * ولكن منهم من يتهافت على معرفة الغريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان اليه ويرى اجارته وحمايته فرضا عليه متحتما * وان منهم لمن يسخر منك اذا راك تلحن فى لغته * ولكن منهم من يحرص على ان يعلمك اياها مجانا اما بنفسه او بواسطة زوجته وبناته * وعلى ان يعيرك ما يفيدك من كتب وغيرها ويرشدك الى ما فيه صلاح امرك وتوفيقك * وان منهم

لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكلح فى وجهك وينظر اليك شزرا * لكن منهم من ينزلك فى بلده منزلة ضيف يجب اكرامه واحترامه والذبّ عنه بحيث لا تفصل عنه وفى قلبك ادنى ألم من اهله * وان منهم لمن يستخرك ان تترجم له او تعلمه ثم لا يقول لك احسنت يامترجم او يامعلم * لكن منهم من لا يستحلّ ان يكلمك من دون ان يؤدّى اليك اجرة فتح فمك وضم شفتيك * وان منهم لمن اذا اضطر الى ان يدعوك الى طعامه ثم راك قد سعلت سعلة او مخطت مخطة او فنخرت فنخرة قال لزوجته ألا انّ ضيفنا مريض *فلا ينبغى ان تكثرى له من الطعام * فتقوم عن المائدة متضورا ويمتنّ هو عليك بين معارفه بانه صنع لك وليمة فى عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخا * لكن منهم من اذا عرف انك مقيم فى احدى قرى بلاده حيث لا بيع ولا شرآ ولا شى ينال من البقول والاثمار بعث اليك من مبافله وحدائقه ما سدّ فاك عن الشكوى * كما كان مستر دراموند يبعث الى الفارياق حين قدر الله عليه بالسكنى فى بعض تلك القرى فكانت شكواه منها تسمع مع دوى الريح * ليت شعرى اليس وجود مئة كتاب بدارك فى الاقل خيرا من وجود كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا اركيلة * مع ان ثمن المئة كتاب لا يوازى ثمن ثلث قطع من الكهربا * اليس وجود مطبعة فى بلادك اولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفرآ السمورية وهذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر * فان الانسان اذا نظر الى الحلى لا يستفيد منه شيا لا لبدنه ولا لراسه * وغاية فرحه به انما هو الشهر الذى اشتراه فيه فاذا مضت عليه اشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه ما يسرّه من وجوده سوى بيعه * فاما الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون

زادت قيمته وكثرت منافعه * اوليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية واداب
الناس زينة لك بين اخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر *
اليس تعليم اهلك وذويك شيا من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة
من كتب الطب يكسبك عند الله اجرا ويومنك من مضار كثيرة تتطرق اليهم
لجهلهم بها * فان قلت انه ليس عندنا كتب فى العربية تصلح للنسآ *
قلت هب ما قلته حقا ولكن اليس عند الافرنج كتب مختصة بالنسآ
والاولاد يولفها الرجال الفاضلون المهذبون * فلمَ تشترى من الافرنج
الخزّ والمتاع ولا تشترى منهم العلم والحكمة والاداب * ثم انك مهما
بالغت فى ان تبرقع زوجتك عن روية الدنيا فلن تستطيع ان تخفيها
عن قلبها * فان المراة حيثما كانت وكيفما كانت هى بنت الدنيا وامّها
واختها وضرّتها * لا تقل لى ان المراة اذا كانت شريرة لا يصلحها
الكتاب بل يزيدها شرّة * واذا كانت صالحة فما بها من حاجة اليه *
فانى اقول ان المراة كانت اولا بنتا قبل ان صارت امراة * وان الرجل
كان من قبل ولدا * ولا ينكر احد ان التعليم على صغر * كالنقر فى الحجر *
وانك اذا ربّبت ولدك فى العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون
على ما ربّبتهم عليه * وتكون قد اديت ما فرضه الله عليك من تاديبهم *
فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رخى مطمئن * فلم
يبق لك الا ان تقول ان ابى لم يعلمنى وكذا جدى لم يعلم ابى وانى بهما
اقتدى * فاقول لك ان الدنيا فى عهد المرحومين جدك وابيك لم
تكن كما هى الان * اذ لم يكن فى عصرهما سفن النار ودروب الحديد
التى تقرب البعيد * وتجدد العهيد * وتصل المقطوع * وتبذل الممنوع *
ولم يكن يلزم الانسان فى ذلك الوقت ان يتعلم لغات كثيرة * فكان

كل من يقول خوش كلدى صفا كلدى يقال فيه انه يصلح لان يكون ترجمانا في باب همايون * وكلّ من كان يكتب خطا دون خطي هذا الذى سودت به هذا الكتاب * لا الذى تقراه الان فانى برئ من هذه الحروف * كان يقال عنه انه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشى ديوان * فاما الان فهيهات * هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس * وبعضهم يقول الى ارض لا ينبت فيها القمح ولا البقول * ولا يوجد فيها من الماكول الا اللحم والقلقاس * وبعضهم يقول انى اخاف عليك ان تفقد فيها رئتك لعدم الهوآ * وبعضهم يقول امعاك لعدم الاكل * وبعضهم صدرك او عضوا آخر غيره * فلما سار اليها وجد الشمس شمسا والهوآ هوآ * والمآ مآ * والرجال رجالا والنسآ نسآ * والديار ماهولة والمدن معمورة * والارض محروثة اريضة * كثيرة الصُّوى والاعلام * خضلة الغياض والرُّبَض والاجام * ناضرة المروج * زاهية الحقول * غضة البقول * فلو انه سمع لاولئك الناس لفاته رؤية ذلك اجمع * فان خشيت ان تفوتك هناك لذة الاركيلة ولذة تكبيس الرجلين قبل الرقاد * فاعلم ان ما ترى هناك من العجائب ينسيك هذا النعيم * ويلهيك عمّا الفته فى مقامك الكريم * كيف ترضى لنفسك ان تفارق هذه الدنيا ولم ترها وانت قادر على ذلك * وقد قال ابو الطيب المتنبى .

ولم ارَ في عيوب الناس شيئا   كنقص القادرين على التمام

ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تتشوق الى علم ما يفكر فيه غيرك * فلعل تحت قبعته افكارا ومعانى لم تخطر بما تحت طربوشك *

بحيث انك اذا استوعبتها تودّ لو انك عاصرت صاحبها وتشرفت بمعرفته وصنعت له مادبة فاخرة زينتها بصحاف الرز والبرغل * وكيف تبلغ من عمرك ثلثين سنة ولم تولّف شيا يفيد اهل بلادك * فما ارى بين يديك الا دفاتر بيع وشرآ وفناديق دخل وخرج * ورسائل فاسدة المعانى ركيكة الالفاظ تنظر فيها فى كل صباح ومسآ * فاما اذا قصدت السفر لمجرد التفاخر ففط بان تقول مثلا فى مجلس زارك فيه اصحابك الكرمآ * واقرانك العظما * قد رايت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة الواسعة وديارها الرحيبة ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها المطهمة ونساها الرائعة وعساكرها الجرارة * واكلت فيها فى اليوم الاول كذا وشربت فى اليوم الثانى كذا * ثم ذهبنا بعد ذلك الى بعض الملاهى ثم الى احدى الملهيات * وبت معها على فراش وطى * وكان قبالة السرير مرآة كبيرة فى طول الفراش وعرضه فكنت ارى نفسى فيها كما كنت فى الفراش * ثم قمت فى الصباح وجاتنا خادمة صبيحة بصبوح او فطور * ثم عدت الى محلى فوجدت فيه فلانا ينتظرنى وكان ذلك نحو الساعة الحادية عشرة اى فبل الظهر بساعة * فتوجهنا معا الى البستان المسمى بالبستان السلطانى * وبينما نحن نمشى فيه وننظر الى الشجر الباسقة والزهور المدبّجة اذا بالفتاة التى بت عندها تماشى رجلا يغازلها * فلما راتنى تبسّمت وسلمت علىّ * وكانّ سلامها لم يسوّ الرجل فانه نزع لى قبّعته فعجبت جدا من عدم غيرته * اذ لو كانت الفتاة عندى لحجبتها عن النور * فذلك كله يسمى فى العربية هَذرا وهُراء وهَفْتا وهَرْجا وهَلْجا وسَقَطا وهَبْثا ووَتَغا وخَطَلا واخلآ ولَغى وطُفانين وهَذَيانا وثرثرة وفرفرة وحذرمة وهبرمة وهثرمة وخزربة وخطلبة وغيذرة وشمرجة ونفرجة

وهمرجة وثغثغة وفقفقة ولقلقة ووقوقة وهتمنة وفى المتعارف عند العامة فشارا وعلكا * اذ لا فائدة فيه لاحد من الناس * بخلاف ما اذا قلت لهم ان الغيسانى من الرجال هناك اذا حضر مجلسا فيه نسآ لا يغمز احداهن بعينه ولا يتبظرم ولا يبتهر (١) * ولا يقول لها انه يزور النسآ المحصنات بعلم بعولتهن وبغير علمهم وياكل عندهن ويشرب * ثم يخلو بهن فى مضاجعهن ويرجع الى منزله مسرورا * وكاىٍّ من مرة وضع يده فى جيبه فوجد فيه كيسا ملآن من الدنانير او كاغد حوالة على بعض الصيارفة * وانه اذا مرّ فى الاسواق تتهافت على رويته البنات من الرواشن والشبابيك والكُوَى والسِهآء والأجْلآء * فمنهن من تشير اليه بيدها او براسها * ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها * ومنهن من ترميه بوردة * واخرى ببافة من المنشور او برقعة فيها شعر * او انه يقول بحضرتهن قد انحلّت تكّتى او حكّنى رفغى لكون حشو سراويلى غليظا * او يحك استه او يرطل عياره * او يتمطى ويتمتّى ويتمطّط ويتمدّد ويتمطّل ويتمتأ ويتمتّت ويتمأى ويتنطّط ويتمعط ويتمغط ويتبسط ويتبأط * بل انما يكلمهن متادبا محتشما غاضّ الطرف خافض الصوت * ويسال كبيرتهن عما طالعت يومها ذاك من الاخبار والحكايات والنوادر الادبية * وانه شرع فى تاليف كتاب مفيد يشتمل على ذكر اثار الاقدمين واخبارهم * ثم يلقى على صغيرتهن احجية ادبية ليلهيها بها وبمثل ذلك يدخل مكرما ويخرج محمودا * وبخلاف ما اذا قلت لهم ايضا ان التاجر المثرى هناك لا يتختم بخواتم الماس والزمرّذ * ولا يتحلى بسلاسل الذهب * ولا يقتنى النادر من الاثاث والماعون والفرش * بل انما ينفق امواله فى سبيل البر واغاثة

(١) تبظرم اذا كان احمق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به فى وجوه الناس وابتهر ادعى كذبا وقال فجرت ولم يفجر *

الملهوفين وامداد للارامل واليتامى *وفى انشآ المدارس والمستشفيات *وفى تصليح الطرق وتحسين المدينة وازالة الاوساخ والعفونات منها * وفى ان يربى ولده بالادب والعلم والفضائل * فترى منهم من سنّه اثنتا عشرة سنة يكلّمك بما يكلّمك به من سنّه منا اثنتا عشرة سنة بعد العشرين * وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فقلت ان لكل انسان عندهم ممن لا يعدّ من الاغنيآ والفقرآ خزانة كتب نفيسة فى كل فن وعلم * وما من بيت الا وفيه اضبارة من صحف * وان الرجل منهم اخبر بالبلاد الاجنبية من اهلها * وان اكثر فلاحيهم يقراون ويكتبون ويطالعون الوقائع اليومية ويعرفون الحقوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين الرجل وامراته * وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة عشر مليونا فى العام * وما يدفع عليها لخزنة الدولة على طبع اجازتها يبلغ اكثر من خمسين الف ليرة * وانها لو عرّبت نسخة واحدة منها لجات اكثر من مائتى صفحة * وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحا على المائدة مع زوجته واولاده يقبّل كلّا منهم ويسالهم عن صحتهم * ويفيدهم بعض نصائح وتنبيهات تكون لهم إماما فى ذلك اليوم * وانهم يكلمونه وهم مبتهجون فرحون ويرون حضوره فيهم سلوانا * وانهم لا يخالفون له امرا ولا يستثقلون منه تكليفا * وهم مع ذلك يُدلّون عليه بالبنوّة ويهابونه للابوّة * فهذا وامثاله اصلحك الله ينبغى ان تشنّف به مسامع اصحابك الكرام * عسى ان ينشطوا الى انشآ مدرسة او ترجمة كتاب او لارسال ولدهم الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحمودة والمناقب الكريمة * واياك ياسيدى من ان تميل قبل هذا كله الى ان تاخذ من بعضهم الخصال الذميمة كالطيش والنزق والبخل والفسق والكبر ومد الرجلين فى وجه جليسك *

فقد ذكرت لك آنفا ان البلاد التي تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل ايضًا * وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب * غير انه ينبغي لكل منا ان لا يزال يجد ويسعى في طريق الكمال وفي تهذيب اخلاقه وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة * وكما ان لذة الحواس لا يشعر بها الانسان الا في مقدّم جسمه دون موخره كذلك ينبغي لكل ذي جسم من الحيوان الناطق ان يعتمد على التقدّم في المعارف والدرايه * والمحامد الى الغايه * وكنت اود لو ان احدا من اهل بلادنا نقل فضيلة او مائرة عن هولآ الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار والروايات * و بودي لو تستحيل اصناف الماس والزمرذ والياقوت والدهنج والشعع والدر والعقيان والكهربا والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها معدودة من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع *





الفصل الثانى

في وداع

لما حان سفر الفارياق اخذ يودع زوجته بعد ان اوعى القاموس والاشمونى في صندوقه ويقول * اذكرى يازوجتى انّا عشنا معا برهة طويلة من الدهر * قالت ما اذكر الا هذا * قال فقلت أَذِكْرُ ناكرٍ ام شاكرٍ * قالت نصف من هذا ونصف من ذاك * قلت يرجعنا النحت الى الاول * قالت او يرجع الاول الى النحت * قلت اىّ اوّل اضمرتِ * قالت ما لك ولتاويل المضمر * قلت حسبى ان تُبيّنى لى حقيقة ذلك * قالت اذا فكرت فى انك لى ولغيرى كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين * قلت انك كنت نهيتِنى عن المعاملة بالقَسْم وها انت الان تاتينه * قالت بل هو ياتينى * قلت أَما فى فيك لفظة لا * قالت ان لفظتها كانت نُعُم * قلت ان لا من المراة إِلّى * قالت وان نعم نعم * قلت اجعلت هذا دابكِ * قالت ودابت فى هذا الجَعل * قلت هذا لا يليق بذات ولد * قالت ولا تلد من لا تليق * قلت من مادة واحدة * قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة احوجت الى اختلاف الصور * قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الاشكال * قالت لا اشكال فى كيفية الاشكال فان واحدا منها يغنى عن الجميع * وانما الكلام على رسم

الكمية * قلت ما الحدّ * قالت فى الجد الهزل وفى الهزل الجد * قلت ارايتك لو اقمت نائبا عنى فى ذاك مدة غيابى * فضحكت وقالت على ما احبّ انا ام على ما تحب انت * قلت بل على ما تحبين انتِ * قالت لا يرضى الرجل بذلك الا اذا كان غير ذى غيرة ولا يكون غير ذى غيرة الا اذا كره امراته وكلف بغيرها فانت اذًا كَلِف بغيرى * قلت ما انا بالكَلِف ولا بالطَرِف * لكن الرجل اذا كان شديد الحبّ لامراته ودّ لو انه يرضيها فى كل شى * على ان الغيرة لا تكون دائما عن المحبة كما نصّوا عليه * فان بعض النسآء يغرن على ازواجهن عن كراهية لهم واعنات * مثال ذلك اذا منعت المراة زوجها عن الخروج الى بستان او ملهى او حمّام مع عدة رجال متزوجين * وهى تعلم انهم فى هذه المواضع لا يمكنهم الاجتماع بالنسآ فهى انما تفعل ذلك تحكما عليه ومنعا له من ذكر النسآ مع اصحابه والتلذذ بما لا يضيرها * وكذا اذا حظرته عن النظر من شباكه الى شارع او روضة حيث يكثر تردّد النسآ * وكذا الحكم على الرجل لو فعل ذلك بامراته * فهذا عند الناس يعدّ غيرة لكنه فى الواقع بغضة * او ربما كان آخر الغيرة اول البغض كما ان افراط الضحك هو اول البكآء * وكيف كان فان الرجل لا يمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح لها التلذذ بما شآت وبمن احبّت * قالت ايفعل ذلك احدٌ فى الدنيا * قلت نعم يفعله كثير فى بلاد غير بعيدة عنا * قالت بابى هم ولكن ما شان النسآ ايفعلن ذلك ايضا لازواجهن * قلت لا بدّ حتى يعتدل الميزان * قالت اما انا فلا ارضى بهذا الاعتدال فالميل عندى احسن * قلت وكذا هو عندى فى بعض الاحوال * قالت ولاحوال البعض * قلت فلنعد الى السفر انى اسافر اليوم * قالت نعم الى بلاد فيها البيض الحسان * قلت

اتعنيهم ام تعنيهنّ * فالت اعنى نوعا ويعنينى آخر* قلت ولمَ يعنيك
وانتن المطلوبات فى كل حال ولذلك يقال للمراة غانية* قال فى القاموس
الغانية المراة التى تطلَب ولا تطْلب * قالت ما احسن كلامه هنا لولا
انه قال قبل ذلك العوانى النسآ لانهن يُظلَمن فلا ينتصرن * غير ان هذه
النقطة شفعت فى تلك * قلت حبكن التنقيط داب قديم * قالت مثل
داب الرجال فى التحريف * وكيف كان فان مطلوبيّتنا هى اصل العنآ *
فان المطلوبة لا تكون الّا ذات العرض والاحصان* فويل لها ان خانت
محصنها * وويل لها ان حرمت طالبها وباتت تلك الليلة مشغولة البال
بحرمانه وخيبته وبكونها صارت سببا فى ارقه وجزعه وحسرته * والطالبة
تعود غير مطلوبة * قلت ليست اخلاق الرجال فى ذلك سوآ * قالت
انما اعنى الرجال الذين يطلبون ويكلفون بمن يطلبونه لا اولئك الطُرفين
الشنقين المسافحين الذين دابهم التذوّق والتنقل من مطلوب الى
آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سواهم * ولكن هيهات هل فى
الرجال من يقيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم * لعمرى لو كانت
النسآ تطلب الرجال طلب الرجال للنسآ لما رايت فيهم غير مفتون *
قلت هل فى النسآ من تقيم على الوداد ولا تجنح عنه كل يوم الف مرة*
هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفآ وعلى النسآ بالخيدعية * قالت مَن
كتب هذه الكتب اليس الرجال هم الذين لفقّوها * قلت ولكن من
بعد التحرّى والتجربة * قالت مَن بيات الحَكَم وحده يفلج * قلت بل
اوردوا على ذلك شواهد وكفى بما ورد عن سيدنا سليمن برهانا ودليلا *
فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحا فاما بين النسآ
فلم اجد صالحة * قالت ان سيدنا سليمن وان يكن قد اوتى من

الحكمة ما لم يوتّه غيره غيران افراطه في النسآ شوش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة * أَلَا ترى ان بائع المسك لطول ائتلافه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة * واما ايراد الادلة من الرجال على النسآ دون ايراد ادلة النسآ على الرجال فمحض ظلم وبطر * قلت نعم كان الأَوْلَى مناصفة هذا الايراد ولكن سبحان الله انتن تتهمن الرجال في كل شي ثم تتهافتن عليهم * قالت لولا اضطرار الاحوال * لما شغلن بذلك الابوال * قال فضحكت وقلت اىّ جمعٍ هذا * قالت قسته على غيره * قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه * قالت لا فرق * قلت بل كله فرق فان اللغة لا توخذ بالقياس * ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر * ولا بين تذكير حقيقة التانيث وتانيث ما هو غير مقابل بمثله * قالت وهذا ايضا من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون ياتون امرا مستقيما * قلت قد رجعت الى لومهم * قالت والله لقد حرت في الرجال * قلت والله لقد حرتُ في النسآ * ولكن فلنعد الى الوداع اني اعاهدك على ان لا اخونك * قالت بل تخونني على عهد * قلت ما يحملك على سوء الظن بي * قالت اني ارى الرجال اذا كانوا في بلاد لم يُعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش * أَلَا ترى الى هولآ الغربآ الذين ياتون الى هٰذه الجزيرة كيف يتهتكون في العهر والفجور * فاول ما يضع احدهم قدمه على الارض يسال عن الماخور * ولا سيما هولآ الشاميين ولا سيما النصارى منهم ولا سيما الذين المّوا بعلم شي من احوال الافرنج ولغاتهم فانهم يخرجون من المراكب كالزنابير اللاسعة من هنا وهناك * قلت لعلهم كانوا في بلادهم كذلك * قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك * قلت او كانوا

فاسدين بالطبع * قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فاول ما يستنشقون
رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم * ولذلك تراهم ابدا يتلمظون بذكر بلاد
الافرنج وعاداتهم واحوالهم * مع انك اذا سالت احدا منهم عن طعامهم
قال لا يستطيبه * او عن الحانهم قال لا تطربه * او عن كرمائهم قال
لم تادبه * او عن حماماتهم قال لم تعجبه * او عن هوائهم قال لم يلائمه *
او عن مائهم قال لم يسغ له * فيكون لهجهم بذكر بلادهم وتنويههم
بمحاسنها انما سببه الفحش * وانت من يضمن لى طبعك عن الفساد
وقد اسمعك كل يوم تُهَيْنِم بذكر الرجراجة والرضراضة والبضباضة والفضفاضة
والرِّبحلة والرعبوب والعطبول * وهى لعمرى الفاظ تسيل لعاب الحصور
وتشهّى الناسك * قلت ان هو الا كلام * قالت اول الحرب كلام *
قلت اترين اعدّى عن هذه الصنعة الشائقة * والحرفة العائقة * قالت
ان لم تتصور ذاتا بعينها عند الوصف فلا باس * قلت ان لم اتصور
ذاتا لم يخطر ببالى شى * قالت اذن هو حرام * قلت ما كفارته *
قالت تصورك اياى لا غير * قلت ولكن انت خالية من بعض الصفات
التى لا بدّ من ذكرها * قالت اذا كان الرجل يحب امراته رأى فيها
الحسن كله ونظر من كل شعرة منها امراة جميلة * كما انه اذا احب
امراة غيرها احبّ لاجلها بلادها وهوآها ومآها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم *
قلت اوَ كذلكِ المراة اذا احبت رجلا * قالت هو فى النسآ اكثر لانهن
اوفر حبا ووجدا * قلت ما سبب ذلك * قالت لان الرجال يتشاغلون
بما ليس يعنيهم * فترى واحدا منهم بطلب الولاية وآخر السيادة وآخر
البحث فى الاديان وفى ما غمض من السفليات والعلويات * والنسآ
لا شى يشغلهن من ذلك * قلت لبتك تشاغلت مثلهم * قالت ليت

لى قلبين فى شغلنا * قلت افتنظرين فىّ الحسن كله كما زعمت *
قالت أُحْسِن فيك النظر * قلت فلنعد الى الوداع لا بل فلنعد الى التشاغل*
فانى اريد ان انهى هذه المسالة قبل ان افصل من هنا والّا فتكون لى
شاغل الطريق وربما افسدت شغلى عند القوم فارجع باللوم عليك وعلى
سائر النسآء * قالت اعلم ان المراة تعلم من نفسها انها زينة هذا الكون *
كما ان جميع ما فيه انما خلق لزينتها لا لزينة الرجل * لا لكونه مستغنيا
عنها بذاته اولكونها هى مفتقرة اليها لتحلو بها فى عين الناظر واذن السامع*
بل لعدم جدارة الرجل بها * فان الزينة نوع من الاخذ والتلقّى
والاستيعاب والزيادة وهى احوال انسبُ بالمراة منها بالرجل * وبنآء على
هذا اى على ان جميع ما فى الكون خُلِق لها بعضه بالتخصيص وبعضه
بالتفضيل والايثار * كان من بعض اعتقادها ان نوع الرجل ايضا مخلوق
لها * لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من
وجهين * احدهما انها لا تطيق ذلك لان سرّية ذلك اليهودى (على ما
ذكر فى الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطق اهل قرية واحدة
(هى جبعة) على قلتهم ليلة واحدة * بل ماتت فى الصباح وسيدها
يحسبها نائمة * وهذه الحكاية ذُكِرت رَدْعًا للنسآ * والثانى انه اذا ثبت
لامراة حق فى حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقى * ولكن
بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتتعرف ما عندهم * فتتلهّى
من واحد بتمليقة ومن آخر باطرآة ومن غيره بمغازلة ومن آخر بمطارحة
وما اشبه ذلك * مما لا يمنعها من محبة زوجها والكلف به * لا بل —
قال فقلت انتّمى هذه اللابلّية فانى اراها ترجمة لداهية من دواهى النسآ
وعنوانا على مكيدة من مكايدهن * فضحكت وقالت ربّما دلّك على

الراى الظنون * غير انى اخشى من ان تاخذك لبيانها شفشفة ورعدة فتتاخر عن السفر * او ان تظن ان هذا دابى معك * معاذ الله * انى لم اخُنْك بضَمْد ولا بغيره * وانما علمت ما علمت من النسآ لان النسآ لا يكتم بعضهن عن بعض شيا من امور العشق واحوال الرجال * قلت اوجِزى فقد قلقت وفرقت وعرقت * قالت اعلم ان بعض النسآ لا يتحرّجن من وصال غير بعولتهن لسببين * الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم * فانهم يعودونهن اوّلا على ما يعجزون عن ادائه اليهن آخرا * ولا يخفى ان من النسآ المُدقِم وهى التى تلتهم كل شى * ومنهن الشفيرة وهى القانعة من البعال بايسره * ومنهن الصامد وهى التى تتخذ خليلين * ومنهن المِطْماع وهى التى تُطمع ولا تمكّن * ومنهن المَرْيَم وهى التى تحب حديث الرجال ولا تفجر وهو خُلقى * قال فقلت اللهم امين * قالت واللاعة وهى التى تغازلك ولا تمكنك * والسبب الثانى لاستطلاع احوال الرجال واختبار الابتع منهم وغير الابتع لمجرد العلم كيلا يفوتهن حال من احوالهم * ومنهن مَن تعتقد ان زوجها يخونها عند كل فرصة تسنح له * لما تقرر فى عقول النسآ ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهن ومباغمتهن * فهى على هذا لا تجد سبيلا للشطح الا وتزق فيه * اعتقاد انها اخذت بثارها جَزْمًا اى قبل وقته الموقوت * ومع ذلك فلا يحلن عن محبة بعولتهن * بل ربما كان ذلك الشطح ادعى لزيادة حبّهن لهم * قلت لا متّعنى الله بحب ناشى عن مُدقميّة ولا ضمد * ولكن كيف يكون هذا التخليط ادعى الى زيادة الحبّ والمراة اذا ذاقت البكبك والعُجارم والقازح والكُباس لم تقتنع بعد ذلك بزوجها حالة كونه لا يحول عن الصفة التى فُطر عليها * وكذا الرجل ايضا اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنبل والعَضُوض

والاكبس فانه يرى زوجته بعد ذلك ناقصة * فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمراة وكان عدم وجودها فيها نقصا لما كنت تراها في افراد قليلة من النسآء * فان معظمهن على خلاف ذلك * فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفته بزوجته وضراوته عليها وحالة كون مسّ احدهما الاخر لا يحدث في جسم الماسّ والممسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخيّة * يمكن له معها المماتنة والامعان والوقوف * بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته او لفرط مراوحة المراة اياه على العمل * او لكون الحرام لا يسوغ دائما مساغ الحلال تفوته الصفتان المذكورتان * فاللذة معه جلّها ناشي عن التصور * اى من تصور كونه غير زوجها * كما ان نغصها مع زوجها جلّه ناشي عن تصور كونه غير غريب * والّا فالواقع ان اللذة في الحلال اقوى * غير ان التصور له موقع يقرب من الفعل * وبيانه لو اعتقد رجل مثلا ان امراة غير امراته تبيت معه ثم باتت معه امراته بعينها وهو لا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عم * لوجد امراته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التي تصورها في غيرها * وكذا شان المراة * فبناً على ما تقدم من اعتقاد المراة بان جميع ما في الكون من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها به مطلقا عاما * غير انه اذا كان لها خاصّ قريبا منها تناولت ذلك الخاصّ متناول العام * حتى انه كثيرا ما يخطي فكرُها واحدا منهم بخصوصه * فيتجاذبه اثنان او ثلثة حتى تذهل عن الشاغل والاشغل * وهو في الواقع تحوّف من اللذة كمن يريد ان يشرب من ثلث قلل بضعها على فيه في وقت واحد * قلت كلامك هذا ينظر الى قول الشاعر

اذا بتّ مشغول الفواد بما ترى   من الغيد عيني والجمال مفرّق
اركّب في وهمي محيّا يشوقني   على قامة اولى به ثم اشبق

ولكن قد نهيتني آنفا في التغزل عن تصوّر ذات بخصوصها وقلت انه حرام فهلّا قلت بحرميّة هذا ايضا * قالت انما حرميّة ذاك لكونه ذاهبا في الكلام سدى وسرفا * على ان الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى * فاما في الفعل من قبل النسآ فانه ينشا عنه صباحة الاولاد * ولذلك ترى انف بعضهم كانف زيد وفمه كفم عمرو وعينيه كعيني بكر * وهو ايضا جواب لمن قال ان في رؤية الرجل نسآ كثيرة مصلحة تعود على امراته لاكتسابه منهن التمشير عند الاياب * بخلاف خروج المراة فان التمشير ملازم لها * فاما هولآ الحمقى الزاعمون ان تصوّر الرجل موثر في توزيع الولد فيلزمهم ان لا يروا امراة اصلا غير نسآئهم * لئلا تاتي ذريتهم كلها اناثا او في الاقل خناثا * وذلك لمناعفة التصوّرين من قبل الاب والام * ألا وانّ امراة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيّل لجديرة بان تكون قبلة كل مطرئ * وان لا يفكر زوجها الا فيها * قلت مقتضى كلامك ان النسآ المقصورات عن رؤية العموم لا لذة لهن مع الخصوص * قالت اما بالنسبة الى ناظرة العموم فلا * واما بالنسبة الى العدم فنعم * فان المآء مهما يكن سخنا يطفي النار * قلت وبالعكس اى ان النار مهما تكن باردة تسخن المآ * قالت يصح العكس لكن الطرد اولى * قلت الى كم قسم تنقسم اللذة * قالت الى خمسة اقسام * الاول تصورها قبل الوقوع * الثاني ذكرها قبله * الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين * الرابع تصورها بعد الوقوع * الخامس ذكرها بعده * وكون لذة التصور

قبل الوقوع اقوى او بعده اقوالٌ * فذهب بعض الى ان الاولى اقوى * لان الفعل لمّا كان غير حاصل كان الفكر فيه اجول وامعن فلا يقف على حدّ * وزعم آخرون ان الحصول يهيّئ للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها فى قياس ما يترقب من الاعادة والتكرير * وكما حصل الخلاف فى وقتى التصور حصل ايضا فيه وفى الذكر * والعبرة بحدّة التصوّر وذرب اللسان * فاما اصلح الازمنة لها فالصيف عند النسآ والشتآ عند الرجال * فاما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم اهل التثليث * قلت ومنهم المعتزلة والمعطِّلون * قالت هولآ لا خير فيهم * وما هم جديرون بان يعدّوا مع الناس * قلت ما شان من يتزوج اثنتين وثلاثا * قالت هو امر مغاير للطبع * قلت كيف وقد كانت سنّة الانبيآء * قالت هل نحن نبحث الان فى الاديان او نتكلم فى الطبيعيات * الا ترى ان الذكور من الحيوانات التى قُدِّر لها ان تعيش مع اناث كثيرة قُدِّر لها ايضا القدرة على كفايتهن كالديك والعصفور مثلا * وغيرها انما يعيش مع واحدة ويكتفى بها * ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلث لم يكن اهلا لان يحوزهن * وبعدُ فلاىّ سبب حُظرت المراة عن ان تتزوج ثلثة رجال * قلت ان فى كثرة النسآ للرجل الواحد كثرة النسل التى يتوقف عليها عمران الدنيا * وذلك مفقود فى كثرة الرجال للمراة الواحدة * علىّ انى قرات فى بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل مستعملة عند بعض الهمج * قالت مه مه اهولآ هم الهمج وانتم المتمدنون الكيّسون * فاما دعواك بتكاثر النسل فى كثرة النسآ فهل سكان الارض الان قليلون * الم تضق بهم البسيطة وتثقل بهم بطونها ويمزّق اديمها * فما الموجب الى هذا الاكثار سوى البطر والنهم * قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعد الى الوداع * انى مسافر

عنك اليوم وتارك عندك فوادى حتى اذا زارك احد أُحِسّ به * قالت كيف تحسّ وما فوادك معك * والناس يخصّون القلب بالحسّ والشعور * والحزن والسرور * قلت ان حسى براسى * قالت من اى جهة * قلت من الجانب الاعلى من الراس * قالت نَعَم الشى الى جنسه اميل * ولكن اين تتركه * قلت على العتبة كيلا يخطوها احد * قالت فاذا طفر فوقها * قلت فى الفراش * قالت فان يكن فى غيره * قلت فيك * قالت ذلك احسن مقرّا * انى اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من ايام السطح الى الان * ولكن حين احسّ واشعر من ها بانك تبدلت السطح بالشطح اقابلك بفعل مثل فعلك والبادى اظلم * قلت انك كثيرة الوساوس شديدة الغيرة * فلعل شعورك يكون عن وسواس * قالت بل الاولى ان الوسواس يكون عن الشعور * قلت دار ما بيننا الدور * قالت حاولْ اذًا فكّه * قلت هو فرض فلا بدّ من قضائه * قالت وقضاً لا بدّ من فرضه * قلت ايعقَد به العهد * قالت اذا عُهد به العقد * قلتُ لا ارضى بهذه الصفة * قالت ومن لى بوصف هذا الرضى * قلت هل كان العقد فى الشرط * قالت وهل كان الشرط بلا عقد * قلت مُثَلنا مثل ذلك المجنون * قالت لولا الجنون ما جمعنا الزواج * قلت اكثر الناس على هذا * قالت اكثر الناس مجانين * فقلت الحمد لله رب العالمين *





الفصل الثالث

في استرحامات شتى

من كان من طبعه المين والافترآ او من كان جاهلا بالنسآ ارتاب في هذا الوداع ونسبه الى ترقيش الشعرآ ومبالغاتهم * ولكن ايّ منكر على من جعلت دابها وديدنها وشنشنتها ونشنشتها ومُهوأنها وهُذَيرباها واُهجورتها وفَعِلتها ومُطِرتها المحاضرة والمفاكهة والمساقطة والمطارحة والمحارزة والمجارزة وسرعة الجواب * بل كثيرا ما كان يجتمع بالفارياق اثنان او ثلثة من اصحابه فاذا خاضوا في حديث انتدبت لهم وجارتهم فيه وعارضتهم وماتنتهم* فكل فصيح ان تعارضه لم يُبِن وكل بليغ ان تساجله يرتكّ * وقد علم بالتجربة ان جواب المراة اسرع من جواب الرجل * وان المشتغل بالعلم يكون ابطا جوابا من غير المشتغل به * لانه لا يقدم على ذلك الا بعد الفكر والرويّة * على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المرْاة المبينة من غير قرآة البيان هي دون الاصل بمراحل * فاني لم اقدر في نقل الكلام على نقل الحركات التي كانت تبدو منها * وعلى ان اصوّر للمطالع عيونا تغازل وحواجب تشير * وانفا يرمع * وشفاها تزمع * وخدودا تتورد * وجيدا يلوى * ويدا تومئ * ونَفَسا يربو ويخفت * وصوتا يخفض وينبر * وزد عليه مسح الماق اشارة الى الاستعبار * وتوالي الزفرات

رمزا الى الحزن والانبهار * والتبلّد ايذانا بالاسف * والتنقل من جنب
الى جنب اعلانا بالجزع واللهف * وغير ذلك مما يزيد الكلام قوة وبلاغة *
وهذه ثانى مرة ندّمتنى على جهلى صناعة التصوير * والمرة الاولى كانت
فى الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكرى الحسان على اختلاف
جمالهن * ويمكن انى اندم مرة ثالثة * وهنا ينبغى ان اقف على قدمى
منتصبا واستميح الاجازة من ذوى الامر والنهى لان اقول * انه قد
جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليز بان لا يدعوا
احدا يدخل بلادهم او يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم او لوكلائهم
المعروفين بالقناصل قدرا من الدراهم بحسب خصب ممالكهم ومحلها *
وذلك بدعوى ان المسافر اذا نزل بلادهم ساعة او ساعتين فلا بدّ وان يرى
قصورهم الفسيحة وعساكرهم المنصورة او خيلهم النجيبة ومراكبهم الفاخرة *
فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهى * اذ ليس يدخلها احد من دون
غرامة * فان اعترض احد بقوله انّا فى الملهى نسمع اصوات المغنين
والمغنيات وآلات الطرب * ونرى الانوار المزدهرة والاشكال المتنوعة
ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة * ونضحك حين يضحكن *
ونطرب حين يرقصن * ونشغف حبّا حين يغازلن * فاما فى روْية احدى
مدنكم فانّه لا نرى شيا من ذلك * بل انما ندخل لكى يغبننا تجّاركم *
فتكون فائدتنا فى الدخول بالنسبة الى فائدتهم فى الدخل قليلة * قالوا
قد يتفق وقت قدومكم بلادنا ان تكون عساكرنا قد شرعت فى العزف
بآلات الطرب فهذا فى مقابلة الطرب فى الملهى * اما النسآ فانّا ناذن
لكم فى التمتّع بكل من اعجبتكم فاجروا ورآء من شئتم بحيث يكون النقد
على الحافر * ومع ذلك فلا ينبغى ان تشبّه مدائننا التى تشرفت بحضرتنا

ببعض الملاهى * ولا سيما ان هذه سنّة قديمة قد مشت عليها اسلافنا طاب ثراهم * وتقادمت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكنا تغييرها * فان الملك اذا امر بشى صار ذلك الشى سنّة وحُكْما * ويشهد لذلك قول صاحب الزبور ان يد الرب على قلب الملك * بمعنى ان الملك لا يفكر فى شى الّا ويد الله عاصمة له فيه * هكذا شرح هذه الاية العلمآ الربانيّون فى بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب * وبعدُ فان الملك اذا اخذ فى تغيير العادات وتبديل السنن فربما افضى ذلك الى تغييره * فيكون مَثَله كالديك الذى يبحث فى الارض عن حبة قمح فيثير التراب على راسه * وصَغُر ذلك تشبيها * فالاولى اذًا اقرار كل شى فى محله * ثم لا فرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنيا او فقيرا * صالحا بارّا او لصّا فاجرا * رجلا كان او امراة * فكلهم ملتزمون بادآ الغرامة وتحمل الغبن ـــ ولكن ياسيدى ومولاى انا امراة معسرة قد اضطررت الى المرور بمدينتك السعيدة * لان زُويجى المُسيكين كان قد قدم الى بلادكم الملكية ليدير مصلحة فقضى عليه الله تعالى بالوفاة * فتركت صِبْية لى فى البُيَيت يتضورون جوعا وجئت لارى زويجى المويت حالة كونه لا يرانى * ومع ذلك فانى أُعدّ من الحسان اللآى يحق لهنّ من امثالك العناية والالطاف * فكيف التزم بالغرامة فضلا عن نفقة السفر وفَقْد زويجى الذى كان لى سندا ـــ ارجعى من حيث جئت فما هذا وقت الاسترحام * لان القواعد التى تقرر فى دفاتر الملوك لا تقبل التبديل ولا التحريف ولا يستثنى منها شى ـــ وانا ايضا يامولاى رُجَيل فقيّر قد رمانى الدهر بصروفه لامر شآه الله * فوافيت بلادكم طمعا فى تحصيل وُظَيّفة تقوم بأَوَدى * وما انا من ذوى التغاوى والفتن ولا من الباحثين

فی سیاسات الملوك وایالاتهم * فقصاری منیتی تحصیل المعیشة * علی
انی اعرف شیا لا یعرفه اهل بلادکم العامرة فربما کان مقامی فیها مفیدا
لدولتکم السعیدة * ولو صدر الامر العالی بامتحانی واختباری فیما ادّعیه
لاکرمتم مثوای فضلا عن الرخصة لی فی الدخول بغیر غرامة — یاطائف
یاعسس یازبنیة یاجلواز یاشرطیّ یاعون یاذربیّ یامسحل یافارع یاقیلع
یاتورور یاتؤرور یاتؤتور یاتؤتور یاأترور یاترتور اودع هذا السجن * ان هو
الّا جاسوس قدم یتجسّس بلادنا * فتّشوه عسی ان تجدوا معه اوراقا
تکشف لنا عن خبره — وانا کذلك یامولای وسیدی غُلیّم مُسَیْکین قد
جئت لانظر ابی اذ بلغنی انه کان قادما من سفره فدخل بلادکم فاصابه
هواوها الحمید بمرض شدید منعه من الحرکة * فلما علمت امّی
بمرضه وهی مریضة ایضا مما شملها من الحزن والکرب لطول غیابه بعثتنی
الیه لعلی اخدمه وامرّضه فیطیب خاطره برویتی ویخف ما به * فان رؤیة
الاب ابنه حال مرضه تقوم له مقام الدوآء — ما نحن بمربّی الاولاد
ولا بلادنا مکتب لهم حتی یاتوا الیها ویخرجوا منها من دون غرامة *
اذهب وکن رجلا باداثها علی الفور — وانا ایضا یاعتادی وملاذی *
وثمالی ومعاذی * وملجای وملتحدی * وسندی ومعتمدی * ورکحی ورکنی *
وعزّی وامنی * رجل من الشعرآ الادبآ کنت قد مدحت بعض امرائنا
الکرام بقصیدة فاجازنی علیها مئة دینار * فاشتریت بنصفها موّنة لعیالی *
ووفیت بربعها ما کنت استدنته لکسوتهم وبقی معی ربع * واذ سمعت
بمحاسن مملکتکم الخصیبة البهیة البهیجة وبما فیها من التحف والطُرف
التی لا توجد فی بلادنا * رمت ان اسرّح ناظری وانزه خاطری فی هذا
النعیم ایاما قلیلة * عسی ان یخطر ببالی عند رویته معانی بدیعة ما

سبقني اليها احد فاصوغ منها بادئ بدئ مديحا بليغا في جنابك الرفيع * ومقامك السنيع * وانشر الثنآ عليك في جميع الاقطار * في الليل والنهار * واجيد وصف مكارمك في الاسفار — ما اكثر الشعرآ الغاوين العاوين في بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم * اما ان تدفع الغرامة واما ان ترجع على عقبك واما ان نؤويك الى دار المجانين * ولكن هيهات ان تشرف مسامع المسترحم الحقير من سيده الجليل الخطير بمثل هذه الاجوبة السلبية * فان السلب من مقام الكبير منّة * وانما الغالب ان يكون جوابه برغم الانف او بالقفد * او باللكم على الخرطوم * او بهشم سن * او ببقر بطن * او باطنان ساق * او بانقاض ظهر * ولهذا لما عزم الفارياق على السفر وكان ممن لا يستغني عن احد اعضآئه التمس من خمسة قناصل ان يشرفوا جُوازه بختومهم * فختم عليه كل من قنصل نابلي وليكورنه ومدينة اخرى في مملكة البابا وقنصل جينوى وفرنسا * لان سفينة النار تمرّ على مراسي هذه المدن كلها وترسي فيها بعض ساعات * اما مدينة نابلي فهي مشهورة بكثرة ما فيها من العجلات والمراكب والحدائق والغياض * واما ليكورنه فبطيب هوائها وارتفاع بنائها وكذلك مدينة جينوى * قال وهي عندي احسن منهما * وانحس ما يكون مدينة البابا اذ ليس عليها رونق المُلك ولا الملكوت وما بها شي بقرّ العين * فلما وصل الفارياق الى مرسيلية أُخذ صندوقه الى ديوان المكس واشير اليه ان يتبعه * ثم طلب منه المكّاسون ان يفتحوه ليفتشوه فظن انهم يريدون ان يفتشوا في كراريسه ليعلموا ما فيها فقال * انا ما هجوت سلطانكم ولا مطرانكم فلمَ تفتشون في كراريسي * فلم يفهمه احد منهم وهو لم يفهم احدا * فلما فرغوا اشاروا اليه انِ اقفل صندوقك فثلج صدره * ثم انبرى

واحد منهم يمسح بيديه على جنبه فظن انه يتمسح به اى يتبرك لكونه وجد كراريسه بخط غريب * لكنه علمَ من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه ليعلموا هل كان مدّخرا شيا من التبغ والمسكر * ثم سافر من مرسيلية الى باريس ففتّش ايضا هو وصندوقه فى ديوان مكسها * فكانّ مكّاسى هذه المدينة كانوا يحسبون ان رفاقهم فى تلك قد ناموا عن قيام الليل * فبال الشيطان فى آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما فى الصندوق * او انهم يرتشون كسائر اصحاب الوظائف * فاقام فى باريس ثلثة ايام فى دار سفارة الدولة العلية وفيها حظى بتقبيل ايدى الوزيرين المعظمين والمشيرين المفخمين رشيد باشا وسامى باشا * ثم سافر من باريس الى لندن وسياتى الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين * ثم من لندن الى قرية فى بلاد الفلاحين وفيها القى العصا وعندها اقف انا ايضا *





الفصل الرابع

في شروط الرواية

لم يمض على الفارياق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التي قضاها في تلك القرية * لان قرى بلاد الانكليز ليس فيها من محل لهو واجتماع وانس وحظ البتة * وانما اللهو والحظ في المدن الكبيرة * وفضلا عن ذلك فليس في القرى شي يباع للماكول والمشروب سوى ما لا احتفال به * ومن كان عنده دجاجة او طرفة بعث بها الى احدى المدن القريبة * فمن شآ ان ينقطع عن الدنيا او يترهّب فعليه بها * اما النسآ هناك ففيهن من تشفي من القمه بل تمني بالقرم * الا ان الغريب محروم منهن * اذ كل ذات طلق ملازمة لفحلها فليس من سائب مبهل الا العجائز * ثم بعد مضي شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشئومة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر القسوسة وعلم الكلام * فان جل قسيسي الانكليز يمضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة * وفي هاتين المدينتين ايضا سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم * ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور * فاكترى الفارياق فيها مسكنين في دار كما هي العادة ومكث يترجم بقية

الكتاب الذى مرّت الاشارة اليه سابقا * وكان فى تلك الدار جارية دعجآ كاعب وكذا سائر الوصائف غالبا * فكان الفارياق يراها كل ليلة تطلع الى غرفة احد السكّان ثم بعد هنيهة ليست باطول من قولك عمت مسآء يسمع لها نغمة ايغافية * وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل فى الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكترث بطلوعها ولا بنزولها * فاذا جآت فى الصباح لتصلح فراش الفارياق حلق فيها وحدّق فلم يرَ فيها علامة تدل على انها كانت هى صاحبة النغمة * فيظن ان ذلك كان وهمًا منه نشا عن اللهج بالايغاف * فاذا جآ الليل عادت النغمة وعاد اليقين * فاذا كان الصباح عادت الحملقة وعاد التصاون وعاد الشك والحيرة وهلم جرا * حتى كاد ذلك يشوش عقل الفارياق ويفسد عليه الترجمة التى طالما كان يخشى عليها الخلل والفساد من قضية ما نسائية * وهنا ينبغى ان اقرفص واقول * ان هذه المزيّة السنّورية اى الاكل خفوة وان يكن وجودها ملحوظا فى النسآ على الاعمّ الا انها فى نسآ الانكليز على الاخصّ * فان المتّصفة منهن بما اتصفت به السيدة المدقم فى فصل حدنبدى تتظاهر فى النهار بصفات الورع والتقوى والنبفورية والقذورية وتنظر الى تبعها نظر المتجاهل * وتوهم الناقد انها متبتلة معتزلة للرجال * وربما حفظت احاديث دينية وروايات نسكية تلقيها على الناس فيعظمونها ويعتقدون فيها الصلاح * واذا دخلتَ بيتها وجدت على مائدتها التوراة والانجيل وكتبا اخرى فى العبادة والزهد * وربما وسّخت الظاهر من ورقها لتوهم انها كثيرة الدراسة لها * ولا يمكن للرجل ان يذكر بين يديها اسم عضو من اعضائه * فتكون لذة هولآ على مقتضى قاعدة

الفارياقية غير تامة وذلك لخلوها عن ركن الذكر * وعنها ايضا ان ذكر اللذة لا بد من ان يكون مطابقا للواقع * فان كان الوقوع مثلا من ذى مقام ليلاً ذُكرت فيه لِذات مقام * وان يكن من دونٍ صباحًا ذكرت فيه لدون من النسآ * وقس على ذلك سائر التباين فى الاوقات والاشخاص * اللهمّ الا ان خشى فوات الفرصة * اى اذا حصلت مثلًا ليلًا ولم يمكن ذكرها فى الليل فيصح الذكر فى الفجر او الصباح * او ان حصلت من ذى مقام ولم يتهيّا وجود نظيره فيصح ذكرها لدون ولا تفسد لذة الذكر بذلك * فاما على فرض كونها لم تجد احدا من هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها * وذلك بان تدخل راسها فى زير فارغ او فى بئر او جبّ او قبوة ونحو ذلك مما له صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مرّ لها * حتى اذا رجع الصدى قام لها مقام النديم الكليم * فاما اذا بقى الذكر فى صدرها فيخشى عليها من الصِدارة والذُباح * ويشترط ايضا عندها ان تكون الرواية مطابقة للفعل * فللنبرة نبرة * وللهمز همزة * وللحركة حركة * وللسكون سكون * وللمد مدّ * وللهذّ هذ * وللترخيم ترخيم * وللترسّل ترسل * وان يبلّغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية بلغتنا هذه الشريفة * وان يكون فى العينين مغازلة * وفى اللعم فيضان * وفى اللسان بلّة * وفى اليدين تلقح * وبما تقرّر علمتَ من ان هذه الخلة المذكورة الموجودة فى نسآء الانكليز اخلال بشروط اللذة * ويمكن ان يقال ان لذة التصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام لذتين * او انهن يضعن روٌسهن فى خابية ونحوها * وعن الفارياق

ان الجمال فى النسآ على اختلاف انواعه له نطق ونِدآ ودعآ واشارة ورمز * فمنه ما يقول لناظره لست ابالى بالمراود * ومنه ما يقول لا اغتنم الآن الفرصة — للتاخير آفات — لن ترانى من الكثير ملولا — لا يغرنّك الشفون — هيتَ لك — مَن لى به الساعة — ما ارى كفايتى عند احد — ان دوآء الشقِ ان تحوصه — اين اين المشبع — اين ابن الغز — اين ابن بنى اذلغ — لدىّ يذل الصعب — بعد جهدك لا تلام — لكل مجتهد نصيب — من اطعم اشبع — من ذاق عرف — من مسّ هرف — من سبق فقد ربح — العود احمد — من عدّ عاد — من وصل وُصل * ومنه ما يشير انِ استعمل الحيلة — تلطف فى الزيارة — كن من الجار على حذر — من تانّى نال ما تمنى — بكِر بكور الغراب وغير ذلك * فجمال نسآ الانكليز هو مما عنوانه اين ابن الغز * اين اين المشبع * لدىّ يذل الصعب * فانك ترى المراة منهن تمشى وهى صَفُوح منزّة سامدة مساندة شاردة معبّدة شامرة نافرة جافلة جامزة آبزة نافزة ناقزة معتزة ساربة عاسجة طامحة جامحة شامخة خانفة مشمّة شافنة مُهْطعة مُرْشقة متتالعة هابعة متعاطفة متطلقة مخرنطمة مسحنفرة مجلوّذة مجلوّظة مذلعبّة مجرهدّة مرمئدة مشمعدّة مصمعدّة مسبثرّة مسبكرّة مسمهرّة مشفترّة مسجئرّة مسجهرّة متمهلّة متمئلّة مشمعلة مصمئلّة مقلهفّة مزلئمّة * ومع ان القدرة الخالقية قد خصتهن بالآلايا سابغة صافية على ما روت الرواة * فانهن يتخذن لها المرافد ويعظّمنها بها تعظيما يوقف المستوفز بحيث يقف كالجابه الحيران * فلا يتماسك عن ان تصطك ساقاه

تعجبا واعظاما لهذا التعظيم * وان تحترق اسنانه ويندلع لسانه * وتنصنص لهاته * وتلتوى عنقه * وتنتفخ اوداجه * ويحمرّ حلاقه * ويُغان على قلبه ويطَّنَى * وتاخذه القشعريرة والرعدة والأفكل والهزّة والاضطراب والرجفان والنغشان والغشيان والغميان والفَشْيان والنُحَوآ والدُوار والمَيَدان واللَّمم والاختلاج والترنّح والارتعاج والارتعاش والارتهاش والرَعْس والارتعاس والتردّد والترجيد والأَصيص والبَصيص والكصيص والأَرْض والعُسوم والنِفْيضَى والقِلّ والإرْزيز والزَمَع والزقرفة والشفشفة والصَعْفة والقرقفة والقفقفة * وتهيج به الاخلاط الاربعة فيطلب كلّ خلط عظّامة * وتنهال عليه الخواطر والوساوس * وتتجاذبه عوامل الامانى * وتجرضه مجرضات النزّة * وتطفره خوالج الشهوة * ويميل به مميل التشوق والتلهف على حد قول الشاعر

علمتك الباذل المعروف فانبعثت   اليك بى واجفات الشوق والامل

فيبقى حائرا بائرا مبهوتا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا ذاهلا * بحيث اذا رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظّامة او ما عُظّم بها * وكان الفارياق اذا خرج وابصر هذه الروابى الخصيبة عاد الى ماواه وفى راسه الف معنى يشغله * فمما انشده فى بعض هذه الفتن

يااللعجاب وكلّ عُجّب فليقل يااللعجاب
ما ان يرى فى ذا المكان سوى المرافد من روابى
كلا ولا من غوطة   من دون ذياك الجناب
كلا ولا قرموطة   تشرى سوى كُعب الكعاب

من كل ذات تبهكن تدعو الحصور الى الدعاب

الشوق يقدم بى وخوف العجز من غَلَم ناى بى

ماذا يقول الناس عمّن خار عن مَلْء الوطاب

ام كيف تضعف معدة العربى عن قحف القعاب

مَن لى بصُنبور فأُترعَه بمِنْزفة الحَباب

من لى بقنّة سرفد فى ليلتى من دى القباب

من لى بجبت الينّة من دى لالايا فى مآبى

هذا لعمرك شان ذى فَطَم وهذا الداب دابى



الفصل الخامس

في فضل النسآء

وكما ان نسآ تلك البلاد اختصصن بهذه المزية كذلك اختصت رجالها بالطافهم الغريب بعد معرفتهم له * فاما قبل المعرفة فانه اذا حيّى احدا منهم فما يكون جوابه الا الشزر والشصر * ولهذا لما سمع احد طلّاب العربية منهم بوجود الفارياق وكان قد قُرِئَ عليه حسبه ونسبه اتى ليزوره * وطلب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرما معززا * وكان مقامه بعيدا عن كمبريج * فاجابه الفارياق الى ذلك لان اهل المدينة على كثرة المدارس عندهم والمعالم هم اشدّ الناس نفورا من الغريب * ولا سيما اذا كان مخالفا لهم في الزيّ * فكانوا يسخرون من قبعته الحمرآ حتى كان كثيرا ما يقنبع في غرفته ولا يخرج منها الا ليلا * وقال في ذلك

رمتني النوى في كمبريج ملازما   لبيتي نهارا أن تراني اوباش
فتعبث بي حتى اذا الليل جنّني   خرجت على أمن كاني خفّاش

ولان الكلاب ايضا كانت تشم فروته وتلازمه *   فقال فيها

ولي فروة تاتي الكلاب تشمّها   ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها
تهرّ على تمزيق جلدي وجلدها   كاني من ابائها قد صنعتها

ولان اهل الدار التى نزل فيها كانوا يشاركونه فى طعامه ولا يشركونه فى لحمهم وشحمهم * فقال فيهم

ولى عيلة فى كمبريج خفيّة   تواكلنى من حيث ليس عيان
فعهدى باسم الآكلات فلانة   وعهدى باسم لآكلين فلان

ولانه لم يقدر على ان يحرّد الى احدى تلك القبب *   فقال فيها

وما نفع الوثير من الحشايا   وليس عليه وَثْر اذ تهش
وما نفع الشِعار بلا شعار   وحسن الحفش ان لم يُلْفَ حفش
وما نفع الحياة بغير حىّ   فنعشك دونه ما عشت نعش

فسارا فى سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد الفارياق يدخل حجرته التى اعدت له حتى رقشها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل   ربا به والثدىّ قد رجفت
لو لم يكن غير تلك فائدة   لنا به دون اُتّوه لكفت

الاتو الاستقامة فى السير والسرعة

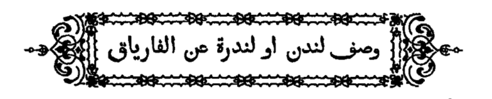
ثم لما قام فى الغد راى المنزل بعيدا عن الدار * فاستعاذ بالله واسترجع واصبّ على ما نفسه * لان هذه الشكوى ليس لها عند هولآ القوم اذن واعية * حتى انّه لما شكا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد ايام قد فرط منك بالامس كلام فقلت انى مشتاق الى امراتى * وكان الاولى ان تقول الى اولادى * فقال له الفارياق ما المانع من ان يذكر الرجل امراته كما يذكر ولده * ولولا المراة لم يكن الولد بل لولا المراة لم يكن شى فى الدنيا لا دين ولا غيره * قال مه مه قد افحشت * قال ارغن لما اقول * لولا بنت فرعون لم ينجِ موسى من الغرق * ولولا موسى

لم تكن التوراة * ولولا المراة لم يمكن ليوشع ان يدخل ارض الموعد ويستولى عليها * ولولا المراة ما حظى ابرهيم عند ملك مصر ونال منه الصلات والهدايا فتمهّد لليهود النزول الى مصر من بعده * ولولا المراة لم ينجُ داود من يد شاول حين اضمر قتله وان كان ذلك قد تمّ بحيلة وضع صنم فى فراشه * ولولا داود لم يكن الزبور * نعم ولولا المراة اعنى زوجة نابال ما تقوى داود على اعدآئه * ولولا حيلة بت شبع على داود لم يملك سليمن ابنه ولم يبنَ هيكل الله باورشليم * ولولا المراة لم يولد سيدنا عيسى ولم يذع خبر انبعاثه * ولولا المراة لم يستتبّ مذهب الانكليز كما هو اليوم * هذا وان المصوّرين عندكم يصوّرون الملئكة بصورة النسآء * والشعرآء عندكم ما زالوا يتغزلون فى المراة ولولاها لم ينبغ شاعر * قال إن اراك الا هائجا على النسآ وكانّ العرب كلهم على هذه الصفة * قال نعم انا راموزهم وقِطاطهم وكل من ينطق بالضاد يكلف بالضأد * فاطرق مليّا ثم قال لعلكم ارشد ممن عدل الى الميم * فقد بلغنى ان فى بلادكم قوما ميميّين يعدلون عن سوآ السبيل الى مضايق ذميمة وهو اقبح ما يكون * واقبح من ذلك ان بعض المولفين من العرب قد الّفوا فى ذلك كتبا وتمحّلوا لايراد ادلّة على تفضيل الحرفة الميمية * قال نعم ومن جملتها كتاب عثرت به فى خزانة كتب كمبريج ورايت مكتوبا عليه عنوانه بالانكليزية كتاب فى حقوق الزواج * فكانّ شاريه لم يفهم مضمونه * ومن اسخف ما ورد من الادلة على ذلك قول بعضهم

انا لست اجزم باللواط ولا الزنا | لكن اقول مقال من قد حررا
ان اللذاذة كلها فى اقذر الـ | جارين فاختر ان عرفت الاقذرا

وسبب تاليف هذه الكتب من مثل هولآ العتاولة امّا للعنّينية فان النسا

يعرض عمّن يبتلى بذلك * او للبخل لان النفقة على المراة اكثر * او لقصر اليد عن هصرهن او لفساد آخر * اما سليم الطبع فلا يميل عن هذا المذهب اصلا * ثم ان الفارياق لبث عند صاحبه مدة فى خلالها أُدب الى مآدب فاخرة عند بعض الاعيان * ومن عادتهم فى الولائم ان تقعد النسآ على المائدة مكشوفات الاذرع والصدور بحيث يمكن للناظر ان يرى المفاهر واللّبان والبادلة والبَهْو * واذا تطالل واشرابّ وكان حسن الاهطاع راى اللّعوة ايضا اى آية الحلم * وهى من جملة العادات التى تحمد من وجه وتذم من وجه آخر * حيث كان هذا الكشف مطّردا للصبايا والعجائز بل العجائز عند الافرنج ولا سيما الانكليز يكتشفن ويتفتّين ويتعيّلن اكثر من الصبايا * ثم قلّت الدعوات وكثر قلق الفارياق لان من نظر الى سحنته مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى * فراى الرجوع الى كمبريج اوفق * فسافر اليها فوجد القبب قد رَبَت نحو ثلثة قراريط * وذلك اما لبعد عهده بها او لكون زيادة قرصة البرد اوجبت ذلك * وهنا ينبغى ذكر فائدة وهى ان كمبريج واكسفورد لما كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفا وكان جلّ الطلبة فيها من الاغنيآ وفى كلّ منهما نحو الفى طالب * كانت البنات الحسان من قرى الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لترويج ما عندهن من الصبى والجمال * فترى فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر ما لا تراه فى سائر المدن * غير انه لكل ساقطة لاقطة * فلهذا كانت مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد اهل البلد نظر الهرّة التى يوخذ منها جرآؤها * فمن ثم ترحّل الفارياق عن هولآ السنانير وهرّاتهم * لا سيما وقد ورد فى الامثال اذا دخلتَ ارض الحُصَيب فهرول واقام فى لندن نحو شهر *



وصف لندن او لندرة عن الفارياق

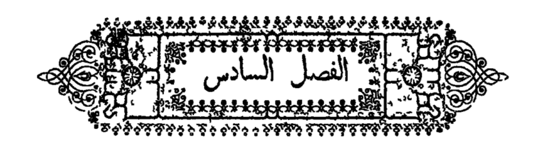
ها هي ذات التيه والدلال * الخاطرة على الفحول من الرجال * تنظر اليهم شزرا * وتجرّ اذيالها وشالها جرا * كما قلت من قصيدة

قامت تجرّ من الدلال ذيولا　　جرّا اضاف الى العميد نحولا

وهي لا ترى لها من بينهم كفوًا * وتهلس منهم سخرية وهزوًا * الا فاذكرى ان بينهم الاقوى الاقدر * الاسرى الايسر * الاسرع الاعسر * الاقوش الاقشر * الاصرع الاعصر * الاسرد الادسر * الارشف الاشفر * الابرز الازبر * الذى اذا صمّ زفر * واذا شمّ نخر * واذا هيج زأر * او غمز بدر * واذا راى طبلا زمّر * او ذات تدهكر دهشر * اذكرى ان بينهم عربيا ذا غرام * وهيام وأوام * ومغازلة وبغام * ومداعبة وكعام * وتمشير وانكماش * واندساس فى الاعشاش * علامَ نتملّقك وانت معرضة كبرا * ونعدك فتتخذين كلامنا هترا * الم تعلمى انّا اليك متودّدون * وعلى مثلك متعوّدون * كم من صعب رُضناه * ومتحكّم ارضيناه * وأبيّ أمْلَناه * وقرِمٍ اشبعناه * وجامحٍ استوقفناه * وشاكٍ اشكيناه * وعاتب اعتبناه * وكم من متعنّتة آبت وهى شاكرة * ثم انثنت زائرة * ألا لا يغوينّك الشطاط الى الشطط * والعَيَن الى الشَحط * والعَيَط الى اللغط * وصهوند

الشعر * الى انكار القدر * وتفليج الثنايا * الى ألَت المزايا * وتورد الخدين * الى احتقار اللجين * وتفليك الكُعب * الى التيه والعجب * وبضاضة البشرة * الى النهم والشره * وفعومة الساعدين * الى عنجرة الشفتين * وجدل الساقين * الى الاستنكاف من مِضّ لناقد عين * وعميد غين * يكفتهما ويتطوق بهما * او يعتمّ بهما على زَنّبهما * وينزه زغبهما عن الحلت والنتف * والحصّ والحفّ * ومن مسّ السقف * ألا ولا يصلنّك الجاهض من ورآ * الى الازدرآ * ولا النافج من امام * الى منع التحية والسلام * ان لدينا من البِزر والفُقاع * ما يروى كل مُقاع * ويسكر كل ذات قناع * ومن الشِوآ * ما يزيل الخَوآ * ومن الدينار * ما ينفث فى عقد الازار * فيحلها حلّا * ويبلّها بلّا * فمن البلّ بُلل * ومن الحَلّ حُلُل * فبحق من اولاك هذه المحاسن * فتنة كل سامع ومعاين * الّا ما احسنت فى عشاقك الظنّ * وافللت لهم من هذا التزليق والفتّن * فكلهم الى وصالك حنّ * ومن صلفك أنّ * وبعدُ * فان هى الّا مرّة * فان احمدت اللقآ فاجعليها عادة وانت على كل حال حرّة * والا فما اكثر طرق هذه المدينة وما اطولها * وما اوفر القادمين اليها * وما اوسع حوانيتها وساحاتها * وندحاتها وباحاتها * وحدائقها وغياضها * ومماشيها ورباضها * وما ابهج ملاهيها وملاعبها * واجرى عجلاتها ومراكبها * وما ارحب كنائسها * وما احفل مجالسها * وما اعمر مساكنها * وامحر سفائنها * فاجرى فيها حيث يعجبك من هنا ومن هنا * كل امرو يسعى لىدرك الهنا *





الفصل السادس

في محاورة

وبعد ان فرغ الفارياق من عمله فى هذه المدينة الغاصة بالعوانى سافر الى باريس فاقام فيها ثلثة ايام لا تكفى لمعرفة وصفها * فلهذا نضرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا * ثم سافر منها الى مرسيلية ومنها الى الجزيرة * واتاح له الله بفضله العميم ان راى زوجته فى نفس الدار التى غادرها فيها * وقد كان يظن انها طارت مع عنقآ مغرب او مع العنجول وبَنَى بها هذه المرة السادسة * فان المرة الثانية كانت بعد قدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامى باشا المفخم والخامسة بعد رجوعها من مصر * ثم انشد .

مَن يُرد فى زوجه ينكح ازواجا عدبده
فليَغِب عنها زمانا يلقها عِرسا جديده

فقالت لكن المراة لا ترى من زوجها بعد ايابه عِرسا جديدا * قال فقلت انما هو من مخالفتهن الرجال فى كل شى * قالت نعم ولولا هذا الخلاف ما حصل الوفاق * قلت كيف يكون عن الخلاف وفاق * قالت كما

ان المراة خُلقت مخالفة للرجل فى الخَلق كذلك كان خلافها له فى الخُلق * وكلٌّ من هذين الخلافين باعث له على شدة الكلف بها والحرص عليها * ألا ترى ان المراة اذا كانت تفعل كل ما يريد زوجها ان تفعله كانتْ كالآلة بين يديه فلا يكترث بها ولا يقبل عليها * لاعتقاد انها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه زيادة على حركة يده فى الآلة * بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد بامرها فانه ج يعلق بها ويداريها * قلت هذا غيرُ ما عُهد عند الناس * قالت بل هو معهود عند النسآ من القديم * ولذلك تراهن جميعهن متحليات بهذه الحلية * قلت ولكن اذا كثر الخلاف وطال * اورث التقاطع والملال * قالت ان عينى المراة لا تبرحان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعى القطع والوصل * والّا استطال احدهما على الآخر فوقع ما قلت * قلت بل فى دوام الوصل دوام الوفاق * قالت لا بل هو باعث على السآمة والضجر * فان الانسان مطبوع على ذلك * قلت اى سآمة من وصل الحبيب * قالت السآمة غالبة على الانسان فى كل شى بحيث يودّ تبديل حالته الحسنى بحالة سُوْأى * قلت اوَ قد سئمتِ من حالتك هذه * قالت ثم حُلت عن السآمة * قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين * قالت نعم ان العين تقرّ بشى ريثما يعنّ لها آخر فتَطْرِف اليه * قلت وما شان القلب قالت هو متقلّب ومتحيّز معها * قلت فما شان العميان * قالت ان لهم فى بصائرهم عيونا اشد حملقة من العين الباصرة * قلت مَن اسرعُ الناسِ تقلّبَ قلبٍ * قالت اكثرهم فكرا فان العجماوات اثبت واصبر من الناس اذ ليس لها فكر * قلت فاذًا ينشا عن النفع ضرّ * قالت نعم كما انه ينشا عن الضر نفع * قلت اى

نفع فى المرض * قالت سكون العقل والدم والفكر عن الهوى والشهوات *
قلت اى نفع فى الفقر * قالت الكفّ عن الشراهة والسرف المهلكين *
فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون
لقلتهما * قلت اى نفع فى الزواج بامراة دميمة * قالت كفّ رجل
جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك * على انها لا
تعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشراهون من بعض * قلت اى نفع فى
دمامة الاولاد * قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن اللهو الى
العلم واقبلوا على تحسين خُلقهم ليشفع فى خَلقهم * قلت واى نفع من
مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر
الاعلى * قالت اشعاره بان الحيوانية المطلقة اقوى فيه من الحيوانية
المقيّدة * ولذلك كان اول ما يشيب فيه راسه الذى هو محلّ الناطقية *
واقوى ما يحسّ منه باللذة اسفله * قلث وما نتيجة ذلك قالت اقلاله
من الفكر * قلت وما الفائدة فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم يملأ
بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه * قالت هو من النوع الاول * قلت
كانك تقولين ان الرجل لم يخلق الّا لاجل المراة * قالت نعم كما ان
المراة لم تخلق الا للرجل * قلت اى نفع فى تحتّت الاسنان * قالت
الاكل على هيْنة فيمروْ الطعام * قلت اى نفع فى تعميش العينين *
قالت عدم روية الحسان ليلاً فانهن اروع فيه وافتن * قلت اى نفع
فى العَرَج * قالت الراحة من الجرى وراَ القِرصافة الزقزاقة * قلت اى
نفع فى السدّة * قالت الذهول عن العَبقة * قلت وفى الصمم * قالت
عن الزُمَم * قلت وفى الجهل * قالت توفر الصحة للبدن والراحة للبال *
فان الجاهل لا يفكر فى الامور الدقيقة المتعبة * فاذا نام اهنأه النوم

واذا طَعِم شيا امرأه * لا كدابك فى الهينمة اناآ الليل واطراف النهار فما اسمع منك الا تعديد قوافى * وذكر نؤيٍ واثافى * ودوارس عوافى * وظعائن خوافى * واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت الصفحة تلو الصفحة * فتاكل لقمة * وتقرا فقرة * وتكرع من الشراب كرعة وتتلو أُسطورة * ولذلك ـــ قلت قد فهمت من هذا الاكتفاآ عدم الاكتفاآ * ولكن كثرة القرآة ينشا عنها كثرة التصوّر الباعثة على كثرة التشوّق * قالت ولكن كثرة التشوق ينشا عنها الترويلية او الزمالقية والمقصود الجمّادية اللَحِكية * وقد طالما احوج وجود الاولى الى البحث عن وجود الثانية * ولكن دعنا من هذه الملاحك والمغامس * كيف وجدت مدينة لندن * قلت رايت فيها النساآ اكثر من الرجال واجمل * قالت لو ذهبت اليها امراة لرأت بعكس ذلك فان نساآ الانكليز فى هذه الجزيرة لسن حسانا والحسن كله فى الرجال * قلت هولا نخبة البلاد انتقتهم الدولة حسانا ليخيفوا العدو فى الحرب * قالت بل الامر بالعكس فان الجميل لا يخيف وان يكن عدوا وانما القبيح هوالذى يخيف * اَلا ترى انهم يقولون رجل باسل ومتبسّل اى شجاع وهو فى الاصل الكريه المنظر * قلت وقد قالوا ايضا راعه بمعنى اعجبه واخافه * قالت المعنى واحد فانه ماخوذ من الرَوع اى القلب فروية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح * ثم قالت وكيف رايت دكاكينها واسواقها * قلت اما الدكاكين فملآنة من الخز والحرير والتحف البديعة * قالت هل مَن هو فيها كما هو فيها * قلت فيها نساآ بيض حسان * قالت انا اسالك عن شى وانت تخبرنى عن غيره * قد عرفت انك زائغ البصر فلن اسالك بعدُ عن

الناس وما اسال الّا عينى * هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا ترون فى جنسكم حسنا * قلت هى مثل خصلتكن معاشر النسآ فى انكن لا ترين فى جنسكن جمالا قد تكافأنا * قالت كيف تكافأنا وبيننا خلآ * قلت كل آت قريب * قالت وكل قريب آت * قلت لا ارضى بهذه الكلية بل قولى بعض القريب * قالت اذا ساغ البعض لم يُغَصّ بالكل * ثم قالت اخبرنى عن الاسواق * فقلت طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الانوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامراة اصلا * حتى كانّ الضباب ينجلى بها فى الليل ايضا * قالت هو من بعض المنافع الضارّة * الا ليت لى جَدّا فانظر مرة محاسن هذا المصر من قبل ان اقضى * قلت لا تقنطى فانى ارجو ان نسافر اليها جميعا بعد مدة * قالت حقق الله لنا هذه الامنية * فلما امسى المسآ وبات كل منهما ثملا بذكر لندن على ما مال اليه خاطره قامت فى الغداة تقول * قد رايت لندن فى المنام واذا برجالها اكثر من نسآئها * وطرقها واسعة كما قلت كثيرة الانوار * ولكن يمكن للرجل فيها ان ينفرد بامراة * وكانك انما تقوّلت هذا لكيلا اسيٓ فيك الظن * ولكن ما كنت لاصدقك من بعد ان تحققت انك غير امين فى الرواية الاولى * ثم بعد محاورة طويلة باتا تلك الليلة على اسْم لندن * فاصبحت تقول * قد حلمت انى اشتريت من احسن دكاكينها ثوب ديباج احمر احمر احمر * قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون واهل لندن لا يحبّونه لا فى الحرير ولا فى الآدميين * قالت ما سبب ذلك * قلت لان الحمرة فى الناس تكون عن كثرة الدم * وكثرة الدم مظنة بكثرة الاكل والشرب * وهى دليل على الرُغْب والنَّهَم *

وانما يحبون اليلق لا امهق * وكذلك العرب يحبون هذا اللون فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الحيّ غير محلّل

فقالت ان كان هذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النسآ عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشر والبَتَع والكَرَع * فيوهمهم ذلك عجزهم عن كفايتهن * وان يكن من النسآ وقد نطقن به فما هو الا مواربة ومغالطة * فان لانسان بالطبع يُحب اللون لاحمر كما يشاهد ذلك في لاطفال * وناهيك ان الدم الذي هو عنصر الحياة احمر * قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو في ذلك اللون الذي يرغب فيه اهل لندن * قالت فهذا هو السبب اذًا * لان قد حصحص الحق وبان * اما انا فعلى مذهبي لن احول عنه * وللناس فيما يعشقون مذاهب * فقلت بودي لو كنت احمر احمر احمر حتى تحبيني وان كنت احمق احمق احمق * قالت وما انتفاعك بالمحبة اذا كنت احمق * وانما يعود النفع لي في تركك اياي مع لاحمر * قلت اتزعمين ان العلم يمنع المراة عن اجرآ ما تضمره وان الحمق يمكّنها منه * قالت لا والله بل ربما كان في الحمق لهّا اكثر * فان الاحمق يلازم امراته ويظل محملقا فيها والعالم يحملق في كراريسه * وكيفما كان فلم ارَ اسفه ممّن يحرّج على امراته ويلازمها * فان الرجل كلما اعنت المراة ونكنك عليها بالملازمة والكنكنة زادت هي في تماديها فلا يردها شي عما ارادته سوى حشمتها وحيائها * واكثر الرجال حمقا وسخافة من اذا اوجس من زوجته الميل الى شخص قال لها تزهيدا فيه * ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لا يبالي بما يقول ويفعل *

فاذا حضر مجلس ذوى الادب فاول ما يفوه به قوله قد راودت فلانة وخلبتها وفتنتها * وقد عشقتني وعشقتها * كانه اى الزوج يحذّرها من الاسترسال الى هواه مخافة ان تنفضح بين الناس * او ان يقول لها ان فلانا ورع تقيّ يتقى مغازلة النسآ اتقآ الافاعى * كانه يقول لها انك ان تعرّضت له فى الهوى جبهك وندهك وفضحك * فقد تقرر فى عقول الرجال ان كل امر من امور الدنيا والاخرة يشين عرض المراة ويهتك جابها * مع انه لا شى يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه مسرف مشط فى حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه اذى * فهى والحالة هذه تزيد حرصا على فتنته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع اسرافه فى محبتها * قال فقلت نعم ان كيد النسآ كان عظيما *





الفصل السابع

في الطباق والتنظير

الانسان كما قالت الفارياقية مجبول على السآمة والملل * ومتى ظفر بالغرض * استحوذ عليه الغرض * وما دام الرجل المتزوج جِلْس بيته ويسمع من زوجته هات واشترِ وجدّد واصلح ودّ لو انه يكون عزبا ولو راهبا في صومعة * فاذا تغرب عنها وراى الرجال يمشون مع النسآ سوآ كن حليلات او خليلات أنِف من الصومعة * وهاج به الشوق الى ان يكون له امراة يماشيها مثل اولئك وان كان مشيهم وقتئذ للتحاكم والتخاصم لدى جناب القاضي * فينبغي للزوج الملازم لِكِنّه والحالة هذه ان لا يزال متصوّرا انه غريب في ارض بعيدة عند اناس يخدعونه ويغبنونه ويهجونه بمرافدهم * او ان زوجته قد سافرت عنه الى اناس يعاقرونها المدام * ويرقدونها على فرش من ريش النعام * ويغازلونها فتغزلهم * ويباعلونها فتبعلهم * فاذا فعل ذلك هانت عليه نغمات هات واشتر * وهذا جدول من الفارياق بيّن فيه الاحوال التي يقول فيها المتزوج

ياليت ما عندي امراه	وياليت عندي امراة
اذا تزبرقتْ وتزبرجت وتزلقت وتبرجت وتعطرت وتبغنجت وقالت له قم بنا الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص *	اذا سار وحده الى المثابة والمحافل والمحاشد والملاهي والمراقص ورای النسآ فيها متزبرقات متزبرجات الخ *

اذا خرج معها وقد نقّجت صدرها واحكمت مرفدها ثم طفقت تتبازى وتوكوك وتميس وتزوزك وتميل عنقها وراسها *

اذا سار وحده وراى من قد نفجت صدرها واحكمت مرفدها ثم غدت تتبازى وتوكوك الخ *

اذا مشى معها فرات نقطة مآ فى الطريق فشمّرت عن ساقيها لتبدو جاناهما *

اذا مشى وحده فراى من شمرت عن ساقيها عند رويتها نقطة مآ فى الطريق الخ *

اذا سار معها فى يوم ذى ريح وعمدت الى كشف الثوب عن صدرها وعجزها *

اذا سار وحده فى يوم ذى ريح وابصر من عمدت الى كشف الثوب عن صدرها *

اذا جعلت دابها ان توقع منديلها او تربط شراك نعليها ثم تكبّ فتبدى عجيزتها *

اذا سار وحده فراى من تكب لتربط شراك نعليها او تلتقط منديلها فتبدى عجيزتها *

اذا جعلت شيا فى فمها تلوكه وهى ماشية توهم من يعجبها من الفتيان انها تشير بقبلة او اذا غمزت احدا ورمزت ولمزت *

اذا ابصر من تلوك شيا وهى ماشية وحسب ذلك اشارة اليه بقبلة ثم غدت تغمز وترمز وتلمز وتابز وتنفز وتنقز *

اذا صادفت رجلا من معارفها فى الطريق فطفقت تعاتبه على طول غيابه عنها ثم امسكت بيده وغمزتها غمرا شديدا *

اذا راى امراة تعاتب رجلا على طول غيابه عنها ثم اخذت يده وغمزتها غمرا شديدا حتى احمر الغامز واصفر المغموز او بالعكس *

اذا لقيت امراة فى الطريق عليها ديباج نفيس فجعلت تسالها عن سعره وعمن يبيعه *

اذا لقى امراتين تمس احداهما كالاخرى وتلك الملموسة تشير بيدها اللطيفة الى مكان *

اذا صادفت احدا فى الطريق فاشارت اليه ان اتبعنا فاخذ يمشى عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها وجعلت جلّ الكلام مع الزبون *

اذا وجد رجلا بين امراتين او امراة بين رجلين ففى الحالة الاولى طلبا للمرازمة وفى الثانية نقة بالكفاية لان طعام اثنين يشبع ثلثة *

اذا رجعا الى البيت وصرّحت له او عرّضت بشرآ الديباج ولم يكن عنده دراهم تكفى *

اذا رجع الى البيت وراى ان عنده مالاً ولبس من تلبس الديباج وتجلس الى جانبه *

اذا قالت له وهما على المائدة لتغصّصه ما اجمل فلانا الذى ماشانا وما الطفه وابرّه واترّه واطرّه واحرّه وادرّه *

اذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر ويقول فى نفسه ما اجمل فلانة التى رايتها تمشى مع فلان وما الطفها واترها واطرّها وادرّها *

اذا بات تلك الليلة وهو تعب موجع الراس حتى اذا اغفى قليلا احسّ بحركة منها فى جنبه فقضى دينه متكارها *

اذا بات تلك الليلة وهومستريح باسط ثم احسّ بحركة منه فمد يده فجات على الحائط او على مسمار او وتد فدميت *

اذا سكن منزلا وكان جاره لادنى منه فتى جميلا فجعل يتردد عليه بعلة الجارتة *

اذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة جميلة ولم يمكن له ان يمتّ اليها بوسيلة الجارتة *

اذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو ويئن فلزمت هي الشباك وهي تمكو وتحنّ *

اذا راى جاره مريضا في الفراش يشكو ويئن وزوجته بجنبه تحنّ وتهنّ *

اذا جآ وقت الصيف ففتر وفدر وجفر وحَصِر واسترخت عروقه فاثر ان يبيت وحده *

اذا جآ وقت الشتآ فاشتدّ واستد وامتد واحتد ونبضت عروقه فاثر ان يبيت مع من تنفخ في وجهه *

اذا عنّ له سفر لا بدّ منه ولم يمكن له مصاحبة زوجته *

اذا راى جاره قد سافر وترك زوجته خبعة طلعة راغية ثاغية *

اذا غاب عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تغيره به وتكيده وتقهره *

اذا عاب رجل عن زوجته او غابت هي عنه فجعلت تكتب له ما تصبّره به وتسلّيه وتمنّيه

اذا قرا في الكتب ان النسآ كلهن خائنات وان عقولهن في فروجهن *

اذا سمع عن امراة انها لم تخن زوجها وانها ردّت في حبه هدايا عشاق كثيرين *

اذا ركبه الصَفَف فلم يقدر على كفاية عائلته ولم تكن امراته جميلة لتنفعه *

اذا راى امراة جميلة تماشي ولدا لها صغيرا بزيعًا فيقع في الارض فتنهضه بيدها فيبكي قليلا حتى يحمر خدّاه *

اذا جآ من محترفه وقابلته امراته بالصخب والمشارزة والنقار والضجيج والجؤار *

اذا راى جاره قد آب من محترفه فسمع له ولزوجته رَتَلا وزَجَلا وهَمْسا ورِكزا ومباغمة ثم رفثا *

اذا غاب عن بيته ورجع فوجد فراشه

اذا رجع الى بيته فانزا بوطر ووجد فرشه

مشوّشا وشعر امراته مشعّثا بعد ان كانت اصلحتهما قبل خروجه *

موضونا وليس من تملاه شحما ولحما ثم راى فى جملة ذخائره خصلة شعر *

اذا رآها تسارّ الخادم او الخادمة وتانس بهما وتتساهل معهمـــا وتحسن اليهما *

اذا راى امراة لا تسارّ الخادم ولا الخادمة ولا تبتسم لهما ولا تخلو باحد منهما *

اذا رآها تتوقف فى المشى كلّما مرّ بها جميل بدعوى ضيق نعليها او غيره *

اذا راى امراة تماشى زوجها وطرفها اليه ولا يزعجها من يمرّ بها كائنا ما كان *

اذا اضطجعت حتى ينظرها من هو اعلى منها او اسفل واشوق ما تكون المراة ما اذا اضطجعت على جنبها *

اذا راى امراة قد اضطرّت الى الاضطجاع وابت ذلك حيآ وحشمة سوآ كان ذلك فى حضور زوجها او فى غيابه *

اذا كانت ذات هوى وضلع مع جيل بخصوصه ولا تزال تلهج بذكره *

اذا كانت المراة غير ذات ميل وحذل مع احد وعندها ان زوجها يغنيها عن غيره *

اذا غاب عنّ بيته ثم رجع فلم يجد امراته او اذا قرع الباب فلم تفتح له فى الحال *

اذا راى جارة كلما رجع الى منزله وجد امراته مقبلة على الشغل ولا يكاد بطرق الباب الا ويُفتَح له *

اذا سمعت آلات الطرب فغدت تترنح وتترقص وتقول آه اوه ايه *

اذا سمع امراة تقول وقد سمعت آلات الطرب ان صوت ابنها الصغير اشجى منها *

اذا كانت تسهب مع الفتيان فى الكلام وتضحك معهم حتى تقول طيخ طيخ وعيناها اذ ذاك مغازلتان ووجنتاها محمرّتان *

اذا راى امراة تكلم الحاضرين كلّا بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ طيخ ولا يبدو فى سحنتها احمرار ولا اصفرار *

اذا كتبت على قميصها حروفا انكرها او راى فى شفتيها اثر العض والكعام *

اذا سمع ان امراة تكتب على قميصها اسم زوجها ولم يُرَ فى شفتيها او خدّيها اثر ما قط *

اذا سمعها تذكر اسمآ رجال فى المنام او اذا تحالمت فذكرت ما كان يعجبه ويرضيه *

اذا بلغه ان جاره يكاعم امراته ويشاعرها فلا تحلم له ولا يحلم لها *

اذا رآها تكره ولدها وتلهى عنه وعن امور البيت بزينتها وتبرجها *

اذا راى امراة تحب ولدها وتحمله ولا تلهى عنه ولا عن بيتها *

اذا قعدت بالشباك لتخيط شيا فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة حتى جآ عملها فاسدا فاضطرت الى فتقه واصلاحه *

اذا راى امراة تخيط لزوجها او لولدها شيا من غير ان تتخلل الدرزات نظرات وزفرات فجآ عملها محكما من اول وهلة *

اذا وضعت القدر على النار لتطبخ شيا ثم شرعت فى الغنآ حتى تهوست فنسيت القدر والطبيخ فتشيّط *

اذا راى امراة تضع القدر على النار ولا تلهى عنها فياتى الطعام قديا مشهّيا معينا على الباه والرقاد *

اذا تمنّت ان تكون فى المواضع

اذا كانت تبتعد عن المتابة ولا

التى يكثر فيها تردد الرجال كفندق وخان ونحوهما *

اذا كانت تصرّح او تعرّض لزوجها بانها تحب السمان الطوال من الرجال مثلا وهو ليس منهم *

اذا كانت تعيب على زوجها انه غير متصف بالمِلْئية ولا بالقُمُدّية *

اذا وافى منزله وقت الغدا او العشآ ساغبا لاغبا فلم يجد شيا ياكله لان زوجته لهيت عن الغدآ بتصليح ثيابها وتغيير زيّها وعن العشآ بلبسها وجلوسها بالشباك لتنظر وينظرها المارّون *

وما اسبه دلك *

تشتهى ان تدخل فى زحام ليقرصها واحد ويغمزها آخر *

اذا كانت المراة تقول امام زوجها او غيره بانها لا تحب الطوال من الرجال حالة كون زوجها قصيرا *

اذا كانت امراة مفسّلة تعففا وشكت من ملنبّة زوجها وقمديّته *

اذا وافى منزله وقت الغدآ او العشآ فوجد على مائدته كل ما تشتهيه النفس فاكل وشرب وطابت نفسه ثم راى من شباكه جارته تلبس ثيابها وتنظر الى ما ورائها لتعلم هل الثوب والعجيزة هما كشنّ وطبقة اولا *

وما اسبه دلك *



الفصل الثامن

في سفر معجّل وهُيّنوم عُقْميّ زُقْبل

وظل الفارياق معالجا للبخر وقد ضاق بهم ذرعا * اذ لم يحصل من علاجهم فائدة فاصبح يحاول التملّص من هذه الحرفة ولا سيما انه كان مطبوعا على الملل والجزع * واتفق في غضون ذلك ان سافر الى فرنسا المولى المعظم * احمد باشا باي والى ايالة تونس المفخم * وفرّق على فقرآء مرسيلية وباريس وغيرهما اموالا جزيلة ساع ذكرها ثم رجع الى مقامه * فراى الفارياق ان يهنئه بقصيدة فنظم القصيدة وبعث بها على يد من بلغها لجنابه * فلم يشعر بعد ايام الّا وربّان سفينة حربية يطرق بابه * فلما دخل واستقر به المجلس قال للفارياق قد بلغت قصيدتك لجناب سيدنا الاكرم * وقد امرني ان احملك اليه في البارجة * فلما سمع ذلك استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمري ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقا ينفق فيه * ولكن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يعقه عنه الشعر ولا غيره * ألا فَاهزقي يافاريافية المِهزاق * واسلُقي فما يضرني اليوم اسلاق * ونفّجي ما اسطعت ان تنفّجي * وصرّجي وصمّجي ودبّجي * هذا يوم يعنق فيه المكتنَف * ويشبق فيه من وهن * ويشمق منه ذو الددن * ويفاز بالعدن * هذا يوم تستحسن فيه الرّبوح * وتُلقح

فيه من به مُلوخ * وتتمّ الجلهوب والسلقلق * وتُنجب الشريم ثم العَفْلق * هلمّي فاتخذي مذ اليوم ظيرا * فاني ارى في الزند إيرا * فقال الربّان وقد استعجم عليه الكلام ما هذه اللغة التي تتكلمون بها لعمر الله ما فهمت شيا مما قلتم * اهذا اللسان تحمل في راسك الى تونس * وبهذه الالفاظ تخاطب سيدنا واهل الفضل من رجال دولته * قال لا وانما هذه لغة اصطلحنا عليها فلا نستعملها الا نادرا * فقال الربّان ينبغي ان تتاهّب الى السفر ولك ان تستصحب ايضا عائلتك اذا شئت * فان سيدنا اكرم الناس لا يسوءه ذلك * فتاهب الفارياق هو وعائلته وركبوا في السفينة وبعد مسير اثنى عشر يوما والريح مخالفة كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق الواد * فامر المولى المشار اليه بنزولهم في دار امير البحر * وهنا ينبغي ان نلاحظ مزية الكرم التي خص الله تعالى بها جيل العرب دون سائر الاجيال * وذلك ان استدعآ المولى الموما اليه لم يكن لجميع من دبّ ودرج بمنزل الفارياق بل كان خاصّا به وحده * الا انه لما بلغ مسامعه الكريمة قدوم مادحه باهله لم يستأ من ذلك ولم يقل ما اقلّ ادب هذا المدعو وما اصفق وجهه لقدومه علينا مزويا * ولم يقل لربّانه قد خالفت القوانين السياسيّة والاوامر الملوكية فلننزعنّ عن كتفيك هدّاب منصبك حتى تكون عبرة لمن اعتبر * بل بقي الربان متشرفا بهدّابه * والفارياق متمتعا باهدابه * وبوّئ اكرم مبوّأ في دار امير البحر واجرى عليه الرزق الكريم * والخير العميم * ولو ان احد اعيان الافرنج دعا شخصا واتاه ذلك الشخص ومعه غير نفسه لجبهه عند اللقآ بل لم يكن ليلقاه قط * لا بل نساوهنّ لما كنّ يدعون الفاريافية كن يقلن لها انك انت المدعوة فقط اشارة الى عدم ازوانها بخادمتها

وطفلها * وليت شعرى اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحصار شاعر ولغمره اياه بالمال والهدايا النفيسة * فلعمرى ان مادح ملوكهم لا جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتفنيده * مع انهم اشد الخلق حرصا على ان يشكرهم الناس ويمدحوهم * ولكنهم يانفون من ان يمدحهم شاعر يريد نوالهم * فلمن هذا المال الذى يدّخرونه * ولاية داهية من الدواهى يُعتدونه * وهم الطاعمون الكاسون * الحاسون اللاسون * ام يخشون ان يلمّ بهم ضفف او قشف * ام يحسبون ان صلة الشاعر من السرف * ولهذا اى لكون الكرم مزية خاصة بالعرب لم ينبغ فى امة من الامم شعرآ مجيدون مفلقون كشعرائهم على اختلاف الامكنة والازمنة * وذلك من زمن الجاهلية الى انقراض الخلفآ والدولة العربية * فان اليونانيين يفتخرون بشاعر واحد وهو اوميرس (ομηρος) * والرومانيين بفرجيل(Virgilius) والطليانيين بطاسّو(Tasso) والنمساويين بشِلِر(Schiller) والفرنسيس براسين وموليير(Racine et Molière) والانكليز بشكسبير وملطون وبيرون (Shakspeare, Milton et Byron) * فاما شعرآ العرب المبرّزون على جميع هولاء فاكثر من ان يُعدّوا * بل ربما كان ينبغ فى عهد الواحد فى زمن الخلفآ مائة شاعر كلهم بارع فائق * وذلك لان اللُّهى كما قيل تفتح اللّها * على انه لا مناسبة بين الشعر العربى وشعرهم * لانهم لا يلتزمون فيه الروىّ والقافية وليس عندهم قصيدة واحدة على قافية واحدة ولا محسنات بديعية مع كثرة الضرورات التى يحشّون بها كلامهم * فنظمهم فى الحقيقة اقل كلفة من نثرنا المسجّع * وما احد من شعرآ الافرنج استحق ان يكون نديما لملكه * فغاية ما يصلون اليه من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخّص لهم فى انشاد

شعرهم فى بعض الملاهى * فاىّ هوانٍ يلحق جناب الملك المعظم من اتخاذه الشاعر نديما وكليما * ام يقال ان شعرآ الافرنج كثيرون بحيث لا يمكن للملك ان يختار واحدا منهم على غيره * ارونى اين هم هولآ الكثيرون على خزنته السعيدة * كم فى بلاد الانكليز الان من ناثر * وكم فى بلاد فرانسا من ناظم * وهنا ينبغى ايضا ان اضيف ملاحظة اخرى فاقول * انه قلما ينبغ شاعر عربى او عجمى و يعجب الناس جميعا * فان من الشعرآء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار المعنى * وبعضهم يعنى بالمعانى دون الالفاظ * وبعضهم يتحرّى اللفظ الرقيق والعبارات المنسجمة * وبعضهم الغزل وغير ذلك * ولا تكاد تجتمع هذه المزايا كلها فى شاعر واحد او تجتمع عليها اخلاق الناس كلهم * فان من كان من بنى نَظَرى ذَبّ الرياد شَجِما لَحِما مُخضعا متصندلا زِيْر النسآ وخِلْبهن وشِيْعهن ونِسْأهن وحِدْثهن وطِلْحهن وطِلْبهن وخِدنهنّ وعَلّهن ورنُوّهن وحُرقوصهن (١) فاقحما اياهن حيث سرن * وكارزا لهن ايان برزن * لا تهمه الحماسة ولا منازلة الاقران * فعنده ان قول امرء القيس

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لم تحوّل

احسن من قول عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته ... بمهند صافى الحديدة مِخذم

ومن يكن عِزوا او عَزها او حصورا او عِتْولا مُقْطَعا او متأبّدا او عَنْكَشا عِثْيَلا او صَيْقما صمكمكا كُيّكآ ليس به حمضة الى العُبْهرة العجنجرة * والعياذ بالله من ذلك * صرف ذهنه الى الزهديات والحكميات * انتهى ثم ان الفارياق انتقل الى المدينة وهناك تعرف بجماعة

(١) الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزنبور او القراد تلصق بالناس او اصغر من الجُعَل تنقب الاسافى وتدخل فى فروج الجوارى *

من اهل الفضل والادب * منهم مَن ادبه ومنهم من اترفه * وهناك حظى بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلات الوافرة * وساله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفرنساوية * قال لا ياسيدى ما عُنيت بها * فانى ما كدت اتعلم لسان الانكليز حتى نسيت من لغتى قدر ما تعلمته منه * فقد قُدّر على راسى ان يسع قدرا معلوما من العلم فمتى زاد من جهة نقص من اخرى * فلما اخبر زوجته بذلك قالت له * الم اقل لك غير مرة عُدْ عن الغزل بالنسآ وتعلم هذه اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك * ماذا تريد من الغزل وعندك زافنة * قال فقلت نعم ورافنة * ثم قالت ماذا يفيدك وصف العِين بالحَوَر * ولست منهن تقضى الدهر من وطر * اليس ورآك منى رقيب قريب * قلت بلى والله انى ما خلوت قط بامراة فى الحلم الا ورايتك ورآها * حتى كثيرا ما شاهدتك تمزقين ثوبها وتنتفين شعرها ثم تتبوّاين مكانها وترسلينها فارغة * فقالت الحمد لله على ان القى رُعبى فى قلبك فى اليقظة والمنام * قلت قد بدا لى ان انتقل من التغزل بالنسآ الى هجوهن فعسى ان انتقل بذلك الى حال احسن * قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلنى فى الجملة * ولكن قف قف لا تذكر النسآ لا فى النسيب ولا فى الهجآ * فانك اول ما تذكر اسمهن يدور راسك وينبض فيك العرق القديم * كلّا ثم كلا * قلت ولكن فى مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امراة * فقالت وقد اتقدت عيناها من الغيظ مَن هذه الفاعلة الصانعة * قلت هو اسم عربى * قالت آه هو من ضلالك القديم * ولو كان اسما عجميا اقمت الان واحرقت ديوانك هذا الذى هو علىّ اشد من الضرة

لانك تصرف فيه نصف الليالى * فقلت لكن هذا النصف ليس بمانع من كله * قالت لكن ذاك الكل حق لى وضعفى مثله * قلت صدقت ما خُلق الليل الا للنسآ وما خلقن هن الا لليل * قالت سلّمتُ بالاولى ولا اسلّم بالثانية * فان النسآ خلقن للنهار ايضا * قلت نعم ولكل ساعة منه وليس للرجل همّ فى الدنيا غير امراته * قالت الاولى ان تقول اهتمام * قلت فى كل اهتمام همّ * قالت هذا عند الرجال من فشلهم وليس كذلك عند النسآ * قلت هو من خفة عقولهن وثقل نهمهنّ فان اللذة تذهلهن من الدين والدنيا معا * قالت بل هن يجمعن بين الثلثة فى مكان واحد وآن واحد * واما انتم فمتى كلفتم بواحدة منها اغفلتم الاخرى * وهذه من المزايا التى مرّانا بها البارى تعالى عليكم * ألا ترى ان المراة اذا سمعت مثلا خطيبا جميلا يخطب فى الناس ويزهدهم فى الدنيا تلذذت بكلامه وشغفت حبا بجماله وبكت زهدا فى العالم * قلت بودى لو كانت النسآ يخطبن على المنابر كالرجال * قالت اذا لابكينهم دما * ولكن هيهات فان الرجال من اثرتهم استبدّوا بجميع الامور المعاشية والمعادية وبمراتب العزّ والجاه * وحرموا النسآ من ان يشاركنهم فيها * فما كان ابهج الكون واعمره لو كانت النسآ تتولى هذهٖ الرتب * وكما ان الدنيا مؤنثة وكذا السمآ والارض والجنة والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة والسعادة والحظوة والغبطة والعزة والنعمة والرفاهية والأبّهة والعظمة والخطابة والفصاحة والبلاغة والسماحة والشجاعة والفضيلة والمروة والحقيقة والملة والشريعة والايالة والولاية والزعامة والرئاسة والحكومة والسياسة والنقابة والنكابة والعرافة والامارة والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة * واخصّ ذلك المحبة واللذة والشهوة *

فما كان اجدرها بان تشرف بالنسآ * قلت قد نسيت العفة والحصانة * قالت لم تخطر لى ببال والّا لذكرتها * فلت ولكن البعال مذكّر * فالت اين انت من المباعلة * فلت والهكهكة * قالت وما الهكهكة * فلت مضاعف هكّ هك اى هُنَى هنى اى طحز طحز اى فعل فعل * قالت هى احسن مما تقدم * فلت فقولى أذا اخيرًا والا فهو كفر وخمج * فالت على النسآ لا حرج فان منهن الفرج * قلت نُعم الفَرَج اذا ابصرن ذا فرج * قالت والارج * قلت والمَرَج * قالت وهن احق بذى بَرَج * فلت وبمن نيرج * قالت الجمع بينهما بلج * قلت والثانى عند تعذر الاول

هو الافلج * قالت وبه اللسان الهج * ثم عزما على

الرجوع فسفرهما المولى المشار

اليه فى سفبند

النار

*





الفصل التاسع

في الهيئة والاشكال

وبعد ان وصل الفارياق الى منزله جاءه بعض معارفه وساله عن سفره * فاسرّ اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نسآ اليهود فى تونس ما زلن حسانا * وانه ان يكن قد أُنزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى فانه انما نزل بالرجال فقط * فقالت امرأته من ورآ الباب قد سمعت ما تقول بل المسخ وقع على النسآء * قال حيث قد سمعت نجوانا ولا يخفى عليك منى خافية فضمى نفسك الينا لنخوض فى هذا الحديث المستحب * قالت اجل انه ما يخفى عن اذنى همهمة * ولا عن عينى سمسمة * ثم انها تصدرت فى المجلس وقالت * قد اعجبنى من زىّ الرجال فى تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم * قال فقلت بل زى النسآ اعجب واشوق * فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب ما يغطيها ومع ذلك فالسراويل تخفى خصورهم وما يليها * فاما النسآ فسوقهن بادية ولا شى يستر حقائبهن * فترى المراة تمشى فى اوان الحرّ وثوبها يشف عما تحته من مكبّب ومقبّب * ومقعب ومقوّب * ومكعّب ومكعثب * فقالت بودى لو كان زىّ النسآ كهيئة اجسامهن * قلت هذا يكون فاحشا من وجهين * لان المتربية به ان

كانت ركراكة عندلة لمّا كانت فتنة للناس وعطّلت عباد الله عن
اعمالهم * وان كانت دردحة او رسحآ كانت وبآء على الناس واجحرتهم
في بيوتهم تطيّرا منها * قالت ما سبب كون الرجال في هذا البلد
يتزيّون بزى كهيئة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محظور من رؤيتهم *
افكل ما تفعله الرجال يسوغ وما تفعله النسآ يغضّ به * لعمرى ان هذا
الزى احسن من زى رجال بلادنا * فانك ترى من له سراويل منهم
يمشي ويفحج كالشاة للحلب * وكثيرا ما تلتف عليه من قدام ومن
خلف فتعوقه عن المشي فضلا عن الجرى * ولو انه كان مثلا في محترفه
وقال له قائل قد زارك اليوم في منزلك فتى غسّاني فرهد * ولمّا لم
يجدك لبث ينتظرك وها هو الان هناك * وقد احتفلت به زوجتك
وهشّت اليه وبشّت وهى التى نبّطته وامرت الخادمة بان تمرض او
تتمارض حتى تنفى عنك الشبهة * اذ لو بعثتها اليك وخلا لهما
المكان لرابك امرهما واعتقدت ان زيارته لها انما كانت عن موعد *
وانها هى المقصود بهذه الزيارة لا التشوق الى روية سحنتك * وغير
ذلك من الكلام الذى يفور به الدم وينتفخ منه الحملاق * فكيف يمكن
له والحالة هذه ان يحفد الى منزله وبين فخذيه ما يذهب به هنا
وهناك * ثم ضحكت وقالت نعم وترى منهم من له جبة يمشي ويكنس
الارض باذيالها فيلصق بها كل ما فى الارض من النجاسة والقذر *
حتى اذا وافى بيته ملأه بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجته منها ما يرد
الطرف عنها وان كانت صبقة * لان الرائحة الخبيثة تغلب على
الرائحة الطيبة كما يقال * وفضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها
كثير من هذه التى تلبسها الافرنج الى خصورهم * وليس للرجل اذا لبسها

من هيئة ولا شارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره * وما خلق الله الانسان على هذه الصورة الا واراد ان تكون ظاهرة كما هى * قلت قد رايت الافرنج فى بلادهم صيفا وشتآء فاذا هم يسترون ادبارهم بهذه الجبب المزنقة * ولا يمشى احد منهم فى الخارج ظاهر الدبر كما يمشى هولآ القوم القليلو الحيآ فى هذه الجزيرة * قالت والبطون والافخاذ * قلت ظاهرة * قالت قد شفع هذا فى ذاك فاما سترهما معا فشنيع * لعمرى ان الناس لم يهتدوا الى الان الى زىّ حسن يوافق هيئة الجسم ويلائم للعمل وبه شارة * فان هذه البرنيطة لا تعجبنى وليست ملائمة للوجه لا فى النسآ ولا فى الرجال * لانها اشبه بالقفة او الزنبيل او القِرْطالة او السلّة او العَيْبة او العِكْم او المرجونة او الجوالق او الحُرْبة او اللّبيد او الجُرْجة او الغَفْر او الجُق او القَفْعة او الجُلّة او القَشْع او المُدارة او القَلْع او الكِنْف او القُنْبع او المِخْرف او القِنْع او الزكيبة او الجِوآ او القَوْصَرّة او الفَوْد او التلّيسة او الوَفيعة او الجِلْف او الخَصَفة او الدَوْخلّة او السَفَط او الحَفْص او المِيْضَنة او الصُنّوت * وهذه العمائم دونها فى القبح * وهذه الحبَر التى تلبسها نسآ مصر لا حسن فيها فضلا عن غلائها * واقبح من ذلك كله هذا الحزام الذى تتحزّم به الرجال فانه يملا الخصر والصدر ويمنع الطعام عن الهضم * واقبح منه هذا الشريط الذى يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن سريانه فى الارجل * وليس فى زى نسآ الافرنج حسن الا كونه ملائما للمرافد * وقد طالما بتّ مشغولة البال بهذا وحاولت ان اخترع زيا يكون فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما امكن فلم يفتح الله علىّ الى الان * وعسى ان يتّجه لى ذلك عن قريب فاكون

معدودة من جملة المستنبطين فى هذا العصر * قلت وهل لم يخطر ببالك الاقتصاد قط فى استنباطك * قالت لا فان خير المال ما انفق على المراة * قلت بل على هذه الخزانة واشرت الى سهوة الكتب * قالت اوَ تعانق الكتاب فى ليلك وتشاعره * قلت ان الرجل حين يشاعر زوجته ليلًا لا تكون متزينة باللباس والحلى بل تكون عريانة عند قوم * وفُرُجا او متفضّلة او هِلّا عند اخرين * فيصدق عليها ما قيل شعر

يتفخّل الانسان جل نهاره حتى يفوز بغادة فى ليله
فاذا استقرا فى الفراش بدت له جهواً مثل التيس تحت ذُيَيلهِ

قالت بل فى تبرّج المراة وزينتها نهارا تشويق وتهييج لزوجها ليلًا * قلت نعم ولجارها ايضا * قالت بل ولنفسها كذلك * قلت ما فهمت هذا المعنى البديع هل المراة اذا نظرت الى زينتها تكرع * قالت لا شك فان الزينة حُسْن وكل حُسن فانما يُذكِّر بالحَسَن * حتى لو نظرتْ جوادا مطهّما او متاعا نفيسا او شيا آخر من زينة السماوات والارض لكان اول ما يخطر ببالها شخصا متصفا بالجمال * قلت فهو اذًا تصور مطلق غير معيّن * قالت ان كان الاشوق فى العيان * فهو الاسبق الى الاذهان * والا فاى كائن كان * قلت وعلى فرض حضور الزوْج وشرط كونه عليه مسحة من الجمال * فهل له خطور بالبال * قالت اذا وُفّق الى التمليق والتعريب فقد يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة * قلت قد لمحت الى هذا المعنى سابقا وفهمته حق فهمه * ولكن اسالك سوال متحرّ غير ذى ضَلع ولا صَغا * هلّا يجب على المراة ان تقدم زوجها فى الذكر والتصوّر من حيث ان له المزية والقفينة * وحالة كونه

شيخها واباها وحليلها ونقّاحها وكميعها وكفيحها وضجيعها وعقيدها وعهيدها واكيلها وشريبها وجليسها وسميرها وحليفها وعشيرها واليفها ونجيّها وضمينها ووليّها وكفيلها وكليمها وعنيقها ونديمها وخليطها وعميلها وشريكها وخليلها * قالت نعم ورقيبها وسبيبها وشغيبها وعقيبها وغضيبها وكليبها ولتيبها ونيبها وحيصها وخصيمها ولزيمها وزحيمها ونبيزها ولقيسها وفقيسها وقفيسها وجاسوسها وعاسوسها وجاروسها وناقوسها وفانوسها وكابوسها وناطورها وناقورها * قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دَلّ المراة ودَلالها تدللها على زوجها تريه جِراَة عليه فى تغنّجٍ وتشكّل كانها تخالفه وما بها خلاف * وقال ايضا تبعّلت المراة اطاعت بعلها او تزينت له * وفى موضع آخر تقيّأت تعرضت لبعلها والقت نفسها عليه (انتهى) فهذا دليل على ان حركات المراة كلها ينبغى ان يكون مقصودا بها الزوج لا غير * قالت لا غرو ان يكون صاحبك قد قيّد هذه الحركات بالزواج تفرّدا بها من عنده * او انه تابع بعض اهل اللغة المشفشفين على ذلك * فان الرجال دابهم ان يدّعوا ان المراة لم تخلق الّا لارضآ زوجها وتعليله وتمليقه * وان اللغة انما وضعوها استبدادا منهم عن النسآ وافتئاتا كما هو دابهم فى غير ذلك * مع ان اللغة انثى ولو كانت من وضع النسآ وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بدّ له من ماهية انثوية لكُنّ وضعن الفاظا تدل علىٍ من لا يفكر فى غير امراته * وعلى قصر طرف الرجل عن النظر الى سواها * وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها * وعلى الباسه اياها ونصوها من ثيابها * وعلى تمشيطه شعرها واحراز مُراطة منه للنظر اليها اذا غاب عنها ساعة ما * وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها * وعلى من يرى زوجته احسن النسآ * ومن يزيد حبه لها بازدياد رويته لغيرها *

او على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى او يُغشَى عليه او يكبّ على وجهه او ياخذه الدُوار او الهيضة * وعلى من يتخذ صورتها فيعمّ بها حيطانه وكتبه ومتاعه * فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية واخرى مكبّة * وبعد فقد تركنا لكم اللغة تتصرفون فيها كيفما شئتم فلمَ لا تتركون لنا خواطرنا وافكارنا وهي ليست من الحركة ولا السكون * فاما دعواك بالمزية والقفية فانى اخبرك خبر من لا يجمجم عليك رئآء او حيآ * انه لا مزية للرجل على المراة فى شى * اذ ليس من قفية للرجل الا وللمراة مثلها * فاما كفالته اياها فينبغى ان اقول لك هنا دقيقةً قلّ من تنبه لها * وهى انه قد يجتمع مثلا شخصان فى شركة او دعوة او زواج ويكون قد تقرر فى بال احدهما ان له منّة على صاحبه * وذاك الممنون عليه يعتقد باطنا وظاهرا انه مظلوم * مثال الزواج ما اذا كانت البنت قبل زواجها تهوى شابا ولم يمكنها ان تتزوج به فتزوجت آخر * فرات من افعاله واطواره ما انكرته * فيخطر ببالها ذلك الذى فاتها فتقول فى نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق * فلو انى تزوجت به لكنت الان فى اهنا عيش * وزوجها يظن اذ ذاك انه اسدى اليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد ان فاتها خليلها الاول * فكان ينبغى للرجال والنسآ ان يمعنوا النظر فى احوال الزواج قبل ان يرتبقوا فيه * وعلى الرجل ان لا يتزوج لمن كانت تهوى آخر قبله * وعلى المراة ان لا تتزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والاملاق * او من كان يهوى اخرى وهو عزب * ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذى قدّم راس المال من عنده والقى عبء المصلحة على رفيقه * فكل منهما يحسب انه ذو منة على شريكه * ومثال الدعوة ما اذا دعاك احد الى العدآ فى العصر وكانت عادتك ان تتغدى فى

الظهر * او اذا قدّم لك من الطعام ما تعافه * فقد ركز فى طبع كل انسان ان يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره * او اذا تكرم عليك وقت الغدآ بقُدَيرة وكُسَيرة وجُرَيعة غير عالم ان المادوب تكبر معدته عند الآدب وتتسع امعآوه * او اذا دعاك الى منزله وكان بعيدا عن المدينة فلزمك ان تكترى مركبا بما يساوى غدائين وعشائين عنده * او اذا كنت مثلا عند احد اكابر الافرنج لمصلحة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات من غير اكل فامر خادمه بان يقدم لك لهنة من الخبز ومن هذا الجبن اللُخَنىّ * وبك اذ ذاك قَرَمٌ الى اكل دماغه * فايّكما والحالة هذه الممتنّ والممتن عليه * او ان يكون احد فى خدمة امير فالمخدوم يعتقد ان خادمه ممنون له لكونه ياخذ ماله * والخادم يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه ياخذ منه شبابه وصحته * او ان يكون احد قد زار صديقا له ليسامره وبالمزور همّ وقلق * فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على صاحبه وقس على ذلك المعلّم والمتعلم والمادح والممدوح والمغنّى والمغنّى له * فمن ثم لا ينبغى للرجل ان يحسب ان مجرّد اطعامه المراة والباسه اياها منة منه عليها * فان حقوق المراة اكثر من ان تذكر * قلت قد لججنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى اى الرجال احب الى النسآ * قالت ان اقل لك تعربد * قلت قولى لا باس فانما هو بساط حديث نُشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره * قالت يوم النشر اذًا * فاعلم ان الكاعب من النسآ تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسانا * والمُعصر تحب الشبّان بالشرط المذكور * وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها ارفق واعشق * ولكن ذلك لا يسمّى محبة لانه يوول الى نفع نفسها * ومن شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستمتاع * ولكن هيهات فان كل محبّ

اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به ملّه بل ربما كرهه
فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ يرادفه الفائدة * فقول القائل انا احب فلانة
حقيقة معناه انا استفيد منها * فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين
ومن جاوزهما فى السنّ قليلا بالشرط المذكور * واما النَصَف فتحب
الثلثة والكهل ايضا بذلك الشرط * واما العجوز فتحب الجميع * قلت ما
قولك فى الشوارب * قالت هى زينة الفم كما ان الحواجب هى زينة
العيون * قلت وفى اللحى * قالت حلى الشيوخ * قلت وفى العارضين *
قالت بخ بخ هما زينة الناظر والمنظور اليه * قلت اى حسن فيهما وخصوصا
مع حلق الشاربين * قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر * او الورق للغصن *
او القطيفة للثوب * او السياج للحديقة * او الهالة للقمر * وبينما هما
فى الكلام واذا بطارق يطرق الباب * ففتح له واذا برجل معه كتاب
من اللجنة المذكورة سابقا يتضمن استدعآ الفارياق واهله اليهم * فلما
طالع زوجته بذلك كادت تطير فرحا وسرورا * وقالت ما ابرك صباح
هذا اليوم وما ايمن شمسه * ثم قامت الى الصندوق فاوعت فيه لوازم
السفر ما عدا القاموس * فقال لها الفارياق رُوَيدك فان دون هذا
السفر امورا كثيرة * فاقعنفزت وقالت اذكرها لى جُملةً حتى اَلِيَ بنفسى
جُلّها * قال اطمئنى واصبرى فانك قد شوّشت عقلى بكلامك الاخير *
واعوذ بالله من ان يكون سببا فى فساد ترجمة الكتاب * فتركه واشتغلت
بامرها * وانا كذلك اتركه الى وسواسه فى العارضين اذ لبس علىّ ان
اشاركه فيه *



الفصل العاشر

في سفر وتفسير

من جملة ما لزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط * وهو ان يغيب الفارياق عن الجزيرة عامين واذا رجع يُوظَّف في وظيفته الاولى * فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب * وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط * فوجد كل شي ناجزا للسفر لان زوجته لم تكن في تلك المدة تهمل شيا * فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بختم القناصل واداء الغرامة الختمية الحتمية * الا انه بقي غير مختوم عليه من قنصل ليكورنه * فلما بلغوا مرساها اراد الفارياق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس * فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل في الجزيرة * قال لا بل تعطى هنا ضعفين فابى وعزم على الرجوع الى السفينة * فرآه وزوجته رجل يدير زورقا فلما علم بقضيتهما قال لهما انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منكما هذا المكّاس الحرامي * فركبا في زورقه وعرج بهما من مكان خفيّ حتى دخلا البلد * ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسيلية ثم سافرا الى باريس * وفيها اجتمع بمسيو د لامرتين الشاعر المشهور في اللغة الفرنساوية * واقاما فيها اياما تحوّفت من الكيس جانبا * فائدة اذا كنتَ في بلاد فرنسا

فلا تنزل خانًا للانكليز واذا كنت في بلاد هولآ فلا تنزل خانًا لاولئك)
ثم سافرا الى لندن المحلوم بها * فلما رات المدينة وما فيها من التحف
العجيبة * والرغائب الغريبه * ومن الانوار المزدهرة * والحوانيت النضرة *
قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليقظة * نعمَ الدار هي مقاما * وحبذا
العيش فيها دواما * غير اني رايت من نسآئها امرا بِدْعا * قال فقلت
الحمد لله على انك بدأْت بالنسآ فهو من جدّ طالع الكتاب الذى يراد
ترجمته * ولكن ايّ بدع هو * قالت كنت اسمعك تحكي عن بعض الائمة ان
عقول النسآ في فروجهن * وقد ارى نسآ هذه الدنيا الصغرى عقولهن في
ادبارهن * قلت فسّرى فاني لم افهم ما اردت * قالت اذا كانت المراة
توقع نفسها بين تهاتر الصنعة والفطرة مع الاستهتار * اى انها تفخم شيا
بالصنعة وهو في الخلقة غير عظيم المقدار * وتهيج الناس على اكباره
والفضل كله للجار * اى اذا كانت تقول بلسان الحال ان لدىّ عنصر
عِصار كالإعصار * لا يجدى معه الاعتصار * وطبلا فيه زمّارة لكل زمّار *
وصفّارة في حالتى الشبع والصُفار * ودنًّا مِقعارا * يحتاج الى صِمام اذ قد
ملئْ الى الأَصمار * وزَوْرآ تستدعي بالزيار * وخَرتًا حريّا بالدِسار * وبَحْرا
او دَحْلا ينحجر فيه الخاذر ايّ انحجار * وحشّة ذات اكوار واوكار * ووَرْبًا
ياوي اليه من ليس له وجار * ووأْبة موْئبة في الليل والنهار * ونُقرة ذات
تنقير ونقر على ابتدار * وصرّة فرث ذات صرير وصِرار * وانقوعة اشتملت
على صلّة ولا سيما عند الإهجار * وعُزْلآ لو انحلّ وكاوُها لمَنَت بالدمار *
ووَطْبا لو فُشّ لاكفهرّ منه الجو ايّ اكفهرار * وكيْرا يتطاير من نفخه الشِرار *
وهَيْفًا اذا هبّت في الصيف قال الناس الفرار الفرار * اى اذا كانت خلقت وما
تارَبها احد فاتخذت لها تِربا ورآها * ليغني غَنآها * اى اذا جعلت دابها

كله فى تسنيم المسطح * وتقبيب المفلطح * اى اذا استحمقت الناظرين
اليها * واشارت اليهم ان عندى قعيدة او نضيدة يقعد عليها * اى اذا
رمزت اليهم ان الركاز * تحت الجُراز * اى اذا استحقبت المصادغ ثم
جعلت تمشى وتنظر الى حقيبتها وتعجب منها وتزهى بها وتنافس فيها
وتحرص عليها وترتاح لها وتشوّق اليها * فوجدت اخرى تفخرها فى ذلك
ثم وجدت هذه ايضا من غلبتها فى الاستحقاب فاجدر ان يقال ان عقولهن
فى الحقائب * هذا معنى ما قالته والجراز عبرت عنه بالقرع * والترب
بالردف والحقيبة بالعِدل * ولفظة اى فى الاصل * قلت هذه عادة لهن
فلا تشاحنى فى العادات فان لنسآئنا ايضا عاذات كثيرة مكروهة فى هذه
البلاد * وذلك كالتكحيل والتزجيج والتخضيب والتحنئة واليرنئة والثمغ
والتسيير والتوقيف والاغماس والترقن والترثن والتقفز والتطريف والوشم
والتنوّر والامتهاش والجمش والتحفف والنمص والحلّت والاستعانة
والتفريب والضِياق والفَرْم والإلهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعقص
الشعر وتقليم الاظفار وتدريمها * وكشف الصدر وتحريك الخصر لمن
قُرصت او قرزت او مُرصت اومرزت او غمزت * والحقى به ايضا العُقْر
وبيضة العقر والاختفاض والاهتجان وغير ذلك * قال فما كدت اتمّ كلامى
هذا الوجيز حتى استشاطت غيظا واحرنفشت * ثم قالت لقد اُبسلك
الى التهلكة مقولك * وفضحك عندى وعند الناس فضولك * من اين علمت
انهن لا يغنجن * اذا خُلجن * ولا يرقصن * اذا قُرصن * ولا يستعملن
الضياق والفرم * اذا كان الفَلْهم ذا لُهم * او اذا كان قُوّابا * ذا بقبقة
مقبقبا * او اذا كان العفلق * يسمع له جُلُنْبُلُق * والخُنُق * احب الى الهُقُق *
لولا انك جرّبت منهن ذلك * قلت هذا امر شائع مستفيض نُبَهٌ مشهور

منوّه به ذو دالة وبُثلة وتشريرلا يخفى على احد * فهو كقول القائل السمآ فوقنا والارض تحتنا وهو عند النحاة ليس بكلام افتغضبين مما لا يصح ان يسمى كلاما * قالت ما لى وللكلام انما غضبى عن الفعل * انك عندى قوّال * وعند غيرى فعّال * ما هذه صفة المتزوجين * ما هذا شان المحصنين * ياللعجب انت لا تستحى ان تطلب * وانا استحى ان أُطلَب * الا ليت قاضيا يقضى بين الرجل وامراته حتى يبين للناس كافّة مَن الظالم والمظلوم منا * قلت فقولى اذًا ليت قاضية * لان القاضى من حيث كونه والحمد لله ذكرا يحكم للرجل على المراة * قالت بل الامر بعكس ذلك فان القاضى لا يرى الحق الا للمراة على الرجل ولا سيما اذا جأشت اليه واجهشت وكذا كل رجل الا امراة نفسه * قلت لله درك من امراة خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير باحوال النسآ * انى على مذهب سيدنا القاضى * فانى حين كنت احضر خصام رجل وامراة وارى الرجل منتوف اللحية مخرّق الجيب ما كنت لانظر الى المراة الا نظر المبرّى * ولا سيما اذا اجهشت فكنت اودّ لو افديها بروحى * ولكن رويدك لا تزبئرّى ولا تزمخرّى * ولا تجذئرّى ولا تجظرّى * ولا تحزئرّى ولا تقدحرّى * انى لم يبق لى الان الا النظر فاما التفدية فلا حكم لى اليوم على نفسى * ولكن اخبرينى ما هذه الخصلة الغريزية فيكن معاشر النسآ * انكن تبكين وتضحكين ايان شئتن من اى شى كان * ونحن معاشر الرجال لا نبكى الا منكن ولا نضحك الا لكنّ ومن اجلكن * قالت سبب ذلك هو كون النسآ ارق طبعا * واكرم خلقا * وادق فهما والطف تخيّلا * وارأف قلبا واحنى فوادا * والين جانبا واسرع سمعا ونظرا * وانفذ فكرا واعجل تاثرا * واخف يدا واعلق

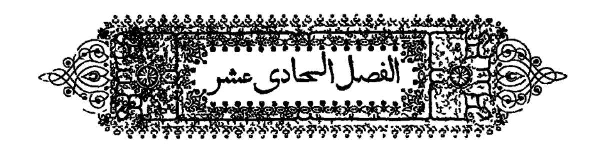
بالدنيا والدين * واقبل للتلقين * وابدر الى الرسيس * والقفو للعلق النفيس * قلت مهلا مهلا * قالت واروق بالا * قلت وبعالا * قالت وابلغ جِيلا * قلت وتململا * قالت واوفى صلة * قلت وغربلة * قالت واعجل الطافا * قلت وايغافا * قالت واكثر ترفقا * قلت وشبقا * قالت واوفر كرما * قلت وغلما * قالت واطول حبّا * قلت وقنبا * قالت وابقى وجدا * قلت وزردا وعصدا * قالت واشهى عتابا * قلت وقرابا * قالت وابدع شمظا * قلت ولمظا * قالت وارخم منطقا * قلت وحُمُقا * قالت واسبق شعورا * قلت وشغورا * قالت واحلى تحدثا * قلت ورفثا * قالت واغرب رُتَلا * قلت وعَفَلا * ثم قلت قد كان حديثك اولا فى الحقائب بما يذهب بصبر ايوب * وينزّى المشمود والمنجوف والمنجوب * والان اخذت فى تفضيل النسآ على عادتك وفى تعداد محاسنهن وستنتهين الى كشف المغطّى منهن * فهل تريدين ان اقدم على صاحبنا مجنونا او ذا لمم فتفسد ترجمة الكتاب * قالت ان كنت تجنّ هنا فلا يكون لك فى البيت قرصعة كما فى الشام * فان المجانين الذين هم فى بيوتهم هناك اكثر من الذين هم فى اديار الرهبان * قلت لعل ذلك هو الذى اغراك بهذا التشويق المعذّب * فكفّى عن هذا الحديثّ الملهب المُحْرِب * بحق من اطاك هذا اللسان الذَرِب * وتاهبى للاشخاص الى من يكون عنده شغلى * قالت اليس هو بلندن * قلت لا بل هو فى الريف * قالت ويلى على الريف وعلى الفلاحين * من يطيق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج * فان الفلاحين فى جميع البلاد سوآ * قلت ثم ننتقل من هنالك الى مدينة غاصّة بالرجال * قالت فيها رجال بلا نسآ * قلت بل فيها نسآ وانما هن قليلات

بالنسبة الى كثرة الرجال * فالت ان القليل من النسآ كثير * ثم انهما سافرا فی غد ذلك اليوم واذ كانا سائرين فی درب الحديد ذكر المنبّه اسم القرية التی كانا يقصدانها فلم ينتبه الفارياق لاشتغال باله بتلك المساجلة * حتى اذا سارا طويلا وسال احد السكوت عن رُحلته فال له فد فاتتك * فخرج ج وهو آسف على غفلته عن تذكير المنبّه * وما بلغوا القرية الا بعد مشى مسافة طويلة وتعب كثير *

تنبيه دروب الحديد فی بلاد الانكليز مثل خطوط الكف يسير فيها المسافر الى اى موضع شا طولا وعرضا
شرقا وغربا

*





في ترجمة ونصيحة

ثم لبثا فى تلك القرية وشرعت الفارياقية فى تعلم لسان القوم * فقال لها زوجها ذات يوم انى اريد ان انصح لك فى امر يختص بتعلم هذه اللغة الجليلة * قالت هات ما عندك فهى لعمرى اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعى * قال ومن قلبى ايضا * قالت قل * قال من شان المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا بادئ بدْءٍ ما يؤول الى جسم الانسان من العروق والعضلات والربلات الى اخره * قالت قد لحنت ما تعنيه فما هذه بنصيحة * قال فقلت سبحان الله خُلق الانسان من عَجَل * انما اريد ان اقول لك ان من شآء ان يتعلم هذه اللغة ينبغى له اولا ان يبتدى باسمآء من فى السماوات لا بمن على الارض * فان القوم يتظاهرونَ بالتقوى والصلاح * حتى ان البغىّ منهم تجأر وهى مستلقية بالدعآ مرة وبالرَفَث اخرى * قالت وقد قلقت أَوَ هنا بغايا * قلت لا فان اهل القرى الصغيرة فى هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح * ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون التورّع * فلا ينبغى الان والحالة هذه ان تسالى عن اسمآ الربلات * وستعرفين ذلك كله بعد قليل * بل لا ريب عندى فى انك تعرفينه دون معرّف وتحفظينه

دون تحفظ وذلك بطريق الافتحار او الالهام * فان لقنك وحدّة ذهنك وقوة قريحتك يسهّل عليك كل امر عسير * قالت لعمرى لو كان مثل هذا الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارخص ما يكون * اناشدك الله كم بلغت من السنين * قلت ما هذا الاستفهام عقب هذا الكلام * قالت اى فصل هذا الذى نحن فيه * قلت فصل الخريف * قالت فالذنب اذًا على الفصل * قلت اتزعميننى قد خرفت * قالت والّا فما هذا القول الذى زحرت به وتحسبه نصيحة * قلت فافعلى ما بدا لك فلقد وعظت من لم يتعظ وزجرت من لم ينزجر * ثم لما مضت ايام جآت ذات غداة تقول للفارياق * اَلَا ما احسن هذه اللغة موقعا فى السمع والخاطر وما اخفّها على اللسان * فلقد حفظت اليوم منها بيتى شعر من دون تكلف غير انى لم افهم معناهما * فهل لك ان توقفنى عليه * قال اهلا بك اليه ان شئت الان فابرقى حتى امطر * قالت اى لُقَعة انت ما عنيت الا المعنى قال فقلت وما المعنى الّا ما عنيت فانى اعلم عين اليقين انك لم تضمرى غيره * ولكن انشدينى ما حفظت فقالت

Up up up thou art wanted,
She is weary and tormented,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted.

اَب اپ اپ ظاوُ آرت وانتِد   شِى از ويْرى اَنْد طُرْمانتِد
دُوهَرْ جسْتِس شِى از هَنْتِد   بَىْ هر هُزْبَنْد شِى هَز فانتِد

فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امراة عليه * ولكن لست ادرى اية امراة هى فيقول ما معناه

تبغى لكاعى سَدّ سمّيها معا   اذ يفتح الثانى لسدّ الاول
كالاذن ان حكت تهيّج اختها   وتظل هائجة اذا لم تفعل

فتمعّر وجهها غيظا وقالت ما هو الآ تـقوّل منك * فانكم معاشر الرجال ابدا لهجون بالسدّ * فقلت كما انكن معاشر النسآ ابدا لهجات بالفتح * قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس فى اشعارهم هُجر وفحش كما فى اشعار العرب * قلت اليست اجسامنا واجسامهم سوآ * قالت الكلام هنا على الكلام لا على الاجسام * قلت من اين ياتى الفحش الا من الاجسام * فحيثما وجد الجسم وجد منه الفعل * وحيثما وجد الفعل وجد عنه القول * هذا دِين سويفت مع انه كان فى درجة هى دون درجة الاسقف فقد الّف مقالة طويلة فى الاست * وكذا استرن فانه كان قسيسا والّف فى المجون * فاما جون كليلاند فانه الّف كتابا فى اخبار فاجرة اسمها فَنِى هِل جآ فيه من الفحش والمجون بما فاق به ابن حجّاج وابن ابى عتيق وابن صريع الدلآ ومولف كتاب الف ليلة وليلة * فممّا ذكره عن فحش اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ماخورًا جمعوا فيه عدة زوانى * وكان بعضهم يفجر ببعضهن بمراى من الباقى مناوبة * واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان ربلى الفرنساوى المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة * قالت الم تقل لى آنفا انهم متلبّسون بالورع والتقوى * قلت بلى ولم ازل اقول غير ان هذا التلبس قد جرى عندهم مجرى العادة * فان الملبّس عليه يعلم ما انطوى عليه الملبِّس * ليت شعرى لو ان احدا لبس مثلاً عشرة اثواب ليوهم الناس ان ليس له قُبُل ولا دبر افيخفى علم ذلك عن الناظر * قالت لا فاذا هم مدهونون بالدِهان * قلت نعم هذا النوع ينمى فى هذه الارض كثيرا * فتاوّهت وقالت ويلى على المداهنين * كيف اطيق عشرتهم وانا كسائر اهل البلاد المشرقية منبسطة النفس واللسان * لا اكتم ما فى

صدرى عن عشيرى * قلت اياك وذلك * وانما ينبغى لك التكتم والتحرز دائما * واياك ايضا والاهزاق فان ضحك القوم إهْمات وغَتّ وإهلاس وإهناف وإرْتاء وانتداغ وارتاك وزقزقة وهرنفة وانتاغ وهنبصة * والّا فكونى من التاعيات * قالت كيف تامرنى ان اكون من الطاغيات * وانت لا تزال تشكو من النسآ طرّا حتى من العادلات * قلت بل المراد ان تغالبى الضحك يقال تغت الجارية — فابتدرتنى وقالت يكفى يكفى ما اريد ان تذكر لى الجارية ولا الجارةَ * قلت نعم واكلهم نأج وتدلّس وتوجّس وهَمّس ومَذّش وتبرّض وهرمزة ومُطّع وتذوّق وتطعّم وتغذّم * وشربهم غنثرة ولَماظ وترشّف وتزحّن وتزنّح وترنّح وتقنّح وترمق ونمقق وتمزّز وتمزّر وتمصص * ومتى تكلمت يجب ان تغضى طرفك وتخفضى صوتك وتبدى غاية ما يكون من الترزّن والتوقر * والتحرز والتحذر * والتظرّف والتكيّس * والتلطف والتنطس * والتادب والتخضع * والتعزف والتخشع * والتخفر والتقزز * والتعوّذ والتعزز * والتنزه والتقرش * والتمنع والتجهّش * والتنسك والتنقع * والتاوّه والتنطع * والتحوّب والتذمم * والتحرج والتأثّم * والتحنث والتحشم * والتدلس والتكتم * والتخنث والتانق * والتودد والتملق * والتحسب والتحرى * والتوقى والتحشى * والتوخى والتخشى * والتبرّى والتذكى * والتحذلق والتحصى * والتوقف والتحمى * والتصلف والتكلف * والتاسف والتلهف * والتحشف والتحنف * والتعفّف والتانف * والتخيف والتحوف * والتنطّف والتنظف * فقالت ويك ويك ما هذا العَلك اتيت بى الى هذه البلاد لتسكنى وتصوغ منى امراة اخرى * قلت فديتك فاسمعى ولا يكن كلامك فى هذا الفصل من السنة الا إخفاسا اى قليلا * وفى الفصل القابل تزيدين

عشرين فى المنة * وان حدثك رجل او امراة وجب عليك ان تستحسنى المحدث وتحبذيه عند ختام كل جملة * وتومنى له وتهيمنى اى تقولى له آمين آمين بَسْلا بسلا * وتنعميه اى تقولى نعم نعم * وتبجليه اى تقولى بَجَل بجل * وتوجليه اى تقولى أَجَل اجل * وتبسليه اى تقولى بَسَل بسل * ولا ينبغى لك فى يوم الاحد ان تطبخى شيا وانما ناكل مما فضل من يوم السبت باردا كما تفعل اليهود * لان الطعام السخن يسخن الدم ويهيج الحرارة * ولان سيدنا موسى رجم رجلا وُجد يجمع حطبا فى السبت * ولا ينبغى لك الحركة فى يوم الاحد اية حركة كانت أَالحنث ذلك * قالت لحنث * قلت ولا ترفعى فيه الستائر عن الشبابيك لئلا يراك الناس فيكون ذلك باعثا ايضا على الحركة * الحنث هذا ايضا * قالت قد لحنته وزكنته * وفهمته ولقنته * وعلمته ودريته * وادركته ووعيته * ولكن ما سببه وهذا اليوم عندنا يوم الفرح والسرور * والتزاور والحبور * قلت انهم يموتون فيه لكون سيدنا عيسى أُنشر فيه من الموت * ثم ان عليك ان لا تفترى من ذكر يوم السبت اى الاحد * فان المسمّى قد يتغيّر بتغيير اسمه * وذلك بان تقولى مثلا ما كان اشرف السبت الماضى وما اجلّه * من لى بالسبت القابل حتى اخلو فيه مع ربّى * ياليت كلّ يوم فيه ساعة من ساعات السبت * ألَا ان يوم السبت ليوم عظيم * مهيب كريم * جليل وسيم * كيف كان الناس يعيشون ولا سبت لهم * كم من سبت فى السنة * وكم فى ساعات السبت من دقائق * وكم فى دقائق السبت من ثوانى * ألَا ما ابهى شمس السبت وقمره * وغلسه وسحره * وازهاره واطياره * وحره وازمهراره * واذا انكرت فِعلة من فعلاتهم فاياك وان تذكريها لهم * واطرئى ما امكن على عاداتهم واطوارهم

ومعالمهم ومشاعرهم ومآكلهم ومشاربهم ومآدبهم وملابسهم * وعلى طول اظفارهم واظفارهنّ وعلى عظم مرافدهن وعلى تفتيل سوالفهن * وعلى المنفش من شعرهن اعنى على قُذُلهن * وعلى كشف ادبارهم للاصطلآ * وكلما رايت شيا في بيوتهم من اناث وغيره فاستحسنيه واعجبي به فقولي وانت مدهوشة * آه ما احسن هذا * آه ما اجمل ذاك * آه ما ابهى هولآ * آه ما املح تلك * ألا ما اذكى مراحيضكم * واشذى بواليعكم * وانقى مرافقكم * وآنق مثاعبكم * وانظف اتنابكم ووُصُدكم * وابهج نَفَقكم وسَرَبكم * فهذه هي الذريعة التي يتذرع بها الغربآ هنا لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم * واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا بها * ثم ينبغي لك اذا دعينا الى وليمة عند احد اكابرهم ان تاكلي هنا من قبل ان تذهبي * فان المدعوّين لا ياكلون عند آدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى ياكلوا * وكما ان ادب الآدب عندنا ان يغصب ضيفه على الاكل ويحلفه براسه ولحيته وشواربه ان ياكل فخذ دجاجة او ست كُبَيبات او يلقمه اياها في فمه * كذلك كان ادب لآدب عندهم ان يراعي حركات فم الآكل ويديه ليعلم هل هو سرطم او ذو لَقْف ونقف * وكلما تحرك فم او يد على المائدة — قال فابتدرتني وقالت وخصر * قلت وكفل بل اي عضو كان * وجب عليك ان تقولي لذي العضو المتحرك انت مشكور على ذلك * انت ممدوح * انت محمود * انت مفضل * انت محسن * انت بَرّ * انته ذو منّة وما اشبه ذلك مما يوذن بضعة المادوب ولَمّده وحقارته وهُوانه وذلّه وخساسته وهَطْرته وكَفْره (١) وتسكسكه * في مقابلة رفعة لآدب وعظمته وجلاله وابهته وشرفه وكرمه وبذخه وعزّته * والحذر الحذر من ان تمدّى يدك الى زجاجة الخمر او الى جفنة الطعام فتاخذي منهما ما شئت * فان

(١) الهَطْرة تذلّل الفقير للغني والكَفر تعظيم الفارسي ملكه *

ذلك يكون انتهاكاً لحرمة المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها * وانما ينبغي ان تنتظري من كرم الآدب ان يوعز اليك في ذلك * واذا قُدّم لك بُضيعة من ارنب قد خنق مذ شهر وعلّق في الهوآ حتى انتن فاثني على الارض التي نشا فيها جنس هذا الحيوان النفيس وعلى خانقه وطابخه * واذا رايت شيخا ذا وقار وهيبة يخدم عجوزه فلا تنكري ذلك كما انكره بعض الشعرآ المفرّكين بقوله

وربّ عجوز تحاكي السّعالي   تشير وتنهي وتامر امرا
يقابلها شيخها بآمتثال   ويسعى لخدمتها مستمرّا
وتقعد تحكي كلاما سخيفا   ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بداري كلب وهرّ   وللهرّ ذعر اذا الكلب هرّا
ويرقبني الهرّ ان كنت اكل يُمنَى ليمنى ويُسرَى ليسرى
وبنتيَ ليزي تؤاسيه مما   لديها فمنها يلازم جرا
وقد كان عندي من قبلُ جروٌ   تلوّن بطنا وصدرا وظهرا
وكنت عليه لفي غاية الحر   ص اسقيه ملء كووسيَ دَرّا
فجآت عزيرة قوم الينا   فرامته مني والعين شكرى
وكان ينام على فخذيّ   ويلحس رُفغي اذا ما اسبطرّا
وكان فلان اتانيَ عام كذا بجُرَيّ فما عاش شهرا
وتسأل ان تنسَ تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا
الى ان قال* فاما النسآ فمما اختصصن به اكل ما اشبه التين نحرا
وياكلن والراح منهن بالجلد مستترات ويمضغن سرّا
وتسمع للنشائى قرقرة من   معاهن تحكي هنا قرّ قرّا
وتاخذ في صحنها بالمشكّة قدرا من اللحم يشبه ظفرا
فتعلكه برهة من زمان   ليمرأ من بعد ان يتهرّا

وزوج المضيف تقول له خذ　　عزيزى مما امامك وذرا
فيشكرها ويقول لقد كثر الفضل منك علىّ ودرّا
وتجلس تقسم اكل الضيوف　　فتعطيك من ذاك نزرا فنزرا
وفى كل نزر تنال تطاطى　　.راسك رغما وتشكر شكرا
وان يك لونان قالت لك اختر　　نصيبك مما هنّا وتحرّا
كان لم يجز بين ذينك جمع　　كانك ناكح اختين تترى

فقالت هذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالذائقة عندهم شيا ولو كان المنّ والسلوى * قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة * وفضائل كثيرة * ليست فى غيرهم من الافرنج * منها انجاز الوعد وصدق الوفآ فى الحضرة والغيبة * وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة حرمته اى اكرامه لا انهم يعفّون عن زوجته * قالت لا تتكلف التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة * قلت ومنها انهم قليلو الكلام كثيرو الفعل * حسنو المعاطاة للامور بالترتيب والسياسة * والرشد والكياسة * ومن ياتِ الى بلادهم فلا يسال عن جواز ولا اجازة * ولا يهمّه ان كان جاره قاضى القضاة او وزير الوزرآ او شرطيا او جلوازا * ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مثابة فيها بعض الشرطة فيرهقوه بكلام ونحوه مما يكون سببا فى سجنه او غرامته * فكل الناس فى الحقوق البشرية عندهم متساوون * هذا وانهم يحبّون الغريب ما خلا اوباشهم * ويشفقون على الفقير ويغيثون المحتاج * ويكرمون ذوى السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوى العلم * ويعينون على ادراك العلوم والمعارف فى البلاد الاجنبية * وعندهم جمعيات منعقدة لاجرآ كل نفع وخير * وازالة كل شر وضير * وكثير من الاطبآ هنا يداوون المرضى مجانا ما عدا المستشفيات المبثوثة فى كل

قطر وصقع من بلادهم * ومن ينزل نزلا لديهم او يستاجر غرفة فى منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به وتحفه وترفه وتمرّضه * وتدعوه الى مسامرتها ومجالستها من غير ان يستآء زوجها لذلك * واذا اتفق وقتئذ ان زارها بعض معارفها تعرّفهم به وتنوّه باسمه * وانه اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصّى ودعاه الى منزله وجعل اسمه نُبُها عند اخوانه ومعارفه * ولا يدع شيا فى وسعه الا ويبذله لراحته ورفاهيته ونخله له الود والنصح حاضرا وغائبا * فرُقعة وُصاةٍ بيد صاحبها تُفيزه عندهم باب وام واهل واخوان * وفى الجملة فان كفّة محامدهم ترجح كفّة مذامّهم * وليس الكامل الا الله وحده سبحانه وتعالى * وليس شى من هذه المزايا الحميدة موجودا فى غيرهم من الافرنج لان غيرهم متّاحون ملثيّون مراوغون * ذوو ايادى مغلولة والسنة مطلقة * فهم ليسوا كاصحابنا فى الرشد والاستقامة ولا مثلنا فى الانس والكرم * قالت قد فهمت هذا كله فينبغى ان نعود الى تفسير البيتين بشرط ان لا تاتى بشى من عندك فانى اعرف تزيّدك فى الكلام * قلت كانك تقولين انى ذو فضول غير فعول كما ذكرت ذلك غير مرة * قالت اذا كنت قد الفته فما يضرك الان والّا فعدّها فلتة * قلت دونك تفسيرهما من دون ترتب

قم عجلا قم سؤلى عندك وابلغ اربا منها جهدك
فلقد ضجرت ولها بعل يبغى ان يعسلها بعدك

فقالت انت قلت ان الشاعر يشكو من امراة وها هو يشكو من نفسه * وليس المراة بملومة على ضجرها فى مثل هذه الحال * قلت لمثلك تلقى مقاليد الشرح * قالت ومنه يرجى تخفيف البَرْح *



الفصل الثانى عشر

في خواطر فلسفية

ثم لما مضت مدة على الفارياقية في بلاد الفلاحين حيث لا انس للغريب ولا حظ غير خضرة الارض عيل صبرها وضاق صدرها وعرتها السآمة والقلق * فقالت لزوجها ذات يوم * ياللعجب من هذه الدنيا ومن احوالها * واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشى على ظهرها * كيف تمر عليه الليالى والايام والامانى تغره * والامال تشغله وتعلله * وكلما جرى ورآها ليدركها تقدمته وبعدت عنه كظله * وكل يوم يحسب انه في يومه اعقل منه في امسه * وان غده يكون خيرا من يومه * قد كنت احسب ونحن في الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا * وانعم بالا * فلما قدمنا بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اشقى خلق الله * انظر الى اهل هذه القرى التى حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم وبين الهمج * يذهب الفلاح منهم في الغداة الى الكد والتعب ثم ياتى بيته مسآء فلا يرى احدا من خلق الله ولا يراه احد * فيرقد فى العشآ ثم يبكر لما كان فيه وهلم جرا * فهو كالآلة التى تدور مدارا محتتنا فلا فى دورانها لها حظ وفوز ولا فى وقفها راحة * فاذا جآ يوم الاحد وهو يوم الفرح واللهو فى جميع الاقطار لم يكن له حظ سوى الذهاب

الى الكنيسة * فيمكث فيها ساعتين كالصنم يتثآب ساعة ويرقد اخرى ثم يعود الى بيته * فليس عندهم مثابة ولا موضع للسَمَر والطرب * وليست ايضا عيشة المتمولين فى الريف بانعم من عيشة الفلاحين اذ لا يعرفون من المطاعم غير النِبوآ وهذا العلقاس * ولكن هيهات اين المتمولون فى القرى * فانك لا ترى فيها مثريا الا القسيس وخولىّ الارض وهو الذى يضمن المزارع والحقول من مالكيها * وهما ايضا بمثابة الفلاحين * ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطفت فى اسواق المدن وعاينت ما فيها من الصنائع البديعة والتحف العجيبة والالات الطريفة والفرش النفيس والثياب الفاخرة والاوانى المحكمة ولا سيما مدينة لندن * علمت ان صناعها هم القائمون بالدنيا وهم منها محرومون * فان داب الصانع كداب الفلاح من جهة انه يشقى ويكدّ النهار كله ولا حظّ له فى الليل سوى اغماض عينيه * فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها * والمتترفون فيها لا يحسنون عمل شى وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام * واذا كان الناس عباد الله فى ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضآ الجليلة والحقيرة فلمَ لا يجرى العدل بينهم كما يُجرى بين الاعضآ * فان الانسان اذا اكل شيا او لبس شيا فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله * ام يزعم المثرون اذا وسّعوا على هولآ الضِناك الصعالبك * ونفّسوا عنهم الكرب الذى يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعطّل وتمحل فيهلكون جوعا * فما بال ذتى الدولة اذا يولى المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلّده عملا

ويرقيه مرتبة ولا يخاف ان يفسد عمله بكثرة ما يعطيه * لا بل ان الفقير اذا كفاه وليه او سيده المونة وهو شى بالنسبة اليه هين فانه يؤدى ما ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس * ويدعو له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبيت الليالى شابحا يديه بالدعآ عليه * لتيقنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواه ذاهب فى تسمين غيره * وفى حمله على البطر والعتو واقتنآ ما لا تلزم قنيته من الخيول المطهمة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد * فياكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعآ الفقير عليه * ام يحسبون ان الله تعالى انما خلق الفقرآ لخدمتهم فقط * لعمرى ان حاجة الغنى الى الفقير اشد من حاجة الفقير الى الغنى * ام يانفون من النظر من مقامهم الرفيع السامى الى ذوى الضعة والخمول خشية ان يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوءهم * كمن ارتقى شرفا باذخا وتحته هوّة عظيمة فهو يابى من ان يتطاطا وينظر اليها لئلا يلحقه من ذلك دوار او غثيان فيهبط من شرفه * ليت شعرى هل جرّب الاغنيآ حينا من الدهر ان يسعدوا الشقى بمالهم وينعشوه برفدهم * ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة * وانما هو محض وهم دخل فى رؤسهم مع الرحيق فخرج هذا ولم يخرج ذاك * الا فليمكنوه من ان يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هى عليه شهرا واحدا فى عمره فى الاقل او يوما فى العام حتى يموت راضيا قرير العين * واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسله وتعطله فخوفهم من فساد نيته لفقره ومن كراهته اياهم اولى * لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة * الا ترى الى هولآ الالوف من البنات اللاى يجرين فى اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من

الثياب * كيف يتهافتن على الرائح والغادى رجآ ان ينلن ما يتقوّتن به ويتجمّلن به من الثياب * ولا سيما هولآ النواشى اللاى لم يبلغن بعدُ من العمر خمس عشرة سنة * فهذا لعمرى لاهتجان بعينه * فكيف يعيبون علينا هذه العادة فى بلادنا وهى مستعملة عندنا على وجه الحلال وعندهم بالحرام * فلو كنّ مكفيات المؤنة لما فعلن ذلك * لان البنت فى هذا الحدّ من السنّ لا تكرع الى الرجال * ولا تصبع للبعال * ولا سيما فى البلاد الباردة * ولَسَلِم من كيدهن وتهافتن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم شرههم اليهن مضارّ كثيرة * وما عدا ذلك فان هولآ البنات الحسان لو كانت الدولة واهل الكنيسة يُعنَون بتجهيزهن بما يقدرهن على الزواج الشرعى بعد تربيتهن وتهذيبهن * لكُنّ يلدن لاولاد الصباح فيزيّنّ المملكة بائمار ارحامهن كما تقول التوراة * بخلاف ما اذا بقين على حالة السفاح فما يتولد منهن الا الخبائث والرذائل * فهن كالشجرة الناضرة التى فضلا عن كونها لا تثمر تَلْثَى بالسمّ الناقع لمن تذوّقها * وكم لعمرى من بنت حبلت اوّل مرّة من مبادى شوطها فى ميدان العهر * ثم اسقطت جنينها خوف الفقر * وان منهن لمن تلد فى طرق المدينة فى ليالى الشتآ الباردة لعدم مأوًى لها * او انها تبيت مع بنت اخرىً على فراش واحد وهى عادة مستفيضة فى لندن * وذلك لعدم قدرتها على ان تستقلّ بفراش وكِنٍّ خاصّ بها * فلا تامن والحالة هذه من ان يلحقها اذى من ضجيعتها ليلًا * نعم ان اولاد الزنا ياتون فى الغالب شياطمة جبابرة كيفتاح الجلعادى الذى حلّ عليه روح الرب فانقذ اسرائيل من بنى عمون * وكولِيَم الفاتح الذى فتح هذه البلاد اى بلاد الانكليز * الا ان النفع الاكثرى مع الاقتصاد والاعتدال * احق

بالمراعاة والتقديم من النفع الاندرىّ مع الاسراف والإرغال (١) اليس يعاب صاحب ارض اريضة يغادرها بورًا ومتمرغا للوحوش * او صاحب اشجار مثمرة يتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لنهم كل متفكّه * نعم لا ينكر ان وجود الغنى والفقير فى الدنيا لا بدّ منه كوجود الجميل والقبيح * ولولا ذلك لوقف الكون من الحركة وتعطلت المصالح كما افاده المتكلمون * الا ان الكلام هنا فى الفقر الذى لا يقال فيه انه عيش مؤدٍّ الى الشره والبطر * لا فى الفقر المدقع الذى يلقى الهموم والاحزان الدائمة فى قلب صاحبه * فيفضى به مرة الى الانتحار ومرة الى الاغراق او الخنق كما شاع فعل ذلك فى هذه البلاد * اليس من العار على الرجال فى هذه الارض ارض العلوم والصنائع والتمدن والتحضّر انهم لا يتزوجون المراة الا اذا كان عندها الجهازان * واقبح من ذلك ان الكبرآ هنا لا يتزوجون عن حبّ بل عن طمع فى زيادة المال * فانْ من كان دَخله مثلاً مائة دينار فى كل يوم يريد ان يتزوج من دخلها مائة دينار ايضا تماما * ولو كان تسعة وتسعين لم يصحّ * ولذلك فكثيرا ما ترى شابا جميلا قد تزوج نَصَفًا شوهآ * وهيهات فان الرجال هنا اكثرهم مصاييف * اى لا يتزوجون الّا اذا دخلوا فى حيّز الكهول * فيقضون شبابهم فى السفاح ومن حدّ الثلثين الى الاربعين فى البحث عمن عندها جِدَة وغِنى * وتبقى الجميلة الفقيرة كاسدة وما عليهم من الإضافة من عار * مع ان مراعاة الولد فى حق الزوجة من اعظم الاسباب الباعثة على الزواج على ما ذهب اليه الربانيون * وان يكن توزيع الولد يتمّ بمرة واحدة فى مدة تسعة اشهر * اعنى ان اولاد النَصَف الشوهآ لا ياتون صباحا اصحّآ كاولاد الفتيّة الجميلة * وفضلا عن ذلك فان من

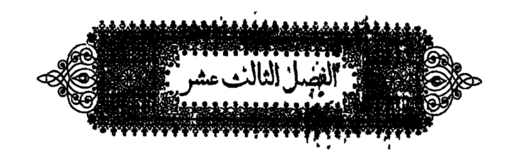
(١) الإرغال وضع الشى فى غير موضعه وهى لعمرى جديرة بالاشتهار والاستعمال

تزوج وهو فى سن ثلثين سنة مثلا امراة فى سن ثمانى عشرة فمتى بلغ الخمسين وكانت امراته بعدُ لَفُوتا متلعجة كان له من ولده رقيب عليها * فلاى شى زيادة المال لمن اغناه الله بفضله * ومن يكن له فى كل يوم مائة دينار فما الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون * فان من لم يكتف بهذا القدر لم يكفه ملء الارض ذهبا * هذا وان المراة اذا كانت غنية فلا بدّ وان يتبع غناها عناً * لانها تتعمّد ج الولائم والمآدب والمحافل وان تزور وان تزار * وان تتخذ لها من الخدّام من تقر عينها بترارته وبضاصته * وكلما اختلج منها عضو تمارضت وتوحّمت على السفر او الارافة * وهناك حالة كون زوجها فاتر الدماغ بالامور السياسية او البواعث المالية فى مقره تخلو بمن تخلو * وتلهو بمن تلهو * وبيد خادمها من الدينار ما يعمى عينه ويصمّ اذنه ويقطع لسانه * اليس هولآ الاغنيآ يُمنَون بالامراض والادوآ كالفقرآ * اليس الموت يفاجئهم وهم فى غمرة لذاتهم منهمكون * وان كثيرا منهم لسرفهم ورُغبهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم فى الشهوات يموت عن غير ولد * او انه اذا رزق ولدا يعيش ما عاش ضاويا نحيفا شقوة له وكمدا على ابويه * وقد قال احد مولفيهم ان من ترى من اولاد الاعيان والامرآء هنا تارًا قويا فانما هو من القاحٍ بعض الحشم * وترى اولاد الفلاحين صباحا اقويآ يلهمون الرطب واليابس * ولعمرى لو لم يكن لهم هذا الجزآء من الله تعالى اى روية اولادهم حولهم معافين محبّبين لكانوا فى عداد الموتى * كيف بُنى هذا العالم على الفساد * كيف يشقى فيه الف رجل بل الفان لسعد رجل واحد * واىّ رجل * فقد يكون له قلب ولا رحمة * ويدان ولا عمل * وراس ولا رشد ولا نهبة * وكيف تقع هذا فى هذه البلاد التى

ضربت بعدلها الامثال * لا جرم ان فلاحى بلادنا اسعد من هولا الناس * بل التجار هنا اشقياء على غناهم وثروتهم * فان احدهم يقضى النهار كله وهزيعًا من الليل واقفا على قدميه * وقد سالت واحدا مرة فقلت له لمَ لا تقعد على كرسى وعندك كراسى كثيرة * فقال لى انها للذين يشرفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا * فاذا قعدت مثلهم صرت منهم * فاما فى يوم الاحد فيلبثون خَدِرى الابدان والافكار * سَدرى البصائر والابصار * فاين هذا من التاجر عندنا يعقف احدى رجليه على الاخرى بعض ساعات على اريكته * ثم اذا حان العصر كبّب جبته وراه وذهب الى بعض المنازه وهو يمشى الخُيَلآ * فان كان التمدّن والعلم قد تسبّب هذا فالجهل اذًا سعادة * غير ان الفلاحين هنا فى غاية الجهل زيادة على بوسهم * ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكدّ والترقح وليس عندهم مدارس * قد كنت اظن انهم جميعا يحسنون القرآة والكتابة فاذا هم لا يحسنون النطق بلغتهم * فانى اقرا فى الكتاب شيا واسمعه منهم مخالفا لحقيقة استعماله * وناهيك ان اكثرهم لا يعرف اسم بلادنا ولا جنسنا * وقد قيل لاحدهم مرّة ان الملك امر بتسفير خيل فى سفن لحرب العدو * فقال انى اعجب كيف يقاتل الناس فى البحر على الخيل * وكانّى بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها دونهم * او يظنون ان الرجال فى غير البلاد يبيعون نساهم او ياكلونهن اكلا * او انهم يتقوّتون بالجذور والبقول * ولو انهم عرفوا احوال الامم وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اضعاف ما لنا مع شدة بردهم ومنكر هوائهم ودكنة جوّهم لما وفى ذلك لهم * وان غَنآ الصنعة عندهم لا يقوم مقام غنآ الطبيعة عندنا من طيب الهوآ والمآء

وصفآ الجوّ وزكآ الارض وعُذوها ومرائتها ولذة المطعوم والمشروب والتنزه في الرياض والحدائق * والاكل عند المياه الجارية تحت الاشجار الناضرة * والتردّد على الحمامات والسهر في السَمَر واستماع الات الطرب * بعرف ذلك منهم من زار بلادنا وأَلِف حظّنا ونعيمنا * غير ان اللبيب مَن استخرج من كل ضرّ نفعا * واعتبر بكل ما جرى عليه فاستفاد وارعوى * قد تعلمت الان مما لقيت من الوحشة والتقشف في بلادهم كيف اعيش في بلادنا ان رجعت اليها سالمة * وكيف ان الطخطخة والقرقرة والهزر والكركرة والتجلق والهرهرة والاغراب والكدكدة والاهى والهزرقة والانزاق والزهربة وطيخ طيخ وعيط عيط وتغ تغ وهاه هاه لَأَفْرَجُ للهمّ عن القلب من اوانى موضونة ومبانى مرصونة * فخير البلاد ما الفت هواءها وإلفيت فيها مخلصا لك ودّه * وكيف يكون خلوص الود من دون كشف السرائر * وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من دون اطلاق اللسان في ميدان الكلام * والقوم هنا يتكتّمون ويرون ان في ذكر الانسان ما يحسّ به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا * انما مَثَلى كمثل الثعلب الذى كان يسمع لطبل تضربه اغصان شجرة صوتا عظيما * فلما اتاه وعالجه حتى شقّه وجده فارغا * لا جُرَم لا عدت املك خاطرى سمعى * او كراكب البحر وهو ظمآن يرى المآ حوله ولا يمكنه ان يروى غليله منه * انى ارى وجه الارض هنا اخضر ولكن لا شئ من هذه الخضرة يبيّض الوجه عند الاكل * اذ ما به من الطُعْب شى * لان كل ما ينبت عندهم فانما تغصب الارض تنبيته غصبا من افراط الندميل * فلو كان احد هنا من اللاطة لسالناه عن طعم بقولهم ما هو * هذا ما عدا حلطهم الماكول والمشروب وغشّهم وافسادهم ما منّ الله تعالى

به عليهم سائغا طيبا * وناهيك ان الخبز الذى هو قوام هذا البدن لا طعم له * فانهم يخمّرونه برغوة نباتْ ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه بعد الاختمار خفقا * فماذا يفيد القائل قوله انى كنت فى بلاد الافرنج وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد * بل ذكر ذلك له فيما بعد غصّة * الى مصر الى الشام * الى تونس ذا العام * فهناك تلقى من يزورك او تزوره * وهناك تلقى البِشر دون تصلّف والفصل دون توقّف وتكلّف * الى آخر ما ذكرت لى من التانّف والتافف * لا يطيب العيش للانسان الا اذا كان يتكلم بلغته * ليس العيش بطول الليالى ولا بكثرة الايام ولا برؤية ارض خضرا ولا بمشاهدة ادوات وآلات * وانما هو باغتنام انس الاحباب * وعشرة ذوى الآداب * الذين تصفو منهم السرائر فى الحضرة والغياب * وتخلص لك مودتهم فى الابتعاد والاقتراب * انما الدنيا مفاكهه * قال فقلت ومناكهه * قالت ومنادمه * قلت ومشامّه * قالت وملاّمه * قلت ومطاعمه * قالت وملاينه * قلت وملاسنه * قالت ومطايبه * قلت ومراصبه * قالت ومخادنه * قلت ومحاضنه * قالت ومرآمه * قلت ومفاغمه * قالت وملاطفه * قلت وملاغفه * قالت ومخالقه * قلت ومعانقه * قالت ومحاضره * قلت ومخاصره * قالت ومباغمه * قلت ومكاعمه * قالت ومعاشره * قلت ومشاعره * قالت ومؤانسه * قلت وملامسه * قالت ومساجله * قلت ومباعله * قالت ومجالطه * قلت ومخارطه * قالت ومطارحه * قلت ومشارحه * قالت ومجارزه * قلت ومراهزه * قالت ومداعبه * قلت ومزاعبه * وهنا كان ختام الملاعبه *



الفصل الثالث عشر

في مقامة ممشية

حدس الهارس بن هشام قال * كنت سمعت كثيرا من النسا * حتى كدت أُمنّى بالنّسا * فمن قائل ان المحصن اطيب عيشا من العزب * واسلم عاقبة من المزاحة على منهل دونه مِذب * او المكابدة للّوب واللهب * او التعرّض للتجبيه والعطب * وانه كلما صدى قلبه من الكُرَب * جلاه بابتسامة من زوجه من شنب * وارتشافة من رضاب كالضَرَب * وسماع نامة تغني عن آلات الطرب * ومدام ذات حبب * فان مما خصّ الله تعالى به المراة من المزايا * وفضلها به من السجايا * ان صوتها الرخيم لا يمرد عليه نكد * ولا يبدو معه همّ وكمد * فاول ما تحرك شفتيها * تسكن القلوب اليها * وعند مغازلة عينيها * تنهال المسرات على من هو بين يديها * فيحنبش ويحّش * ويحفّش وينتعش * ويدركل ويدرقل * ويسجّل ويدوقل * ويبحشل ويدربل (١) وحين تمشي في بيتها متبدّحة * تقول لها الاقدار فديناك من مغناج مَرِحة * ان شئت رفعنا زوجك الى قرن الغزالة * لينعم بالك باحسن حالة * وان شئت بقاءه عندك الليلة * لم تُعْيِنا في ذاك حُوَيلة * وان شئت ان نزيّن له السفر * عاما او اكثر * الى طَرَح

(١) حنبش رقص ووثب وصفق ونزا ومشى ولعب وحدث وضحك * والمحش شدة النكاح وشدة الاكل * والتحفيش لزوم البيت الصغير * ودرقل رقص وتفحج وتبختر ونحوه دركل وبحشل رقص رقص الزنج *

ذى أمْن او خطر * فانت لدينا اكرم من نهى وامر * فما عليك الّا نصنصة لسان * او اشارة بنان * وحسبنا بطرفة عين من بيان * قال وان الزوج متّعه الله باحصانه * وهنّاه بنصرة بستانه * وجنى تفاحه ورمانه * وزاده من آلائه واحسانه * يعبث بحضرة زوجه باللذات كما شا * ان توخّى مسًّا مسّ وان اشتهى نشوة نشا * وان شآ داعب ولاعب * وان أَبَى الّا الجِدّ فالجُدّ طوع له كما احبّ * وان له منها منزها (ولكن غير بعيد من المآ) تغيب فيه الاتراح * وتطلع منه الافراح * وبشائر النجاح * وبِرا تُزَفّ به الدنيا اليه بمعرض بشر * ومهْدَى كُشر * ان التوى عليه امر قوّمته بمهارتها * وسددته باشارتها * وانها اذا تدعّبت عليه وتنقيآت * وتبعّلت له وفيّات * زاده الله نصرة ونعيما * وزادك صبرا وجموما * خُيّل له انه مَلَك الدنيا بحذافيرها * وفاز بجميع لذاتها وحبورها * وانه قد قام مقام العاهل الاعظم * خليفة بارى الامم * فلو راى وقتئذ قاضى القضاة مارًا على بغلته * حسبه من اتباعه وخدمته * ولو راى كافها او وافها * لانف من ان يكلمهما مشافها * فبعث مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثانى وصيفة * وقال لهما ان لدىّ لكل فاتح قاهر ولاية شريفة * ولكل سائل شاكر وظيفة * ولو ان امرءا اغلظ له وحاشاه فى الكلام * وسفه فبادره بالتقريع والملام * او راى والعياذ بالله ان يمس له قذالا * ويسومه عليه قفدا واذلالا * فزع الى زوجته اعزّها الله فنفت عنه كل كرب * وأمّنته من كل رعب * وردّت عليه جمْرة من جمرها * وصدارته من صدرها * وقالت له لا تخش من كيده وغِلّه * فانما يدفع كل استحصاف بمثله * فرجع الى ما كان عليه من الانفذ والفخار * والعِزّ والذرار * حتى لو راى قَيْلا

او ردفا * لهآء بنفسه عن ان ينظر اليهما نظر الاكفآ * فهو الراتع المفنّق * المترف المتملّق * الآكل وتلقآءه من درر الثنايا ومرجان الفم * ما يخيّل اليه ان الكامخ خير مطعم * والمسيخ اهنأ مغنم * وان الاجاج والزعاق * اشهى من مدام الاغتباق * الّا ولو انه بات معها على فرش حشوه شظايا * وماسّ منها زغابة لكان له من اوطأ الحشايا * فكل صرّ معها يستحيل الى فَنَع ونفع * وكل شُظَف بقربها فهو قصوف ورُتّع * ومن قائل لا بل عيش العزب اهنا * وللّذات اجنى * فان السيدات يحسبنه فى كل وقت ذا جموم * وعندهن ان نبّة واحدة منه تنفى جميع الهموم * اذ ليس له من تلزّة كل ليلة للعظال * ونورّقه هزيعا من الليل على مثل ذى الحال * ليتذكر دائما انه محصن ذات قُرطُق وخلخال * فهو على هذا محبّب عند البنات * محروص عليه من السيدات المتزوجات * مشار اليه بالبنان من الارامل الهائجات * وانه اذا رجع الى منزله رجع ويده خفيفة * ورانفته نظيفة * فلا من تقول له هات * او تلومه على ما فات * ولا من تستوحيه عن المستقبل * وتستفنيه فى مصالح المُهْبَل * ولا من تزجره عند قَيْق غيرها له وحاجه اليها بحَفْ حَفْ * او تنجفه قبل مفارقته اياها اىّ نجف * او تقول له نَراف تَراف * والّا فالازهاف (١) * ولا من يبكى بين يديه * وهو عاجز عن كفالته كما يحق عليه * فتراه ابد الدهر ميّاحا مفراحا * متعرضا للنسآ متياحا * شرّاحا سدّاحا * رفيقا بالمُجِجّ منهن مساحا * وقد قيل فى الامثال السائرة سير العَجاج * فى كل فُجاج * من لم يكن ذا زوجة كان ذا ازواج * قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع * وحركته اسرع * وكلامه انجع * واناؤه اترع * ونغمته ارحم * ونهده اضرم * ونهرته اقوى *

(١) القَيْق صوت الدجاجة اذا دعت للسفاد وحلج الديك نشر جناحيه ومشى الى انثاه للسفاد وحف حف زجر للديك والدجاج والنجف منع التيس حتى لا يقدر على السفاد وذلك بان يشد جلد بين بطنه وقضيبه وذلك الجلد يسمى النجاف ونزف ماء البئر نزحه كله وازهف القى شرّا — وعليه اجهز وبالشر اغرى — والخبر زاد فيه وكذب ونمّ *

ومَزّنه اروى * وسنانه اذلق * وسهمه اخسق * ونشره اعبق * وحبه اعلق * وطُعمته اطيب واوفر * ومادته اسكب واغزر * وقد تنسوا ان تبعّق حوصه في غير سِقّى واحد هو عين السبب في تنكيز نزّه ونِزّنه * وتفتير شُرزه ولزّنه * الى غير ذلك مما لا يليق ان تقابل به مومسة ولا حَصان * ولا يوصف به دالف ولا تَيّقان * فال الهارس فلما تراجع المذهبان * وتكافح المطلبان * فلت في نفسي من لنا اليوم بالفارياق * فيفتينا في هذا الامر الرتّاق * فانه اعلق بالنسآ من الريبة * واعرف باحوالهن من ذي شيبة وشبيبة * فلقد ذاق منهن الحلو والمرّ * ولقى من حبهن النفع والضر * فلوكان حاضرا لدينا * لَجَلا عنّا ما التبس علينا * فسرت الى بعض اصحابي * لاطلعه على ما بي * فما كدت اقرع الباب * حتى هوى اليّ وبيده كتاب * ثم قال بشرى بشرى * فهذا كتاب من الفارياق بلغني امس ولم يحوِ الا شعرا * فتلقفته من يده فاذا فيه * اما بعد فان

القرطبان هو الذى بقرو البلاد بعِرسه
وبها الحسان الغيد يستنشين نفحة فلسه
من كل ذات تندهكر شحاذ نابى ضرسه
شدّاد رخو فقاره نعّاشه من تعسه
وبها الفحول الهائجو ن الى تسدّى عَنّسه
والى اشتفاف جميع ما في قعبه او عُسّه
ولربما نبزوه بالاد ساف اقبح رجسه
حتى يعود وما له آسٍ لمعضل ألسه
ان اللبيب من استشا رمنجّذا في لَبْسه
لا سيّما شان الزوا ج وحمل فادح وقسه

من شاقه تمويهه ومذاق لذة رُغسه
فليبعلن فى قَسّة كى يستبد بجلسه
حيث السفاح مغصّص من يشرئبّ للحسه
ان الغريب اضرّ من متهتك فى جنسه
اَوْ لا ففى حال العزو بة وهو مالك رأسه
صون لدرهمه وحر مته وراحة نفسه
بل من تزوج يومه خير له من امسه
اذ كان فى حال التعزّ ب موحشا من انسه
لكن بشرط نفوره عن ريبة فى حِدسه
فالبضعَ ثم البضعَ لا تتشاغلن عن قُسّه
ما ان يصر ختام ما قد طاب نافع رَسّه
لكنما يجب التحرّ ز من بواعث نحسه

قال الهارس فلما تصفحت الابيات * وزكنت ما فيها من الاشارات * قلت لله دره ما افصله لامور النسآ ناظما وناثرا * وما احوجنا الى استفتائه فيهن غائبا وحاضرا * لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مشكل الزواج * فكانه راى كل امر دونه فانما صوانه الاعفاج * ثم انصرفت مثنيا عليه * وقد زاد تشوقى اليه *

(حاشية صغا الهارس مع الفارياق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته فانها مضطربة العبارة * وليس من شانى التدليس على القارى فقد صار بيننا صحبة طويلة من اول هذا الكتاب * فليتنبّه لذلك)



الفصل الرابع عشر

في رثآء ولد

قد غُرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كثرتهم وبرقحتهم وعيوبهم * وان يراهم احسن الناس * وان يحسد كل من يفوقه في المحامد والمكارم الا اباه وابنه * ومتى شاخ الرجل وضعف عن التمتع بلذات الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعا بها * ولا لذة للمتزوج اعظم من ان يبيت مع امراته على فراش واحد وبينهما ولد له صغير لا يورّقه بكائه وصراخه ولا يبلّه ببلبله * كما انه لا شي اوجع لقلبه من ان يراه مريضا غير قادر على الشكوى بلسانه ليعلم ما ينبغي ان يداوى به * بل الاطبآ انفسهم يحارون في مداواة الاطفال وقلّما يصيبون الغرض * وكان الاولى ان يعيّن لعلاجهم اطبآ اختصوا بمزاولة ذلك عهدا طويلا * وان ينوّه بمن نبغ منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع * ويجب على الوالد اول ما يرى ولده قد مرض ان يتعهده ويراعي احواله وما يطرا عليه ويقيد ذلك في كتاب ليخبر الطبيب به اخبارا مبينا * فربما اغنى ذلك عن كثير من الدوآ الذي يجازف به الاطبآ احيانا لامتحان حال المريض * ومن اهمّ ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام * لان الطفل لما كان لا يدري حدّ الشبع الذي يقف عنده الراشد كان اكثر

اسباب مرضه من الاكل * فليس من الحنوّ والشفقة ان تطعم الام ولدها كل ما يشتهيه * وانما الاولى ان يلهّى عنه باشياآ من اللعب والصور المنقشة والالات المزوقة وما اشبه ذلك * وما احلى الولد يطلب شيا من ابيه وقد حمّر الخجل وجنته او غض الوجل طرفه * وما احبّه وهو مطوق عنق والده او والدته بيديه اللطيفتين ويقول انى اريد هذا الشى لآكله * ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهيه * ويبكى لاجل ما لا ضرر فيه * ولعمرى ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى دموعه لغير تاديب كان بمعزل عن الابوة * وينبغى ان يدرّب الطفل على الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقاآ الارضاع قليلا * فان الطعام يغذّيه ويقوّيه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته * بل ربما مناها طول ارضاعها اياه بمرض ولم يفده شيا كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر الناس ذرّية * ولا ينبغى ان ترضعه وهى غضبى او مذعورة مضطربة او مريضة * ثم انه ما دام الرجل عزبا او كان لم يربّ ولدا قط لم يشعر حق الشعور بالحنو على اولاد غيره * بل لم يقدر والديه اللذين ربّياه حق قدرهما الا بعد ان يصير هو والدًا مربّيا * والامّهات اللاى يرضعن اولادهن يكُنّ بالضرورة احنّ فوادا عليهم من اللاى يستاجرن لهم المراضع * ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر * وربّ امّ وطفل حيل بينهما كما تفرّق ارواح وابدان * لم يتمالك ان يذرف الدمع لوعة وتحسّرا * وكذا لو قرا فصصا فيها فجع الاباآ بقتل اولادهم الصغار الابرياآ كقتل اطفال مدين بامر موسى على ما ذكر فى الفصل الحادى والثلثين من سفر العدد * سواآ كان ابوا الطفل مومنين او كافرين * ومن لم يكن قد تحلّى بصفة الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يابُنَىّ او ياولدى فلا تثق بكلامه ولا تعول على

دعائه * لانه لا يعلم معزة البنوّة الا من كان ذا ابوّة * وكان الفارياق
ممن اذاقه الله حلوآء البنين ثم تجرّع مع ذلك مرارة الثكل * فقد كان
له ولد بلغ سنتين وكانّه كان قد سُبك فى قالب الحسن والجمال فجآء
لم يَعْدُه شى مما تقر به العين * وكان على صغر سنه ينظر نظر المميز
بين المؤنس والموحش ويالف من تملق له ولو باشارة * فكان ابوه
اذا رنا اليه ينسى فى الحال جميع اشجانه وهمومه * ولكن لم يلبث ان
يغشاه عارض من الكابة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر
اللامّة * ويرى نفسه انه غير جدير بان يتملى بتلك الطلعة الناضرة *
وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه ويغنى له * حتى أَلِفه
الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلهيه او انه ياكل
وحده على انفراد * الى ان قدر الله ربّ الموت والحياة ان اخذ الصبىّ
سعال فى تلك القرية * ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى
البلاد من انه لا يوجد فيها اطبآء مهرة وكان لا بدّ من مشاورة طبيب
على اية صفة كان * استشار ابواه احد المتطببين هناك * فاشار عليهما
بان يتداركاه بالاستحمام بالمآء السخن الا راسه * فعملا بوصيته اياما *
ولم يزدد الصبى الا سقاما * حتى كان اذا انزل فى المآ بعدها يُغشَى
عليه ويُرَى فوق قلبه لطخة حمرآ كالدم على شكل القلب * ثم اشتد به
الدآء حتى احتبس السعال فى صدره وخفت صوته * وكان يعاوده مع ذلك
الرعدة والهزّة * وبقى فى حالة النزع ستة ايام بلياليها وهو يئن انينا
ضعيفا وينظر الى والديه كالشاكى لهما مما يقاسيه * فاستحال الورد من
خَديه عبهرا * وغارت عيناه النجلاوان * ولم يعد شى من الغذآ والدوآ
يسوغ فى حلقه الا تكلفا * وكان الفارياق فى خلال ذلك يذرف

العبرات ويجأر بالدعآ الى الله ويقول * ربّ اصرف هذا العذاب عن ابنى الىّ ان كان ذلك يرضيك * انى لا مآربَ لى فى الحياة من بعده ولا طاقة لى على مشاهدته فى هذا النزع الاليم * فأمِتْنى قبله ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه * آه عظمت ساعةً * وان كان لا بدّ من نفوذ قضائك به فتوفّه الان * ولعل الفارياق هو اوّل والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنوّ * فان رؤية الطفل يغرغر ستة ايام مما لا يطاق * وبعد ان تُوفّى الولد * وابقى فى قلوب والديه الحسرة والكمد * استوحشا من مقامهما اذ كان كل شى فيه يذكرهما فقده ويزيد فى لوعتهما * ففصلا منه الى لندرة على حين غفلة وقد وضعاه فى صندوق فلما دفناه واستقرا فى منزل قال ابوه يرثيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جارِ   والذكر ما واراك تربٌ وارِ
ياراحلا عن مهجة غادرتها   تصلى من الحسرات كل اوار
خطأً وهمتُ فاين بعدك مهجتى   ما فى حشاى سوى لهيب النار
رِفْقًا اقلّ الجسمَ منى فادحا   فكأنّه وِقر من الاوقار
ما كان ضرّ الدهر لو ابقاك لى   عينا على الآثار والاذكار
ما بعْد فقدك رائعى او رائقى   شى من الظلمات والانوار
سيان إن جنّ الظلام علىّ او   طلع الصباح وانت عنى سار
بابئس ذاك الليل اذ لم يبقَ لى   من مطمع فيه الى الاسحار
ارّقتنى من قبله ستًا وفيه حُرِمْت خمسى واستطبتُ شِعارى
أبُنىّ ما يجدى التصبّر قولهم   حكم المنيّة فى البرية جار
كلّا ولا بى فرّ بعدك من حمى   ما هذه الدنيا بدار قرار

كم قد حملتك فوق راحى اذ غدو ت ورحت ثُمّتَ حُزتَ خير ممار
ولكم سهرت الليل من جزع فما اغنى بكاى عليك او اسهارى
ولكم جأرت لبرو دائك ضارعا ولغير نفع كان طول جُؤارى
ولكم حضنتك فى الحنادس خوف ان يطرا عليك من الحوادث طارى
وجمال وجهك لى يخيّل اننى فى روضة أُنُف ضحآ نهار
ان لم يصوّرك المصوّر لى فقد صُوّرتَ بالمائور من اشعارى
او ان يكن واراك لحد ضيّق فالارض عندى اليوم اضيق دار
او ان تكن عنى حُجبتَ فانما بَقِيَتْ جِلاك خوالج الافكار
لا انسينّك او احين فما اتى حين علىّ خلا من استذكار
ولارئينّك ما بقيت وان أُمت فليتلونّ رناك عنى القارى
ياحسرةً عُدم التصبّر بعدها عَدَمَ التبصّر فى احتمال خَسارى
كثر المعاين لى وقلّ معاونى وكوت حشاى شماتة الزوّار
فرويتُ بيتا قاله من ذاق ما قد ذقت من نكل ووحشة جار
جاورت اعدآى وجاور ربّه شتان بين جواره وجوارى
يافجعة نزلت فحطّم كاهلى تأويقها وابان قصم فَقارى
فى ليلة فارقت فيها ناظرى ابدا وفارقنى على اجبار
لا غرو ان يك قد سرى جنح الدجى عن ناظرىّ فكل نجم سّار
فد كنت اطمع ان يعيش مهنّاً بعدى ويبلغ اطول الاعمار
وودت لو ان ذقت حتفى قبله لكن خيار الله غير خيارى
وسّدته بيدىّ رَغْمًا لينه هو كان وسّدنى على ايثارى
عينى اليه رنت وما لى حيلة ياليت من نَظَرٍ مُنَى انظار
قصرت يدى عن كف ما أُوّدَى به ان المقصور حطه الاقصار

لهفي عليه وطرفه لي يشتكي اذ كان لم يقدر على الإخبار
لهفي عليه على السرير موسّدًا ولو استطعت لكان فوق يساري
لكنّ ادنى اللمس كان يزيده المًا فكان يؤوه من اشعاري
ويئنّ انّة مستجير واجفا كالطير قُرّ قبات دون قَرار
حتى خشيت الدمع يولم جسمه لمّا عليه همى كوَدْق جار
يارعشة اودت به قد اورثت قلبي الوجوب ولوعة التذكار
ليت النفوس اقرّ عيني بعد ان سخنت بنفص فيه ذي اقرار
لهفي عليه في الظلام معانقي وكرايَ من شفق اليم غِرار
لهفي عليه والغناء ينيمه واذا سكتّ صبا الى الاكثار
لهفي عليه وهو ياخذ من يدي ويعيد ما يعطوه لاستغزار
لهفي عليه وهو لاثك رُذنه بلآلئ وضّاحة ودراري
يايومَ انشبت المنيّةُ فيه طَفلاً لا يطيق عوالق الاظفار
ياخطّةً عالت فسوّت بين حتفي والحياة الى مدى مقدار
قد كان يحلو العيش حين يلوح لي ولآن مرّ فصار ذا امرار
لا البعد يسليني ولا طول المدى وتخالف الاعصار والامصار
ما تنقضي الحسرات او اقضي اسًى فبذا عليّ جرى قضآ الباري
كلّا ولا تطفي اواري عبرتي ولئن هَمَت في الصبّ كالامطار
فالنار الّا نار ثكل تنطفي والمآء لا الدّمع ضدّ النار
ياليت راهي العيش يوما راجعٌ وفدآء مربوب ابوه الهاري
فاكون فاديَ عمر نجليَ لاقيا حتفي لقآء القانع المختار
داريتُ ما لا ضير فيه لاجله فاليوم لست لما يضير اداري
ان المنية والاماني بعده سيّان مستويان في استشاري

ولتفعل الايام بى ما تشتهى ما بعد هذا الخطب من اضرار

ولتذهب الامال عنى اننى لم يبق لى فى العيش من اوطار

من ذاق نكلا مثل نكلى فاجعا فليُقصرنّ اليوم عن إصْبارى

وليبكينّ معى ويحملنى على فرط البكآء بمدمع مِدرار

ما هدّ ركنَ الصبر مثلُ الثكل او حَسْم المطا كحسامه البتار

الطفل يقضى مرة لكنما يقضى ابوه قبله بمرار

تعروه فى نزع ابنه وخفونه ادوار حَيْن ايما ادوار

هيهات مَن قد اشبهت اطواره فى فقده اوطاره اطوارى

او انّ فى سوء الاسى لى اسوة او ان فى طول الحياة قصارى

لن ينفع الانسان شيا حرصه كلٌّ الى أجَل على مقدار

الموت غاية كل حىّ بستوى فيه ذوو الايسار والاعسار

والسابقون يضمهم يوم مع المتاخرين الى ثرًى منهار

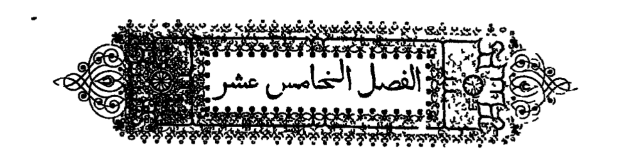
لكن يوم الطفل افجع حيث لم يعرف له مضمار سعى دار

ما لذّ طعمَ العيش الّا من عدا ه الثكل لا من كان ذا ايسار

فالرزء فى الاموال مثل الشَعر تر زأه فينبت خِلْفة الاطوار

فليَهْنِ من عاشت بنوه عيشه وليَصفُ مورده عن الاكدار

بعض الرزايا قد يساغ وبعضها يبقى شجا يشجى مدى الاعصار



الفصل الخامس عشر

في الحِداد

ثم لمّا لم يكن بدّ للفارياق من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤمة سافر باهله الى كمبريج * وبقوا مدة طويلة يمشون وجفونهم ما بين منطبقة ومنفتحة * لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او بالعكس * ثم تراخت عقدة الحزن قليلا عن العيون لا عن القلوب * لان العينين لا تطاوعان القلب دائما * كيف وقد قيل وضعيفان يغلبان قويا * فاستحلّ كل منهما اوّلا الصأصأة والوصوصة والتيصيص والتيضيض والتجصيص والتبصيص والوَبْص والتبصير والتفقيح * ثم اللوح واللمح والنَقد والخزر والتخازر والشُطور والمخاوتة والمخاوصة والملاوصة والتحشيف والعِرَضْنة والرَمْق والحَدَل والزَرّ والايماض واللحظ والالتفات والدنقسة والتشاوس والمغاضنة والمخاوتة * ثم الايشام والنظر والبَغْو والصَرْو والاجتلاّ والتجلية والرَنْء والبصر والمعاينة والمشاهدة والرؤية والبَغي والبَقاوة والبَقْى * ثم الرأرأة واللألأة والتبريق والبَشْق والتحديج والتحديق والتحجيظ والتبجيم والتجحيم والتحميج والحملقة والعسحرة واللَتْء والضَبْز والتبحّص والإسفاف والارغاف والورورة والحتر والطنفشة والإتآر والحدقلة والطرفسة والزنهرة والبندقة والبنق والتجنيص

والتفصيص والتهصيص والإرشاق والرّعام والبرشمة والبرهمة والجرسمة * ثم الشُخوص والطمس والجم ولإشصآ والتطاول والتطالل والاشرئباب والاسلنطآ. والاشتياف والاستيضاح والاستشراف والإهطاع والتدنيق والترنيق والحَثّ. والحتش والصَدّ. والإسجاد والتامّل والتكلثة والتفرّس والتطلّع والرنوّ والترنّي * ثم تصالحت العيون والقلوب * فغدت تلك تترجم عن هذه والكمد مع ذلك مخيم في اطرافها * غير ان الانسان خُلق من نطفة امشاج وركّب من عدة اخلاط وجواهر واعراض مختلفة * فهو لا يزال ابد الدهر ماشجًا هذا في ذاك وخالطا جدّا بهزل وفرحا بترح * فتراه ساعة قانطا واخرى كأشعب * وآونة مفراحا واخرى مبتئسا * ويوما طربا شنِقا ويوما او بعض يوم عَزِها * فهو بشر خَلقا وغول خُلقا * واكثر ما ترى منه غُمّاجيّته هذه في امر النسآ * فانه ان تزوج بمليحة قال ليتني كنت تزوجت بقبيحة وسلمت من ضيرنية معارفي وجيراني * وان تزوج قبيحة قال ليتني تملّحت بمليحة لاكون ذا وجاهة ونباهة * وان كانت امرأته بيضآ قال ليتها كانت سمرآ * فان السمر اخف حركة واسخن في الشتآ * وان كانت سمرآ قال ليتها بيضآ. فان البيض ارطب ابدانا في الصيف * وان كانت كمكامة مكتنزة قال ليتها كانت ممشوقة هيفآ * فان الهيف اقل مؤنة * وان سافر عنها قال ليتها هي التي سافرت وبالعكس * الّا في مدة وضعها فانه لا يتمنى ان يكون في موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكن حصره * اذ اخفى شي من المراة انما هو بحر لا يمكن البلوغ الى قعره * والحاصل ان للقلب شؤونا كثيرة واحوالا متباينة لا يزال يتقلب بها * او لا تزال هي تتقلب بد * وعلى كلٍ فتسميته قلبا دالّة عليه * ويستثنى

من هذه القاعدة شي واحد وهو ثبات الانسان في كل حال وشان * واصراره في كل زمان ومكان * على تفضيل نفسه على غيره * فلو كان فاجرا حسب ان لا برّ عند الله الا برّه * وان كان فظّا غليظا راى كل كيّس ربيز دونه * وان كان بخيلا ظن ان كل حرف يفوه به هو منّة كبرى * وان كان دميما ذميما لم ير اللوم الا على نظر الناظرين له * وكما ان عين الانسان تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة بعيوب الخلق كافة الا عيب نفسه * ولو طاف الدنيا باسرها لما راى فيها من المحاسن ما في مدينته او قريته * ثم ليس من المحاسن في بلدته ما في بيته * ولكن ليست هي في احد من اهله كما هي فيه * فتحصّل من ذلك انه افضل من العالم كله * ولو انه كان شاعرا او بالحرى شعرورا لا يحسن الا الاطرآ على بخيل او التغزل بهند ودعد * ثم راى علمآء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوى شقة خمسمائة فرسخ في يوم واحد * لحسب ان شعره انفع من ذلك والزم * ولو كان مغنّيا او لاعبا بآلة من آلات الطرب وراى جارا له طبيبا نطاسيا يداوى في كل يوم خمسين عليلا ويبرئهم باذن الله لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع * ولم يخطر بباله قط ان الانسان يمكنه ان يعمّر في الارض دهرا طويلا من دون سماع غنآ او عزف بآلة * فمتى يتعلم الانسان ان يعرف نفسه * وان يفرق بين الحق والباطل * وان لا يخلط الحزن الكامن في القلب بالتحديق والحملقة * واقبح من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره ايضا يفعل كذلك فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره * ومثله قباحةً شان من تلبس الحداد على ميّت لها وهي في خلال ذلك يزدهيها الزنآ ويستخفها

ذكر الذكران * وترتاح الى روْية غير اللون لاسود وتطربها نعمة القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك * وانك جديرة بان تقعدى على منصّة وتامرى وتنهى الوصائف من حولك او بالحرى الوُصفآ * وان لا تتناولى شيا بيدك هذه الرخصة * وان لا تخرجى من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة * وان لك فى كل مكان عشاقا كثيرين بحيث لا تعدمين فى كل وقت من يحوطك ويخدمك ويلاطفك وينسيك حزنك * وغير ذلك من الكلام الذى هو انتهاك لحرمة كلّ من الموت والميّت * قال الفارياق قد رايت كثيرا من النسآ الحوادّ فى بلاد الانكليز وغيرها وهن اكثر خفة وطربا وازدهآ وضحكا من العروس وامّها * ولم ارَ بينهن من كانت تنظر الى نيابها السود اذا ضحكت لتتذكر ان كركرتها فى غير محلها * اما فى امر الزوج فربما يطلب لهن الحليم عذرا بان يقول مثلا * لعل زوجها كان يخونها فى الليالى الحالكة فنرديها بالسواد انما هو لتتذكر سوء افعاله معها فى سواد تلك الليالى * او ان ايامها معه كانت كلها سودا كالليالى * فاما فى امر الولد والاب وغيره فلا عذر لمن احدّت وهى مرارثة مهزقة * ثم ان المحدّ عند الافرنج مطلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة العروس * اذ الفحول يتزاحمون على تسليتها وتلهيتها لعلمهم بما تحت ذلك السواد * وبان هذه العادة هى من جملة العادات التى خالف استعمالُها وضعها * والظاهر ان لفظة المُحدّ فى لغتنا هذه الشريفة مشتقه من حدّ السكين واحدّها وحددها اى مسحها بحجر او مبرد فحدّت تحدّ * فكانّ لابسة الحداد تحدّ شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة والانكسار وهو اشوق ما يكون فى النسآء * ويوّيده ان صنفا من الثياب السود يُسمّى إسْبادا * وهذا الحرف يجى ايضا بمعنى حلق الشعر

كالسَنْبد وانت بتمام المعنى ادرى * وتسمى ايضا سِلابا والسليب هو المستلب العقل * فكانّ المراة اذا تسلّبت اى احدّت ولبست السِلاب سلبت عقل ناظرها * فاول ما يقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لها او فى نفسه * فديتك * بابى انت وامى * لله انت * وفاك الله * وهبنى الله فداك * ان شئت ان اكون اول من توسّل لمحو هذا الحزن من صدرك فعلت * فانى انا اَقْدَر منك على تحمل المكاره * فالقِ علىّ هذا الهمّ القادح وكونى انت مهنّاة مسرورة * ان لدى آلة طرب عظيمة وخزعبيلات كثيرة نفرّج عنك هذا الكرب * فلو زرتنى مرة او سمحت لى بان ازورك لم يُعد يخطر ببالك شى من الاشجان * انك رخصة رعبوبة وارى هذا الخطب فاسحا عليك فلا يزول الّا بقاسح مثله * ليتك تعلمين ما عندى من الأسَى والوجد لاجلك * وانى عتيد لان احرم نفسى من جميع المسرّات بحيث اراك تفترّين عن ذلك الشنب الاشهى * وتبدين فى خديك عند الضحك تلك النقرة التى طالما نقرت قلوب العشاق * اىّ قلب لا يذوب لهذا الانكسار * واية عين لا تنزف الدمع على هذا الازار * قَدْنى حزنا لحزنك وحسبى ان اجلو عنك صدا هذا الهم * وكذلك المراة المحدّ فانها تعلم وهى ماشية ما يخطر ببال ذلك المشفق عليها فتقول له او فى نفسها * نعم والله انى محتاجة اليك لتخفف عنى ما اجده اليوم من الوحشة والسدم * وقد بت البارحة وانا غريقة فى بحر الافكار والاكدار * واراك جديرا بان تعاقرنى وتسامرنى وتعاشرنى وتبادرنى وتباكرنى وتجاورنى وتحاضرنى وتحاصرنى وتذاكرنى وتسارّنى وتسايرنى وتداورنى وتشاعرنى * فالحمد لله الذى هدانى اليوم اليك وهداك الىّ وقيّضك لى * لانى امراة منكسرة الخاطر ولا بدّ لى ممّن ينفس

عنى ويونسنى * حتى اذا نسيت ما اكابده والمّ بك كرب كان علىّ ان افرّج عنك فان عندى مصدر اشتقاق الفَرَج * ومنى تنال اتمّ الحبور* واعمّ السرور * فهلمّ اذًا الى المخالطة والمراوحة * والمساجلة والمكافحة * فهذا ما ينسا عن لبس الحِداد * ولذلك كان كثير من النسآ يوثرن الثياب السود ثقة بانها تقوم فى تشويق من يلاقينهُ من الرجال مقام الحِداد * ولذلك كانت الافرنج ايضا يحبّون اللون الاسود فى الملابس ولا يتجاوزونه *

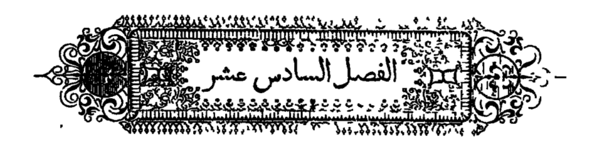
ولذلك كان لباس القسيسين

والائمّة

اسود

*





الفصل السادس عشر

في جور الانكليز

لما فرغ الفارياق من عمله في كمبريج سافر الى لندرة على عزم ان يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حمّى ناقصا * غير ان احد الاطباء النحّيرين في هذه المدينة نفضها عن ظهره ولم ينفاضه شيا * ثم اصيبت الفاريافية بخفقاني القلب واللسان * فانها كانت وقتئذ مهرت في لغة القوم * ثم اصيب هو بخفقاني العقل والراي * وذلك انه لما تصرمت مدة غيابه عن الجزيرة وازف وقت رجوعه راى ان العود اليها غير احد * لان احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبهجة في المساكن * وتلك عادة للفارياق انه لا يدخل بلدا خصيبا الا ويفارقه ممحلا كما تقدمت الاشارة اليه * ولانه فاته فيها بعض فوائد حرم منها لطول غيابه * فمن ثم قصد مدينة اكسفورد ومعه كتاب توصية الى احد اعيانها وعلمائها وهو من اهل الكنيسة * فراى الوصول اليه متعذرا فان العلماء في هذه المدينة ليسوا كعلماء مصر في رقة الجانب وسلاسة اللقاء * بل هم اشد فظاظة من العامة * وعندهم ان الغريب لا ياتي الى بلادهم الا والشلّاق على عاتقه * ولذلك لما ذهب الفارياق ذات ليلة ليرى بعض هولاء العلماء صادفه احدهم بباب المدرسة

فقال له من تقصد * قال فلانا * قال اين تسكن * قال فى محل كذا * قال اعندك دراهم لتفى اجرة المسكن * قال ما انا بمطران ولا راهب حتى تزعمنى انى قدمت اليكم متسوّلا * ثم لما تعذّر عليه الوصول الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا للخير سوى رجل من الطلبة يسمى وليم سكولتك (Williams Scoltock) وآخر من التجار كان الفارياق اشترى منه قطعة حبل ليربط بها صندوقه فابى التاجر ان ياخذ منه ثمنها فكانه ظن ان الفارياق لم يشترها الا بعد ان استخار الله فى ان يخنق بها نفسه * رجع الى لندرة وفاوض زوجته فى ذلك * فقالت له ان الجزيرة اقل خيرا من اكسفورد وانى مللت منها كل الملل * فقد اضعنا فيها زهرة عمرنا ولم نحصل منها على ثمرة * فما الراى ان نعود اليها * فقرّ رايه ج على ان يستعفى من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب سر الحاكم يوذن بذلك * ثم اشتد بالفارياقية الخفقان فرأى ان مقامهما بباريس خير لهما * وذلك لما شاع عند الناس ان هوآ باريس اصح من هوآ لندرة * وان المعيشة فيها ارخص والحظّ اوفر * وان الفرنسيس ابشّ بالغريب من الانكليز وابر * وان لغة العرب عندهم اكثر نفعا واشهر * وغير ذلك من الاوهام التى تدخل احيانا فى روس الناس ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح * ولكن ينبغى قبل سفر الفارياق من هذه المدينة ان نعيد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من المحاسن والجور على اهلها اى على اهل الجمال * لتعلم هل رحيل الفارياق منها حلال او حرام * وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز * فان الكتاب قارب ان يتمّ ولم يبق من مجال للاسهاب * لانى اخشى من ان ياتى هذا الكتاب الاخير اكبر من الاول فيكون ذلك موجبا

للقدح فى من وجهين * احدهما ان مطالعيه يقولون ان المولف كان يولف الفصول فى اولهٖ قصيرة والان ينشئها طويلة * فكانه كان اولا غير ذى دربة بالتاليف او انه يريد ان ينسب اليه مضمون قولهم جرى المذكيات غلاّ * والثانى انه كاد ان يلحق نفسه بالطرادين وهو لم يشعر ولم يدر * فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيل وقال وكان وصار * فهو قد تبوّا صهوة الجُذَل منه واليه * ولم يغادرنا نراجعه ونعترض عليه * فما جزآ الثرثار من المولفين * الّا القآء كتابه فى القمين * قال الفارياق تصوّر فى عقلك انك ساكن فى حارة من حارات لندرة ذات صفين متوازيين * متصاقبين متناوحين * فى كل صف عشرون دارا * ولكل دار باب * ولكل باب عتبة * وامام كل عتبة درج او وصيد مبلّط * ثمّ مثّل لعينك هداك الله اربعين بنتا من الرُمُم النواهد * والجُشُم الخرائد * والعُبْن المواغد * والرُجُح الثوامد * ذوات التبهكن والمرافد * والمراضب والمشانب * والصلوتة والسجاحة * والاسولة والصباحة * واللباقة والملاحة * والكشمة والترارة * والوثامة والنضارة * والوضآة والبشارة * والقسامة والنشارة * والطلاوة والوثارة * والوسامة والبضاضة * والطراوة والغضاضة * والغِرْض والمَسالة * والمَلَد والعبالة * ومن الزُهْر والغُرّ والفُرّ والصهب والصُبح والصُحر والعُفر والفُضح والمُغْر والأُدم والخُلس والبُره والوده والعِين والنُجل والشُهل والبُرّج * والشُكل والدُعج والجُود والبُج والفُرق والزُجّ والجُبه والبُلج والبُلد والذُلف والخُنس والشُمّ واللُعس والحُوّ واللُمى * ومن كلّ

رُعْبوبة شطبة تارّة او بيضآ حسنة رطبة حلوة او ناعمة * وكان حق هذا الحرف ان يوضع فى جدول الكتاب الثانى لكن رايت الحكاكات اولى به لتحقق معناه فيهن *

ولَبّة لطيفة *

وذات وجه مُصفَح المصفح من الوجوه السهل الحسن *

وبُهْصُلة شديدة البياض *

ورَبِلة عظيمة الرَبَلات والرَّبْلة ويُحرّك كل لحمة غليظة والربالة كثرة اللحم *

ورِبَحْلة ضخمة جيدة الخلق طويلة *

ورَيْبل ناعمة لحيمة *

وذات شعر رَجِل بين السبوطة والجعودة *

ورَفِلة اى تجرّ ذيلها جرّا حسنا *

وزَوْلة خفيفة ظريفة فطنة *

وذات عين سَبْلآ طويلة الهدب *

وذات صوت خريد ليّن عليه اثر الحيآ *

وسِبَحْل ضخمة كالسبحل *

واسْحلانيّة المراة الرائعة الطويلة الجميلة *

وطَفْلة رخصة ناعمة *

وعَبْلة عَبِلة ضخمة فخمة *

وعَيْطل طويلة العنق فى حسن جسم *

وعُطْبول فتيّة جميلة ممتلئة طويلة العنق *

وعَيْطَبول طويلة القدّ *

وعَمَيْثلة البطيئة لعظمها وترهّلها ومن تسبل ثيابها دلالا *

ومكتّلة مدورة مجتمعة *

وهَيْضَلة الضخمة الطويلة *

وهيكلة　　عظيمة *

وهُوْلة　　المراة تهوّل بحسنها *

وَعَيْهل　　طويلة ومثلها العَيْطَبول والغِلْفاق والعنشطة والعَنَطْنطة والعُلْهبة والسُلْهبة *

وعُنْدُلة　　ضخمة الثديين وهى ايضا الطويلة *

وعَرْطَويلة　　حسنة الشباب والقدّ *

وعَرَنْدَلة　　طويلة صُلبة شديدة *

ومُجْدولة　　لطيفة القصب محكمة الفتل *

وخَثْلة　　ضخمة البطن *

وهِرْكِيل　　حسنة الجسم والخلق والمشية كالهِرْكَولة *

ومأرومة　　حسنة الخلق مجدولته *

وجُريمة　　عظيمة الجسد ونحوها الجسيمة *

وجَمّآء العظام　　كثيرة اللحم *

وحُمامة　　جميلة *

ودَرْمآء　　لا تستبين كعوبها ومرافقها (من تغطية اللحم لها)

ورُعْموم　　ناعمة *

وسَلِمة　　ناعمة الاطراف *

وشُغْموم　　طويلة مليحة كالشغمومة *

وضِخَمّة　　عريضة اريضة ناعمة *

ومطهّمة　　السمينة والبارعة الجمال والمدوّرة الوجه المجتمعته *

وفَعْمة　　استوى خلقها وغلظ ساقها *

وقسيمة　　جميلة وكذا الوسيمة *

وكَثِمة	ريّا من شرابٍ وغيره *
ومكلثمة	مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة *
وكمكامة	قصيرة مجتمعة الخلق *
ووثيمة	مكتنزة لحما *
ومُوشِم	اوشمت المراة بدا ثديها *
وهضيم	الهَضَم خمص البطن ولطف الكشح *
وبَثْنَة	حسناً بضّة *
وبَخْدن	ناعمة
وبادن	معروف كبادنة *
وبَهْنانة	الطيبة النفس والريح او اللينة فى عملها ومنطقها والضحّاكة الخفيفة الروح *
وبَهْكَنة	شابة غضة ويقال للعجزآ تبهكنت فى مشيتها *
وجُهانة	شابة *
وحَبْناآ	ضخمة البطن
وذات شعر جَثِن	متسلسل مسترسل *
وخَليف	المراة التى اسبلت شعرها حلفها *
وراقنة	حسنة اللون *
ومسنونة الوجه	حسنته سهلته او فى وجهها وانفها طول *
ومُشْدونة	العاتق من الجوارى *
وذات عَسَن	الطول مع حسن الشعر *
وعَكْناآء	نعكّن بطنها *
وغَيْسانة	ناعمة *

وفِينانة كثيرة الشعر *

وقَتِبن جميلة *

وملَسّنة القدمين الملسّنة من الاقدام والنعال ما فيها طول ولطافة كهيئة اللسان *

ووَهْنانة بها فتور عند القيام *

وبَرَهْرَهة البيضاء الشابة والناعمة او التى تُرعَد رطوبة ونعومة والبرة الترارة

وذات رَهْرَهة الرهرهة حسن بصيص لون البشرة ونحوه وترهره جسمه (والاحرى جسمها) ابيض من النَعمة وجسم رَهْراه ورُهروه ورَهْره ناعم ابيض *

وفارهة الجارية المليحة والفتيّة *

ووَدهآ المراة الحسنة اللون فى بياض *

ومُوَهْوِهة التى ترعد من الامتلا *

وسَجْوآ الطرف ساجيته اى ساكنته *

وعابية حسنآ من عبا يعبو اى اضآ وجهه *

وحسنة العرّية اى المجرد والمعارى حيث يُرَى كالوجه واليدين والرجلين * تاخذ بيديها اللطيفتين مكشطا وصابونة ودلوا فيه مآء حميم * ثم تجثو على ركبتيها المدملجتين وتطفق تحك عتبة الدار ووصيدها وهى تتذبذب وتضطرب وتتحثحث وتتعثعث وتتمثمث وتتبعج وتتحلج وتتخلج وتترجرج وتتمخج وتنمعج وتتجنج وترتجج وتتضحضح وتتاوّد وتتخضد وترعد وتميد وتتأطر وتندهكر وتتزرزر وتسجهرّ وتتمرمر وتتململ وتمور وتتحيّز وترجّز وتتلزلز وتتمزمز وتتهزز وتتحسحس وتترقّس وتتمخص وترخش وتتنغش وترتعص وتترقّص وتتلصلص وتتنصنص وتُوخِص وتتخضخض وتلصلص

وتتمخض وتتنغض وتتنرّيع وتترتيه وتتنسيع وتتنوّع وتتغضف وتنرقرق وتتريق وتتركرك وتروه وتريه وتتلوّه وتتلوّى وتُضرّى * وربما اتفق مع رؤية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها في الشوارع فياحسن ذلك منظرا ومسمعا * ولكن ياأغنيآ لندن واعيانها الم يكن لكم من وسيلة لمشاهدة هذه الشواخص والجواهص الا باذالة عزة الجسن المصون * ايحل لكم انتهاك حرمة الجمال وامجال ايدى هولآ الحسان وركبهن لتملاسّ اعتابكم * ما بال جيرانكم الفرنساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون خدمتهم تنظيف درج الديار من داخل فقط * فيضع الخادم شيا كالقبقاب او النعل في رجله ويكشط به ما قدر عليه وما لم يقدر عليه يتركه الى المرة الثانية او الثالثة * ونحن كذلك لا نكلف نسآنا هذا التنطّس الذى لا معنى له * وانما نَكِل اليهنّ ما آل الى القفش والرفش اى الطعام والفراش * ومع ذلك فتزعمون انكم تحترمون النسآ وتعرفون قدرهن اكثر منا * لقد كُبُر ذلك قولا * فاما تسريحهن في الليالى الحالكة ليطفن في كل زقاق وشارع وتسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يعدّ عندنا من الاكرام لهن في شي * بل هو احرى ان يكون دُيْبوبيّه وقُرْطُبانية وقلطبانية وكلتبانية وذُوثية وديّوثية وقُمعوئية وقوّادية وتُورّية وسُقّرية وصَقْرية وعَزْوربة ولِياسيّة وطَزِية وطَسِية وقُنْدعية وقنذعية ودُسْفانية وإدْسافيّة وامِذائية ومُمانويّة وشَعْبيّة وشقحطبيّة وادفائية وارفحيّة * ليت شعرى كيف يكون قلب الخادمة حين تامرها مخدومتها في كل يوم قائلة حكّى العتبة * او حين تسالها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك * نعم لو كانت العتبة وردت عندكم بمعنى المرأة كما هي في لغتنا هذه الشريفة لكان لا يبعد ان يسبق وهمها عند السوال الى ذلك * الا ان لغتكم يابسة

قاسحة لا تحتمل التاويل ولا التخريج * ولست ارى لهذه العادة المشطة من سبب سوى ان احد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله اعلم منذ ثلثمائة وخمسين سنة * وكانت امراته دميمة فغارت السيدة منها فكلّفتها حك العتبة والوصيد فى كل يوم اذلالاً لها فى عين سيدها * كانّ القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفُنُق * او كأنّ الشى المجنمج يحتاج الى مرفد * او الشى المتدملك الى وشيعة من القطن * او الغَيْل الى غلالة من الخز * او المَكّرة الى جوارب من حرير * فسرت هذه العادة الذميمة فى جميع كبرائكم الى عصرنا هذا عصر التمدّن والرفق بالنسآ * وانتم اسارى العادات والتقليد * فمتى الفتم فَعِلة لم يمكنكم ان تنتقلوا عنها * وذلك كتكليف الفتيان من خدمتكم ذرّ رماد ابيض على رؤسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق * وككشف عجائزكم فى الولائم عن ترائبهن واذرعهن * مع انه لا مناسبة بين اوقات القصوف والحظ ورؤية ترائب منجردة تمنى القوم بالقَمَه * فاما مواطاة الناس على ما اخترعه الامرآء والاعيان على اجرآء العادات السيّئة فهو غير خاصّ بكم * بل هو عام ايضا عند سائر الامم الافرنجية *





فى وصف بارس

كان وصول الفارياق الى هذه المدينة الشهيرة فى ليلة ذات ضباب فكانت عيناه معمشتين عن رؤية ما فيها من الخصائص * فلما اصبح اخذ يطوف فى شوارعها كالمتفرّغ المتبطّل فاذا بها ملآنة من المزالج والمزالق والروامج والروامق (١) والجرآء والأطنآء والربآى والملموآت والجذابات والرُجَب والرُوَب والفخوت والجراج واللُبَج والبيّاحات والنصاحات والمصايد والفخاخ والشواصر والنوامير والقُمّازات والدّحاحيس والمفاقيس والشصوص والبيضاوات والقفّاعات والمجازف والخواطيف والعواطيف والكُفَف والرِبَق والطِبَق والعوادق والنُشَق والعلاليق والاوهاق والشباك والأشراك والشُوذكانات والاحابيل والكوابيل والشهوم والمصالى * فظهر له ان قوام كل شى وعتاده وملاكه وقطبه فى هذه العاصمة متوقف على وجود امراة * فجميع الصُوب والكُلَب والحوانيت والكُفُت والقرابج والكرابج والكناديج والمفاتح والمحاسب والمثابر والانبار والمخازن والمحارف والمصانع والفنائق والفنادق والدكاكين والقرابق والبلآنات والمنامات والحانات والخانات والافدنة والمطاعم والمشارب تدبرها نسآء واى نسآء * وما من كعب او تأربج

(١) الرامج ملواح يصطاد به الجوارح وكذا الرامق *

او أوارجة او أنجيدج او بُرجان اوجُذآء (١) او بُرنامج او عهدة او محضر او جُذر او وِصْر او قِطّ او فُنداق او صَكّ او فذلكة او سَيّال او ترقيم او نرقين او جُداء لا وتتعاطاه المراة هنا * واللبيب من الرجال مَن اتخذ فى حانوته او محترفه رامجا مليحا يلوّح به للشارين والمجتازين فى السبيل * ولا فرق بين ان يكون ذلك الرامج من اهل بيته او غريبا وانما العبرة بانفقاس الفخ على اعناقهم * هذا وقد اختصت نسآ باريس بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نسآء الافرنج * فمن ذلك انهن يتكلمن بالغنّة والحنّة والنشيج والهَزج والهُزامج والترنجج والتطريب والسُكْت والحَبْرة والنبرة والاجْش والتعثيث والترجيع والاصجاع والقُطْعة والتغريد والتهويد والمدّ والترسيل والترتيل والفصل والوصل والزَجَل والهلهلة والادغام والترخيم والتدنيم والترنيم والرَوْم والاشباع والتفخيم والامالة والتنعيم والتنغيم والتحزين والحنين والجُدن والتلحين والطَنّ والشجو والترنية * حتى ينتشى السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يفككن ازرارة او فقاره * ومن ذلك تغيير الزى فى كل برهة وبهن تقتدى سائر النسآ * فلو لبست احداهن مثلا عُبعبا او حزّقت ثوبها لعبّ الناس حبّ ذلك العبعب وصار التحزيق سنة فيهم * وعنهن يوخذ ايضا تقصيب الشعر وسُبْته وتسريجه وتسريحه وتسميده وتجميره وضفره وتطريره وتنفيشه وعقصه وتصفيفه وزرفلته وتشكيله وفرقه وكُدْحه وكدهه وادّرآؤه وجدله وتفتيله وتغبيته ومشطه الكُعْكُبة والمُقدّمة واتخاذ قُصّة منه او فزّعة او قُنْزعة وجعله مكرهفا او مسبلا * ومن ذلك انه لطول ترددهن على مواضع الرقص يحسبن كل مكان يطأنه مرقصا * فترى المراة منهن تمشى فى الاسواق والشوارع وهى تميد وتميل وتتخلع وتتفكك * ويا ليت مولانا صاحب

(١) عبارة القاموس فى ب رج وحساب البُرجان قولك ما جُذآ كذا فى كذا وما جذر كذا فى كذا فجذاوه مبلغه وجذره اصله الذى يضرب بعضه فى بعض وجملته البرجان انتهى غير انه لم يحك فى باب اليآ غير الجدا بالدال المهملة وعبارته الجدآ كغراب مبلغ حساب الضرب ثلاثة فى ثلاثة جداؤه تسعة * واضرب عن ذكر الضرب بهذا المعنى فى موضعه *

القاموس كان يعرف البُلْكَى والمازُركَى والسّوتيشكَى والكدريل والرِيّدُوفَى والقلس وغيرها من ضروب الرقص حتى كنت ارويها عنه هنا فى حق الماشيات فى باريس * ومن ذلك تحكّمهن على الرجال وتعزّزهن عليهم فى كل حال وبال * فترى الرجل يماشى المراة وقلبه بين رجلبها * واذا خلا معها فى البيت فهى الآمرة الناهية المستعلية القاضية * وهو المُصحِب المِصحاب المُدَربِج المُذَلبِج المدمّج المكبوح المكفوح المعنوج المصوّب المدبّج المتزيّخ المختضَد المُسجد المعتسَر المشروس المتّضَع * ولا يزلن طول الدهر وِحامًا ولا حَبَل * ويرمن ان يكون لهن كل شى صِهابيّا موّربا مرفّلا موفرا موفّلا مسبغا ضافيا مرتبزا وافيا تامّا كاملا * حتى ان اللغة الفرنساوية مبنيّة على هذا الوحم * وذلك انهم يحذفون فى اللفظ اواخر جميع الالفاظ المذكرة وينطقون بها فى المونثة * وعلى ذلك قول الفارياق

عند الفرنسيس المونّث واجب   تبليغ آخره الى الاسماعِ
وهو الدليل على توُوق نسآئهم   طبعا على التبليغ والاشباع
او انه صفة الكمال لهن ان   يك ممكنا يوما لذات قناع

وكانّ احد التيتاتيّين من نحاتهم غاظه ذلك فجعل من بعض قواعد لغتهم تغليب المذكر على المونث * ولكن هيهات فان امراة واحدة هنا تقوى على عشرين ذكرا * ومن ذلك ان عنوان جمالهن مكتوب على جباههن نظما ونثرا * فمن النظم

مُلكُ الجمال اعزّ من ملك له   جند واعوان وعرش ارفع
ذو المُلك تتبعه الجنود تكلفا   ولذى الجمال الناس طوعا تتبع

ومنه

من حارب العيش خانته مضاربه وليس يجديه شحذ السيف عن جَلَدِه
فمضرب السيف مشحوذ على حجر ومضرب الطرف مشحوذ على كبده

ومن النثر * الكلام بالغُنّة * شفاء من العُنّة * فرط التنهيد * ابلغ في التهنيد * الخَدَل * جلاء المقل * ضخم الحماة * يفتح اللهاة * صغر الاقدام * يقزح الإدام * كم صريع في السوق * من كشف السوق * ان ابراز الترائب * كاشف غمّ النوائب * ان العَبْعَب * املا للعين واحبّ * ان الاعجان * داعي الافتتان * ان النّوَق * اصل الشَنَق * لا تفكّن * لا ويزيله التبهكن * التهيّم * ادعى للتهييم والتتيّم * المغاضنة * دليل المحاضنة * غلائل الصيف * امضى من السيف * لا فرار * بعد الافترار * لا عاصم * بعد كشف المعاصم * توهج الطيب * اشوق للحبيب * ربّ ابتسامه * جلبت غرامة * العين غزّالة * والقامة فتّالة * الحسن معبود * والدينار منقود * الدينار * فكّاك الازرار * من اكثر من الصله * نال ما امله * البضع لذى الدنيا * والدنيا لذى البضع * من ذاق عرف * ومن غازل هرف * الى الملهى الى الملهى * فبادرنّم لا تلهى * وعللها بكاس ثم عما شئت فاسالها * والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال الفرانساويات * وجمال الانكليزيات هو ان الاول من قبيل التداوى من الشي بضده * والثاني من قبيل التداوى منه بجنسه * وذلك ان العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفتور والترهّل والترتّح والاسترسال والاسترخاء والاسترخاخ والاسترخاف والرشرشة والنشنشة والانخرار والشلطة والثلمطة والخَنَث والهنبثة واللُونة والهُلاث والابثجاج والطرشحة والاسرخداد والترنرة والتختّر والفيشوشة والتّعة والخراعة واللَخع

والطِرّيقة والرهوكة والشرطلة والغَدَن وكالانشطآ المستدعية لنقائضها من كالاشتداد والتصلّب والانمرار والتاتّب والتقسّح والتقسّب والتوتّر والتعلّب والتعرّد والتعلّد وكالانزاز والنادّد والعَصّ وكالاستعراز والتأيّد والكأن وكالاتكاع والتكلّد* وجمال اولئك عنوان على هذه الصفات المستدعية لنظائرها وكلاهما فى المراة حسن * ومن ذلك انهن يرين التقليد فى الحبّ والزىّ معرّة * فكل واحدة منهن تجتهد فى فنّها حتى تصير قدوة لغيرها * اما فى الزى فمنهن من تنقبّب صدرها بقدر ما تنقبّب نسآ الانكليز بتائلهن * ومنهن من تتّخذ لها قبّتين من قبل ومن دبر * حتى تكون اذا مشت عائقة لساتهها ومواجهها * وكشف الساق لابراز الحماة ونظافة الجوارب مطّرد لهنّ * فاما فى الحبّ فمنهن من تزيد على صفات المدقم الصفة التى ذكرها ابو نواس فى الهمزية * ومنهن من تونر التجشّم الكمرى او كالامتلاج القنبى * واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون * فإمّصاصهم وتبظيرهم ليس من السب فى شى * ومنهن من تجمع بين اللذتين الخرنوفية والفنقورية ولها سعران * ومنهن من تزيد على ذلك ما اراده الشيخ جمال الدين بن نباتة من شوص الفرخ وله ثلثة اسعار * ومنهن من تزيد عليه الشوص بالاخصين وله اربعة * ومنهن من تمكن من قفط النُودلين ولغر ما بينهما مجردا * ومنهن من تضيفه الى اللذتين المذكورتين مع شوص الفرخ بانامل واخامص وهو اغلى ما يكون * ومنهن من تتفاحل وتتقمّد على اخرى مثلها * وهذا النوع عزيز لا يراه الا الموسرون * ومنهن من تتعاطى الحرفة التترّسية وهو قرع الترس بالترس * ومن اغرب ما يكون ان بعض شيوخ الفرنساوية الذين يشب فكرهم وتخيلهم لهرم اجسامهم ووهن حركتهم يوبرون على جميع

للانواع المذكورة التـلـمّـظ بالـعُـذرة * وذلك بان يضطجع احدهم وهو عريان ويامر من تستوى فوقه وتملأ فمه * ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغرب من مشخبه زُغلةً زُغلةً او بمص القنب * وقد يجتمع رجال بواحدة فـيـقـيـمـونها بين ايـديهم عريانـة ويقعد لدى قبلها ودبرها اثنان * وياخذ آخر فى صبّ الشراب من فوق صدرها وظهرهـا * فـيـبـادر اليه الرجلان وهما فاغران افواههما ويشربانـه عـنـد مروره على الـسـمّـيـن * والنسآ المثريات المغتلمات يستعملن رجالا يقـودون اليهن كل من راوه ابتع من الرجال ولا سيمـا من اهل الريف * فـيـدخلون عليـهـن فى بعض الديار وهن متبرقعـات كيلا يُعرَفن ثم ياجرنهم على ذلك * وفى الجملة فان كل ما يخطر ببال النحرير من امور الـفـسق يـراه الانسان فى باريس بعينه بالعَين * واعلم ان اهل باريس قد اصطلحوا على امور فى المعاش والنسآ تميزوا بها عمن سواهم * اما فى امر المعاش فان من ياكل منهم فى المطاعم الشائـعة فانه يشـارط صاحب المحل او بالحرى صاحبته على ان يعطيها فى الشهر قدرا معلوما ويـاكل عـنـدها شيا معلوما * فتعطيه تذاكر توذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يـعـيدها عليها فيودّى اليها عن كل غدآ او عشآ تذكرة * فيتوفر عليه فى ذلك ربـع المصروف * وقس عليه الحمامات والملاهى وما اشبهها * فاما فى امر النسآ فان اصحاب البيع والشرآ لمّا كانوا قد اتخذوا لادارة اشغالهم نسآ حسانا كما سبقت الاشارة اليه * فاذا خرجن فى الليل بعد انقضآ اشغـالهن تـرصدتـهـن الرجال ودعوهن الى مواضع للاكل والـقـهـوة والـرقص واللعب * فـتـذهـب كل واحدة مع من تحب * فمتى رافقـتـه الى احد هذه المواضع علم ان حقه عليها صار ضربة لازب * فاما ان يستوفيه منها تلك الليلـة فـقـط او

يوافقها على اعادة الوصل فى كل اسبوع مثلا مرتين او ثلاثا وان يعطيها
فى آخر الشهر اجرة معلومة * وما بقى لها من الساعات فانها توجرة
لآخرين باجرة معيّنة * فترى للواحدة منهن عدّة عشاق تواصلهم فى
اوقات مختلفة من الليل والنهار * ومع ذلك فلا تزال تلقب بدُموازل
وهى كلمة تطلق على الابكار على وجه التعظيم * ومعناها سيّدة غير ذات
بعل * ومنهم من يتصدى لمعرفة هولآ البنات من المراقص * فيعمد
الرجل الى بنت ويدعوها للرقص * فاذا اعجبته واعجبها دعاها للشراب
فى موضع مخصوص فى المرقص وعقد عليها عقد الزيارة الشهرى * ومن
عامل واحدة منهن مشاهرة لم ينفق عليها نصف ماينفقه لو قضاها
على كل مرة على حدتها * وللنسآ رخصة فى باريس ان يدخلن جميع
المراقص العمومية من دون ان يدفعن شيا اجتذابا للرجال بكثرتهن *
ولكن عليهن ان يرقصن معهم اذا استرقصوهنّ * الا اذا اعتذرن لهم بعذر
يقبلونه كأنْ تقول المدعوة مثلا قد دعانى آخر من قبلك فلا بد لى
من ان ارقص معه او نحو ذلك * ثم انه لا حرج ايضا على من اكترى
فى منزل بيتا مفروشا كان او غير مفروش ان تزوره صاحبته فى مسكنه *
سوآ كانت من النوع الذى ذكرناه اعنى من النسآ اللآى بمنزلة بين
الحرائر والزوانى او من غيره * وان تبيت عنده على علم من الجيران
والسكان * فان منزلة هذا عند اهل باريس كمنزلة المتزوج * ولا فرق
عند اهل باريس بين امراة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تربيهم
فى تقوى الله وطاعة الملك وبين قحيبة تبيع عرضها لكل ابن سبيل
وتتفنشخ لكل مجتاز فى الطريق كما تقول التوراة * وهناك أسباب
اخر كثيرة للفساد فى الديار * وذلك انه لما كانت جميع الاشغال فى

باربس تديرها النسآ وكان منهن غسّالات وخدامات لهنّ ياخذن ثياب السكان وخياطات وفرّاشات وبياعات للماكول والمشروب والملبوس * امكن للرجل ان يصاحب واحدة منهن فتاتيه مياومة اذا شآء بحجة انها تقضيه شيا او تبيع له حاجة * او ملايلة او مشاهرة او مساوعة او محاينة وذلك ممنوع فى لندرة * بل ربما صاحب الرجل امراة من نفس الدار التى يسكنها * لان ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان اصغرها يحوى فى الاقل عشرين نفسا ما بين رجال ونسآ * امكن للرجل ان يعاشر احدى جاراته * بل المتزوجون المقيمون فى هذه الديار لا يامنون على نسائهم وبناتهم * لان الرجل اذا خرج من بيته وخالفه فيه جاره الى زوجته مئة مرة فى اليوم لم يمكنه ان يعلم ذلك لقرب ما بين المسكنين * ولهذا كان اهل باريس اقلّ غيرة على نسائهم من جميع الناس * لانهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه * ولا يمكنهم ان يربوا اطفالهم عندهم خوفا من تضجر الجيران منهم * وانما يبعثونهم الى الريف من اول اسبوع ميلادهم فيربون فى احجار المراضع * وهى عادة حميدة من جهة ان الاطفال يتقوّون هناك بطيب الهوآ * وهناك سبب آخر وهو ان المُطْفل بترشيحها ولدها وتربيته تخسر من نفع حرفتها اكثر مما تعطيه للظئر * لان نسآ باريس يباشرن جميع الحرف ولا مبرين فى التكسب عارا باىّ وجه كان * وهنّ فى البيع والشرآء اشط من الرجال * ومن نكن جميلة نتقاضَ على النظر الى جمالها شيا زائدا على الثمن * ثم ان حالة الرجال مع النسآ على المنوال الذى ذكرناه تعدّ عند هولآ الناس من المصالح المهمّة المرتّبة المطردة * بمعنى انه ليس من دار الّا ويحصل فيها وصال بين الرجال والنسآ مع

مراعاة حرمة كلّ من الزائر والمزور * ومع عدم الاخلال بالوقت الموقوت لكيلا يحصل تعطيل للمزور فى شغله * ومع مجانبة ما يسوء الجيران من لغط وعربدة * ولا تكاد ترى فى باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف فى الليل وهى سكرى كما ترى فى لندرة * وندر وجود احداهنّ فى متاخر الليل * وقلّ من آذت زائرها او قاصدها * وهناك فرق آخر بين نسآ الفرنسيس والانكليز من جهة الخُلق لا الخَلق * فالظاهر من نسآ الانكليز فى الغالب الكِبر والأَنَفَة والصَلَف * والظاهر من نسآ الفرنسيس اللين والبشاشة * الا ان نسآ الانكليز لا يتدللن على الرجال ولا يجشّمنهم الترُّف والتحف والولائم والملاهى والمنازه والفرج * فاكلة من الكباب وكرعة من المزر تكفيان فى استجلاب رضاهن * وليس عندهن من الرّوم والمِحال * والخَلب والاختتال * والدها والنكر والاحتيال ما عند نسآ باريس * فامّا ان تحب احداهن مثلا شخصا وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه * فاما نسآ باريس فمعما يظهر منهن من الملاينة والمباغمة * والملاطفة والملآمة * فاذا عاشرت واحدة منهن وشعرَتْ بانك ارتبقت فى هواها ورُقبت تبغنجت عليك وتدللت * وتصلّفت وتمحّلت * واوهمتك ان مجرد كلامها معك منّة * وان ارضآها والخضوع لها سنّة * وان كثيرا فى عشقها متيمْون ناحلون * هائمون ناسمون * حتى تستقلّ عليها كل كثير من الصِلات والهدايا فتقبل منك ما تقبل وانت لها من الشاكرين * واذا دعوتها لوليمة فلا بدّ من اروائها من الرحيق المختوم * وتوحيمها بافخر المطعوم * فتلتهم ما تلتهم وتشتق ما تشتق وهى متشبعة متعففة * متمنعة متظرفة * فاذا ضَحِكَتْ حَسِبْت ان ليس لضحكها من سطبر * واذا مشت ودت

لو كان خطوها على الديباج والحرير * حتى ان هذا التصلّف ايضا صفة ملازمة للمتزوجات * فان المراة المتزوّجة فى باريس تغرّم زوجها على كسوتها فقط ما ينفقه المتزوج من الانكليز على جميع اهله * فداب الرجل فى باريس وهمّه وشغله ارضآء زوجته وهيهات ان ترضى وما احسن ما قيل فى هذا المعنى

لا يعجب الزوج الاان تكون بمن تحبّ محفوفةً أوْ لا فاعنات
وكيف يرضى امرء يحمى حقيقته بالقِرن والقَرن افتوا ايها الناتُ

وقال

وداخلة الانسانِ تفسد كلها اذا اصبحت زوج له امّ خارجَه
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة له هى فى البيت الفلانى والِجَه

ولهذا يقال فى المثل السائر عند الفرنساوية ان باريس نعيم النسآ ومطهر الرجال وجحيم الخيل * ولما كانت حالة الرجال مع النسآ هكذا كان ثلثة ارباع سكان باريس مسافحين * ونصف الربع الاخر متزوجين زواجا شرعيا والباقى منقطعون عن النكاح * كذا اخبرنى من يوثق بكلامه * ثم ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرّة وتعرف ايضا ان الناس يعرفونها كذلك * فلا تكلفهم احترامها * ولا تسومهم اعظامها * فاما البغىّ من الفرنسيس فعندها ان مجرّد استبضاعها للبضع يؤهّلها لان يكرمها الناس ويداروها * ويجلّوها ويسانوها * وذلك لعدم استغنائهم عنها * وجرّهم النفع منها * وقد تقدّم ان الفرنساوية لا يفرقون بين الحرة والبغىّ وبقى هنا ان نقول انهم اشد الناس شبقا الى البعال * واقومهم الى السفاح * وناهيك انهم فى الفتنة الكبيرة التى حدثت فى

سنة ١٧٩٣ اقاموا امراة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها *
فصوّر لخاطرك ايها القارى كيف تكون الرجال والنسآ فى هذه المدينة
فى ليالى الشتآء الباردة الطويلة * وكم من ملهى يغصّ بهم وبهن
وكم من مآب * وكم من مائدة تميد لهم بالطعام والشراب * وكم من
سرر تهتزّ * ومصاجع تأزّ * واجناب تلزّ * واوطاب تمزّ * واوتار تنزّ *
انشدنى الفارياق لنفسه في وصف باريس واجازنى روايته

وفى باريس لذات كما فى   جنان الخُلد حُبْرٍ وحور عِيْن
ولكن شانهن دوام طمث   لكلٍ اربعون من القَرين

وقال فى الراقصات

لله در الراقصات لنا على   نغم المثانى حيث تُجلَى الكوبُ
لو كان يوما وطؤهن علىّ لم   تثقل لدىّ من الزمان خطوب

وقال فى رامج

دى الباريزية طلعتها   كالصبح بها قلبى مغرم
فى الليل اريد تحيتها   فاقول لها بُن جُوّر مادم

قال وكما ان الغريب المسكين ينشرح صدره وينجلى بصره بمشاهدة
تلكم الحكاكات للاعتاب فى لندرة على الصفة التي تقدم ذكرها *
كذلك تقرّ عينه برؤية امثالهن فى باريس طائفات فى الشوارع
والاسواق من دون غطآ على روسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها *
بخلاف عادة النسآ فى لندرة فانهن لا يخرجن الا ملتحفات * قال
وعندى ان هاتين الخلتين وهما حك الاعتاب والخروج من دون التحاف

هما السبب فى قلة وجود العميان فى هاتين المدينتين السعيدتين * وقلما ترى فى رجالها احول او ازور او احوص او اخوص او ارمص او اكمس او اعشى او اخفش او اعفش او اعمش او اغبش او اغمش او ارمش او امتش او ذا دَوَش او مدش او طَخَش او غطش او غفش او طَفَنَّشا او غطَمّشا او مغطرشا او مطغمشا او مطرفشا او مطفرشا او مطنفشا او مدنفشا او مدنقشا * فعلى كل من كان فى بلادنا اعمش ذا عين ان يقصد هذه البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة * وليستصحب معه ايضا لهذا الجلاء جلاً اى لقبًا ينبى عن شرف وسيادة * فان القوم يعظمون هذه الزَنَمة ولا يرون للانسان فضلا بغيرها * وعلى فرض تحرّجه من الانتحال والتزوير فان غناه يكسبه اياها من عندهم * لانه متى كان غنيا وجعل دابه ان يتردد على مواضع اللهو والحظ لم يلبث ان يتعرف بزمرة من الكبرآ السعدآ وان يزورهم فى مغانيهم * وح يسمونه بسمة شرف تشريفا له وتشرّفا به اذ لا يزورهم الا الشريف مثلهم * فاما حرص النسآ على هذه الزنمة وخصوصا نسآء الانكليز فهو اوسع من ان يحصر فى هذا الكتاب *





الفصل الثامن عشر

في شكاة وشكوى

ثم رام الفارياق ان يستاجر شقة دار ليسكنها هو واهله فراوا عدة اماكن لم تخل من عيوب * وكانت الفارياقية في خلال ذلك تتمعّص من ارتقاآ الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فاكثر * حتى اذا تبواوا محلاً وجدوا موقده رديئا * فلم يمض على ذلك ايام حتى طفقت تشكو وتقول * ياللعجب كيف تنخدع الناس احيانا بشي وتنوّه به دون تحقق معرفة حاله * ومتى يستقر بالهم وجوده على حال من الاحوال يَعُد تغيير وهمهم عنه محالا * حتى ان تغيير الوهم من الخاطر يكون اصعب من تغيير اليقين * لان من تيقّن شيا فانما يتيقّنه عن علم * ومن طبع العالم ان ينظر دائما في الحقائق واضدادها ولا يزال باحثا عن الصحيح والاصحّ * فاما الوهم فلا يدخل الا راس الجاهل * ومتى دخل فلا يكاد يخرج منه * مثال ذلك وَهْم الناس ان مدينة باريس هي اجمل مدينة في الدنيا * مع اني رايت فيها من العيوب ما لم ارَه في غيرها * انظر الى طرقها والى ما يجري فيها من الدم والنجاسة ومن المياه المتنوعة الالوان * فمن بين احمر كماء الطحلب واصفر كماآ الكركم واسود كماآ الفحم * وبتلاحق بها حمبع اقذار

المطابخ والمرافق * ورائحتها ولا سيما فى الصيف اشد اذى من رويتها * فهلّا جُعل لها مثاعب تحت الارض او ابياب تنفذ منها الى نهر او غيره كما فى لندن * وانظر الى مبلّط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات * فانك ترى حجارته قد اختلت وتباعد بعضها من بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع عقبة او درج فهى لا تزال تهتز وتضطرب * وسبب ذلك ان البلاط هنا يفرش فرشا غير مرصوص ولا منضم بعضه الى بعض فاذا اتت عليه سنون زاد تباعدًا وتخلخلا * فاما فى لندن فانه يرص بعضه الى بعض قائمًا فتسير عليه العجلات سيرا سريعا سهلا بلا قرقعة ولا اضطراب * وانظر ايضا الى برازيق الطرق هنا اى حيث تمشى الناس * فما اضيقها واقذرها واقل جدواها * ففى كثير من الحارات لا يمكن لاثنين ان يمشيا معا على حافّة واحدة منها * بل هى لا توجد راسا فى كثير من الطرق او توجد غير كاملة من الاول الى الاخر فتراها قد تعطلت فى موضع واختلّت فى آخر * وانظر الى هذه الانوار القليلة فى الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها * فقد يمشى الانسان فى اكثر الطرق من فانوس الى آخر اكثر من مئة وعشرين خطوة * وانظر الى صغر هذه الحوانيت وقلة انوارها وبوس اهلها وشحّهم * فقلما تجد عند احدهم نارا * مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور * وتامل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحيضها * فقد تجد فى الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدّة مصاب للماء والاقذار * وناهيك ما يخرج منها صباحا من الروائح الخبيثة * ومع كون هذه المراحيض قذرة نجسة خالية عن لوالب الماء

فليس لها مزاليج من داخل ليامن الانسان فى حال خلوته من انبعاق احد عليه * فكثيرا ما يدمق عليه دامق ولمّا يكن اتى على اخر ما عنده فيلحقه بالبذْغ والأمْدر او الماصِع او الجازِم او الراطم او المزرِم (١) وقد سالت عن سبب ذلك فقيل لى ان صاحب الدار اذا كان متورّعا يتحرج من وضع المزاليج خيفة ان يدخل بعض الساكنين والساكنات معا ويتحصنوا بها * ومن اقذر ما يرى فى حيطانها آثار اصابع مختلفة فكانّ الفرنساوية يستطيبون الاستطابة باصابعهم * وحين ينظّفونها ليلاً تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر فى الحارة كلها * فلا يمكن للانسان ان يبيت الا مسدود المنخرين * ثم ان هذه الديار ما عدا كونها تشتمل على ست طبقات فاكثر * وعن ذلك وعن فساد التبليط يسمع لمرور العجلات قرقعة زائدة كما لا يخفى * وما عدا كونها تحوى سكّانا كثيرين ما بين فاجر وفاجرة ومستهتَر ومستهترة * فان كثيرا من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهوآ * ولا يكاد الانسان يستريح فى محل منها * فانه اما ان يجده قريبا من المرحاض * او يجد موقده رديّا * او يجد فيه فارا او جرذانا * او يجد جاره ذا صخب ووقاحة يغنّى النهار والليل او يعزف بآلة طرب * او يخلو بالمومسات على هَرْج ومرج وقرقرة وكركرة * وان من داخلها ما يضحك ويبكى * فالمضحك ما يرى من الخلل فى هندمة الابواب والشبابيك وفرش الملّط بالآجرّ واتصال بعض المساكن ببعض * والمبكى روْية هذه المواقد فانها مبنية على شبه القبور وذلك اول ما يخطر ببال الداخل الى مسكنه * فهى جديرة والحالة هذه بان تكون صوامع للرهبان المتبتّلين لا مضاجع للناس المتزوجين * واغرب من ذلك ان ابواب الديار لا تزال مفتوحة *

(١) البِذْغ التخارى فى ثيابه ونحوه الامدر ومصع بسلحه على عقبَيه اذا سبقه من فرق او عجلة وجزم بسلحه اخرج بعضه وبقى بعضه ورطم السلح حبسه وازرمه قطع عليه بوله

وان البوابين يتعاطون الحرف والصنائع فى كنّ لهم يلزمونه ليلا ونهارا * فمنهم من يشتغل بالخياطة ومنهم بحذو النعال ونقلها وغير ذلك * بحيث ان كل انسان يمكنه ارتقآ الدرج بلا مانع * وقلّ ان يبصر البواب من كنّه احدًا لان عينيه ابدا ملازمتان للابرة او الاشفى * ولذلك كانت دواعى الفساد فى باريس اكثر منها فى لندن * وما يرى هنا من الديار البهية والطرق الواسعة الحسنة فانما هو حديث عهد * فكيف كان لباريس شهرة فى الزمن القديم وديارها العتيقة وطرقها العهيدة مما ينبو عنه الطرف وتتقذره النفس * فاين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكاكينها الواسعة الظريفة المزجّجة باحسن الزجاج وانفسه * ومن ديارها النظيفة المهندمة * قال فقلت ومن حكّاكات اعتابها * فقالت ومن اعتاب حكّاكاتها * ثم استمرت تقول ومن مساكنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التى لا تزال مكسوة بالزرابى الفاخرة * أيم الله ان صعود خمسين درجة منها لاهون علىّ من صعود عشر درجات هنا * واين تلك المواقد البهية المصفّحة بالحديد اللمّاع المجلو فى صباح كل يوم * وتلك الشبابيك والطيقان المحكمة التزجيج * واين تلك المطابخ التى لا يزال فيها نور الغاز متوقّدا والمآء السخن عتيدًا للسكّان * وكم فيها من وصائف خُرّد يتمنّى اعظم المخدومين عندنا ان يكون لاحداهن خادما او طبّاخا * قلت بل لامحًا * قالت او لاحسًا * ألا واين حسن نهر تامس وما فيه من سفن النار التى تسير الى ضواحى لندن فى الصيف وفيها آلآت الطرب * فتراها ملآنة من الرجال والنسآ والاولاد فكانما هى رياض مزيّنة بالازهار * واين تلك الحدائق الكثير وجودها فى كل جهة فى المدينة وهى التى يسمونها ترابيع * ومن

يسكن فى غرفة مطلة عليها يخيّل له انه مُريف * فاذا مشى بعض خطوات ورآءها راى الناس وازدحامهم اقبالا وادبارا * ثم اين تلك الانوار المتوقدة فى كل من الطرق والدكاكين * بحيث انك اذا كنت فى اول الشارع وسرّحت نظرك الى اخره ادهشك حسنها وازدهارها * وظننت انها نسق كواكب قد نظمت فى سلك واحد * وانما يمدح باريس من لم يكن قد راى لندن او من راها بعض ايام ولم يعرف لسان اهلها * ثم اين ملاطفة مكريات المساكن ورفقهن بالنازل عندهنّ غريبا كان اَوْ لا * فان الغريب اذا تبوّا منزلا عندهن يصبح وقد صار واحدا من اهل البيت * لان كلاّ من صاحبة المنزل ومن الخادمة * وما ادراك ما الخادمة * تلاطفه وتوانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشترى له ما شآء من السوق * وتطلع اليه كل يوم بالمآء السخن وتضرم له النار وتمسح نعاله * لعمرى ان النازل عندهن يمكنه ان يتعلم اللغة الانكليزية بمحاورته معهن فى اقصر مدة * فاما فى باريس فان النازل فى احد هذه المساكن قد يموت فى ليلته ولا يعلم به احد * فان بينه وبين البواب بُعْدا باعدا * وفى اكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرسا ليطنّه فيتحرك له البواب * ثم اين استقامة تجار لندن وصدقهم فى البيع والشرآ وتودّدهم الى الشارى واناتهم معْ من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشترى ولا سيما اذا كان غريبا لما تاخروا * وانهم قد حاكوا تجار لندن فى وضعهم بطاقة الثمن على البياعات * ولكن هيهات * فان مَن سعّر حاجة بمئة افرنك مثلا يبيعها بثمانين * وقد يضعون فى وجوه الحوانيت اصنافا من البضاعة مسعّرة فاذا اردت ان تشترى شيا من ذلك الصنف جآءك بصنف دونه فى

الجودة * وحلف لك انه من عين ذلك الراموز * ولا يزال بك مبربرا ومثرثرا وحالفا وحانثا حتى تشتريه حياء او خصما للنزاع * وغير مرة يعطون الشاري فلوسا او دراهم زائفة * فاما باعة الماكولات والمشروبات فانهم اكثر غشا وشططا فى هذه المدينة من سائر الناس * ولهم فى الوزن لباقة لم ارها عند غيرهم * وذلك ان من باعك شيا موزونا يطرحه فى كفّة الميزان بعجلة وهوج كالغضبان من روية سحنتك او على الميزان * واول ما تميل به الكفّة يرفعه بلباقة ويسلمه لك * ولو ارسلت اليه خادمك او ابنك لباعه نفاية ما عنده وكان على السّنجة اشدّ غضبا * هذا ما عدا غشّهم الماكول والمشروب وتغييرهم الاسعار بتغيير الاوقات والاحوال * وهذه اللباقة معروفة ايضا عند باعة الاصناف كَيْلاً وذَرعًا * فاما ما يقال فى مواضع التنزه والحظ فى باريس وذلك كحديقة قصر الملك وما يليها فلعمرى ان من راى حدائق كريمون وڤكس هال وروجڤيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosherville) التى فى ضواحى لندن ما عدا حدائق كثيرة فى حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها على ذكر غيرها * نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صغرها لكونها فى قلب البلد وتلك منحازة عن الوسط * ولكن آه من قلب هذا البلد * كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة فى كل يوم فهى عبارة عن ماخور * لان النسآء ينتبنها ليتصيّدن منها الرجال * اذ تجلس المراة على كرسيّ بجنب رجل ممّن اعجبها وهى لا تعرفه * ويكون بيده كتاب يطالعه وبيدها منديل تخيطه او نحو ذلك * فيطفق هو يقرا فى الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهى كذلك تمل ملّة وتهجل هجلة فلا يقومان الّا وهما متعاشقان * حتى اذا كان اليوم القابل تبدّل

كل منهما مقامه وعشقه * اما الجمال فليس من مناسبة بين جمال نسآء باريس ونسآء لندن فالذأبة او الخَفُوت هناك تعدّ هنا عيبًا (١) ولعزة الجمال هنا صار عزيزا فان الشي متى عزّ عزّ فكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم فيه اشد * ومن اعجب العجب عندي ان الجميلة الرائعة في لندن تطوف باخلاق من الثياب * والدميمة الشوهآ في باريس ترفل بالحرير والكشميري * فاما مواضع الرقص فانها في لندن تفتح كل ليلة وفي باريس ثلث مرات في الجمعة لا غير * وفي اكثر شوارع لندن تسمع الغنآ من جواري حسان وآلات الطرب ليلا ونهارا من دون غرامة ولا كلفة * وليس كذلك في باريس الا ما ندر * وغاية ما يقال في التنويه بباريس وفي تفضيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة ظريفة يجلس داخلها وخارجها الرجال والنسآ متقابلين ومتدابرين * فهل لمجرد القعود على كرسي يحكم لها بالفضل وتشهر عند الخاصة والعامة من اعصر متعددة بانها اجمل مدينة في العالم * ثم اين حشمة فتيان الانكليز وتادبهم مع النسآ سوآ كانوا في البيوت والشوارع من فتيان الفرنساوية هولآ الهصاهيص الذين يهصهصون ويهصّصون (١) في وجوه النسآ حرائر كنّ او بغايا * ومتى ينظروا امراة مكبّة لربط شراك نعلها يطيفوا بها فيصيروا لحلقتها حلقة ولجِتارها حتارا * ولا سيما حين ياتون الى هذه المناصّع ويبدون فيها منادفهم — قال فقلت استمري في الحديث وقولي ما شئت بحيث لا تقفين على المنادف * قالت اتغار عليّ ايضا من الوقوف بالكلام * وانما وقفت بُهْرا من هذه الدنيا المبنية على النادفية والمندوفية * لا جرم لو اني كنت في مقام ملك او امير لما اكلت ممّا مسّته ايدي الرجال شيا * وبينما هما في الكلام اذا برجل يطرق الباب *

(١) الخَفُوت المرأة تستحسن وحدها لا بين النسآ *

(١) الهصهاص البرّاق العينين وهصهصه غمزه *

ففتح له الفارياق وهو مستعيذ من دخوله على ذكر المنادف * واذا به يقول * قد سمعت بقدومك فاتيتك رغبة فى ان اقرا عليك فى العربية شيا واعطيك فى مقابلة ذلك خمسة عشر افرنكا فى الشهر * فلما سمعت الفارياقية اغربت فى الضحك على عادتها وقالت لزوجها * دونك اوّل دليل على كرم اصحابنا هولآء الذين طبّل بذكرهم العالَم وزمّر * فقال له الفارياق ما اريد منك مالاً وانما تبادلنى الدرس فى لغتك عن لغتى * فرضى بذلك * ثم زاره احد علمآء باريس بعد ايام وقال له قد بلغنى قدومك وانك مُوَلَع بالنظم * فلو نظمت ابياتا على باريس وذكرت ما فيها من المحاسن لقام ذلك عند اهلها مقام توصية بك * لان الناس هنا يحبّون الاطرآء والتمليق اى يحبون ان الدخيل فيهم يطرّيهم بالاطرآء * واذا كانوا هم دخلآ فى غير بلادهم اطرأوا على حكام تلك البلاد ونالوا عندهم الوجاهة والمكانة * فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة طويلة فى مدح باريس واهلها سمّاها الهرفية لانه مدحهم مجازفة من قبل ان يعرفهم * وستاتى مع نقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمه بباريس فى الفصل العشرين * فلما وقف العالم الموماً اليه على معانيها استحسنها جدا وترجمها الى لغته * وتوصل فى ان طبع الترجمة فى احدى الصحف الاخبارية وجآ بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول * قد طبعت ترجمة قصيدتك فى هذه الصحيفة وقد وعدتنى جمعيّة العلم الآسياوية (نسبة لآسيا) بان تطبع الاصل العربى فى صحفهم العلمية * لكونك اول شاعر مدح باريس باللغة العربية * فشكره الفارياق على ذلك وقال له انى اريد نسخة من هذه الترجمة * قال انها تباع فى مكان كذا بنحو ثلثى افرنك فسار واشترى نسخة * ثم قدم عليه بعد ايام بعض من قرا تلك

الصحيفة وهو يقول * قد قرات ترجمة قصيدتك واعجبتنى * فهل لك فى ان تبادلنى الدرس * قال هو كما اريد * فاستمرّ يتردد عليه اياما فى خلالها عرّفه بالعالم المشهور مسيو كترمبر (Quatremère) وهذا العالم عرّفه بمدرّس اللغة العربية مسيو كُسّان دُ پرسُڤال (Caussin De Perceval) ثم تعرف ايضا بالمدرّس الثانى مسيو رينو (Reineaud) ولكن كانت معرفته بهم كاداة التعريف فى قولك اذهب الى السوق واشترِ اللحم * ثم زاره ايضا احد الاعيان الذين يتقدم اسمآهم اداة دُ وهى علامة النبالة والشرف * وهو مسيو دُ بوفورت (De Beaufort) وكان له اخت فى دارها مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبرآ * فلما حان وقت امتحانهن فى العلم صنعت مادبة فى بعض الليالى وادبت اليها الفارياقية وزوجها * فقال الفارياق لزوجته * هآك مثالا على كرم القوم فقد مضى عليك مدة وانت تشكين من الوحدة ومن بخل من تعرّفتُ بهم وتقولين انهم لم يادبوك قط * وقد كان يادبك فى بلاد الانكليز من كان يعرفك ومن لم يعرفك * حتى انك كثيرا ما كنت تتضجر من ذلك * لما انه كان يلزمك له تغيير زيّك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان * فابشرى الان ان اصحابنا بالخير قمينون حريّون * قالت نعم كل منهم قَمين حرِىّ * ثم سهرا تلك الليلة عند اخت الدّ الموما اليه على احسن حال واصفى بال * فرجعت الفارياقية الى منزلها بقلب آخر وهى تقول * نعم لقد تفضل بوفورت واحسن كل الاحسان * وقد رايت من نسآ الفرنساوية من البشاشة والطلاقة ما لم اكن اصدّقه * نعم ويعجبنى منهن هذه الغنّة والخنّة التى تكثر فى كلامهن وهذا هو الذى جعل اللغة الفرنساوية فيما اظن مستحبة * وهى من الاولاد اشجى واطرب * قال

فقلت الظاهر ان العرب ايضا تحبّ هذه الخنخنة * فقد قال سيدى صاحب القاموس نَخِم وتَنَخّم دفع بشى من صدره او انفه * ونَخَمَ لعب وغنّى اجود الغنآ * فضحكت وقالت اظن صاحبك كان يهوى مخنخنة وانى اشفق من انك لا تلبث ان تسرى اليك عَدْواه * سلّمتُ بان الغنّة بل اللُثغة بل اللدغة تستحبّ من الغلمان والجوارى * ولكن هل يطيق فتى ان يسمع عجوزا خفخافة تخنخن عليه فى انفه * وهل تطيق شابة خُنّةَ شيخ هرم فى خياشيمها * نعم ويعجبنى من العامّة فى باريس انهم لا يسخرون من الغريب اذا راوه مخالفا لهم فى زيه واطواره * بخلاف سفلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام * بل ربما تكلف الواحد منهم ان يناديه من مكان بعيد حتى يبحّ * وما ذلك الّا ليقول له انك ياغريب دموىّ ملعون * ولعلى فى ذلك مخطئة * قال فقلت بل مصيبة فان جميع الناس يثنون على ادب الفعلة وسائر العامة فى باريس وعلى حسن كلامهم * ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن * فمما كرهت الفارياقية فى باريس غاية الكراهة هو ان النسآ يرخّص لهن فى دخول الديار مهما يكن من تخالف انواعهما * وزعمت ان ترتيب الديار فى لندن بهذا الاعتبار احسن * فقال لها الفارياق لا ينكر ان ديار لندن احسن ترتيبا باعتبار ان درجها قليل وان سكانها قليلون ملازمون للسكون * وان اعتابها تحك فى كل يوم * وان فى مطابخها ربلات قَدِية * وان داخلها مهندم مفروش بالبسط الجيّدة الا انها بَلْو النار * فاما ديار باريس فانها ابقى على الاحوال ومنظرها فى الخارج ازهى * فاما منع المومسات عن دخول تلك وترخيصهن فى دخول هذه فهو فى ظنّى دليل على اتصاف المومسات

في باريس بالادب * بخلاف مومسات لندرة فانهن يتهتكن في الشرب والومس * ولذلك منعن من الدخول الى السكان * وهناك سبب آخر وهو ان بغايا باريس معروفات في ديوان البوليس واسماوهن مقيدة فيه * فلا يتجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش * فاما بغايا لندرة فقد خُلّين وطباعهن * ثم مضت مدة على الفارياقية وهي تقاسي من الخفقان الما مبرحا * فكان يلازمها اياما متوالية ثم يخف عنها * وفي خلال ذلك أُدبت مرة اخرى عند اخت الدّ * فسارت مع زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذي لم يجدا له في باريس نظيرا * ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضرلها طبيبين من النمساوية فعالجاها مدة حتى افاقت قليلا * وكانت اخت الدّ قد تزوجت برجل اسمه (Ledos) فلما جآ اخوها ذات يوم الى الفارياق على عادته وجد الفارياقية تئنّ وتشكو من بلوغ الالم منها * فقال لزوجها لو استوصفت صهري دوآء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات وقد ابرا كثيرين من هذا الدآء * فسار اليه الفارياق وساله ان ياتي معه ليرى زوجته * فقال له اني غير مرخّص لي من الديوان في مداواة المرضى ولكني لا آبى ان آتي معك رجآء ان يحصل شفا امراتك على يدي * ثم اتى ووصف للفارياقية ان تشرب مآ بعض اعشاب تغلَى وبعث لها من ذلك بستة قراطيس * فلما فرغت وطلب الفارياق غيرها جآت اخت الدّ اعني زوجة المتطبّب تقول * ان زوجي يتقاضاكم خمسين افرنكا ثمن القراطيس * فلما سمعت الفارياقية ذلك تراجع اليها نشاطها وبادرتها اجمع وقالت لها * اما تستحيين ان تطلبي هذا المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك ليس بطبيب * فقال لها

زوجها ولكن اذكرى ان المراة أدَبَتنا الى شرب القهوة والشاى مرتين
وقد تخللناهما باشياً من الحلوآ والكعك فلا ينبغى لمقابحتها * ثم بعد
جدال طويل ونزاع وبيل وصيت اخت الدّ بان تاخذ نصف
المبلغ المذكور فاقبضها اياه الفارياق فولت وهى مدمدمة وانقطع
اخوها من الزيارة * ومن هولآ المتطببين من اذا راى غريبا بقّ
فى وجهه واحتفى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو
من سعال او غيره فيصف له دوآ * ثم يتقاضاه غرامة رابية على كل
زيارة جرت بينهما من اول تعارفهما * وياتى بجيرة المحل شهودا على الرجل
فى انه كان كثير التردّد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمنا * وحامل
لوآ هذه الزمرة اللئيمة هو دَلِكس (D'Alex) المتطبب المقيم فى لندرة فى
Berner's street, nº 61, Oxford street ثم رجع الطبيب النمساوى
الى مداواة الفارياقيه * فلما نقهت اشار عليها بالسفر من باريس فاستقر الراى
على تسفيرها الى مرسيلية * فقالت لزوجها قد طاب الان لى السير * من ارض
ما فيها خير * هولآ معارفك الذين اتيتهم بكتب توصية من لندن والذين
تعرفت بهم بعد ذلك هنا بوسيلة علمك لم يدعُك احد منهم الى الجلوس
على كرسى فى بيته * وهذا الامرتين الذى ابلغته كتاب توصية من
الشيخ مرعى الدحداح فى مرسيلية كتبت اليه تساله عن امر فلم يجبك *
مع انكَ لو كتبت الى الصدر الاعظم فى دولة الانكليز لاجابك لا محالة
سوآء بالسلب او الايجاب * وهذا المتطبّب صهر الدّ غرّمنا على ستة
قراطيس خمسة وعشرين افرنكا * مع ان هذا الطبيب النمساوى وصاحبه
قد عالجانى مدّة وعُنيا بى ولم يتقاضياك شيا * وكذلك تفعل اطباء
لندن جزاهم الله خيرا * افكل الناس يكرمون الغريب ويرفقون به

لا اهل باريس * لقد كنت اسمع انه يوجد في الدنيا جيل ملاذون ملاثون ملاقون ولاذون ولشيون محاحون مُرامقون ذَمُلقيون مماذقون غَمَلجيون مبذلخون مطرطرون مطرمذون خَيْتعوريون مُبهلقون مُرامقون مذاعون طَرِفون خَيْدعيون قَشِعون مِقْطاعيون اُمفكيون مجذاميون جُذامِريون كُموصيون هَمَلّعيون مُتبجيون تِلِمّاظِيون بَذّلاخيون وما كنت ادرى اىّ جيل هم * فالان اغنى الخُبْرعن الخَبَر * وتحققت ان هذه الصفات التى كنت استكثرها ان هى الّا بعض ما يقال فى اهل هذه المدينة * فان مودتهم يقطينية اى تنبت سريعا كاليقطين ولا تلبث ان تذوى * ومواعيدهم عرقوبية طالما وعدوا فاخلفوا * ومنّوا فازهفوا * وحالفوا فحنثوا * وعاهدوا فنكثوا * يبشّون بالمغترّ بهم ويهشون * ثم هو ان لازمهم ملّوه * وان غاب عنهم نسوه * وما ينجزه غيرهم بنعم ولا فهم يرتبكون فيه اياما وليالى * يبداونه باساطير طويلة * ويختمونه بتهاتر وبيلة * فاما بخلهم على غير المراقص فيضرب به المثل * وناهيك ان نارهم فى الشتاء كنار الحباحب * ولو انهم اوقدوا نارا كنار الانكليز لرايت جوّهم اكثر دُجنة ودُكنة من جوّ اولئك * وانهم فى الصيف لا يستسرجون * وما عندهم غير هذين الفصلين من فصول السنة * فاما برد عارم * واما غَتْم ملازم * الَا وان احدهم لينزّل الافرنك اجرة من يعمل له منزلة الدينار عند الانكليز * على ان بلدهم اغلى اسعارا من لندن فى لوازم المعيشة او مثلها * ارايت انكليزيا يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس حسابهم بالصنتيم * بل ان كثيرا من الانكليز لا يعلمون كم فى صلديّهم من فلس * نعم وان احدهم (اى اهل باريس) ليكتب اليك مكتوبا فى شان مصلحة تقضيها له ولا يدفع جُعْله * ولقد يضحكنى من فخرهم

انهم ياكلون ابشع الماكول ولا تزال امعآوهم ملأى من شحم الخنزير * ثم هم اذا خرجوا الى المحافل والمثابات بالغوا فى التفخل والرّفلأن غاية ما يمكن * وان كثيرا منهم يغلقون فى الصيف كواهم وشبابيكهم ولا يفتحونها ابدا * يوهمون الناس انهم قد ساروا الى بعض منازه الريف ليصيفوا فيه كما تفعل كبرآوهم * وان كثيرا منهم ليتقوتون بالخبز والجبن نهارا ليبدوا فى الملاهى والملاعب ليلاً * وان اشرافهم وذوى الدّ منهم ياكلون مرتين فى اليوم ويفطرون على محار البحر * والناس كلهم ياكلون ثلث مرات والانكليز اربع مرات * ولكن معاذ الله ان تكون الفرنساوية كلهم كاهل باريس * والّا فياخُسْرَ ما ضاع الثنآء عليهم كما ضاع ماء الورد فى غسل مرحاض * فاما نسآ باريس المضروب بادبهن وظرافتهن المثل فلعمرى انهن بُخْر مجخرات (١) واكثرهن لا يستوغلن ولا يتلجمن ولا يحتركن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا يتخذن الفِرام ولا المعابئ ولا الفِراص ولا الثُمَل ولا الجدائل ولا المماحى ولا الرِبَذ * وليس لهن من نظافة الا على ما ظهر منهن من نحو قميص ومنديل وجورب * ولذلك تراهنّ ابدا يكشفن من سيقانهنّ وهن ماشيات فى الاسواق صيفا وشتاء * بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس النجاسة فى الارض * فمن تكن منهن سوقآ افتخرت بساقها وبجوربها معا * ومن تكن نَقْوآء افتخرت بالثانى * وليس فى نسآ الارض كلها اكثر منهن تيها وعُجبا وزهوا وإرْبًا وتعنفصا وخداعا ومجابّة وظرفة وتبغنجا * سوآ كن قباحا او ملاحا * طوالا او قصارا وهو الغالب فيهن * عجائز او صبايا * حرائر او بغايا * ذوات لحىً وشوارب او نقيات الخدّ * مذكّرات الطلعة والسحنة أوّ لا * على انى لم ارَ فى جميع النسآ تذكيرًا الا فى نسآ باريس وارلندة

(١) البَخَر محركة رائحة مكروهة في قُبل المراة وهى بخرآ وابخر غسل دبره ولم ينق فبقى نتنه واستوغل غسل مغابنه واللجام ما تشده الحائض وقد تلجمت واحتركت احتشت بخرقة وشمذت المراة فرجها حشته بخرقة خشية خروج رجها والفرام دوآ تتضيق به والمعباة خرقة الحائض والفراص جمع فرْصة وهى خرقة او قطنة تتمسح بها المراة من الحيض ونحوها الثمل جمع ثملة والربذ والجدائل جمع جديلة وهى شبه اتب من ادم تاتزر به الحيّض والمماحى جمع ممحاة وهى خرقة يزال بها المنىّ ونحوه *

غير ان هولآء لسن مزهوات مغانيج كالباريسيات * وانما الذى صيّرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن * وقرمهم اليهن * فترى الفرهد الغسانى مخاصرا لسعلاة منهن ومتذللا ومطيعًا لها * فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم فى بلادنا الجوارى السود تخلّصا من اسرهنّ وسرفهن * وقد رايت عامتهن لطّاعات اى يمصصن اصابعهن بعد الاكل ويلحسن ما عليها * فاما ذوات الشرف فانهن يغسلن ايديهن فى فنجانة على المائدة بحضرة المدعوّين ويتمضمضن بالمآ ثم يقذفنه فيها * فهل ذلك يعد من الظرافة والادب * اليس فعلهن هذا افظع من التجشّى عندنا * وانما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من الفت عينه النظر اليهن بعد مدة * وهب ان نسآ باريس ظريفات كيّسات ولكن ما شان هولآ النسآ اللاى يقدمْن من السواد والبراغيل والراذانات والرساتيق والمَذارع والدساكر والفلاليج * فمنهن من تغطى راسها بمنديل فلا يبين منه الّا شُعُيرات من عند فَوديها * ومنهن من تلبس طرطورا من القماش على راسها * حتى ان اهل باريس لا يتمالكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هولآ الباديات * واقبح من ذلك لهجتهن * وفى باريس كثير من النسآ يكنسن الطرق ويتعاطين اعمال الرجال * وفى بولون وكالى ودياب وهافر وغيرها من الفرض تجد النسا يحملن اثقال المسافرين على ظهورهن وروسهن * وليس فى بلاد الانكليز كلها من حمّالات الّا لاصحاب الاثقال * وزيّهن كلهن سوآء * فكيف يزعم الفرنساويون انهم جميعا متمدنون * ولعمرى لو كانت النسآ فى بلادنا يخرجن فى الاسواق سوافر ويبذين قوامهن وخصورهن وسوقهن كنسآء باريس * لما تركن لهن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا *

الى مصر الى مصر بلاد الحظّ والأَرَب * الى الشام الى الشام معان الفضل والادب * الى تونس نعم الدار فيها اكرم العرب * كفانى من الافرنج ما قد لقيته وعندى ان اليوم فى قربهم عام * اَلَا دعنى اسافر من بلاد اسقمت بدنى * بماكلها ومشربها وبرد هوائها العَفِنِ * فقال لها الفارياق ان كنت تطيقين السفر فشانك * فقالت لَمَوْتى فى الطريق الىّ اشهى من التخليد فى دار اللئام * فمن ثم تاهّبت له * غير انه حصل لها فى غد ذلك اليوم من الضعف والالم ما منعها عن الحركة * وتفصيل

ذلك ياتى فى

الفصل

التالى

*



الفصل التاسع عشر

في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة

لمّا نُكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جرى * اجتمعت روسآؤهم في الدّين وارتأوا ان يبعثوا من طرفهم وكلاً الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنائسها ومن اهلها الخيّرين مددًا يقوم باودهم * فاختارت الكنيسة الرومية الارثودكسية الخواجا فتح الله مرّاش * واختارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اثناسيوس التتونجي مولف كتاب الحكاكه في الركاكه * ورجلا آخر معه يقال له الخواجا شكرى عبود * فاقبلوا يجولون في البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا * وكان معهم منشور من مطراني الكنيستين المذكورتين في حلب يوذن بوكالتهم عن الطائفتين في هذه المصالحة * فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخواجا فتح الله المزبور ورفيقه الخواجا شكرى عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور* وبقى المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما في بلاد الانكليز* وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكيّة وهي على مذهب الكنيسة الفرنساوية * لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اساءة الادب

وتعدّى طور امثاله ما اوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا * فخشي والحالة هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحيق به سوء عمله * فلما ابرز رفيقاه منشور الوصاة لمطران باريس والتمسا منه المعونة عجب من رؤيته اسم المطران التتونجي مذكورا فيه دون رؤية سحنته * فقال لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما * فاعتذرا عن غيابه باعذار لم يقبلها منهما المشار اليه * وتذكر ما كان فعله التتونجي من قبل فردّهما خائبين * وكان الخواجا فتح الله مراش ورفيقه يترددان على الفارياق مدة مكثهما في باريس * لكن تردد الاول اكثر * وانما انس به الفارياق مع علمه بانه رفيق التتونجي لكونه رآه من ذوي المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال * وقلّ من كان على مثل ذي الحال وانطوى على غش ودَخَل * لان العلم يلطف العقل والعيال ترقق القلب * ثم ارتبك المطران في رُطْمة في بلد من بلاد اوستريا وهو فيما اظن بولونيا * ففصل منه على نكظ وخزي وسار الى بلاد الانكليز مجتديا * ويومئذ ارسل الى رفيقيه المذكورين ان يلحقا به * فما مضت بعد سفرهما ايّام قليلة حتى ورد الى الفارياق كتاب من كاتب اللجنة (اي جمعية اخويّة) وفي ضمنه كراسة من كتاب كان قد عربه الفارياق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة * فايقن حينئذ بان احد رفيقي المطران عند ترددهما عليه سرقها من مخدعه باشارة المطران * وانه لما اجتمع به في لندن سلمها له فاهداها المطران الى اللجنة طمعا في ايصال الضرر من جانبهم الى الفارياق * غير ان اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريمة ردّت الكراسة على الفارياق * اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة * وكان ورود

الكراسة يوم عزمت الفارياقية على السفر * فبلغ منها الغيظ والحزن كلّ مبلغ حتى لزمت الفراش * فاما المطران فانه تصدّى له فى لندرة بعض روسآء الكنيسة الباباوية ومنعوه من تعاطى الحرفة الساسانية * حتى ان شنعته وشهرته هناك طلّت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصلحة من مصالح الكنيسة * فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا * امّا الفارياقية فانها نقهت بعد ايام وصممت على السفر * فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المفخم فى مدينة القسطنطينية * ثم شيّعها وسفّر معها اصغر اولاده تسلية لها * ولما حان الفراق توادعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تُعُدِ العين تجيبهما بالدمع وهى العَشْقفة والعَسْقبة والتغبيص رجع الى منزله مستوحشا مكتئبا * وسافرت هى الى مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت اتمّ الشفآء * لكنها لم تغيّر نيّتها عن السفر الى اسلامبول * ثقة بان هذا الفراق يكون سببا فى وشك اللقآء * فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادّت كتاب التوصية لولده النجيب الحسيب صبحى بيك اذ كان والده حينئذ غائبا * اكرم مثواها واحسن اليها غاية الاحسان * وهذا مثال آخر على الكرم الشرقىّ ينبغى ان يبلّغ مسامع الامرآء الغربيّين من الافرنج * وفى غضون ذلك نظم الفارياق للمومى اليه قصيدة يمدحه بها على كرمه ومعروفه * ولزوجته ابياتا اودعها ذكر ما لقى من وحشة النوى وستاتى كلها فى الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب * ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها * ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد القادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه * ثم عيل صبره

من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوّقة فصار من زمرة المقامرين * لكن جهله بها كان غير مرّة يبعث شريكه على العربدة عليه * فكان يرضى بان يكون حُرْضة فقط * (الحرضة امين المقامرين) ثم تعرّف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج فاما غيره من التراجمين وشيوخ العلم ومدرّسى اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة * لانهم نَفِسوا عليه بمآتهم وبِضُيَحهم وبودّهم وكلامهم ولقآئهم حتى انهم ابوا ان يطبعوا له قصيدته التى مدح بها

باريس بعد ان وعدوا بذلك *

وما كان خُلْفهم

الّا حسدًا

ولؤما

*





الفصل العشرون

في نبذة مما نظمه الفارياق من القصائد والابيات في باريس على ما سبقت الاشارة اليه

اَى فارياق * قد حان الفراق * فان ذا آخر فصل من كتابى الذى اودعته من اخبارك ما املّنى والقارئين معى * ولو كنتُ علمت من قبل الاخذ فيه بانك تكلفنى ان ابلّغ عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت راسى فى هذه الربقة * وتجشمت هذه المشقة * فقد كنت اظن ان صغر جثتك لا يكون موجبا لانشآء تاليفٍ كبير الحجم مثل هذا * واقسم انك لو تابّطته ومشيت به خُطًى على قدر صفحاته لنبذته ورآك وشكوت منه ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه * وما تمنعنى صداقتى لك اذا وقفت على احوالك بعد الان ان اولّف عليك كتابا آخر * ولكن اياك وكثرة الاسفار * والتحرش بالقسيسين والنسآ فى الليل والنهار * فقد مللت من ذكر ذلك جدّا * ولقيت منه عنآ وجهدا * والان قد بقى علىّ ان اروى عنك بعض قصائدك وابياتك * ولكن قبل الشروع فيه ينبغى ان اذكر حكاية حالى * وهى انى لما كنت فى هذه السنة بمدينة لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت قصيدة فى مدح مولانا المعظم * وسلطاننا المفخم * السلطان عبد المجيد ادام الله نصره * وخلد مجده وفخره * وقدّمتها لجناب سفيره المكرم

كالامير موسورس * فبعث بها الى جناب فخر الوزرآء سيدى رشيد باشا بلغه الله ما شا * فلم تمض ايام حتى بعث المشار اليه الى كالامير السفير بخبره بانه قدّم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول ووقعت اديها موقعا حسنا * وانه صدر كالامر العالى بتوظيفى فى ديوان الترجمة السلطانى *فكان هذا الخبر عندى اسرّ ما طرق مسمعى * فينبغى لى كالان ان اتاهّب للسفر لاتشرف بهذه الوظيفة * ولكن اعلم ايها القارى العزيز إنه لما كان همى وقصارى مرامى كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفرى الى القسطنطينية وكان مكثى فى لندرة موجبا لتاخيره *لان اجزاءه المطبوعة كانت ترسل الىّ فيها لاصححها آخر مرة قبل الطبع* اشار الىّ الخواجا رافائيل كحلا الذى وَلِى طبع الكتاب بنفقته ان اسافر الى باريس تعجيلا لطبعه فاجبت الى ذلك*وكان وقتئذ فى مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة * فالتمست من صاحبى الخواجا نينه الذى قدم مع الخواجا ميخائيل محلع فى مصلحة متجرية بان يراقب وقت سفر السفينة ويخبرنى بذلك لئلّا تفوتنى فرصة السفر معها * وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات ومآرب فى باريس جُلّها يختص بامراته فوكّل بشرآئها بعض معارفه هناك * حتى اذا اشتراها له اوعز اليه فى ان يسلّمها لى وكتب الىّ كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى سرعة رجوعك إلى لندرة * فصدقت قوله واقبلت اسعى الى لندرة وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دونى* وتركت التصليح على عهدة الخواجا رافائيل المومأ اليه * فلما وصلت الى لندرة تبيّن لى ان نصح صاحبى لم يكن مقصودا به حاجة حضورى ولكن احضار حاجته معى ليتوفر عليه بذلك جُعلها ومكسها ولتتزيّن بها زوجته قبل

انقضآ اوانها * فان السفينة بقيت فى المرسى مدة طويلة لتصليح آلاتها على علم من ناصحى * فكان قدومى الى لندرة هذه المرة الثانية سببا فى تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الىّ لانظرها قبل الطبع كما سبقت الاشارة اليه * ولولا ذلك لنجز الكتاب سريعا * غير انى احمد الله تعالى على انه لم يعرض له من الامور النسائية الا ما اوجب تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية * فقد طالما اشفقت عليه من ذلك كما كان الفارياق يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه العوارض * وهذه القضية مصداق على ما قالته الفارياقية فى الفصل التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان فى زواج او شركة او غير ذلك ويكون قد تقرر فى بال احدهما ان له منّة على صاحبه * فمتى وردت على سمعك ياصاحبى نصيحة من احد فانشر طيّها واسبر غورها لتعلم هل الغرض منها نفعك خاصة او نفع ناصحك وحده او نفعكما معا * ولكن لا تبتدئْ بنصيحتى هذه فانى لم اقصد بها الّا مجرّد نفعك فقط * واعلم يافارياق انه قبل تشرّف قصائدك وابياتك بادماجها فى هذا الكتاب يجب علىّ ان اشرّفه والقارئين ايضا بالقصيدة المشار اليها وهى

الحق يعلو والصلاح يعمّرُ	والزور يمحق والفسادُ يدمَّرُ
والبغى مصرعه دميم لم يزل	آتيه عرضة كل سوء يتبر
والوغد تبطره من النعم التى	يغنى بها الحرّ الكريم ويشكر
طغت الطغاة الرّوس لما غرّهم	فى الارض كثر سوادهم وتجبّروا
كادوا ويرجع كيدهم فى نحرهم	فظلاهم دون القواضب ينحر
المعتدون ولا نهًى تنهاهم	الظالمون الفاسطون الفجّر

نقضوا العهود وكان ذلك دأبهم لؤما وللعدوان بغيا اضمروا
حتى راى بعض المآثر راسُهم بخس الحقوق وساء من يستاثر
ايظنّ ان الدولة العُليا السويد وانّه هو بطرس المتاخر
كلّا لَيرتدمنّ ثمّ لَيعلمنّ أن ربّها من يبتغيها يثأر
يامسلمون تثبّتوا ان جاءكم نبأ عن الروس العدى وتبصّروا
لا يغررنّكم كثير جموعهم فالحق ليس يضيره المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمى عرضكم فاسخوا عليه بكلّ علق يُذخَر
فى لَنْ تَنالُوا ٱلْبِرَّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبّونَ الدليل الاطهر
وتمسّكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذمّروا
يغنيكم التكبير والتهليل عن ان تعملوا فيهم سلاحا يبتر
فالقَوْهمُ بهما كفاحا تظفروا وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
واغزوهمُ بحرا وبرّا واحشدوا ركبا وفرسانا ونسرَهمُ آنسروا
لولم يكن منكم سوى نفر لما غُلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
من كل فَتّاك اذا اعترضت له يوما شُعوبٌ بل شَعوبُ يدسّر
انتم عباد الله حقا فاعبُدوا للدّين فهو بكم يعزّ ويجبر
واحموا حقّيقتكم فحفظ ذماركم فرض عليكم ليس عنه تاخّر
غاروا على الاسلام حتى ترفعوا اعلامه فلكم به ان تفخروا
لا تُسمَع الاجراس فى اوطانكم بدل النداء ولا ينجّسْ منبر
وليُسمعنّ اليوم فى ارجائكم قرع القوانس بالظُبَى او تخدروا
فَلَذاك اشجى من غناء مطرّب بمسامع القوم الذين به ضُرّوا
لكن يد الله القوية معكمُ نولبكم أبدا فلن تتقهقروا

ما ان يقاويكم بهم من عسكر　　لو ان ملّ الارض طرًّا عسكر
قد قال فى الذكر المفصّل ربكم　　حقًا علينا نصرهم فتذكروا
ما الله مخلف وعده لعباده　　ان هم بعصمته اتّقوا واستنصروا
قد كان مولاكم وها هو لم يزل　　وَزَرًا لكم اتَانَ كنتم يخفر
ولربما شرعوا الرماح عليكم　　لكن على انفاذها لن يقدروا
لن يعمل البتّار الا ان يشا　　* الله ما شئً سواه مؤثّـر
والنار منهم ان يُرد اطفآها　　برد فلا تلظى ولا تتسعّر
واذا يشآ يثلّ عرشهم فلن　　يستقدموا عنه ولن يستاخروا
غاروا على حُرَم مخدّرة لكم　　قد طالما أُحْصِنّ عمن يعهر
* ايقودهن اليوم علج فاجر　　وسيوفكم بدمائهم لا تقطر
ولئن يكن نجسا ورجسا مَسّها　　فبخوضها قد حلّ ان تتطهروا
الصبر محمود ولكن حين تُنتهك المحارم لا أَرَى ان تصبروا
لا خير فى عيش يقارف ذلّة　　حاساكم ان تفشلوا او تدبروا
شهد الاله بانه مولاكم　　ونصيركم فبحمده فاستظهروا
والله قد وعد المجاهد منكم　　فتحًا مبينا فى الكتاب فأَبشروا
ويبوّء الشهدآء خير مبوّأ　　جنات عدن ملكها لا يُغبر
الحرب بينكم سِجال فاثبتوا　　والنصر عقبَى امركم فاستبشروا
فى اهل بدر عبرة لكم الا　　باوم فليتذكر المتذكّر
اَبْلُوا ليرضى ربكم عنكم فمن　　اَبْلَى فعند اللاّئمين بُعذَر
كم بين مَن ياتى القتال تطوّعا　　ومسخّر كَرْهًا علبه يُجبَر
بفتاده وبسوفه مولى له　　فطّ ربهم غاشم متغشمر

ويبيعه لو شآء للنخّاس مع ولدٍ له وبزوجه يتسـرّر
لا عرض يمنعهم ولا كرم لهم يثنيهم فى الناس عن ان يفجروا
يترّعون الى الفواحش حيث مع اهل المحامد فاتهم ان يُذكَروا
وكذا الطَغام اذا عَدَتْهم مِدحةً ودّوا بايّة شهرة ان يُشهَروا
سعدوا ولكن ربّ سعد ذابح للفائزين به اذا لم يشكروا
ولعل نسرهم المدوّم واقع فمن الهلال علاه ضوء يبهر
لن يفلح العائون ما عاشوا ولا العاتون ما رغدوا ولن يتيسّروا
أوَ لم يَعُوا ما جآهم عمن طغى من قبلهم بطرًا وانّى دُمّروا
ام يعجزون الله اذ يُملِى لهم عن ان يغار لقومه أن يُنصَروا
او أن يمدّهمُ بجند لا تُرَى وبمنشئات مُخْرٍ لا تُبحِر
او ان تخرّمهم وهم مرحون فى أمن رخيّو البال ريح صَرْصَر
او يرسل الطير الابابيل التى قد اهلكت امثالهم لا كُثِروا
ما كان عبّاد البعيم ليغلبوا قوما على اياك نعبد يحشَر
من كان يُرضى اللهَ خالص سعيه فى الناس فهو بكل خير يجدر
من لم يصخ اذنا لنصح وليّه ركب الضلال ولم يُفدْه المنذر
من ابطرته نعمة المولى عنا عَسْفا وغشمرة يمين ويغدر
من لم نكن تقنيه قسمة رزقه فاذا اشرأبّ الى الزيادة يحسر
من يتكل سفها على جند له دون الاله يَحِق به ما يحذر
من ظن ان يفوتى بقوة باسه وسلاحه وذويه فهو معرّر
من غالب القهّار عاد محتّبسا مستضعفا وَكلاًّ يذلّ ويقهر
من سرّه فى يومه كسرانه وافاه فى غده العذاب الاكبر

من كان يوما راغبًا فى عاجل　　عن آجل أَوْدَى به ما يوثر
من كان من بين الورى سلطانه　　عَبْدُ المَجِيْدِ فانه لمظفّر
سلطاننا الاسمى الذى سعدت به　　ايامنا وزهت فدته الاعصر
نشر العدالة فى البلاد فكلنا　　مستأمن فى ظله مستبشر
ولكلّ جيل فى ممالكه يدً　　منه وآلآء تعمّ وتغمر
ما ان عداهم عدله وامانه　　سيان ان هم اعسروا او ايسروا
انّا اذا اتّخذ العدى طاغوتهم　　ربًا لنأتمر الذى هو يامر
لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زلفى ولا نتحير
كلّا ولا فى غير خدمتنا له　　عرْض واخلاص لنا وتبرّر
كفر المبايعُ غيرَه والمعتدى　　بغيا وطغيانا عليه اكفر
من ذا يحاكيه عُلًى ومناقبا　　ومن الذى فُضْلَى جلاه ينكر
لو انه اقترح الوجود تحكّما　　ما زاد فيها غير ما نتنظر
من جوهر الاخلاص صوّر ذاته　　رب قدير كيف شآ يصوّر
ولّاه امر الدين والدنيا معا　　فهو الامام الحاكم المناصّر
وهو الذى بين الملوك مقامه الاعلى يكرّم هيبةً ويوقر
وهو الذى بين العباد محبّب　　ومعظم ومبجّل ومعزّر
يستدفعون الضر فيهم باسمه　　وعلى المنابر حمده المتكرّر
ان قال لم يستثنَ مما قاله　　احد وان يفعله فهو مخيّر
ليس الفرنج مشايعى اعدائه　　ما هم لهم حرب ولا هم معشر
افمن يكون على هدى من ربّه　　كغويِّ استهواه جِبْتٌ منكر
ام من له الخلق الكريم بقاس بالنكد اللئيم جِلّدٌ وينظِّر

ام يستوى فى العرف والامكان من يهب الجزيل ومن يشح ويصمر
ايه امير المومنين ومن دعا ايه امير المومنين فقد سُروا
سُدْ بالمعالى فائقا كل الورى مجدا وشانئك البغيض لابتر
وَسِعَت عوارفك العميمة سولنا لاقصى وما بالبال منا يخطر
حتى لقد كلّت خواطرنا بما اقترحت وانت منفل لا تضجر
نطق العيىّ بفرض مدحك مفصحا حتى الجماد يكاد عنه يعبّر
ولقد اضآ الكون مجدك كلّه حتى استوى فى ذا العمى والمبصر
نظر الطغاة اليك نظرة حاسد فتجرّعوا مُضضًا بها وتحسّروا
ان يُجلبوا فالله ماحق جيشهم او يمكروا فلَمكرُ ربك اكبر
ان المحال من المُحال اذا جرى بخلاف طِيّته وحقّ مقدّر
ما كان جمعهم سوى كِسَف هُبُت والشمس ليست بالهبآء تستّر

لقب قسطنطينيّة

ليست فروق لغير عرشك وهى ما بقيت عن الفرقان ليست تنقفر
انت الذى بمديح وصفك تنجلى عنا الهموم وافقنا يتعطر
وتصحّ احلام الامانى فى غد اللاهى بها والدهر انكد اعسر
ما ان يفى نظم اللآلئ مدحةً لك باللهى من سحب كفك تنثر
لم يبقَ ما بين الورى من ناطق الّا وعن آلآء فضلك يخبر
حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك فى حماه تخفر
وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زخرت كجودك ابحر
انشدت تاريخين هجريّين فى ختمى مديحك وهو حظى الاوفر
عَبْدُ المَجِيْدِ الله أَزْكَى صدره سلطاننا خير بجدّ يُنصَر

سنة ١٢٧٠ سنة ١٢٧٠

القصيدة الهرفية في مدح باريس

اذي جنّة في الارض ام هي باريس
ملائكة سكّانها ام فرنسيس
وهل حُور عِين في منارها تُرَى
والّا فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذي نجوم ترجم الهمّ في الدُجى
عن البال ان يخطر به ام نباريس
وهل زُهرة الدنيا ترى في هوادج
تمرّ كبرق خاطف ام طواويسُ
نعم انها خُلْد النعيم وشاهدي
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعلّيون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واماريس
وفاكهة مع لحم طير ونصنرة
وراح ورَيحان ورَوح وترغيس
واعمدة تحبو السحائب دونها
كان لها فوق السماكين ناسس
هنيّئا لمن منها تبوّأ منزلا
وطوبى لمن فيها له تاج تعريس
اذا شدّة او كربة بك برّحت
فحجّ اليها فهي للكرب تنفيس

القصيدة الحرفية في ذمها

اذي سَقَرٌ في الارض ام هي باريس
زبانيةٌ سكّانها ام فرنسيس
وهل ذي نسآء في مواحلها ترى
والّا فكلّ حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهمّ في الدجى
الى البال ان نبصر به ام بباريس
وهل زهرة الدنيا ترى في هوادج
تمرّ كعير طالع ام مطاويس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدي
شقيّون في ساحاتها ومناحيس
وفسق وعلّيون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقّوم يخبث طعمه
وشرب من الغِسْلين يسقيه ابليس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كان لها فوق الخبائث ناسس
سقاء لمن منها تبوا منزلا
ونعسا لمن فيها له تاج تعريس
اذا شدة او كربة بك برّحت
بها فانأ عنها فهو للكرب تنفيس

فتونس منها وهى تونس غبطة
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تكُ يوما قانطا من لُبانة
فروْيتها الطلاب ما منه ميئوس
بها ما يقرّ العين من كل اربة
وما تشتهى نفس وما تالف التوس
وفى ذكر ما فيها تلَذّ لذاذةٌ
تطيب بها عن غيرها وهو محسوس
هى المنهل المورود من كل ظامئٍ
وللزائريها الخير اجمع مبجوس
هى الامن من جور الخطوب فما على
عزيز بها ضيم يُحاذَر او بوس
نعم هى من عين الزمان تميمة
فما امّها ذو عسرة وغدا فى سو
فما نعمة فيها تشان بحاسد
ولا صفو لذات بقانيه تسجيس
ولا بخس ذى حقٍ من الناس حقه
فياحسن دار حيث لا حقٌ مبخوس
ولا ذامٌ فيها يستبين لعائب
سوى هادم اللذات ما دونه طُوس
عليها بهاء المُلك والعز والعُلَى
ومنها سنا المجد والفخر مقبوس
الى مثلها يُنضى الرشيد مطيّه

وبرّز عليها ان يفتك مبرّز
فبين المقامين اتحاد وتجنيس
وان تك يوما طامعا فى لُبانة
فروْيتها ياس لما هو محدوس
بها ما يسوء العين من كل اربة
وما تجتوى نفس وما تكره التُوس
وفى ذكر ما فيها يسوء اساءة
تفوق على ما خفته وهو محسوس
هى المنهل المسموم حتف لظامئٍ
وللزائريها الشرّ اجمع مبجوس
هى الخوف من كل الخطوب فما على
عزيز بها الا المخاطر والبوس
نعم هى فى عين الزمان قذًى فما
اتاها امروٌ الا ومنها غدا فى سو
فما نعمة فيها خلت عن محسّد .
ولا وطر الّا وقاناه تسجيس
وتبخس ذا حق من الناس حقه
فياقبحها دارا بها الحق مبخوس
ولا رَوْح منها يستبين لناصب
سوى هادم اللذات ما دونه طوس
عليها ظلام الكفر والظلم والخنى
ومنها اُوار الفسق والفحش مقبوس
وعن مثلها ينضى الرشيد مطيّه

اذا كان يُلفَى مثلها وتجبى العيس
هو العيش فاغنم طيبه فى ربوعها
فانك فيها ما اقمت لمرغوس
وانك منها لست يوما بواجد
بديلا ولو امسى ورآك برجيس
وانك فيها ضارب كُرَة الاَسَى
بمحجن بشر ليس يتلوه تعبيس
وانك منها مجتن ثمر المنى
فان بها اصل الفوائد مغروس
اذا رثّ ثوب العمر منك فانّ من
قشيب حِظاها ريّق العيش ملبوس
فبتْ آمنا فيها وقم باكرا الى
مراتع لَهْوٍ لم تشبه وساويس
ولا ترغبنْ عنها الى غيرها تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس
فدهرك فيها ما اقمت مسالم
وقدرك مرفوع وشملك محروس
فآثرْ بها ليلاً على عام غيرها
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس
ولا غرو ان تزداد فى العمر حقبة
ففى الصفر للفرد العقيم تخاميس
لقد كنت اخشى الحَيْنَ فى غير منشأى
فَقَدْنى بها بشرى اذا انا مرموس

اذا كان يُلفَى مثلها وتجبى العيس
هو العيش فاغنم طيبه فى سوآئها
فانك فيها ما اقمت لمنحوس
وانك لا تلقى لها من مُشابه
برِجْسٍ ولو امسى ورآك برجيس
وانك فيها ضارب كرة المنى
بمحجن ياس تلوه الدهر تعبيس
وانك منها مجتن ثمر الاسى
فان بها اصل المحارم مغروس
اذا كان ثوب العزّ عندك معلَما
فمن نغص فى عيشها هو مطلوس
فبت صابرا فيها وقم باكرا الى
نعيم سواها لم تشبه وساويس
ولا ترغبن فيها ولو ليلة تكن
كمن شاقه بعد السعادة انكيس
فدهرك فى دار سواها مسالم
وقدرك مرفوعٌ وشملك محروس
فآثر بها ليلا على عمر بذى
على فرض ان الليل اذ ذاك ادموس
ولاغرو ان تزداد فى العمر حقبة
ففى الصفر للفرد العقيم تخاميس
لقد كنت اخشى الحَين فى غير منشاى
فياشقوتى فيها اذا انا مرموس

وقد طالما عللت نفسى برغدها
فبتّ ولى احلام خير وتغليس
فالفيتها يربو على الوصف حسنها
فما ثمّ اشباه لها ومقاييس
وفيها من الغرّ الكرام اعزّة
جحاجح ضرّابون يوم الوغى شوس
لقد فُطروا طبعا على الودّ والوفا
جميعا فما يعروهما عوضُ تلبيس
لئن سُبقوا سَبْق الوجود فانه
لَيسبقُ جسمًا ظلّه وهو مدعوس
لهم فى سماء العلم شمس براعة
وفى الادب الطامى العباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
اذا اغطشت آفاق امر فانما
يجلّيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل ذى استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
وتمسكه ان لا يجور كانما
تعدّل فى كلتا يديه قساطيس
وربّ خطيب لفظه فوق منبر
يُبين ولو بُلِّغتَه وهو معكوس
يشق خفىّ الغيب عما يقوله

وقد طالما حذّرت نفسى فسادها
فبت ولى احلام سوء وكابوس
فالفيتها يربو على الوصف قبحها
فما ثمّ اشباه له ومقاييس
وفيها من القوم اللئام ثعالب
ولكنهم ان يؤذَبوا اسد شوس
لقد فطروا طبعا على الغدر والجفا
جميعا فلا يغررك فى ذاك تلبيس
لئن سبَقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظلّه وهو مدعوس
لهم فى بحور الشك خوض وطالما
تغشتهم منه ضلالا قواميس
فكم فيهم من مدّع صَلِف له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل من فضوله آعـ
تدال قوام الدهر احدب منكوس
يحاول لؤما ان يميل به فلا
تعدّل فى كلتا يديه قساطيس
وربّ عيىّ لفظه فوق منبر
يسوء ولو بلّغته وهو معكوس
يشقّ حفىّ الع.ب عما يقواه

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس

وكم فيهم من خيّرٍ صالحٍ له
انآ الليل تسبيح طويل وتقديس

وكم فاتح منهم وما بارح الحمى
كتائبه اقلامه والقراطيس

وكم بينهم من ليث حرب اذا سطا
جرىّ له فيها احتناك وتضريس

جَام اذا هيجوا حياة اذا اتّقوا
اسود اذا صالوا جبابرة هيس

اذا سمحوا لانوا وان جُبسوا قَسَوا
* ويَرْبُون فضلاً ان بغيرهم قيسوا

اولو همّة دانت لها هِمَم الورى
وفخرهم في ذاك كالدهر قُدموس

بشاشتهم للضيف خير من القِرَى
وما لقراهم لو تأخّر تبنيس

واكرامهم مثوى الغريب سجية
فيغدو وقد اقناه اهل وتانيس

مديحهم يشدو به كلّ رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس

لقد اكرموا هذا اللسان واهله
فما زال يحظى عندهم وهو مدروس

وقد الّفوا فيه تآليف جمّة
وجلّت لهم فيه شيوخ وتدريس

يعزّ الفتى بالمال عند سواهم

فيبصره مَن طرفه بعدُ مطموس

وكم فيهم من فاسق عاهر له
انا الليل تجديف طويل وتنجيس

وكم طامع في الملك منهم سفاهة
كتائبه اقلامه والقراطيس

وكم من طفيلىّ لكل وليمة
جرىّ له فيها احتناك وتضريس

حمام اذا زِئروا حياة اذا اجتدَوا
اسود اذا لاسوا جبابرة هيس

اذا سألوا لانوا وان سُئلوا قَسَوا
ويربون شحّا ان بغيرهم قيسوا

اولو جَشَع من دونه جشع الورى
وصيتهم في ذاك كالدهر قدموس

بشاشتهم للضيف في زعمهم قرى
وفي وعدهم مَيْنٌ ومطل وتبنيس

واكرامهم مثوى الغريب سجية
اذا كان ذا زوج وبالزوج تانيس

هجاؤهم يشدو به كل رائح
وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس

لقد جهلوا هذا اللسان واهله
فما زال يخفى عنهم وهو مدروس

وقد لفّقوا فيه اساطير جمّة
وشطّت لهم فيه شيوخ وتدريس

يعزّ الفتى بالعلم عند سواهم

وعندهم تغنيك عنه الكراريس

فقل للمباريهم تحدّوا لغيرهم
فان مجاراة المجلّين تهويس

شِعارهم حرّية وأُخوّة
وتسوية كلٍّ بذلك ناموس

فلا فرق بين الدون والدون فى القضا
وإِرْئِسهم فى اليُسر والرُفه آرّيس

ترى كلّ فرد منهم كيّسا له
مشاركة فى العلم والفضل ما كيسوا

وان لهم من سيميآ وجوههم
دلائل ان الخير منهم مانوس

وان لهم رزقا كريما رضوا به
فما هم مسفّى مارب فيه تدنيس

فتحسب كُلّا حلّ صُرْحا ممرّدا
تحيّته فيه سلام وتقليس

فما نظرت عيناى فيهم صاغرا
ولا من عن الخيرات والرشد مرجوس

ارانى سعيدا مُحَبّرا فى جوارهم
ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس

عفوت عن الايام سالف ذنبها
فقد شفعت فيها وفى الناس باريس

وعندهم ليست تفيد الكراريس

فقل لذوى الدعوى المبارين منهم
لعمرى مجاراة المجلّين تَهْويس

شعارهم حرّية واخوّة
وتسوية لكن عدا ذاك ناموس

فلا فرق بين الدون والدون فى القضا
واريسهم فى الامر والنهى آرّيس

ترى كل فرد عاتيا طاغيا له
مشاركة فى الحكم مع انهم خيسوا

وان لهم من سيميآ وجوههم
دلائل ان الشرّ منهم مانوس

وان لهم رزقا حراما رضوا به
فشانهم إسفاف ما فيه تدنيس

فتحسب كلّا حلّ ماخور ريبة
تحيّته فيها سِلام وتلقيس

فما نظرت عيناى فيهم فاضلا
ولا من عن الآثام والرجس مرجوس

ارانى كئيبا نادما فى جوارهم
ومَن زار يومًا ارضهم فهو منحوس

وجدت على الايام عتبا بعيشها
فقد اخبثته والبرية باريس

وقد كنت فى مدحى لها قبلُ مخطئاً
فهذا له كفّارة وهو مركوس

القصيدة التي امتدح بها الجناب المكرم للامير عبد القادر بن محيي الدين المشهور بالعلم والجهاد

ما دام شخصك غائبا عن ناظرى ليس السرور بخاطر فى خاطرى

يامن على قرب المزار وبُعده حبّى له والشوق ملء سرائرى

ان كنتَ لى يوما فديتك وافيا ما ضرّنى ان كان غيرك غادرى

فاذا رضيت فكلّ سُخط هيّنٌ واذا وصلت فلم ابال بهاجر

واذا بقربك كنت يوما نافعى لم اخشَ شيا بعد ذلك ضائرى

يافاتنى بدَلاله وشِماله وكماله وجماله ذا الزاهر

عقلى سلبتَ ومهجتى فارددْهما لاجيد مدح شمائل لك باهرى

وليعلمَ العذّال انى صادق فى وصف حسن حلاك وصفة شاعر

يامحرقى شوقا بفاتر جفنه ارايت قبلى مُحرَقا بالفاتر

يابدر تمّ لاع قلبى حبّه ياشمس حسن قد تملّك سائرى

ياظبى انس شاق عينى شكله لكن له طبع الغزال النافر

هلّا رثيت لحالتى ورفقت بى ووعدتنى عدةً ولو فى الظاهر

كَلَمَ الحشا منى وعيدك قَسْوَةً قبل الفراق بان تكون معاسرى

وفطرت قلبى بالجفا عَمْدًا فلا عجب اذا ما قلت انك فاطرى

افهكذا فعل الحبيب بحبّه ام صرت بعدى عاذلى لا عاذرى

لوكنت تدرى ما لقيتُ من النوى لرحمتنى وودت انك زائرى

مذغبتُ عنك ارتدّ من طرفى الكرى من بعد ما هُدى ارتدادَ الكافر

وازداد سقمى واستُثيرت لوعتى وبدا بحبّك ما تكنّ ضمائرى .

انى وحقِّ هواك غاية مطلبى	وسنا محيّاك الصبيح الناضر
من يوم لُححتَ لناظرى ما لاقنى	شئٌ ولم يملأ جمال ناظرى
ما كان حسن سواك يوما شائقى	كلا ولا لحظ لغيرك ساحرى
أَهْوَى لاجلك مَن حكاك بشِكله	لا شَكله اذ ذاك دون النادر
كيف اصطبارى اليوم والاجل انقضى	وابيت ارضاى بطيف زائر
وبمهجتى انى اراه ساعة	قبل الممات معانقى ومسامرى
هَبْه اتى فلقد يرانى ساهرا	والطيف ليس براقد مع ساهر
انسيتَ عهدى حيث ملت مع الهوى	ولقد عهدتك ما ذكرتك ذاكرى
اما انا فكما علمت على النوى	والقرب صبّ فيك غير مغاير
شيآنِ لست اطيق صبرا عنهما	ذكرى هواك ومدح عبد القادر
هو ذلك الشهم الذى شهدت له	كل البرية بالفَعال الفاخر
ومناقب محمودة وشمائل	مرضية ومحامد ومآثر
هو ذلك المولى الممدَّح سعيُه	عند الاله وعند كل مفاخر
هو ذلك الفرد الذى افعاله	أُمْدوحة البادى وفخر الحاضر
وهو المهيب لدى الملوك نزاهةً	والنازح الصيت الكريم الطاهر
من معشر العرب العريق نجارُهم	اهل المكارم كابرا عن كابر
العاملين بمحكم التنزيل فى	التحريم والتحليل حزب الحاشر
الناحرين اذا دَعَوا واذا دُعوا	باللبراز فحرهم للناحر
المؤثرين علٰى خَصاصتهم وقد	نظروا الى الدنيا كشى غابر
ولُرُبَّ قوم يحسبون خَلاقهم	فيها وغابرَ لهوها كالغابر
ولديهم ردّ التحية مِنّة	كبرى بها احياء عظم ناخر
يُحْيى الليالى بالدعاء تهجدا	فيميت فى الاعداء اى جماهر

ويروع افئدة الرجال لقاؤه ... حتى يخوروا عن نداء الناصر
فى قلب كلّ محنّك من رُعْبه ... ما عنه يجم كلّ ليث زائر
وبكل حرف من بليغ كلامه ... حرف يفلّهم كحرف الباتر
الفضل شيمته وسيمته التقى ... لله واسترباح اجر الصابر
يولى الندى قبل السوال وبِشْره ... للزائريه موذنٌ ببشائر
يغنيهم عن ان يمتّوا عنده ... بضرورة وُحَشْتهم وأَواصر
جهَد الزمانُ غِلاَوْه فكبا ولم ... يبرح لديه وفيه سَوْرة آفر
ولقد يكون النسر يومًا واقعا ... ويعود بعدُ الى مطير الطائر
فالله ينصر مَنْ يغارُ لدينه ... والله يخذل كل عات فاجر
والله عزّ يداول الايام ما ... بين العباد لسابق ولقاصر
سكن الامير وطار فى الدنيا اسمه ... ورَوَى المعالىَ عنه كل معاصر
فالعجم بين موقر ومبجّل ... والعرب بين مُفاخر ومنافر
ياناصر الدين العزيز وحزبه ... ياخير صبّار واعظم شاكر
ياخير ناهٍ عن تعاطى مُنكَر ... وبخطّة المَعروف افضل آمر
لا تخشَ من بأس فربّك قاهر ... بدعائك الميمون جيش الجائر
كن كيف شئت فانّ اجرك ثابت ... فى اللوح وهواجل ذخر الذاخر
لك حيث شئت عناية صمديّة ... ترعى حماك ونصر ربّ قادر
فاذا مدنت فانت اعظم خادر ... واذا ظعنت فانت اكرم سافر

القصيدة التی امتدح بها الجناب المکرم النجیب الحسیب صبحی بیك فی اسلامبول

اری الدهر صافانی ومال الی الصُّلْحِ ... ومن بعد حرمانی اتانی بالنُّجح

واصغی الیّ الجَدّ حین دعوته ... ولاحت تباشیر المُنَی لی من صُبحی

اتانی علی الابحار والبَرّ برّة ... باسرع من شکوی احتیاجی الی سَمْح

فلم تكُ الّا دعوة فاجابنی ... اجابة صِنْوٍ وهو لی سیّدٌ لَحّ

ولو لم یُجِرْنی من زمانی بفضله ... لاصبحت فی بؤس وامسیت فی بَرْح

وجِئْتُ باشجاء التمنّی فان لی ... لَجُرْحا مُمِضّا دونه اَلَم الجُرح

فلی فی نهاری جهد سَبْح وحرقة ... وفی لیلتی حبس وخُرْف من السَّبْح

اذا کنت لا اشکو الیه فمن عسی ... یکون الیه مشتکی الضرّ والترح

ومن ذا الذی تلقاه فی الناس مُنْجِحا ... سواه اذا اضطُرّ المضیم الی السُّجح

خلائق لا یوفی الثناء بوصفها ... ولو کنت حسّان البلاغة والفُصح

اغار علی اوصافه الغر انها ... تشارکها اوصاف آخر فی المدح

هدانی له جُدّی وقد کنت غاویا ... مع الشعراء البائرین ذوی الکسح

وکان زمانی مازحا فمزحته ... فلمّا تعاطی الجِدّ ملت عن المزح

فصار لشعری رونق وطلاوة ... وحُقّ له الاملاء فی ملأ فُصح

وقد کان فی سوق الاعاجم کاسدا ... مقالی واطرای علیهم بلا ربح

فکم بتُّ أُنْضی خاطری لمدیحهم ... فقمت وبی رَنْح واعییت کالطِّلْح

ولم یُغن عنی ما مدحتهم به ... فتیلاً وما ازدادوا سوی البخل والشح

ولم ینقدوا کفّارة الکذب الذی ... علیّ باعلی اللوح ما هو بالمَّمحی

ولو اننی راسِیْن عصری فیهم ... ومِلْطن ما استسقیت منهم سوی النشح

اعظم شعراء الفرنساویة ... اعظم شعراء الانکلیز

فهـا انا ذو ربح ولست بمفتـر ثنآءً واطـرآء وكـنـت بـذا ألحى

فحُلْ يازمانى بين فوزى ومطلبى ان آسْطعتَ واستعدِ الخطوب على قدحى

فلى باسمه استفتاح كلّ قضية ويمناه اقليد السعادة والفتح

ألا فلْيزرنى اليوم من كان مزرياً بشانى يجد كوخى اعزّ من الصرح

علا بمعاليه مقامى ورتبتـى وصرت الى اقصى الامانى ذا طمح

اذا ابصرت عيناى مَن هو مُخفق كدأبى من قبل انتحلت له نصحى

وقلت له ابشرْ بما انت طالبٌ فمن يدعُ يوما باسمه فاز بالسنح

هو الماجد النآى مدى الدهر صيتُهُ قريبٌ من الداعى على القرب والنزح

فليس على بُعد يوخّر رفـده وليس على قرب يملّ من المنح

هو الحازم النحرير طلّاع أنْجُـد كريم نزيه النفس ذو خلق سُجح

سليل اجلّ الخلق سامى الذرى الذى مناقبه الغرّآء تغنى عن الشرح

اميرى ومولاى الكريم وسيّدى ومَن هو بعد الله لى سند الرُكح

تظنّيت فيك الخير والفضل كلّه فحقّقت ظنّى فهو دونى فى صُحّ

اتـانىَ وعدٌ عنك انك منزلى لديك كما انزلت اهلى فى نُدْح

ولا ريب عندى ان وعدك مُنجز وانى لا احتاج معه الى فُسْح

فهآك منى المدح خدمة مخلص فجدْ بالرضى عنه فديتك والصفح

ودم كهف عزّ للذليل وملجا لقاصده ما انجاب ليل من الصبح

شبه الجواز يقال فسح له الامير فى السفر كتب له الفسح

وكتب الى الفاضل اللبيب الخورى غبرائيل جبارة ارسلها اليه من باريس الى مرسيلية وهو اول شعر مدح به قسّيسا

قِفْ بالطلول ان استطعتَ قليلا   واسال عن الركب المغذّ رحيلا
ساروا وابقوا وحشة لك دونها   غصص المنون وحسرة ونحولا
طللٌ مهدت به الخلاعة والصبى   وشربت فيه سلسلا مشمولا
وجررت اذيالى وتهت على المُنى   واقتدت منها ما استعزّ ذليلا
وخلعت من نعم ولذّات على   اهل الهوى ما كنت منه مَلولا
واحسرتاه متى يعود العيش فى   عرصاته والذّ فيه مقيلا
لم يبقَ الّا ذكر افراحى به   ومضى كامسِ نعيمُه مبتولا
ان غيّرت آثاره الايام او   ان عطّلت اعلامه تعطيلا
فبخاطرى تذكاره متجدّد   ولقد يظلّ بانسهم مأهولا
من بعض حسّادى عليه الريحُ قد   حامت لديه بكرة واصيلا
تبدى الحنين به وانّةَ ثاكل   فازيد فيه زفرة وعويلا
تسفى تراب فنائه وكانما   تهفو به لتحلّه الاكليلا
عجبا وقد بلّته منى عبرة   أن صار فوق عِنانها محمولا
ام قد دورت نكب الرياح بانه   اَوْلَى بان يثوى السمآ مقيلا
ام مثل عينى اعين الجوزآء قد   رمدت فتستشفى به تكحيلا
ما كدت ادرى رسمه لولا شذا   عَرْفٍ اليه كان منه دليلا
نؤى الحبائب للمحبّ اعزّ من   صرح لديه لا يصيب خليلا
وسُوَيعة مع من تحب اجلّ من   دهر به تلقى اخاك عذولا

فلبى السَّمَنْدل يصطلى نار الهوى   وسلوّه العنقآ عزّ وصولا
لله كم منه يعذّب عاشق   ولكم به يمسى البرىَ قتيلا
لو رقّ من عشق كلامٌ رتّل القرّآءُ قولى فى الدجى ترتيلا
او لو تداوَى الناس منه بالبكا   لشفيتُ كلّ شجٍ يبيت عليلا
حاولتُ فلب القلب عن علل الهوى   فاجاب انك قد ضللت سبيلا
منى ابتدآ الشوق كان وختمه   بى لست عن دابى احول حوّولا
قد قاننى المولى عليه كما على   حبّ المكارم قان غبرا نّيلا
هو ذلك الحبر المهذّب خُلقه   وعليه يبدو خَلقه دِلّيلا!
الطيّب الاصل الكريم الفعل لن   تلقاه الّا مرشدا ومنيلا
يهب الجزيل وعنده كالجزل ما   يجوه جزلا غيره منفولا
المرتدى نوب العفاف مطرّزا   بتقًى يقى التحريم والتحليلا
طلق المحيا واللسان طلاقة   تَدَع الاسى من قيده محلولا
يستدرك الاشكال فصل خطابه   وبعلمه يستخرج المجهولا
فلكل ريب قصية ما زال مسئولا وللراجى ندًى مامولا
صافى السريرة حبث آيُ وفائه   لن تقبل التحريف والتبديلا
ما ان يزال اذا دنا واذا نأىْ   بَرّا نصوحا واصلا مسئولا
كانت مشورته هدى وسعادة   للمستشير ونصحه منخولا
ودعاؤه فى الضرّ اعظم عاصم   لك فاطمئنّ به وكن مكفولا
ليس المنيخ ببابه قَنِطا ولا   من يستغيث بجاهه مخذولا
مولى تحرّى الزهد فى الدنيا وقد   دانت له لو شآها تبتيلا
فنجاره ما زال ملجأً لاجئٍ   يلقى الامانى عنده والسولا
جبر الخواطر من جبارة يرتجى   وبفرعه كل الفخار انيلا

سمح الزمان بقربه لى سُبّةً ما كان احلاها وعاد بخيلا
حتى ارى قِصَر الايادى بعده ومُن آستطال بفضله مفضولا
ولقد علمتُ اوانَ كان الطرف مة صورا عليه ذلك التاويلا
مارست دهرى واختبرت صروفه فاذا به لا يستفيق غفولا
هلّا اتانى سائلا من قبل ان يقضى الفراق وكان فيه عجولا
هل من ممارٍ ان شخصا واحدا يحوى الفضائل كلّها تكميلا
ام منكر ان ليس يُذكَر سيدً مع ذكره الا وكان ضئيلا
ولئن أفض فى ذكر الآء له فاضت علىّ أمِلّ عنه طويلا
ادب واحسان وبشر دائم وسماحة تستغرق التمثيلا
ما كنت فى مدحى له بمبالغ ما فات الّا بعض ما قد قيلا
ولو استطعت لكنت انظم كل درّىّ له مدحا او التنزيلا
من حاول الاسهاب فيه فانما هو موقد وقت الضحى قنديلا
بشرى لمن يحظى بقرب جنابه ولمن يقبّل ذيله تقبيلا
ولمن له يهدى التحية والثنا والحمد والتعظيم والتبجيلا

القصيدة القمارية

جمعتنا الشيوخ ما بين اصّ وكولّ وفرشخ هو شِقصى
فى مقام جيرانه لا يبيحو ن هُناف المغلوب او بعض نبص
بعضنا شاطر وآخر غِرّ حصىّ اثنين غابن ثم لصّ

لم اقم قطّ غالبا غير ليل بات فيه للاصّ ظفرى كشِصّ
ظلّ سعدى يقوى على النحس حتى خلتنى فى القمار شيخ ابن بعص
وشريكى له نشاط الى قنص ملوك يدينها ايّ قنص
فانثنى ساحر المزوق حيرا ن عليه تاليفه متعصّى
وبه من سماته ما يحاكى بعضه خاتما وبعض كفصّ
بلغ اللعب منه ما يبلغ الجِدّ والهاه عن مداراة خِلْص
فغدا بالكلام يقرص والاصبع مَن جاد رميه كل قرص
لم يبت ليله واصبح يشكو من دُوار امصّه مع مغص
جاره ذو السزلّات وهو انا لم يبدُ منه فى الرمى خطة نقص
بعد ستّ واربعين ولم يبلغه عن بندة احتجاج بنصّ
ما عليه ان كان يَغلب او يُغلَب او لزّه الشريك بشِرص
فكره فى اختلاق اكذوبة عن ذى علاّ ما ان يجود بحِص
يسهر الليل مطرثا فاذا ما اصبح الصبح خار من فرط خَمْص
لو اطاق المسير من هذه الار ض لما حلّ غير بلدة حمص
ربما ينفع التغفّل يوما ويضرّ الانسان زائد حرص
ليس يدرى ما اللعب الا بشِعر عنه ما عاش ليس بالمتفصّى
وبشعر من شاربيه اذا حا ول شعرا ينحى عليها بنمص
واذا سامه امروٌ سهَرَ الليل اتاها من غيظه بالمقصّ
لم يدعها تطول حتى تحاكى نصّة الخود ذات صفر وعقص
من قريب يخضّب البيض منها بمدادٍ او زعفران وحُصّ
ليس ينفكّ ذا ملال وشكوى وعلى كل نعمة ذا غمص
وشريك له تربّع فى الدَست كشيخ مسائل العلم يُحصى

او كمن ينقد الدراهم للسلطان من شانه تمام التقصّى
ان يجدْ هفوة يصحْ ويولول ويُقم للجدال قيّم فحص
يبذل كالصّ بذله المال لكن ثمّ فرق فى بذل هذين اَصّى اصلى
حيث فى الاول اصطرارًا وفى الثا نى اختيارا لغير كسب ورَبْص
اخذ العلم من شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومُحْص ولحص
لا كبعض الغواة خرّيج بصّا قين كلّ اعتمالهم عن خَرْص
ليس يدرى سوى الخديعة والمكر وما يجمُل الخداع بشخص
يفرز الغالبات فى اللعب لكن يتعاطى جدّ الامور بخبص
ليس فى حارة اليهود سواه من يُجيز الحرام والحقّ يعصى
قد حكاهم فى اكله ذات ظِلْف فوق ساق وفى الدهاء الاخصّ
ان يكن غالبا تجده طروبًا ضاحكا ذا غمز وقرص ورقص
واذا فاز خصمه ودّ لو كلّ خبير سواه باللعب مخصى
ولذات الثلث يعطو بكلتا راحتيه وللثمانى بقبص
فاغرا فاه كالذى لاح ماءٌ ثم لم يروَ منه غُلّا بمصّ
ما لعمرى دهاؤك اليوم مُنجٍ لك ان كدتّ شيخنا او محصّى
قد حباك المزوّقات ولكن ليس يعفيك من نكال مغصّ
انّ بعضُ العطاء حلو شهىّ ثم من دونه مرارة عفص
يالها زمرةً قماريّةً ما عابها جهبذ ولا حبر قص
غير كون اجتماعها خارجا عن غرفتى فالحرام فيها بقَفْص
شكلها شكل بيضة ولهذا فالمعاصى من جوفها ذات فَقْص
مَن بناها اوصى بهذا وشانى كل حين امضاء عهد الموصّى

الغرفيّات

انا الوليّ على كل المفاليس وغرفتى ذى مزار للمناحيس
ياتى بهم زُحَل القوّاد سدّتها وثمّ تصرعهم ريح الكراريس

ومنها لا يدخلنّ مقامى ذو حجى ابدا فانما هو منتاب المآفيك
يلفون فيه اكاذيب المديح على زمّارة او على نذل من النُوْك

ومنها ياطالعا درجات قدرها مئةٌ الىّ ماذا ترجّى بعد ذا الدرج
ان كنت من حركات طالبا فرَجا فاننى بسكون طالب الفرج

ومنها ما زارنى الّا خليع ماجن فدع الحياء اذا حضرت حصيرى
ان الحياء اخو النفاق وما صفت دون المجون سريرة لعشير

ومنها يازائرى راسَك احْفظ من ضرب زيد وعمرو
فما بكِسرى هذا يصاب جابر كسر

ومنها ايها الزائرى لفائدة لا ترم المستحيل ما ذاك عندى
راح علمى فى طلب الجدّ والجدّ شرود فضاع علمى وجدّى

ومنها للناس نار بلا دخان ولى دخان بغير نار
فها انا اليوم منه قار ضيفى وفيه ابيت قارى

ومنها ان للصالحين معجزةً ان يجعلوا ان شآوا الضرير بصيرا
عكسُ ذا اليومَ معجزاتُ دخانى انه يجعل البصير ضريرا

ومنها تجود علىّ زوارى ولكن اكافئهم بداء وهو شانى
تُقِلّ نعالهم لى تربَ كُحْل فاكحلهم بشئٍ من دخانى

ومنها نُعَمْ لى غرفة عُلْيا ولكن باسفل سافلين هبوط نجمى
فكيف اطيق اصعد مرتقاها واحمل حمل اشجانى وهمى

ومنها من يكن مثلى رفيع الدرجات فهو اولى بمفاعيل السّراة
من معاطاة فضول الشعر فى فاعلات فاعلات فاعلات

ومنها كل زوّارى ذكور ليس فيهم من إناث
انما فى الكون من انثى ولا جنس الخِناث

ومنها قُصِرت عن الورى وامنت منهم سُبّة غَدْرا
فلا عجب اذا ما قلت صارت غرفتى قصرا

ومنها اذا زارنى مُلْو نظيرى امنته وان يك ذو جُدّ حذرتُ مِحاله
فانى أُدّرِى بالمناحيس كلهم وما فيهم مَن اجهل اليوم حاله

ومنها مَن أَوَى الى بيت مثل بيتى الحَرِج
ضاق صدره سدما وانزوى مع الهمج

ومنها ولى داخل البيت جثة قطّ وخارجه صيت فيل عظيم
وقد كنت احسب أن بالعظام تكون العظام واهل العلوم

ومنها تعالوا وافقهوا عنى ثلثا تعلّمكم مراعاة النظير
خُلاقى ثم جسمى ثم بيتى صغير فى صغير فى صغير

ومنها امسى بيتى قبرا حرجًا لكن زوارى احياء
مع انى لست ارى فيهم حيّا لى منه إحياء

ومنها اذا عصفت ريح وثارت زوابع وهدّت رعود والغيوم مواطر
ومادت زوايا غرفتى وتزلزلت علمت بان عندى يشرّف زائر

ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا اليو مَ رفيع المقام والدرجات
ان يكن مُفْلسون فليستعبروا مُدْيتى لانتحارهم او دَواتى

ومنها يقولون انى لضنك وجارىً قد رثّ شعرى وصار ركيّا

واجدرْ بشى اذا ما تبعّث من ضبق ان يكون قويّا

ومنها مُقامى بذى الغرفه لحرمان ذى الجرفه

فمن زارنى فيها فلا يرجُونّ تُرْفه

ومنها اصبحت فى غرفتى رهن الهموم فما يعتادنى غير اشجانى واوطارى

ارى لكل امرء انثى تؤانسه وليس عندى من انثى سوى النار

ومنها الا لا يطمعن احد لكونى صاحب الغرفه

بانّ لدىّ مادبةً له من فيضها غرفه

ومنها حقّ المَزُور على الزوّار انهم يُؤمّنون له فى الصدق والكذب

وما عليه لهم حقّ ولو جلبوا اليه من سبأ وسقا من الذهب

ومنها ولى حرفتان فلا احذر البطالة عندى ان ترسخا

اصوغ القوافى فى ليلتى وفى الصبح استقبل المطبخا

ومنها طبخ المحاشى رائج فى عصرنا لكنما طبخ القوافى كاسد

من اجل ذلك صرت طباخا فما انا شاعر فالشعر شى فاسد

ومنها حوت غرفتى كتبى ورزقى كله فبرنيطتى فيها عزاء وسلوان

اذا غبت عنها خلتنى افقر الورى وان جئتها اُوهمت انى سلطان

ومنها يفوح من حجرتى عَرْف الشوآ على عرف القريض ومعه عرف مَيّان

فمن يكن جائعا ينعشه اولها ومن يكن كاذبا ينعشه من الثانى

ومنها ارى فى الحلم انى سافط من مهدّم طاقتى فى مثل غار

فاصبح فى الفراش ولا قوًى لى فلست الى المعبّر ذا اضطرار

ومنها بينى وبين دخانى اُلفة نبتت ان نمت نام والا فهو لم ينم

وان يزرنى امرؤ غطّى على بصرى اذ عنده رؤية الزوّار كالسقم

ومنها لى غرفة ملأى من الكذب الذى انفقته فى مدح كل بخيل
لم يبق فيها من محلّ فارغ للزائرىّ ولا مقيل خليل

ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا فاجبتهم لا ريب فيه زور
قد محّص العرفان عن اخلاقكم وخُلاقكم فلكم بذا التعزير

ومنها اقول لزائرىّ قفوا قليلا الى ان البس الثوب القشيبا
فانى فى الخليع ارى خليعا وفى لبس القشيب أُرى اديبا

ومنها لبابى صريفٌ حين يفتح هائل يقول لزوّارى دعونى مغلقا
فهذه عُدْوَى كفكم فىّ قد سرت ولم يُعْدِكم داب افتتاحى مطلقا

ومنها كانت مقاما للكواعب غرفتى والآن صارت معدن التشبيب
ما زال فيها من عبير العشق ما هاج المحبّ الى عناق حبيب

ومنها يرانى الناس فى كِرح حقير فيحتقرون منزلتى احتقارا
فهل ياقوم عندكم المعالى علوّ مباءة تحوى حمارا

ومنها من زارنى وراى مكانى ضيقا فلبرّه صدرى يكون رحيبا
اهلا به للنار والاصلاء مع كِسَف الدخان ونعم ذاك نصيبا

ومنها طوّقت بابى بابيات منمّقة لمّا بدا عُطُلا من خير زوّارى
فصار كنز علوم غير ذى رصد تنقير اظفاره فى نقر اظفار

ومنها الا ياداخلين الىّ مهلا لاسالكم سوالا عن مزارى
اعجبكم له شكل فجئتم لتبنوا مثله دار القِمار

ومنها نعمَ المهندس مَن بنى كوخى باشكال وهندس
هو كالمثلث والمربّع والمخمس والمسدس

ومنها من جآنى تَعِبا وابصر سدّتى نسى الذى قاساه من اتعابه
فالناس تعرف من تزور اذا هم نظروا ولو لمحا الى اعتابه

ومنها لا يطلعنّ الىّ اليوم مشئوم فطالعى بضروب الشؤم موسوم
ومن يكن واحدا مثلى فليس له لطالعين احتياج قاله البوم

ومنها يحسدنى الناس على غرفتى لشبهها اعينهم ضيقا
مع انها تحوى جهازا له طول وعرض بلغا الشيقا

ومنها قرؤتُ المصر بيتا ثم بيتا فلم ارَ مثل مجاسى الشريف
يردّ الشمس انْ تدخلْه كبرا لرؤيته لها فوق الكنيف

ومنها ولى فى غرفتى ادوات طبخ على مقدار اسنانى جميعا
وان يُكَسَرْ من الادوات شىء اصاب الكسر اسنانى سريعا

ومنها ليس بالرفس فتح بابى ولا بالقرع فاعلم لكن بنقر خفيف
فهو من جوهر الزجاج لطيف لا يسنّى الا لكل لطيف

ومنها مقامى اول فى القدر لكن اتى فى الصفّ عن خطأ اخيرا
فلا تسلوا على شى سواه اذا جئتم اليه ولو كبيرا

ومنها اذا صعّدت فى درجات كوخى وجاوزت الاخيرة وهى اعسر
يخيّل لى بانى طالع كى اوذن صارخا الله اكبر

ومنها لا يرانى الناس فى غرفتى لا ارى من غرفتى الناسا
ربّنا يعلم مَن لذّ من بيننا البَيْنَ ومَن قاسى

ومنها سمّوا على منزلى قبل الدخول ولا تستعجلوا بعد فتح الباب واحتشموا
فانه حَرَم ذو حُرمة ولئن لم يُلفَ لى حرمة فيه ولا حُرَم

ومنها ان قلت سمّوا على مقامى فلست اعنى سمّا يميته
وانما القصد ان تقولوا تبارك الله عزّ صيته

ومنها لا تنظرنّ ملاوصا يازائرى من نقّب مفتاحى الى اعراضى
كالعِرْض لى عَرضى ومن ينظر الى الأعراض لم يامن من الاعراض

ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح فى بابى دليل انى موجود باثوابى
او لا فانى فى فرشى اغطّ او انى خرجت وامن الله اشعى بى

ومنها انا ساكن فى غرفتى متحرّك لزلازل العجلات تجرى تحتها
لكن بحمد الله ليس بواطئٌ من فوق راسى مَن يحاول نحتها

ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتى امورا غدا تكليفها فوق طاقتى
ارى كل يوم الف ماش مخاصرا لانثى على انى مخاصر فاقتى

ومنها لى غرفة ما شانها شى سوى ان ليس تجرى تحتها كالانهار
وغنيت عن هذا بما يجرى من العجلات تحسد مَن بها الاقمار

ومنها عجبت لكم ياقوم مع ضعف دينكم وشدة برد كيف لم تعبدوا النارا
كانى بكم تلهون عنها بحرّ من تذيقكم فى حبّها النار والعارا

ومنها شرط الزيارة من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع الشغلا
ومن يزرنى صباحا فهو فى خطر ان لا اقول له اهلا ولا سَهْلا —

ومنها راوا دخان قمينى صاعدا فجرى بالماء قوم ليطفوا سورة اللهب
فقال بعض أقَينٌ انت قلت نعم اقين شعرا وعندى معمل الكذب

الفراقيات

خليلىّ لا تستنكرا عائل الوجد اذا كنتما ممن درى لاذع البعد
ولا تعذلانى فى الغرام فاننى على غير ما اهوى غريم له وحدى
ومن ذا الذى يرضى البلاء لنفسه وتزكو له حال مع الحزن والسهد

وهل ينعمَنْ عيشًا مكابدُ وحشةٍ مشتّت شمل ضائع السعي والقصد
ناى سُكُنى عني وعوّضت عنهم بجيرة مقت ليس قربهم يجدى
كانّ زمانى شاءَ فى كل حالة يرانى فردا يالشانى من فرد
فماضى نعيمى لم يكن من مضارع له حيث هم فى الحسن جلّوا عن الندّ
فماذا دهانى بعد حظّ غنمته وقد كنت فى عيش بقربهم رغد
وماذا على الايام لو كان طُولها له لا سواد من مطالعها يُعدى
افى الناس مثلى فى مقامٍ فوادُهُ وفى غيره جُثمانه واجدُ الفقد
وغيرى اراه فاقدَ الوجد وهو فى نعيمٍ له جَدّ مُعين بلا جِدْ
وهل فى سبيل الله راحم لوعة تعاودنى لا بل غرتنى كالجِلد
وهل مبلغ عنى النسيم تحية اليهم وما بى من غرام لهم يبدى
اهيم بما كانت تراه احبّتى وان يكُ من بعض الجماد او الضد
والهجِ بالقول الذى لهجوا به فتذكاره ذكرى وايراده وِرْدى
يحقّ لى التشبيب ما دمت شاعرا بهم لا بهند او بميّة او دعد
ولو لم يكن لى مطمع فى لقآئهم لآثرت توسيدى مذ اليوم فى لحدى
ولكننى ارجو زمانا يسرّنى بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
يقولون لى صبرًا وكيف تصبّرى ولست الى نور التبصّر استهدى
لعمرك سلطان الهوى قاهرٌ فما نجا من مغاويه الرشيد ولا المهدى
الا ليت دمعى حيث هم واقفون قد جرى ولدى اقدامهم قام كالسد
فيمنعهم عن ان يسيروا ويبعدوا فحسبى من سير وحسبى من بُعد
احبابنا هل ودّكم بعدُ سالمٌ وهل انتم باقون مثلى على العهد
ارى بكم الدنيا ولست اراكمُ بها انّ شانى اليومَ حَيْرة ذى الرشد
اتى العيد بالافراح للناس كلهم وما اعتادنى فيه سوى الهمّ والنكْد

وما لى لا اشكو وقد طال بُعدُكم ... وما بيننا ما ليس يُبلَغ بالوخد
وماذا الذى ارجوه بعد فراقكم ... وعندى استوى شأنا الترفه والجَهْد
فياحبذا عيد انبعاثى اليكم ... كما يُبعَث الطيرُ الغليل الى الوِرْد
ولو زارنى قبل اللقآء خيالكم ... وعانقته ليلاً فذلك من جدّى
اذا نظرت عينى البريد فانّ لى ... لَقلبًا من الايجاس يخفق كالبند
فان كان لى منكم كتابٌ لثمته ... واقررته من بعد ذاك على كبدى
فما كان من آثاركم فهو مؤثر ... على العين والعِينين والعَين والنقد
فليس سواه اليوم عندى تعلّة ... وما غيره الفى لحرّى من برد
وان لم يكن تجر الدموع لما جرى ... وارتدّ عند كالعديم عن الرفد

وقال

اوَ ما كفانى اليوم طول تنآء ... عمّن احبّ ولاتَ حينَ لقاء
ياراحلين وفى الفواد مقامهم ... كم ذا اقول سكنتم احشآى
ولكم اعاتب سوء حظى فيكم ... لكن دهرى لا يجيب ندآى
سافرتمْ للبرء مما نالكم ... فمتى يكون بقربكم ابرآى
ومتى يتيح لى الزمان لقآكم ... ويكفّ كفّ البين عن ايذاى
شرّقتم فانا بغُصّة غربتى ... فى الغرب ذو شَرَقٍ وذو اشجآء
يامن يرقّ لذى جراحٍ مدنفٍ ... انا ذو الجراح ملازم الادوآء
فَصِفَنّ لى ما انت واصفه لمن ... اشفى وكن فطنا الى الاشفآء
لا يغررنّك ما ترى من بزّتى ... تحت القشيب طهاملُ الاعضآء

الطَهْمَل الذى لا يوجد له حجم اذا مسّ

انا والذى يحيى ويفنى لست فى الهلكى أُعَدّ ولا مع الاحياء

انا ان سلت عنى الاحبّة لم اكن اسلوهم فى البؤس والضرّآ
انى على ما بى ارقّ لعاشق مثلى وان هو كان من اعدآى
ما البعد يخمد نار شوقى انما بُعْد الغزالة علّة الاحمآء
ما ان يحلّ حشاشتى من بعدهم حبٌّ وليس يحلّ نسخ وفآى
حال الورى طُرًّا تحول وحالتى هى ما تَرَى فى غدوتى ومسآى
الدمع موقوف على جَرَيانه والعين مُعفاةٌ من الاغفآء
وارى الذى مثلى بكى من فرقة مع من مناه بُعده ببكآء
عجبا لدهرى لم يزل بى مُبْصرا وصناى وارانى عن الرقبآء
عجبا لدمعى مدنفى استحمامُهُ والناس يشفيهم حميم المآء
عجبا لعمرى كيف طال من النوى والارض ضاقت عن مدار رجآى
عجبا لليل الناس يسرع صبحه وصباح ليلى دائم الابطآ
تبنى الرجآء خواطرى فيه على اسّ المحال فبئس اسّ بنآء
ويخيّل الشوق المقيم باضلعى لى اننى مُغْف وهم صجعآى
حتى اذا اصبحتُ بانتْ انها لى لم تكن الآحبالُ هبآء
يااهل ودّى ليس من دآى لكم عَدْوَى فعودوا وأْمنوا من دآى
سقمى من الطرف السقيم ومنحلى الخصر النحيل عَداكمُ اِعداى
ما ان اكلفكم سوى ذكر اسم مَن اهوى فحسبى ذاك عن اِسمآء
لوكان يجدى الفال كنتُ اليوم من احظى الانام واسعد السعدآ
اذ كل غاد باسمهم متفتوَّةً ام ذاك وسواس الهوى الغوّآ
ام بعض ماذا الوجدُ يوجد أنّه يُلْهى بمعدوم من الاشيآ
باليت قلب الناس لى او جُدّهم ان عزّ ظعنٌ فالتزام عزآء

اوليت احبابى بما بى قد دروا فيسارعوا شفقا الى انجاى

حاشاهم ان يهجروا كلفا بهم يكفيه ما يلقى من الاقصاء

ومع النوى يرى النوى سهلا كما ان الدنو مع الجفو تنائى

لهفى على زمن تولى وانقضى معه السرور لديهم وهناى

فلاى بث بعدها ورزيئة ابقتنى الايام شر بقاء

كيف التصبر للفراق وما ترى عينى شبيههم من الارناء

ان اشك لم اجد آمرا لى مشكيا وشماتة المشكين شر بلاء

واذا سكت توهم السلوان بى الرآى وذلك دون فعل الرآى

ياليت شعرى ما امال احبتى عنى من التحذير والاغراء

بخلوا على بنفحة من فيهم تاتى الصبا نحوى بها لشفاى

انى استمر حديد قلبهم على نار الهوى بنى لم يلن لدعاى

العلهم وجدوا على ملامة فارتهم الحسنى من الاسواء

هبنى اسات فها انا مستغفر والعفو مامول من الكرماء

برئى عليهم هين وهو الرضى سيان فيه من دنا والناى

ان لم يصرح فيه قول فلينب اضمار ذكر عنه فهو كفاى

انى بحسن القصد منكم قانع ولئن يكن قد فاتنى ارضاى

وقال فى المعنى

اتانى كتاب من خليل منمق على كل حرف منه حسن ورونق

تنشقت وجدا اذ تنشيت عرفه ولم لا ومنه عاطر الورد بعبق

فياحبّذا ذاك العبير وحبذا　　نسيم به نحوى التباشير بسبق

الى الله اشكو ما لقيت من النوى　　وحرّ جوى كادت به النفس تزهق

اقمت واحبابى ابرّوا وابحروا　　على غير ما اهوى وشملى مفرّق

فما زلت مذ بانوا حليف صبابة　　اذا حان سُبْح كدت بالدمع اغرق

ففى قلبى الماسور ادّخر الهوى　　ومن طرفى المسجور دمعى انفق

كئيب نحيل واجدٌ متشوّق　　غريب عليل فاقد متشوّق

ولست بذى صبر فيؤمّل اجرُه　　ولست بذى سلوى اليه موفق

وليس بمأمون زمانى على اللقا　　وهل يؤخذنْ يوما على الدهر موثق

احنّ الى لقياهم متلهّفا　　اذا ما سميرى النجم لاح واقلق

وان ذرّ قرن الشمس اوهمتُ انها　　تبلّغنى عنهم سلاما وتنطق

فانى ارى فيها علامات حسنهم　　وفى كل حسن ذكرُ ما القلب يعشق

اعلّل قلبا بالامانى هائما　　ولم يبقَ فيه للتمنّى مصدّق

يطير اشتياقًا بى اليهم واننى　　اسير هوى فيهم ببينى موثق

ويخفق من ذكراسمهم فكانما　　يخيّل لى ان مضجعى منه يخفق

واسكبُ دمعا كان يجرى بقربهم　　فكيف وباب الوصل دونى مغلق

متى يجمع الله المحبّين ساعة　　وجيب النوى بعد الوصال تمزق

وربّ بعاد كان منه دوام ما　　يؤمّل من قرب الاحبّة شيّق

فلله اسرار يعزّ بيانها　　وللدهر اطوار تسوء وتونق

هذا المعنى مسروق من الفارياقية وقد تقدّمت الاشارة اليه

وقال

امودّعى والدمع كاد يحولُ　　ما بيننا ولظى الغرام تهولُ

كيف التصبّر بعد بُعْدك موحشا　　وبقيتُ لا اربٌ ولا مامول

فد كان يشجينى غيابك ساعةً واخال ان قد عزّ منك قفول
والآن غبتُ على حساب صبابتى دهرًا فليل المبتلّين طويل
إن تنسَني اذكُرك او ان تشجنى اشكرك لست الدهرَ عنك احول
ياليت طيفك فى الكرى يعتادنى او كان يغفى الطرف حين أُلَيِّل
فَلَزورةً منه احبّ الىّ من لذّات وصلٍ من سواك يطول
أُذهِلتُ فى حُبّيك عن أَلَم النوى ولقد يريح العاشقين ذهول
انسانُ عينى انت جُبْرٍ ومهجةً للقلب ما لهما لدىّ بديل
لوفى رضاك بذلتُ كل جوارحى كنتُ الضنينَ وما بذلتُ قليل
القاك فى كل الجمال مصوّرًا فيطول فيه منى التأميل
واذا سمعتُ بمفرد فى حسنه ايقنتُ فى هذا لك التاويل
وأَبيتُ اسال عنك سيّار الدُجَى لو كان ينفع سائلا مسئول
يافاتنى بدلاله لم يبقَ لى فى العيش بعدك بَتّةً تعليل
ما كان غيرك مالئًا طرفى ولا اعتقدَ الضمير بأَنْ سواك جميل
واذا الورى شغلتهم دنياهمُ فانا الذى بك دائما مشغول
فيك الدليل على توحّد مبدعٍ ان عزّ عند الفلسفىّ دليل
ارسلتُ دمعى مع كتابى عالمًا ان لا ينوب عن الحبيب رسول
ياعاذلىّ على الهوى لا تعذلوا فبلاىَ هذا اصله التعجيل
سبق الفوادُ الطرفَ منى فى الهوى فهويت فيه فعاذلى معذول
اسفًا على وقت الوصال فيا تُرَى للبين يغدو مثله تاجيل
لولا ادّكار نعيمه لقضيتُ من وجدٍ فكم بالوجد طُلّ قتيل
ساعُ التعانق ليس ينسى ذكرَها وخطورُها بالبال قطّ حؤول
ولربّ يوم مسرّةٍ يغنيك عن عمر باكدار البعاد يطول

فلأفطمنّ النفس عن لذّاتها   وليشجني بعد الغناء عويل
يامنكرًا لحقيقة الغول اعتقدْ   انّ النوى هي في الحقيقة غول
من لم يَذُقْ أَلَم الفراق فما له   يومًا الى عتب الزمان سبيل
فلكل رزء غيره سلوى لذى   رشد وطبٌّ بالعزاء كفيل
يالوعةَ الشوق اسكني في مهجتي   ما فاتني ممّن احبّ وصول
خفقانُ قلبي من سكونكِ دائم   ولعلّ عن كثَبٍ بلاىَ يزول

هذا ما انتهى الينا من اخبار الفارياق * مما اقتضى الان ايداعه بطون الاوراق * فمن شاء ان يدعو له او عليه فجزاؤه يوم تلتف الساق بالساق * ويقال الى ربك يومئذ المساق * فامّا من دعا له بعود زواجه هذه المرة وفي الحياة ارماق * فاني اضمن له ان يدعوه الى مادبة حولها وفيها كل ما شاق وراق * مما ذكر في هذا الكتاب بالانتساق

على سرر

واطباق

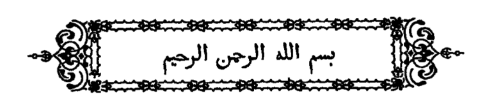


الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق فى ما هو
الفارياق ويتلوه الجزء الثانى بعد رجم
المولف او صلبه بمن الله
وكرمه امين

*



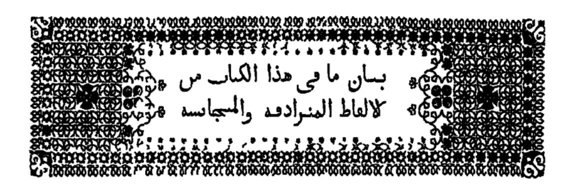


بسم الله الرحمن الرحيم

ياسيدى الشيخ محمد ياسيدنا المطران بطرس ياابونا حنا ياابونا منقريوس ياصير ابراهام يامستر نكتن ياهر شميط ياسنيور جوزبّى هادينى انا عملت الكتاب دى يعنى الّفته لا طبعته ولا جلّدته وحطّيته بين اياديكم انا اعرف طيّب ان سيدى الشيخ محمد يضحك منه اذا كان يقراه لانه يعرف من روحه انه يقدر يعمل احسن منه ولانه يعتقد انه شى فارغ وان كنت مليته بالحروف لكن سيدنا وابونا وصيرنا ما يقدروش بل ما يقدروش يفهموه وعلى شان دى اطلب منهم انهم قبل ما يولّعوا النار حتى يحرقوه يسالوا عن الطيّب فيه وعن غير الطيّب فان كان الطيّب انقل يخلّوه لى والا يحرقوه بجلده واذا كانوا يجدوا فيه بعض هفوات فما يكونش من العدل انهم يحرقوه لان كل واحد منا فيه هفوات كثيرة والله تعالى لا يحرّقنا بنار جهنم بسببها ياابونا حنّا انا اطلبلك انى ما ابغضكش ولكن ابغض تكبّرك وجهلك لانى لما اسلّم عليك تلقمنى ايدك حتى ابوسها فكيف ابوسها وانت جاهل وعمرك كله ما عملت كتاب ولا موّال روحى ياسيدى الشيخ محمد انا اعرف ان كتب الفقه والنحو اجلّ من كتابى دى لان الواحد لما يقرا كتاب من دول يقطّب وجهه ويعبّس حتى يقدر يفهم معناه ومعلومك ان الهيبة والجلالة ما تكونش الا فى

التعبيس ولكن كتب الفقه ما تهولش ان الضحك حرام او مكروه
وانت ما شا الله كيّس لبيب قريت من كتب الادب اكثر مما اكل
سيدنا المطران بطرس من الفراخ المقمّرة وفي كل كتاب ادب ترى باب
مخصوص للمجون فلو كان المجون ضدّ الادب ما كانوا دخّلوه فيها
واهون ما يكون عليّ ان اقول في آخر كتابي دي زيّ ما قال غيري
ومن الله استغفر عما طغى به القلم وزلّت به القدم فنحن دي الوقت
والحمد لله صلح فاما مسيو ومستر وهر وسنيور فما همّاش ملزومين ان
يطبعوا كتابي لان كلامي ما هوش على البقر والحمير والاسود
والنمور بل هو على الناس بني ادم ولكن
هذا هو والله اعلم سب
عيطكم مني





-o-o-o-



ذب الكذاب

بنتظم به الى اغلاط الروس العظام الاساتيذ الكرام مدرسى اللغات العربية في مدارس باريس

قال الكسندر شذزكو (Alexandre Chodzko) في فاتحة كتاب الّفه في نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته « حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل » على كل ما يلزم لعلم اللغات الشرقية اذ فيها خزائن كتب ومدارس » وعلماء جديرون بادارتها حتى انه باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق » بها من الفلسفة والتاريخ اصبح استاذ الفرس ومعلّم العرب وبراهمىّ الهند » وبهم افتقار الى ان يتعلموا من اساتيذنا كثيرا » (انتهى) وانا اقول ان هذه الدعوى كذب ومين وافك وافتراء وترّهة وتزوير وبهتان وابعاط وشحط وشطط وفُرط وهتر وعضيهة واختلاق ورغو وترهّو ونصلّف وتربّب * وان قائلها ينبغي ان يدمج مع من جهلوا انفسهم في فصل حدنبدى لانه جهل نفسه بل حمل غيره ايضا على الجهل بنفسه * اما اوّلا فلانه اى قائل هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقية ولا يعرف مقدار ما نتوى منها هولاء الاساتيذ حتى يشهد لهم بالفضل والبراعة * وانه في نقله للرسائل الفارسية

الفارسية والعربية * ولغفلته يظن ان مشايخ مصر واساتيذ الفرس محتاجون
الان الى اخذ العلم عن اصحابك * ومتى تهوّر احد هولآء الوجوه فى ضلال
تهوّرت معه الرعية باسرها * فاما قولك ان فى البلاد الافرنجية خزائن
كتب كثيرة * كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد فى
بلادنا * لان نوّاب الدول لا يزالون يشترون من بلادنا انفس الكتب *
فهو ليس بدليل على وجود العلم عند وجود الكتب * فاين حمل الاسفار
هداك الله من العلم * لان العلم فى الصدور لا فى السطور * ولكن افدنى
ما بال هولآء الاساتيذ لم يولّفوا فى اللغات الشرقية شيا قطّ * فغاية ما
صنعوا انما هو ان احدهم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فخمّن فيها
وحدس ما شآ * واخر ترجم محاورة يهودى سمسار واحق من التجار *
وآخر مسخ امثال لقمن الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف فى الجزائر *
وآخر تعنّى لطبع اقوال سخيفة من رعاع العامة فى مصر والشام * وترك ما
فيها من اللحن والفساد كما هو استذراعا بقوله كذا رايتها فى الاصل *
فيظن بذلك انه تنصل من تبعة اللوم والتفنيد * فما سبب هذا التهافت
على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة
الفرنساوية سوى توحّم ملفقيها على الانخراط فى سلك المولفين * ولمَ
لم يتعنّ احد منهم لترجمة شى من الكتب الفرنساوية الى العربية ليظهر
براعته فى هذه حالة كونه شيخ طلبتها وإمام آمّيها * على ان فى اللغة
الفرنساوية كتبا جليلة القدر فى كل فن * واعجب من ذلك انه لم يخطر
ببال احد منهم قطّ ان يترجم نحو لغتهم الى لغتنا * فهل من سبب اخر
غير التحذّر من ان يعرّضوا انفسهم للتحميق والتفنيد والتحمير * فان
عبارة النحاة والمعرّبين لا بدّ من ان تكون محرّرة صحيحة ولا عذر

لهم معها ان يقولوا كذا وجدناه في الاصل * ويا ليت شعري ما الفائدة
في كون احد هولآء الاساتيذ يولّف كلاما معسلطا فاسدا في لغة اهل
حلب ويسمّيه نحوا * ثم يذكر فيه انجق بيكفي وايشلون كيفك خيّو
وهلكتاب وقوي طيب * وفي كون آخر يكتب بلسان اهل الجزائر كان
في واحد الدار طوبات بالزاف الطوبات كشافوا وكيناكل وراهي وانتينا
وانتيّا ونقجم وخمّم باش وواسيت شغل المهابل ويوالم اي يلائم وماجي
اي جاء وكلّي اي كانّه وحرامي اي بستاني والستّاش اي السادس
والدجاجة ترجع تولّد زوج عظمات وما اشبه ذلك من المشوّ * فما بالكم
يااساتيذ لا تولّفون كتبا بكلامكم الفاسد الذي تسمونه پتوي * وهل
تشيرون على عربيّ اقام بمرسيلية مثلا ان يتعلم كلام اهلها او كلام اهل
باريس * ولو كان فعلكم هذا فعل رشيد لوجب ان تقيدوا جميع
الاختلافات والفروق الموجودة عند المتكلمين بالعربية * فان اهل الشام
يستعملون الفاظا لا يستعملها اهل مصر * وقس على ذلك سائر البلاد
الاسلامية * بل ان لاهل صقع واحد اصطلاحات شتى * فكلام اهل بيروت
مثلا مخالف لكلام اهل جبل لبنان * وكلام هولآء مخالف لكلام اهل
دمشق * وذلك يفضي بكم الى الهوس والى افساد هذه اللغة الشريفة
التي من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد قارّة الاساليب
على انقراض جميع ما عداها من اللغات القديمة * وان المولفين فيها
يومنا هذا لا يقصّرون عن اسلافهم الذين انقرضوا مذ الف ومايتي سنة *
فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحيلوها وتلحقوها بلغتكم التي
لا تفهمون ما الّف فيها مذ ثلثمائة سنة * ويا ليت شعري هل تاذن
ارباب السياسة عندكم لرجل اراد ان يفتح مكتبا يعلّم فيه الصبيان في ان

يتعاطى ذلك من دون ان يُمتحن اوّلا * فمن الذى امتحنكم انتم ووجدكم اهلا لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب * ومن ذا الذى عارض ما ترجمتم ولفّقتم ورمّقتم بالمترجم منه * وكيف رُخّص لكم فى ان تطبعوا ذلك من دون الوقوف على صحته * ولعمرى ان مدرسا لا يحسن ان يكتب سطرا واحدا صحيحا باللغة التى يعلّمها لجدير بان يرجع الى المكتب من ذى أُنُف * على ان من هولآ الاساتيذ من لا يفهم اذا خوطب فضلا عن جهل التاليف * ولا يفهم اذا قرا * ولا يقوّم الالفاظ فى القرآة * وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرا على شيخه فى مقامات الحريرى ولا يكاد ينطق بحرف واحد نطقا بيّنا من هذه الحروف التى خلت منها لغتهم * وهى الثآ والحآ والخآ والذال والصاد والضاد والطا والظا والعين والغين والقاف والهآ * وشيخه ساكت لما انه يعلم ان تصحيحه له لا يكون الّا فاسدا * فكيف يمكن لمن لم يسمع اللغة من اهلها ان يحسن النطق بها * كيف لا وان من الّف منهم فى نحو لغتنا شيا فانما بنى نحوه كله على فساد * فانهم يترجمون عن الجيم بلساننا بحرفى الدال والجيم بلسانهم * وقد جهلوا انه ليس عندنا فى العربية حروف مركبة كما فى اليونانية * فان الابتدآء بالساكن مرفوض عند العرب اذا لم نقل انه ممتنع * ويترجمون عن الثآء بالتآ والسين وعن الذال بالتآ والزاى وكذا عن الظآء * فاما سائر الحروف فالعين والهآ والحآء عندهم همزة والخا كاف والصاد سين والضاد دال والطآء تآء والقاف كاف * وينطقون بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاى وعلى ذلك قول ذلك المطران الخطيب اقطعوا الازباب كما مرّ * فاما الهمزة فانها وان وقعت عندهم فى اوائل الالفاظ فلا تقع متوسطة ولا متطرفة ولا يمكنهم النطق بها الا

مليّنة * بل اعظم مولفيهم لا يدرى ان الالف فى اول الكلام لا تكون الا همزة * وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همّازون * وانما الغرض ان ابيّن لهذا الرملىّ الهارف المتملّق مناصلة عن شيوخى الذين اخذت عنهم من العلم ما اخذت ان شيوخه لا يُحسَبون فى عداد العلمآء * وانه ليس من علمآء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد مَن هو محتاج لاخذ حرف واحد عنهم * نعم انّ لهم باعًا طويلا فى التاريخ فيعرفون مثلا ان ابا تمام والبحترى كانا متعاصرين * وان الثانى اخذ عن الاول * وان المتنبى كان متاخّرا عنهما * وان الحريرى الّف خمسين مقامة حذا بها حذو البديع وما اشبه ذلك * الا انهم لا يفهمون كتبهم * ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه * وثبته من مصنوعه * ولا المحسنات اللفظية والمعنوية * ولا الدقائق اللغوية * ولا النكات الادبية ولا النحوية * ولا الاصطلاحات الشعرية * فغاية ما يقال انهم نتفوا نتفة من علوم العرب بواسطة كتب الّفت بالفرنساوية * فهل يسلّمون لعربىّ تعلّم لغتهم من كتب لغته بانه كعلمائهم وانهم محتاجون الى التخرّج عنه * ثم لا ينكر ايضا ان مسيو دساسى (De Sacy) حصّل بقوة اجتهاده ما اقدره على فهم كثير من كتبنا بل على الانشآء فى لغتنا ايضا * ولكن ما كلّ بيضآء شحمة * على انه رحمه الله لا يُنظَم فى سلك العلمآء المحرّرين * فقد فاته اشيآء كثيرة فى الادب واللغة والعروض * وانى طالما والله انثنيت على براعته واعظمت علمه وفضله * الا انه لما صارت مهارته وبراعته هذه سببا للفساد فانها هى التى جرّأت غيره على التصدّر للتدريس بلغتنا وسوّلت لهذا المفترى ان يتطاول على اهل العلم * كان من الواجب علىّ رعايةً لحقّ العلم واهله ان أُسطر اسمه من بين اسمآء الشيوخ فى البلاد الاسلامية كافّة * قدعا لمن تترس باسمه

واستذرع بعلمه عن الدعوى والانتحال * ولولا فحش قول هذا النقّاع
المتحذلق وكذب دعواه لما تعرّضت لتخطئة احد منهم * فانى اعلم انهم
لن يرعووا عن غيّهم وما يزيدهم كلامى هذا الا غرورا * بل الشيوخ الذين
قضوا عمرهم فى طلب العلم يتورّعون من ان يقولوا مقالته * لان الانسان
كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله * ولعل كتابى هذا يقع فى يد استاذ
فارسىّ او هندى فيكون باعثا لهما على الانتداب لتخطئتهم ايضا فى
هاتين اللغتين * لانى اعلم عين اليقين انهم فيهما اشد جهلا * لان الذين
سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من الذين سافروا الى غيرها * ومع ذلك
فلم يتعلّموا منها سوى الركاكة والخطل * واعلم ايها القارى العربى انى لم
اجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا جديرا بالانتقاد سوى مقامات
الحريرى * وانى لضيق وقتى حالة كونى على جناح السفر لم يمكن لى
النظر الا فى ابيات الشرح فقط * وقد وكلت غيرى فى نقد الباقى
كما وكلنى العلماء فى نقد الابيات * ثم عثرت بعد ذلك برحلة العالم
الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسى مطبوعة على الحجر عن خط
مسيو بيرون وقد شحنها كلها بالتحريف والغلط مما لا تصح نسبته الى
ادنى تلامذة الشيخ المذكور * ايمكن لاحد من الطلبة فضلا عن
العالم ان يقول جوده ناسخ لكل الوجود اى لكل الجود - وان يكتب العصا
بالياء غير مرة - واعلى افعل التفضيل بالالف نحو عشرين مرة - ونجا باليا -
واتعمى العالمون عن الضيآ اى ايعمى العالمون - وامنين مطمئنين حالة
كونهما مرفوعين - وفلاحين مصر - ومحمودين السيرة - واستوزر الفقيهَ مالك -
ولا يعصا - ولا ارى سوء رايك اى لا ارى سوى رايك - ويتعدّا رايه - وانبى
عشر ملك - ومن حيث ان ابا ديما والتكنياوى متعادلين لمَ اى متعادلان فلمَ -

وتجد الرجال والنسآ حسان - ودُعَى لنا - وعجوبة - وصواحبتها وصواحباتها - ولغة فيها حماس - وانهما متقاربتى المعنى - وحتىٰ تاتى ارباب الماشية فيقبضون - فهل احدى منكم - ويرفعون اصواتهم بذلك حتى يدخلون - وماشيِّن - والمسمّيين - وحتى يشقون - ومنحنيون - وانهم يكونوا - ولا اعتاض - اى لآعتاض * او انه يجهل بحور الشعر فيجعل الكامل هزجا والطويل مديدا وما اشبه ذلك * ومن العجب ان الشيخ الموما اليه اورد هذين البيتين وهما

ادرك الايام يوم قيل لى هذه طيبة هذى الكُتُبُ
هذه روضة طٰه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

قال والياء فى هذى بدل عن الهآء * فلما قراهما بعض التلامذة على مسيو كسّان دُ برسُقال (Caussin De Perceval) احد المدرّسين العظام اصلح قوله طٰه بوطّا وفسرها بوطأ الرجل * وابدل الهآء من قوله هذه الزرقا يآء وذلك لقول الشيخ واليآء فى هذى بدل عن الهآء فانكسر الوزن * وترك لفظة الزرقا غير مصححة فان مسيو پيرون وضع بعد الالف همزة فانكسر بها الوزن ايضا * وحق وطا ان تكتب بغير الف * فانظر الى الناقل والمصحح والى هذا التخليط وتعجّب *

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ العربية فى نقل الرسائل الفارسيّة فى كتاب الشيخ الكسندر سدركو الرملى (Alexandre Chodzko)

صفحه	سطر		
١٩٢	١	فى ما	صوابه فيما كما هو باصله *
—	٤	التيام	صوابه التئام كما فى الاصل *

صفحه	سطر		
١٩٢	٩	شخامت	صوابه شهامت كما فى الاصل *
—	٢٢	به مملكث	صوابه بمملكت كما فى الاصل *
١٩٣	٠٦	عظّام	صوابه عظام كما فى الاصل *
—	١٧	استحضار	صوابه استحضار كما فى الاصل *
١٩٦	٢٣	جناب اقدسى الهى	صوابه جناب اقدس الهى كما فى الاصل
—	٢٦	خلافا الاخفش	صوابه خلافا للاخفش كما فى الاصل *
١٩٧	٤	براءُ الساعة	صوابه برءُ الساعة كما فى الاصل *
١٩٨	—	قانع صفصف	صوابه قاع صفصف وقد تقدم ذكر ذلك *
٢٠٠	—	(اول الرسالة) ومبارك سلطانه	صوابه وتبارك ليقابل قوله اوّلاً تعالى شانه *
٢٠١	١٨	مولات	صوابه موالات *

على انى لم انتقصّ معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ الغرض اظهار كذب هذا المدّعى وفيما اوردته كفاية *

جدول اغلاط ابيات الشواهد فى مقامات الحريرى التى طبعت ثانية بعد وفاة دساسى (De Sacy) بتصحيح الشيخين الجليلين رينو ودرنبورغ (Reinaud et Darenbourg) وذلك سنة ١٨٤٧ فاما غلط الشرح فاكثر من ان يعدّ

صفحه	سطر		
٥	١	تُرب فى موضعين والصواب بالضم *	
—	٤	المجلَس	وصوابه بالكسر *
—	١٠	غضاباً	صوابه بغير تنوين لانه وقع قافية *

صفحه	سطر		
ح	۴	قالوا العواذل	الوجه قال العواذل فان العواذل جمع عاذلة *
—	۹	خُدَرت	والوجه خَدِرَت *
—	۱۳	فی النثر ذمیما	والصواب دمیما *
	۱۰	فی صفحة العنوان تکتب	ولاعرف نکتب *
٦	..	وان اصدق بيت	لاظهر احسن بيت *
١١	١٧	الكرا	والوجه الكَرَى لانه يآتي *
١٨	..	نتّى	لاعرف نَنَى *
٤١	..	فيُظلموني	حقه فيُظلموني *
٤٩	١٧	ياطلحَ اكرمُ من	والوجه اكرمَ من
٥١	١٥	فانه بَنَثٍ	والوجه يَنُثّ *
٥٢	..	اقترحتُ العشآء عليه يوما	وصوابه اقترحت العشآء يوما عليه *
—	..	قال لِيَ ٱلعشا	والوجه لى العشا لانه اخرج مخرج الامثال فلا تتغير كقوله الصيفَ ضيّعتِ اللبن *
٦٩	..	مبّراه	وصوابه مُبرّا *
٧٠	..	نراه	وحقه تراه *
٧١	..	احسنُ من	وصوابه احسنَ لانه خبر ليس *
٧٥	١٣	نيل المنا	وصوابه المُنَى لانه جمع مُنية *
٧٦	١٠	الأفلاس	وصوابه الإفلاس *
—	١٢	في عُسْروفي يُسَر	وصوابه ويُسُر *
٧٨	٢١	سَلْمًا	صوابه سلّما بغير تنوين لوقوعه قافية *
٨٠	٨	في ما	الوجه فيما *
—	—	سبيلَ	صوابه سبيلُ ومثله دليل في البيت الثاني *

صفحه	سطر		
٨٢	..	رَكِدَ	صوابه رُكُدُ *
٨٤	..	وكونٌ	حقه بغير تنوين *
٨٦	١٠	جُمّة	صوابه جُمّة *
—	—	امرءٍ	الوجه امرأً *
—	١٧	فانياً	صوابه فانيا بلا تنوين *

٨٩ ومن يلقَ ما لاقيت لا بد يارقُ ارقتُ فلم تخدع بعيني نعسةٌ
والصواب تقديم المصراع الثانى وتاخير الاول والعجب ان هذه النعسة اغمضت عين كل من دساسى ومن هذين الشيخين الجليلين فهل سمعتم يامعاشر العرب ويااٰمة الثقلين ان الفعل المضارع يقع عروضا من غير تصريع وان التنوين فى نعسة وامثالها نحو تعسة وجقة وحبقة وساحة وفقحة يقع قافية اليس قوله ومن يلقَ مفرّعا على المصراع الاول ومخرجا مخرج المثل *

٩٢	١٩	البلاقعَ	صوابه البلاقعا بالاطلاق لكونه قافية *
٩٣	١٣	بدنَا	صوابه بدنا بغير تنوين وهلاّ انتبه المدرسون لذلك بقوله فى العروض أنا *
٩٦	٢٢	اليهُم	ما سبب هذا التبلتع*
١١٠	١٨*	يغدوا	صوابه يَغْدو وفيه مهمومٍ ومهدومٍ وكلثومٍ والصواب حذف التنوين منها *
١١١	٧	ارءف	حقه أرْأَف *
—	٦	نـنةُ	صوابه آبْنة *
—	١١	مجذب	صوابه مجدب *
١١٣	١٧	مراحًا ـ مفاحًا	صوابه بغير تنوين *

صفحة	سطر		
١١٥	..	متيّمُ اثرُها	صوابه اثرُها اذ كيف يصح نسبة التتيّم للاثر واعجب من ذلك تنوين متبول ومكبول فكيف تغفلون يااساتيذ بالغول ارايتم كيف يُوقع التحذلق فى المخازى مع ان قصيدة كعب اشهر من نار على علم *
١٢٣	١١	شيْا	والصواب شيًّا ليوافق قوله يديًّا وحيًّا *
١٢٤	..	الآدِبُ	والصواب الآدبَ لانه مفعول لقوله لا ترى *
١٢٥	..		جميع قوافى القصيدة المسمّطة ينبغى ان تكون مقيدة
١٣٢	..	دَنى	الوجه دنا لكونه واويًّا *
١٣٤	٥	كتمانى	صوابه كتمانِ *
١٣٧	..	ناصبِ	صوابه ناصبِ *
١٤٦	١٦	نُثنى	صوابه نَثنى *
١٤٧	..	أَسْفار	صوابه أَشْفار فما للأسفار هنا وللعين ياايها المبصرون *
١٥٢	..	حسرانًا	صوابه حسرانا بغير تنوين *
١٥٨	١٦	صُناعة	صوابه بالكسر *
—	٢٥	مظهرًا	صوابه بغير تنوين *
١٥٩	٢٦	سَنّا	صوابه سُنّى *
١٦٩	١٢	ورُبّتْ	حقه وربّتَ *
١٧٤	١٣	خُمْسَ كفّك	صوابه خَمْس *
١٧٧	..	بكور	صوابه بالضم وفيه ايضا تشميتًا وصوابه بغير تنوين
١٧٩	..	فى الدعوةِ — الى الجفوةِ	والصواب الوقوف على الهاء *
١٨٣	١٧	خَيارهم	صوابه بالكسر *
—	١٨	تَسْئَلْ فَسَلْ	الوجه تسأَلْ وَسَلْ *

صفحه	سطر		
١٨٣	٢١	وضُحبه	صوابه بالفتح *
١٨٥	١٣	المنطَق	صوابه بالكسر *
—	١٦	عنه	الوجه منه *
١٨٩	..	البَصرِ	الوجه البَصَرّ *
—	..	نجئُ مكررة مرتين	صوابه تجئُ *
—	..	فطورا	صوابه وطورا *
—	—	بحميئة	صوابه بحماه *
١٩٥	١٣	دنی	صوابه دنا *
١٩٩	..	المِشتاة	صوابه الفتح *
—	..	ينتقرُ	صوابه ينتفرْ *
٢٠٤	٧	جُمَّة	صوابه جُمّة *
—	..	غمامٍ ــ زنامٍ	صوابه بغير تنوين *
٢١	١٢	لاقِی کالاحبّةِ	الوجه لاقَی کالاحبّةَ *
—	١٥	أبغِض	صوابه أبْغِض *
—	١٨	اليهِمْ	هی من التبلتع بمكان *
٢١٥	..	اِن	الوجه أن *
٢١٨	٢٤	* صروفه	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى مذكور قبله
٢٢١		قُنبُرة	الاولى قُبّرة * البيت فی اخر الصفحة *
٢٢٢	١٨	يمنعَ ــ فترتعَ	صوابه يمنعُ فترتعُ *
٢٣٢	١٧	يصنعُ	حقه يصنعِ *
—	١٨	بدوُه	صوابه بدؤه *
٢٣٦	..	أَربِهِ ــ أَدبِهِ	صوابه أَرَبَهُ أَدَبَهُ *

صفحه سطر

٢٣٧ .. وانّ منى لوّا الوجه وان لوّا عَناءَ وكانه ظن ان عناءَ هنا جار ومجرور وان تاخيرها عن لوا يكسر وزن البيت فابدلها بمنّى وجعل الضمير مفردا *

٢٣٩ ١٣ ياعابثَ الفقر حقه ياعائبَ الفقر مع ان لفظة العيب المذكورة في المصراع الثانى تهدى الاعمى الى فهم البيت ولكن اساتيذنا يحبّون العبث *

٢٤٥ ٢٣ اِنّما حقه اَنّما *

٢٤٧ ١٤ قوسًا حقه فوسًا *

٢٤٨ ١٢ منَ آبن حقه منِ آبن *

ب — مامةَ كعب حقه مامةِ للاضافة *

٢٥٢ .. وَلِهًا صوابه وَلَهًا اى ولها عليه رنبن *

٢٥٥ .. المقانعَ صوابه المقانعا *

٢٥٨ ١٩ تَسلَمْ مِنْ أنْ صوابه تَسْلَمْ مِنَ آن بحذف الهمزة للوزن

— ٢٣ تَجَرَّبَ سبيل القصد حقه تَحَرَّ فتصحفت الكلمة على الجميع والذى اوقعهم فى ذلك قول الشاعر فى البيت الثانى لم تجرِبْ * وقوله ولا تُسىّ الظنا حقه تسيِّىْ فينكسر الوزن وقوله لدى الخَمر حقه الخُمْر اى الاختار

٢٦٠ .. ضَلّتْ صوابه ضَلّتِ *

— .. بَرغوثا صوابه بُرغوثا — لولّتْ صوابه لُوَلّتِ فليراجعها الاساتيذ فى محلّها فاما فتح البرغوث فهو عجيب من امثالهم اذ ليس فى الكلام فَعْلول الّا صَعْفوق *

٢٦٢ .. تَهامة صوابه تِهامة بالكسر *

صفحه سطر

٢٦٣ ٧ الكاسِ صوابه الكاسِي *

— ٨ فانك انت الآكل اللابسُ صوابه اللّابِسِي من لسا اى اكل اكلا شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون العظام ان تكون اللاسُ قافية مع الكاسى مع انهما بمعنى واحد فان الكاسى هنا من كسِيَ لازمًا ولو كان من كسا المتعدى لكان مدحا وهو غير مراد افلا تشعرون *

— ٢٤ بحِفِظ صوابه يحفَظ *

٢٦٤ ١٨ ممكِنا صوابه ممكّنا *

٢٦٨ ١٨ وهنُ صوابه بالفتح *

٢٦٩ ٢٣ فُلِبَ حقه فُلِبا *

٢٧١ ١٥ شتّانِ حقه شتانَ *

٢٧٦ ٢٠ اللهُ صوابه اللهَ *

٢٧٩ ٢١ قبلُنا صوابه قبلَنا *

٢٨٠ ٢٣ لا يستقيم البيت بقوله وتُنقَب فلا بد من ان نكون وتنتقب *

٢٨٧ ١٩ وعُمرى الاولى بالضم فان الشاعر غير متنطّع *

٢٩٣ ٢٢ وشُرب صوابه بالفتح *

— ٢٤ لجهنّمَ صوابه فى جهنّمِ فليراجع *

٢٩٥ ١٤ المُعَزل صوابه المِغزَل *

— ١٥ ويَعرِى اسنُه الاولى ويُعرى اسنَه *

٣٠١ — فانك الطاعم صوابه فانك انت الطاعم *

٣٠٣ ١٩ والذَرّ صوابه والذرّ *

٣١٢ .. صارم صوابه بالضم *

**

صفحه	سطر		
٣١٦	..	قبلهُ ـ بَعْدَهُ	صوابه قبلهُ ـ بَعَدَهُ البيت بآخر الصفحة *
٣١٩	..	دُرْنا دُرْنى	الاولى الاقتصار على احداهما *
٣٢٣	٢٧	جلاجلَ	صوابه جلاجلِ فان ذا الرمة لم يكن من المتبلتعين
٣٢٤	١٢	جلاجلَ	عين ما تقدم من اللهوقة وفى البيت الاول نظر
٣٢٦	١٦	ويُسهِرُ	صوابه ويَسْهَرُ وحَرّاها الظاهرانه جَرّاها *
٣٢٩	١٧	صئيلة	صوابه ضئيلة *
٣٣٢	١٩	مُنْجا	صوابه مُنْجى *
٣٣٨	١٢	حُنانَيْك	صوابه بالفتح *
٣٣٩	..	الى خيبرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من ترقيعه بلفظه سوق او نحو ذلك *
٣٤٢	١٨	مرتهِن	صوابه مرتهَن بالفتح *
٣٤٣	١٨	عُرْب	صوابه عُرُب *
٣٤٤	٢٠	فآخَر	صوابه فآخِر بالكسر *
٣٤٦	٨	ظفَرت	صوابه ظفِرت بالكسر *
—	٩	القرونُ	الوجه بالفتح وقوله مَنآبا ملفوت *
٣٤٧	..	فى ابيات المتنبى لهوقة كثيرة *	
٣٤٨	..	وقبلُك	صوابه وقبلَك قد تكرر ذلك غير مرة ولا ادرى كيف يصح رفع الظرف عند الاساتذة *
٣٤٩	..	ايما	صوابه ايّما وقوله الرزّ لعله بالفتح وهو صوت السماء
٣٥٠	٥	أوْ أشْرَخ	حقه أوَ آشْرَخ *
٣٥٣	..	عُنّيت فى الخدر عُشرا	الظاهر عُيّبت فى الخدر عَشرا *
٣٥٣	..	والأُنس	صوابه والانس بالكسر *
—	..	عنه	حقه منه *

صفحه	سطر		
٣٥٨	٢١	يغشون حتى ما تهرّ	صوابه تهرُّ *
—	—	السّواد	صوابه بالفتح *
٣٦١	١٣	إنّ	صوابه أنّ *
٣٦٦	..	من تذكّر جيْرانُ	صوابه جيْرانِ *
٣٦٨	..	النُّعما	صوابه النُّعمى *
٣٧٠	١٨	يسلِم	صوابه بفتح اللام *
—	٢٥	إنِى	الوجه أنِى *
٣٧٣	٩	ركَبت	صوابه ركِبت *
٣٧٨	..	سريعةُ	حقه سريعةِ البيت بآخر الصفحة *
٣٨٧	٣	محتقِرا	صوابه محتقرا اسم مفعول *
—	٥	إنّ العزّ	صوابه أنّ *
—	٦	بلوغُ	صوابه بالفتح اسم انّ *
٤٢٥	٢١	اغيدَ	صوابه أغْيدِ للوزن وكان ينبغى للاساتيذ ان يفطنوا لذلك لقول الشاعر فى القافية احورِ *
٤٣٣	١٢	طفرِكَ ـ امرِكَ ـ بقدرِكَ	والصواب فيها كلها الوقف بالسكون على الكاف *
—	٢٣	فالتَّعْسُ ادنى لها من ان اقول لَعا	والصواب فالتعس فان مراده أنّ اقول لها تعسًا اولى من قولى لَعا وانما تهور الاساتيذ فى ذلك لذكر النعش قبله حيث قال ويقال لا لعا لفلان اى لا اقامه الله من عثرته ولا نعشه غير ان العبارة صريحة فى ان لعا ونعشا بمعنى واحد فكيف يتخرج قوله اذا فالنعش ادنى لها من اقول لعا *

صفحه	سطر		
٤٣٨	١٥	نَسبتي	صوابه بالضمّ او بالكسر *
٤٥٢	١٣	وحُبّ بها مقتولةٍ	صوابه مقتولةً *
—	٢٥	فأطهِرَ في الالوانِ مِنْ أَلدّمِ الدّمُ	وهي عبارة مختلة لا يستقيم بها وزن البيت فلا بد من ترقيعه بلفظة ذا بعد قوله مِن او نحو ذلك ولا فكيف يسوغ تسكين نون من وبعدها اداة التعريف *
—	٢٧	آدَمَ	صوابه آدمٍ للوزن وفي المصراع الثاني نظر*
٤٥٥	٥	أُغلى السّبآء	صوابه بالكسر *
—	—	خَتامها	صوابه خِتامها *
٤٥٩	١٩	كَلًّا	حقه كلًّا *
٤٦٣	١٨	زُبرقان	والصواب بالكسر *
—	..	قبلْك	والصواب بالفتح وهذه خامس مرّة فهل تتورّكون علىَ الطبّاع كما هو شانكم اليوم وفي قوله عُوّلُ نظر *
٤٧٧	١١	تعاقُبْ	صوابه تعاقِبْ *
—	١٩	الأُنثى	حقه التليين للوزن *
٤٨٠	٢٥	ضُوء	الوجه بالفتح *
٤٨٤	٢٤	البُسَيّطة	صوابه البَسيّطة فاما المصغّرة فلا يدخلها ال *
—	٢٥	زَجاج	الوجه بالضم وكذا قوله سابقا الضَرّ*
—	٢٨	قبلُه	صوابه بالفتح لكونه ظرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا فهل تتورّكون على الطبّاع *
٤٨٧	١٩	يبدو محاسنه	حقه تُبدو*

صفحه	سطر		
٤٩٣	١٩	مناهِلُ	صوابه مناهلٍ لكونه وقع عروضا فليراجع *
—	..		وفى البيتين الاخرين تلهوق وخروج عن الفصيح *
٤٩٤	..		فى بيت المتنبّى تنطّع * ويالكِ من خد اسيل فى البيت الاخر صوابه ويالكَ *
٥٠١	..	اشتوا	صوابه شَتَوا وقوله مثلَ حقه بالرفع*
٥٠٣	١٣	جُنانِى وخَيارِه	صوابه جَنايَ وخِيارِه *
٥٠٨	٢٢	لِذَوى الالباب وذى	صوابه لذَوى الالباب او ذى *
٥٠٩	١٢	والنَّجح	صوابه بالضم *
—	١٣	تُقاذف	صوابه بالفتح اصله تتقاذف حذفت التا الاولى للتخفيف *
—	١٩	وكلَّ يوم	صوابه وكلّ منصوب بحذف الخافض*
٥١٥	..	خِندَف	صوابه خِندِف البيت بآخر الصفحة *
٥١٦	٦	يُفنِي	صوابه يَفنَى *
—	١١	معتَب	صوابه معتِب *
—	٢٢	كِبرة	صوابه كثرة *
٥١٧	١٥	بنَ	حقه بنَ *
٥٢٠	٢٢	فُنّ	صوابه فَنّ *
—	٢٩	نُفذن	حقه نَفذت *
٥٣٢	٥	حَذَع	الوجه حُذَع *
—	١٠	وعصرةُ	صوابه وعصرةٍ *
٥٣٥	٩	تَساق	صوابه تُساق *
—	١٠	مِثلَ فِيء	صوابه مثلُ فَيْء *
٥٣٥	١٤	فنَعوا	صوابه فنِعوا *

صفحه	سطر		
٥٣٨	..	عَزى	صوابه عُزّي *
—	..	الشّرك تعلِمُه	صوابه الشِرك تعلَمُه *
—	..	عِماها	صوابه عُماها العَمى بالفتح يااساتيذ *
٥٣٩	..	تُجَهِل	صوابه تُجهل *
٥٤١	١٩	كانوا الاكارمُ	صوابه الاكارمَ * وفى البيت الثانى لهوقة *
٥٤٢	..	المغيظ المحنَق	حقه المحنِق بمعنى الحاقد فاما المحنَق فانه بمعنى المغضَب فيكون بمعنى المُغيظ *
٥٤٨	..	فُمى	صوابه فَمى البيت بآخر الصفحة *
٥٤٩	٩	تَنْكَر	صوابه تُنكِر *
—	—	ابتَلَيّت	صوابه ابتُلِيتُ *
—	١٩	غدتْ بنتٌ	الوجه بنتَ *
—	٢٤	قَبلُ	صوابه قبلَ لكونه طرفا لكونه ظرفا لكونه ظرفا وهذه سابع مرة فهل تتوركون على الطبّاع *
—	٢٥	الزَبْد	صوابه الزُبْد وقوله ياعقارُ فيه نظر *
٥٥٥	..	أَنس	صوابه إِنس *
—	..	يحمُدُ	صوابه يحمَدُ وقوله خِمسا قبله فليراجعْ *
٥٦١	..	فوق رؤسهمُ	حقه رُؤسِهِمِ ومثله كثير فى هذا الكتاب *
—	..	جلال	حقه اجلال *
٥٦٦	..	لم يَلُذّ	صوابه يَلِذّ لان المضاعف لذا جآء لازما تكون عينه مكسورة الا فى احرف نادرة *
٥٦٨	..	لأسقيهمْ	صوابه لأَسقِهُم البيت بآخر الصفحة *
٥٦٩	..	فيعرُض	حقه فيعرِض *
٥٧٠	٢٣	كِلامَ	صوابه كَلام *

صفحه	سطر		
٥٧٥	١٤	وزَهّدْ	صوابه وزُهّد *
—	..	يساوِى	صوابه يساوَى *
—	..	نحومبرّد	حقه المبرّد *
—	..	هاكِها	صوابه هاكَها *
—	..	تَطُنّ	الوجه تطِنّ *
٥٩٠	..	تفهِموا	صوابه تفهَموا *
—	..	ذُوو	صوابه ذَوووكانّ الاساتيذ قاسوا الجمع على المفرد
—	..	بالِ	حقه بالْ فان القوافى كلها مقيّدة *
٥٩١	١٣	تعلِم	صوابه تعلَم *
٥٩٧	..	بالمُشرفىّ	صوابه بالفتح *
٦٠٨	٢٣	أرْحَمُ	صوابه ارْحم *
٦١٠	٢٢	ويُحْسَنُ دَلّها	صوابه ويَحْسُنُ دَلُّها *
٦١١	..	اكارِعَه	حقه اكارِعُه *
٦١٤	١١	قبلُ الاَجَلْ	صوابه من قبلِ الاجل ليستقيم الوزن *
—	١٣	لَيْلاً	الوجه لَيْلَى *
٦٢٦	..	جُعِلنا عوارِضُ	صوابه عوارِضَ البيت باخر الصفحة *
٦٢٧	..	يُنْصَحاِ	صوابه يَنْصَحان *
—	..	واصبُرْ	صوابه واصبِرْ وكذا فى الثانية *
٦٢٨	..	يجىْ	صوابه يجى مليّنة للوزن *
٦٣٣	١٠	جَسْم مكررة مرتين	والصواب جِسْم *
—	..	فى الابيات الاخيرة منع مسلم من الصرف اولى من كسر البيت	
٦٣٣	١٠	وقوله باردِ	صوابه بالتنوين والظّهور بالفتح لا بالضمّ *
٦٣٥	١٥	الاشقِينَ	حقه الاشقَينَ *

صفحه	سطر		
—	..	مطبُخُهُ	صوابه مُطّبُخُهُ وساباطُ حقه بالكسر او بالالف *
٦٣٩	..	نائلكَ	حقه نائلكم لانه واقع عروضا *
٦٤١	..	سعادَ	صوابه سعادُ واثرُها صوابه بالفتح وهذه ثانی مرّة
٦٤٥	١٠	ضَرغام	صوابه بالكسر *
—	١٣	ومصابحُ	صوابه مصروفا لوقوعه عروضا *
—	١٩	ودارَ وفارَ	حقهما السكون للقافية *
٦٤٦	..	السِعلات	حقه السعلاةِ وعمرُو بنُ مسعود شرارُ الوجه فيها كلها النصب *
٦٤٩	١٥	اربعةً	صـ اربعةٌ وفی جبرئلِ تلهوق ونَصْل حقه فَصْل *
٦٥٠	..	تزوّجَ ابنُ	الرواية نزوّجُ ابنَ *
٦٥٣	..	مُعاذَ الله	صوابه مَعاذ *
٦٥٨	..	شديدُ	الوجه بسكون الاخر *
٦٦٠	..	ترِئنَ	صوابه ترَئِنَ واعلِم صوابه واعلَم *
—	..	من الحرفةِ	الوجه من الحِرفَةْ *
٦٦٢	..	وطيّا	حقه وطيسًا *
—	..	فقَصِّرْ كما	صوابه فقَصْرُكما ای غايتكما ومصيركما
—	..	وتِلِدُ	صوابه تَلِدا *
٦٦٢	..	فتًى هواَحْيا	الرواية كان احيا *
٦٦٤	..	لعلّ اللهُ	صوابه اللهَ البيت بآخر الصفحة *
٦٦٨	..	يَخزنی	صوابه يُخزنی *
٦٦٩	..	مزيدَ	صوابه مزيدٍ لوقوعه عروضا *
٦٧٢	..	أَحَبَّ	صوابه أُحِبُّ *
٦٧٤	..	شوامش	صوابه شوامس وشوامس الثانية ينبغی ان تكون

صفحه	سطر		
			مجرورة بالكسرة او بالف الاطلاق *
٦٧٨	..	خُبرَة	صوابه خُبرة *
٦٧٩	١٤	شبا تُجَرّ	حقه يُجَر *
—	٢٢	احقّ	صوابه احقّ *
—	٢٣	وابصرُ	صوابه وابصرَ *

وما زال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر المقامات ولو تقصيت كل ما وقع من الغلط والتحريف فى المتن والشرح لكان مقدارا عظيما وكفى بما اوردته شاهدا على علميّة المشار اليهما وكذب دعوى صاحبهما فاما ما انتخبه الاستاذ الاعظم مسبوكُسّان دُ پرسُفال من قصة عنتر وما الّفه فى كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة الركيكة فغير جدير بان يضاع فى نقده الوقت اذ كله فاسد * •

تم الذنب

تنبيه من عادة الاساتيذ المزبورين ومن اشبههم ممن الّف فى العربية شيا ان يعتذروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورّك على الطبّاع او على صفّاف الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط انما ينشأ من جهلهما باللغة كما ذكر لى ذلك الكنت الكس دكرانج (Alix Desgrange) نقلا عن الاستاذ كسان دُ پرسفال وهو عذر اقبح من ذنب فان الصفّاف كيفما وجّهته اتّجه ومهما ترسم له يمتثله ألا ترى ان مسيو پيرو (M. Perrault, rue de Castellane, 15, Paris) مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيا فقد امتثل كل ما رسمنا له فى كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التانّى وبذل مجهوده فى صفّ الحروف وجودة الطبع حتى جآ بحمد الله احسن ما طبع بلغتنا فى البلاد الافرنجية فلهذا ننوّه باسمه عند كل من شآء ان يطبع شيا بالعربية ولا شك انهم يحمدون سعيه ويرضون عن صنعه وان لم يكن فى المطبعة السلطانية وكفى بحسن العمل وصاة *

بيان ما وقع فى هذا الكتاب من الغلط والتحريف

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٣	٣	السبل	السيل *
١١ يذ		الفيرزابادى	الفيروزابادى *
١٣	١٤	فدير	فدير *
١٥	٢	طُفشن	طُفشت *
—	٣	بجيت	بجيث *
٢٣	٨	الدبنا	الدنيا*
٢٥	١٢	بوة	توة *
٣٤	١١	فد	فد *
٣٨	١٤	الياك	اليتاك *
٥٩	١٠	حى	حتى *
٦٤	١٤	عَنْول	عِنْول *
٧٩	١٠	هنشا	هنيشا *
٩٤	١٥	بجسث	بجيث *
٩٥	٨	فبيحة	قبيحة *
١٠٤	٤	رأمة	رامّة *
—	—	نشزة	نشرة *
١٠٦	١٨	الرَتّم	الرَتْم *
١١٨	٢١	الباقر	البَقّار *
١٤٢	٩	وأعفيت	واَعْفيت *
١٥٣	٢٠	الجَلاهق	الجُلاهق *
١٦٧	٣	فَبّنْخاها	فَبَتّخاها *
—	٤	جُيَضاها	جبضاها *
—	١٢	ورَسْمها	ورُسَمها *
—	١٣	عتكانها	عبكانها *
١٦٨	٧	معورزنما	معرنزما *
١٧٦	٥	الوجوع	الرجوع *
١٧٧	٤	وانما	فانما *
١٨٤	٢١	النجثبين	النجشبين *
١٩١	٤	هُرْمه	هُرْمة *
١٩٦	١٤	افضى	اقصى *
٢٠١	١٣	والحجش	والجحش *
٢١٠	١٧	كانّ	كاَنْ *
٢١١	٧	الى	لى *
٢٢٣	٢٠	المقصود	المعصود *
٢٣٠	٦	امّ دِفار	امّ دَفار *
٢٤٣	٢٠	وهَبّيْخه	وهَبَيّخة *
٢٥١	١	السطبة	السَنْطبة *
٢٥٣	٤	دُمّصا	دِمّصا *

صفحة	سطر	الغلط	الصواب
٢٥٣	١٠	ابو بُرائل	كذا هي في نسخة القاموس التي عندي بالفتح الان قوله البُرائل كعُلابط ما استدار من ريش الطائر حول عنقه يقتضي انه مضموم *
٢٦٥	٨	الباقر	البَقّار *
—	٢٠	العرزِ	والعرر *
٢٦٩	١٦	والطِبْن	والطُبْن *
٢٧٢	٤	فيطبج	فطبخ *
٢٧٥	١٥	والقيصائة	والقيصانة *
٢٨٢	١٥	السَكركة	السُكركة *
٢٨٤	٢٠	صفبطبة	صفبطية *
٢٩٥	٥	والنُّطفة	والنُّطَفة *
٣٠٠	٤	والنَّدل	والمُنْدُل *
٣٠١	١٠	والقُدا	الى النَّدا *
—	١٤	الصُراحيات	الصُراحية *

صفحة	سطر	الغلط	الصواب	
٣٠١	١٦	كالاباريق	كالابريق *	
٣٠٦	١٤	البَلّنط	البَلَّنط كجعفر *	
٣١١	١١	الثوب المخطط	ثوب مخطط يمان	
٣٢٧	١٥	مآمما	مآهما *	
٣٣٣	٨	تملقهلها	تملّقهاله *	
٣٤٥		والنَّظَف	والنُّطَف *	اخر سطر
٣٧٥		سبفنبة	سبفتّة *	على السـ
٤٤٣	١٣	البادئ	البادئ *	
٤٤٤	١٧	تبجهم	تبجهم *	
٤٥٥	٧	كل ما	كلما *	
٤٦٤	٢	عمناس	عُماس *	
٤٦٩	١٢	تصبّى	تصبى *	
٤٨٩	١	مضافة	مضافة *	
٥٠٥		الا	الى *	اخر سطر
٦١٠	٩	جدسه	حُدسه *	
٦٨٢	٦	لجُرّجا	لجرجا *	

لقد تم والحمد لله طبع هذا الكتاب البديع وكان ذلك
في مدينة باريس المحمية سنة ١٨٥٥ مسيحية
الموافقة لسنة ١٢٧٠ هجرية *